حاشية العلامة مصطفى العروسي

المسماة

نتائج الأفكار القدسية

في بيان معاني

شرح الرسالة القشيرية

لشيخ الإسلام زكريا بن محمد الأنصاري

المتوفى ٩٢٦ هـ

ضبطه وصححه وخرج آياته وأحاديثه

الشيخ عبد الوارث محمد علي

المجلد الثاني

٣ - ٤





دار الكتب العلمية

أسسها محمد علي بيضون سنة ١٩٧١

بيروت - لبنان

حاشية العلامة مصطفى العروسي

المسماة

نتائج الأفكار القدسية

في بيان معاني

شرح الرسالة القشيرية

لشيخ الإسلام زكريا بن محمد الأنصاري

المتوفى ٩٢٦ هـ

ضبطه وصححه وخرج آياته وأحاديثه

الشيخ عبد الوارث محمد علي

الجزء الرابع





دار الكتب العلمية

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971

بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

باب التصوّف

هو ترك الاختيار ويقال: هو حفظ حواسك، ومراعاة أنفاسك، ويقال: هو الجد في السلوك إلى ملك الملوك، ويقال: هو الإكباب على العمل والإعراض عن

باب التصوّف

قال بعضهم: هو اسم جامد وقع على كل من اجتمع قلبه وقت ذكره، وتفرق في أحوال أَسباب فكره، وتزايدت أَشواقه عند السماع، وخفيت حقائقه عند الاجتماع والقول بأنّه مشتق من الصفاء، أو من لبس الصوف، أو من الصف الأول يحوج إلى تكلف مع عدم الشاهد على ذلك في معظم الأقوال وإنْ كان معانيها لا يخلو عنها الصوفيّ باعتبار رسمه وحاله، واعلم أنّ حقيقة الصوفيّ من له جد وصدق وإخلاص في متابعة سيد المرسلين، وإمام المرشدين عليه وعلى إخوانه صلوات رب العالمين.

(**قوله: هو ترك الاختيار الخ**) اعلم أنّ شرف الدين مرتبة قصوى وأكرم الحسب عند الله التقوى، شعر:

لعمرك ما الإنسان إلا ابن دينه ... فلا تترك التقوى اتكالاً على النسب

فقد رفع الإسلام سلمان فارسٍ ... وقد وضع الشرك الخبيث أبا لهب

فمن ادّعى مقام الكبار امتحن بالاختبار، ومن تحلى بما ليس فيه فصمته شواهد الامتحان فلا تزدري عاقلاً لحقارة رياشه، ولا تعظم جاهلاً لكثرة قماشه، فالمرء مخبوء تحت لسانه وجوهرة عقله في صدفة كيانه، شعر:

واعلم بأنّ التبر في عرق الثرى ... خافٍ إلى أنْ يستثار بنبشه

وفضيلة الدينار يظهر سرها ... من حكه لا من ملاحة نقشه

إلى آخر ما في الشعر فراجعه إنْ شئت.

(**قوله: ويقال: هو حفظ حواسك**) أي الظاهرة مع جوارحك الباطنة عن الخروج إلى ما ليس له شاهد من علم الشريعة المطهرة، وقوله: ومراعاة أنفاسك أي بأنْ لا تضيع منها نفساً في غير طاعة ربك. (**قوله: ويقال: هو الجد في السلوك**) أي الاجتهاد فيه وعدم الفتور وقتاً من الأوقات.

(**قوله: ويقال: وهو الإكباب**) أي الانكباب والانهماك على العمل التكليفي،

العلل، ويقال غير ذلك، وقدمت بعضه في باب ذكر مشايخ هذه الطريقة، وهو ممدوح ومطلوب لأنه مأخوذ من الصفاء وقد بينه بقوله: **(الصفا محمود بكل لسان وضده الكدورة وهي مذمومة)** كذلك وقد **(أخبرنا عبد الله بن يوسف الأصبهاني قال: أخبرنا عبد الله بن يحيى الطلحي قال: ثنا الحسين بن جعفر قال: ثنا عبد الله بن نوفل قال: حدثنا أبو بكر بن عياش عن يزيد بن أبي زياد عن أبي جحيفة قال: خرج علينا رسول الله ﷺ متغير اللون فقال: «ذهب صفو الدنيا»**[1]) وهو كثرة خيرها ونعمها، والمراد صفو قلوب أهلها وانشراح صدورهم ورضاهم بما يجريه الله عليهم فيها، **(وبقي الكدر)** وهو ضد ذلك **(فالموت اليوم تحفة لكل مسلم)** للسلامة من الكدر، وكأنه بتقدير صحة ذلك قاله: قرب موته لعلمه بما يكون بعده من الاختلاف والدعاوى الباطلة، ومقصود الخبر التحريض على التمسك بأوقات الصفاء مع الله وإزالة المشغلات بأنواع المجاهدة والرياضة، فإذا كمل العبد في ذلك فهو المعبر عنه بالصوفي فإنه قد صفا من الكدر بما أطلعه الله عليه. **(ثم هذه التسمية)** أي التسمية بالصوفية **(غلبت على)** أهل **(هذه الطائفة فيقال: رجل صوفي وللجماعة صوفية)** لأنَّ

وقوله: والإعراض عن العلل أي البعد عما يعطل ثمرة ذلك العمل من الرياء والعجب، والاستحسان للعلم، والوقوف معه وغير ذلك مما يصير العمل معه مدخولاً.

(قوله: لأنه مأخوذ من الصفاء) أي من مطلقه، والمراد هنا صفاء النيات والأعمال عن المعطلات للقبول. **(قوله: متغير اللون)** أي من هول ما أطلعه الله تعالى عليه. **(قوله: ذهب صفو الدنيا)** يحتمل على زمن التكلم، ويكون باعتبار بعض الخلق في زمنه ﷺ.

(قوله: التحريض على التمسك الخ) أي حيث ذلك من فرص المؤمن. **(قوله: بما أطلعه الله عليه)** أي من أنوار قربه ولذة مناجاته. **(قوله: ثم هذه التسمية الخ)** اعلم أنَّ الخير باقٍ إلى يوم القيامة، فلا تقل إنَّ تأخر الزمان يوجب ذهاب الأعيان وإنَّهم في هذه الأعصار ككنز صاحب الجدار، شعر

ما ضرني إنْ لم أكن متقدماً ... فالسبق يظهر آخر المضمار
فلئن غدا ربع البلاغة دارساً ... فلرب كنز في أساس جدار

فلا تنتقص من جاء في آخر دورات الكيان وقدمه فضله على الأفاضل والأقران، شعر:

فقد أخر الله النبي محمداً ... وقدمه في رتبة المدح والذكر

---

(١) أخرجه ابن ماجه (زهد ١) والنسائي (زينة ١١٩) وأحمد بن حنبل (٥، ٢٩٠).

الحق صافاهم وأخلص لهم النعم بما أطلعهم عليه **(ومن يتوصل إلى ذلك)** بالاكتساب والتشبه بهم **(يقال له: متصوف)** لا صوفي **(وللجماعة المتصوّفة)** لا صوفية **(وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس)** بين **(ولا اشتقاق)** كذلك لأنَّ مصدر صفا صفو بتأخير حرف العلة عن الفاء **(وإلا ظهر فيه أنّه)** غير مشتق بل هو جامد **(كاللقب فأما قول من قال: إنّه)** مشتق **(من الصوف، ولهذا يقال: تصوّف إذا لبس الصوف كما يقال: تقمص إذا لبس القميص فذلك)** وفي نسخة فلذلك **(وجه)** سائغ بل قيل: أنّه حسن لأنّه أبعد من الدعوى بخلاف غيره مما قيل فيه، **(ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف)** لكن هذا لا يضر لأنَّ الحكم للغالب، والغالب عليهم لبسه، والاكتفاء به، وإنما اختاروا لبسه لأنّه أرفق بهم، ولأنّه لباس الأنبياء والصالحين.

(ومن قال: إنّهم منسوبون إلى صفة مسجد الرسول) وفي نسخة رسول الله (ﷺ) وأنَّ هذا الاسم مشتق منها **(فالنسبة إلى الصفة لا تجيء على نحو الصوفي)** بل على الصفي ونحو زائد، **(ومن قال: إنّه مشتق من الصفاء فاشتقاق الصوفي من الصفاء بعيد في مقتضى اللغة)** بل مقتضاها أنّه إنما يشتق من الصافي، **(وقول من قال: إنّه مشتق من الصف فكأنهم)** الأولى لأنهم **(في الصف الأول بقلوبهم)** من حيث المحاضرة والمناجاة وارتفاع الهمة مع الله تعالى بحيث صاروا بقلوبهم أقرب الناس إليه **(فالمعنى صحيح، ولكن اللغة لا تقتضي هذه النسبة إلى الصف)** إذ لا يقال في النسبة إلى الصف إلا صفي، **(ثم إنَّ هذه الطائفة)** وفي نسخة ثم هذه الطائفة **(أشهر من أن يحتاج في تعيينهم إلى قياس لفظ واستحقاق اشتقاق)** لشهرتهم بذلك، وأنت خبير بأنَّ شهرتهم لا تغني

(قوله: لأنَّ الحق صافاهم) أي بواسطة سبق رضاه عنهم. **(قوله: يقال له: متصوّف لا صوفي)** أقول: لعل وجهه تكلف هذا الخلق بالاكتساب وإلا فلا حجر. **(قوله: بل هو جامد)** أي ثم غلب على من تخلق بالأخلاق الحميدة بعد أنْ تجرّد عن الذميمة. **(قوله: لأنه أرفق بهم)** أي بسبب قلة الكلفة في تحصيله بحسب ما كان، وبالنسبة إلى ما هو أعلى منه.

(قوله: ونحو زائد) أي لعدم وجود غيره. **(قوله: فاشتقاق الصوفي من الصفاء بعيد)** لك أنْ تقول إنَّ المراد مطلق الأخذ وإنْ لم يكن على قاعدة الاشتقاق بل لمراعاة المعنى فقط.

(قوله: الأولى لأنهم الخ) أي فهم بسبب اعتبار حال قلوبهم من المحاضرة في الصف الأول حقيقة لا ادعاء. **(قوله: وأنت خبير الخ)** هذا التورك منه مبني على أنَّ الفرض الاشتقاق، وهو غير لازم حمل الاسم عليه بل يصح حمله على أنّه علم جامد

عن بيان اشتقاق اسمهم. (وتكلم الناس في التصوّف ما معناه) ويعرف منه من هو المتصوّف مع أنَّه قدمه (و) تكلموا (في الصوفي من هو، فكل عبر بما وقع له واستقصاء جميعه يخرجنا عن المقصود من الإيجاز، وسنذكر هنا بعض مقالاتهم فيه على حد التلويح إن شاء الله تعالى. سمعت محمد بن أحمد بن يحيى الصوفيّ يقول: سمعت عبد الله بن عليّ التميميّ يقول: سُئل أبو محمد الجريري عن التصوّف فقال:) هو (الدخول في كل خلق) بضم الخاء (سني) أي رفيع كالورع والزهد والتوكل والرضا والتفويض ونحوها (والخروج من كل خلق دني) كالرياء والعجب والكبر والحسد وسوء الظن ونحوها. (سمعت عبد الرحمن بن يوسف الأصبهاني يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبا عبد الله محمد بن عمار الهمدانيّ يقول: سمعت أبا محمد المرعشيّ يقول: سئل شيخي عن التصوّف فقال: سمعت الجنيد وقد سئل عنه فقال: هو أنْ يميتك الحق) تعالى (عنك) أي عن نظرك لنفسك (ويحييك به) أي بذكره ومناجاته والاشتغال بما يرد منه عليك، وهذا أكمل درجات التصوّف. (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلميّ) رحمه الله (يقول: سمعت عبد الرحمن بن محمد الفارسيّ يقول: سمعت الحسين بن منصور وقد سئل عن الصوفي فقال:) هو (وحدانيّ الذات لا يقبله أحد ولا

مدلوله هؤلاء الخلق، والطائفة من الصوفية. (قوله: ويعرف منه) أي من كلامهم في بيان حقيقة التصوّف من هو المتصوّف. (قوله: فكل عبر بما وقع له) أي مما نقل إليه أو مما ذاقه على حسب استعداده.

(قوله: هو الدخول في كل خلق) أي مع دوام الصدق في كامل الأخلاق دخولاً وانتقالاً. (قوله: كالرياء الخ) جميع ما ذكره من الكبائر أعاذنا الله منها. (قوله: فقال: هو أنَّ يميتك الحق عنك) يشير إلى أنَّه متى بقي لنفس العبد بقية إحساس لا يقال له: صوفي كامل وهو الحق.

(قوله: فقال: هو وحداني الذات لا يقبله أحد) أي وذلك لأنَّه قد تلاشى عن السوى بواسطة استهلاكه في الأنس به تعالى اللازم منه غاية الوحشة من كافة الخلق، فهو حينئذ لا مناسبة بينه وبينهم تجمعهم عليه، فإذا رأيت نفسك معرضة عن أولياء الله فاعلم أنَّك مطرود عن الله لأنَّ الحق لو أقبل عليك لحببهم الله إليك:

أيها المعرض عنا ... إنَّ إعراضك منا
لو أردناك جعلنا ... كل ما فيك يجبنا

قال: لسان حال عزة من تولى لمن أعرض عنه وتولى، شعر:

قنعنا بنا عن كل ما لا يريدنا ... وإنْ كملت أخلاقه ونعوته
ومن غاب عنا حظه البين والقلا ... ومن فاتنا يكفيه أنا نفوته

يقبل أحداً) أي مشغول بالله تعالى، ولم يبق فيه وسع لخلطة غيره ولا لكلامه، وهذه أعلى أحوال الصوفيّ وإنْ لم يدم له ذلك، وإنما هي بحسب من يسأله ويجيبه، فإذا كان السائل له ممن يدّعي التصوّف نبهه على المقام الرفيع فيه ليستصغر نفسه وتذهب عنه دعاويه، **(وسمعته)** أيضاً **(يقول: سمعت عبد الله بن محمد يقول: سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول: سمعت أبا عليّ الورّاق يقول: سمعت أبا حمزة البغداديّ يقول: علامة الصوفيّ الصادق أنْ يفتقر)** من الدنيا **(بعد الغنى)** بها **(ويذل بعد العز)** بالغنى بها **(ويخفى بعد الشهرة)** لأنَّ أول درجاته الزهد في الدنيا، فيبعد منها عن مالها وجاهها ورفعتها، فيصير في صورة الفقير وإنْ كان غنياً بالله، وفي صورة الذليل وإنْ كان عزيزاً بمولاه، خفياً بين الناس وإنْ كان مشهوراً عند الملائكة، ومن والاه، ففي الحقيقة هو الغني بعد الفقر، والعزيز بعد الذل، والمشهور عند الله وملائكته بعد الخفاء، وذلك ببركة صدقه في سلوكه، **(وعلامة الصوفي الكاذب أنْ يستغني بالدنيا بعد**

فلسان حال هذا الوحدانيّ يقول: اصحب مولاك ولا تعبأ بمن ناداك، فإنَّه إذا صح منه الوداد أمنت به من سائر العباد، شعر:

فليت الذي بيني وبينك عامر ... وبيني وبين العالمين خراب
إذا صح منك الودّ فالكل هين ... وكل الذي فوق التراب تراب

فقوله: لا يقبله أحد أي لعدم المناسبة كما أسلفنا، ولأنَّ أهل الخصوصية مزهود فيهم في الحياة متأسف عليهم بعد الممات، شعر:

والمرء ما دام حياً يستهان به ... ويعظم الرزء فيه حين يفتقد

وقوله: ولا يقبل أحداً أي لعدم وجود المماثل وعزة الأخ المشاكل، شعر:

إني لأفتح عيني حين أفتحها ... على كثير ولكن لا أرى أحداً

فهذا الزمان لم يوافِ بصديق موافي، ولذا قيل شعر:

وإذا صفا لك من زمانك واحد ... نعم الصديق وعش بذاك الواحد

فوا أسفي على فقد الكامل الكبير والفتى الحر التحرير، شعر:

أتمنى على الزمان محالا ... أنْ ترى مقلتاي طلعة حرّ

(قوله: وإنْ لم يدم له ذلك) أي لأنَّه لا دوام له على حال ولا على مقام لاستمرار ترقيه ﴿يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ [البقرة: ١٠٥]. **(قوله: علامة الصوفيّ الصادق الخ)** محصله أنَّه لا يتم له هذا الوصف الشريف إلا بعد انخلاعه عن الدنيا وشهواتها، وذلك بالزهد فيها من جهة المال والشهرة والرياسة، وكل شاغل يشغل عن الحق بحيث لا يكون فيه متسع لغير حق ربه سبحانه وتعالى. **(قوله: بعد الخلفاء)** أي باعتبار الملائكة أو

الفقر) منها (**ويعز بعد الذل**) بالفقر منها (**ويشتهر بعد الخفاء**) لأنّه يتزيا بزي الصوفية لينال بعض الدنيا فيستغني بها وإنْ كان فقيراً قبل ويعز عند أهل الدنيا على من لا يعرف حقيقة أمره، ويتوهم صدقه في حاله، ويشتهر بين الناس وإنْ كان مخفياً قبل لمحبته للشهرة والتعرض لأسبابها. (**وسئل عمرو بن عثمان المكي عن التصوّف فقال:**) هو (**أنْ يكون العبد في كل وقت**) هو فيه مشتغلاً (**بما هو أولى به**) عند الله (**في**) ذلك (**الوقت**) فالصوفيّ من كان ملازماً لما هو أولى به في وقته من أعماله وأخلاقه وأحواله، وسائر ما يتقرب به إلى ربه. (**وقال محمد بن عليّ القصاب: التصوف أخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم من رجل كريم مع قوم كرام**) أشار إلى أوّل وقوع هذا الاسم لهذه الطائفة بأنَّ رجلاً قد كمل الله أخلاقه الحميدة، واقتدت به طائفة فسموا الحالة التي هم عليها تصوّفاً وأنفسهم صوفية، ثم صار هذا الاسم في الناس المتصفين بصفتهم بعدهم. (**وسئل سمنون عن التصوّف فقال:**) هو (**أنْ لا تملك شيئاً**) بأنْ تتبرأ من الأملاك والدعاوى (**و**) أنْ (**لا تملك شيئاً**) من الشهوات التي توقفك عن

باعتبار بعض البشر ممن نور الله بصائرهم، أما بالنسبة له تعالى فلعل المراد به بعد العبد باعتبار أوّل أحواله عن درجة المقربين، فتأمل. (**قوله: وعلامة الصوفي الكاذب**) أي الذي هو عرضة للهلاك أنْ يستغني بالدنيا الخ أي وهذا مثل حال فقراء زماننا بل هم أسوأ من ذلك، فلا حول ولا قوّة إلا بالله.

(**قوله: فقال: هو أنْ يكون العبد الخ**) أقول: هذا الذي ذكره عام في أعمال القلوب والجوارح وفي الأحوال والمقامات. (**قوله: مشتغلاً بما هو أولى به**) أي لأنَّ شأنه الدوام على البحث عن الأفضل والأكمل مما يتوصل به إلى مرضاة الرب تبارك وتعالى.

(**قوله: التصوّف أخلاق كريمة**) أي من حيث أنّها طريق الوصول إلى الحق تعالى ظهرت في زمان كريم أي لسعد الطالع فيه من رجل كريم أي من إنسان سبقت له العناية من الحق تعالى بالكرامة حيث اختاره لها مع قوم كرام أي لحفظهم إياها عن الضياع. (**قوله: أخلاق كريمة**) أي كان يعفو عند القدرة، ويحسن ولو لمن أساء إليه، ولذا قيل: إذا صحبت فتأدب مع المصحوب بالعلم وعامله بالعفو والحلم، شعر:

اخمد بحملك ما يبديه ذو سفهٍ ... من نار غيظك واصفح إنْ جنى جاني
فالحلم أفضل ما ازدان اللبيب به ... والأخذ بالعفو أحلى من جنى الجاني

فتدبر.

(**قوله: فقال: هو أنْ لا تملك شيئاً**) أي اعترافاً بحقيقة المالكية له تعالى، وقوله: وأنْ لا يملك شيء أي بعدم تعلق القلب بشيء ما من الحظوظ والعادات، وهذا إشارة منه

شغلك بمولاك، فتكون عاملاً متبرئاً، وتقدم نظيره في الفقر.

(وسئل رويم عن التصوّف فقال:) هو **(استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريده)** تعالى بأنْ تتمكن في الرضا بما يرضاه الله تعالى من الأفعال. **(وسئل الجنيد عن التصوّف فقال: هو أن تكون مع الله تعالى)** في سائر أعمالك وأخلاقك وأحوالك وغيرها **(بلا علاقة)** أي حظ من حب وسكون إلى غيره بل ترى جميع ما أنت فيه فضلاً من ربك عليك. **(سمعت عبد الله بن يوسف الأصبهانيّ يقول: سمعت أبا نصر السراج الطوسيّ يقول: أخبرني محمد بن الفضل قال:)** وفي نسخة يقول: **(سمعت عليّ بن عبد الرحمن الواسطيّ يقول: سمعت رويم بن أحمد البغداديّ يقول: التصوّف مبني على ثلاث خصال: التمسك)** أي تمسك العبد **(بالفقر والافتقار إلى الله والتحقق)** أي الاتصاف **(بالبذل والإيثار)** بما يملكه لرجاء نفعه عند مولاه **(وترك التعرض والاختيار)** بأنْ يسلم ويفوضِ لله في كل ما أجراه عليه وإنْ خالف هواه. **(وقال: معروف الكرخيّ: التصوف الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق)** لأنَّ من عرف الله وعلم أنَّه لاضار ولا نافع ولا معطي ولا مانع غيره اشتغل بما يقربه إليه من الحقائق فيلزم من ذلك إعراضه عما في أيدي الخلائق حتى لا يعتمد إلا على الله. يُحكى أنَّ وزير ملك وفقه الله فاعتزل صحبة الملك فاستحضره الملك، وقال له متهدداً: أتفر مني فقال: نعم لأني وجدت خيراً منك، فازداد الملك غيظاً وقال: من يكون خيراً مني قال: من يطعمني ولا يطعم، وأنت ما لم تطعم لا تطعمني، ومن

نفعنا الله ببركات علومه إلى طلب التخلق بالمقامات كالزهد والورع والرضا، فلا يقبل بقلبه إلا على ربه. **(قوله: فقال: هو استرسال النفس الخ)** أي وذلك بالفناء عن سائر مراداتها في مراداته تعالى.

(قوله: فقال: هو أنْ تكون مع الله الخ) محصله السعي مع الرب على طريق الموافقة برفض الأهواء والآراء والاختيارات، والله أعلم.

(قوله: التمسك الخ) يعني أنه يؤثر التقلل من الدنيا بحيث يكون دائم الافتقار إلى المولى، ويتحقق بالبذل والإيثار مع التفويض، والتسليم لفعل العليم الحكيم، فحقه الاسترسال مع الحكم، والقضاء والرضا بما يجريه الله من البلاء والنعماء. **(قوله: وترك التعرض الخ)** أي عملاً بآية ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ [القصص: ٦٨]. **(قوله: التصوّف الأخذ بالحقائق)** أي التمسك بها والعمل على مقتضاها، وقوله: واليأس إلخ من عطف اللازم كما هو واضح. **(قوله: لأنَّ من عرف الله)** أي بما له من النعوت والصفات العلية. **(قوله: ومن إذا خدمته)** أي عبدته وأطعته على الوجه الذي يليق بكماله على حسب الطاقة، وقوله: خدمني الوجود كله أي أطاعني

ينيمني ولا ينام، وأنتَ ما لم تنم لا أقدر أنْ أنام ومن إذا تبت يعفو عني وإنْ كثرت ذنوبي وأنت إذا عصيتك أدنى معصية بادرت إلى مؤاخذتي، ومن إذا خدمته خدمني الوجود كله وأنتَ إذا خدمتك أحتاج إلى خدمة كل من ينسب إليك لئلا يؤذيني عندك فقال له الملك: صدقت هو خير مني فالزم بابه واغتنم طاعته.

(وقال حمدون القصار:) إنْ أردت أنْ تصحب أحداً **(إصحب الصوفية فإنَّ للقبيح عندهم وجوهاً من المعاذير)** فمن وقع في زلل قدروا له المعاذير والتأويلات الحسنة، وليس للحسن عندهم كبير موقع يعظمونك به، فمن فعل حسناً لم يمدحوه ولم يطروا عليه فيسلم من وقوعه في العجب بنفسه لأنَّ من كان كاملاً في الخيرات إذا رأى من تخلق ببعض أخلاقه لا يمدحه كل المدح على ذلك لقلة ما ناله بالنسبة إليه.

(وسُئل الخراز عن أهل التصوف فقال:) هم **(قوم أُعطوا حتى بسطوا)** أي والى عليهم الحق نعمه وخوارق عاداته حتى سكنوا إليه، وانشرحت صدورهم لديه **(ومنعوا)** عن الإلتفات إلى غيره **(حتى فقدوا)** أي فنوا عن أنفسهم فلم يلتفتوا إليها **(ثم)** لما كمل شغلهم به تعالى ولم يجدوا غاية مطلوبهم فيه **(نودوا من أسرار)** أي أسرارهم بإشارات **(قريبة)** أي لطيفة معناها قولوا للناس: **(ألا فابكوا علينا)** لعدم وجداننا ذلك. **(وقال الجنيد)** التصوف عنوة **(أي جد وتعب لا صلح)** لأَهله مع

سائر الموجودات. **(قوله: فقال له الملك: صدقت)** أي لما رأى من قوّة حجته، ووضوح أدلته. **(قوله: فإنَّ للقبيح الخ)** أي وذلك من شأن الإيمان الكامل. **(قوله: وليس للحسن إلخ)** أي لحبهم في الإرشاد ودوام الاجتهاد وشهود الفضل لرب العباد.

(قوله: ولم يطروا عليه) الإطراء هو المبالغة في الثناء. **(قوله: لقلة ما ناله الخ)** أي ولتزيد رغبته في الأعلى مما كسبه من الأَخلاق الحميدة. **(قوله: فقال: هم قوم الخ)** محصله أنّهم قد أجلسهم الحق على موائد كرمه حتى قنعوا ومنعوا عن الالتفات إلى غيره التفاتاً يوجب سكوناً إليه، ووقوفاً معه، فامتنعوا منعاً أداهم إلى فقدان نفوسهم وغيبتهم عنها، ثم أشير إليهم في سرائرهم أنْ يقولوا لغيرهم ألا فابكوا علينا لعدم وصولنا إلى مقصودنا لأننا كلما وصلنا إلى مقام قيل لنا بلسان الحال: مطلوبكم أمامكم إذ لا نهاية لكمالاته تعالى والله أعلم. **(قوله: التصوّف عنوة)** أي وذلك لأنَّ الصوفيَ قائم على نفسه دائماً بالمجاهدة لا يغفل عنها، ولا يسمح لها بشيء من أعمالها إلى حين وفاتها أو هو من لا ينتقل عن الأخلاق الدنية إلى المرضية إلا بالجبر والقهر، أو هو من كانت جبراً له قاهرة غير اختيارية فأشبهت العنوة لأنَّ ما يطرقه من المواهب تذعن لها نفسه جبراً بدون اختيار، هذا وفي كل ذلك إشارة بالرد على من اعتزل أهل السنة، وزعم أنَّ

أَنفسهم لكمال مجاهدتهم في التخلي عن الرذائل، والتحلي بالفضائل، (**وقال أيضاً: هم**) أي الصوفية (**أهل بيت واحد لا يدخل فيهم غيرهم**) لاتحاد مقصودهم ورفعة مرامهم فيما اتسموا به من صفاتهم وأخلاقهم، (**وقال أيضاً: التصوف ذكر مع اجتماع**) للهمة مع الله بأنْ لا يحدث الذاكر نفسه بغير ما هو فيه لأنَّ الذاكر مع الغفلة مذموم لأنَّ العمل إنما بالنية (**ووجد مع استماع**) لأنَّ الوجد الصحيح ما كان عن سماع صحيح محرك للقلوب بأنْ يكون سنده كتاب الله أو سنة رسوله أو نحوهما من المواعظ المؤثرة. (**وعمل مع اتباع**) للسنة لأنَّ كل عمل أو حال أو مقام خلا عن اتباعها فهو معرض للإبتداع، فالصوفي من اجتمعت فيه هذه الأوصاف، (**وقال أيضاً: الصوفي كالأرض يطرح عليها كل قبيح ولا يخرج منها إلا كل مليح**) فهو يطرح عليه كل قبيح أي مؤلم في نفسه أو ولده أو ماله أو نحوها فيتحمله ولا يخرج منه إلا كل حسن من صفح، أو عفو، أو رضا بالقضاء أو نحوها، (**وقال أيضاً: إنَّه كالأرض يطؤها البر والفاجر، وكالسحاب يظل كل شيء، وكالقطر يسقي كل شيء**) فهو كثير التحمل للأذى، والنفع للورى، وهذه بعض صفاته الحميدة، وإلا فالصوفي كما مرّ من تخلى من الصفات الذميمة، وتحلى بالحميدة، (**وقال أيضاً: إذا رأيت الصوفيّ يُعنى**) بضم الياء وفتح النون (**بظاهره**) أي يهتم به (**فاعلم أنَّ باطنه خراب**) لأنَّ ظاهره للخلق وباطنه للحق، فمن أكثر عنايته بما يظهره للخلق، ويثنون عليه به

هناك حالة للعبد يسقط فيها عنه التكليف، وذلك كفر والعياذ بالله تعالى.

(**قوله: أهل بيت واحد**) أي لأنَّ التعارف قد سبق في الظهور قبل الظهور، ولذلك قوي ميل الخاطر للخاطر قبل الكلام، وائتلاف الأجسام فافهم. (**قوله: ذكر مع اجتماع**) أي حضور قلب ومراقبة له تعالى، والمراد بالذكر ما يشمل اللسانيّ والقلبيّ كما لا يخفى.

(**قوله: فهو معرض للابتداع**) أي وذلك غاية الشر والقبح. (**قوله: يطرح عليها كل قبيح**) المراد به غير الملائم للنفس، ولو عبر بذلك لكان أولى. (**قوله: وإلا فالصوفيّ كما مرّ الخ**) أنت خبير بأنَّه لا يكون على النعت المذكور قبله إلا إذا تخلى عن الذميمة وتحلى بالحميدة نعم قوله: من تخلى الخ أعم فائدة.

(**قوله: يعنى بظاهره**) أي يقصد بسبب تحسين ظاهره وتزيينه خوفاً من النقص عند الخلق دل ذلك على قلة عمارة قلبه لأنَّه لو كمل اشتغاله بالله تعالى لشغله ذلك عن الالتفات إلى الخلق والله أعلم.

(**قوله: فاعلم أنَّ باطنه خراب**) أي لأنَّه إما مراءٍ أو متشبع بما لم ينل، وهو مندرج في خبر «إنَّ من أشد الناس عذاباً يوم القيامة من يرى الناس أنَّ فيه خيراً ولا خير فيه».

كان باطنه من مراقبة الله، وكمال تقواه خراباً، وقد يطلب الشرع الاعتناء بكمال الظاهر كما في العيد والجمعة وإقامة أبهة الدين فليس هو من ذلك لأنه إنما اعتنى به لمولاه لا لهواه.

(**وقال سهل بن عبد الله: الصوفيّ من يرى دمه هدراً**) لو قتل في سبيل الله أو فيما هو فيه من الجد في الخير (**وملكه مباحاً**) بأن يرى أنه لا يملك شيئاً ولا يضيفه إلى نفسه إضافة ملك لا من مال ولا عمل ولا حال، (**وقال النوريّ: نعت الصوفيّ السكون عند العدم، والإيثار عند الوجود**) فلا يدّخر شيئاً فضلة عن حاجته، وتقدم نظيره في الفقر (**وقال الكتانيّ: التصوف خلق**) بضم الخاء (**فمن زاد عليك في الخلق فقد زاد عليك في الصفاء**) والتصوف (**وقال أبو عليّ الروذباري: التصوف الإناخة**) أي بروك العبد (**على باب الحبيب وإنْ طرد عنه**) فإنه حجاب بعده، وغفلته عن مقامه الشريف، (**وقال أيضاً: صفوة القرب**) وهي لذة العبد بطاعة الله، ودوام مراقبته لمولاه تكون (**بعد كدورة البعد**) وهي جده في الطاعات ومعالجة أخلاقه الذميمة

(**قوله: الصوفي من يرى دمه هدراً**) أي لأنه قد جاد بنفسه أنْ تفنى في مرضاة ربه سبحانه وتعالى بل ربما يغفل عنها بالكلية، فلا يرى لها وجوداً ولا عدماً. (**قوله: نعت الصوفيّ السكون عند العدم**) أي طمأنينة القلب رضاً وتسليماً لما يجريه الحق تعالى، وقوله: والإيثار أي شأنه تقديم الغير على نفسه ولو كان به خصاصة.

(**قوله: السكون عند العدم**) أقول: أكمل من ذلك الشكر عند العدم، والإيثار عند الوجود كما لا يخفى. (**قوله: فلا يدخر شيئاً**) أي فاضلاً عن حاجته بل ربما يؤثر بما يحتاج إليه. (**قوله: التصوّف خلق**) أي تخلق بالأخلاق الجميلة، أو التخلق صار سجية له مبالغة. (**قوله: التصوّف الإناخة الخ**) محصله أنه المبادرة إلى التوبة إنْ طرقه زلل وملازمة الأعمال من غير فتور ولا خلل، والدؤب في الطلب فكم من ذنب كان سبباً للسعادة، وكم من حجب أعقبه كمال الكشف والزيادة، فالله تعالى ييسر علينا وعلى إخواننا الأعمال الصالحة ويجنبنا وإياهم الآفات المفسدة. (**قوله: الإناخة على باب الحبيب**) أي بملازمة الطاعة والجد في العبادة وإنْ وقع له فتور أخذ في أسباب إزالته، فالصوفي على الحقيقة هو من لا يعتمد على الموافقات، ولا يقنط عند صدور المخالفات بل علة طاعته المحبة والامتثال، ومشهده الجلال والجمال، وذلك لما علم من أنّ الذنب قد يكون سبب السعادة، والحجب قد يعقبه كمال الكشف والزيادة، وأنّ الاعتبار إنما هو بما قسمه الحكيم والحال وإنْ صفا يقبل التغيير والتبديل.

(**قوله: صفوة القرب الخ**) ظاهره ولو كانت الكدورة من قبيل حسنات الأبرار سيئات المقربين فيشمل العبد حقيقة، والبعد النسبيّ. (**قوله: بعد كدورة البعد**) لعله

لينتقل منها إلى الحميدة، (**وقال أيضاً: أقبح من كل قبيح صوفي شحيح**) لأنَّ شحه بالدنيا دليل على حبه لها، وشحه بأعمال الآخرة دليل على قلة رغبته فيها.

(**وقيل: التصوف كف فارغ وقلب طيب**) لأنَّ ذلك يدل على كمال زهده وتوكله ورضاه بما أجراه عليه مولاه. (**وقال الشبلي: التصوف الجلوس مع الله بلا هم**) وهذا قريب مما قبله لأنَّ من قوي زهده وتوكله ورضاه كان مع الله بلا هم في أمر آخرته ودنياه لعلمه بحسن اختيار ربه له ما يراه.

(**وقال أبو منصور: الصوفيّ هو المشير عن الله تعالى**) لما ناله من الفوائد والألطاف، ودوام نظره إلى ربه بعد تخلصه من نفسه (**فإنَّ الخلق**) المستقيمين (**أشاروا إلى الله**) وطلبوا منه العون على ما هم بصدده حمل أنفسهم على استقامتها ونقلها عن عوائدها الذميمة، وندمهم على ما كان منها من التقصير، وذلك لأنَّ كل قلب تكون إشارته بما غلب عليه، وعنه يعبر لسانه، فمن كان دأبه النظر إلى الله لشغله به فهو الصوفي العارف به، ومن كان مع الحق وتدبير نفسه ونقلها عن عوائدها الذميمة فهو يكابد نفسه، ويشير إلى ربه ويسأله العون عليها، وعلى استقامتها، وهذا حال أكثر الخلق المستقيمين، ولذلك قيل: العارف يشمك المسك والعنبر، والزاهد

بالنسبة للمريدين وإلا فقد لا تسبق كدورة أصلاً بالعصمة أو بالحفظ. (**قوله: صوفي شحيح**) أي شحيح بكسبه أو بنسفه، فالآخذ بالتصوّف يلزمه الجود بالمال والنفس طلباً لمرضاة الحق تعالى، فإذا كان شحيحاً بهما دل ذلك على غاية قبحه حيث أظهر خلاف ما أبطن، فكان منه لسان الحال ينادي ببهتان المقال.

(**قوله: وقيل: التصوّف كف فارغ**) المراد عدم تعلق القلب بشيء سواه تعالى، وإن لابس المال من وجهه وأخرجه على وجهه، وقوله: وقلب طيب أي متجرّد من الأخلاق الذميمة متحل بالحميدة. (**قوله: التصوّف الجلوس مع الله الخ**) المراد ملازمة الطاعة ابتغاء وجهه تعالى محبةً وإجلالاً. (**قوله: الصوفي هو المشير عن الله تعالى**) أي بواسطة زيادة أنوار قلبه، وتكرر وارادت فكره فهو من صفا قلبه، ورقت زجاجة سره لا تحرّك لسانه إلا بعد استفساره، فكان ممن عنى سيد الكائنات بقوله: استفت قلبك.

(**قوله: أشاروا إلى الله**) أي عولوا في كل أمورهم عليه. (**قوله: وعنه يعبر لسانه**) أي لأنَّه يترجم عما أودعه الله في السرائر. (**قوله: فمن كان دأبه النظر إلخ**) الغرض الفرق بين العارف المشير عن الله والمستقيم المشير إليه، وأن الأول أشرف مقاماً من الثاني. (**قوله: ولذلك قيل: العارف الخ**) أقول: العارف المذكور يناسب حاله المتوسطين في السير، والزاهد يناسب حاله المبتدئين فيه، وذلك لكون العارف دائماً في مقام البسط بالأنس، والزاهد في مقام القبض في النفس، تدبر تفهم والله أعلم.

يسعطك الخل والخردل، وذلك لأنَّ العارف أكثر إشاراته لما ناله من الفوائد والألطاف، وبكلامه وسماع أحواله مع الحق توجد الراحات، والزاهد أكثر كلامه في عيوب النفس وآفاتها وطرق مجاهداتها في نقلها عن سوء عاداتها، وهذا مؤلم للنفوس. (**وقال الشبليّ: الصوفي منقطع عن الخلق متصل بالحق**) بأنْ غلب ذكره على قلبه، وكمل اشتغاله بربه حتى أنساه ذلك نفسه فضلاً عن غيره (**كقوله تعالى**) لموسى عليه الصلاة والسلام: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه: ٤١] أي اختصه بخصائص قربه بحيث (**قطعه عن كل غير**) لما وصل إلى هذه الدرجة الرفيعة، واشتاق لرؤيته وسأل فيها بقوله: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ﴾ إليك (**ثم قال له**: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾) [الأعراف: ١٤٣] كمالاً في تحريك الشوق ودوام القلق (**وقال**) أيضاً: (**الصوفية أطفال في حجر الحق**) أي فقراء عاجزون تركوا النظر لأنفسهم، وسلموا أمرهم لباريهم يربيهم بلطفه ويتحفهم ببره.

(**وقال**) أيضاً: (**التصوف برقة محرقة**) من حيث أنَّ الصوفي لما فرغ من مجاهداته صار قلبه محلاً لطروق الأحوال، فهو في دوام الخوف والقلق بحسب ما يطرق عليه قلبه من الحق، وينشئه فيه من الأحوال الغالبة، (**وقال أيضاً: هو**) أي التصوف (**العصمة**) أي عصمة العبد (**عن رؤية الكون**) أي العالم المشاهد بأنْ يحفظ الله عن رؤية ذلك رؤية استحسان له، ومحبة وسكون إليه لا رؤية علم.

(**قوله: الصوفي منقطع عن الخلق**) أي منقطع عنهم بقلبه، وإنْ خالطهم بجسمه، ثم ويؤيده أنه طال صمت حكيم، فقيل له: الصمت ذميم فاعتذر عن حاله بحكمة قاله، شعر:

قالوا نراك كثير الصمت قلت لهم ... ما طول صمتي من عيّ ولا خرس
أأنشر الدر فيمن ليس يعرفه ... أم أنشر البز بين العمي في الغلس

(**قوله: كمالاً في تحريك الشوق**) أشار بذلك إلى أنَّ منعه لم يكن حرماناً بل لأجل زيادة الترقي بملازمة باب العطاء والمكارم الإلهية، وهو غاية الحسن. (**قوله: الصوفية أطفال في حجر الحق**) أقول: وإنْ كان المعنى الذي ذكره الشارح مقبولاً غير أنّه في التعبير هجوم بالنسبة لمن قصرت منه الفهوم.

(**قوله: التصوّف برقة محرقة**) يحتمل أنَّ المعنى على ما قاله الشارح: ويحتمل أنّه عبارة عن نيران أشواقه بسبب لذة قربه بطاعته ومناجاته. (**قوله: فهو في دوام الخوف**) أي الخوف من السقوط عما وصل إليه من المقامات. (**قوله: هو العصمة**) أي الحفظ من رؤية الكون على معنى أنَّ قلبه ارتحل عنه بالتوجه إلى مكونه بحيث لم يبق فيه متسع إلى الاعتماد والاستناد، وإلا فالمراد الحفظ مما غاب وحضر كما لا يخفى.

(**قوله: لا رؤية علم**) أي لأنَّ رؤيته له من جهة العلم أمر لازم ونعت حق إذ هو من

(وقال رويم: لا زالت الصوفية بخير ما تنافروا) بأنْ ينبه بعضهم بعضاً على نقصه، ويحركه عند غفلته بحيث ينفر عنه لذلك، **(فإذا اصطلحوا)** واستمرّوا على ما عليه أكثر الخلق من الفتور والكسل **(فلا خير فيهم)** بل يفسد حالهم وكانوا أهل صلح على دخل. **(وقال الجريري: التصوف مراقبة الأحوال ولزوم الأدب)** لأنَّ السالك مبتدىء ومنتهٍ فالمبتدىء يراقب أعماله لتقع على وجهها، والمنتهي صار شغله المراقبة لأحوال قلبه التي ينشئها الحق فيه من الطرب والهرب واللهب والمحبة والشوق وغيرها من أحوال قلبه فهو يتأدب في كل حال مع ربه بما يليق به.

(وقال المزين: التصوف الانقياد للحق) أي سرعة قبول العبد له والرجوع إليه، وتحمل أعبائه من غير كلفة، **(وقال أبو تراب النخشبي: الصوفي لا يكدره شيء ويصفو به كل شيء)** لأنه لا أثر في قلبه للدنيا التي أكثر الكدر فيها وإنْ منعه ربه في بعض الأوقات ما تعلق قلبه به من الخيرات فرضاه باختيار مولاه له يزيل عنه المؤلمات، ورؤيته وكلامه يزيلانها عن غيره ويخففان عنه ما ابتلي به.

(وقيل: الصوفي لا يتعبه طلب) لأنَّ محبته لربه تحمله على الطلب والعمل له،

طرق الوصول إليه تعالى. **(قوله: لا زالت الصوفية بخير الخ)** مراده أنَّهم دائماً في الإرشاد، وتنبيه المقصر فإذا فتروا عن ذلك فقد خرجوا عن معنى التصوّف.

(قوله: وكانوا أهل صلح على دخل) أي دخل بالغش والخيانة بعدم النصيحة.

(قوله: لأنَّ السالك مبتدىء الخ) ذكره تكميلاً للفائدة وإلا فالقصد المنتهى إذ هو من يراعي أحوال القلوب نعم يقال: أنَّ له مراعاة أحوال كذلك على حسبه. **(قوله: من الطرب الخ)** أي فهو دائماً بين الرجاء والخوف يتقلب بينهما. **(قوله: وتحمل أعبائه)** أي مشاقه، وذلك بالنسبة لغيره كما يفيده قوله: من غير كلفة. **(قوله: الصوفي لا يكدره شيء)** أي لأنه لا محل فيه للكدر، ولا غيره لفنائه عن نفسه، وهو غير بعيد فقد قيل: لما شهد أهل النقول. ما وراء العقول قالوا: ليس هذا في الأسفار فأنشدهم العارف حكمة الأشعار جاه الشريعة تنفيذ أقوالها بالأحكام، وجاه الحقيقة صولة أهلها بالحال على الحكام (شعر):

تركت أساطيراً تنم لمن وشى ... بما قلته عنه وتشهد بالزور

يؤولها الواشي بما لا أريده ... وتظهر دعواه بظاهر مسطور

(قوله: ويصفو به كل شيء) أي وذلك لأنَّ رؤيته تشرق في أعين بصائر القلوب الأنوار ومراقبة أقواله وأحواله تدل على الواحد القهار.

(قوله: الصوفي لا يتعبه طلب) أي مطالبة لقيامه على نفسه بأداء ما طلب منه وجوباً

(ولا يزعجه سبب) لعلمه بحسن اختيار الله له ذلك، فعلمه بذلك يريحه من الفكرة والانزعاج عند تغير الأسباب. **(سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول: سُئل ذو النون عن أهل التصوف فقال: هم قوم آثروا الله عز وجل على كل شيء فآثرهم على كل شيء)** لأنَّ التصوف إيثار العبد ربه على غيره حتى على نفسه، فمن آثره على غيره آثره الله على غيره ووضع درجته عليه، **(وقال الواسطي رحمه الله: كان للقوم)** فيما مضى لكمال قوّتهم مع الله في تحملهم وثبوتهم لما يطرقهم من الأحوال الشريفة **(إشارات)** يفهمها عنهم من دنا منهم فلا يلومنهم غيرهم لكمال أدبهم **(ثم)** نزلوا عنها حتى **(صارت حركات)** على الجوارح لضعف قوّتهم عن حمل ما يرد عليهم، **(ثم)** نزلوا عنها كذلك بحيث **(لم يبقَ)** لهم في قلوبهم **(إلا حسرات)** على ما كان يفهم من تلك الإشارات **(وسُئل النوريّ عن الصوفي فقال:)** هو **(من سمع السماع)** المؤثر في القلوب من المواعظ **(وآثر الأسباب)** التي توصله إلى مطلوبه ولازمها وأعرض عما يشغله عنها والأسباب هي فعل المأمورات وترك

أو ندباً محبة له تعالى وإجلالاً، وقوله: ولا يزعجه سبب أي لرضاه بما يجريه الحق تعالى وإنْ لم يلائم مراده.

(قوله: فقال: هم قوم آثروا الله تعالى الخ) أي آثروا ما يحبه ويرضاه على كل شيء سوى ذلك. **(قوله: آثره الله على غيره)** أي لأنَّ الجزاء من جنس العمل. **(قوله: كان للقوم الخ)** الغرض من ذلك بيان القوّة والضعف بسبب تأخر الزمان.

(قوله: إشارات الخ) أي وتلك الإشارات بحسب ما يرون من قوّة السامعين وقابليتهم. **(قوله: حتى صارت حركات)** أي مجرّدة عن الأحوال لما طرأ على قلوبهم من المشغلات، وضعفوا عن كتم الأسرار. **(قوله: ثم لم يبق إلا حسرات)** أقول متوسلاً بالرسول: أسأل الله العظيم ببركة الرسول الكريم أنْ يديم هذه الحسرات حيث هي من إمارة السعادات.

(قوله: فقال: هو من سمع السماع الخ) أقول: ليس السماع بالأسماع إنما السماع بالقلوب من عالم الغيوب صاحب البداية يطلب سماع الحادي ليسكن الأشواق، وصاحب النهاية مطمئن بحضرة التلاق **(شعر)**:

ما زلت أسمع حاديكم يشوّقنا حتى التقينا فلا شوق ولا حادي

فحكمة الكون بيت نغمة الصدى ما قلته ردّه عليك، ومرآة يتجلى فيها بما بدا من وصفك إليك فافهم.

(قوله: من سمع السماع الخ) أقول: وذلك من خلق المريدين السائرين إليه تعالى

المنهيات. (**سمعت أبا حاتم السجستانيّ رحمه الله يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول: قلت للحصري: من الصوفي عندك؟ فقال:**) هو (**الذي لا تقله الأرض**) أي لا تطيق حمله (**ولا تظله السماء قال الأستاذ أبو القاسم**) القشيريّ رحمه الله: (**إنما أشار بذلك إلى حال المحو**) بل وإلى حال الصحو أيضاً، أما إلى المحو فلأن من كمل شغله بالله حتى نسي نفسه غفل عن السماء والأرض بالأولى فيكون محوه أي محو ذكره لهما عن قلبه غفلته عن كون الأرض حاملة، والسماء مظلة، وأما إلى حال الصحو فلأنَّ من علم أنَّ الأرض من حيث أنها أرض لا تقله، وأنَّ السماء من حيث أنّها سماء لا تظله، وإنما يقله ويظله ربه لا يسكن إلا إليه، لا إلى أرض تقله، ولا إلى سماء تظله. (**وقيل: الصوفي من إذا استقبله حالان أو خلقان**) بضم الخاء (**كلاهما حسن كان مع الأحسن منهما**) لأنَّ الصوفيّ من يشتغل بأفضل الأمور وأقربها إلى محبة الله تعالى. (**وسئل الشبليّ لم سموا بهذه التسمية**) أي بهذا الاسم وهو الصوفية (**فقال: لبقية بقيت عليهم من نفوسهم**) وهي التفاتهم إليها (**ولولا ذلك لما تعلقت بهم تسمية**) بذلك فيه دلالة على أنَّ من كمل اشتغاله بالله بحيث أعرض عن غيره حتى عن نفسه لا يتعلق به تسمية بذلك بل وبغيره لعدم ظهور أثره.

(**سمعت أبا حاتم السجستانيّ يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول: سمعت ابن الجلاء يقول: ما معنى قولهم: صوفي فقال: ليس نعرفه**) أي لا نعرف له معنى (**في شرط العلم**) يعني يدل عليه العلم ويقتضيه، (**ولكن نعرف أنَّ من كان فقيراً مجرداً من**

كما هو ظاهر. (**قوله: إلى حال المحو الخ**) اعلم أنَّ حال الصحو أكمل من حال المحو لأنّه حاله ﷺ، وحال خلفائه بعده رضوان الله عليهم.

(**قوله: من حيث أنها أرض**) أي مع قطع النظر عن المدد الإلهي، وكذا يقال فيما بعده. (**قوله: كان مع الأحسن منهما**) أي لأنَّ رغبته في التمسك بأقوى الأسباب الموصلة للحق تعالى. (**قوله: لم سموا بهذه التسمية**) أي والاسم يدل على وجود المسمى، ومن شغلته الحقائق لا اسم ولا رسم له. (**قوله: فقال: لبقية بقيت عليهم**) منه يعلم أنَّ من لم يبق عليه هذه البقية لا يسمى صوفياً، وذلك لغاية خفائه. (**قوله: أي لا نعرف له معنى**) أي معنى يؤخذ من مادة الاشتقاق على ما تقدم له في نظيره لعدم صحة الاشتقاق، هذا ما يفهم من كلام الشارح، والظاهر أن معنى قوله: ليس نعرفه نفي معرفته بالشخص لابتناء أمر الصوفي على إخفاء حركاته وسكناته بل على إخفاء ذاته غير أننا نعرفه بالوصف والنعت تدبر المقام والسلام.

(**قوله: ولكن نعرف الخ**) أي فهو من إذا تكدرت روقك بصفائه فهو في الصفاء قد تخلص من الجفاء بل هو من آثر الاختفاء فلبس خلعة الاصطفاء، فليس هو من لبس

الأسباب وكان مع الله بلا مكان) أي مشتغلاً بالله منزهاً عن المكان **(ولا يمنعه الحق سبحانه عن علم مكان)** يعني ولا يغفل عن الله في كل حالة من الحالات، ولا مكان من الأمكنة **(يسمى صوفياً، وقال بعضهم: التصوّف إسقاط الجاه، وسواد الوجه في الدنيا والآخرة)** الحاصل بردّ من سأل في حاجة بغير قضائها لأنَّ من مضى في حاجة ولم تقض يقول: أسودّ وجهي، فالصوفي يرضى بأنْ لا تقضى له حاجة في الدنيا ولا في الآخرة مما يتعلق بنفسه وجوارحه وثواب أعماله أي لا يكون له حظ سوى ربه، وإنْ كان جزاء الآخرة لا بد منه، فلا يعمل عليه ولا هو الحامل له على طاعته. **(وقال أبو يعقوب المزابليّ: التصوف حال يضمحل)** أي يذهب **(فيها معالم الإنسانية)** بأنْ يكمل استغراق صاحبه بالله بحيث يغفل عن غيره حتى عن نفسه. **(وقال أبو الحسن السيروانيّ: الصوفيّ من يكون مع الواردات لا مع الأوراد)** لأنَّ الأوراد للمبتدىء حتى يتعود الخير ويلتذ به ويتنعم بالمناجاة، فإذا وصل إلى هذه الأحوال وردت على قلبه واردات كالقبض والبسط وغيرهما من الواردات التي ينشئها الحق تعالى في قلبه ويتلون بسببها. **(سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق رحمه الله يقول:**

الصوف وادّعى، ولحقوق الشريعة ما رعى، فالتصوّف هداية وبعد عن الغواية، فهو عالم عامل مطهر سالك مجدّ منور، والحاصل أنَّ الناس تنازعوا في الصوفيّ واختلفوا فيه، فكل قد قال على حسب شربه **(شعر)**:

ولست أمنح هذا الاسم غير فتى ... صافي فصوفي حتى سُمي الصوفي

أقول: ومن آدابه القبض لشهود الجلال، والبسط لمشاهدة الجمال، ولهذا تراه يطير بجناحيْ الخوف والرجاء على صراط الاستقامة بالتضرع والالتجاء.

(قوله: مجرّداً من الأسباب) أي مجرداً من اعتمادها، والوقوف معها وإنْ أخذ بها امتثالاً وعبودية بشاهد العلم. **(قوله: التصوف إسقاط الجاه)** محله أنَّه التجرد عن سائر العادات من حيث ميل النفس إليها فناء في مراد الحق تعالى. **(قوله: رضي بأنْ لا تقضى له حاجة)** أي من حيث حظ نفسه منها لا مطلق حاجة، ولو كانت بشاهد العلم كما لا يخفى على من له ذوق واطلاع.

(قوله: وثواب أعماله) أي من حيث ما فيها من حظ النفس لا باعتبار أنَّها تقرب منزلته من رحمة ربه، فلا مانع حينئذٍ من التعلق بها من هذه الحيثية. **(قوله: حال يضمحل الخ)** أي لما يلزمه من الفناء عن العادات والمألوفات التي تخص البشر. **(قوله: معالم الإنسانية)** أي مما جبلت عليه النفوس البشرية. **(قوله: الصوفيّ من يكون مع الواردات)** أي وإنْ كان لا يقف معها وقوف اعتماد وسكون واستحسان طلباً لمقصوده وهو الحق سبحانه وتعالى. **(قوله: ويتلون بسببها)** أي ولذلك تجده لا دوام له على حال

أحسن ما قيل في هذا الباب:) أي باب التصوف **(قول من قال: هذا طريق لا يصلح إلا لأقوام قد كنس الله بأرواحهم المزابل)** لانتفاء جميع المشغلات من الشهوات عنهم بمعرفتهم قدر نفوسهم لأنَّ العبد إذا عرف قدر نفسه في أطواره ذلت نفسه، وصغرت عنده وسلم من عجبه وكبره، وبهذا سهل عليه أنْ يكنس به المزابل، ويُرمى للكلاب.

(ولهذا قال رحمه الله يوماً لو لم يكن للفقير إلاّ روح فعرضها على كلاب هذا الباب) يعني مبغضي هذه الطائفة **(لم ينظر كلب إليها)** نظر استحسان لستر حالها عنهم وحقارتها عندهم، **(وقال الأستاذ أبو سهل الصعلوكيّ: التصوّف الإعراض عن الاعتراض)** على الأقدار الجارية على خلاف المحبة بالاختيار، فالصوفي لا يلتفت إليها ويعرض عنها علماً منه بأنَّ الحق تعالى أَرحم به وأعلم بمصلحته، **(وقال الحصريّ: الصوفي لا يوجد بعد عدمه، ولا يعدم بعد وجوده، قال الأستاذ القشيريّ: وهذا فيه إشكال)** وقلق **(و)** الذي يظهر أنَّ **(معنى قوله: لا يوجد بعد عدمه أي إذا فنيت آفاته)** من شهواته وعاداته الحقيرة ورزقه الله بدلها التنعم بقربه واللذة بمناجاته، والاطلاع على غرائب كراماته **(لا تعود تلك الآفات)** إليه لكمال شغله بما رزقه من المقامات الشريفة، **(وقوله: ولا يعدم بعد وجوده يعني إذا استقبل بالحق)** ورزق تلك المقامات الشريفة **(لم يسقط)** عنها **(بسقوط الخلق)** فلا يعدمه الحق عنها بعد أن

من الأحوال الشريفة. **(قوله: كنس الله بأرواحهم الخ)** المراد تخليصهم من رعونات النفوس حتى تهذبوا غاية التهذيب، وذلوا له تعالى غاية الذلة. **(قوله: لأنَّ العبد إذا عرف قدر نفسه في أطواره)** أي في أحواله الوجودية والعدمية ابتداءً وانتهاءً من كونه ماءً قذراً، ثم علقة، ثم مضغة، ثم صورة مصوّرة، ثم بعد استيفاء ما قدر له من الأجل والرزق يصير عدماً محضاً.

(قوله: لم ينظر كلب إليها) أي بواسطة قوّة الحجاب الذي بينه وبينها. **(قوله: التصوّف الإعراض الخ)** أي البعد عن الاعتراض على الأقدار بمعنى الأشياء المقدورة، وإلا كان من قبيل صريح الكفر والعياذ بالله تعالى. **(قوله: على الأقدار الجارية)** أي المقدّرات التي لا تلائم حظ النفس. **(قوله: فيه إشكال)** أي خفاء وقلق أي قلاقة وعدم وضوح.

(قوله: لا تعود تلك الآفات الخ) أي وعدم عودها فضلاً من الله تعالى ورحمة وجرياً على عادته تعالى فيمن اشتغل به حتى فني عما سواه أنْ لا يسلبه ما أنعم به عليه.

(قوله: يعني إذا استقبل بالحق الخ) لا يخفى عليك حينئذٍ أنَّه من عطف اللازم على الملزوم.

أوجده بها، **(فالحادثان)** من شهواته **(لا تؤثر فيه)** لبعده عنها بشغله بربه، **(ويقال: الصوفيّ)** هو **(المصطلم)** أي المستغرق **(عنه)** أي عن نفسه فضلاً عن غيرها من الخلق **(بما لاح له من الحق)** أي حال الصوفيّ الإستغراق فيما هو فيه من الحق عن رجوعه إلى آثار نفسه وتدبير أمره، فهو مستغرق في الله يجري عليه ألطافه وكراماته، **(ويقال: الصوفي مقهور بتصريف الربوبية)** بخلقه وتدبيره تعالى إذ لا خالق ولا مدبر لكل شيء إلا هو **(مستور بتصرف العبودية)** بالكسب لأنَّه مضاف إلى العبد كما قال تعالى: ﴿إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التحريم: ٧]، في هذا القول سلامة من الوقوع في القدر والجبر المحذورين لأن من قال بالجبر نفى ما أثبتته الشريعة من أنَّ للعبد قدرةً وكسباً.

(ويقال: الصوفي لا يتغير) بما يطرقه من الأحوال وتغير الأرزاق لأنَّ الصوفي من كملت معرفته بالله، وأنَّه لا فاعل سواه، فهو راضٍ بما يجربه عليه مولاه، فلا يتغير بذلك.

(فإنْ تغير) بأن غلبه أمر **(لا يتكدر)** به لا يدوم تغيره به بل يرجع إلى ربه بسرعة لأنَّ التغير اليسير يزول بالماء الكثير بسرعة بخلاف التغير الكثير، وهكذا قلب الصوفيّ طيب مع الله راضٍ بما يجريه عليه، وإنْ خالف هواه، فإذا طرقه أمر غيره عن حاله رجع إلى ربه بفقره وذلته فزال تغيره، ولو غفل عن الرجوع إليه وتمادى في غفلته تكدر قلبه، وربما سقط في زلله وسخط قدر ربه نعوذ بالله من بعده وحجبه.

(قوله: لا تؤثر فيه) أي لأنه مشغول به تعالى، والمشغول لا يشغل **(وقوله: ويقال: الصوفي هو المصطلم)** أي المأخوذ عن الشعور بواسطة طوارق الواردات، ولامعات أنوار الأسرار، فلم يبق له بقية إحساس، ولا إلمام بما عليه كثير من الناس. **(قوله: ويقال: الصوفي مقهور الخ)** أي وقهره لأجل شهوده طريق جبر الربوبية عقداً وتصميماً، وخلقاً باطناً، وربما ظهر عليه ذلك غلبة واضطراراً إذ هو في غالب أحواله مستور بتصرف العبودية لا تظهر عليه خصوصية مع أنَّه في الحقيقة يشهد الأمر من الله وإلى الله تعالى.

(قوله: مستور بتصرف العبودية) أي فهو يذهب إلى الكسب والإضافة رجوعاً لشاهد علم الظاهر فيلتبس حاله حينئذٍ بحال العامة من الناس. **(قوله: أثبت فاعلاً غير الله)** أي أثبته لزوماً لا حقيقة، ومثل ذلك يقال في قوله: نفي ما أثبتته الشريعة. **(قوله: بل يرجع إلى ربه بسرعة)** أي لما ثبت في الخبر «من أنَّ المؤمن مفتن توّاب». **(قوله: وسخط قدر**

(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت الحسين بن أحمد الرازيّ يقول: سمعت أبا بكر المصريّ يقول: سمعت الخراز يقول: كنت في جامع قيروان يوم الجمعة فرأيت رجلاً يدور في الصف، ويقول: تصدّقوا عليَّ) هذا يجري بحسب غلبة الأحوال في السؤال، فمن الناس من إذا نزل عن مقامه تضرع بقلبه لربه، ومنهم من يزيد أمره فيدعو بلسانه، ومنهم من يزيد أمره فيظهر المسكنة والتذلل، ويصرح بفقره، فهذا الصوفي لما تغير حاله داوى نفسه فأتى إلى مجمع أهل الخير لأنّه لا يخلو من حضور ولي، فصار يمشي بين الصفوف ويقول: تصدّقوا عليّ **(فقد كنت صوفياً فضعفت)** وهو متذلل منكسر راج دعوة يستجيبها فيه ممن قرّبه مولاه **(فرفقته بشيء)** دفعته له **(فقال لي: مرّ)** أي جاوزني **(ويلك ليس هذا من ذلك)** أي ما هذا أريد **(ولم يقبل الرفق)** فهو في الظاهر سائل متذلل بين الخلق، وهو في الباطن مع الحق.

ربه) أي حيث لم يرض بمقدورات الحق تعالى. **(قوله: كنت في جامع قيروان الخ)** فيه تنبيه على كمال محبة هذا الفقير حيث غلبته الأشواق، وزيادة ألم الفراق حتى نادى بذلك على نفسه واستدعى أبناء جنسه. **(قوله: فضعفت)** لعله بسبب نوع من التقصير قدّره عليه الحكيم الخبير.

باب الأدب

هو ما يتولد من صفاء القلب وحضوره، ويقال: وضع الأشياء موضعها،

باب الأدب

(أقول:) هو منحصر في خمسة. **أولها**: حفظ الحرمة مع الله تعالى ومع من له نسبة في جانب الله من رسول، أو نبي، أو ولي، أو عالم أو غيرهم حتى من عوام المؤمنين. **الثاني**: علوّ الهمة في الدين والدنيا بحيث لا يكون له تعلق بشيء من النقائص لا ظاهراً ولا باطناً، وما جرى عليه من ذلك بالقضاء الأزليّ بادره بالتوبة. **الثالث**: حسن الخدمة بلزوم الإتباع، وترك الابتداع، والتبري من الحول والقوّة في كل أمر. **الرابع**: نفوذ العزيمة بحيث لا يسمح لنفسه في حل عزيمة، ولا يتراخى في محل التشمير، ولا يركن لموطن التقصير. **الخامس**: شكر النعمة، وأصله شهود المنة لله تعالى، وهو مبني على خالص التوحيد وخالص الإيمان، ولكل واحد مما ذكر عند الإخلال به عقوبة تخصه إما بالعذاب أو بسدل الحجاب، أو بالصرف عن مواقف الأحباب.

هذا وقال بعضهم: لكل وقت ولكل حال أدب، ولكل مقام أدب فمن لزم أدب الأوقات بلغ مبالغ الرجال، ومن ضيع الأدب فهو بعيد من حيث يظن القرب ومردود من حيث يظن القبول، فالزم الأدب ظاهراً وباطناً، فما أساء أحد الأدب في الظاهر إلا عوقب في الظاهر، وما أساء أحد الأدب في الباطن، إلا عوقب في الباطن على أنّ مراعاة أدب الباطن أوجب من مراعاة أدب الظاهر لأنَّ الظاهر للخلق، والباطن للخالق، والجمع بينهما هو الكمال والسعادة الأبدية، وصفة أدب الباطن إخلاصه بالتوكل على المولى سبحانه وتعالى، والخوف منه، والرجاء فيه، وحمل القلب على مر الصبر، وسلامة الصدر وحسن الظن بالرب وبالإخوان المؤمنين، والاهتمام بأمورهم، فإذا تحلى بكل ذلك كان من الموقنين، وسبب ترك الأدب الاغترار بثلاث: اغترار بظاهر ما يجري عليه من إمداده وحسن ظنه بنفسه في حاله، ونصرة غلطها بفتح باب التأويل، وذلك من الرضا عنها والسكون إليها، ونسيان خوف المكر بها في عموم أحواله.

واعلم أنَّ الأدب اسم جامع لحقائق الخيرات، وأنواع المبرات، وأصناف المحسنات، ومع ذلك فهو مختلف باختلاف همم المتأدّبين، فهو بالنسبة للمريدين ممن

ويقال: حسن معاملة ويتولد من الحياء والهيبة والشفقة، ويقال مجالسة الخلق على بساط الصدق، ومطالعة الحقائق بقطع العلائق، ويقال: غير ذلك وسيأتي بعضه، وهو ممدوح ومطلوب.

(قال الله عز وجل: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ﴾) [النجم: ١٧] أي من النبي ﷺ ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾ أي وما مال بصره عنه مرئيه المقصود له، فلم يلتفت عنه ولهذا (قيل حفظ) النبي بذلك (آداب الحضرة) ومنها جواب عيسى عليه السلام لقول الحق تعالى له يوم القيامة: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦] حيث لم

قوي منهم اليقين رياضة النفوس بنور المتابعات وتأديب الجوارح بحفظ الحدود، وترك أنواع الشهوات، وبالنسبة لأهل الحقائق والعارفين ممن ترقت همتهم عن العالمين فهو باشتغالهم بطهارة القلوب، ومراعاة السرائر حتى يكاشفوا بما أكنته الضمائر، فهم رضي الله تعالى عنهم وقوف في مواقف الطلب قد تنزهوا عن خطور خواطر العطب مع دوام حضور القلب في كامل أوقات القرب، رضي الله عنهم وأرضاهم عنا بفضله وكرمه.

(قوله: هو ما يتولد من صفاء القلب) أي الناشىء عن عدم الالتفات إلى كل شاغل يشغل عن الحق مع الجد في السير على طريق السيد الكامل ﷺ. (قوله: وضع الأشياء موضعها) أي بشاهد علم الشريعة، ونور وارادات الحقيقة.

(قوله: ويقال: مجالسة الخلق على بساط الصدق) أي بأن يكون معهم بجسمه وظاهره، ومع الحق بسره وباطنه حتى يشهد حقائق الحقائق، ويقطع كامل العلائق. (قوله: ما زاغ البصر) أي ما مال بصر رسول الله ﷺ عما رآه، وقوله: وما طغى أي وما تجاوزه مع ما شاهد هناك من الأمور المذهلة مما لا يحصى بل أثبته إثباتاً صحيحاً متقناً، أو ما عدل عن رؤية العجائب التي أمر برؤيتها، ومكن منها وما جاوزها. (قوله: ولهذا قيل: حُفظ النبي بذلك) أي باشتغاله بمولاه، وعدم التفاته إلى ما سواه. (قوله: ومنها جواب عيسى) أي ومن حفظ الأدب جواب عيسى الخ. (قوله: أأنت قلت للناس: اتخذوني وأمي إلهين) الاتخاذ إما متعدٍ إلى مفعولين فإلهين ثانيهما، وإما إلى واحد فهو حال من المفعول، وليس مدار أصل الكلام أنَّ القول متيقن، والاستفهام لتعيين القائل كما هو المتبادر من إيلاء الهمزة المبتدأ على الاستعمال القياسيّ، وعليه قوله تعالى: ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٢] ونظائره بل على أنَّ المتيقن هو الاتخاذ والاستفهام لتعيين أنَّه بأمره عليه السلام أم من تلقاء أنفسهم كما في قوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا ٱلسَّبِيلَ﴾ [الفرقان: ١٧] وقوله: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦] متعلق بالاتخاذ، ومحله النصب على أنَّه حال من فاعله أي متجاوزين الله أو بمحذوف هو صفة لإلهين أي كائنين من دونه تعالى، وقوله: قال: سبحانك استئناف

يسرع في الجواب بقوله: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ﴾ [المائدة: ١١٧] بل صدّر الكلام بتنزيهه تعالى وبإضافة علم ذلك إليه وبتنزيه نفسه عما أُضيف إليه حفظاً لشريف الآداب فقال: ﴿سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ [المائدة: ١١٦] الخ، ثم أجاب بقوله: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: ١١٧].

(وقال تعالى: ﴿قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾) [التحريم: ٢٦] **(جاء في التفسير عن ابن عباس)** أنَّ معناه **(فقهوهم وأدبوهم)** بالعلم ونحوه ليصيروا متأدبين مع الحق والخلق **(أخبرنا عليّ بن أحمد الأهوازي رحمه الله قال: حدّثنا أبو الحسن الصفار**

مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كأنّه قيل: ماذا يقول عيسى عليه السلام حينئذٍ فقيل: قال: الخ وإيثار صيغة الماضي لتحققه على ما تقدم مراراً في مثل ذلك، وقوله: سبحانك سبحان علم للتسبيح وانتصابه على المصدرية، ولا يكاد يذكر ناصبه، وفيه من المبالغة التنزيه من حيث الاشتقاق من السبح الذي هو الذهاب والإبعاد في الأرض، ومن جهة النقل إلى صيغة التفعيل، ومن جهة العدول من المصدر إلى الاسم الموضوع له خاصة المشير إلى الحقيقة الحاضرة في الذهن، ومن جهة إقامته مقام المصدر مع الفعل ما لا يخفي، أي أنزهك تنزيهاً لائقاً بك من أنْ يقال ذلك في حقك، وقوله: ما يكون لي أنّ أقول، ما ليس لي بحق استئناف مقرر للتنزيه، ومبين للمنزه منه، وما عبارة عن القول المذكور أي ما يستقيم وما ينبغي لي أنْ أقول قولاً لا يحق لي أنْ أقوله، وإيثار ليس على الفعل المنفي لظهور دلالته على استمرار انتفاء الحقيقة وإفادة التأكيد بما في خبره من الباء، فإنَّ اسمه ضميره العائد إلى ما، وخبره بحق، والجار والمجرور فيما بينهما للتبيين كما في سقيا لك ونحوه، وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾ [المائدة: ١١٦] استئناف مقرر لعدم صدور القول عنه عليه الصلاة والسلام بالطريق البرهانيّ، فإنَّ صدوره عنه مستلزم لعلمه تعالى به قطعاً، فحيث انتفى علمه تعالى بصدوره عنه انتفى ذلك الصدور حتماً ضرورة أنَّ عدم اللازم مستلزم لعدم الملزوم، وقوله: تعلم ما في نفسي استئناف جار مجرى التعليل لما قبله، فكأنه قيل: لأنّك تعلم ما أُخفيه في نفسي، فكيف بما أُعلنه، وقوله: ولا أعلم ما في نفسك بيان للواقع وإظهار لصوره أي ولا أَعلم ما تخفيه من معلوماتك، وقوله: في نفسك للمشاكلة، وقيل: المراد بالنفس الذات، ونسبة المعلومات إليها لأنّها مرجع الصفات التي من جملتها العلم المتعلق بها، وقوله: إنّك أنت علام الغيوب تعليل لمضمون الجملتين منطوقاً ومفهوماً، والله أعلم. **(قوله: جاء في التفسير الخ)** أفاد بذلك أنَّ الأدب المقصود النافع إنما هو الأَدب المحمديّ والخلق الأَحمديّ، وإنْ لم يكن بشاهد تحسين العقل. **(قوله: ليصيروا متأدّبين مع الحق والخلق)** أي بالقيام بحق كل منهما. **(قوله: أنْ يحسن اسمه)** أي ويجتنب ما يكره شرعاً كعبد

البصري قال: حدثنا غنام قال: حدثنا عبد الصمد بن النعمان قال: حدثنا عبد الملك بن الحسين عن عبد الملك بن عمير عن مصعب بن شيبة عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «حق الولد على والده أنْ يحسن إسمه، ويحسن مرضعه ويحسن أدبه»[1] لينتفع كل منهما بذلك (ويحكى عن سعيد بن المسيب أنّه قال: من لم يعرف ما لله عز وجل) وما للخلق (عليه في نفسه) من الحقوق التي لزمته (ولم يتأدب) مع الله ومع خلقه (بأمره ونهيه كان من الأدب) النافع (في عزلة) إذ لا حسن ولا قبح عند أهل الحق إلا بما حسنه الشرع وقبحه، فمن زعم أنّ ما يأتي به مما استحسنه برأيه، ومال إليه بطبعه من الآداب النافعة، فهو في غلط عظيم، وسُئلت عائشة رضي الله عنها عن خُلق النبي ﷺ فأشارت إلى ما أمره به ربه من قوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] وكذلك لما جذبه الأعرابي بردائه حتى أثرت حاشية الرداء في صفحة عنقه وقال له: إعدل فإنَّك لم تعدل، فلم يلتفت لجهله وسوء معاملته وأجابه بقوله: «خبت وخسرت إن لم أعدل»[2]. (ورُوي

النبيّ، وعبد شمس، وغير ذلك مما نص على كراهته، وقوله: ويحسن أدبه أي بتعليمه ما يحتاج إليه من علم الشرع وعلم الآلات، وقوله: ويحسن مرضعه أي ليطيب مغذاه ويحسن خلقه.

(قوله: من لم يعرف ما لله الخ) أي وعدم معرفته بسبب تقصيره في التعلم، وقوله: وليتأدّب الخ أي وذلك يتحقق بعدم عمله بالمتابعة لسيد الكاملين عليه صلوات رب العالمين وهو من عطف اللازم.

(قوله: إذ لا حسن الخ) أي ولذا قيل في أصول الفقه: لا حكم قبل الشرع. (قوله: فمن زعم) أي كأهل الضلال والباطل. (قوله: فأشارت إلى ما أمره به ربه) أي فخلقه ﷺ العمل بما أمره به ربه من العفو والأمر بالمعروف من شريعته، والإعراض عن الجاهلين، فلا يعاملهم بجهلهم بل بمحاسن الأخلاق كالبشاشة والبذل والصفح عمن أساء منهم وغير ذلك.

(قوله: خبت وخسرت) يصح قراءتهما بفتح التاء وضمها، والفتح أولى كما لا يخفى. (قوله: فأحسن أدبي) أي أحكمه وأتقنه. (قوله: ما زاغ البصر وما طغى) أي بل

---

(١) أخرجه الزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٦/ ٣١٧، ٣١٨) والمتقي الهندي في (كنز العمال ٤٥١٩١، ٤٥١٩٢، ٤٥١٩٣) والألباني في (السلسلة الضعيفة ١٩٩) والقرطبي في (التفسير ١٨/ ١٩٥) وأبو نعيم في (حلية الأولياء ١/ ١٨٤).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في (السنة ٢/ ٤٤٩).

عن النبي ﷺ **أنه قال: «إنّ الله عز وجلّ أدّبني فأحسن أدبي»** وأثنى عليّ بحسن الأدب حيث قال ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ وكان من دعائه ﷺ «اللهم كما حسنت خَلقي فحسّن خُلقي»[1] قيل: معناه أنَّ كمال النعم في حسن الخلق، وكمال الأدب في حسن الخُلق، وقال ﷺ: «إذا أراد الله بعبد خيراً جعل له واعظاً من نفسه يأمره وينهاه»[2]. **(وحقيقة الأدب اجتماع جميع خصال الخير)** بأنْ يكمل فيها العبد قولاً وفعلاً وحالاً وغيرها مما هو فيه مع ربه، **(فالأديب هو الذي اجتمع فيه خصال الخير ومنه)** أي الآداب بمعنى اجتماع خصال الخير **(أخذت المأدبة وهي إسم للجمع)** أي للاجتماع للطعام. **(سمعت الأُستاذ أبا عليّ الدقاق رحمه الله يقول: العبد يصل بطاعته)** من القيام بالمأمورات وبترك المنهيات **(إلى الجنة وبأدبه في طاعته إلى الله تعالى)** أي يصل إلى ذلك بطاعته وبأدبه عادة، وبفضل ربه حقيقة، **(وسمعته أيضاً يقول: رأيت من أراد أنْ يمد يده في الصلاة بين يدي الله إلى أنفه ليزيل ما به فقبض**

دام على الاشتغال بالله والإعراض عما سواه مما يشغل عنه تعالى. **(قوله: وكان من دعائه)** أي عبودية وتشريعاً، وإلا فهو ﷺ قد طبع على أكمل الأخلاق. **(قوله: اللهم كما حسنت خلقي)** بفتح فسكون أي كما حسنت صورتي الظاهرة فحسن خلقي بضم الخاء واللام، وتسكن اللام تخفيفاً، وهو ما طبع عليه من مكارم الأخلاق صلوات الله وسلامه عليه.

(قوله: جعل له واعظاً من نفسه) واعلم أنَّ مدار النفع ديناً ودنياً على ذلك. **(قوله: بأنْ يكمل فيها العبد الخ)** أي والكمال في ذلك بصدق العمل به مع الإخلاص فيه لله تعالى وحده. **(قوله: وبأدبه في طاعته إلى الله)** أي بتأديتها على أكمل وجوهها مع الصدق والإخلاص فيها. **(قوله: فقبض على يده)** أي حفظاً لحاله إذ الرجوع عن الأدب بعد التخلق به من وجوه ثلاثة: صرفه عن التحقيق بما علم إلى الاتساع في علمه ومعارفه، وإبقاؤه في حاله مع عدم الشعور بنقصه حتى لا تسمو همته إلى غير ما هو فيه فيكون ذلك حجاباً له عن الأعلى منه بل يكون موكولاً لحاله في وقته، وتيسير مراداته من غير تأييد فيها فيشتغل بمراده عن مراد مولاه ويرى ذلك سعادة في أمر دينه ودنياه، وإنما هو صرف له عن بابه، وطرد عن مواقف أحبابه كما قيل:

ومن صد عنا حسبه البين والقلا ... ومن فاتنا يكفيه أنا نفوته

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل (١، ٤٠٣، ٦، ٦٨، ١٥٥).

(٢) أخرجه المتقي الهندي في (كنز العمال ٣٠٧٦٢) والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٧/٢٢٨، ٩/٦١٤).

على يده) بأنْ منعت عن وصولها إليه حملاً له على الأدب مع الله تعالى في صلاته. **(قال الأستاذ)** الإمام القشيريّ **(رحمه الله تعالى: إنما أشار)** أبو عليّ **(بذلك إلى نفسه لأنه لا يمكن الإنسان أنْ يعرف من غيره أنّه قبض على يده)** إلا بإخبار الغير له بذلك بعد فراغه من الصلاة أو فيها، وهو ناس مع كونه رآه فيها رفع يده إلى أنفه ولم تصل إليه، **(وكان الأستاذ أبو عليّ رحمه الله)** إذا جلس لذكر أو غيره **(لا يستند إلى شيء)** مبالغة في لزوم الأدب في جلوسه، **(وكان يوماً في مجمع)** من الناس **(فأردت أنْ أضع)** له **(وسادة خلف ظهره لأني رأيته غير مستند)** إلى شيء فوضعتها **(فتنحى عن الوسادة قليلاً فتوهمت أنّه توقى الوسادة لأنّه لم يكن عليه)** الأولى عليها كما في نسخة **(خرقة أو سجادة)** بفتح السين فوضعت عليها ذلك **(فقال)** لي: **(لا أريد الاستناد)** إلى شيء **(فتأملت بعد حاله فكان لا يستند إلى شيء)** أدباً. **(سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول: سمعت أحمد بن محمد البصريّ يقول: سمعت الجلاجليّ يقول: التوحيد موجب يوجب الإيمان)** أي التصديق بما جاء به الكتاب والسنة لأنَّ من علم أنَّ الله واحد في ذاته وصفاته وأفعاله صدّق به قلبه، ونطق به لسانه **(فمن لا إيمان له لا توحيد له)** لانتفاء الملزوم بانتفاء لازمه، **(والإيمان موجب يوجب الشريعة)** لأنّه من آمن بالله وبرسوله تلقى ما في كلامهما بالقبول، وهو الشريعة **(فمن لا شريعة له لا إيمان له، ولا توحيد)** له كذلك، **(والشريعة موجب يوجب الأدب)** لأنَّ من عرفها تخلق بها، وتأدّب بما فيها **(فمن لا أدب له لا شريعة له، ولا إيمان ولا توحيد)** له كذلك، **(وقال ابن عطاء:**

(قوله: حملاً له على الأدب) أي بتسكين الجوارح وعدم العبث بشيء منها في حالة الصلاة بدون شاهد من المتابعة.

(قوله: لا يستند إلى شيء) أي بعداً عن نعت المتكبرين، وقوله: مبالغة في لزوم الأدب أي وذلك بالدوام على هيئة التواضع في جلوسه كغيره من باقي حركاته. **(قوله: فوضعت عليها ذلك)** أي ليكون حائلاً بينه وبينها مانعاً من المباشرة.

(قوله: التوحيد موجب الخ) محصله الحث على الأدب حيث كان انتفاؤه يوجب انتفاء التوحيد بالوسايط المذكورة التي هي انتفاء الشريعة والإيمان مع نوع مبالغة. **(قوله: التوحيد موجب يوجب الإيمان)** أي اعتقاد الوحدة له تعالى ينشأ عنه التصديق بما جاء به الرسول ﷺ. **(قوله: والإيمان موجب يوجب الشريعة)** أي يوجب العلم بأحكامها على طريق القبول. **(قوله: والشريعة موجب يوجب الأدب)** أي يوجب إيقاع الأعمال المتلقاة من الشريعة على أكمل وجوهها. **(قوله: الأدب الوقوف مع المحسنات)** أي مع ما يصير به العمل حسناً مقبولاً في نظر الشرع.

الأدب الوقوف مع المحسنات فقيل) له: (وما معناه فقال: أنْ تعامل الله بالأدب سراً وعلناً) أي في أعمال قلبك وأعمال جوارحك، فلا تتعاطى شيئاً إلا شهدت لك الشريعة بحسنه (فإذا كنت كذلك أديباً، وإنْ كنت أعجمياً ثم أنشد: إذا نطقت) أي المحبوبة (جاءت بكل ملاحة. وإنْ سكتت جاءت بكل مليح) فمن لازم الآداب الشرعية حسنت حركته وسكونه وكلامه وسكوته. (أخبرنا محمد بن الحسين رحمه الله قال: سمعت عبد الله الرازيّ يقول: سمعت عبد الله الجريريّ يقول: منذ عشرين سنة ما مددت رجلي وقت جلوسي في الخلوة، فإنَّ حسن الأدب مع الله تعالى أولى) منه مع غيره، فإنَّ العبد إذا جالس غيره من عظماء المخلوقين لم يهن عليه أنْ يمدّ رجليه بين يديه، وإنْ كان مدّهما لغير الجهة التي هو فيها، فكيف بمن يستقبل الله أي يجلس إلى الجهة التي أمره باستقبالها يمدّ رجليه إليه. (سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق رحمه الله يقول: من صاحب الملوك بغير أدب أسلمه الجهل) به (إلى القتل) لأنَّ عزة نفوسهم ورفعة حرمتهم تمنعانهم من أنْ يروا من عليه حق يسيء الأدب أو يقصر في خدمتهم، فمن ترك الأدب جره ذلك إلى العطب. (وروي عن ابن سيرين أنه سئل أي) أنواع (الأدب أقرب إلى الله تعالى فقال: معرفة بربوبيته) تعالى (وعمل

(قوله: فقال: أنْ تعامل الله بالأدب) أي بالمتابعة في حالة السر والعلانية. (قوله: وإن كنت أعجمياً) أفاد به بأنه ليس المراد بالأدب ما ينشأ منه فصاحة النطق بل هو حسن المتابعة. (قوله: ثم أنشد الخ) وجه إيراده الإشارة إلى أنَّ المدار على ثبوت المحبة للعبد، وهي لا تكون إلا بمتابعة الحبيب، فحينئذٍ لا يصدر عنه إلا المحبوب.

(قوله: يقول: منذ عشرين سنة الخ) أقول: ومن هذا الذوق قال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه يُوصي بعض أصحابه: خف سطوة العدل، وارجِ رقة الفضل ولا تأمن مكره ولو أدخلك الجنة، ففي الجنة وقع لأبيك آدم ما وقع، وقد يقطع بأقوام فيها فيقال لهم: كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية فقطعهم بالأكل والشرب عنه تعالى وأي مكر فوق هذا، وأي خسران أعظم منه.

(قوله: ما مددت رجلي الخ) فيه دلالة على فنائه في الأدب مع ربه تعالى ومراعاة جميع حركاته وسكناته لله تعالى. (قوله: من صاحب الملوك الخ) الغرض التقريب بما تعهده البشرية، فإذا كان كذلك فأحرى أنْ يستعمل الأدب مع ملك الملوك الذي لا يرد قضاؤه وتدوم نعماؤه.

(قوله: فقال: معرفة بربوبيته) أي بما لها من صفات الجلال والعظمة والمعاملة له على حسب ذلك. (قوله: وعمل بطاعته) أي بشرط إيقاعه على طريق المتابعة لسيد الكاملين. (قوله: والحمد لله على السراء) أي لأنَّ الثناء واجب له تعالى بإزائها، وقوله:

بطاعته والحمد لله على السراء والصبر على الضراء) لما تقرر من أنّه لا يتقرب المتقربون إليه تعالى إلا بمعرفته وطاعته، والصبر على ما ابتلى به. **(وقال يحيى بن معاذ: إذا ترك العارف)** بالله **(أدبه مع معروفه)** أي مع الله **(فقد هلك مع الهالكين)** لأنَّ من عرف الله بصفاته ثم أساء الأدب فقد تعرّض لهلاك نفسه لأنَّ عقاب العالم أشدّ من عقاب الجاهل. **(سمعت الأستاذ أبا عليّ رحمه الله يقول: ترك الأدب موجب يوجب الطرد، فمن أساء الأدب على البساط ردّ إلى الباب ومن أساء الأدب على الباب ردّ إلى سياسة الدواب)** لاستحقاقه بذلك البعد والطرد، وألم كل مطرود على حسب ما فارقه من منزلته التي كان فيها، ولا منزلة أجلّ واعلى من مراقبة مولاه مع كمال أدبه، فإن أساء أدبه فيها طرد عنها، **(وقيل للحسن البصريّ: قد أكثر الناس في علم الآداب، فما أنفعها عاجلاً وأوصلها آجلاً فقال:)** هو **(التفقه في الدين)** لأنّك إذا علمته وقعت فيما لا ينبغي **(والزهد في الدنيا)** إذ مع محبتك لها لا يمكنك القيام مع ما علمته من الأحكام لشغلك بحفظها وتحصيلها وجهات كسبها، **(والمعرفة بما لله تعالى عليك)** من حق تعبدك له وإجلالك له واعترافك بما أسبغ عليك من نعمه، **(وقال يحيى بن معاذ: من تأدب بأدب الله تعالى صار من أهل محبة الله)** لقيامه بفعل المأمورات، وترك المنهيات، وإذا أحبه الله حفظه في سائر أعضائه، **(وقال سهل:**

والصبر على الضراء، أي حبس النفس على الرضا بما يجريه الحق تعالى من تصاريف أحكامه.

(قوله: والصبر على ما ابتلي به) أي مما لا يلائم حظ النفس من الأسقام ونحوها، والقيام بالأعمال التكليفية. **(قوله: لأنَّ عقاب العالم أشد الخ)** أي لأنَّ من حق علمه أن ينكف عن المخالفة بخلاف الجاهل فإنّه قد يعذر في جهله. **(قوله: فمن أساء الأدب على البساط)** أي بعد ذوق لذة القرب والمناجاة، وقوله: ردّ إلى الباب أي إلى حال أوّل السير إليه تعالى، ويؤيد ما ذكر خبر: «والمخلصون على خطر عظيم». **(قوله: ردّ إلى سياسة الدواب)** أي إلى خدمتهم، والنظر في أمورهم لعدم إنسانيته بقوّة حيوانيته. **(قوله: وألم كل مطرود على حسب ما فارقه)** أي فهو يختلف قوة وضعفاً للفرق بين من ذاق ومن لم يذق، ويشهد لذلك الحس والوجدان. **(قوله: فقال: هو التفقه في الدين)** أي لأجل التصرف بالإذن الشرعي. **(قوله: إذ مع محبتك لها لا يمكنك الخ)** أي فهي من الحجب المانعة لكل خير ديني. **(قوله: والمعرفة بما لله تعالى عليك)** أي مع معاملته تعالى على حسب معرفته. **(قوله: صار من أهل محبة الله)** أي التي لا تكون إلا بمتابعة سيدنا رسول الله ﷺ، واعلم أنَّ هذه منزلة لا تضاهيها منزلة أخرى. **(قوله: وإذا أحبه الله حفظه الخ)**

القوم) الذين ارتفعت درجاتهم **(الذين استعانوا بالله على أمر الله)** أي طاعته وتبرؤوا من حولهم وقوّتهم **(وصبروا لله على آداب الله)** في طاعته **(ورُوي عن ابن المبارك أنّه قال: نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم)** لأنَّ العلم يراد لإيقاع العمل على وجهه ولإيقاعه كذلك شروط صحة وشروط كمال، والأدب فيه أنْ يوقعه على أفضل شروط كماله وأوّل درجاته القيام بالطاعات ليتخلص من النار، وأعلاها القيام بآداب فضائلها لينال محبة الجبار، وإذا نال محبته سهلت عليه طاعته. **(سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت محمد بن أحمد بن سعيد يقول: سمعت العباس بن حمزة يقول: حدثنا أحمد بن أبي الحواريّ قال: قال الوليد بن عتبة: قال ابن المبارك طلبنا الأدب حين فاتنا)** الشيوخ **(المؤدّبون)** الذين أدركناهم وكانوا علماء بالآداب مع الله ومع خلقه، ومتخلقين بها، حث بذلك تلامذتهم على أنْ يتأدبوا بهم لئلا يتأسفوا على فواتهم كما تأسف هو عليه. **(وقيل: ثلاث خصال ليس معهن**

أي ويشهد له خبر «كنت سمعه» الحديث. **(قوله: القوم الخ)** أي الجدير باسم القوم من هذا خلقهم ونعتهم. **(قوله: نحن إلى قليل من الأدب الخ)** مراده أنَّ الأدب القليل مع الحق تعالى وعموم الخلق أنفع من العلم الكثير المجرد عن الأدب المذكور، ولذلك أشار بعضهم حيث قال شعراً:

ارحم بنيّ جميع الخلق كلهم ... وانظر إليهم بعين اللطف والشفقه
وقر كبيرهم وارحم صغيرهم ... وراع في كل خلق حق من خلقه

هذا وقال تعالى: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠]. **(قوله: أحوج منا إلى كثير من العلم)** أي وذلك لأنَّ ثمرة العلم إنما هي العمل على طريق المتابعة وإلا كان حجة على المقصرين، والحاصل أنَّ زيادة العلم ربما قد تضر لعدم القيام غالباً بالمقصود منه، وهو العمل به، وما قل ونفع خير مما كثر ولم ينفع.

(قوله: وأوّل درجاته القيام بالطاعات) أي إيقاعها على وجه الصحة ليثمر ذلك له التخلص من عقاب التقصير، وقوله: وأعلاها القيام بآداب فضائلها أي إيقاعها على أكمل وجوهها لينال درجة المحبة فيحفظ في كامل حركاته وسكناته بالحفظ الإلهيّ. **(قوله: قال ابن المبارك: طلبنا الأدب)** أي طريق إيقاع العبادة على وجهها الأكمل بشاهد متابعة السيد الأعلم ﷺ حين أي زمن فاتنا الشيوخ المؤدّبون بانقراضهم بالموت مثلاً.

(قوله: ثلاث خصال الخ) الغرض الحث على التخلق بها ببيان ثمرتها العاجلة قبل الآجلة، وذلك لأنَّ شأن الغريب الوحشة وعدم الحنوّ عليه من أحد، فإذا تخلق بهذه

غربة: **مجانبة أهل الريب، وحسن الأدب وكف الأذى)** لأنّ الغريب من لا يؤلف ولا يجد من يألفه به، ومن اجتمع فيه هذه الخصال ألف وآلف لأنه إذا بعد عن أهل الريب حسن الظنّ به، ولم تخش غائلته وإذا حسن أدبه حسنت معاملته وكلامه، وقل طمعه فيما بأيدي الناس، وتكرم عليه بما يمكنه، وإذا كف أذاه عن الخلق حسنت صحبته وفي نسخة عقب ذلك في وأنشدنا الشيخ أبو عبد الله المغربيّ في هذا المعنى:

يـزيـن الـغـريـب إذا مـا اغـتـرب ثـلاث فـمـنـهـن حـسـن الأدب
وثـانـيـة طـيـب أخـلاقـه وثـالـثـة اجـتـنـاب الـريـب

(ولما دخل أبو حفص بغداد) ومعه أصحابه ورأى الجنيد أدبهم مع المشايخ وأعجبه ذلك، **(قال له الجنيد: لقد أدّبت أصحابك أدب السلاطين)** أي تأديبهم لجندهم في الظاهر بنزاهة النفس، وسرعة المبادرة لأوامر المشايخ، والقيام بخدمة الفقراء، **(فقال له أبو حفص: حسن الأدب في الظاهر عنوان حسن الأدب في الباطن)** يعني أنّ ما هم فيه من الأدب ليس تعليماً وتكلفاً ولكنهم لما عمرت قلوبهم بإجلال الحق من اختصه وعظمه جرت لآداب عليهم في الظاهر، فلذلك قال له: أدب الظاهر الخ. **(وعن عبد الله بن المبارك أنّه قال: الأدب للعارف)** بالله **(كالتوبة للمستأنف)** أي للمبتدىء، فكما أنّ المستأنف لا يستغني عن توبته إذا زل بل يرجع إليها بسرعة كذلك العارف لا يستغني عن أدبه لحظة إذا غفل عنه لأنّه بعده سيئة ولهذا قيل: حسنات الأبرار سيئات المقربين، فمتى رأى العارف عمله صحيحاً نافعاً

الخصال انتفى عنه ذلك، وصار مألوفاً محبوباً على الوجه الذي وضحه الشارح. **(قوله: ليس معهنّ غربة)** أي اغتراب وبعد عن سبيل الرشاد. **(قوله: لأنّ الغريب الخ)** أي ويدل له خبر «شركم من لا يألف ولا يؤلف». **(قوله: إذا بعد عن أهل الريب)** أي عن أهل التهم والأهواء. **(قوله: وإذا حسن أدبه)** أي بقيامه بحق الحق، وحق الخلق حسنت معاملته أي عبادته. **(قوله: يزين الغريب الخ)** أقول: تكون غربته حينئذٍ باعتبار الظاهر، وإلا فلا غربة في الحقيقة. **(قوله: أدب السلاطين)** أي الأدب اللائق بالخدم مع ملوك الأرض. **(قوله: فقال له أبو حفص: حسن الأدب في الظاهر الخ)** أي ويشهد له خبر «ألا وإنّ في الجسد مضغة» الحديث. **(قوله: الأدب للعارف)** أي الرجوع للأدب بالنسبة للعارف مثل الرجوع بالتوبة للمستأنف إذا ارتكب إثماً والمثلية في الوجوب، فلا غنى لكل منهما عن ذلك، فإذا كان العارف في تجلي البسط وعرض له فيه شطح برائق الجمال وفائق الدلال عاد سريعاً إلى شهود الجلال وقهر الأدب، وكان مثل المبتدىء إذا زل وعاد سريعاً للتوبة.

(قوله: ولهذا قيل: الخ) أي وقيل أيضاً: رياء الخاصة أفضل من إخلاص العامة.

له عند ربه، فقد زل عن درجته ونقص في أدبه فحقه أنْ يسرع إلى التوبة. **(سمعت منصور بن خلف المغربي يقول: قيل لبعضهم يا سيء الأدب فقال: لست بسيء الأدب فقيل له: من أدبك؟ فقال: أدبني الصوفية)** في ذلك مدح أدب الصوفية لبنائه على الزهد في الدنيا وكمال مراقبة المولى، وهي درجة الإحسان فهذا أحسن الآداب. **(سمعت أبا حاتم السجستاني رحمه الله يقول: سمعت أبا نصر الطوسيّ السراج يقول: الناس في الأدب على ثلاث طبقات)** أهل الدنيا، وأهل الدين، وأهل الخصوصية، **(أما أهل الدنيا فأكثر آدابهم في الفصاحة والبلاغة وحفظ العلوم، وأسماء الملوك، وأشعار العرب)** وحسن العشرة والانبساط في الخلطة والأطعمة وغيرها مما هو أدب عندهم في معاملة الدنيا، **(وأما أهل الدين فأكثر آدابهم في رياضة النفوس وتأديب الجوارح وحفظ الحدود)** التي حدها الله **(وترك الشهوات)** وغير ذلك من الآداب الحاملة على أعمال الآخرة كتحريك الهمة للقيام بها والرجاء والمحبة، **(وأما أهل الخصوصية)** وهم العارفون بالله **(فاكثر آدابهم في طهارة القلوب ومراعاة الأسرار، والوفاء بالعهود، وحفظ الوقت، وقلة الالتفات إلى الخواطر وحسن الأدب)** منهم يكون **(في مواقف الطلب وأوقات الحضور)** مع الله **(ومقامات القرب)** من الله تعالى، فأدبهم مع الله في كل وقت وحال لازم لهم بما يليق بوقتهم الذي هم فيه

(قوله: فقد زل عن درجته) أي بوقوفه معه واستحسانه له، وغفلته عمن تفضل به. **(قوله: فقال: لست بسيء الأدب)** لعله صدر منه تحدّثاً بالنعمة أو لإفادة حسن تأديبه ممن أدّبه ليقتدى به فيه.

(قوله: أما أهل الدنيا الخ) محصله أنهم لا يعتنون إلا بتحسين ظواهرهم والتصنع لأمثالهم غافلين عما قصد منهم من تحسين البواطن كالظواهر ليتحقق لهم نعت الإيمان، ومشهد مقام الإحسان. **(قوله: فأكثر آدابهم في رياضة النفوس)** أي بالقيام عليها بفعل المأمورات، وقوله: وتأديب الجوارح أي على الهيئة المأثورة في أنواع الطاعة، وقوله: وحفظ الحدود أي عدم ارتكاب ما نهى عنه الشارع، وقوله: وترك الشهوات عطف عام على خاص. **(قوله: في طهارة القلوب)** أي من دنس خطور الأغيار، وقوله: ومراعاة السرائر أي مراعاة ما يرد عليها من واردات الأنوار، وبارقات عين الاستبصار، فما وافق منها العلم المحمديّ والأثر الأحمدي أخذوا به وإلا أحجموا عنه، وقوله: والوفاء بالعهود أي بالقيام بأحكام الظاهر، وقوله: وحفظ الوقت أي عن الضياع والمراد الحال فلا ينظرون إلى ماضٍ ولا إلى مستقبل، وقوله: وقلة الالتفات إلى الخواطر أي التي فيها حظ للنفس بدون شاهد العلم. **(قوله: في مواقف الطلب)** أي في منازله وأوقات الحضور أي جمعية القلب على الحق تعالى بدوام مراقبته في

بالنسبة لما يرد عليهم (**وحكي عن سهل بن عبد الله أنه قال: من قهر نفسه بالأدب**) في دفع المشغلات عن القلوب كالرياء والعجب (**فهو يعبد الله بالإخلاص**) والنشاط، (**وقيل: كمال الأدب**) لكونه إنما يكون بقطع المشغلات عن القلوب (**لا يصفو إلا للأنبياء والصدّيقين**) لأنهم أقوى الناس في الدين وأعرفهم به، (**وقال عبد الله بن المبارك: قد أكثر الناس**) الكلام (**في الأدب ونحن نقول: هو معرفة النفس**) بعجزها وقلة قدرتها وافتقارها لأنَّ من عرف نفسه بذلك عرف ربه بجلاله وكماله واقتداره على ما يشاء، ومن عرف نفسه وربه بما ذكرنا تأدّب في طاعته وإنْ كانت كاملة مبرأة من العجب والاغترار بها، (**وقال الشبلي: الانبساط بالقول مع الحق**) تعالى (**ترك الأدب**) معه لأنّ انبساطك مع من تعظمه وتجله ترك للأدب معه، ولا يفعله إلا جاهل بجلاله وعظمته، وما هو عليه من أخذه وسطوته (**وقال ذو النون المصري: أدب العارف**) بالله (**فوق كل أدب لأنَّ معروفه**) وهو الله تعالى (**مؤدّب قلبه**) إذ معرفته به وبجلاله وعظمته توجب له الأدب معه فيستغني به عن أدب المؤدبين لأنَّ دواعي نفسه وخواطرها صحيحة حاملة على الأدب، (**وقال بعضهم: يقول الحق سبحانه: من ألزمته القيام**) وأوقفته (**مع**) تفكره في (**أسمائي وصفاتي**) لكونها تدل على لطفه

كامل الحركات والسكنات، وقوله: ومقامات القرب من الله أي من رحمته تعالى وإحسانه.

(**قوله: من قهر نفسه بالأدب الخ**) الكلام مع المريدين المستأنفين السير إلى الله تعالى كما لا يخفى على من له ذوق، ويشير إلى ذلك ما بعده، وهو قوله: وقيل: كمال الأدب الخ. (**قوله: كمال الأدب**) أي الأدب الكامل الذي هو عبارة عن عدم الاتساع لغير الحق تعالى، وقوله: لا يصفو أي لا يتم خلوصه إلا للأنبياء والصدّيقين أي لكمال استعدادهم. (**قوله: هو معرفة النفس**) أي ويشهد له خبر «من عرف نفسه عرف ربه، ومن عرف ربه قام بما له على طريق متابعة سيد المحبين ﷺ وعلى إخوانه النبيين والمرسلين». (**قوله: ترك الأدب**) أي ينشأ من ترك الأدب وهو كما ترى فيمن لم يصل إلى مقام تجليّ الجمال، وإلا فهو لا كلام لنا معه على أننا قدمنا أنّه يعود سريعاً إلى الأدب مثل عود المستأنف للتوبة لو زل.

(**قوله: أدب العارف بالله فوق كل أدب**) أي وذلك قريب من البديهيات إذ الأدب تابع للمعرفة، ولا شك في تفاوتها والعارف مقامه فيها أعلى المقامات، فيلزم أنَّ أدبه يكون كذلك.

(**قوله: لأنَّ معروفه مؤدب قلبه**) أي وله الإشارة بخبر «أدبني ربي فأحسن تأديبي». (**قوله: من ألزمته القيام الخ**) أي ويدل عليه خبر «تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في

ورحمته وكرمه، ومحبته، وإجلاله (**ألزمته الأدب، ومن كشفت له عن حقيقة ذاتي**) القديمة المنزهة عما لا يليق بها كالأولية والآخرية (**ألزمته العطب**) لأنه إذا تفكر فيها وهو لا يحيط بها كفر إنْ نفاها أو أثبتها على غير وجهها وإلا غاب عن نفسه وعدم انتفاعه بحواسه في شغله بربه عطب، (**فاختر**) لنفسك (**أيهما شئت الأدب أو العطب**) والموفق لا يختار إلا الأدب، (**وقيل: مدّ ابن عطاء يوماً رجله بين أصحابه وقال: ترك الأدب بين أهل الأدب أدب**) لما يعلمه من عدم انتقادهم عليه بذلك، ومن فرحهم بجميع ما يبدو منه لكمال المحبة بينهم والمصافاة في قلوبهم بحيث تركوا التكلف، فترك التكلف بينهم من الأدب لأنه مما يسرهم، وأصل الأدب إدخال المسرة على من يتأدب معه، (**ويشهد لهذه الحكاية الخبر الذي (روي أن النبي ﷺ كان عنده أبو بكر وعمر**) رضي الله عنهما في حائط على طرف بئر، وقد دلى رجليه فيها وانكشف بعض فخذه ولم يغطه (**فدخل عثمان**) رضي الله عنه (**فغطى فخذه وقال: ألا أستحي من رجل استحيت منه الملائكة نبه ﷺ على أنَّ حشمة عثمان رضي الله عنه وإن عظمت عنده، فالحالة التي كانت بينه وبين أبي بكر وعمر كانت أصفى**) قلباً وأعظم حرمة من الحالة التي كانت بينه وبين عثمان، في ذلك دلالة على أنَّ عثمان كان شديد الحياء من النبي ﷺ، وأنَّ حالته كانت محبوبه لله ولرسوله ولملائكته، والغرض من ذلك أنَّ أدبه ﷺ مع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما لم يبق فيه تكلف لعدم انقباضهما مما ذكر. (**وفي قريب من معناه أنشدوا. فيَ انقباض**

ذاته»[1]. (**قوله: مع تفكره في أسمائي وصفاتي**) أي في مظاهرهما وآثارهما. (**قوله: وإلا غاب عن نفسه**) أي دهشة وحيرة من عظم ما شاهده مما لا يقوى عليه مخلوق مثله. (**قوله: فاختر لنفسك أيهما شئت**) أقول: هو على حد خبر «إذا لم تستح فاصنع ما شئت». (**قوله: ترك الأدب الخ**) أي بشهادة قولهم: إذا حصلت الألفة سقطت الكلفة وثبت في كتب الفروع أنْ تخطي الصفوف والرقاب ممنوع منه إلا لنحو من يعتقد ويتبرك به. (**قوله: وانكشف الخ**) لعله كان قبل وجوب ستره.

(**قوله: حشمة عثمان**) أي حرمته. (**قوله: فالحالة التي كانت الخ**) أي ولذلك ترتبت درجتهم في الفضيلة. (**قوله: لعدم انقباضهما مما ذكر**) الأولى لسرورهما وفرحهما بما ذكر. (**قوله: فيَ انقباض الخ**) محصله أنَّ هذه صفتي وأخلاقي فيما بين العامة، فإذا كنت مع أهل الموافاة ومكارم الأخلاق لا أتكلف خلقاً قولياً ولا فعلياً لمحاسن أخلاقهم ورضاهم مني بكل شيء يبدو عليَّ.

---

(١) أخرجه الزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ١٠/ ١٨٠).

وحشمة فإذا. جالست) وفي نسخة صادقت (أهل الوفاء والكرم. أرسلت نفسي على سجيتها) أي طبيعتها وعادتها من عدم التحفظ (وقلت: ما شئت غير محتشم. وقال الجنيد: إذا صحت المحبة سقط) وفي نسخة سقطت (شروط الأدب) يعني سقط تكلف الأدب، وإن كانت المحبة توجب كمال الأدب، فالأدب مع الأحباب جار على أكمل الوجوه الصواب من غير تكلف فيسقط الأدب تكلفاً لا وجوداً. (وقال أبو عثمان: إذا صحت المحبة تأكدت على المحب ملازمة الأدب) وإن سقط تكلفه كما مر. (وقال النوري: من لم يتأدب) مع الله تعالى (للوقت) أي لوقت جريان حاله عليه (فوقته) أي حاله (المقت) أي يخشى عليه فيه المقت لأنَّ من ترقب منزله مع ربه بما يحدثه له في وقته، فلا يليق به الغفلة عنه ولا تركه الأدب فيه (وقال ذو النون: إذا خرج المريد عن استعمال الأدب فإنّه يرجع من حيث جاء) فالمريد كغيره من العارفين وغيرهم لا يستغني عن الأدب في حال من أحواله. (سمعت الأستاذ أبا عليّ رحمه الله يقول: في قوله عز وجل: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣] قال: هو زائد (لم يقل) أيوب: (ارحمني) بل قال: وأنت

(قوله: إذا صحت المحبة) أي وصحتها بصدق مدعيها، والحاصل أنَّ أدب الكمل من العبيد إنما هو للمحبة والإجلال كما يشير إليه خبر «نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه»[1]. (قوله: وقال النوريّ الخ) منه يعلم أنَّ حال أرباب الصحو الملازمين لطريق الأدب أكمل من حال أرباب المحو ممن غلبت عليهم الأحوال فبدا منهم ما يحتاج للتأويل مما ظاهره يخالف حكم الظاهر. (قوله: من لم يتأدب للوقت الخ) أي في حال غلبة الأحوال عليه فوقته المقت أي فحاله المذكور من أسباب المقت إذ الخير كله في لزوم طريق الأدب في كامل الأحوال، والكلام مع من بقي له شعور وإحساس وإلا فلا كلام لنا معه.

(قوله: إذا خرج المريد الخ) أي أما العارف ممن غلبه حاله فلا لوم عليه وإن كان الكمال في الكمال. (قوله: فإنّه يرجع الخ) أي لوجود القاطع له وهو سوء أدبه. (قوله: في حال من أحواله) أي بأنْ يحفظ نفسه في حال سكره كحال صحوه عن الخروج عن شاهد العلم. (قوله: وضمنها ارحمني) أي لأنَّ من أثنى بصفة من الصفات فقد تعرض بثنائه بها لنيل أثرها كما هو ظاهر. (قوله: قيل: ولم يقل الخ) أقول: قال بعضهم: إنَّ

---

(١) أخرجه علي القاري في (الأسرار المرفوعة ١٧٢، ٣٧٣) والشوكاني في (الفوائد المجموعة ٤٠٩) والعجلوني في (كشف الخفاء ٢/ ٤٤٦) والفتني في (تذكرة الموضوعات ١٠١) والسيوطي الحلبي في (الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ١٦٥).

أرحم الراحمين فأثنى على الله تعالى بصفة من صفاته وضمنها ارحمني (**لأنّه حفظ آداب الخطاب**) مع الله تعالى، قيل: ولم يقل: «مسني الضر» إلا لما بلغ الألم إلى قلبه، وخشي منه كمال الشغل به عن ربه. (**وكذلك عيسى عليه السلام حيث قال:**) فيما يتعلق بجوابه عن سؤال الله له بقوله: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦] (**إن تعذبهم فإنهم عبادك وقال:**) فيه أيضاً ﴿سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾ [المائدة: ١١٦] وأجاب عن السؤال بقوله: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ﴾، (**ولم يقل:**) بدله (**لم أقل**) ذلك (**رعاية لآداب الحضرة**) وبما تقرّر علم أنَّ في كلامه إجحافاً (**سمعت محمد بن عبد الله الصوفيّ رحمه الله يقول: سمعت أبا الطيب بن الفرحان يقول: سمعت**) أبا القاسم (**الجنيد يقول: جاءني بعض الصالحين يوم جمعة فقال: ابعث معي فقيراً يدخل عليَّ سروراً ويأكل معي شيئاً فالتفت فإذا أنا بفقير شهدت فيه الفاقة**) أي الحاجة إلى الأكل (**فدعوته وقلت له: إمض مع هذا الشيخ وأدخل عليه سروراً**) بمضيك وأكلك معه (**فمضى**) معه (**فلم ألبث أنْ جاء الرجل فقال**) لي (**يا أبا القاسم لم يأكل ذلك الرجل الفقير إلا لقمة وخرج فقلت**) له: (**لعلك قلت**) له: (**كلمة جفاء عليه فقال: لم أقل**) له (**شيئاً فالتفت فإذا أنا بالفقير جالس فقلت**) له: (**لم لم تتم عليه السرور فقال**) لي: (**يا سيدي**) قد (**خرجت من الكوفة وقدمت**) إلى (**بغداد**) قاصداً لك (**ولم آكل شيئاً**) مذ سفري وأنا طيب العيش (**وكرهت أنْ يبدو سوء أدب مني من جهة الفاقة في حضرتك، فلما دعوتني**) وأمرتني أنْ أمضي معه (**سررت إذ جرى ذلك ابتداء منك**) لا

سبب قوله عليه السلام: «مسني الضر» فقده ألم دودة سقطت من جرح له فحينئذ قال: مسني الضر لفقد لذته بألمها وقت وجودها، وذلك وإنْ كان يبعد في نظر العقل القاصر، فالحمل عليه أليق مما ذكره الشارح والله أعلم.

(**قوله: رعاية لآداب الحضرة**) أي حيث لم يبادر بنفي قوله ذلك مع اعتقاده أنَّ الحق يعلم منه عدم صدور ذلك القول. (**قوله: وبما تقرّر**) أي من حل الشارح وما قدره لكلام المصنف علم أنَّ في كلامه أي المصنف إجحافاً أي حيث حذف ما يلزم إثباته، وأثبت ما يوهم خلاف المراد فتأمله.

(**قوله: يدخل عليَّ سروراً**) أي بكل من زيارته وأكله. (**قوله: إنْ جاء الرجل**) أي الذي هو من الصالحين الطالب إدخال السرور عليه. (**قوله: كلمة جفاء عليه**) أي تجافي ما غلب عليه من الأحوال. (**قوله: وأنا طيب العيش**) أي بقوّة الرضا بما يجريه الحق تعالى. (**قوله: وكرهت أنْ يبدو الخ**) أي وذلك بالإظهار لتلك الفاقة من قبلي. (**قوله:**

مني (**فمضيت**) معه (**وأنا لا أرضى له**) عوضاً عما أنا فيه من الفاقة (**الجنان**) بل أعلى منها (**فلما جلست على مائدته سوى**) لي (**لقمة وقال لي: كُل فهذا**) أي أكلك لها أو هذا القدر الذي سويته لك (**أحب إليّ من عشرة آلاف درهم فلما سمعت هذا**) منه (**علمت أنه دنيء الهمة**) لأنه إنما ذكر فضل ذلك على الدراهم التي هي من الدنيا، ولم يذكر الآخرة، وحق الفقير أنْ يكون مشغولاً بالله زاهداً في الدنيا كهذا الفقير بل ربما يكون مشغولاً عن ذكر الآخرة وما أعد الله فيها لأَوليائه لكمال شغله بمولاه (**فتطرفت**) أي تجنبت (**أنْ آكل طعامه فقال الجنيد**) للرجل: (**ألم أَقل لك أنّك أسأت أدبك معه فقال**) لي: (**يا أبا القاسم**) أسألك (**التوبة**) فأجابه إليها فتاب ورجعت همته إلى الآخرة وأعرض عن الدنيا (**فسأله**) أي الجنيد الفقير (**أنْ يمضي معه**) أي مع الرجل ثانياً (**ويفرحه**) فأجابه إلى ذلك لزوال المانع، في ذلك حث على ملازمة الأَدب مع كل أحد بحسب ما يليق به.

وأنا لا أرضى الخ) أي إيثاراً لمراد الحق على مراد نفسي. (**قوله: علمت أنّه دنيء الهمة**) أي لتعلقها بالدنيء من الدنيا. (**قوله: إنّك أسأت أدبك معه**) أي بذكر ما لا يلائم ما غلب عليه من الأحوال السنية.

(**قوله: فأجابه إليها**) أي لاعترافه بالتقصير.

باب أحكامهم

أي الصوفية (**في السفر**) وهو مطلوب لبعضهم كما سيأتي (**قال الله عز وجل**: ﴿**هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ**﴾) [يونس: ٢٢]، و (**أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان**

باب أحكامهم أي الصوفية

وهم من قيل في شأنهم: نادى منادي الطلب للأرواح الكامنة في القوالب فأثار ساكن غرامها إلى العلا فطارت بأجنحة الغرام في فضاء المحبة فوقفت بعد التعب على أغصان الشوق فتناغت على الشجر بلابلها بمطربات ألحان الحنين إلى الجمال فاستنشقت نسيم الغرام إلى إعادة لذاذة ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ فخرجت تلك الطيور من أقفاص الصدور تتلمح مشاهدة القديم من مواطنة مهاب التكليم، فسمعت داعي الله بلسان إنسان عين الوجود والمقصود لكل موجود فانتقش دعاؤه في صفحات ألواح الأرواح فاهتزت أغصان أشجار القلوب واضطربت فرسان العقول في ميادين الصور، فصار عشقها له سراً من أسرار القدم، وأصبح ولهها به لطفاً من لطائف القدر، وقوله في السفر: اعلم أنَّ السفر سفران إحداهما الانتقال بالأجسام من جهة إلى أخرى لمقصود من المقاصد الواجبة أو المندوبة كحج وزيارة ورياضة، وثانيهما سفر القلوب وانتقالها من مواطن الغفلة والشهوات إلى مدارج أرباب السيادات، وهو لا يكون إلا واجباً لمن أراد الوصول وقبل المأمول.

(**قوله: وهو مطلوب لبعضهم**) أي ممن يحتاج إليه. (**قوله: قال الله عز وجل: هو الذي يسيركم في البر والبحر**) وجه مناسبتها الاستئناس بما أشارت إليه من أنَّ الحق هو المسير وإنْ كان الظاهر منها سير الأجسام وانتقالها لكنها تشير إلى سير الأرواح وانتقال القلوب، فإذا طلب سفر الأجسام لبعض المقاصد الدينية فلأنْ يطلب سفر الأرواح وانتقال القلوب من الأخلاق الدنية إلى السنية بالأولى.

(**قوله: كبر ثلاثاً الخ**) أي فهو مندوب اقتداء به ﷺ. (**قوله: وما كنا له مقربين**) أي لولا التسخير الإلهي ما كان ذلك في الطاقة لنا. (**قوله: اللهم**) أي يا ألله إنا نسألك أي نطلب منك الستر أي عن تسلط الشيطان حتى لا نقع فيما يخالف مرضاتك بل ندوم على طاعتك وعبادتك، وقوله: والتقوى أي تجنب ما يغضبك ويسخطك، وقوله: ومن العمل

قال: **أخبرنا أحمد بن عبيد البصريّ قال: حدثنا محمد بن الفرج الأزرق قال: حدثنا حجاج قال: قال ابن جريج: أخبرني أبو الزبير أنّ ابن عمر علمهم)** وفي نسخة أعلمهم **(أنّ رسول الله ﷺ «كان إذا استوى على البعير خارجاً إلى سفر كبر ثلاثاً ثم قال: سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين»)**[1] أي مطيقين **(وإنا إلى ربنا لمنقلبون، ثم يقول: «اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا الستر»)** [2] وفي نسخة البر أي الطاعة **(والتقوى ومن العمل الصالح ما ترضى)** به عنا **(اللهم هوّن علينا سفرنا)** واطوِ عنا بعده **(اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، وسوء المنظر في الأهل والمال)** وروي وكآبة المنظر وسوء المنقلب في المال والأهل، **(وإذا رجع قالهن وزاد فيهن «آيبونَ تائبون لربنا حامدون»)**[3] الوعثاء بفتح الواو وإسكان المهملة وبالمثلثة، وبالمد والشدة، والكآبة بفتح الكاف وبالمد تغير النفس من حزن ونحوه والمنقلب المرجع.

(و) اعلم أنه **(لما كان رأى كثير من أهل هذه الطائفة)** أي الصوفية **(اختيار السفر)** على الإقامة، **(أفردنا لذكر السفر في هذه الرسالة باباً لكونه من أعظم شأنهم وهذه الطائفة)** التي منها الكثير **(مختلفون)** في أن السفر أفضل أم الإقامة **(فمنهم من آثر الإقامة على السفر)** ليجتمع قلبه فيها **(ولم يسافر إلا لفرض كحجة الإسلام)**

الصالح أي الصالح للقبول وما ترضى به عنا، وقوله: هوّن علينا سفرنا أي سهله بطيّ بعده. **(قوله: أنت الصاحب)** أي المصاحب بالحفظ والإعانة، وقوله: والخليفة في الأهل، أي بالكفاية والرعاية.

(قوله: من وعثاء السفر) أي شدته ومشاقه، وقوله: وكآبة المنقلب أي الحزن والغم في العود، وقوله: وسوء المنظر أي المنظر السوء في الأهل والمال. **(قوله: آيبون)** أي راجعون تائبون مما جنيناه على أنفسنا من المخالفات، وقوله: لربنا حامدون أي مثنون عليه بما يليق بعظمته على قدر وسعنا. **(قوله: اختيار السفر)** أي لما فيه من رياضة الأجسام وتهذيب النفوس. **(قوله: مختلفون)** أي بواسطة اجتهاد كل منهم، فعلى حسب ما ظهر له قال على موجبه.

---

(١) أخرجه أبو داود (جهاد ٧٢، ٧٤) والترمذي (دعوات ٤٦).

(٢) أخرجه مسلم (حج ٤٢٥) وأبو داود (جهاد ٧٢).

(٣) أخرجه البخاري (عمرة ١٢) (دعوات ٥٣) (مغازي ٢٩) ومسلم (حج ٤٢٥، ٤٢٨، ٤٢٩) وأبو داود (جهاد ٧٢، ١٥٨) والترمذي (دعوات ٤٢، ٤٦) والدارمي (استئذان ٥٠) والموطأ (حج ٢٤٣) وأحمد بن حنبل (١، ٢٥٦، ٢، ٥، ١٠، ١٥، ٢١، ٣٨، ٦٣، ١٠٥، ١٤٤، ١٥٠، ٣، ١٨٧، ١٨٩، ٤، ٢٣١، ٢٨٩، ٢٩٨، ٣٠٠).

والجهاد **(والغالب عليهم الإقامة مثل الجنيد، وسهل بن عبد الله وأبي يزيد البسطاميّ، وأبي حفص وغيرهم ومنهم من آثر السفر)** على الإقامة ليربح فائدة كاجتماعه بمن يتأدب برؤيته ويتخلق بأخلاقه **(وكانوا)** مستمرين **(على ذلك إلى أنْ خرجوا من الدنيا مثل أبي عبد الله المغربيّ وإبراهيم بن أدهم وغيرهم)** الأولى وغيرهما **(وكثير منهم سافروا في ابتداء أمورهم في حال شبابهم أسفاراً كثيرة ثم قعدوا عن السفر في آخر أحوالهم مثل أبي عثمان الحيري والشبلي وغيرهم)** الأولى وغيرهما وآخرون سافروا في أثناء أمورهم **(ولكل منهم)** فيما آثره **(أصول بنوا عليها طريقتهم، واعلم)** وفي نسخة واعلموا **(أنّ السفر على قسمين: سفر بالبدن وهو انتقال من بقعة إلى بقعة)** مسيرتها ميل فأكثر **(وسفر بالقلب وهو ارتقاء من صفة إلى صفة)** بأنْ يسافر عن شهواته بقلبه، ويتيقظ لإصلاحه بنقله من الأخلاق الذميمة إلى الحميدة بمجاهدة نفسه إلى أنْ يصل إلى مقام التوحيد، وكمال الأُنس بقربه من ربه، ودوام

(قوله: والجهاد) أي إذا تعين. **(قوله: ليربح فائدة كاجتماعه الخ)** أي وليمتحن نفسه بمشاق السفر هل تصبر وترضى بها أو لا. **(قوله الأولى وغيرهما)** لم يقل: الصواب وغيرهما لاحتمال أنّه جرى على القول بأنّ الجمع ما فوق الواحد. **(قوله: واعلم أنّ السفر الخ)** أتى بكلمة اعلم لتتوجه همة السامع إلى ما بعدها اعتناءً به. **(قوله: مسيرتها ميل)** أي أقل ما يصدق عليه السفر ذلك.

(قوله: وسفر بالقلب الخ) أي وهو على أربعة أقسام: الأوّل هو السير إلى الله من منازل النفس إلى الوصول إلى الأفق المبين، وهو نهاية مقام القلب، ومبدأ التجليات الأسمائية، والثاني هو السير في الله بالاتصاف بصفاته، والتحقق بأسمائه إلى الأُفق الأعلى، وهو نهاية مقام الروح والحضرة الواحديه، والثالث هو السير مع الله بالترقي إلى عين الجمع والحضرة والأحدية، وهو مقام قاب قوسين ما بقيت الإثنينية، فإذا ارتفعت فهو مقام أو أدنى، وهو مقام الولاية، والرابع هو السير بالله عن الله للتكميل، وهو مقام البقاء بعد الفناء، والفرق بعد الجمع، واعلم أنّ نهاية السفر الأول هو رفع حجب الكثرة عن وجه الوحدة، ونهاية السفر الثاني هو رفع حجاب الوحدة عن وجوه الكثرة العلمية الباطنية، ونهاية السفر الثالث هو زوال التقييد بالضدين الظاهر والباطن بالحضور في عين أُحدية الجمع، والسفر الرابع يكون نهايته عند الرجوع عن الحق إلى الخلق في مقام الاستقامة الذي هو أُحدية الجمع والفرق بشهود اندراج الحق في الخلق واضمحلال الخلق في الحق حتى يرى عين الوحدة في صور الكثرة، وصور الكثرة في عين الوحدة إنْ كنت معنا فمعنا، وإنْ لم تكن معنا فدعنا، وتعلم إنْ كنت لا تعلم، وإلا فسلم تسلم.

(قوله: وسفر بالقلب) أي وهو لا يكون إلا واجباً بالنسبة لمن أراد الوصول إلى

يستغني عنه مسافر ولا مقيم، وهو السفر الحقيقي عندهم لأنه إنما جعل للنقل من الصفات الذميمة إلى الحميدة، والغرض من سفر الأبدان انقطاع الفقير عن الشهوات في محل الإستيطان واستعانته بمن يلقاه من السالكين على ما يوصله إلى كمال حاله في الأعمال والعرفان والتصوف كما مر هو النقل من الصفات الذميمة إلى الحميدة إلى أنْ يتفرّغ القلب لكمال المراقبة لله بحيث يشتغل قلبه به عما سواه.

(سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق رحمه الله يقول: كان بفرخك) بفتح الفاء والراء وإسكان الخاء **(قرية بظاهر نيسابور شيخ من شيوخ هذه الطائفة وله على هذا اللسان)** أي لسان الصوفية **(تصانيف سأله بعض الناس هل سافرت أيها الشيخ فقال)** له: **(تريد سفر الأرض أم سفر السماء سفر الأرض لا وسفر السماء بلى)** سافرته لتعلقه بالمقامات الشريفة التي كانت أخلاقاً للأنبياء والأولياء، وأما سفر الأرض فإنما هو للقاء الصالحين والأخيار وإنْ كان قد يحصل به ذلك، **(وسمعته)** أيضاً **(رحمه الله**

درجة أرباب الكمال. **(قوله: إلى أنْ يصل إلى مقام التوحيد)** أي الذي يشهد فيه أنه لا فاعل غيره تعالى وأنَّ الأمر كله منه وإليه. **(قوله: وشتان الخ)** أي بون بعيد ما بين سفر الأبدان لمجرّد عن التجرّد عن الحظوظ، وما بين سفر القلوب الذي يثمر رضا المحبوب، ويفيد لقاء المطلوب. **(قوله: فترى ألفاً يسافر بنفسه الخ)** أي ولهذا قال قائلهم:

خليليّ قطاع الفيافي إلى العلا ... كثير وإنَّ الواصلين قليل
وجوه عليها للقبول علامة ... وليس على كل الوجوه قبول

(قوله: وسفر القلوب لا يستغني عنه مسافر الخ) أي لأنَّ مدار درك الحقائق عليه.
(قوله: والغرض من سفرالأبدان الخ) أي وذلك لأنَّ الراحات مع الإقامة من مواطن دواعي قوة الشهوة. **(قوله: واستعانته بمن يلقاه من السالكين)** أي حيث لا يوجد ذلك في الغالب إلا في القيافي والقفار، وقد قال تعالى: ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧] فتحصل أنَّ سفر الأبدان قد يكون من الوسائل إلى سفر القلوب.

(قوله: وسفر السماء بلى) أي نعم سافرته والمراد بسفر السماء التفكر فيما اشتملت عليه من عجائب مصنوعاته تعالى، وآثار باهر قدرته تعالى، ولعل ذكره لما ذكر من باب التحدث بالنعمة أو الإشارة لعلوّ همته لتزيد رغبة المريدين فيه، ويتم اعتقادهم ليدوم لهم النفع والانتفاع، والله أعلم.

(قوله: لتعلقه بالمقامات الشريفة) أي التي هي عروج الأرواح في فضاء ميادين

يقول: جاءني بعض الفقراء يوماً وأنا بمرو فقال لي: **قطعت**) في سفري (**إليك شقة**) أي مسافة (**بعيدة والمقصود لقاؤك فقلت له: كان يكفيك خطوة واحدة لو سافرت عن نفسك**) أي مفارقتك لنفسك وشهواتها بخطوة أقرب إلى نيل مقصودك من أسفارك ببدنك، فسفر القلوب أفضل وأنفع من سفر الأبدان، وشرطه ملازمة شيخ عارف بالمطلوب، وطرق الرياضة الموصلة للمحبوب. (**وحكاياتهم في السفر تختلف على ما ذكرنا من أقسامهم وأحوالهم، سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلميّ رحمه الله يقول: سمعت محمد بن علي العلويّ يقول: سمعت جعفر بن محمد يقول: سمعت أحنف الهمدانيّ يقول: كنت في البادية**) أي الصحراء (**وحدي**) وأنا مسافر للحج (**فأعييت فرفعت يدي وقلت: يا رب إني ضعيف زمن وقد جئت إلى ضيافتك فوقع في قلبي**) حينئذٍ (**أنْ يقال لي من دعاك**) أي حملك على هذا فوقع في قلبي جوابه، وهو حسن ظني بك أن تعينني، وهو المراد بقوله: (**فقلت يا رب هي**) أي مملكتك (**مملكة**) واسعة (**تحتمل الطفيلي**) وهو من يأتي إلى طعام غيره بلا دعوة (**فإذا**) أي فبينا أنا كذلك إذا (**أنا بهاتف**) ملك أو ولي إنسي أو جني سمعت حسه (**من ورائي فالتفت إليه فإذا**) هو (**أعرابي على راحلته فقال**) لي: (**يا أعجمي إلى أين**) تذهب

الترقي إلى حظائر هاتيك المقامات. (**قوله: فقلت له: كان يكفيك خطوة واحدة**) فيه إرشاد منه إلى علوّ الهمة وطلب الأنفع في طرق الوصول إلى المحبوب، ولذلك قيل: أقرب الطرق الموصلة إلى الله تعالى لزوم قانون العبودية والاستمساك بعروة الشريعة الإسلامية، وقيل أيضاً: علائق زهرة الدنيا حجاب يمنع من الوصول إلى ملكوت العلا، فلو بلغ طفل عقلك الأسد في حجر التأديب ما التفت لكن هو بعد في مهد شغلتنا أموالنا وأهلونا فيا غلام افتح عين عقلك لتلقى عرائس أسرار الأزل، وانتشق بمشام روحك هبوب نسيم لطائف القدر، فإنَّ الله وضع تماثيل الوجود على ساحل بحر الدنيا لامتحان عيون أهل البصيرة وسلم من الالتفات إلى زخرفها أطفال أرواح أُقيمت في مهود الثبات، وربيت في حجر العظمة، وأرخيت عليها آيات الأمر، وكوشفت بلطائف مخبآت القدر، وجليت عليها عرائس الغيب فنشأت على أحسن وجوه المتابعة، وعلى أتقن طرق الاستقامة رضي الله عنهم ورضوا عنه.

(**قوله: وشرطه ملازمة شيخ الخ**) أشار به إلى أنه وإنْ كان سفر القلب أفضل من سفر البدن إلا أنّه لا بدّ في كل سفر من شيخ عارف مرشد إلى ما به يكون الوصول، والحاصل أنَّ سفر الأبدان لازم للمريدين، وسفر القلوب من شأن الواصلين والعارفين.

(**قوله: إني ضعيف زمن**) بكسر الميم أي لازمني المرض حتى أعياني. (**قوله: قلت له: لا أدري**) يعني الآن وإلا فهو كان على ثقة من صبره على المشاق حتى جاز له

(**فقلت: إلى مكة قال**) لي: (**أ**) أذن لك مولاك (**ودعاك**) إليها وأنت عاجز (**قلت**) له: (**لا أدري فقال**) لي: (**أليس**) قد (**قال**) فيمن يلزمه الحج (﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧] فقلت) له: (**المملكة واسعة تحتمل الطفيليّ فقال: نعم الطفيليّ أنت**) هل (**يمكنك أنْ تخدم الجمل**) أي هل تحسن خدمته (**قلت: نعم فنزل عن راحلته وأعطانيها وقال**) لي: (**سِر عليها**) في ذلك دلالة على أنَّ المسافر لا يسافر في الصحراء بلا زاد ولا راحلة إلا إذا عوده الله القوة على ذلك، وقد يعوده إياها، ولكن يطرأ له في أثناء سفره ما يوجب له العجز عن ذلك فلا يضره، والأحنف كان الغالب عليه بحسب ما خطر له من السفر بلا زاد ولا راحلة إنَّ الله يقويه على ذلك، فلما طرأ عليه العجز في السفر سأل الله واستغاث به، فوقع في قلبه خاطر من دعاك فوقع في قلبه جوابه بما مر.

(**سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول: سمعتُ محمد بن أحمد النجار يقول: سمعت الكتانيّ يقول: وقد قال له بعض الفقراء أوصني فقال:**) هو زائد (**اجهد أنْ تكون كل ليلة ضيف مسجد**) ليكون ذلك أستر وأخلص لعبادتك لأنَّك إذا طرقت بلدة ومقصودك أنْ لا تعرف بها، ونزلت بمسجد فيها تلك الليلة كان ذلك محصلاً لمقصودك من عدم شهرتك وإخلاصك لعبادتك، (**و**) اجهد (**أنْ لا تموت إلا بين منزلين**) وفي نسخة منزلتين المنزلة التي أنتَ فيها، والمنزلة التي تطلبها بأنْ لا تسكن إلى الأولى، ولا تكرهها بطلبك للثانية (**ويُحكى عن الحصريّ أنه كان يقول: جلسة**) من العبد مع الله (**خير من ألف حجة وإنما أراد جلسة تجمع الهم**) أي همته (**على نعت**) أي وصف (**الشهود**) أي الحضور مع المشاهدة له بالقلب في العمل،

السفر بدون راحلة. (**قوله: فقال: نعم الطفيلي أنت**) أي حيث تبين عدم صبرك على مشاق السفر بدون راحلة. (**قوله: في ذلك دلالة على أنَّ المسافر الخ**) أي ويشهد له خبر «الرفيق قبل الطريق» وخبر: «اعقلها وتوكل». (**قوله: والأحنف كان الغالب الخ**) دفع به ما يقال: إنَّ سفره المذكور وبدون زاد ولا راحلة محرم وممنوع منه شرعاً.

(**قوله: إجهد أنْ تكون كل ليلة ضيف مسجد**) أي لأنَّ ملازمة مسجد مخصوص بل مكان منه مكروه في الطريق، لما في ذلك من صورة التعرّض للسؤال أو للدعوى، وقوله: واجهد أنْ لا تموت الخ محصله الحث على دوام طلب الأكمل، والرضا بما يجريه الحق تعالى من تصاريف الأحكام.

(**قوله: بأنْ لا تسكن إلى الأولى**) أي لأنَّ السكون لغيره تعالى من القواطع. (**قوله: جلسة من العبد مع الله الخ**) المراد كما أشار إليه الشارح وقت حضور قلبه وجمعيته على

والمراقبة له فيه، وهذا أفضل الأحوال، فإنّه مقام الإحسان الذي قال النبي ﷺ فيه: «أنْ تعبد الله كأنّك تراه فإنْ لم تكن تراه فإنّه يراك» ولهذا قال الحصريّ: **(ولعمري أنها)** أي هذه الجلسة **(أتم)** أي أفضل **(من ألف حجة على وصف الغيبة عنه)** تعالى **(سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفيّ رحمه الله يقول: سمعت عليّ بن عبد الله التميميّ يقول: حُكي عن محمد بن إسماعيل الفرغانيّ أنّه قال: كنا نسافر مقدار عشرين سنة أنا وأبو بكر الزقاق والكتانيّ لا نختلط بأحد ولا نعاشر أحداً فإذا قدمنا بلداً فإنْ كان فيه شيخ سلمنا عليه وجالسناه إلى الليل، ثم نرجع إلى مسجد فيصلي الكتاني)** فيه **(من أوّل الليل إلى آخره ويختم)** بقراءته في صلاته **(القرآن ويجلس)** فيه **(الزقاق)** من أوّل الليل إلى آخره **(مستقبل القبلة وكنت استلقي)** فيه على ظهري من أوّل الليل إلى آخره **(متفكراً)** فيما أتفكر فيه من الأحكام وأصناف المخلوقات، واختلاف أنواعها وهيآتها وعظمة الله وجلاله، وكمال ما هو عليه من صفاته **(ثم نصبح ونصلي صلاة الفجر)** ونحن **(على وضوء العتمة)** أي العشاء فكانت أسفارهم لا تشغلهم عن عمارة أوقاتهم لأنّها ليست لجهة معينة يقصدونها حتى يجدوا في الوصول إليها كالمسافرين للتجارة وإنما سفرهم الإعتبار للأخبار وللإنقطاع في الصحارى وطيب الأحوال مع الله تعالى، فكان بعضهم قائماً يصلي، وبعضهم جالساً مستقبل القبلة ذاكراً لله، وبعضهم مستلقياً متفكراً فيما يتفكر فيه بحسب مقامه كما تقرر، **(فإذا وقع معنا إنسان)** آخر **(ينام كنا نراه أفضلنا)** لحسن ظنهم بغيرهم، فيرون أنّ غيرهم أفضل منهم. **(سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت عبد الله بن علي يقول: سمعت عيسى القصار يقول: سئل رُويم عن أدب السفر)** المقصود للصوفيّ **(فقال: أنْ لا يجاوز همه قدمه)** إذ ليس مقصوده من السفر إلا تخليص قلبه لمراقبته لربه، ووجود لذته في مناجاته، وأوضح ذلك بقوله: **(وحيثما وقف قلبه)** لانتظار جبر نقص أو لكمال شكر زيادة **(يكون منزله)**

الله. **(قوله: كنا نسافر الخ)** أي فكانت جمعيتهم في السفر لأجل الرياضة، فكل يشتغل بما وفق له من أعمال البر، والخير. **(قوله: مستقبل القبلة)** لعله كان يذكر الله تعالى على هذه الحالة. **(قوله: وإنما سفرهم للاعتبار بالأخيار)** أي عسى أنْ يوفقوا لمثل ما هم عليه من الأخلاق، وأقل شيء ينال بركة التلاق. **(قوله: فيرون أنّ غيرهم أفضل منهم)** أي بشهادة خبر «المؤمن مرآة المؤمن»[1]. **(قوله: أنْ لا يجاوز همه قدمه)** أي بأنْ يراعي الأهم في الوقت من غير التفات إلى ماضٍ منه، ولا مستبقل.

(قوله: جبر نقص) يقرأ بالإضافة ومثله قوله: شكر نعمة. **(قوله: أنْ اتخذ لك**

---

(١) أخرجه أبو داود (أدب ٤٩).

فلا يجاوزه. (**وحكي عن مالك بن دينار**) رضي الله عنه (**أنه قال: أوحى الله**) تعالى (**إلى موسى**) بن عمران (عليه السلام) أن (**اتخذ**) لك (**نعلين من حديد وعصا من حديد ثم سح في الأرض فاطلب الآثار والعبر حتى تنخرق النعلان وتنكسر العصا**) في ذلك حث على السياحة في الأرض كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الروم: ٨٤] وقد أثنى على السائحين والسائحات فقال: ﴿الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ﴾ [التوبة: ١١٢] وقال: ﴿عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ﴾ [التحريم: ٥] وذلك للإعتبار بالآثار ووجود الراحة من الأغيار (**وقيل: كان أبو عبد الله المغربي يسافر أبداً، ومعه أصحابه، وكان يكون محرماً فإذا تحلل من إحرامه أحرم ثانياً**) بنسك في وقته (**ولم يتسخ له ثوب ولا طال له ظفر ولا شعر**) وإنْ طال الزمن (**وكان يمشي معه أصحابه بالليل وراءه، فكان إذا حاد أحدهم عن الطريق يقول: يمينك يا فلان يسارك يا فلان**) كل من المذكورات غير الأوّل خوارق للعادات، وكلها ثناء على أبي عبد الله، ويحتمل أنَّه أثنى عليه بملازمته الإحرام كلما تحلل، وبكثرة سفره وعوده إلى مكة فقط، فهو على هذا يغسل ثوبه ويقص ظفره، ويزيل شعره حال تحلله، (**وكان لا يمد يده إلى ما وصلت إليه يد الآدميين**) من طعامهم المعهود (**وكان طعامه أصل شيء من النبات**) أي من العروق (**يؤخذ فيقلع لأجله**) أي يقلعه له أصحابه ويأكله، وفي تنبيهه لهم على الطريق إذا حادوا عنه يميناً أو يساراً دلالة على أنّه شديد الاعتناء بهم، وأنّه مشغول الهمة باستقامتهم على الطريق الذي يقتدون به فيها، وإنْ كان ذلك من خوارق العادات كما تقرر. (**وقيل: كل صاحب تقول**) أنت (**له: قم**) معي (**فقال:**) وفي نسخة فيقول لك: (**إلى أين**

نعلين من حديد الخ) المراد الحث على قوّة اليقين، والتمكن من الصبر والجد فيما يقرب إلى المولى، ويكون ذلك منتهياً إلى الموت. (**قوله: ثم سح في الأرض**) أي امض حيثما توفق لك بالإذن الإلهي، وقوله: فاطلب الآثار أي آثار القدرة العلية أو آثار الصالحين، وقوله: والعبر أي ما تعتبر به، ويصير لك وسيلة إلى الترقي.

(**قوله: في ذلك حث على السياحة**) أي مع الجد فيها بإشارة قوله: من حديد. (**قوله: وذلك للاعتبار الخ**) أي الذي لا تخلو عنه السياحة غالباً. (**قوله: وكان يمشي معه أصحابه الخ**) فيه أنَّ الخلق المحمديّ المشي وراء الأصحاب فلعل ذلك الأمر باطني. (**قوله: فكان إذا حاد أحدهم**) أي مال عن الطريق يقول: يمينك يا فلان الخ في ذلك دلالة على قوّة نور بصيرته، وزيادة حراسته ورحمته لمن يكون بصحبته. (**قوله: وكان لا يمدّ يده**) أي لفناء بشريته وناسوته وقوّة لاهوته.

(**قوله: فليس بصاحب**) أي ليس بصاحب كامل إذ كمالها يوجب سرعة الإجابة

فليس بصاحب) لقلة اهتمامه بأمر صاحبه وطلبه راحة نفسه (وفي معناه أنشدوا:

إذا استنجدوا لـم يسـألوا مـن دعـاهـم لأيـــة حـــرب أم لأيّ مـــكـــان

وحُكي عن أبي عليّ الرباطيّ قال: صحبت عبد الله المروزيّ وكان يدخل البادية قبل أنْ أصحبه بلا زاد فلما صحبته قال لي: أيما أحب إليك تكون) وفي نسخة أنْ تكون (أنت الأمير أم أنا فقلت) له: (لا بل أنتَ فقال) لي: (وعليك الطاعة) لي (فقلت) له: (نعم فأخذ مخلاة ووضع فيها زاداً وحملها على ظهره فإذا) أي فكان إذا (قلت) له: (أعطني) المخلاة (حتى أحملها قال الأمير:) بل (أنا) أحملها (وعليك الطاعة قال: فاخذنا المطر ليلة فوقف) المروزيّ (إلى الصباح على رأسي وعليه كساء) أرخاه عليَّ من سائر جهاتي (يمنع عني المطر، فكنت أقول في نفسي: يا ليتني مت ولم أقل: أنت الأمير ثم قال لي: إذا صحبت إنساناً فأصحبه كما رأيتني صحبتك) فعلم بذلك أنه لا بدّ للجماعة من واحد منهم كامل العلم والأدب يتأمر عليهم ليسلموا من الإختلاف، وأنهم إذا أمروه التزموا وجوب طاعتهم له امتثالاً لقوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]. (وقدم شاب على أبي عليّ الروذباريّ فلما أراد الخروج) إلى السفر (قال) الشاب (يقول الشيخ: شيئاً) انتفع به في السفر (فقال: يا فتى كانوا) أي الصوفية (لا يجتمعون عن موعد ولا يتفرقون) وفي نسخة ولا يتفرقون عن (مشورة) أي لا يتعلقون بغير الله تعالى في الاجتماع، ولا في الافتراق، فمتى كان اجتماعهم هو مراد الله اجتمعوا وكذا افتراقهم وهذا إنما يحسن من الأصحاب والإخوان، أما التلامذة مع المشايخ الذين هم تحت أوامرهم فلا بدّ من استئذانهم في ذلك بل وفي سائر أحوالهم التي يفتقر فيها إلى التأديب

وعدم التأخر للاستفهام وذلك يعم المصاحبة في حقوق الحق أو الخلق.

(قوله: إذا استنجدوا الخ) أي إذا طلب منهم النجدة يبادرون إلى الإجابة، ولم يسألوا من دعاهم وطلبهم عن مطلوبه هل هو حرب أو غيره، ولا عن المكان أيضاً، هذا والغرض الحث على سرعة الإجابة. (قوله: صحبت عبد الله المروزيّ الخ) فيه تنبيه على كماله في مراعاة حق من صحبه من إخوانه المؤمنين، وذلك من الأخلاق المحمدية، ومن نعوت حقائق الإنسانية.

(قوله: كما رأيتني صحبتك) أي فاستعمل الرأفة والرحمة والنصح على عادة من أخلص لربه الصحبة. (قوله: فعلم بذلك أنه لا بدّ الخ) أي كما كان يفعل ﷺ مع أصحابه إذا أخرجهم لأمر من الأمور أراده منهم.

(قوله: فقال: يا فتى الخ) فيه حمل له عى علوّ الهمة بأنْ يعلق أمره بمرضات الله

والتعليم، وربما كان مقصود هذا الشيخ ترك الاستئذان حتى يأذن هو له ابتداء، ويكون الأولى في حقه بعد إقامته عنده أنْ لا يسافر حتى يأمره ويتبع ما أمره به. **(وعن المزين الكبير قال: كنت يوماً مع إبراهيم الخواص في بعض أسفاره فإذا عقرب تسعى على فخذه فقمت لأقتلها فمنعني)** من ذلك **(وقال)** لي: **(دعها كل شيء مفتقر إلينا، ولسنا مفتقرين إلى شيء)** غير الله فيه دلالة على أنَّ الحيوانات يسخرها الله لأوليائه وتقرب منهم لتنتفع بهم ولا تؤذيهم، وهذا من خرق العوائد لأنَّ من كمل خوفه من الله لم يخف من غيره، ومن اطمأن إلى الله واعتمد عليه اطمأنت إليه الحيوانات وسكنت إليه، ولم تنفر منه، وأراد بقوله: كل شيء الخ تعريف تلميذه بأنه محفوظاً بالله، وذو كرامات لينتفع بذلك ويقوى يقينه. **(وقال أبو عبد الله النصيبيني: سافرت ثلاثين سنة ما خطت قط خرقة على مرقعتي ولا عدلت إلى موضع علمت أنَّ لي فيه رفيقاً ولا تركت)** أي مكنت **(أحداً يحمل معي شيئاً)** فيه دلالة على قناعته باليسير من الدنيا فيحمل من الزاد إنْ احتاج إليه ما يخف فلا يحتاج إلى أنْ يحمل معه غيره شيئاً، وإنْ انخرقت له العادة استغنى عن حمل الزاد بالكلية، ويؤثر بثيابه ويقنع بثوب واحد، فإذا تغير يسر الله له بغيره فلا يحتاج إلى ترقيع ويبعد عن الشهوة، ويحتمل أنَّ الله خرق له العادة في طعامه ولباسه فيأتي بهما إليه عند حاجته فيستغني عن الترقيع والحمل.

(واعلموا أنَّ القوم استوفوا) أي استكملوا **(آداب الحضور)** مع الله ومع خلقه **(من المجاهدات ثم)** لما ظنوا أنَّهم تعلموا الصبر والزهد والتوكل والرضا وغيرها من المقامات في الحضر **(أرادوا أن يضيفوا لها شيئاً)** ليمتحنوا أنفسهم **(فأضافوا أحكام السفر إلى ذلك رياضة لنفوسهم حتى)** وفي نسخة حين **(أخرجوها عن المعلومات)** أي المألوفات **(وحملوها على مفارقة المعارف)** والأسباب ليصح لهم ما ادعته أنفسهم من الصبر والتوكل على الله كما أشار إليه بقوله: **(كيف)** وفي نسخة كي **(يعيشون مع**

تعالى، فمهما كان الفعل من الطاعات أقبل عليه بدون استئذان اكتفاءً بطلب الحق تعالى، وذلك لا ينافي أنَّ التلميذ من حقه أنْ يستأذن شيخه في كامل ما يحتاج إليه.

(قوله: فمنعني من ذلك) المقصود تقوية المريد على متابعته بإفادة أنَّ الحق تعالى كافيه كل شيء وإلا فقتلها مندوب إليه كما لا يخفى. **(قوله لم يخف من غيره)** أي بدليل قوله جلَّ اسمه: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦].

(قوله: أرادوا أن يضيفوا الخ) أي لأنهم دائماً يتجسسون على أنفسهم ويمتحنونها في دعوى المقامات لتدوم لهم أسباب الخيرات.

الله **بلا علاقة ولا واسطة)** فلا يميلون إلى جهة تسكن نفوسهم فيها إلى معلوم، **(فلم يتركوا شيئاً من أورادهم في أسفارهم)** حتى أنّهم لم يترخصوا فيها **(وقالوا: الرخص لمن كان سفره ضرورة)** يعني لحاجة في جهة معينة مسافتها مسافة قصر **(ولكن لا شغل لنا ولا ضرورة في أسفارنا علينا)** لأنا لم نقصد جهة معينة وإنما نحن مع قلوبنا وسياحتنا لقصد تأديب أنفسنا وتحقيق مقاماتنا، فلا نترخص لاختلال شرط الترخص، فإنْ فرض تعيين جهة لزيارة شيخ وكان السفر طويلاً كان لنا أنْ نترخص. **(سمعت أبا صادق بن حبيب قال: سمعت النصر أباذي يقول: ضعفت في البادية)** أي الصحراء **(مرّة فأيست من نفسي)** وقطعت إياسي منها فافتقرت إلى الله بصدق ضرورتي **(فوقع بصري على القمر وكان ذلك بالنهار فرأيت مكتوباً عليه** ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٣٧] **فاستقللت)** أي قويت على الشيء **(وفتح علي من ذلك الوقت هذا الحديث)** أي خرق العادة واللطف به في أوقات الضرورة. **(وقال أبو يعقوب السوسي: يحتاج المسافر إلى أربعة أشياء في سفره: علم يسوسه)** بحيث لا يخل بما يحتاجه في دينه وأدبه مع الله ومع المسافرين **(وورع يحجزه)** أي يكفه عن أكل الحرام وما فيه شبهة مما كان ينكف عنه في الحضر **(ووجد يحمله)** في سفره على رياضة نفسه ليتحقق له ما يدعيه من المقامات **(وخلق)** بضم الخاء **(يصونه)** في سفره من ضيق الأخلاق الغالب وقوعها فيه مع الأصحاب والإخوان، وتقدّم الأوّلان من هذه الأربعة في الفقر، **(وقيل: سُمي السفر سفراً لأنّه يسفر عن أخلاق الرجال)** أي يظهرها لأنّ المريد يمتحن به نفسه ليحقق ما ادعته نفسه من الصبر والزهد والتوكل وغيرها من مقامات الرجال، فإذا سافر بهذا القصد انكشف له من أخلاقه ودعاوي نفسه ما كان

(قوله: حتى أنّهم لم يترخصوا فيها) أي لأنّ حكمه الرخص تخفيف أنواع التكاليف، وهم رضي الله تعالى عنهم لا كلفة عندهم في طاعة ربهم، ويحتمل أنّ معناه أنّهم يمتنعون من الترخص من حيث ما فيه من حظ النفس وطلب التخفيف، وهو لا ينافي تعاطي الرخص عبودية ومتابعةً وامتثالاً.

(قوله: فوقع بصري على القمر الخ) في ذلك دلالة على أنّ الحق تعالى يخلق أسباب لطفه وقت اضطرار عبده. **(قوله: علم يسوسه)** أي علم بأحكام الطريقة المحمدية والسنة الأحمدية. **(قوله: بحيث لا يخل)** أي ولا يقع في محظور. **(قوله: ووجد يحمله)** أي شوق إلى الوصول. **(قوله: وخلق يصونه)** أي وذلك بتكلف الرضا بما يجريه الحق تعالى من أحكامه. **(قوله: من ضيق الأخلاق الخ)** أي ولذا قيل: السفر يسفر عن أخلاق الرجال ويكشفها، ولهذا يسمى سفراً.

(قوله: لأنّ المريد الخ) مراده بيان حكمة الرياضة بالسفر. **(قوله: خوفاً من أنْ**

مستتراً عنه، فيردها إلى أحكام الرياضة لتصح دعاويها وتحسن أخلاقها. (**وكان الكتانيّ إذا سافر الفقير إلى اليمن ثم رجع إليه مرّة أخرى يأمر**) أصحابه (**بهجرانه**) وأنْ لا يخالطوه خوفاً من أنْ يشوّش عليهم أحوالهم (**وإنما كان يفعل ذلك لأنّهم**) أي الناس (**كانوا يسافرون إلى اليمن ذلك الوقت لأجل الرفق**) والسعة في الدنيا وكان الكتانيّ يمنع أصحابه من ذلك، (**وقيل: كان إبراهيم الخواص لا يحمل**) معه (**شيئاً**) من الدنيا (**في السفر**) زهداً وتوكلاً (**وكان لا تفارقه الإبرة والركوة**) أي القربة (**أما الإبرة فلخياطة ثوبه إنْ تمزق ستراً للعورة، وأما الركوة فللطهارة وكان لا يرى ذلك علاقة**) أي ما يتعلق به القلب من الأعراض العاجلة، والحظوظ النفسية (**ولا معلوماً**) وسبباً وذلك صحيح لأنّه أمر دينيّ. (**وحُكي عن أبي عبد الله الرازيّ قال: خرجت من طرسوس حافياً وكان معي رفيقي فدخلنا بعض قرى الشام فجاءني فقير بحذاء**) أي نعل لألبسه (**فامتنعت من قبوله فقال لي رفيقي: إلبس هذا**) الحذاء (**فقد عييت فإنّه قد فتح عليك بهذا النعل بسببي فقلت**) له: (**مالك**) أي ما سبب قولك هذا: (**فقال:**) قد (**نزعت نعلي**) من أوّل سفرنا (**موافقة ورعاية لحق الصحبة**) فمن جملة آداب السفر موافقة الفقير رفيقه في جميع أحواله، وأنْ يؤثره بما أمكنه وإنْ آثره بشيء فقبله أدخل عليه مسرة بقبوله. (**وقيل: كان الخواص في سفر ومعه ثلاثة نفر فبلغوا مسجداً في بعض المفاوز باتوا فيه ولم يكن عليه باب**) يقيهم ألم البرد (**وكان**) في الليلة (**برد شديد فناموا فلما أصبحوا رأوه**) أي الخوّاص (**واقفاً على الباب فقالوا له في ذلك:**) أي ما سبب وقوفك هنا (**فقال: خشيت**) عليكم (**أنْ تجدوا البرد**) أي ألمه كما وجدته (**وكان قد وقف**) على الباب (**طول ليلته**) هذا من كمال الصحبة والشفقة عليهم. (**وقيل: إنّ الكتاني استأذن أمه في الحج**) نفلاً (**مرّة فأذنت له**) من غير طيب نفس بفراقه وقنع منها بذلك، ولم يبالغ في كشف حالها (**فخرج فأصاب ثوبه البول في البادية فقال: إنّ هذا الخلل في حالي فانصرف**) راجعاً إلى بلده (**فلما دق باب داره**

يشوّش الخ) أي بميل قلوبهم إلى مثل ما قصده هذا المسافر. (**قوله: لا يحمل معه شيئاً**) أي بواسطة قوّة صبره على تحمل المشاق. (**قوله: لا يحمل معه شيئاً**) أي شيئاً مما للنفس فيه حظ، فلا ينافي حمل ما يلزم في أحكام الشرع. (**قوله: بسببي**) فيه دلالة على أنّ العبد إذا فعل شيئاً يبتغي به وجه ربه يخلق له أسباب اللطف والرفق. (**قوله: فقال خشيت الخ**) فيه دلالة على أنّه قد تخلق بالخلق المحمديّ من الرأفة والرحمة. (**قوله: ولم يبالغ في كشف حالها**) أي اكتفاء بظاهر الحال عملاً بالشريعة. (**قوله: فقال إنّ هذا الخلل الخ**) أي بشاهد خبر: «وما أصاب المؤمن من مصيبة إلا بذنب ارتكبه». (**قوله:**

أجابته أمه ففتحت) له الباب **(فرآها جالسة خلف الباب فسألها عن سبب جلوسها فقالت)** له: **(مذ خرجت)** من عندي **(اعتقدت)** أي عزمت **(أنْ لا أبرح من هذا الموضع حتى أراك)** فردّه الله إليها لما علم صدقها في عدم صبرها، وهذا يدل على أنَّ من أراد أنْ يأتي بنوافل العبادات لا يأتي بها إلا مع السلامة من الإخلال بالواجبات، وأنْ يتحفظ في ذلك غاية التحفظ، فقد يبدو له بظاهر الحال السلامة، وقد لبست عليه نفسه، فلم يكمل تثبتها ولا نظرها في العواقب الدنية، ومنه ما وقع للكتانيّ فإنَّه استأذن أمه وقنع منها بأدنى إشارة ولم يبالغ في كشف حالها كما تقرر فلما سافر عنها وهي متغيرة الباطن ابتلاه الله بنجاسة في طريقه حتى رجع إليها كما تقرر، فينبغي لمن عزم على السفر أنْ يتثبت من كل محل بحيث يغلب على ظنه السلامة فيه فإنْ قدر الله بعد ذلك لشيء لم يكن عاصياً ويرجى له من الله الحفظ والسلامة. **(سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت عبد الله بن محمد الدمشقي يقول: سمعت إبراهيم بن المولد يقول: سمعت إبراهيم القصار يقول: سافرت ثلاثين سنة أصلح قلوب الناس)** من الأغنياء والفقراء **(للفقراء)** لأنَّ الغالب في السفر العجز والفاقة، فأقام رحمه الله هذه المدّة يسافر قصداً لإصلاح الناس للفقراء، وهو يكون بالفعل والقول، فإذا رأوا فعله اقتدوا به، وإذا سمعوا قوله عرفوا قدر الفقراء ورغبوا فيما رغبهم فيه، وهذا قصد جميل وغاية في الرياضة. **(وقيل: زار رجل داود الطائيّ فقال)** له: **(يا أبا سليمان كانت نفسي تنازعني)** أي تحركني **(إلى لقائك منذ زمان فقال)** لي **(لا بأس إذا كانت الأبدان هادئة والقلوب ساكنة)** أشار بذلك إلى أنَّ المقصود من الاجتماع بالإخوان إصلاح القلوب والأبدان، والاستعانة على نيل العلوم والأعمال، وإذا كان مقصود الاجتماع ذلك **(فالتلاقي)** أي الاجتماع **(أيسر)** أي أيسر ما يفوت وأحقه، فلا يبالي به، وفيه أيضاً إشارة إلى التحذير من آفات الاجتماع لأنَّ الأخوين إذا كانوا متباعدين مشتاقين للاجتماع، فإذا اجتمعا سكن

وقد لبست عليه نفسه) الواو للحال. **(قوله: أنْ يتثبت من كل محل)** أي في كل موطن من مواطن العبادة.

(قوله: فإنْ قدر الله بعد ذلك بشيء) أي بشيء لم يقصر في سببه. **(قوله: أصلح قلوب الناس الخ)** أي وذلك منه للتأليف لمن أحبهم الله تعالى واختارهم لرحمته قصداً للخير وامتثالاً لخبر: «اتخذوا عند الفقراء أيادي فإنَّ لهم دولة يوم القيامة». **(قوله: والقلوب ساكنة)** أي دائمة التلعق به تعالى كاتمة أسرار ربها مما منحها من أسباب الاصطفاء.

كل منهما إلى الآخر وأظهر من علومه وأعماله وألطاف ربه به ما يخشى عليه أنْ يكون بذلك مرائياً أو مفاخراً، وأيسره إظهار ما ستره الله من أعماله الصالحة.
(سمعت أبا نصر الصوفيّ رحمه الله وكان من أصحاب النصر أباذي يقول: خرجت من البحر بعمان) بضم العين وتخفيف الميم بلدة **(وقد أثر فيّ الجوع فكنت أمرّ في السوق فبلغت حانوت حلاوى فرأيت)** فيه **(حملاناً)** بضم الحاء وإسكان الميم جمع حمل بفتحهما أي خرفاناً **(مشوية وحلاوات فتعلقت برجل وقلت)** له لما لحقني من الجوع لطول إقامتي في البحر واحتجت إلى ما يصلح به بدني للقوّة على الطاعة، وقراءة القرآن، ونحوه لا للشهوة **(اشتر لي من هذه الأشياء فقال)** لي **(لماذا)** اشتري لك **(ألك عليّ شيء أو)** لك **(عليّ دين)** الأولى ألك عندي شيء أو علي دين **(فقلت)** له: لا لكن **(لا بدّ أنْ تشتري لي من هذا فرآني رجل)** من أهل الخير **(فقال)** لي: **(خله)** عنك **(يا فتى ذاك)** الذي طلبت منه الشراء **(أنا لا هو)** أي الذي يجب عليه أنْ يشتري لك ما تريد هو أنا لا هو **(اقترح عليّ)** أي اسألني ما شئت بغير روية **(واحكم عليّ (بما تريد ثم)** بعد أنْ قال ذلك: **(اشترى لي ما أردت ومر)** وفي نسخة ومضى، وفي ذلك صحة همة هذا الفقير وأنَّه لم يطلب ذلك شهوة بل دواء وكأنه لما وصل إلى الموضع الذي فيه الشواء والحلوى علق همته بالله، وتسبب فلقي رجلاً ظاهره السعة فقال له: اشتر لي من هذا فقابله بالمعتاد من قوله: ألك عليّ شيء أو عليّ دين، فكل منهما تكلم من حاله، فالفقير تسبب وقلبه عند المسبب، والرجل ظنه سائلاً للشهوة ولم يعلم حاله.

فلما كمل صدق الفقير لمولاه ساق له ممن يحب الفقراء من رأى عليه آثار الفاقة فحصل له مقصوده.

(وحُكي عن أبي الحسين المصريّ قال: اتفقت مع الشجريّ في) بمعنى على **(السفر من طرابلس فسرنا أياماً لم نأكل شيئاً فرأيت قرعاً مطروحاً فأخذت آكله فالتفت إليّ الشيخ ولم يقل شيئاً فرميت به وعلمت أنه كره)** مني **(ذلك ثم فتح علينا بخمسة دنانير فدخلنا قرية فقلت: يشتري الشيخ)** لنا شيئاً نأكله **(لا محالة فمر ولم**

(قوله: وقلت له لما لحقني من الجوع) أي قال ذلك لا للشهوة الحيوانية فقط بل للتقوى على ما خلق له من العبادة. **(قوله: الأولى ألك)** أي لأجل أنْ يتغاير المعطوفان.

(قوله: فكل منهما تكلم من حاله) أي على حسب شربه ونصبه لأنَّ كل إناء بما فيه ينضح. **(قوله: فلما كمل صدق الفقير الخ)** أي ويدل له قوله جل ذكره: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢]. **(قوله: وعلمت أنَّه كره مني ذلك)** أي

يفعل ثم قال لي الشيخ) لعلك تقول نمشي **(نحن جياعاً ولم يشتر لنا شيئاً هو ذا)** أي الأمر قد قرب **(فوافي اليهودية قرية على الطريق وثم رجل صاحب عيال إذا دخلناها يشتغل بنا فأدفعها)** أنا **(إليه لينفقها علينا وعلى عياله فوصلنا إليها ودفع الدنانير إلى الرجل فأنفقها)** علينا وعلى عياله **(فلما خرجنا قال لي: إلى أين يا أبا الحسين فقلت: أسير معك فقال)** لي: **(لا إنك تخوّنني في قرعة وتصحبني)** أي لا تصحبني **(وأبى أنْ يصحبني)** معه وفي نسخة أنْ أصحبه، فيه دلالة على أنه ينبغي للتلميذ أنْ يحفظ قلوب المشايخ الذين يقتدي بهم فلا يفعل شيئاً بغير إذنهم لئلا يكون سبباً لمفارقته لهم وفوت مقصوده منهم، وعلى أنّه إذا رأى مع الشيخ مالاً ولم يخرجه للفقراء وأمسكه فلا يسرع بالاعتراض عليه وينسبه إلى حب الدنيا فيهلك، فإنَّ إمساكها يختلف حكمه باختلاف المقاصد الصحيحة أو الفاسدة، ومن المقاصد الصحيحة حفظه هذه الدنانير ليصل بها إلى ذلك الرجل الصالح لينفقها على نفسه وعائلته، ومن يطرقه من الصالحين.

(سمعت محمد بن عبد الله الشيرازيّ رحمه الله يقول: كنت في حال حداثتي) أي شبوبيتي **(استقبلني بعض الفقراء فرأى فيّ أثر الضر والجوع فادخلني داره وقدم لي لحم طبخ بالكشك واللحم)** لكون الفقير قدده ليدخل به مسرة على إخوانه المعدمين، ولم يكن يحسن التقديد **(متغير فكنت آكل الثريد وأتجنب اللحم لتغيره)** والفقير يجده طيباً لاعتياده به **(فلقمني لقمة)** بها لحم **(فأكلتها بجهد ثم لقمني ثانية فبلغتني مشقة فرأى ذلك في وخجل)** لأجلي **(وخجلت لأجله فخرجت وانزعجت)** أي تحركت **(في الحال للسفر)** للحج **(فأرسلت إلى والدتي من يخبرها)** بسفري إلى الحج **(ويحمل إليّ مرقعتي فلم تعارضني الوالدة ورضيت بخروجي فارتحلت من القادسية مع جماعة من الفقراء فتهنا)** عن الطريق **(ونفد)** أي فني **(ما معنا)** من الزاد **(وأشرفنا على التلف فوصلنا إلى حي من أحياء العرب ولم نجد شيئاً)** نأكله **(فاضطررنا إلى أنْ اشترينا منهم كلباً بدنانير)** فذبحه جماعتي **(وشووه وأعطوني قطعة من لحمه فلما أردت أكله فكرت في حالي فوقع لي أنّه عقوبة خجل ذلك الفقير فتبت)** إلى الله **(في نفسي)** وعزمت على أنْ أحترس من أذية الإخوان، وأتحمل ما يرد منهم من هذا ونحوه،

حملاً على علوّ الهمة بدوام العفة والبعد عن ضدّ ذلك. **(قوله: أنْ يحفظ قلوب المشايخ)** أي بالصبر وعدم الاعتراض على ما يبدو منهم مما لا يلائم المألوف. **(قوله: واللحم)** مبتدأ خبره قوله: متغير. **(قوله: إلى أنْ اشترينا)** أي فعلنا ما هو على صورة الشراء لكون شراء مثل الكلب باطلاً. **(قوله: وشووا لي وأعطوني الخ)** أي لأنَّ الضرورات تبيح المحظورات. **(قوله: وأتحمل ما يرد منهم)** أي مما لا ضرر فيه على النفس لأنَّ الشارع

وقصدنا المضي إلى مقصدنا (**فدلونا على الطريق فمضيت وحججت، ثم رجعت معتذراً إلى الفقير**). في ذلك دلالة على أن العبد إذا كره شيئاً ألزمه به غيره من الإخوان يتحمل مشقة تعاطيه وإنْ كانت نفسه تكرهه لعدم اعتياده به، فهذا الفقير لما رأى ابن خفيف وما هو من أثر الجوع أكرمه بأطيب ما يقدر عليه لحسن ظنه به، فلما رأى ابن خفيف اللحم متغيراً تركه فظن الفقير أنّه إنما تركه زهداً وتخفيفاً على الفقير فأخذ لقمة بها لحم وجعلها في فمه فتكلف أكلها وظهر عليه آثار التكلف والفقير على نيته ولم يتجسس فناوله أخرى فلم يمكنه تركها ومضغها وتغير حاله منها، وفطن الفقير لتغيره وتألم لذلك واحتشم وفطن ابن خفيف لما تأذى به الفقير وخرج من عنده وسافر وهو متألم لكونه لم يتكلف بلعها، ولم يظهر للفقيرشيئاً يؤذيه بقي متجسساً لما يجريه الله عليه أدباً في ذلك حتى أخذه الجوع مع أَصحابه إلى أنْ اشتروا كلباً من بعض البوادي وشووه وأعطوه منه قطعة فأكلها بفاقة الجوع فوقع في قلبه لو كنت فيما وقع لك من الفقير جائعاً لما تأذى منك باللحم الذي قدمه لك وتأدب كما تقرر.

ناظر لصحة الأبدان ما أمكن. (**قوله: يتحمل مشقة تعاطيه**) أي لإدخال المسرة على أخيه الذي قدمه له. (**قوله: فتكلف أكلها**) أي لظن عدم الضرر وإلا فلا ينبغي أكلها دفعاً للضرر.

باب الصحبة

في الله تعالى وهي ممدوحة ومطلوبة. (**قال الله عز وجل: ﴿ثاني اثنين﴾**) [التوبة: ٤٠] هما النبيّ ﷺ وأبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه (**إذ هما في الغار إذ يقول:**) أي النبيّ (**لصاحبه**) أي الصدّيق (**«لا تحزن إنَّ الله معنا»**)(١) بنصره (**لما**

باب الصحبة

هي مطلق الاجتماع ولو قل الزمن، غير أنَّ العرف يخصها بطوله وهي على ثلاثة أقسام كما سيأتي: صحبة الأدنى والمماثل والأعلى، فصحبة الأدنى يشترط فيها الرفق به والرحمة له والتنبيه على ما به الكمال، والزجر عن أسباب النقص، وصحبة القرين يعتبر فيها الإغضاء والتغافل مع الحمل على أحسن وجوه التأويل فيما ظاهره يخالف سنن المتابعة، وصحبة الأعلى وهي في الحقيقة خدمة يلزم لها التسليم والبعد عن أسباب الاعتراض، وغير ذلك مما يعتبر في صحبة الأصاغر للأكابر. (**قوله: الصحبة في الله**) أي مع الإخوان المؤمنين، واعلم وفقني الله وإياك أنَّ الإخوان أربعة أخ كالدواء، وأخ كالغذاء، وأخ كالداء، وأخ كالدفلى، فالأوَّل معدوم، والثاني مفقود، والثالث موجود، والرابع مشهود، أما الأول فكمثل المشايخ الذين أهلهم الله لتربية المريدين وكالصلحاء والعلماء العاملين وأنت ترى خلو هذا الزمان ممن هذه صفته، وأما الثاني فهو مثل الأخ في الله الشقيق الودود الرحيم الحنون الذي يؤلمه ما يؤلمك، ويسره ما يسرك، فيكابد ما نزل بك أكثر من مكابدة ما نزل به وأنت يا أخي كما لا يخفاك ترى فقده في هذا الزمان لكن بين الفقد والعدم فرق، وهو أنَّ المعدوم لا يوجد البتة، والمفقود قد يوجد في موضع ما، والثالث والرابع غني عن أن يُذكر وبعيد من أنْ يحصر، فلا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم.

(**قوله: الصحبة في الله**) أي في طلب مرضاته أو لأجلها ففي على بابها أو بمعنى لام التعليل. (**قوله: قال الله عز وجل الخ**) دليل على مدحها وطلبها بالخلق المحمديّ مع صاحبه. (**قوله: ثاني اثنين**) قبل هذه ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٤٠] أي إنْ لم تنصروه فسينصره الله الذي قد نصره في وقت ضرورة أشد من هذه المدّة، فحذف

---

(١) أخرجه البخاري (مناقب ٢٥) (فضائل الصحابة ٢) ومسلم (زهد ٧٥) وأحمد بن حنبل (١، ٣).

الجزاء وأُقيم سببه مقامه إذ أخرجه الذين كفروا أي تسببوا لخروجه حيث أذن له عليه السلام في ذلك حين هموا بإخراجه ثاني اثنين حال من ضميره ﷺ أي أحد اثنين من غير اعتبار كونه عليه الصلاة والسلام ثانياً، وقوله: إذ هما في الغار بدل من إذ أخرجه بدل البعض إذ المراد به زمان متسع، والغار نقب في جبل على يمين مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثاً، وقوله: إذ يقول: بدل ثان أو ظرف لثاني لصاحبه أي الصدّيق لا تحزن إن الله معنا أي بالعون والحفظ والعظمة، والمراد بالمعية الولاية الدائمة التي لا يحوم حول صاحبها شائبة شيء من الحزن، وفي ذلك دلالة على أنّ الانزعاج والحزن إنما كان للصدّيق وأما حاله ﷺ فالسكينة والثبات على جري عادته الشريفة. **(قوله: إذ يقول لصاحبه: الخ)** أي ففيه الإشارة إلى واجب الصحبة من تحمل الأذى منه وعنه وإدخال السرور عليه وغير ذلك.

تنبيه:

اعلم أرشدني الله وإياك أن من جملة ما يلزم مراعاته في الصحبة أن المريد إذا ابتلي بالاجتماع والخلطة بالناس مع الأذية له منهم والجفاء، وقول المكروه في حقه أنْ ينظر في أمرهم، ويرجع إلى تفتيش خبايا نفسه، فما قيل فيه فقد يكون حقاً فإنْ وجده في نفسه علم أنَّ هذا القائل نذير جاءه من قبل ربه ليتوب أو يوقع به النكال، فعليه أن يبادر إلى التوبة والرجوع، ويرى الفضل والإحسان لهذا القائل، وإنْ لم يجده في نفسه يحتاج حينئذ إلى ثلاثة أشياء الأول أنْ يمتثل السنة بالدعاء الوارد في ذلك حيث يقول ﷺ: «من رأى منكم مبتلي فليقل: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً»[1] إذ لا شك أنَّ الابتلاء في الدين أعظم من الابتلاء في البدن، ولا سيما مع تعلق حق الغير به، الثاني أنَّه يتعين عليه الشكر من وجهين: أنْ يشكر الله على سلامته مما قيل فيه، وعلى سلامته مما وقع أخوه فيه.

وفي كتاب يمن بن رزين رحمه الله من ساءه الذم وأعجبه المدح فهو ذكر الصورة خنثوي العزيمة، وقال: لو قال لي قائل: أنَّ من لم يأخذ بحظه من الفقر لم يجد طعم الإيمان لما خالفته، ولو أخبرني مخبر أنَّ تسعة أعشار العافية في الخمول والغنى عن الناس لصدقته، وقال: من وطن نفسه على أنَّ الدنيا دار نصب وتعب لم ينكر ما نزل به منها، وأخذ من الراحة بحظ وافر، وقال: تقديم صدق اللجا إلى الله عز وجل في مبادىء الحاجات عنوان على نجح غايتها، وقال: ففكر في الموت تهن عليك المصائب، وقال: ما رأيت أفقه من النفس في شهواتها، ولا أجرأ من الإنسان، ولا أشد تقلباً من القلب،

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في (المسند ٣/ ١٥٥).

الشفقة) والخلاص من ألم الحزن **(فقال تعالى: إذ يقول لصاحبه: لا تحزن إنَّ الله معنا فالحر شفيق على من يصحبه)** كما فعل النبي مع الصديق. **(أخبرنا عليّ بن أحمد الأهوازيّ رحمه الله قال: أخبرنا أحمد بن عبيد البصريّ قال: حدثنا يحيى بن محمد الجيانيّ قال: حدثنا عثمان بن عبد الله القرشيّ عن نعيم بن سالم عن أنس بن مالك)** رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: «متى ألقى أحبابي» فقال)** له **(أصحابه: بأبينا أنت وأمنا أولسنا أحبابك قال)** لهم: **(«أنتم أصحابي)** أما **(أحبابي)** فهم **(قوم لم يروني وآمنوا بي وأنا إليهم بالأشواق أكثر»)**[1] وفي نسخة بدل أحبابي إخواني ويدل لها رواية أنَّ النبي ﷺ قال: «وددت لو رأيت إخواني قالوا: أو لسنا إخوانك يا رسول الله قال: أنتم أصحابي»[2] الخبر، وبالجملة فالصحبة له ﷺ آكد من الأخوة والمحبة **(والصحبة على ثلاثة أقسام)** الأول **(صحبة مع من)** هو **(فوقك)** في المنزلة من دين أو علم أو نحوه **(وهي في الحقيقة خدمة)** فحقك في صحبته الإخلاص والخدمة له، **(و)** الثاني **(صحبة مع من)** هو **(دونك)** فيما ذكر **(وهي**

ولا أعدم من الإخوان، ولا أقل من الإخلاص، ولا أكثر من الأمل، وقال: الصمت وغض البصر مفتاحان لأبواب القلوب، وقال: من أحب أنْ لا تكون له منزلة عند الناس تربع في بحبوحة العافية، وقال: ليس إلا دنيا وآخرة، فإنْ أردت الجمع بينهما رمت محالاً وذهبتا عنك معاً فاختر لنفسك، وقال: اطمع في رحمة الله على أي حال كنت من التفريط، ولا تأمن مكره على أي حال كنت من الاجتهاد، وإياك واليأس من رحمة مولاك واحذر الأماني فإنَّها اغترار، واعلم أنَّ الكافر لو علم سعة رحمة الله ما يئس، وأنَّ المؤمن لو علم كنه عقاب الله لمات خوفاً والسلام.

(قوله: بأبينا أنت وأمنا) أي نفديك بهما. **(قوله: قال لهم: أنتم أصحابي)** أي فأشار ﷺ إلى الفرق بينهم وبين غيرهم ممن آمن بالغيب، ومحصل الفرق أنَّ الأصحاب من هاموا بالرؤية والذكر، وغيرهم من هام بالسماع والفكر، ولا يخفى عليك ما راء كمن سمع. **(قوله: لم يروني الخ)** فيه الإشارة إلى أنَّ سبب محبتهم أنهم آمنوا بالغيب، وإنْ كان فضل الصحبة أعظم كما هو معلوم. **(قوله: وأنا إليهم بالأشواق أكثر)** أي لأنَّ جزاء المحب أنَّه يحب ولا سيما من هام بالصفات، ولم يتجل عليه جمال شهود الذات. **(قوله: وبالجملة الخ)** أي لأنَّ المزية لا توجب الأفضلية. **(قوله: الإخلاص والخدمة له)** أي وغاية التسليم والبعد عن أسباب الاعتراض التي ربما أدت إلى الهلاك. **(قوله:**

---

(١) أخرجه الهيثمي في (مجمع الزوائد ١٠/ ٦٦).
(٢) أخرجه ابن ماجه (طهارة ١٠).

تقضي) للتابع (على المتبوع بالشفقة والرحمة و) للمتبوع (على التابع بالوفاق والحرمة، و) الثالث (صحبة الأكفاء والنظراء) أي من يساويك فيما ذكر (وهي مبنية على الإيثار والفتوة) على غيرك (فمن صحب شيخاً فوقه في الرتبة فأدبه ترك الاعتراض) عليه (وحمل ما يبدو منه على وجه جميل وتلقى أحواله بالإيمان به) أي التصديق بحاله وبأنَّه حق. (سمعت منصور بن خلف المغربي و) قد (سأله بعض أصحابنا) وهو الشيخ أبو يعفور الطوسيّ كما وجد في نسخة (كم سنة صحبت أبا عثمان المغربي) وفي نسخة مع أبي عثمان المغربي (فنظر إليه شزراً) أي نظر الغضبان بمؤخر العين (وقال: إني لم أصحبه بل خدمته مدة) لأنه كان فوقي. (وأما إذا صحبك من هو دونك فالخيانة منك في حق صحبته أنْ لا تتبهه على ما فيه من نقصان في حالته و) لهذا (كتب أبو الخير التيناتي إلى جعفر بن محمد بن نصير وزر جهل الفقراء) أي إثمه (عليكم لأنكم اشتغلتم بنفوسكم) أي بإصلاحها وحسن حالها مع الله (عن تأديبهم فبقوا جهله) فحق من صحب من دونه أنْ يعلمه ما جهله ويؤدّبه فيما أساء فيه، ويحمل ما يبدو من جهله لأنَّه قريب عهد بجهالة، (وأما إذا صحبت من هو في درجتك فسبيلك التعامي) وفي نسخة التغاضي (عن عيوبه وحمل ما ترى منه) من نقصان (على وجه من التأويل جميل ما أمكنك فإنْ لم تجد تأويلاً عدت إلى نفسك بالتهمة و) إلى (التزام اللائمة)، وقريب منه ما رُوي عن عمر رضي الله عنه أنَّه قال: لا تظنن بكلمة خرجت من في أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً، فإنْ لم تجد فقل: لا أعلم. (سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول: قال) لي (أحمد بن أبي الحواريّ قلت لأبي سليمان الداراني أنَّ فلاناً لا يقع من قلبي) موقعاً (فقال) لي (أبو سليمان، وليس يقع) موقعاً (أيضاً من قلبي ولكن يا أحمد لعلنا

بالوفاق والحرمة) أي بالموافقة له والاحترام بحيث لو بدى منه ما ظاهره يخالف فيرتكب له حسن التأويل والحمل على أحسن الوجوه وإلا يمكنه ذلك يرجع على نفسه بالاتهام. **(قوله: وهي مبنية على الإيثار والفتوة)** أي تقديم الغير على النفس، وقوّة البذل للمال والجاه بل وللنفس. **(قوله: وزر جهل الفقراء)** أي إثمهم الحاصل لهم بجهلهم كائن عليكم لتقصيركم في عدم تأديبهم وتعليمهم ما يلزمهم.

(قوله: فسبيلك التعامي) أي التغافل، وذلك من شيم العقلاء، ومن ذلك ندبت المداراة وقيل:

ليس الغبي بسيد في قومه   لكن سيد قومه المتغابي

(قوله: لا تظنن الخ) أي عملاً بقول جل من قائل: ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢] أي ولتحسين الظن بالمسلمين. **(قوله: ولكن يا أحمد الخ)** فيه الرجوع

أتينا من قبلنا لسنا من جملة الصالحين فلسنا نحبهم) أي حقنا أنْ نحبهم وإنْ لم نكن منهم، وفي ذلك دلالة على أنَّه ينبغي للعبد إذا وجد نقصاً في غيره أن يرده إلى نفسه، وعلى أنَّ حق كل من المتكافئين أنْ ينبه صاحبه فيما يحتاج إلى التنبيه فيه برفق وحسن سياسة. **(وقيل: صحب رجل إبراهيم بن أدهم فلما أراد أن يفارقه قال له الرجل: إنْ)** كنت **(رأيت في عيباً فنبهني)** عليه **(فقال)** له **(إبراهيم: إني لم أر لك عيباً لأني لاحظتك بعين الوداد)** أي المحبة لا بعين الانتقاد **(فاستحسنت منك ما رأيت)** فما رأيت فيك عيباً **(فسل غيري عن عيبك وفي معناه أنشدوا:**

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ... ولكن عين السخط تبدي المساويا

في ذلك دلالة على أنَّ حق كل من المتكافئين أنْ يحمل ما يبدو من صاحبه على أحسن المحامل. **(وحُكي عن إبراهيم بن شيبان أنَّه قال: كنا لا نصحب من يقول: نعلي)** ويدل لذلك قوله: **(سمعت أبا حاتم الصوفي يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول: قال أبو أحمد القلانسي: وكان من أستاذي الجنيد صحبت أقواماً بالبصرة فأكرموني فقلت مرة لبعضهم: أين إزاري فسقطت من أعينهم)** لأنهم يرون أنَّ الدنيا إنما هي زاد يستعان بها على سلوك طريق الآخرة، فلا يليق بأحد منهم لكون أيديهم فيما يحتاجونه متساوية أنْ يختص بشيء دون بقيتهم، فلا يقول: نعلي ولا إزاري ولا طعامي بل إذا سأل قال: أين النعل وأين الإزار، وأين الطعام، فإن خالطهم من يدعي مُلكاً لنفسه سقط من أعينهم لمخالفته ما هم عليه. **(وسمعت أبا حاتم يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول: سمعت الرقي يقول: سمعت الزقاق يقول)** لي: **(منذ أربعين سنة أصحب هؤلاء)** الصوفية **(فما رأيت رفقاً لأصحابنا)** أي لم أرهم يرتفقون في مطعمهم

على النفس بالاتهام، وهو الأولى بمثل هؤلاء. **(قوله: لعلنا أتينا من قبلنا)** أي من قبل دسانس أنفسنا.

(قوله: أي حقنا أنْ نحبهم) أي لنحشر معهم وفي زمرتهم فنحظى ببركاتهم. **(قوله: إذا وجد نقصاً في غيره)** أي مما يحتمل التأويل والصرف لوجه جميل.

(قوله: لأني لاحظتك بعين الوداد) أي والمحب لا يرى عيباً في المحبوب. **(قوله: وعين الرضا الخ)** أي العين التي تبصر عن محبة وميل قلب كليلة كالة عن رؤية العيوب، وإنما العين التي تظهر السيئات هي عين السخط والبغض.

(قوله: من يقول: نعلي) أي لأنَّ الإضافة تؤذن بالملك أو الاستحقاق أو الاختصاص، وذلك غير مذهبهم نعم لا يضر الاختصاص من عامة الناس. **(قوله: إلا من بعضهم لبعض)** أي بعداً منهم عن منة من ليس منهم وعما فيه شبهة. **(قوله: أكل الحرام**

ولا ملبسهم ولا غيرهما **(إلا من بعضهم لبعض أو ممن يحبهم)** من الصالحين بأنْ يكون لبعضهم أو لمن يحبهم مال للكسب أو نحوه دون بعضهم فينفقه عليهم **(ومن لم يصحبه التقوى والورع في هذا الأمر)** أي الارتفاق بأنْ يأخذ العبد الأموال من الظلمة أو غيرهم ممن لا يتبعون الشريعة في معاملتهم **(أكل الحرام النص)** أي الخالص أو ما فيه شبهة. **(سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: قال رجل لسهل بن عبد الله)** المكنى بأبي عبد الله: **(أريد أنْ أصحبك يا أبا محمد فقال)** له: **(إذا مات أحدنا فمن يصحبه الباقي)** منا **(فقال:)** يصحب **(الله فقال له: فليصحبه الآن)** بأنْ يعلق همته به، ولا ينافي ذلك صحبة من ينتفع به ويتأدّب بآدابه كالصالحين هذا مقام الإحسان، وفيه صحة إطلاق الصحبة على الله، ويؤيده الخبر «اللهم أنت الصاحب في السفر»[1] **(وصحب رجل رجلاً مدة بدا لأحدهما المفارقة)** للآخر **(فاستأذن صاحبه)** فيها **(فقال)** له: أذنت لك **(بشرط أنْ لا تصحب أحداً إلا إذا كان فوقنا)** مرتبة ثم بدا له فقال: **(وإنْ كان أيضاً فوقنا)** أحد **(فلا تصحبه لأنّك صحبتنا أوّلاً)** فيه إرشاد حسن ونصح بالغ لحفظ حرمة الصاحب الأوّل، فإنّ حق العبد أنْ لا ينتقل إلى حال أنزل مما كان فيه أو مثله، وإنما نهاه عن الانتقال إلى ما هو أعلى منه حفظاً للعهد القديم، وخوفاً عليه من أنّه إذا صحب من فوقه يقع في قلبه انتقاص لمن فارقه فيقع في خطأ وزلل لأنّ الأوّل سبب رفعته وسعادته **(فقال)** له **(الرجل)** حين سمع مقالته وعرف الحق فيها: **(زال من قلبي**

النص) أي حيث تسبب فيه فربما وقع فيه. **(قوله: فليصحبه الآن)** الغرض الحث على علو الهمة فلا ينافي طلب الصحبة في الله كما أشار إليه الشارح.

(قوله: وهذا مقام الإحسان) أي مراقبة الله تعالى في كل الأحوال. **(قوله: بشرط أنْ لا تصحب أحداً الخ)** محصله حفظ حرمة المشايخ في دائم الأوقات. **(قوله: يقع في قلبه)** أي ربما يكون ذلك فإنْ أمن على نفسه فلا مانع من الانتقال. **(قوله: صحبني رجل الخ)** في ذلك دلالة على قوّة هضمه لنفسه واتهامها فيما يبدو منها، وذلك من شيم الكمل.

(قوله: وقلت له: ضع رجلك على خدي) أقول: وإنْ لم يكن لمثل هذا شاهد من الشرع غير أنّه إذا تعين للمداواة فلا مانع منه.

(قوله: فلما زال عن قلبي الخ) اعلم أنّ مثل هذه القلوب مجاري إرادة الحق تعالى وخزائن علمه، ومحل سره، فكلما دارت أسرارهم في دار القدر ألقت العلوم والأسرار

---

(١) أخرجه الترمذي (دعوات ٤٦) والدارمي (استئذان ٤٢).

إرادة المفارقة) لك وجلس معه ورغب في صحبته، وعرف منه كمال محبته حيث أرشده إلى ما يسلم به في دينه ويعلو به في درجته **(سمعت أبا حاتم الصوفيّ يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول: سمعت الزقيّ يقول: سمعت الكتانيّ يقول: صحبني رجل وكان على قلبي ثقيلاً)** بغير سبب أعرفه ففكرت في سببه فلم أعرفه **(فوهبت له شيئاً)** تطيب به نفسه **(ليزول ما في قلبي)** من ثقله لخبر «تهادوا تحابوا»[1] **(لم يزل)** فأردت أنْ أذل نفسي له إذ لم تتصلح بالإحسان **(فحملته إلى بيتي وقلت له: ضع رجلك على خدي فأبى فقلت)** له: **(لا بد)** من ذلك **(ففعل واعتقدت)** أي عزمت عليه **(أنْ لا يرفع رجله من)** فوق **(خدي حتى يرفع الله من قلبي ما كنت أجده)** من ثقله **(فلما زال عن قلبي ما كنت أجده قلت له: ارفع رجلك الآن)**، هذا منشؤه اتهام النفس في سوء أخلاقها وكراهتها لغيرها بلا سبب يقتضي ذلك بل ربما بلغ العبد عن غيره كلام ولم يرده به، فتوهم أنّه أراده به فكرهه ونفر منه، وذلك من دسائس النفس والشيطان فيداوي العبد نفسه بمثل ذلك. **(وكان إبراهيم بن أدهم يعمل في الحصاد وحفظ البساتين وغيره)** أي غير ذلك **(وينفق على أصحابه)** أجرته كان يسلمها لبعض أصحابه يشتري بها نفقتهم، **(وقيل: كان)** إبراهيم **(مع جماعة من أصحابه فكان يعمل بالنهار)** فيما ذكر **(وينفق عليهم ويجتمعون بالليل في موضع، وهم صيام، فكان يبطىء في الرجوع)** إليهم **(من العمل)** وربما يشتغل بعبادته قبل العشاء وبعدها بساعة **(فقالوا ليلة)** لما تأخر عنهم وكرهوا الصبر إلى وقت مجيئه: **(تعالوا نأكل فطورنا دونه حتى يعود بعد هذا أسرع)** فلا يعود إلى الإبطاء **(فأفطروا)** على ما معهم **(وناموا فلما رجع إبراهيم وجدهم نياماً فقال)** في نفسه: **(مساكين لعلهم لم يكن لهم طعام)** يفطرون عليه فناموا جياعاً إذ لو كان عندهم طعام لانتظروني **(فعمد)** بفتح الميم أي قصد **(إلى شيء من**

فصاروا جلساء ذلك البيت وجاءهم البسط من كل جانب وقوي جناحهم فطاروا إلى سرادقات ذلك الجناب، وصارت برجهم، فإنْ سقطوا فهم في صحن الدار يتقلبون بين يدي رب الملك دعاة مجابون محببون مجذوبون، فالقلب مع الرب والسر مع السر فيا هذا صدور الصديقين قبور رسل رب العالمين فيها نجوم العلم وشموس المعارف، وبهذه الأنوار تستضيء الملائكة.

(قوله: وكان إبراهيم الخ) في هذه القصة والتي بعدها دلالة على زيادة محبته للخير وفنائه عن نفسه مع حسن أخلاقه مع أصحابه، وكل ذلك سهل بالنسبة لمن وفقه مولاه، وسبق له منه اصطفاه. **(قوله: حتى يعود بعد هذا)** أي بعد فعلنا هذا أسرع أي من فعله

---

(١) أخرجه الموطأ (حسن الخلق ١٦).

الدقيق كان هناك فعجنه وأوقد النار وطرح الملة) بفتح الميم أي الرماد الحار على العجين ووضع خده على التراب ينفخ في النار لينضج العجين **(فانتبهوا وهو ينفخ في النار واضعاً محاسنه على التراب فقالوا له في ذلك:)** أي ما سببه **(فقال)** لهم **(لعلكم لم تجدوا فطوراً فنمتم)** جياعاً **(فأحببت أنْ تستيقظوا والملة قد أدركت)** نضج العجين **(فقال بعضهم لبعض: انظروا إيش الذي عملنا)** معه **(وما الذي به يعاملنا)** فعرفوا فضله عليهم فيما فعلوه وفعل بهم، حيث كان يتعب بالنهار لهم ويتأوّل لهم التأويل الحسن في فعلهم، ثم يسعى في إدخال الراحة عليهم، وفي ذلك دلالة على كمال الصحبة الحسنة.

(وقيل: كان إبراهيم بن أدهم إذا صحبه) أي رغب في صحبته **(أحد شارطه)** اختباراً له **(على ثلاثة أشياء)** الأوّل والثاني **(أنْ تكون الخدمة والأذان له)** طلباً لزيادة الفضيلة مع التواضع، فطلب الخدمة والأذان لا الإمارة والسيادة لما ورد أنَّ «سيد القوم خادمهم والمؤذنون أطول أعناقاً يوم القيامة» لعلوّ ذكر الله بأفواههم ودعائهم بها عباد الله لطاعته **(و)** الثالث **(أنْ تكون يده في جميع ما يفتح الله عليهم)** به **(من الدنيا كيدهم)** في الانتفاع به والتصرف فيه لكنه المتولي أمره بالخدمة ليكمل كونه خادماً، ولأنَّ ردّ الأمر إلى واحد منهم يمنع من التشاجر والاختلاف بينهم.

(فقال له يوماً رجل من أصحابه) لما سمع مشارطته: **(أنا لا أقدر على هذا)** فلا أقدر على صحبتك **(فقال)** له: **(أعجبني صدقك)** وخلصت من عهدة الصحبة **(وقال يوسف بن الحسين: قلت لذي النون)** المصريّ **(مع من أصحب فقال: مع من لا تكتمه شيئاً يعلمه الله تعالى منك)** فلا ينبغي لك أنْ تصحب أحداً حتى تمتحنه زماناً طويلاً، وتعرف أخلاقه لا سيما في الأسفار فمتى لم تتثبت فيمن تريد أنْ تصحبه ظهر لك غالباً من أخلاقه ما يؤدّي إلى مشاجرته ومقاطعته فترك ذلك أولى لك قبل

الذي اعتاده. **(قوله طلباً لزيادة الفضيلة الخ)** إنْ قلت: فيه إيثار النفس مع خبر «حب لأخيك ما تحب لنفسك» قلت: سهله ظاهر الحال من الامتهان على أنَّ الإيثار إنما يطلب في المباحات لا في القربات.

(قوله: أطول أعناقاً الخ) يحتمل أنَّ الكلام على ظاهره من طول الأعناق حقيقة، ويحتمل أنّه كناية عن قوّة الرجاء منهم بسبب فضيلة الأذان والله أعلم.

(قوله: فقال: مع من لا تكتمه شيئاً) أي مما يصح إعلامه به من قبل علم الشريعة وإلا فلا يصح الإعلام به ونهاية الغرض الحث على التثبت، والبحث عن أخلاق من يراد للصحبة. **(قوله: حتى تمتحنه)** أي ويشهد له خبر «أخبر نقله». **(قوله: إنْ كنت ممن**

الدخول فيه، **(وقال سهل بن عبد الله لرجل: إنْ كنت ممن يخاف السباع فلا تصحبني)** لأنَّ الأسفار والبراريّ محل طروق الآفات ووجود المخوفات من الجوع والعطش، والحرّ، والبرد، واللصوص والسباع، ونحوها.

(سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت محمد بن الحسن العلويّ يقول: حدثنا عبد الرحمن بن حمدان قال: حدثنا أبو القاسم بن منبه قال: سمعت بشر بن الحرث يقول: صحبة الأشرار) ولو مع الجهل بحالهم **(تورث سوء الظن بالأخيار)** لأنّ من صحب من حسن ظنه به، ولم يتثبت في حاله ثم اطلع منه على ضعف في دينه ساء ظنه بالصالحين. **(وحكى الجنيد)** حيث **(قال: لما دخل أبو حفص بغداد كان معه إنسان أصلع)** وهو من انحسر شعر مقدم رأسه **(لا يتكلم بشيء فسألت أصحاب أبي حفص عن حاله فقالوا)** لي: **(هذا رجل أنفق عليه)** أي على أبي حفص مع جماعته **(مائة ألف درهم واستدان)** بعدما أنفق ذلك **(مائة ألف أنفقها عليه)** مع جماعته أيضاً **(و)** مع ذلك **(لا يرخص له أبو حفص أنْ يتكلم بحرف)** لما رآه في حسه من أنَّ السكوت أفضل له وأجمع لهمه، وأبعد من رؤية نفسه، ولخوفه من أنْ يبدو منه كلمة يشير بها إلى ما أنفقه فيسقط من عينه، وربما كان الغالب عليه آفة لسانه فمنعه من النطق بالكلية، وآفة اللسان أعظم الآفات، فمن قوي على الخلاص منها قوي على ما هو دونها، ويؤيده خبر «وهل يكب الناس على وجوههم»[1] وروي مناخرهم «إلا حصائد ألسنتهم». **(وقال ذو النون)** المصري: **(لا تصحب)** أي لا تكن صحبتك **(مع الله إلا بالموافقة)** في أمره ونهيه **(ولا مع الخلق إلا بالمناصحة)** لهم

يخاف السباع الخ) فيه الحث على دوام مراقبة الله تعالى حتى يعظم الخوف منه فلا يخاف غيره. **(قوله: ولو مع الجهل بحالهم)** أي سواء كانت صحبتهم مع العلم بحالهم أو مع الجهل به، هذا ويظهر من حل الشارح أنَّ الجملة للحال، وله وجه أيضاً فتدبر.

(قوله: من أنَّ السكوت أفضل له) أي لأنه أسلم وأبعد عن أسباب الندم، ومن ذلك قيل: ما ندم من سكت. **(قوله: أعظم الآفات)** أي وذلك لأنه قد يؤدي إلى الهلاك في الدنيا والآخرة. **(قوله: وقال ذو النون:)** أقول: قد جمع الرشاد فيما قد أفاد.

(قوله: ولا مع الخلق إلا بالمناصحة) أي ولا فرق فيها بين كبير وصغير، ولا بين

---

(١) أخرجه البخاري (إيمان ١٩) (زكاة ٥٣) (مناقب ٢) (أحكام ٢) ومسلم (إيمان ٢٣٧) (مساجد ٢٦١، ٢٦٢) (زكاة ١٣١) وأبو داود (سنة ١٥) والترمذي (ديات ٨) (إيمان ٨) والنسائي (إيمان ٧) وابن ماجه (فتن ٦، ١٢) والدارمي (سير ٧٧) وأحمد بن حنبل (١، ١٧٦، ١٨٢، ١١١، ٢١٥، ٤، ٩٤، ٣٤٠، ٥، ٢٥، ٢٣١، ٢٣٦، ٢٣٧، ٦، ٣).

وعدم غشهم لأنهم عيال الله وأحبهم أنصحهم وأنفعهم لعياله، فلا يطلع على خلل منهم إلا سده، ولا على حاجة لهم إلا ساعدهم في قضائها، **(ولا مع النفس إلا بالمخالفة)** لها لأنها مائلة بطبعها إلى كل لذيذ ونافرة بطبعها عن كل كريه، فحق صاحبها في صحبته معها أنْ يخالفها ويردها عن هواها حتى يتبين لها الحق فتتبعه والباطل فتجتنبه، **(ولا مع الشيطان إلا بالعداوة)** له قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦] وقال رسول الله ﷺ: «ما من أحد إلا وله شيطان فقيل له: حتى أنت يا رسول الله؟ قال: حتى أنا إلا أنَّ الله أعانني عليه فأسلم»[١] **(وقال رجل لذي النون مع من أصحب فقال: مع من إذا مرضت عادك، وإذا أذنبت تاب عليك)** فلا تصحب إلا الله فإنّه الممرض المعافي المانّ بالتوبة على من عصاه، قال تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ﴾ [التوبة: ١١٨] أو من يعتني بأمرك ويعينك على ما ينفعك فإنَّ المريض عاجز أحب شيء إليه من يباشره ويقوم بأمره، وكذا إذا وقع في معصية رجع صاحبه إلى الله فيه وتضرع إليه، وسأله أنْ يتوب عليه، وتسبب له بدعاء الصالحين رجاء استجابة دعائهم له. **(سمعت الأستاذ أبا عليّ رحمه الله يقول: الشجر إذا نبت بنفسه ولم يستنبته أحد يورق، ولكنه لا يثمر كذلك المريد إذا لم يكن له أستاذ يتخرج به)** ويتأدب بآدابه ليخرج بذلك عن عوائد نفسه **(لا يجيء منه شيء)** نافع فلا يقتدى به وإنْ اجتهد بنفسه في العبادة والعلم، فإنَّ النفوس لها خفايا باطنة، وعلل كامنة لا تتبين مع محبة العبد لها وإنما يتبينها من هو خارج عنها كاشف لها بالعلم مبالغ في نصحها، **(و)** لذلك **(كان**

عظيم وحقير، ولا بين عالم وجاهل على حسب الاستطاعة. **(قوله: ولا على حاجة لهم الخ)** أي ولا على مخالفة للشريعة إلا ردهم عنها وجوباً أو ندباً بشرط أمن الفتنة في الرد. **(قوله: ولا مع النفس إلا بالمخالفة)** أي ولذلك قال الجنيد: نفعنا الله بعلومه إذا خالفت النفس هواها صار داؤها دواها. **(قوله: ولا مع الشيطان إلا بالعداوة له)** أي فيكون دائماً على خلافه فيما يوسوس له.

(قوله: فقال: مع من إذا مرضت الخ) مراده الحث على الرجوع إلى الله بذكر بعض إحسانه على العبيد. **(قوله: أو من يعتني بأمرك الخ)** فيه حمل على التخلق مع الأمثال غير أنَّ الأول أولى. **(قوله: ولكنه لا يثمر)** أي فالمقصود الأعظم لا يكون، فكذلك المريد بدون شيخ. **(قوله: مع محبة العبد لها)** أي المحبة الطبيعية.

---

(١) أخرجه الزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ١/ ٤٧٢، ٧/ ٢٧٠) والخطابي في (إصلاح خطأ المحدثين ٢٨).

الأستاذ أبو علي رحمه الله يقول؛ **أخذت هذا الطريق عن النصر أباذي والنصر أباذي)** أخذه **(عن الشبلي والشبلي عن الجنيد والجنيد عن السري، والسري عن معروف الكرخي، ومعروف عن داود الطائيّ، وداود الطائي لقي التابعين)** وأخذ عنهم، **(وسمعته)** أيضاً **(يقول: لم اختلف)** أي أتردّد **(إلى مجلس النصر أباذي قط إلا اغتسلت قبله)** لأكون في دخولي عليه متطهراً لطهارة الحسية وهي بالماء والمعنوية وهي العزم على قبول ما يقوله الشيخ من الخير من غير اعتراض عليه، وإنْ كان مشقاً على النفوس.

(قال الأستاذ الإمام) القشيري **(رحمه الله: ولم أدخل أنا على الأُستاذ أبي علي في وقت بدايتي إلا صائماً)** مجلاً معظماً له **(وكنت أغتسل قبله)** أي قبل دخولي عليه **(وكنت أحضر باب مدرسته غير مرة فأرجع من الباب)** فلا أستطيع دخولها **(احتشاماً منه أنْ أدخل عليه، فإذا تجاسرت مرة ودخلت المدرسة كنت إذا بلغت وسط المدرسة يصحبني)** أي يلحقني من الحشمة والخشوع **(شبه خدر)** يكون في الرجل **(حتى لو غرز فيّ إبرة مثلاً لعلي كنت لا أُحس بها)** إجلالاً له **(ثم إذا قعدت)** عنده **(لواقعة وقعت لي لم أحتج)** إلى **(أنْ أسأله بلساني عن المسألة)** أي الواقعة **(فكلما)** أي فعندما **(كنت أجلس)** عنده **(كان يبتدىء بشرح واقعتي وغير مرة رأيت منه هذا عياناً)** وكل

(قوله: يقول: أخذت هذا الطريق الخ) أي والجميع من ثقاة الأُمة البالغين في الإرشاد غايته، وفي العلم ثمرته رضي الله تعالى عنهم. **(قوله: لم أختلف الخ)** أقول: لما كانت الطهارة الحسية من وسائل العبادة والأستاذ من وسائل مخالفة العادة أراد أنْ يتأهل للكمال وللمقصود بكل من الوسيلتين عسى أنْ يسهل عليه طريق الوصول.

(قوله: قال الأستاذ: الخ) أقول: وهكذا حالة التلامذة مع المشايخ، وهكذا حال المشايخ أيضاً معهم رضي الله تعالى عنهم وعنا ببركاتهم.

(قوله: وكل ذلك تنبيه الخ) أقول: وإذا كان هذا معتبراً في حق المشايخ فما ظنك بحق الحق تعالى الذي أشار إليه أبو الحسن بن الضحاك حيث قال: قيل لي في نوم كاليقظة أو يقظة كالنوم لا تُبدِ فاقة لغيري فأضاعفها عليك مكافأة لسوء أدبك وخروجك عن حدك في عبوديتك لأني إنما ابتليتك بالفاقة لتفزع إليّ منها وتتوكل عليَّ فيها سبكتك بها لتصير ذهباً خالصاً، فلا تزيفنها فإنْ وصلتها بي وصلتك بالغنى، وإن وصلتها بغيري قطعت عنك مواد معونتي، وحسمت أسبابك من أسبابي طرداً لك عن بابي، فلا تركن إلى شيء دوننا فإنّه وبال عليك، وقاتل لك، وإنْ وثقت بالحال أوقفناك معه، وإنْ لحظت إلى الخلق وكلناك إليهم، وإنْ اتزرت بالمعرفة نكرناها عليك، فأي حيلة لك وأي قوّة معك فارضنا لك رباً نرضاك لنا عبداً.

ذلك تنبيه على آداب التلامذة مع مشايخهم ليكمل انتفاعهم بهم واقتفاؤهم لآثارهم، وبالغ في ذلك حتى قال: وقدر في نفسه ما لم يقع ويقع تقريباً للأذهان في تعظيمه لشيخه فقال: (**وكنت أذكر في نفسي كثيراً أنه لو بعث الله في وقتي رسولاً إلى الخلق هل يمكنني أنْ أزيد من حشمته على قلبي فوق ما كان منه رحمه الله فكان لا يتصوّر لي أنَّ ذلك ممكن، ولا أذكر أني في طول اختلافي**) وترددي (**إلى مجلسه ثم كوني معه**) فيه (**بعد حصول الوصلة**) بيني وبينه (**أن جرى في قلبي أو خطر ببالي عليه قط اعتراض**) لو أخر عن هذا عليه كان أوضح (**إلى**) أي واستمر ما بي من تعظيمي واحتشامي له إلى (**أنْ خرج رحمه الله من الدنيا**) طلباً لزيادة الفضيلة والانتفاع. (**أخبرنا حمزة بن يوسف السهميّ الجرجانيّ رحمه الله قال: أخبرنا محمد بن أحمد العبديّ قال: أخبرنا أبو عوانة قال: حدثنا يونس قال: حدثنا خلف بن تميم أبو الأحوص عن محمد بن النضر الحارثي قال: أوحى الله سبحانه إلى موسى عليه السلام ﴿كن يقظاناً﴾**) أي بعيداً من الغفلات مراقباً في استشعار نظر الله إليك (**مرتاداً**) أي طالباً (**لنفسك أخداناً**) أي أصحاباً يعينونك على ما أنت بصدده مما أمرت باليقظة له (**وكل خدن لا يؤاتيك**) أي يوافقك ويطيعك (**على مسرة فاقصه**) من القصو وهو البعد أي فأبعده عنك، وفي نسخة فأرفضه (**ولا تصحبه فإنه يقسي قلبك، وهو لك عدوّ**) لا خدن لأنّه يصدك عن مرادك بحالته وإشارته ومجالسته (**وأكثر**) أنت (**من ذكري تستوجب**) على (**شكري والمزيد من فضلي. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلميّ رحمه الله يقول: سمعت عبد الله بن المعلم يقول: سمعت أبا بكر الطمستانيّ**

(**قوله: وقدر في نفسه ما لم يقع**) أي من عدم تصوّره زيادة احتشام الرسول لو بعث على احتشامه للشيخ وذكره للتقريب للأذهان كما قاله الشارح، ومع هذا فعدم ذكر مثله هو الموافق لطريق الكمال. (**قوله: كن يقظاناً الخ**) اعلم أنَّ مقام النفس في الباب ومقام القلب في الحضرة ومقام السر في المخدع قائم بين يديّ الحق سبحانه يلقن القلب، والقلب يلقن النفس المطمئنة، والنفس تملي على اللسان، وسبب تقريب القلب ودخوله دار الفضل وأكله من طعام الفتح، وشربه من شراب الأنس إنما هو السر، ولذلك أرشد الكليم إلى المراقبة، واعلم أنَّ القوم الذين سبقت لهم العناية هم رواسيّ الأرض وأوتاد الوجود ينادمهم منادم الأُنس بأحاديث أحلى من المن يقول لهم يكون بعد هذا الضيق سعة، وبعد هذا التشتت جمع، وبعد هذه المرارة حلاوة، وبعد هذا الذل عز، وبعد هذا الفناء وجود، فحينئذٍ يستقبل وجه القرب صاحب هذا المقام ويحول بينه وبين الخلق حاجز، والله أعلم، واعلم أن هذا وأمثاله مما ورد في حق الرسل المعصومين عليهم صلوات رب العالمين الغرض منه أُممهم فهو للتشريع والله أعلم.

يقول: **اصحبوا مع الله)** بأنْ تشتغلوا به لا بغيره **(فإنْ لم تطيقوا)** صحبته **(فاصحبوا مع من يصحب مع الله لتوصلكم بركات صحبتهم إلى صحبة الله تعالى)** ولتعلموا منها كيف تصحبون الله.

(قوله: والمزيد من فضلي) عطفه للتفسير. **(قوله: فإنْ لم تطيقوا صحبته الخ)** أفاد به أنَّ العبد إذا قصرت همته بنفسه ينبغي له أنْ يتعرّض للمدد والنفحات بالاجتماع على أصحاب الأسرار والبركات.

باب التوحيد

سيأتي بيانه، وهو ممدوح ومطلوب (قال الله عز وجل: ﴿وإلهكم إله واحد﴾)

باب التوحيد

اعلم أنَّ حقيقة التوحيد طرقها توعرت، وأسبابها تعذرت، وأبوابها تعسرت لمعت بروقها فحيرت، وظهرت شموسها فبهرت، وخفيت رموزها فاستترت، فهي ظاهرة باطنة بادية كامنة متحرّكة ساكنة تبدو فتبيد، وتعدو فتصيد، قريبها بعيد، وبعيدها قريب ليس لبدايتها غاية فيشار إليها، ولا لنهايتها آية فيعول عليها، شعاعها يخطف الأبصار، وضياؤها يطمس الأنوار، وصفاؤها يهتك الأستار، ولالاؤها يصطلم ما احتوى عليه الليل والنهار تحرق من سما إليها، وتمحق من عول عليها، حياتها موت وموتها حياة لا تقف فتشهد ولا تغيب فتفقد، ليس لها أين فتتبعها الأوهام، ولا مكان فتتعرّف إليه الأفهام هيهات هيهات تاهت العقول، ودرست العلوم، وبطل ما كانوا يعملون شعر:

خذوا حديثي ففيه معنى ... يفقهه من يكون معنا
غمز ورمز وفيه كنز ... من حله نال ما تمنى
حروفه العجم ليس تقرا ... لمن لواه السلوّ عنا
فمن سقاه الحبيب صرفا ... أبصر ما نحن عنه غبنا
ومن تجلى له جهارا ... شاهد ما لم نكن شهدنا
وخمرة في الكؤوس تجلى ... طوبى لعبد بها تهنا
وما لنا في المدام ذنب ... وإنما الذنب للمعنى
أعرض عنها بغير ذنب ... وقد أديرت عليه مثنى
صرح بذكر الحبيب جهرا ... ومن سماع الملام دعنا
هذا الحبيب الذي تجلى ... كقاب قوسين وهو أدنى
قد رفع الحجب ثم نادى ... لا تحسبوا أننا حجبنا
لا تهجرونا بغير ذنب ... ونحن عنكم فما صددنا
عودوا إلى وصلنا وكونوا ... لنا كما كنتمو وكنا
وما مضى لا يعاد يوماً ... قد انقضى الهجر واصطلحنا

واعلم أنَّ التوحيد هو إفراد الحق تعالى بالقصد والعبارة، فعلى العاقل أنْ يرحل إليه

[البقرة: ١٦٣] و (أخبرنا الإمام أبو بكر محمد بن الحسين بن فورك رضي الله عنه قال: حدثنا أحمد بن محمود بن خرزاذ قال: حدثنا مسيح بن حاتم العكلي قال: حدثنا الحجبي عبد الله بن عبد الوهاب قال: حدثنا حماد بن زيد عن سعيد بن سعد بن حاتم العتكي عن ابن أبي صدقة عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة) رضي الله عنه (قال: قال رسول الله ﷺ: «بينا رجل فيمن كان قبلكم لم يعمل خيراً قط إلا

خصوصاً وعن غيره عموماً، وإلا كان كحمار الرحى يسير والذي ارتحل إليه هو الذي ارتحل عنه وكان مثل ما قيل:

فلا هو مقتول ففي القتل راحة ولا هو ممنون عليه فيعتق

فحينئذٍ ينبغي أنْ لا يريد العاقل سواه ولا يطلب في الدنيا والآخرة إلا إياه، قال محمد بن السماك رحمه الله: كتب إليّ أخ: لا تكن لغير الله عبداً ما وجدت من العبودية بُدّاً، وقال غيره: إياك أنْ تلاحظ مخلوقاً وأنتَ تجد إلى ملاحظة الحق سبيلاً، وقال الشاذليّ رضي الله تعالى عنه: قف بباب واحد لا لتفتح لك الأبواب فتفتح لك الأبواب واخضع لملك واحد لا لتخضع لك الرقاب، تخضع لك الرقاب قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُ﴾ [الحجر: ٢١]، وقال بعضهم: التوحيد إفراد الحق تعالى بالقصد والعبادة فإنْ كان ذلك اعتقاداً يقال للعبد: مؤمن بالتوحيد، وإنْ كان علماً من أدلة يقال له: عالم بالتوحيد، وإنْ كان لغلبة الحق على القلب يقال له: عارف بربه، هذا، وعلم التوحيد أشرف أنواع العلوم إذ موضوعه ذات الحق جل جلاله وأوّل واجب على المكلف ليتهيأ لقبول الكمالات والمعلومات بالعلوم العقلية والنقلية، وتصح له المعاملات المصحوبة بالمتابعات المحمدية، واعلم أنهم يطلقون التوحيد على توحيد الصفات، والوحدة على الذات غير أنّ المراد هنا الأعم.

(قوله: وإلهكم إله واحد) أي المعبود بحق الواحد في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله المنزه عن التركيب المتصل والمنفصل في ذاته، وفي صفاته، وعن الشريك في شيء من الأشياء تعالى الله علواً كبيراً.

(قوله: وإلهكم إله واحد) أي وقال: شهد الله أنّه لا إله إلا هو المشير إني مقام جمع الجمع الذي لا فرق فيه أصلاً فالحامد هو المحمود، والشاكر هو المشكور، والذاكر هو المذكور فهو هو لا شريك له، فمن حصل في مقام عين اليقين وتحقق بحقيقته لا يرى سوى ولا يشهد غيراً، فيكاشف بالمصلي والمصلى له واحداً، وكذا باقي الأقوال، والأفعال، والحركات، والسكنات فالأمر من الله وإلى الله.

(قوله: بينا رجل الخ) محصله أنّ مجرّد التوحيد إذا صحبه الحياء يكفي في النجاة من النار بالنسبة لمن سبقت له عناية الحق تعالى، والله ذو الفضل العظيم. (قوله:

التوحيد فقال لأهله: إذا مت فاحرقوني ثم اسحقوني ثم ذروا نصفي في البر ونصفي في البحر في يوم ريح ففعلوا» فقال الله) تعالى (للريح أدي ما أخذت فإذا هو بين يديه) تعالى (فقال له: ما حملكَ على ما صنعت؟ فقال: استحياء منك فغفر له) وعليه تحمل رواية الصحيحين قال رسول الله ﷺ: «قال رجل لم يعمل حسنة قط: قال لأهله: «إذا مت فاحرقوني ثم ذروا نصفي في البر ونصفي في البحر لئن قدر الله عليّ أي ضيّق عليَّ في المؤاخذة والحساب ليعذبني عذاباً لا يعذبه أحداً من العالمين»[1] فلما مات الرجل فعلوا ما أمر به فأمر الله تعالى البر فجمع ما فيه وأمر البحر فجمع ما فيه ثم قال له: لِمَ فعلت هذا؟ قال: من خشيتك وأنت أعلم فغفر الله له، فعلم أنَّ التوحيد مطلوب وأنه سبب النجاة من النار، وهو أفضل الطاعات وأشرفها، وشرط

فاحرقوني) أقول: مثل هذه الوصية باطلة في شريعتنا لا تجوز العمل بها فلعل ذلك كان جائزاً في شريعتهم. **(قوله: لئن قدر الله عليَّ الخ)** أي بأنْ عاملني بالعدل لا بالفضل. **(قوله: وهو أفضل الطاعات)** أي لأنَّ الشيء يشرف بشرف موضوعه، وموضوع هذا العلم ذاته تعالى السنية وصفاته العلية. **(قوله: هو الحكم بأنَّ الشيء واحد)** هذا التعريف باعتبار عرف الشرع والعقل لا باعتبار حقيقة التوحيد الذاتي، ثم ومنه يتضح معنى قول من قال:

مـا وحـد الـواحـد مـن واحـد   إذ كـل مـن وحـده جـاحـد

لأنَّ مراده التوحيد الذاتي لا الوصفي ولا الفعلي، وذلك لأنَّ التوحيد صفة الموحد والصفة تقتضي شيئين وجود نفسها وموصوفها، وهو محقق للإثنينية، فحينئذٍ قد جحد الموحد توحيد الحق الواحد بإثبات نفسه وفعله المنافي للتوحيد الذي هو إسقاط الحدث، وإثبات القدم فما بقيت ذات الله وحدها ليتحقق التوحيد حيث ثبت وجود آخر، فإذاً لا يصح التوحيد لذاتي على لسان العبد إلا بفناء وجوده المجازيّ الهالك أي المعدوم في ذاته بإشارة قوله سبحانه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: 88] وذلك لأنَّ العبد بل كل شيء له وجه في ذاته ووجه في الحق وهو بالوجه الأوّل معدوم دائماً إذ هو قبل ذلك الوجود كان معدوماً، وبعده صار موجوداً بوجود فائض من الحق عليه، فالآن هو موجود بالوجود الفائض عليه لا بوجود ثابت من قبل ذاته فهو بالنظر إلى ذاته معدوم دائماً، وبالنظر إلى الوجود الفائض من الحق عليه موجود، فحينئذٍ إضافة الوجود إلى الشيء لأدنى ملابسة إضافة مجازية لا حقيقية، وعند نظر التحقيق هذا الوجود العارض على ماهيات الأشياء هو عكس نور الوجود القديم المتلألىء على سائر

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه ٩/ ١٧٧) ومسلم في (صحيحه التوبة ٢٤) ومالك في (الموطأ ٢٤٠) والبغوي في (شرح السنة ١٤، ٣٨٠) و (بغوي ٦/ ٨١) والتبريزي في (مشكاة المصابيح ٢٣٦٩) والمنذري في (الترغيب والترهيب ٤/ ٢٦٠).

في صحتها، ثم بينه فقال (**التوحيد هو الحكم بأنَّ الشيء واحد والعلم بأنَّ الشيء واحد أيضاً توحيد**) وغلبة رؤية الحق على القلب توحيد أيضاً فمن اعتقد أو علم بالدليل أنَّه تعالى واحد أو غلب على قلبه رؤية الحق حتى غفل عن الخلق، فهو موحد، فمن حصل له التوحيد الأول فهو مؤمن، ومن حصل له الثاني فهو عالم، ومن حصل له الثالث فهو عارف بالله، فالأول توحيد الكافة والثاني توحيد العلماء، والثالث توحيد الصوفية، (**و**) اعلم أنَّه (**يقال**) في اللغة: (**وحدته إذا وصفته بالوحدانية**) أي نسبته إليها، (**كما يقال: شجعت فلاناً إذا نسبته للشجاعة، ويقال في اللغة**) أيضاً: (**وحد**) بالتخفيف (**يحد فهو واحد ووحد ووحيدكما يقال: فرد فهو فارد وفرد وفريد وأصل أحد**) تصريفاً (**وحد فقلبت الواو**) المفتوحة (**همزة والواو المفتوحة**

ماهيات الممكنات حيث ظهر بصورها الثابتة في العلم القديم أزلاً، والله أعلم.

(**قوله: هو الحكم بأنَّ الشيء واحد**) منه يعلم أنَّ التوحيد صفة للعبد الموحد لا للواحد سبحانه وتعالى إذ نعته تعالى الوحدة الذاتية في الذات وفي الصفات العلية، وقوله: والعلم بأنَّ الشيء واحد أي لقيام الدليل به، ويشعر كلامه أي قوله: هو الحكم بأنَّ الشيء واحد بأنَّ ذلك كافٍ ولو بدون دليل علمه ذلك الحاكم أو المعتقد، وقوله: وغلبة رؤية الحق على القلب أي الحاصلة بعد الحكم، أو الاعتقاد، أو العلم كما لا يخفى.

(**قوله: فمن اعتقد الخ**) أي اعتقد اعتقاداً مجرداً عن الدليل، وقوله: أو علم بالدليل أي السمعي أو العقلي، وقوله: أو غلب على قلبه الخ أي وتلك الغلبة بواسطة تكرر الدليل وروده على قلبه. (**قوله: فهو موحد**) أي محكوم بأنَّه موحد له تعالى.

(**قوله: فهو مؤمن**) أي من الناجين من نار الخلود إنْ قصر وإلا فمطلقاً كما لا يخفى على من له إلمام. (**قوله: فالأوّل توحيد الكافة**) أي العامة وهو كافٍ في النجاة من نار الخلود كما قدمناه، وقوله: والثاني توحيد العلماء أي من علماء أهل الظاهر، وقوله: والثالث توحيد الصوفية أي العارفين أرباب الحقائق.

(**قوله: إذا وصفته بالوحدانية**) أي بأنْ قلت: الله واحد فهو توحيد لغويّ وشرعيّ أيضاً إذا وافق القول الاعتقاد، وعقلي كذلك إذا نشأ عن النظر في الدليل غير أنه على طريق الصوفية لا يكون ذلك توحيداً للذات ذاتياً لها لأنَّ فيه إثبات الإثنينية، وهي نفس الموحد، وفعل، وذلك منافٍ للتوحيد، وحينئذٍ فلا يتم التوحيد الذاتي، إلا بفناء الوجود المجازيّ كما قدمنا الإشارة إليه.

(**قوله: إذا وصفته بالوحدانية**) أي سواء كان ذلك مع اعتقاد مجرّد عن الدليل أو مصاحب له. (**قوله: وأصل أحد تصريفاً وحد**) منه يعلم أنَّ معنى أحد وواحد شيء واحد

قد تقلب همزة كما تقلب المكسورة والمضمومة) كما هو مقرر في علم التصريف (ومنه) قولهم: (امرأة أسماء) بفتح الهمزة (بمعنى وسماء من الوسامة) أي الحسن فأصل أسماء وسماء قلبوا الواو همزة، (ومعنى كونه سبحانه واحداً على لسان) أهل (العلم قيل: هو الذي لا يصح في وصفه الوضع والرفع) اللذان هما من صفات الأجسام (بخلاف قولك: إنسان واحد) فإنه يصح في وصفه ذلك (لأنك تقول) فيه: (إنسان بلا يد ولا رجل فيصح رفع شيء منه) بل رفعه بالكلية كما يصح وضعه (والحق سبحانه) منزه عن ذلك لأنه (أحدي الذات) لا يقبل شيئاً من ذلك (بخلاف اسم الجملة الحاملة) لأجزاء كالإنسان حامل لرأسه ويده ورجله وغيرها، (وقال بعض

وهو المنفرد في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله. (قوله: ومنه) أي مما قلبت واوه المفتوحة همزة. (قوله: لا يصح في وصفه الخ) محصله استحالة التركيب في ذاته تعالى، فلا يقبل الوضع ولا الرفع كالمركبات. (قوله: بل رفعه بالكلية) أي بالنظر لذاته إذ كل ممكن لا وجود له إلا باعتبار عكس نور الوجود القديم الذي تلألأ على سائر ماهيات الممكنات، وظهر بصورها الثابتة في العلم القديم أزلاً، فإذا هي في نظر المحقق لا وجود لها من ذاتها إذ الوجودات الكونية بأسرها أشعة أنوار الوجود القديم وصفاته، فتصور العبد أنه موجود، وتخيله أنَّ له وجوداً يثبت له وجوداً بالنسبة إليه لا في الواقع، وثمرة هذا التخيل إثبات الإثنينية، ويصير بذلك محجوباً عن الوصول إلى ذوق طعم التوحيد الحقيقيِّ الذاتي الذي يقتضي انتفاء ثبوت وجود من الوجودات الكونية ذاتاً كان أو صفة أو فعلاً، ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] أي كل شيء معدوم بالنظر لذاته، إلا ذات الله تعالى فإنه موجود بوجود من ذاته وهذا على تقدير عود الضمير في وجهه إلى الحق تعالى، وأما إذا اعتبر عوده إلى الشيء فيكون المعنى كل شيء هالك عدم في حد ذاته إلا وجه ذلك الشيء أي وجوده الفائض من الحق تعالى عليه، فإنه ليس بعدم بل هو وجود عكسيّ حصل من انعكاس نور الوجود القديم على الماهيات الممكنة العدمية، ويقال لتلك الوجودات العكسية: وجوه الله أي وجودات وجهها إلى الله من جهة الإفاضة، فلا يلزم حينئذٍ وجود آخر حتى يكون منافياً للتوحيد الحقيقي إذ عكوسات النور لا تنافي وحدة النور، وذلك مثل وحدة الشمس عكوساتها متعددة بحسب المحال والخصوصيات، وذلك لا ينافي وحدة الشمس تمعنا إنْ كنت معنا، وإنْ لم تكن معنا فدعنا وتدبر تفهم وإلا فسلم تسلم والله أعلم.

(قوله: لأنه أحديّ الذات) أي واحدها لا يقبل التركب فيها، ولا المشاركة في شيء ما من الأشياء. (قوله: بخلاف اسم الجملة) أي الإسم الموضوع للدلالة على جملة مركبة من حيوانية وناطقية وحاملة لأجزاء تركبت منها الشخصية التي هي تحت النوعية.

(قوله: نفي التقسيم الخ) هذا ما عليه أهل الظاهر فذاته تعالى غير مركبة من أجزاء، ولا تشبه غيرها من الذوات، وصفاته تعالى لا تشبه الصفات ولا شريك له في الملك تعالى الله علواً كبيراً.

(قوله: ونفي التشبيه عن حقه) أي مثل ذاته وصفاته، فذاته سبحانه وتعالى لا تشبه الذوات وصفاته عز شأنه لا تشبه الصفات. (قوله: ونفي الشريك معه في أفعاله ومصنوعاته) أي فلا فعل يشبه فعله تعالى، ولا تأثير لغيره سبحانه في شيء ما وجوداً وعدماً. (قوله: وهذا هو الذي تضمنته سورة الإخلاص) أي ما تقدم من أنَّ ذاته تعالى لا تشبه الذوات ولا صفاته الصفات، ولا فعل لغيره حتى يكون شريكاً له في فعله أو عديلاً له، هذا، ولمناسبة ذكر سورة الإخلاص ونص الشارح على ما تضمنته نتبرك بذكر تفسيرها على قدر ما اتفق اطلاعنا عليه، فنقول: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ هو ضمير شأن مبتدأ، والجملة بعده خبر عنه، وفي وضعه موضعه مع عدم سبق ذكر مرجعه الإيذان بأنه من الشهرة بمكان بحيث يستحضره كل أحد، ويشير إليه كل مشير وإليه يعود كل ضمير كما ينبيء عنه الصمد الذي أصله القصد أُطلق على المفعول مبالغة ولا حاجة إلى الربط لأنَّ الجملة عين الشأن المعبر عنه بالضمير وحكمة التصدير به التنبيه من أوّل الأمر على فخامة مضمونها وجلالة خبرها مع ما فيه من زيادة التحقيق والتقرير، فإنَّ الضمير لا يفهم منه من أول الأمر، إلا شأن مبهم له خطر جليل فيبقى الذهن مترقباً لما أمامه مما يفسره ويزيل إبهامه، فيتمكن عند وروده فضل تمكن، وهمزة أحد منقلبة من الواو فأصله وَحد لا كهمزة ما يلازم النفي، ويراد به العموم كما في قوله تعالى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧] وما في قوله ﷺ: «ما أحلت الغنائم لأحد سود الرؤوس غيركم»[(١)] وقال مكي: أصل أحد واحد فأبدلت الواو همزة فاجتمع ألفانِ فحذفت إحداهما تخفيفاً، وقال ثعلب: إنَّ أحداً لا يبنى عليه العدد ابتداءً فلا يقال: أحد اثنان ولا يقال: رجل أحد ولذلك اختص به تعالى، والضمير مبتدأ والله خبره، وأحد بدل منه أو خبر ثانٍ أو خبر مبتدأ محذوف، وقوله: الله الصمد مبتدأ وخبر، والصمد فعل بمعنى مفعول من صمد إليه بمعنى قصد فهو السيد المصمود إليه في الحوائج المستغنى بذاته المفتقر إليه كل ما عداه، وقيل: الصمد الدائم الباقي الذي لم يزل ولا يزال، وقيل: الذي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف أحديته، وتنكير الإسم الجليل للإشعار بأنَّ من اتصف بذلك فهو بمعزل من استحقاق الأُلوهية وتعرية الجملة عن العاطف لأنها كالنتيجة للأولى فبين أولاً أُلوهيته عز وجل المستتبعة لكافة نعوت الكمال، ثم أحديته الموجبة

(١) أخرجه الترمذي (تفسير سورة ٨، ٧) وأحمد بن حنبل (٢، ٢٥٢).

وصفاته، ونفي الشريك معه في أفعاله ومصنوعاته) فلا تشبه ذاته الذوات، ولا صفته الصفات، ولا فعل لغيره حتى يكون شريكاً له في فعله أو عديلاً له: وهذا هو الذي تضمنته سورة الإخلاص من كونه واحداً صمداً إلى آخرها فالحق سبحانه مخالف لمخلوقاته كلها مخالفة مطلقة، وعطف صفاته على حقه للإيضاح. **(والتوحيد)** أقسام **(ثلاثة)** الأول **(توحيد الحق للحق وهو علمه)** تعالى **(بأنّه واحد وخبره)** أي إخبار **(عنه**

لنزاهته عن شائبة التعدد أو التركب بوجه من الوجوه، وعن توهم المشاركة في الحقيقة، وخواصها، ثم صمديته المقتضية لاستغنائه الذاتي عما سواه وافتقاره كل ما عداه إليه في وجوده، وبقائه، وسائر أحواله تحقيقاً للحق وإرشاداً للخلق إلى سننه الواضح، ثم صرح ببعض أحكام جزئية مندرجة تحت الأحكام السابقة فقال: لم يلد تنصيصاً على إبطال زعم أنّ الملائكة بنات الله، وعيسى ابن الله، ولذلك ورد النفي على صيغة الماضي أي لم يتولد عنه ولد، ولم تكن له صاحبة، ولم يفتقر إلى ما يعينه لوجوب استغنائه سبحانه، ولم يولد أي لم يصدر عن شيء لاستحالة نسبة العدم إليه تعالى سابقاً أو لاحقاً، والتصريح به مع أنّهم معترفون بمضمونه لتقرير ما قبله وتحقيقه بالإشارة إلى أنّهما متلازمان إذ المعهود أنّ ما يلد يولد، وما لا فلا، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤] أي لم يكافئه أحد ولم يماثله، وله صلة لكفوا قدمت عليه مع أنّ حقها التأخير للاهتمام بها لأنّ المقصود نفي المكافأة عن ذاته تعالى، ويجوز أن يكون خبراً لا صلة، ويكون كفواً حالاً من أحد كذا قيل: وليس بشيء وتأخير اسم كان لمراعاة الفواصل، هذا وقرىء هو الله أحد بإسقاط قل، وقرىء الله أحد بغير قل هو، وقرىء قل هو الواحد، وقيل: إنّ سبب نزولها قول قريش: صف لنا ربك الذي تدعونا إليه وانسبه، ثم ولانطواء السورة الكريمة على أشتات المعارف الإلهية والرد على من ألحد فيها ورد في الحديث النبوي أنّها تعدل ثلث القرآن فإنّ مقاصده منحصرة في بيان العقائد والأحكام والقصص، ومن عدلها بكل القرآن اعتبر المقصود بالذات، وورد أنّه ﷺ سمع رجلاً يقرأ قل هو الله أحد فقال: «وجبت فقيل: وما وجبت يا رسول الله؟ قال: الجنة»[1]. **(قوله: مخالف لمخلوقاته)** أي تجب له المخالفة لها كلها من كل وجه.

(قوله: توحيد الحق للحق) أي وهو أزليّ كباقي صفاته العلية. **(قوله: والثاني توحيد الحق للخلق)** أي وهو باعتبار الحكم بأنّ المؤمن موحد أزليّ وباعتبار إيجاد التوحيد منه حادث لأنّه من متعلق القدرة، وباعتبار الثناء به على العبد والعلم القديم أزلي كما هو ظاهر.

---

(١) أخرجه الحاكم في (المستدرك ١/ ٥٦٦).

بأنه واحد) بقوله: وإلهكم إله واحد، **(والثاني توحيد الحق سبحانه للخلق وهو حكمه سبحانه بأنّ العبد)** المؤمن **(موحد وخلقه توحيد العبد)** فيه بأنْ أوجده فيه وأثنى عليه به، **(والثالث توحيد الخلق للحق، وهو علم العبد بأنَّ الله تعالى واحد وحكمه وإخباره عنه بأنّه واحد، فهذه جملة في معنى التوحيد على شرط الإيجاز والتحديد)** بدالين أي التعريف وفي نسخة والتحرير براءين. **(واختلفت عبارات الشيوخ عن)** وفي نسخة في **(معنى التوحيد)** الثالث، **(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون المصري يقول: وقد سئل عن التوحيد فقال:)** هو **(أنْ تعلم أنّ قدرة الله تعالى في)** إيجاد **(الأشياء بلا مزاج)** أي طباع **(وصنعه للأشياء بلا علاج وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه)** لاستقلاله بإيجاد كل ممكن **(ومهما تصور في نفسك شيء فالله بخلافه)** لأنه تعالى لا يدخله تصوير كما مر بيانه أوائل الكتاب، **(وسمعته)** أيضاً **(يقول: سمعت أحمد بن محمد بن زكريا يقول: سمعت أحمد بن عطا يقول: سمعت عبد الله بن صالح يقول: قال الجريري: ليس لعلم التوحيد إلا لسان التوحيد)** بأنْ يعبر عنه من عرفه بلسانه، وفيه إشارة إلى الفرق بين علم التوحيد

(**قوله: والثالث توحيد الخلق للحق الخ**) لا يخفى أنه بمعنى علم العبد بأنَّ الله واحد وحكمه وإخباره عنه به حادث. (**قوله: على شرط الإيجاز**) أي على طريقه. (**قوله: واختلفت عبارات الشيوخ الخ**) أي وأظهر ما قيل فيه: إنّه إفراد الحق بالقصد والعبادة.

(**قوله: إيجاد الأشياء**) أي تقتضي الإيجاد حيث هو من تعلقاتها وإلا فالقدرة صفة أزلية قائمة بذاته تعالى. (**قوله: بلا مزاج**) أي فالإيجاد في حقه ليس بالطبع كما ذهب إليه أهل الضلال بل بالاختيار على ما درج إليه أهل الحق. (**قوله: وصنعه للأشياء بلا علاج**) أي بلا معالجة كهو بالنسبة للحوادث بل شأنه يقول للشيء: كن فيكون، على أنّ ذلك من قبيل التقريب للأذهان وإلا فهو تعالى غني عن قول: كن كذلك فإيجاده ليس بالطبع ولا بالتعليل كما هو رأي أهل الزور والبهتان قبحهم الله تعالى.

(**قوله: ولا علة لصنعه**) أي لا شيء يتوصل به إليه كمفعولات الحوادث المفتقرة إلى آلات وأسباب. (**قوله: فالله بخلافه**) أي لأنَّ تصورات البشر لا تكون إلا فيما يلائم الحوادث تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. (**قوله: ليس لعلم التوحيد إلا لسان التوحيد**) أي فلا يتكلم العبد فيه إذا نازل مقامات الموحدين وكرع من شرابهم، وكوشف بأنوار بصائرهم، فمن ذاق عرف، ومن وصل إلى البحر اغترف فقوله: إلا لسان التوحيد أي الناشيء عن جزم القلب وعرفانه فيترجم حينئذٍ عما فيه، ولذا قيل:

كأنّ فؤادي مجمر فيه عنبر ... على نار فكري واللسان يروّح

وحال التوحيد، وحقيقته، فمن علم الوحدانية بالدليل أو بالموهبة فهو عالم بالتوحيد مخبر عنه بما علمه، ومن غلب على قلبه النظر إلى الله بأنْ اشتغل به لا بغيره فهو في حال التوحيد وحقيقته، وإنْ كان ساكناً وإشارته إلى ما وجده من حقيقة التوحيد عند أكثر الناس خافية غامضة. (**وسئل الجنيد عن التوحيد فقال: هو إفراد الموحد**) بفتح الحاء (**بتحقيق وحدانيته بكمال**) أي مع كمال (**أُحديته**) أي (**أنّه الواحد الذي لم يلد ولم يولد بنفي**) أي مع نفي سائر (**الأضداد والأنداد والأشياء**) أي (**بلا تشبيه ولا تكييف ولا تصيير ولا تمثيل ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**) تقدم بيان هذا أوائل الكتاب. (**وقال الجنيد**) أيضاً: (**إذا تناهت عقول العقلاء في التوحيد تناهت إلى الحيرة**) لا حيرة شك ونفي حتى يوقع في التعطيل، ولا حيرة إثبات جهة وجرم حتى يوقع في التجسيم بل حيرة علم الوحدانية بأنْ يعلم العبد واحداً قديماً منزهاً عن صفات الحوادث. (**سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت أبا الحسن بن مقسم يقول: سمعت جعفر بن محمد يقول: سمعت الجنيد يقول: ذلك**). فمن ثبته الله للعلم بواحد قديم منزه عما ذكرنا فهو الذي يراه في آخرته

تترجم عما في ضميري مدامعي وكـلُّ إنـاءٍ بـالـذي فـيـه يـنـضـح

(**قوله: بلسانه**) متعلق بقوله: عرفه كما لا يخفى(**قوله: فهو عالم بالتوحيد**) أي وإنْ كان هناك فرق بين من علم التوحيد بالدليل وبين غيره من ذوي المواهب الإلهية. (**قوله: ومن غلب على قلبه الخ**) أقول: هذا وإنْ كان أرقى مما قبله لكنه يتوقف عليه. (**قوله: خافية غامضة**) أي وذلك لأنَّ العبارة عما في الضمير غالباً تخفى على غير أرباب السرائر.

(**قوله: بتحقيق وحدانيته**) الباء للسببية وهي في قوله: بكمال بمعنى مع كما قاله الشارح، ولا يخفى المعنى على ذلك بالنسبة لأرباب الأذواق. (**قوله: الذي لم يلد الخ**) أي الذي لم ينفصل عنه غيره، ولم ينفصل هو عن غيره تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. (**قوله: إذا تناهت الخ**) أي وذلك لأنَّ من كوشف بما لا تسعه العقول، ولا تحده النقول، ولا تصفه الواصفون كان شأنه الحيرة والدهشة كيف لا وقد تكون الحيرة والدهشة في مشاهدة بعض الحوادث، تدبر والله أعلم.

(**قوله: تناهت إلى الحيرة**) أي الحيرة في الحقيقة والكنه لاستحالة علم ذلك لضيق علم الحادث، وعدم قوّته على ذلك على أنَّ الحيرة قد تتحقق في صنع بعض المصنوعات مثل الحيوانات والنباتات وغيرهما كالمجردات. (**قوله: حتى يوقع في التعطيل**) أي ينفي الصفات الأزلية وتعطيل الذات عنها. (**قوله: حتى يوقع في التجسيم**) أي وهو مكفر أو مفسق كما لا يخفى على عارف.

(**قوله: فمن ثبته الله الخ**) أي فمن تشرع بمقام الفرق وتحقق بحقيقة الجمع مثله من

بإدراك يخلقه له في بصره، ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً. **(وسئل الجنيد عن التوحيد فقال: معنى تضمحل فيه الرسوم)** أي الآثار **(وتندرج فيه العلوم ويكون الله تعالى كما لم يزل)** أي هو معنى يخلقه الله في قلب الموحد العارف به، ويغلب على قلبه لا يرى غيره تعالى كما كان في الأزل، **(وقال الحصري: أصولنا في التوحيد خمسة أشياء رفع الحدث)** يعني الإعراض عن غير الله

تثبت له الرؤيا في الآخرة بل قد تعجل له في الدنيا بنور عين البصيرة. **(قوله: بإدراك يخلقه له)** أي كما وقع لسيدنا ومولانا محمد ﷺ ليلة معراجه الأقدس وتشريفه بالشرف الأنفس. **(قوله: ومن كان في هذه)** أي في دار الدنيا أعمى أي أعمى البصيرة عن إدراك التوحيد، وعن تصديق النبي ﷺ فهو في الآخرة أي في الدار الآخرة أعمى البصر والبصيرة لا يهتدي لشيء من طرق النجاة أعاذنا الله وإخواننا من ذلك.

(قوله: فقال: معنى تضمحل الخ) أي فأشار بذلك إلى التوحيد الذاتي له تعالى الذين لا يتم إدراكه لأحد بعد فنائه عن وجوده المجازيّ، وقوله: وتندرج فيه العلوم أي والمعلومات أي تشاهد فيه باعتبار المنشئية والأثرية، ثم إذا غلب هذا على قلب العبد لا يرى في الوجود ثانياً غيره تعالى.

(قوله: رفع الحدث الخ) يشير بذلك إلى ما به تعرف ذات الله تعالى على قاعدة أصول السادة الصوفية رضي الله عنهم فالتوحيد المعتبر عندهم ما كان فيه الإسقاط والإثبات، وإلا فهو ناقص ما وصل صاحبه إلا حقيقة التوحيد وكماله، واعلم أنَّ قولهم: معرفة ذات الله بالإضافة العهدية للإشارة إلى المعرفة التي تحصل للعارفين بالله لا لمعرفة الكنه والحقيقة الذاتية وإنْ كانت ممكنة عند بعض المتكلمين، والحق أنها غير ممكنة إذ المعرفة الكنهية الذاتية تستلزم الإحاطة الكلية بالكل مع أنَّ الكمالات الإلهية غير متناهية، فتلك الإحاطة الكلية بالكل من الكل محالة والوقوف على المحال محال، وإنما خص المعرفة بذات الله تعالى لأنَّ المعرفة قد تكون معرفة الأسماء، وقد تكون معرفة الصفات، وقد تكون معرفة الأفعال، فمعرفة الذات التي أشار إليها إنما تكون بعد اضمحلال الوجود الكونيّ في شروق نور الوجود الأحدي جل جلاله كما هو مفهوم مما أشار إليه بقول: رفع الحدث وإفراد القدم فأراد بالحدث الموصوف بالحدوث، وبالقدم الموصوف بالقدم من إطلاق مبدأ الشيء عليه كالعدل في قولك: رجل عدل تريد به العادل، وذلك الاضمحلال والسقوط والثبوت لا يكون إلا في تجلي الذات بالأحدية أعني انكشاف الذات المجرّدة بدون ملاحظة نعت وصفة إذ الأحدية هي اعتبار الذات بلا شيء، كما أن الواحدية هي اعتبارها لا بشرط شيء، وذلك الرفع والإسقاط إسقاط شهودي عياني ذوقي لا مجرد اعتقاد متكلف فيه، ولا شك أنَّ من لم يبلغ قدم السير والسلوك الموافق للشريعة

(وإفراد القدم) أي كمال الشغل بالله **(وهجر الإخوان)** للتفرغ لكمال الشغل به والتلذذ

المطهرة لا يعرف ذاتاً مجرّدة عن ملاحظة الصفات والكائنات، فإنَّ الذات من حيث هي مجردة تتجلى عليه فيعرفها صاحب هذا المقام فإفنائه بها عن ذاته وذوات المكونات، فهذه هي خاصية هذا التجلي الذاتي، فبهذه العلامة هو يعرف الذات ويعرفها أيضاً بتعريفها، فهو يعرفها بها وبتعريفها، ولهذا التجلي الذاتي مراتب أشار إليها بعض الكمل كالشيخ الصديق زين الدين أبي بكر الخواجا قدس الله سره، فارجع إليه إنْ شئت، وأما معرفة الأَسماء فهو يحصل بتجلي كل اسم للمكاشف، وقد يكون ذلك دفعياً إجمالياً، وقد يكون تدريجياً تفصيلياً، وأما معرفة الصفات فتحصل أيضاً بتجلي كل صفة له كذلك على ما تقدم في الأَسماء، والفرق بين تجلي الإسم وتجلي الصفة أنَّ المكاشف في تجلي الإسم يشاهد الذات محتجبة بالصفة متجلية له، ويشاهد في تجلي الصفة الصفة بدون الذات متجلية له، وقد يشاهد الصفة متعلقة بالكون، وقد يشاهدها غير متعلقة به، وأما معرفة الأَفعال فتحصل عند فنائه عن ملاحظة أَفعال نفسه وأفعال غيره من باقي المخلوقات بسبب إشراف أنوار الصفة الفعالية الإلهية عليه، فيشاهد هناك أنَّ كل فعل كوني أثر فعاليته تعالى بالحقيقة والأشياء مظاهر فعاليته سبحانه، وههنا مزالق أَقدام أهل الجبر فاحذرهم، هذا وقال بعضهم: مدار توحيد الذات العلية على رفع ذوات الكون عن نظر صاحب حب هذا المقام بواسطة غلبة إشراف النور الوجوديّ الأحدي حتى لا يبقى في نظره إلا ذلك الوجود القديم، وذلك كارتفاع وجود الكواكب الليلية عن نظر الناظر عند إشراف أَشعة نور الشمس، فهي الرتبة الأُولى في رفع الإثنينية، ثم بعد هذه مرتبة أُخرى في ذلك، وهي أنْ يبلغ إلى درجة يشاهد فيها أنَّ الأشياء المحدثات معدومة في ذاتها يعني ليس لها وجود من ذاتها فإنَّها قبل هذا الوجود كانت معدومة فاض على ماهياتها من انعكاس النور القديم فيرى تلك الوجودات العارضة عليها عكوسات نور الوجود القديم، ويرى الأَشياء من حيث ذواتها معدومة عدماً محضاً كما كانت قبل عروض الوجود العكسيّ عليها، فحينئذ يرتفع التعدد والإثنينية في نظره بالحقيقة لأنَّه لم يبق في هذه الدرجة عنده إلا وجود ثابت مستمرّ قديم واحد أحد أشرقت أَرض الأعدام الممكنة بنوره كما أُشير إليه بقوله جل اسمه: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩] بعد هذا درجة أخرى في رفع الإثنينية، وهي أنْ يشاهد الوجود القديم منعكساً نوره من غير شهود عكوسات ذلك النور بالماهيات الممكنة، وبعد هذا درجة أخرى وهي أنْ يشاهد الوجود من حيث هو هو من غير شهود العكس والإشراق، وبعد هذا درجة في غاية الغايات ونهاية النهايات، وهي أنْ يصل إلى مقام يضمحل فيه هو وشعوره في سطوة ذلك النور القديم، والآن ما يبقى إلا الله كما قال بعض العارفين: إذا تم الفقير فهو الله أي إذا تم الوجود الكوني المستلزم للافتقار والحدوث فالباقي هو الله، فالضمير عائد على الله لا على الفقير المفهوم من

بمناجاته مع أنّهم لا يضرون العبد ولا ينفعونه، والمراد الخروج عن عاداتهم المعهودة لا هجرهم بالكلية كيف والعبد مأمور بمواصلتهم ومصاحبتهم منهي عن هجرهم ومقاطعتهم **(ومفارقة الأوطان)** المعهودة بين الأهل والمعروفة عند الصوفية من السكون إلى مقام، فيفارقه بأنْ يجد في السلوك ولا يسكن إلى مقام سكوناً يمنعه من الاتقاء إلى غيره **(ونسيان ما علم وجهل)** أي ما كان يسكن إليه ثم تركه بأنْ يعرض عنه رضا بما يختاره له ربه، ويجريه عليه مما يرضاه له. **(سمعت منصور بن خلف المغربي يقول: كنت)** بين اليقظة والنوم **(في صحن الجامع ببغداد يعني جامع المنصور والحصري يتكلم)** للناس **(في التوحيد فرأيت ملكين يعرجان إلى السماء فقال أحدهما لصاحبه: الذي يقول)** أي يتكلم فيه **(هذا الرجل: علم التوحيد**

الفقر، فإنَّ ذلك اتحاد الحادي فإن أرباب ذلك الاتحاد يقولون: إن رفع الإثنينية بشهود وجود الممكن موجود بوجود الواجب، فإنّهم قالوا: بأنَّ الوجود فيهما بالحقيقة واحد، والممكن موجود بوجود الواجب وهم يحملون قول العارفين: إسقاط الحدث وإثبات القدم على نفي التعينات التي حصلت للوجود، فهي نسب وإضافات، فإذا نفيا عنه فالثابت حينئذ هو الوجود القديم الذي ما فوقها يرى الوجودات الإتحادية الكونية عكوسات نور ذلك الوجود لأنفس الوجود بل يترقى ويذهل عن ملاحظة العكس، فافهم والله ولي الهداية والتوفيق وهو حسبي ونعم الرفيق. **(قوله: رفع الحدث)** أي رفع ما وصف به على معنى رفع تعلق القلب والتفاته إلى شيء منه بدون شاهد علم النقل، وقوله: وإفراد القدم أي إفراد ما وصف به بالقصد والعبادة، وقوله: وهجران الخ من عطف الخاص على العام اهتماماً به.

(قوله: ومفارقة الأوطان المعهودة الخ) أفاد به أنَّ المراد بالوطن ليس خصوص المسكن بل ما يشمله وما ينازله العبد من المقامات والأحوال. **(قوله: ونسيان ما علم)** أي عملاً بقوله ﷺ: «إليك انتهت الأماني يا صاحب العافية» ويرحم الله القائل:

أيحسن أني جاركم ونزيلكم ... أوجه يوماً للعباد رجائيا

لبيك اللهم وسعديك والخير كله في يديك والشر ليس إليك فيا أخي دع الكل جانباً واتخذ مولاك صاحباً، قال الحبيب المحبوب، أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، وهذا المقام إنما يتحقق بالفناء عن سائر المرادات في مراد الحق سبحانه وتعالى، ثم أقول لك: كما قال بعضهم: من كان في الله تلفه فعلى الله خلفه، ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله فافهم.

(قوله: ونسيان ما علم وجهل الخ) أي من خيري الدنيا والآخرة على معنى عدم السكون إليها، وعدم التعلق بها. **(قوله: علم التوحيد والتوحيد غيره)** أي وذلك لأنَّ مقام

والتوحيد غيره) هذا صريح في الفرق بين علم التوحيد وحال التوحيد، فإنَّ الحصري كان يكلم الناس بالأدلة الدالة على الوحدانية لينقلهم من الاعتقاد إلى درجة العلم لترتفع درجتهم عند ربهم كما قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١] وكان الرائي يسمع كلامه فرأى الملكين صاعدين وأحدهما يقول للآخر: هذا يتكلم في علم التوحيد لا في حال التوحيد وحقيقته، وفائدة هذه الرؤية تحريك الرائي إلى الانتقال من علم التوحيد إلى حال التوحيد وحقيقته ليكون في أعلى درجات التوحيد فإنَّ من كان في حال التوحيد فعلم التوحيد عنده، ومن كان في علم التوحيد فاعتقاد التوحيد عنده، فمتى بلغ أعلى مقامات التوحيد كان متصفاً بمقاماته كلها وقوله: كنت **(يعني كنت بين اليقظة والنوم)** كما تقرر ويحتمل أنَّه اشتغل حسه بالسماع فكوشف برؤية الملكين.

(وقال فارس: التوحيد هو إسقاط الوسايط) أي الأدلاء على الحق تعالى **(عند**

الاول مقام الفرق، ومقام الثاني مقام الجمع بل قد يكون جمع الجمع والله أعلم. **(قوله: وحال التوحيد)** أي الذي هو إنما ينشأ عن غلبة النظر للحق على قلب العبد الموحد حتى لا يشهد غيره تعالى، وحاصل الفرق بين علم التوحيد وحال التوحيد هو أنَّ علمه إنما ينشأ من النظر في الأدلة العقلية والسمعية الموصلة إلى الاعتقاد الجازم بأنَّه سبحانه وتعالى واحد في ذاته، وفي صفاته، وفي أفعاله، وحال التوحيد إنما نشأ من غلبة التوحيد على قلب الموحد بواسطة تكرر الأدلة على قلبه المثمر لليقين الذي أشار له بعض العارفين حيث قال: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً فعلم التوحيد مبادي وحال التوحيد من النهايات، والله أعلم.

(قوله: لينقلهم من الاعتقاد) أي المجرّد عن العلم بالأدلة وقوله: إلى درجة العلم أي جزم القلب الناشىء عن واضحات الأدلة. **(قوله: تحريك الرائي الخ)** أي فهي من اللطف منه تعالى بعبده. **(قوله: فعلم التوحيد عنده)** أي بقوّة جزم قلبه بوحدانيته تعالى على حسب ما شاهده من كمالاته.

(قوله: فاعتقاد التوحيد عنده) أي بل اعتقاده أقوى لما قام عنده من واضحات الأدلة. **(قوله: كان متصفاً بمقاماته كلها)** أي من الاعتقاد المجرد عن الأدلة ومن المصحوب بها. **(قوله: التوحيد هو إسقاط الوسايط)** معناه شهود الموحد القديم مجرداً عن الوجود الحادث، وهذا بعينه معنى قولهم: التوحيد إسقاط الحدث وإثبات القدم، وأما معنى قولهم: التوحيد إسقاط الإضافات فهو شهود القديم مجرداً عن التعينات الكونية ومنزهاً عن الإضافات الحدوثية بأنْ لا يضاف إلى الأرض أو السماء وما فيهما مثلاً، والحاصل أنَّ ذلك معناه الإشارة إلى ثمرة التوحيد بعد تحقيقه للعبد، فتارة تغلبه

غلبة الحال) والاستغراق **(والرجوع إليها)** أي إلى الوسايط **(عند الأحكام)** هذا كلام جامع بين العلوم والأحوال فمتى وجد العبد المدلول واستغرق فيه سقط عن قلبه الوسايط ذكر أو متى زال عنه ذلك ورجع إلى ذكرهم عظمهم وعرف قدرهم وحكم بذلك.

(وأنَّ الحسنات) والخيرات الواقعة في الدنيا **(لا تغير الأقسام)** الأزلية **(من الشقاوة والسعادة)** فحق العبد أنْ لا يسكن إلى أعماله التي رتب عليها الشرع الثواب خوفاً من أن يكون قد سبق في علم الله ما يحبطها فحقه أنْ يكون في حال علمه خائفاً مما سبق له فإنَّه لا ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩] **(سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت أبا بكر بن شاذان يقول: سمعت الشبليَ يقول: التوحيد صفة الموحد)** بفتح الحاء **(حقيقة وحلية الموحد)** بكسرها **(رسماً)** لأنَّ وحدانيته تعالى ثابتة أزلاً وأبداً، وإذا منّ على عبده بمعرفتها علماً أو حالاً فهي خلعة خلعها عليه وحلية حسنة حلاّه بها في دنياه ويكملها له في أخراه. **(وسئل الجنيد عن توحيد الخاص فقال:)** هو **(أنْ يكون العبد شبحاً)** أي شخصاً ملقى **(بين يدي الله تجري عليه تصاريف تدبيره في مجاري أحكام قدرته في**

أحواله فتسقط عنده الوسايط، وتارة يعود إلى الصحو فيرجع إليها عند الأَحكام واعلم أنَّ الكمال في الكمال.

(قوله: إسقاط الوسايط) أي المحسوسة والمعقولة كما هو واضح لمن له ذوق. **(قوله: والرجوع إليها)** أي لضرورة قيامه بأعباء التكاليف الشرعية. **(قوله: هذا كلام جامع بين العلوم والأحوال)** أي بين حال الصحو وحال السكر والغيبة. **(قوله: ذكراً)** يحتمل أنَّه يقرأ بضم فسكون أو بكسر فسكون بل إرادتهما معاً أظهر.

(قوله: وأنَّ الحسنات) أي بحسب الظاهر مع أنَّها قد تكون غير مقبولة لا تغير الأقسام الأَزلية ومحصل ذلك النهي عن الاغترار بما يبدو على الإنسان من أنواع الطاعات، وأنَّ الذي ينبغي له استصحاب الخوف منه تعالى في مدة عافيته لجهل سوابق التقدير، ولذلك قيل في الحكم العطائية: سوابق الهمم لا تخرق أسوار الأقدار، وعن القنوط بكثرة السيئات بشاهد قوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]. **(قوله: التوحيد صفة الموحد حقيقة)** أي لأنَّه هو الفاعل المختار، وقوله: وحلية الموحد رسماً أي لكونه الفاعل ظاهراً فهو مجرى لأحكامه تعالى في الحقيقة وفاعل مجازاً، ويحتمل أنَّ المراد أنَّ علم الوحدانية الحقيقي الذاتي وصفته تعالى حقيقة، وعلم العبد بها أو غلبة حالها عليه إنما وصل إليه من حلية طارئة ووصف رسمي مجازي نشأ من تفضله سبحانه وتعالى على من سبقت له العناية الإِلهية. **(قوله: بين يدي الله تعالى)** أي يتقلب

لجج بحار توحيده بالفناء عن نفسه وعن دعوة الخلق له) في مهماتهم **(وعن استجابته)** أي إجابته لهم **(بحقائق)** أي فناؤه عما ذكر بسبب حقائق **(وجوده حقيقة قربه)** منه تعالى صلة الفناء **(بذهاب حسه وحركته)** تفسير للفناء وإنما فني بذلك **(للقيام الحق له فيما أراد منه، وهو أنْ يرجع آخر العبد إلى أوّله فيكون كما كان قبل أنْ يكون)** في أنّه لا حركة له ولا إرادة، والمراد بما ذكره أنّ حق العبد أنْ يكون راضياً بما يجريه الله عليه مما يرضاه له، وتشهد بصحته الشريعة وربه حينئذٍ لكمال حفظه ومحبته له لا يجري عليه إلا ما ينفعه. **(وسئل البوشنجيّ عن التوحيد فقال:)** أنْ تعلم أنّه **(غير مشبه الذوات ولا منفي الصفات)** القديمة كما مرّ بيانه أوائل الكتاب. **(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا الحسين العنبريّ يقول: سمعت سهل بن عبد الله يقول: وقد سئل عن ذات الله**

بين قدرته وإراداته سبحانه وتعالى. **(قوله: في لجج بحار توحيده)** أي حالة كونه مستغرقاً في لجج بحار توحيده، وقوله: بالفناء عن نفسه الباء فيه للسببية أي سبب فنائه عن نفسه في هذه الحالة الغالبة على قلبه.

(قوله: أي فناؤه عما ذكر) أي عن نفسه وعن دعوة الخلق له، وعن استجابته، وقوله: بسبب حقائق وجوده ووحدانيته أي الحقائق التي اتضحت من واضحات الأدلة، وقوله: في حقيقة قربه أي وتلك الحقائق إنما تحققت وانكشفت له في هذه الحالة الشريفة التي تقرب فيها من رحمته تعالى وإحسانه.

(قوله: بذهاب حسه) أي بواسطة الفناء في مرادات الحق تعالى. **(قوله: وإنما فني بذلك الخ)** مراده بيان وجه فنائه وحقيقته، ومحصله أنّه سقوط حركات العبد وسكناته فيرجع كحاله قبل أنْ يوجد. **(قوله: لقيام الحق له)** أي لعلمه بذلك واعتقاده بشاهد خبر «كلٌّ ميسر لما خلق له»[1]. **(قوله: وهو أنْ يرجع آخر العبد)** محصل ذلك التبري من الحول والقوّة مع الرضا بما يجريه الحق تعالى من تصاريف أحكامه.

(قوله: وربه حينئذ) أي حين وصوله إلى هذه الحالة، وقوله: لا يجري عليه إلا ما ينفعه أي بدليل ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢] الآية. **(قوله: غير مشبه الذوات)** أي لوجوب مخالفته للحوادث، وقوله: ولا منفي الصفات أي خلافاً لأهل الضلال والباطل من المعطلة فراراً من تعدد القدماء بظنهم الفاسد. **(قوله: وقد سئل عن**

---

(١) أخرجه البخاري (تفسير سورة ٩٢، ٣ ـ ٥، ٧) (أدب ١٢٠) (قدر ٤) (توحيد ٥٤) ومسلم (قدر ٦ ـ ٨) وأبو داود (سنة ١٦) والترمذي (قدر ٣) (تفسير سورة ١١، ٣) وابن ماجه (مقدمة ١٠) (تجارات ٢) وأحمد بن حنبل (١، ٦، ٢٩، ٨٢، ١٢٩، ١٣٣، ١٤٠، ١٥٧، ٢، ٥٢، ٣٧٧، ٣، ٢٩٣، ٤، ٩٧، ٤٣١).

فقال:) هو زائد (**ذات الله موصوفة بالعلم غير مدركة بالإحاطة ولا مرئية**) لنا (**بالأبصار في دار الدنيا وهي**) أي ذاته تعالى (**موجودة بحقائق الإيمان من غير حد ولا إحاطة ولا حلول وتراه العيون في العقبى**) أي الآخرة (**ظاهراً في ملكه وقدرته**) له بالإحاطة، فلا يرى رؤية الأشباح وإنما يرى على ما هو عليه من جلاله وعظمته وتنزهه عن مشابهته لغيره (**قد حجب**) الله (**الخلق عن معرفة كنه ذاته ودلهم عليه بآياته**) الظاهرة (**فالقلوب تعرفه**) بها لا على وجه الإحاطة (**والعقول لا تدركه**) إدراك إحاطة بل إدراكاً بوجه ما (**ينظر إليه المؤمنون**) في الآخرة (**بالأبصار**) بأنْ يخلق لهم فيها إدراكاً يدركونه به (**من غير إحاطة ولا إدراك نهاية، وقال الجنيد: أشرف كلمة في التوحيد ما قاله أبو بكر الصديق رضي الله عنه سبحان من لم يجعل لخلقه سبيلاً**)

ذات الله الخ) أقول: السؤال جهل، والجواب تحقيق ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٧٤]. (**قوله: فقال: ذات الله موصوفة الخ**) فيه إيماء إلى طريق الأدب في السؤال بالبعد عن التكلم في حقيقة الذات، وأنَّ الذي يصح أنْ يسأل عنه إنما هو صفاته العلية ونعوته السنية، ولذلك أجاب ببيان الصفات. (**قوله: موصوفة بالعلم**) أي بالعلم القديم المحيط بسائر الواجبات والجائزات والمستحيلات.

(**قوله: غير مدركه بالإحاطة**) أي بالكنه والحقيقة وذهب بعضهم إلى أنَّ الحق تعالى إذا حوّط عبده يحيط والحق الأول. (**قوله: ولا مرئية لنا**) أي معاشر الخلق ما عداه ﷺ، وقوله: في دار الدنيا خرج بذلك يوم القيامة حيث ثبت إدراكه تعالى فيه بالأبصار على ما يليق بها جلت عظمته.

(**قوله: بحقائق الإيمان**) مراده أنَّ ثبوت وجوده تعالى وتحقيقه أَصله ومنشؤه حقائق الإيمان والتصديق القلبيّ لا الرؤية البصرية. (**قوله: من غير حد الخ**) أي لأنَّ ذلك من شؤون الحوادث جلَّ ربنا عنها وعن لوازمها.

(**قوله: لا بالإحاطة**) أي المعهودة عند الحوادث بل يخلق الله تعالى قوّة لأبصار المؤمنين يوم القيامة حتى يبصرونه على ما يليق بجلاله وعظمته جلت قدرته. (**قوله: قد حجب الله الخلق عن معرفة كنه ذاته**) أي حال بينهم وبين معرفة حقيقة ذاته تعالى لضعف قواهم وعقولهم عنها. (**قوله: بآياته الظاهرة**) أي مثل هذه الأكوان وغيرها والله أعلم.

(**قوله: فالقلوب تعرفه بها**) أي بالآيات المذكورة. (**قوله: بل إدراكاً بوجه مّا**) أي على ما هو اللائق به تعالى. (**قوله: سبحان من لم يجعل لخلقه الخ**) محصله أنَّ غاية معرفة الخلق المصححة لإيمانهم بعد نظرهم في أدلة وجوده وثبوت صفاته، اعترافهم بالعجز عن الإحاطة بما لذاته تعالى من نعوت الكمال مع وقوفهم عن التفكر في كنه الذات العلية. (**قوله: قال الأستاذ: الخ**) محصله ارتكاب تأويل في عبارة الصديق الأكبر

أي طريقاً (**إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته قال الأستاذ الإمام**) القشيريّ (**رحمه الله: ليس يريد الصديق**) رضي الله عنه (**إنه**) تعالى (**لا يعرف**) إلا بالعجز عن معرفته المعدومة (**لأنّ عند المحققين العجز**) إنما هو (**عجز عن الموجود دون المعدوم كالمقعد**) فإنه (**عاجز عن قعوده**) الموجود (**إذ ليس**) هو (**بكسب له ولا فعل**) منه لما ذكره بقوله: (**والقعود موجود فيه**) فهو مجبور عليه ومخلوق له (**كذلك العارف**) بالله (**عاجز عن معرفته والمعرفة موجودة فيه لأنّها ضرورية**) حينئذٍ (**وعند هذه الطائفة المعرفة به سبحانه في الانتهاء ضرورية**) فهم عاجزون عن معرفتهم التي عرفهم إياها وأوجدها لهم (**فالمعرفة الكسبية في الابتداء وإنْ كانت معرفة على التحقيق فلم يعدها الصديق رضي الله عنه شيئاً بالإضافة إلى المعرفة الضرورية كالسراج عند طلوع الشمس وانبساط شعاعها عليه**) واستبعد بعضهم هذا التأويل، قال: وإنما أراد الصديق أنّ العبد إنما يعرف من جلال الله وعظمته ما خلق له المعرفة به دون ما عجزت العقول عن إدراكه، ولم يخلقه له من حقيقة ذاته وصفاته فهو عاجز عن معرفة ذلك فقوله: سبحان من لم يجعل لخلقه سبيلاً إلى معرفته أي إلى كمال معرفته في الدنيا إلا بعلمهم بعجزهم عن غاية معرفته وإلا فالتأويل جار في كل معتقد فإنّ من عرف الله بالدليل أو خلق الله له اعتقاداً صحيحاً بذلك عاجز عن تحصيله. (**سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت أحمد بن سعيد البصريّ بالكوفة يقول: سمعت ابن الأعرابي يقول: قال الجنيد: التوحيد الذي انفرد به الصوفية هو**

رضي الله تعالى عنه بحمل المعرفة على غير المكتسبة بل على الضرورية المخلوقة له في آخر عمره المشبهة بشعاع الشمس إذا انبسط بعد طلوعها، والكسبية بضوء السراج مع ذلك الشعاع فتدبره فإنّه نفيس. (**قوله: لأنّ عند المحققين الخ**) علة لقوله: ليس يريد الصديق الخ.

(**قوله: كذلك العارف بالله الخ**) أي فالعارف أيضاً عاجز عن المعرفة بالله الضرورية الموجودة فيه بالقوّة والاستعداد نهاية الأمر عجزه عنها لعدم تعلق قدرته بها، وعدم اكتسابها لكونها ضرورية توجد له في آخر عمره بخلق الله لها فيه. (**قوله: وإنْ كانت معرفة على التحقيق**) أي وإنْ اكتفى بها في مقام التكليف لكونها هي التي في الوسع والطاقة، ولتوقف صحة الإيمان والعمل عليها، فلم يعدها الصديق. (**قوله: كالسراج**) خبر عن قوله: فالمعرفة الكسبية. (**قوله: قال: وإنما أراد الخ**) أقول: وهو الظاهر فالأولى حمل الكلام عليه.

(**قوله: دون ما عجزت الخ**) أي بدليل: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. (**قوله: إلا بعلمهم بعجزهم الخ**) أي فالمعنى أنّ العلم بالعجز عن غاية معرفته هو

إفراد القدم عن الحدث) أي الحدوث **(والخروج عن الأوطان وقطع المحاب)** أي محبوبات النفس **(وترك ما علم وجهل وأنْ يكون الحق)** تعالى **(مكان الجميع)** ليشتغل قلب العبد به ويتفرّغ عما عداه حتى عن نفسه وتقدم بيان ذلك **(وقال يوسف بن الحسين، من وقع في بحار التوحيد لا يزداد على ممر الأوقات إلا عطشاً)** إليه فإنَّه وإنْ بلغ فيه ما بلغ لم يبلغ كنهه كما مرّ فهو متعطش إلى ما لم يبلغه، **(وقال الجنيد: علم التوحيد مباين لوجوده ووجوده مفارق)** أي مباين **(لعلمه)** فكل منهما مباين للآخر وفيه الفرق بين علم التوحيد وحاله وتقدم بيانه، **(وقال الجنيد أيضاً: علم التوحيد)** أي علم دقائقه **(طوى بساطه منذ عشرين سنة والناس يتكلمون في حواشيه)** أي ظواهره وأراد بذلك أنْ يحرك غيره إلى الجد في السلوك ليصلوا إلى العلم بدقائق التوحيد، وقيل: المراد بعلم التوحيد الذي طوى بساطه كلام أرباب الأحوال في أحوالهم وحواشيه كلامهم في أقوالهم. **(سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت محمد بن أحمد الأصبهانيّ يقول: وقف رجل على الحسين بن منصورفقال:**

سبيل معرفته الذي قدره سبحانه وتعالى لعباده. **(قوله: هو إفراد القدم)** أي القديم عن الحدث أي الحادث أي إفراده بالقصد والعبادة. **(قوله: والخروج عن الأوطان)** أي الانفصال عنها سواء كانت الأوطان حسية كالمساكن أو معنوية كالمقامات والأحوال التي ينازلها العبد المقرب. **(قوله: وترك ما علم وجهل)** أي على معنى عدم الركون إلى ذلك، وذلك بالرجوع إلى الحق سبحانه وتعالى والرضا بما يجريه من أحكامه. **(قوله: وأنْ يكون الحق تعالى مكان الجميع)** أي فيكون اشتغاله بالحق تعالى وبما يرضيه مستغرقاً لقلبه مانعاً من الالتفات إلى ما سواه.

(قوله: من وقع في بحار التوحيد) أي في مقاماته وأحواله الشبيهة بالبحر في السعة واضطراب الأمواج وقت تزايد الرياح. **(قوله: لا يزداد الخ)** أي ولذلك قيل: إنَّه يقال لذي الكمال وقت الترقي إلى الأكمل: مقصودك أمامك إنما نحن فتنة فلا تفكر.

(قوله: علم التوحيد مباين لوجوده) أي العلم الموصل إلى اعتقاد وحدته تعالى ذاتاً وصفةً وفعلاً مغاير لوجوده بمعنى التخلق بحقيقة ما علمه، فلا يلزم أنَّ كل من اعتقد وحدانيته تعالى على الوجه المذكور يتخلق بحقيقة ما علم كما هو غني عن البيان، وحيث كان كذلك لزم أنَّ وجودة مباين ومغاير لعلمه المجرد عن التخلق المذكور.

(قوله: طوى بساطه) أقول: فإذا ثبت هذا بالنسبة لعلم التوحيد فما ظنك بحال التوحيد، فلا حول ولا قوّة إلا بالله. **(قوله: وأراد بذلك أنْ يحرك غيره)** أي فليس المقصود الحقيقة بل الحث على الجد والتشمير في الوصول إليه. **(قوله: وقيل: المراد الخ)** أقول: وهو اللائق بأهل العصر المتقدّم أما بالنسبة لأهل عصرنا فالأول أليق لندرة

من الحق الذي تشيرون إليه فقال: **معل الأنام ولا يعتل)** أي هو المحدث للخلق ولا محدث له، (**وسمعته**) أيضاً (**يقول**: **سمعت الشبلي يقول**: **من اطلع على ذرة من علم التوحيد ضعف عن حمل بقة**) وفي نخسة نفسه (**لثقل ما حمله لأنَّ من اطلع على ذلك علم أنَّ الله هو الفاعل لكل مخلوق وأنَّ غيره لا فعل له فلم يطق حمل شيء من بقة وغيرها إلا بقوّته تعالى ولطفه. سمعت أبا حاتم السجستاني يقول**: **سئل الشبلي فقيل له**: **أخبرنا عن توحيد مجرد**) أي خالص (**بلسان حق مفرد فقال**) مجيباً: (**ويحك من أجاب عن التوحيد**) المجرّد (**بالعبارة فهو ملحد**) أي مائل عن الحق إلى غيره لأنَّه لا يدرك كنهه فكيف يعبر عنه (**ومن أشار**) أي أجاب بالإشارة (**إليه فهو ثنوي**) نسبة إلى اثنين أي فهو يدرك نفسه وربه فلم يكمل استغراقه فلم يكمل توحيده (**ومن أومأ**) أي أجاب بالإِيماء (**إليه فهو عابد وثن**) أي صنم لتضمن ذلك جهة وشبحاً فلم يكمل استغراقه (**ومن نطق فيه**) أي الجواب (**فهو غافل**) عن كمال التوحيد، وهذا يرجع إلى الأول (**ومن سكت عنه**) أي عن الجواب (**فهو جاهل**) بالتوحيد (**ومن توهم أنه واصل**) بنفسه (**فليس له حاصل**) في علم التوحيد (**ومن رأى أنه قريب**) منه تعالى بالذات (**فهو بعيد**) من هذا العلم وغيره. (**ومن تواجد**) فرحاً بالتوحيد (**فهو فاقد**) للاستغراق فيه، فالمراد مما قاله: أنَّ التوحيد المجرد باللسان الحق وهو التوحيد

العلماء وكثرة الجهال فيه. (**قوله: فقال: معل الأنام الخ**) أي الذي وجوده علة كل موجود، ولا علة لوجوده تعالى، ولا يخفى ما في التعبير. (**قوله: ضعف عن حمل بقة**) أي باعتبار ذاته بدون معونة من ربه، وذلك بشهود أنَّ لا فاعل غيره تعالى. (**قوله: عن توحيد مجرّد**) لعل المراد أنَّه سئل عن استكشاف الحقيقة الإلهية، ولذلك أجاب بقوله: ويحك التي هي للترحم وعدل إلى الحث، والحمل على طلب حال التوحيد، وهو الاستغراق في كمال الله وجلاله حتى يفنى عن نفسه وغيره.

(**قوله: بلسان حق مفرد**) أي معبراً عنه بحسب الحقيقة لا بحسب ظاهرالشريعة. (**قوله: فهو ملحد**) من الإلحاد، وهو الميل عن الحق إلى غيره لعدم إمكان التعبير عن حقيقة الذات العلية لاستحالة علم كنهها كما أفاده الشارح. (**قوله: فهو ثنويّ**) أي لأنَّ الإِشارة تقتضي وجود المشير والحق وحدة الوجود. (**قوله: فهو عابد وثن**) أي لأنَّه هو الذي له جهة يشار إليه باعتبارها. (**قوله: عن كمال التوحيد**) أي الذي ينشأ عنه الاستغراق فيه والسكوت عن قول فيه. (**قوله: فهو جاهل**) أي لقصوره عن الجواب. (**قوله: فليس له حاصل**) أي لأنَّ كمالاته تعالى لا نهاية لها فمن فهم الوصول إليها فقد أخطأ لعدم محصوله بشاهد العلم. (**قوله: فهو فاقد**) أي حيث بقي إحساسه أو لبقاء فرحه بحاله واستحسانه له.

الكامل استغراق العبد في كمال الله وجلاله وتنزيهه استغراقاً ينسى فيه نفسه لشغله بوحدانيته تعالى.

(وكل ما ميزتموه بأوهامكم أدركتموه بعقولكم في أتم معانيكم) الدالة على الحدوث من جهة وشبح ونور ونحوها **(فهو مصروف)** عنه تعالى **(مردود إليكم محدث مصنوع مثلكم)** فإنه تعالى منزه عن الحدوث والأشكال، **(وقال يوسف بن الحسين: توحيد الخاصة)** وهو التوحيد الكامل **(أنْ يكون)** العبد **(بسره ووجده وقلبه كأنّه قائم بين يديه سبحانه يجري عليه تصاريف تدبيره وأحكام قدرته)** من تحريك وتسكين وغيرهما **(في)** أي يجري ذلك في **(بحار توحيده)** وشغله به **(بالفناء)** أي مع الفناء **(عن نفسه وذهاب حسه)** عن كل مخلوق **(بقيام)** أي بسبب قيام **(الحق له في مراده منه فيكون كما)** كان **(هو قبل أنْ يكون في جريان حكمه سبحانه عليه)** فإنّه كان قبل أنْ يكون في علمه تعالى وإرادته معلوماً مراداً وإنْ لم يكن موجوداً فكذا يكون لكمال شغله بما ذكر كأنّه لم يكن بالإضافة إلى غير الله وإلا فهو بالإضافة إليه تعالى غير غافل عنه بل كامل الشغل به **(وقيل: التوحيد)** حقيقة إنما هو **(للحق)** تعالى لأنّه صفة قديمة له **(و)** التوحيد في **(الخلق)** أي القائم بكل منهم **(طفيلي)** حادث كائن بعد أنْ لم يكن، **(وقيل: التوحيد إسقاط اليا آت)** أي ياآت الإضافة بأنْ لا يضيف العبد إلى نفسه شيئاً لا ملكاً ولا عملاً ولا حالاً **(لا تقول لي وبي ومني وإليّ)** مثلاً وإنما تضيف ذلك إلى فاعله الحقيقي ويغلب على قلبك ذلك حتى تنسى الأغيار، **(وقيل لأبي بكر الطمَستاني: ما التوحيد؟ فقال:)** هو **(توحيد)** أي حكم بأنّه تعالى واحد **(وموحد)** بفتح الحاء **(وموحد)** بكسرها **(هذه ثلاثة)** لا يحصل التوحيد إلا بها،

(قوله: فهو مصروف عنه تعالى الخ) أي لاستحالته في حقه سبحانه وتعالى لأنَّ كل ما يميزه الحادث ويتصوّره لا يليق به سبحانه وتعالى. **(قوله: وقال يوسف: الخ)** تقدم مثله عن الجنيد. **(قوله: أن يكون العبد بسره الخ)** محصله أنْ يكون مسلوب الحركة والسكون استغراقاً في مقام واحديته تعالى.

(قوله: كأنه لم يكنْ الخ) أي بالنسبة لما ليس له شاهد من علم الشريعة كما لا يخفى. **(قوله: وقيل: التوحيد حقيقة الخ)** أي فعلم الانفراد حقيقة في شيء من الأشياء لا يكون إلا له تعالى، فإذا أضيف إلى غيره فهو على وجه التطفل والمجاز. **(قوله: حادث كائن بعد أنْ لم يكن)** أي حيث هو من آثار القدرة لأنّه من نوع الممكن. **(قوله: التوحيد إسقاط الياآت)** أقول: ذلك من لوازم حقيقة التوحيد إذا نازله العبد لا معناه حقيقة. **(قوله: فقال: هو توحيد الخ)** أي فقد تبين التوحيد بأركانه.

(وقال رويم: التوحيد) يعني توحيد العارفين (محو) ذكر (آثارالبشرية) عن القلب (وتجرد الألوهية) أي تجرّد القلب بكمال شغله بالله عن الالتفات إلى غيره حتى لم يبقَ في قلبه غيره. (سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق رحمه الله يقول في آخر عمره وكان قد اشتدت به العلة فقال:) هو زائد (من أمارات) أي علامات (التأبيد) للولي (حفظ) الله له في (التوحيد في أوقات الحكم) عليه بما يجريه عليه(ثم قال كالمفسر لقوله:) هذا (مشيراً إلى ما كان من حاله هو أن يقرضك بمقاريض القدرة في إمضاء الأحكام) التي تجري عليك (قطعة قطعة وأنت) في ذلك ناظر إلى توحيده (شاكر) له على نعمه (حامد) له بصفاته وفي نسخة ساكن خامد بسين مهملة ونون وخاء معجمة، (وقال الشبليّ: ما شم رائحة التوحيد من تصور عنده التوحيد) لأنَّ كمال التوحيد أنْ يشتغل بالله شغلاً ينسيه عن غيره تعالى ومن جملته توحيده فمتى تصوره لم يستغرق في كمال توحيده، (وقال أبو سعيد الخراز: أول مقام لمن وجد) عنده (علم التوحيد وتحقق) أي واتصف (بذلك) أي بالتوحيد (فناء ذكر الأشياء عن قلبه وانفراده) بشغله (بالله تعالى) بأنْ اشتغل به لا بغيره فإنْ كمل شغله به بحيث نسي نفسه مع غيره ما عدا الله فقد بلغ نهاية مقام التوحيد، (وقال الشبلي لرجل: تدري لم لا يصح توحيدك؟ (فقال: لا قال: لأنكَ تطلبه بك) لا بالله فإنْ طلبته به صح توحيدك وأصل كل خير وكل مقام رفيع أنْ يخلص فيه العبد لربه ويتبرأ من حوله وقوّته، فلا يلتفت لنفسه ولا لكسبه، ولهذا قال تعالى: (﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣] (وقال ابن عطاء: علامة حقيقة التوحيد نسيان التوحيد) لما مرّ من أنَّ كمال التوحيد أنْ ينسى العبد نفسه وتوحيده (وهو أنْ يكون القائم به) أي بقلبه (واحداً) وهو الله تعالى لا غيره، ثم أشار إلى بيان اختلاف مقامات الموحدين فقال: (ويقال: من الناس من يكون في توحيده مكاشفاً) بفتح الشين (بالأفعال يرى الحادثات بالله) بأنْ يرى الأفعال

(قوله: محو ذكر آثار البشرية) أي نفي تعلق القلب بها من غير شاهد من علم الظاهر كما لا يخفى. (قوله: حفظ الله له الخ) حاصله أنّه الرضا بما يجريه الحق تعالى من الأحكام وإنْ لم يلائم ميل النفس. (قوله: شاكراً له على نعمه) فيه الإشارة إلى أنّه ممن يعد البلاء من النعم. (قوله: ما شم رائحة التوحيد) فيه الحث على التبري مما للنفس من الأقوال والأفعال والحركات والسكون وغير ذلك. (قوله: قال أبو سعيد: الخ) هو قريب مما قبله بل ما قبله أبلغ منه. (قوله: لأنّك تطلبه بك) أي تعتمده وتلتفت إليه مع الغفلة عن طلب الإعانة ممن له الأمر كله. (قوله: واحداً) أي في القصد والعبادة.

لواحد وقلبه مع الحادثات فأي شيء حدث ذكر محدثه ومنهم من هو مكاشف بالصفات القديمة كالقدرة والإرادة والعلم، وهذا أرفع درجة مما قبله، **(ومنهم من هو مكاشف بالحقيقة فيضمحل)** فيها **(إحساسه بما سواه)** تعالى **(فهو يشاهد الجمع سراً بسر)** أي يشاهد باطنه شيئاً فشيئاً بوصف الجمع **(وظاهره بوصف التفرقة)** فيكمل عنده انفراد الحق في ذاته وأفعاله وصفاته، وهذا هو التوحيد الكامل. **(سمعت محمد بن عبد الله الصوفي رحمه الله يقول: سمعت عليّ بن محمد القزوينيّ يقول: سمعت القنفد يقول: سئل الجنيد عن التوحيد فقال: سمعت قائلاً يقول: وغنا لي مني قلبي. وغنيت كما غنا. وكنا حيثما كانوا. وكانوا حيثما كنا)** فاعتبر الجنيد بذلك نفسه وحاله مع الله وكونه تعالى خلق له السماع في قلبه وعبر عنه بالفناء فلما خلقه في قلبه هاجت عليه أحوال الموافقة لما سمعه أخذاً من قوله: وغنيت كما غنى، وأخبر أنه لما توالى عليه هذا الحال لم يبق فيه وسع ولا ذكر لغير الحق شغلاً به عن غيره أخذاً من البيت الثاني، وفيه إشارة إلى استغراقه بالكلية حتى عن نفسه فلم يرَ إلا واحداً **(فقال)** له: **(السائل)** لما لم يفهم الجواب من البيتين كما فهمه هو **(هلك القرآن والأخبار)**

(قوله: **بأنْ يرى الأفعال لواحد)** أي وهذا أول مقامات الموحدين من أرباب العلوم الظاهرة. (قوله: **وهذا أرفع الخ)** أي لأنَّ نظر صاحب هذا المقام إنما هو إلى منشأ الأشياء ومصدرها بخلاف من قبله، فإنَّ نظره ابتداء إلى الآثار ثم ينتقل منها إلى مصدرها وشتان ما بين النظرين

(قوله: **ومنهم من هو مكاشف بالحقيقة الخ)** الفرق بين هذا وما قبله أنَّ الأوّل سبب وصوله شاهد العلم، وهذا سبب وصوله تكرر ذلك الشاهد على قلبه حتى غلب عليه وصار كأنه معاين له محسوس عنده بواسطة قوّة اليقين، ومن هنا قيل: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً. (قوله: **فهو يشاهد الجمع الخ)** أي وذلك باعتبار أنَّه لا يرى إلا الواحد تعالى وتقدّس وقوله: وظاهره بوصف التفرقة أي لأجل أنْ يتحقق له نعت العبودية ويقوم بالمتابعة الأحمدية.

(قوله: **وغنى لي منى قلبي الخ)** أي فهو يشير رضي الله عنه إلى أنَّ ما ظهر على جوارحه مما بطن في سرائره وله الإشارة بخبر «ألا وإنَّ في الجسد مضغة» الحديث، وقوله: وكنا الخ يريد به أنَّ مراداته قد فنيت في مرادت مولاه تعالى، فلا يتحرك ولا يسكن إلا على هذا الشاهد، وقوله: وكانوا الخ الغرض منه بيان ثمرة هذا النعت، وهي أنْ يكون العبد في حفظ مولاه ورعايته، ويشهد لذلك قولهم: من كان في الله تلفه كان الله خلفه.

حتى تستدل بغيرهما (**فقال: لا ولكن الموحد يأخذ أعلى التوحيد من أدنى الخطاب**) وأيسره، فمن غلب على قلبه التوحيد صار له من كل شيء خال ووجد وسماع والمعنى أني ظننت أنك تأخذ الفائدة وتفهم مقام التوحيد من كل خطاب.

(**قوله: فقال: لا ولكن الموحد يأخذ الخ**) أي وذلك الأخذ من إشارة (**سبحانه من له في كل شيء**) آية تدل على أنَّه الواحد. (**قوله: من أدنى الخطاب وأيسره**) أي وإنْ كان القرآن والأخبار المحمدية أعلى ما يستدل بها.

باب أحوالهم

أي الصوفيه (**عند الخروج من الدنيا**) من خوفهم ورجائهم وحبهم للقاء الله وغير ذلك.

(**قال الله تعالى**: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾) [النحل: ٣٢](**يعني طيبة نفوسهم ببذلهم مهجهم لا يثقل عليهم رجوعهم إلى مولاهم**) بل يحبون لقاءه ويفرحون بخروجهم من الدنيا. (**أخبرنا عبد الله بن يوسف الأصبهانيّ رحمه الله قال: أخبرنا أبو الحسن عليّ بن محمد بن عقبة الشيبانيّ بالكوفة قال: أخبرنا الخضر بن أبان الهاشميّ قال: أخبرنا أبو هدبة عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ العبد**

باب أحوالهم

أي الصوفية عند الخروج من الدنيا

أي بيان صفاتهم ونعوتهم وقت اقتراب آجالهم ورحيلهم من دار الفناء وانتقالهم إلى دار البقاء من الخوف والرجاء وغيرهما، واعلم أنَّ المطلوب في هذه الحالة تغليب الرجاء بالنظر إلى سعة الرحمة، وزيادة الفضل، ولأنَّ الانتقال إنما هو لأكرم الكرماء، فما يقع لبعضهم في هذا الوقت من الخوف، فهو من باب الغلبة لا الاختيار لأنَّ طريق المتابعة خير الطرق الموصلة إلى الحق جل جلاله، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [النحل: ٢٨] مما يدل على طلب الرجاء في مثل هذه الحالة كما لا يخفى. (**قوله: يعني طيبة نفوسهم**) أي راضية مطمئنة بما قضاه الحق تعالى وأمضاه.

(**قوله: لا يثقل عليهم رجوعهم الخ**) أي لثقتهم بالوعد الحق والخبر الصدق. (**قوله: بل يحبون لقاءه الخ**) اعلم أنَّ محبة لقاء الله هي العمل على ما يحبه ويرضاه لا الميل إلى الموت لأنه عرض يضاد الحياة لا يمكن الميل إليه ولا تتيسر محبته لأحد من الخلق كما لا يخفى على بشر.

(**قوله: ويفرحون بخروجهم من الدنيا**) أي الشأن ذلك وما يقع لبعضهم في هذا الوقت من الخوف والبكاء، فذلك من غلبة الأحوال بالاختيار كما أسلفناه. (**قوله: إنَّ العبد**) أي الإنسان ليعالج كرب الموت أي ألمه وشدّته وقت نزع روحه من جسده، وذلك يختلف صعوبة وسهولة على حسب الحكم الإلهية فيشتد بالنسبة لبعض، ويهون بالنسبة

ليعالج كرب الموت وسكرات الموت وإنّ مفاصله ليسلم بعضها على بعض تقول عليك السلام تفارقني وأفارقك إلى يوم القيامة»[1]) والمراد بمفارقتها بلاها بعد الموت إلى أن تعاد. (أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله قال: حدثنا سوار قال: حدثنا جعفر عن ثابت عن أنس أنّ النبي ﷺ دخل على شاب وهو في) حالة (الموت فقال) له: («كيف تجدك فقال: أرجو الله وأخاف ذنوبي فقال رسول الله ﷺ: شيئآن لا يجتمعان في قلب عبد مؤمن في هذا الموطن»[2]) أي موطن الموت يعني حاله (إلا أعطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف) وأحسن أحوال العبد في دنياه مع مولاه أن يستوي عنده رجاؤه فيه وخوفه منه (واعلم أنّ أحوالهم في حال النزع مختلفة فبعضهم الغالب عليه الهيبة) أي الخوف من الله تعالى والإجلال للقائه فيقلق ويبكي ويشهق كما رؤي بعضهم يبكي فقال: ما أبكي حزناً على الدنيا ولا ضناً بكم ولكن أخشى إحدى المنزلتين. (وبعضهم الغالب عليه الرجاء) فينبسط كما قال بلال رضي

لآخرين. (قوله: تقول: عليك السلام الخ) ظاهره أنّه بلسان المقال ولا مانع حيث القدرة صالحة، ويحتمل أنّه بلسان الحال. (قوله: والمراد بمفارقتها بلاها بعد الموت) أقول: وإنْ كان هذا محتملاً أنّ الذي يظهر من الحديث أنّ ذلك وقت الموت لا بعده بجعل الواو في قوله: وأنّ مفاصله الخ للحال فهو خبر عما سيصير بعد الموت.

(قوله: بلاها بعد الموت) أي بالنسبة لمن قدر الله تعالى بلاه لا غيره ممن استثنى الشارع ﷺ. (قوله: شيئان) أي هما وصفان لا يجتمعان في قلب عبد مؤمن الخ، ويحتمل أنّ ذلك باعتبار ما علمه ﷺ في خصوص هذا الشاب، فلا ينافي ما نص عليه في كتب الفروع من أنّ المطلوب في هذه الحالة تغليب الرجاء على الخوف على أنّ الاجتماع لا يستلزم المساواة في المجتمعين. (قوله: أنْ يستوي عنده الخ) مراده عدم إفراط صفة الخوف والرجاء المؤدي إلى اليأس أو التساهل، وذلك لا ينافي ما ذكره الفقهاء من طلب تغليب الخوف في الصحة والرجاء في المرض فتدبر. (قوله: مختلفة) أي على حسب تجليات الحق تعالى على العبد في هذا الوقت. (قوله: ولا ضناً بكم) أي بخلاً بمفارقتكم ولكني أخشى إحدى المنزلتين أي أخاف إحدى المنزلتين أي وهي النار وهذا كما ترى من أخلاق المريدين وإلا فالعارفون خلقهم الفناء في مراد الحق تبارك وتعالى.

(قوله: وبعضهم الغالب عليه الرجاء الخ) أي وذلك هو الأكمل لموافقته الاتباع.

---

(١) أخرجه السيوطي في (جمع الجوامع ٥٧١٠) والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ١٠/ ٢٦٣) والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ٤/ ٤٤٨) وابن عراق في (تنزيه الشريعة ٢/ ٣٧٥) والفتني في (تذكرة الموضوعات ٢١٤).

(٢) أخرجه ابن ماجه في (السنن ٤٢٦١) وابن أبي حاتم الرازي في (علل الحديث ١٨٠٦).

الله عنه: واطرباه غداً نلقى الأحبة محمداً وحزبه، **(ومنهم كشف له في تلك الحالة)** أي حالة النزع **(ما أوجب له السكون وجميع الثقة)** بالله تعالى **(حكى أبو محمد الجريريّ قال: كنت عند الجنيد في حال نزعه، وكان يوم الجمعة ويوم نيروز وهو يقرأ القرآن فختمه)** ثم ابتدأ البقرة فقرأ منها شيئاً **(فقلت له: في هذه الحال يا أبا القاسم فقال: ومن أولى مني بذلك)** أي بالاشتغال بالأفضل والأحب إلى الله تعالى **(وهو ذا)** أي في هذا الحين **(تطوى صحيفتي)** كان الجنيد ممن يغلب عليه قبل حالة النزع دوام الذكر والقراءة وأعمال البر فتمادى ذلك عليه بفضل ربه إلى وقت نزعه، وأنت إذا تأملت أحوال الخلق وجدت الجاري عليهم عند موتهم ما كان الغالب عليهم قبل ذلك ويؤيده خبر «يموت المرء على ما عاش عليه». **(سمعت أبا حاتم السجستانيّ رحمه الله يقول: سمعت أبا نصر السراج)** الطوسيّ **(يقول: بلغني عن أبي محمد الهرويّ قال: مكثت عند الشبليّ الليلة التي مات فيها فكان يقول طول ليلته هذين البيتين كل بيت أنت)** يا رب **(ساكنه. غير محتاج إلى السرج. وجهك المأمول حجتنا. يوم تأتي الناس بالحجج)** في ذلك دلالة على أنّ لقاء الله يحمل به فرح العبد وانشراح صدره ودوام مناجاته حتى عند وفاته **(وحُكي عن عبد الله بن منازل أنه قال: إنّ حمدون القصار أوصى إلى أصحابه أنْ لا يتركوه في حال الموت بين النسوان)** لتشويشهن عليه بالصياح والعويل ونحوهما وهذا من كمال تثبته ومراقبته، وبعده عن المشوشات وقت الحاجة إلى التثبت، فإن العبد إذا حضره عند الموت من يذكره

(قوله: ما أوجب له السكون) أي طمأنينة القلب، وقوله: وجميل الثقة بالله أي الثقة بالله أي الثقة الجميلة به فلم يظهر منه أثر خوف أو رجاء. **(قوله: فقلت له: في هذه الحال)** أي في هذه الحالة على سبيل الاستفهام التعجبي من اشتغاله بالعبادة مع كرب الموت الذي حل به فقال: ومن أولى بذلك مني أقول: لعله أخذه من قوله جلّ شأنه: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٩]. **(قوله: وهو ذا الخ)** أي فأراد نفعنا الله ببركاته أنّ صحيفته تطوى على أفضل الذكر بتلاوة القرآن الشريف. **(قوله: وجدت الجاري عليهم الخ)** أي لأنّ العادة تصير كالطبيعة لا تفارق إلا بالموت. **(قوله: على ما عاش عليه)** أي على ما اعتاده زمن حياته.

(قوله: كل بيت الخ) يريد به قلب المؤمن، وبالسكنى دوام المراقبة لجلال الحق وجماله، وقوله: غير محتاج إلى السرج أي غير محتاج إلى زيادة النور لأنّ نور الإيمان واليقين أقوى الأنوار، وقوله: وجهك الخ يشير به إلى الفناء عما للنفس بما للحق تعالى من الكرم والجود.

(قوله: يحصل به فرح العبد الخ) أي العبد الجمالي لا مطلق عبد كما لا يخفى.

بالخيرات برفق ويحسن ظنه بالله، ويتلو عنده القرآن مات على أحسن الأحوال بخلافه مع حضور النساء فإنهن كل ما اطلعن عليه من كرب وشدّة صحن بالويل والثبور، ووقع منهن ما لا يرضي الرحيم الغفور. (**وقيل لبشر الحافيّ، وقد احتضر: كأنك يا أبا نصر تحب الحياة فقال: القدوم على الله شديد**) إذ لو لم يكن إلا الموت كفت شدته فإنّ له سكرات، (**وقيل: كان سفيان الثوريّ إذا قال له بعض أصحابه إذا سافر: أتامر بشغل يقول: إنْ وجدت الموت فاشتره لي**) لمحبتي للقاء الله ولخوف التبديل والتغيير في هذه الدار (**فلما قربت وفاته كان يقول: كنا نتمناه**) أي الموت فباشرنا أمارته (**فإذا هو شديد**) مع أنَّ شدته منقولة عن الأنبياء وغيرهم، (**وقيل: لما حضر الحسن**) وفي نسخة الحسين (**بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما الوفاة بكى فقيل له: ما يبكيك؟ فقال:**) كوني (**أقدم على سيد لم أره**) فيه دلالة على إجلال الله وتعظيمه في قلبه والهيبة منه، والخوف مما يبدو مما لم يحسبه، (**ولما حضر بلال الوفاة وقالت امرأته: واحزناه فقال**) هو: (**بل واطرباه غداً نلقى الأحبة محمداً وحزبه**) غلب على ظنه حينئذ ذلك بقوله ﷺ لمن قال له: أنا أحبك «أنت مع من أحببت»[1] وهو كان يحبهم، (**وقيل: فتح عبد الله بن المبارك عينه عند الوفاة وضحك وقال: لمثل هذا فليعمل العاملون**) فيه دلالة على أنّه رأى من أكرام الله له، والبشرى بما وعده به ما حمله على ذلك.

(**قوله: من يذكره بالخيرات برفق**) أي بأن يذكر عنده ما يقويه على حب اللقاء مع عدم التصريح له بالخطاب بنحو قل لا إله إلا الله فإنَّ الموت قد نزل بك مثلاً. (**قوله: صحن بالويل الخ**) أي لأنهن دائماً مع ظاهر البلاء غافلات عن الثمرات المترتبة عليه. (**قوله: وقيل لبشر: الخ**) لعل سبب ذلك القول رؤية قلق منه رضي الله عنه. (**قوله: فقال: القدوم على الله شديد**) أي فهو الذي أخافه لا مفارقة الحياة.

(**قوله: إذ لو لم يكن الخ**) أي مع أنه قد يكون أسهل مما وراءه على ما نقل في أحوال الآخرة. (**قوله: لمحبتي للقاء الله الخ**) دفع به ما يقال: إنْ تمني الموت مكروه شرعاً فأجاب بأنَّ محله ما لم يكن لغرض صحيح مثل ما ذكر.

(**قوله: مع أنَّ شدته منقولة عن الأنبياء وغيرهم**) أي لحكمة رفع الدرجات بالنسبة للمقربين ولتمحيص الخطايا بالنسبة لغيرهم. (**قوله: على سيد لم أره**) أي لم أره بغير آيات قدرته وإرادته تعالى والله أعلم. (**قوله: أنت مع من أحببت**) ظاهره وإنْ لم يعمل بمثل عملهم، وهو كذلك نظراً لثمرة المحبة. (**قوله: وقال: لمثل هذا فليعمل العاملون**)

---

(١) أخرجه البخاري (فضائل الصحابة ٦) (أدب ٩٥، ٩٦) والدارمي (رقاق ٧١) وأحمد بن حنبل (٥، ١٥٦، ١٦٦).

(وقيل: كان مكحول الشامي الغالب عليه الحزن فدخلوا عليه في مرض موته وهو يضحك فقيل له في ذلك:) أي ما سببه (فقال: ولِمَ لا أضحك وقد دنا فراق ما كنت أحذره) من الهوى والشيطان والدنيا (وسرعة القدوم على ما كنت أرجوه وآمله من لقاء ربي) فيه دلالة على كمال حسن ظنه بربه وحصول الأمن له في قلبه كما قال تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾) [يونس: ٦٤] (قال ﷺ: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله»[1] (وقال رويم: حضرت وفاة أبي سعيد الخراز وهو يقول في آخر نفسه: حنين قلوب العارفين إلى الذكر. وتذكارهم وقت المناجاة للسر. أديرت كؤوس للمنايا عليهم. فأغفوا) أي عرضوا (عن الدنيا كإغفاء ذي السكر. همومهم جوّالة بمعسكر. به أهل ودّ الله كالأنجم الزهر. فأجسامهم في الأرض قتلى بحبه. وأرواحهم في الحجب نحو العلى تسري) أي تقطعها بسرعة إلى نحو العلى حتى لم يبق على قلوبهم حجاب يحجبها عنه لإعراضهم عن الدنيا (فما عرسوا) أي نزلوا في سفرهم (إلا بقرب حبيبهم) وفي نسخة مليكهم (ولا) وفي نسخة

أي فحق الهمم أنْ تبذل لمثله بل تبذل الأرواح، ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.
(قوله: فقال: ولم لا أضحك الخ) فيه تنبيه على تمكسه بالمتابعة مع غلبات أمارات الحقيقة عليه، وهكذا حال الكمل من العبيد نفعنا الله ببركاتهم.

(قوله: لا يموتن أحدكم الخ) هو خبر ومعناه النهي عن غير هذه الحالة على ما ذكره الفقهاء في كتب الفروع. (قوله: حنين قلوب العارفين) أي ميل أرواح المحققين إلى ذكر الحق تعالى، وتذكر أوقات مناجاة أسرارهم له لا لغيره، وقوله: أديرت كؤوس للمنايا عليهم أي نزل بهم نازل الموت وهم في حالة الإعراض عما سواه تعالى إعراضاً تاماً وغيبة كلية تشبه غيبة السكر إذا غلب على العقل، وقوله: همومهم جوالة الخ أي هممهم وجمعية قلوبهم دائماً بمحل جمع أهل طاعة الله وعبادته حال كونهم كالأنجم الزاهرة في الاهتداء بهم إلى سبيل الوصول، وقوله: فأجسامهم الخ فهم صرعى بالحب في الأرض وأرواحهم تخترق الحجب للترقي لمطالبهم السنية، وقوله: فما عرسوا الخ التعريس النزول آخر الليل للاستراحة أي فما نزلوا إلا بمحل الرحمات العلية والتفضلات الإلهية حتى دهشوا بما وجدوا من النعيم، فلم يدركوا ألماً ولا ضرراً لاستغراقهم فيما منحوه من النعيم والفضل العميم رضي الله تعالى عنهم ورضوا عنه.

(قوله: فأعرسوا الخ) المراد منه أنهم في دائم أوقاتهم مشتغلون بمحابه تعالى وما

---

(١) أخرجه مسلم في (صحيحه ٢٢٠٥ و٢٢٠٦) وأحمد بن حنبل في (المسند ١/ ٣٢٥، ٣٣٠، ٣/ ٢٩٣) وابن كثير في (البداية والنهاية ٥/ ٢٣٨، ٣٣٤، ٣٩٠) وابن أبي الدنيا في (حسن الظن ١، ٣، ٤).

وما (**عرجوا عن مس بؤس ولا ضر**) في ذلك إشارة إلى أنَّ أحوال العارفين في الدنيا مع مولاهم هي التي حملتهم على حنين قلوبهم إليه وقت الارتحال ولم يجدوا ألماً لما هم فيه من نزع الروح والأهوال لإعراضهم عن الدنيا. (**وقيل: للجنيد إنَّ أبا سعيد الخراز كان كثير التواجد عند الموت فقال**) للقائل (**لم يكن بعجيب أنْ تطير روحه اشتياقاً**) للقاء ربه، فيه إشارة إلى أنَّ الخراز كامل الأحوال في محبته لله ومعرفته له ودوام شغله وأنسه به في سائر أحواله، (**وقال بعضهم وقد قربت وفاته**) لغلام عنده: (**يا غلام اشدد كتافي وعفر خدي**) بالتراب لاحظ نفسه بعين التقصير فأمر الغلام أنْ يفعل به ذلك (**ثم قال: دنا الرحيل ولا براءة لي من ذنب ولا عذر**) لي (**أعتذر به ولا قوة**) لي (**انتصر**) بها (**أنت لي أنت لي ثم صاح صيحة ومات**) عقبها (**فسمعوا صوتاً**) من قائل يقول: (**استكان العبد لمولاه فقبله**) بفضله وكرمه (**وقيل لذي النون المصري عند موته: ما**) ذا (**تشتهي قال**) أشتهي (**أنْ أعرفه**) تعالى فوق معرفتي له (**قبل موتي بلحظة**) رأى نفسه مقصراً عن القيام بحق معرفته فعدّ معرفته كلا معرفة فطلب أنْ يستغرق في جلال الله وكماله بحسب ما علمه من ذلك.

(**وقيل لبعضهم: وهو في النزع قل الله فقال**) لهم: (**إلى متى يقولون**) لي: (**قل الله وأنا محترق بالله**) فلست بغافل عنه فلا أحتاج إلى من يذكرني به وهذا يدل على أنه كامل الحضور مع الله شديد المراقبة له (**وقال بعضهم: كنت عند ممشاد الدينوريّ**) وجماعته (**فقدم**) عليهم (**فقير وقال: سلام عليكم فردوا عليه**) السلام (**فقال**) لهم: (**هل ههنا موضع نظيف يمكن الإنسان أنْ يموت فيه؟ فأشاروا عليه بمكان وكان ثم عين ماء فجدد الفقير الوضوء**) منها (**وركع ما شاء الله ومضى إلى المكان الذي أشاروا إليه ومد رجليه ومات**) هذا من خرق العوائد وهو مستثنى من

يرضيه عنهم، ويقربهم من فضله ورحمته. (**قوله: وما عرجوا الخ**) أي ما التفتوا إلى ذلك رضا بما يجريه الحق تعالى من تصاريف أحكامه. (**قوله: لإعراضهم عن الدنيا**) أي عما فيها عن لذات وآلام لفناء نفوسهم في مرضاته تعالى. (**قوله: يا غلام اشدد كتافي الخ**) أقول: لعل لهذا دليلاً من شواهد القلوب وإلا فعلم النقل لا يساعده. (**قوله: استكان العبد الخ**) أي حيث اعترف بالتقصير ورجع إلى فضل ربه وإحسانه. (**قوله: قال أشتهي الخ**) فيه دليل على أنَّ همته دائماً في طلب الحق تعالى. (**قوله: فقال لهم: إلى متى الخ**) الغرض الحث على مثل حاله وإفادة مقامه لا مللاً من التذكير كيف وهو به جدير. (**قوله: هل ههنا موضع نظيف**) أي من الدنس الحسي والمعنوي.

(**قوله: وهو مستثنى الخ**) أي أو المعنى لا يعلمهن إلا الله ومن أطلعه تعالى من

عموم خمس من الغيب لا يعلمهن إلا الله فيطلع الله الولي على ذلك مع أنَّ عموم ما ذكر خص بقوله تعالى: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦] وفائدة هذه الحكاية أنَّه كان في مجلس الدينوريّ من ينكر خرق العوائد فيما ذكر فأتى الله به جهاراً مرتباً على سؤال وجواب ليرجع إليه من ينكره وينتفع به، ويتقوى به يقين من ينظره. (**سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلميّ رحمه الله يقول: كان أبو العباس الدينوريّ يتكلم**) للرجال والنساء (**في مجلسه يوماً فصاحت امرأة تواجداً**) بما سمعته منه من الحكم وذكر مقامات القرب إلى الله تعالى فكره منها ذلك بحضرة الرجال (**فقال لها:**) إنْ كنت صادقة مغلوبة (**موتي فقامت المرأة فلما بلغت باب الدار التفتت إليه**) ورجعت إلى الله بالاضطرار أنْ لا يفضحها وأنْ يميتها لتسلم من نسبتها إلى العار والتكلف لأحوال الفقراء فأجاب الله دعاءها وفاء بقوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ﴾ [النمل: ٦٢] (**وقالت: قد مت ووقعت ميتة**) نفعنا الله بها وبأمثالها. (**وقال بعضهم: كنت عند ممشاد الدينوريّ عند وفاته فقيل له: كيف تجد العلة**) التي بك (**فقال**) لهم: (**سلوا العلة عني كيف تجدني**) كما وجد في نسخة (**فقيل له: قل لا إله إلا الله فحول وجهه إلى الجدار**) تأدباً مع الله تعالى (**وقال: أفنيت كلي بكلك**) أي شغلتني بك شغلاً كلياً حتى أنسيتني نفسي (**هذا جزاء من يحبك**) أثنى بذلك على الله وشكره على ما تفضل به عليه، وفيه دلالة على أنَّه كان مشغولاً بربه عن نظره في علته، (**وقيل لأبي محمد الدبيليّ وقد حضرته الوفاة: قل لا إله إلا الله فقال: هذا شيء قد عرفناه وبه نفني**) ثم اشتغلنا به واستغرقنا فيه حتى نسينا أنفسنا، فلا نحتاج إلى من يذكرنا به إذ لا يذكر إلا الغافل كما أشار إلى ذلك بقول: (**ثم أنشأ يقول: تسربل ثوب التيه**) أي المفازة استعار ذلك لينزه الله تعالى عن أنْ ينال العبد جميع مقاصده منه إلا بعونه (**لما هويته**) أي أحببته يعني أنَّه أحبه تعالى حباً

خلقه. (**قوله: إلا من ارتضى من رسول**) أي وقيل: أو ولي وبذلك يتم ما نحن فيه. (**قوله: يتكلم للرجال والنساء**) أي يعظ كلاً منهم. (**قوله: والتكلف لأحوال الفقراء**) أي لأجل دوام ستر أهل الطريق. (**قوله: فقال لهم: سلوا العلة عني الخ**) الغرض إفادة غاية رضاه بما يجريه الحق تعالى من أحكامه حيث العلة لو سئلت ونطقت لأجابتهم بمثل ذلك بل قد تفيد لذته وفرحه بها باعتبار ما يترتب عليها والله أعلم.

(**قوله: أفنيت كلي بكلك**) أي باشتغال روحي وجسمي بمحابك وما يرضيك عني تلاشيت بكليتي، وقوله: هذا جزاء الخ أي بشاهد قوله جل اسمه: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]. (**قوله: تسربل ثوب التيه الخ**) مراده تنزيه الحق تعالى عن

شديداً حتى نسي كونه يعبده (**وصد**) أي أعرض عني (**ولم يرضى بأنْ أك عبده**) أي شغلني عن عبادته وإنْ كنت غارقاً فيها باستغراق عنها في كماله وجلاله وتنزهه، (**وقيل للشبليّ عند وفاته: قل لا إله إلا الله فقال**) منشداً: (**قال سلطان حبه: أنا لا أقبل الرشا**) يعني لا يمنعه شغله بمحبوبه أنْ يلتفت إلى غيره وفي نفسه أنّه لو التفت إلى غيره مات (**فسلوه فديته**) أنا (**لم بقتلي تحرشا**) أي لم تحرش بقتلي، وفيه دلالة على أنّه في حالة شريفة من شغل قلبه بربه، ولما قيل له: قل لا إله إلا الله ردّ من شغل القلب إلى شغل اللسان فأنشد البيت المذكور. (**سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفيّ يقول: سمعت عبد الله بن عليّ التميميّ يقول: سمعت أحمد بن عطاء يقول: سمعت بعض الفقراء يقول: لما مات**) أي أشرف على الموت (**يحيى الإصطخري جلسنا حوله فقال له رجل منا قل أشهد أنْ لا إله إلا الله فجلس مستوياً ثم أخذ بيد واحد منا وقال له: قل أشهد أنْ لا إله إلا الله ثم أخذ بيد الآخر**) وقال له: أشهد أنْ لا إله إلا الله (**حتى عرض الشهادة على جميع الحاضرين ثم مات**) فهم رحمه الله من قول من قال له منهم: قل لا إله إلا الله أنّهم يعتقدون غفلته عن ربه لشغله بألمه فأخذ يذكرهم واحداً واحداً بذلك، ويبين أنّه أشدّ منهم يقظة وحضوراً بذلك. (**ويُحكى عن فاطمة أخت أبي عليّ الروذباريّ**) أنها (**قالت: لما قرب أجل أخي أبي عليّ الروذباريّ وكان رأسه في حجري فتح عينيه وقال: هذه أبواب السماء قد فتحت، وهذه الجنان قد زينت، وهذا قائل يقول لي: يا أبا علي قد بلغناك الرتبة القصوى وإنْ لم تردها ثم أنشد يقول: وحقك لا نظرت إلى سواكا، بعين مودة حتى**)

أنْ يدرك أو يتصور أو يتوهم إذ لا تدركه العقول ولا تتصوره الأوهام، وتقصر عنه العبارة وتضمحل فيه الإشارة، فلا يصل العبد إلى شيء من كمالاته إلا بإعانته وأقداره غير أنّه لا يخفى ما في التعبير فلعله صدر في وقت غلبة حال.

(**قوله: حتى نسي كونه يعبده**) أي حيث فني عما بنفسه من الحظ. (**قوله: أي شغلني عن عبادته**) أي عن استحسانها والوقوف معها مع التحلي بوصفها والقيام بسلطانها. (**قوله: قال سلطان حبه**) أي الحب ذو السلطنة والقهر والغلبة، وقوله: أنا لا أقبل الرشا جمع رشوة وهي ما يدفع لإحقاق باطل أو إبطال حق وهي حينئذٍ من الكبائر، أما الموصلة إلى الحق فلا بأس بها وهي المرادة هنا فتأمل. (**قوله: قل أشهد أنْ لا إله إلا الله**) فيه أنّ المأثور لا إله إلا الله فقط فلعله وقف على ما ذكره من طريق آخر. (**قوله: هذا الجنان الخ**) الإشارة إلى ما كوشف به في هذا الوقت وخوطب به في الحين مما تطيب به النفس من نعم المولى جل جلاله. (**قوله: لا نظرت إلى سواكا**) أي نظر تعلق ووقوف بقلبي بل نظري المذكور موقوف عليك لا يتعداك، وقوله: حتى أراك أي فغاية القصد

أراكا. **أراك معذبي بفتور لحظ، وبالخد المورّد من جناك**) في ذلك دلالة على أنَّ أبا عليّ كان له في هذه الحالة التفات إلى زوجته، وما هي عليه من الحسن، وما هو فيه من حال النزع وطلبه الحضور مع ربه وانقطاع قلبه عن غيره وهو تعالى أطلعه في هذه الحالة على ما شغله به عن ملاحظة زوجته، والشعر المذكور يدل عليه، فهو بجميع همته مع ربه وخواطره في التفاته إلى زوجته تنازعه فجعلها عذاباً، ثم أخبر أنَّ الله تعالى أطلعه على ما شغله عنها بالكلية من ملكوته وعجائب قدرته (**ثم قال: يا فاطمة الأول**) من البيتين (**ظاهر**) إذ هو قسم بعظمته وجلاله تعالى أنْ لا يلتفت إلى غيره (**والثاني**) منهما (**فيه إشكال**) على من لم يعرف المراد به ويتوهم أنّه راجع إلى ربه، وفي نسخة بعد البيت الثاني: فلو قطعتني في الحب إرباً، لما حن الفوائد إلى سواكا. (**سمعت بعض الفقراء يقول: لما قربت وفاة أحمد بن نصر رحمه الله قال له واحد**) من تلامذته: (**قل أشهد أنْ لا إله إلا الله فنظر إليه**) نظر تأديب (**وقال له: لا تترك الحرمة**) أي حرمة المشايخ واجعلهم عندك في كل وقت حاضرين مع الله ولا سيما في وقت الانتقال من الدنيا إليه، ولما كان الشيخ حينئذ بكليته مع الله منتظراً لما يرد عليه منه ذكره التلميذ خوفاً من غفلته فأدبه الشيخ بما ذكر وهو معنى ما قال: (**بالفارسية: بي حرمتي مكن وقال بعضهم: رأيت فقيراً في مرضه وهو يجود بنفسه غريباً**) ملقى على ظهره (**والذباب على وجهه**) وكان حاله مع الله طيباً مجموعاً (**فجلست**) عنده (**أذب عن وجهه**) الذباب (**ففتح عينيه**) فرآني (**وقال: من هذا أنا منذ كذا**) وكذا (**سنة في طلب وقت يصفو لي فلم يتفق**) لي (**إلا الآن جئت**) لي (**أنت توقع نفسك فيه**) بأنَّ تشوش عليَّ حالي (**مرّ**) أي جاوزني ولا تذب عن وجهي (**عافاك الله**) من أنْ تكون مشوّشاً على أحد حاله. (**وقال أبو عمران الإصطخري: رأيت أبا تراب في البادية قائماً ميتاً لا يمسكه شيء**) هذا من خرق العوائد وربما كان أبو تراب في حال طيب مع مولاه معلق الهمة به فمات حينئذ فأمسكه الله آية لمن يراه لكمال شغله بالله. (**سمعت أبا حاتم السجستاني رحمه الله يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول: كان سبب وفاة أبي الحسن النوريّ رحمه الله أنّه سمع هذا البيت**) وهو

إنما هو رؤية الحق تعالى فإنْ كان هناك التفات إلى الغير فلكونه وسيلة فقط باعتبار الدلالة على الصانع تبارك وتعالى، وقوله: أراك معذبي الخ مراده أنَّ عذابه من فتنة جمال الله مع كونه من أمارات التأثير الخفي، فالعبد مكلف بالنظر ممنوع منه فافهم.

(**قوله: لا تترك الحرمة**) أي احترام المشايخ اللازمة للمريدين. (**قوله: خوفاً من غفلته**) أي بسبب غلبة بشريته في هذه الحالة. (**قوله: وقال: من هذا أنا منذ الخ**) فيه تنبيه على أنّه ممن يلتذ بالآلام ويعدها من النعم. (**قوله: هذا من خرق العوائد**) أي بل من

(ما) وفي نسخة لا (زلت أنزل في ودادك) أي حبك (منزلاً. تتحير الألباب عند نزوله، فتواجد النوري) بذلك وقوي تواجده عليه (وهام) على وجهه من الحب (في الصحراء فوقع في أجمة قصب قد قطعت وبقي أصولها مثل السيوف فكان يمشي عليها) وهو مستغرق لا يحس بها (ويعيد هذا البيت إلى الغداة والدم يسيل من رجليه) لما سرى عنه (وقع مثل السكران فورمت قدماه ومات) بذلك، (وحُكي) عنه أيضاً (أنه قيل له عند النزع: قل لا إله إلا الله فقال: أليس إليه أعود) فيه دلالة على كمال حاله عند النزع فإنَّه لم يبد منه ما ينهي من قال له: قل لا إله إلا الله مثل ما مرّ بل أجابه بأنّه إليه يعود، (وقيل: مرض إبراهيم الخوّاص في المسجد الجامع) الكائن (بالري وكانت به علة الإسهال فكان إذا قام) للإسهال (مجلساً يدخل الماء ويتوضأ) منه (فدخل الماء مرّة فخرجت روحه) بأجله فيه دلالة على كمال حاله وفضيلة ملازمته الطهارة على عادته أنّه كلما أحدث تطهر. (سمعت منصور المغربي يقول: دخل عليه) أي على الخوّاص في مرضه (يوسف بن الحسين عائداً له بعدما أتى عليه أيام لم يعده ولم يتعهده، فلما رآه قال للخوّاص: أتشتهي شيئاً فقال: نعم) أشتهي (قطعة كبد مشوي) وفي نسخة مشوية (قال الأستاذ) الإمام (أبو القاسم) القشيريّ (لعل الإشارة فيه أنه أراد) بما قاله له: (أشتهي قلباً يرق الفقير وكبداً تشتوي وتحترق لغريب لأنّه كالمستجفي) من الجفاء (ليوسف بن الحسين حيث لم يتعهده) فإنّه لما انقطع عنه مدة ثم عاده وشهاه أجابه بما هو فيه من أنّه يشتهي أخاً مشفقاً على أخيه ينقطع كبده عليه ويحترق لما يراه عليه ولا سيما في حالة مرضه. (وقيل: كان سبب موت ابن عطاء أنّه أدخل مرّة على الوزير فكلمه الوزير بكلام غليظ فقال له ابن عطاء: اهدأ يا رجل) خاطبه بخطاب من لا تأخذه في الله لومة لائم فلم يحتمل قلبه

أعظمها حيث دلت على علو درجته ومنزلته عند الله تعالى. (قوله: فتواجد النوريّ) أي بسبب ما ورد على قلبه عند سماعه من واردات الحق وإشارات الصدق. (قوله: ثم لما سري عنه) أي لما انكشف ما به من الولوع والهيام. (قوله: ومات بذلك) أي مات شهيداً لكونه قتيل المحبة. (قوله: فيه دلالة على كمال حاله) أي حيث أجاب على طريق الصحو كما هو شأن العارفين. (قوله: يدخل الماء الخ) أي عملاً بخبر: «الوضوء سلاح المؤمن» أي عدته لمهماته.

(قوله: لعل الإشارة فيه الخ) أقول: ويحتمل أنّه تمنى لنفسه درجة الخائفين البالغين في خوفهم ما ذكر، وذلك مقام الصديق الأكبر رضي الله تعالى عنه. (قوله: فقال له ابن عطاء: الخ) أي لما غلب على ظنه من السلامة منه قال له: ما ذكر وإلا فاللائق مقام

(فأمر فضرب بخفه على رأسه فمات منه) وفي نسخة حتى مات، وفي ذلك دلالة على فضيلته حيث نهى من يخاف منه عن المنكر. (سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفي رحمه الله يقول: سمعت عبد الله بن عليّ التميميّ يقول: سمعت أبا بكر الدقيّ يقول: كنا عند أبي بكر الزقاق بالغداة فقال) خوفاً على نقص في دينه أو نحوه: (إلهي كم تبقيني ههنا) أي في الدنيا (فما بلغ الغداة الأولى حتى مات) استجاب الله دعاءه بتعجيل الوفاة، (وحُكي عن أبي عليّ الروذباريّ أنّه قال: رأيت في البادية حدثاً) أي شخصاً حديث السن مريضاً (فلما رآني قال: أما يكفيه) تعالى (أنْ شغفني بحبه) أي بلغ مني حبه شغاف قلبي أي غلافه (حتى علّني ثم رأيته يجود بروحه فقلت له: قل لا إله إلا الله فأنشأ يقول: أيا من ليس لي عنه. وإنْ عذبني بدّ، ويا من نال من قلبي. منالاً ما له حد) بعده: إذا لم يرحم المولى. إلى من يشتكي العبد. وفيما قاله دلالة على كمال حضوره مع مولاه وكمال حبه له ورضاه، (وقيل للجنيد: قل لا إله إلا الله فقال: ما نسيته فأذكره وقال: حاضر في القلب يعمره، لست أنساه فاذكره. فهو مولايّ ومعتمدي، ونصيبي منه أوفره) فيه دلالة على كمال قربه وثبوته. (سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفيّ رحمه الله يقول: سمعت عبد الله بن عليّ التميميّ يقول: سأل جعفر بن نصير بكران الدينوريّ وكان يخدم الشبليّ ما الذي رأيت منه) من الفضائل (فقال: قال لي: عليّ درهم مظلمة وقد تصدقت عن صاحبه بألوف فما على قلبي شغل أعظم) عليّ (منه) لأجل براءة الذمة (ثم قال لي: وضئني للصلاة ففعلت فنسيت تخليل لحيته وقد أمسك) ببنائه للمفعول (على لسانه فقبض على يدي وأدخلها في لحيته) لأخللها (ثم مات فبكى جعفر وقال: ما تقولون في رجل لم يفته حتى في آخر عمره أدب من آداب الشريعة) في ذلك دلالة على كمال فضيلة الشبليّ وتعظيمه للشريعة. (سمعت عبد الله بن يوسف الأصبهاني رحمه الله يقول: سمعت أبا الحسن بن عبد الله الطرسوسي يقول: سمعت علوشاً الدينوريّ يقول: سمعت المزين الكبير يقول: كنت بمكة حرسها الله تعالى فوقع بي انزعاج) أي تحرك (فخرجت أريد المدينة) الشريفة (فلما وصلت إلى بئر ميمونة إذا أنا بشاب مطروح) على الأرض (فعدلت إليه وهو ينزع) إلى الموت (فقلت له: قل لا إله إلا الله ففتح عينيه وأنشأ يقول: أنا إنْ مت فالهوى حشو قلبي. وبداء الهوى تموت

المداراة. (قوله: فقال خوفاً على نقص في دينه) أي فلا كراهة فيه حينئذٍ. (قوله: أما يكفيه الخ) الغرض إفادة أنه في مقام الحب والابتلاء والصبر لنكتة تقوية السامع وحمله على مثل هذا التخلق. (قوله: وتصدقت عن صاحبه الخ) لعله لم يتيسر له الردّ إلى المالك أو الوارث كما لا يخفى. (قوله: فالهوى حشو قلبي) أي فلا أغفل حتى أحتاج

الكرام، فشهق شهقة ثم مات فغسلته وكفنته وصليت عليه فلما فرغت من دفنه سكن ما كان بي من إرادة السفر فرجعت إلى مكة حرمها الله تعالى) هذا من جملة اعتناء الله بالمزين حيث خلق له خاطر الانزعاج في السفر إلى المدينة، وكان المراد منه أن يتولى أمر هذا الشاب الذي رآه وسمع منه ما قال حتى أعلمه الله أنه من محبيه فإنَّ سبب قتله وضنى جسمه المحبة، فعرف الله المزين فضله عليه حيث أزعجه إلى أنْ واراه التراب. (وقيل لبعضهم: أتحب الموت فقال: القدوم على من يرجى خيره) وهو الله (خير من البقاء مع من لا يؤمن شره) وهو الهوى والدنيا والشيطان. (وحُكي عن الجنيد أنّه قال: كنت عند أستاذي ابن الكرنبي وهو يجود بنفسه) من شدة النزع (فنظرت إلى السماء) داعياً له (فقال) لي هذا (بعد ثم نظرت إلى الأرض) كذلك (فقال) لي هذا (بعد) أيضاً (يعني أنّه أقرب إليك من أن تنظر إلى السماء أو إلى الأرض بل هو وراء المكان) أي قبله فإنه تعالى قديم والمكان حادث عرفه بذلك قرب الله منه، وأنّه منزه عن العلو والسفل وسائر الجهات ليجتمع همه ويحضر قلبه، ويكمل أدبه وقت دعائه، فإنَّ الله يسمعه ويراه، وهو أقرب إليه من حبل الوريد. (سمعت أبا حاتم السجستاني رحمه الله يقول: سمعت أبا نصر الطوسيّ) السرّاج (يقول: سمعت بعض أصحابنا يقول: قال أبو يزيد عند موته: ما ذكرتك) يا رب (إلا عن غفلة) أي ما أنشأت ذكرك إلا إذا طرقتني غفلة، وإلا فأنا ذاكر لك على الدوام (ولا قبضتني) أي قبضت باطني (إلا على فترة) يعني أنَّ كل ما هو فيه شكر لربه فإنْ طرأت عليه غفلة منّ الله عليه بذكره ليجدّد له الأنس والانبساط وإنْ فتر عن ذكره من عليه بالألم والقبض ليرجع إلى النشاط. (سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول: سمعت الوجيهيّ يقول: سمعت أبا علي الروذباريّ يقول: دخلت مصر فرأيت الناس مجتمعين) فسألت عن سبب اجتماعهم (فقالوا كنا في جنازة فتى سمع) قبل موته (قائلاً يقول:

كبرت همة عبد طمعت في أنْ تراكا) بـــعـــده أو مـــا حـــســـب لـــعـــيـــن
أن تـــــرى مــــــن قـــــد رآكــــــا

إلى من يذكرني. (قوله: خير من البقاء الخ) يشير إلى أنَّ الموت وقت الفتن عرس وتحفة للمؤمن.

(قوله: عرفه بذلك الخ) أي فلا ينافي أنَّ السماء قبلة الدعاء والطلب إلى جهتها أفضل. (قوله: ما ذكرتك الخ) محصله إفادة دوام لطف الله به فهو كلما غفل أو فتر ردّه الحق تعالى إلى ما به كماله. (قوله: كبرت همة عبد الخ) أي عظمت همته وقوله: طمعت فما إنْ تراك أي قوي منها الرجاء في القرب من رحمتك وإحسانك وقوله: أو ما

ذكره قبيل باب كرامات الأولياء (**فشهق شهقة**) أي صاح صيحة (**ومات**)، في ذلك إشارة إلى أنَّ هذا الشاب كان كثير الذكر لله تعالى والمراقبة له يتمنى أنْ يراه، فلما سمع هذا البيت وصادف ما بقلبه وما هو متعلق الهمة بحصوله فرح وقويت رغبته شوقاً إلى رؤية ربه فشهق شهقه فمات ووصل إلى محبوبه. (**وقيل: دخل جماعة على ممشاد الدينوريّ في مرضه فقالوا**) له لما يعرفونه من صلاحه وكثرة اشتغاله بربه: أبشر بكذا وكذا من الجنة وغيرها فقد (**فعل الله بك وصنع**) أي أعد لك ذلك، وفي نسخة ما فعل الله بك وصنع فأجابهم بأنّه مشغول بربه دون الجنة وغيرها (**فقال:**) أنا (**منذ ثلاثين سنة تعرض عليّ الجنة بما فيها فما أعرتها طرفي**) أي بصري أي ما التفت إليها يعني لم أعمل للجزاء وإنْ كان لا بدّ منه، وإنما عملت امتثالاً لأمر ربي ونهيه وكمال محبته لي (**وقالوا له عند النزع: كيف تجد قلبك**) والقلب إنما يصلح بالانتقال من الأخلاق الذميمة إلى الحميدة من الصبر والزهد والتوكل والرضا ونحوها (**فقال: منذ ثلاثين سنة فقدت قلبي**) لما منَّ الله عليّ من كمال شغلي به عنه فأعرضت عنه وعن كل ما يشغلني عن الله. (**سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفيّ**) رحمه الله (**يقول: سمعت عبد الله بن علي التميميّ يقول: قال الوجيهيّ: كان سبب موت ابن بنان أنّه ورد على قلبه شيء**) من محبته لمولاه (**فهام على وجهه فلحقوه في وسط متاهة**) أي تيه (**بني إسرائيل في الرمل ففتح عينيه وقال**) لنفسه: (**ارتع**) بالتاء الفوقية: أي تنعم وتلذذ فقد وجدت مرادك من لقاء ربك (**فهذا مرتع الأحباب وخرجت روحه**) رحمه الله. (**وقال أبو يعقوب النهرجوريّ: كنت بمكة حرسها الله تعالى فجاءني فقير معه دينار فقال: إذا كان غداً فأنا أموت فأصلح لي بنصف هذا**) الدينار (**قبراً والنصف الثاني**) اجعله (**لجهازي**) أي لبقيته (**فقلت في نفسي دوخل الشاب**) أي خولط في عقله (**فإنّه قد أصابته فاقة الحجاز**) فأخذت منه الدينار لأنظر ما الذي يكون منه (**فلما كان الغد جاء ودخل الطواف ثم**) بعد فراغه منه (**مضى وامتدّ على الأرض فقلت: هو ذا يتماوت**) أي يتشبه بالموتى في رقادهم فذهبت إليه) لما طال أمره ولم يقم (**فحركته فإذا هو ميت**) على أحسن أحواله (**فدفنته**)

حسب لعين الخ أي ما يكفيها أنْ تشهد أهل الشهود والحضور له تعالى. (**قوله: فما أعرتها طرفي**) أي تحقيقاً لمقام الإخلاص والصدق فيه.

(**قوله: فقدت قلبي**) أي فقدت ميله إلى الحظوظ بدون شاهد علم النقل والله أعلم.

(**قوله: فقال لنفسه: إرتع**) هو من رتعت الدابة أكلت ما شاءت من الكلأ. (**قوله: هذا من خوارق العوائد**) أي ومما استثنى مما استأثر الله بعلمه.

وجهزته (كما أمر) ني، هذا من خوارق العوائد يجريه الله على بعض الصالحين ليعرفهم بأوقات موتهم، وكيف يموتون ليستعدّوا للقائه أحسن استعداد، (وقيل: لما تغيرت الحال على أبي عثمان الحيريّ) قبل موته (مزق ابنه أبو بكر قميصاً ففتح أبو عثمان عينيه وقال: يا بني إنّ خلاف السنة في الظاهر من رياء في الباطن) أي تخريقك ثوبك عند موتي ليس من السنة بل السنة أنْ تصبر وتسترجع وما حملك على خلاف السنة في ظاهرك إلا رياء في باطنك رغبة في أنْ يحمدك الناس على تألمك على فراقي، (وقيل: دخل ابن عطاء على الجنيد وهو يجود بنفسه فسلم) عليه (فأبطأ في) ردّ (الجواب) عليه (ثم ردّ) عليه (وقال) له: (اعذرني) في إبطائي (فلقد كنت في وردي) الذي التزمته في وقت معين فما أمكنني قطعه لردّ السلام (ثم مات)، في ذلك دلالة على مراعاته للأفضل (وحكى أبو عليّ الروذباريّ قال: قدم علينا فقير فمات فدفنته وكشفت) في القبر (عن وجهه) الثوب (لأضعه على التراب ليرحم الله عز وجل غربته ففتح عينيه وقال: يا أبا علي أتدللني) أي أتكرمني (بين يدي من دللني) أي أكرمني (فقلت) له: (يا سيدي أحياة بعد موت فقال) لي: (بلى) أي نعم (أنا حيّ وكل محب لله تعالى حيّ لأنصرنك غداً) أي يوم القيامة (بجاهي يا روذباريّ) هذا من خرق العوائد أيضاً أعني الكلام بعد الموت وقد جرى مثله في الصحابة وفائدة هذه الحكاية تعريف الروذباريّ أنَّ الأولياء مخفيون في الفقراء ليزداد رغبة في مساعدتهم والقيام بحقوقهم، (ويحكى عن عليّ بن سهل الأصبهاني أنه قال: أترون) أي أتظنون (أني أموت كما يموت الناس) بأن يتقدم الموت (مرض وعيادة) لصاحبه، وفي نسخ من مرض وعيادة لا (إنما أُدعى) للموت (فيقال) لي: (يا عليّ فأجيب فكان يمشي يوماً فقال) لمن دعاه: (لبيك ومات) هذا من خرق العوائد أيضاً. (سمعت محمد بن عبد الله الصوفيّ يقول: سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول: سمعت أبا الحسن المزين يقول: لما مرض أبو يعقوب النهرجوريّ مرض وفاته قلت له وهو في النزع: قل لا إله إلا الله فتبسم إليّ وقال: إياي تعني

(قوله: إنَّ خلاف السنة الخ) علم منه أنَّ الخير كله في الاتباع والشر كله في الابتداع، فالله تعالى يوفقنا لحسن المتابعة. (قوله: على مراعاته للأفضل) أي وعلى أنَّ شغله بالحق تعالى منعه من الإحساس بالآلام، وهكذا حال المحبين المقربين. (قوله: بل أنا حيّ وكل محب الخ) أي بشاهد ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا﴾ [آل عمران: ١٦٩]. (قوله: فقال: لبيك ومات) أي فجأة وهو من اللطف به إذ موت الفجأة لا كراهة فيه لأهل الديانة والصلاح دون غيرهم.

وعزة من لا يذوق الموت ما بيني وبينه إلا حجاب العزة) حيث تعزز فمنعني أنْ أراه في الدنيا ببصري وإلا فأنا راء له فيها بقلبي وفي الآخرة به وببصري (وانطفى) أي مات (من ساعته فكان المزين يأخذ بلحيته) أي بلحية نفسه (ويقول) توبيخاً لها: (حجام مثلي يلقن أولياء الله تعالى) كالنهرجوريّ (الشهادة واخجلتاه) وا فضيحتاه (منه وكان يبكي إذا ذكر هذه الحكاية) لكونه تجرأ على ولي الله بتلقينه له مع استغراقه مع الله. (وقال أبو الحسن المالكيّ: كنت أصحب خيراً النساج سنين كثيرة فقال قبل موته بثمانية أيام: أنا أموت يوم الخميس وقت المغرب وأدفن يوم الجمعة قبل الصلاة وستنسى هذا فلا تنس قال أبو الحسن: فأُنسيته إلى يوم الجمعة فلقيني من أخبرني بموته فخرجت لأحضر جنازته فوجدت الناس راجعين يقولون: يدفن بعد الصلاة فلم أنصرف وحضرت فوجدت الجنازة قد أخرجت قبل الصلاة كما قال: فسألت من حضر وفاته فقال: إنّه غشي عليه ثم أفاق ثم التفت إلى ناحية البيت وقال) لملك الموت وقد جاءه يستأذنه في وقت قبض روحه إكراماً له وتشريفاً له ثم أراد المضي: (قف عافاك الله فإنما أنتَ عبد مأمور) بقبض روحي (وأنا عبد مأمور) بالصلاة (والذي أمرت) أنت (به لا يفوتك والذي أمرت) أنا (به يفوتني فدعا بماء فجدد وضوءه وصلى) صلاته التي عليه (ثم تمدّد وغمض عينيه) ومات (فرؤي في المنام بعد موته فقيل له كيف حالك فقال) للسائل: (لا تسل) الأمر عظيم و (لكني تخلصت من دنياكم الوضرة) أي الفاسدة، في ذلك دلالة على كمال فضيلة النساج ورفعة درجته عند ربه.

(وذكر أبو الحسين الحمصي) بن جهضم (مصنف كتاب بهجة الأسرار أنّه لما مات سهل بن عبد الله انكب الناس على جنازته) بحيث كان لهم ضجة (وكان في البلد يهودي) عمره (نيف على السبعين) من السنين (فسمع الضجة فخرج لينظر ما كان فلما نظر إلى الجنازة صاح وقال) لهم: (أترون ما أرى فقالوا: لا إيش ترى فقال: أرى أقواماً ينزلون من السماء يتمسحون بالجنازة) كشف الله بصيرته حتى رأى الملائكة ينزلون على الجنازة يتمسحون بها (ثم أنّه) بسبب ذلك (تشهد وأسلم وحسن إسلامه) وقد نقل أنّ الملائكة يصلون على بعض بني آدم. (سمعت الشيخ أبا عبد

(قوله: ما بيني وبينه الخ) فيه دلالة على دوام مراقبة الحق تعالى. (قوله: ويقول: توبيخاً لها الخ) أقول: لعل ذلك لقوله للأُستاذ قل وإلا فمجرد قوله لا إله إلاّ الله وقت احتضاره مندوب ومستحب وإنْ عظم المحتضر. (قوله: وقد جاءه يستأذنه الخ) مثل هذا من الكرامات المحمدية. (قوله: لا تسل الأمر عظيم) يحتمل أنّه يريد عظيم الهول وهو

الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا جعفر بن قيس بمصر يقول: سمعت أبا سعيد الخراز يقول: كنت بمكة حرسها الله تعالى فجزت يوماً بباب بني شيبة فرأيت شاباً حسن الوجه ميتاً فنظرت في وجهه فتبسم في وجهي وقال لي: يا أبا سعيد أما علمت أنّ الأحياء أحياء وإنْ ماتوا وإنما ينقلون من دار إلى دار) هذا من خرق العوائد أيضاً مع أنّ الأرواح لا تفنى وإنما تفارق الأجسام وأرواح المؤمنين في عليين وأرواح الكفار في سجين والكل محبوسون في البرزخ، **(وسمعته)** أيضاً يقول: **(سمعت أبا بكر الرازيّ يقول: سمعت الجريريّ يقول: بلغني أنه قيل لذي النون المصري عند النزع: أوصنا فقال: لا تشغلوني فإني متعجب)** فيما رأيت **(من محاسن لطفه)** تعالى بي وإنعامه عليّ، **(وسمعته)** أيضاً **(يقول: سمعت عبد الله بن محمد الرازيّ يقول: سمعت أبا عثمان الحيريّ يقول: سئل أبو حفص في حال وفاته ما الذي تعظنا به فقال: لست أقوى على القول)** لقوّة مرضي **(ثم رأى من نفسه قوة فقلت له: قل)** أي عظنا **(حتى أحكي عنك)** ما تعظنا به **(فقال:)** موعظتي **(الانكسار بكل القلب)** أي انكسار القلب بكليته **(على التقصير)** في القيام بحق خدمة المولى.

الظاهر، ويحتمل أنّه يريد عظيم الكرامات. **(قوله: أما علمت أنّ الأحياء أحياء الخ)** في ذلك دلالة على أنه من قتلى المحبة، ومثلهم إنما ينقل من دار دنيئة إلى دار شريفة فهم أحياء في قبورهم رضي الله تعالى عنهم. **(قوله: فقال: موعظتي الانكسار الخ)** أقول: لقد أرشد إلى الأنفع في الدارين.

باب المعرفة بالله

هي تحقيق العلم بإثبات الوحدانية، ويقال: حياة القلب مع الله ويقال: نسيان

باب المعرفة بالله

أقول: هي أرقى من العلم، وقد قال ﷺ «فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب»[1]، وفي رواية «كفضلي على أدناكم»، والفرق بين العارف والعالم أنَّ الثاني يبتغي الثواب، ويخاف العقاب تراه دائراً بين العلة والغرض، بخلاف العارف فإنَّ عبادته لامتثال أمر مولاه لا يرجو ثواباً ولا يخاف عقاباً فله الهيبة بدل الخوف والأنس خلف الرجاء، والمعرفة جزم القلب بوجود واجب الوجود متصفاً بسائر الكمالات مثل الكرم والجود بواسطة الأدلة والبراهين العقلية والسمعية المتلقات عن سيد المرسلين، والمعرفة عند الصوفية تنشأ من تكرر ما للحق من الكمالات على قلب أرباب السيادات والعنايات، فتصير من نوع التجليات بنور المكاشفات، فلا يشهد العارف في الوجود إلا من له الكرم والجود، حيث العارف هو من تعرف إليه الحق تعالى بالكشف له عن مظاهر الأسماء والصفات بعد انخلاعه عن الأسباب والعادات فصار لا يشهد غير الله، ولا يعول على ما سواه، أو هو من تخلق بأحكام الشريعة، وتحقق بأحوال الحقيقة، وكرع من بحر خمر الطريقة، أو هو من لا يتقيد عرفانه، ولا يحصره حينه وأوانه، لأن شهوده الكمالات وهي لا تنتهي لغايات، ولذا قال شيخ الطريقة في تعريفه: لون الماء لون إنائه، فالعارف من ورد البحر دون العيون، وأبرز حقائق المعارف والفنون:

من كل معنى يكاد الميت يفهمه ... حسا وبعده القرطاس والقلم
فهو من قبيل مجنون ليلى ... قد هام بها نهاراً وليلاً
إنْ اشتاق فإليها ... وإنْ بكى فعليها
لئن كان هذا الدمع يجري صبابة ... على غير ليلى فهو دمع مضيع

فالعارف هو الأمين على الأسرار يأبى أنْ يطلع على سره الأحرار، وهذا شأن الكبار دون الصغار:

ومستخبر عن سرّ ليلى رددته ... بعمياء من ليلى بغير يقين

---

(١) أخرجه أبو داود (علم ١) وابن ماجه (مقدمة ١٧) وأحمد بن حنبل (٥، ١٩٦).

غير الله، ويقال: غير ذلك، وسيأتي بعضه وهي ممدوحة ومطلوبة.

يقولون لي أخبر فأنت أمينها | وما أنا إنْ أخبرتهم بأمين

ثم أقول فقد تراءت الأقمار للأحرار فبها قد حدث الأحباب الأخيار، وكذب هذا الحديث الأشرار فصلوا جهنم الإنكار، شعر:

وإذا كنت بالمدارك غرّا | ثم أبصرت حاذقاً لا تمارى
وإذا لم تر الهلال فسلم | لأناس رأوه بالأبصار

فالعارف قد طاب بطيب المعارف ففاحت منه الأردان وعبقت منه جميع الأكوان:

فإنْ كنت مزكوماً فليس بلائق | مقالك إنَّ المسك ليس بفائح

فقد سرت نسمة شذا خمرة المحبين فاهتدى إليها الناشق من السالكين:

ولولا شذاها ما اهتديت لحانها | ولولا سناها ما تصوّرها الوهم

فشهد العارف حضرة الوصال فشرب كؤوسها وجلا الجمال، فزاده الشرب لهيب الأوام على مر الليالي والأيام:

يا معطشي بجمال أنت واهبه | هل فيك لي راحة إنْ قلت وا عطشي

قال في الحكم: ما العارف من إذا أشار وجد الحق أقرب إليه من إشارته، قلت: لأنَّ العارف في الحقيقة من لا إشارة له إذ صاحب الإشارة لمعنى من الحقيقة أو اسم من أسماء الحق أو صفة من صفاته إذا وجد قلبه لربه دون ما أشار إليه في قلبه بحيث لا يحس بعلم ما وقعت به الإشارة، ولا بمعناه بل ذكر الله تعالى به من حيث ما أشار إليه في قلبه ذكره نسي به ذكره ومذكوره لاستغراقه فيه، وذلك إنما يسرى إليه من تعلق الإشارة بمعنى إليه مرجعه فهو باقٍ في إشارته، وغاية معرفته ما أشار إليه ضميره بمعنى إليه مرجعه فإشارته عائدة إليه، وإذا كان كذلك فإنما عرف وصف نفسه فليس بعارفه على الحقيقة، وإنْ كان له قسط من المعرفة، ولذا قيل: الإشارة نداء على رأس العبد بالبعد تلوّح بعين العلة، قال الشبلي: كل إشارة أشار بها الخلق إلى الحق فهي مردودة عليهم حتى يشيروا بالحق إلى الحق، وليس لهم إلى ذلك سبيل، وقال أبو علي الروذباريّ: الإشارة تصحبها العلل والعلل بعيدة من الحقائق أقول: قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣] إنْ كنت معنا فمعنا، وإنْ لم تكن معنا فدعنا، وتعلم تعلم وإلا فسلم الأمر تسلم. **(قوله: هي تحقيق العلم بإثبات الوحدانية)** اعلم أنَّ الدليل على الوحدانية هو ما لكل أحد من الخاصية التي امتاز بها عن غيره وإنْ كانت مجهولة له، وهذه الخاصية بها وحدانية كل أحد، ومنها تعرف وحدانيته تعالى، وهي التي أرادها القائل بقوله:

وفي كل شيء له آية | تدل على أنه واحد

(قال الله عز وجل: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾) [الأنعام: ٩١] (جاء في التفسير وما عرفوا الله حق معرفته) وقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣] ومن عرفه بقدرته وجلاله وعظمته خافه وأجلّه وأطاعه ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨].

(أخبرنا عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله العدل قال: حدثنا محمد بن القاسم العتكي قال: حدثنا محمد بن أشرس قال: حدثنا سليمان بن عيسى الشجريّ عن عباد بن كثير عن حنظلة بن أبي سفيان عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها أنّ النبي ﷺ قال: «إنّ دعامة البيت») بكسر الدال **(أساسه ودعامة الدين)** كذلك

فهو يشير إلى خاصية كل أحد، وهي أحديته فجعلها علامة على أَحدية الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، هذا وقوله: هي تحقيق العلم الخ تعريف للمعرفة بلازمها وإلا فحقيقتها الجزم الناشيء عن تكرر الدليل على قلب العارف.

(قوله: ويقال: حياة القلب مع الله) أقول: ذلك من ثمرة المعرفة لا لبيان حقيقتها وعينها، ومثل ذلك يقال في قوله: ويقال: نسيان غير الله. **(قوله: وما قدروا الله حق قدره)** أي ما قدروا عظمته تعالى في أنفسهم حتى جعلوا له شريكاً ووصفوه بما لا يليق بشؤونه الجليلة، وقرىء بالتشديد. **(قوله: وما عرفوا الله حق معرفته)** أي بالنسبة لما له تعالى من الجلال والجمال، وباقي نعوت الكمال.

(قوله: وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول) قال بعض المفسرين: هو عطف على لا يستكبرون من قوله قبل وإنهم لا يستكبرون أي ذلك بسبب أنّهم لا يستكبرون ترى أَعينهم تفيض من الدمع عند سماع القرآن، وذلك لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم إلى قبول الحق، وقوله: ترى أعينهم تفيض من الدمع من الأولى لابتداء الغاية، والثانية لتبيين الموصول أي ابتداء الفيض ينشأ من معرفة الحق ومن أجله وبسببه، ويحتمل أن تكون الثانية تبعيضية لأنّ ما عرفوه بعض الحق أي وحيث أبكاهم ذلك، فما ظنك بهم لو عرفوا كله، وقرؤوا القرآن، وأحاطوا بالسنة، وقرىء ترى أعينهم على صيغة المبني للمجهول ومعنى تفيض من الدمع تمتلىء منه.

(قوله: ومن عرفه بقدرته الخ) كالتوضيح والبيان لقوله: مما عرفوا من الحق.
(قوله: إنما يخشى الله من عباده العلماء) تكملة لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ [فاطر: ١٨] بتعيين من يخشاه عز وجل من الناس بعد بيان اختلاف طبقاتهم وتباين مراتبهم، أما في الأوصاف المعنوية فبطريق التمثيل، وأما في الأوصاف الصورية فبطريق التصريح توفية لكل واحدة منهما حقها اللائق بها من البيان أي إنما يخشاه تعالى العالمون به عز وجل وبما يليق من صفاته الجليلة وأفعاله الجميلة، لما أنّ

(المعرفة بالله تعالى واليقين والعقل القامع فقلت: بأبي أنت وأمي ما العقل القامع قال: الكف عن معاصي الله والحرص على طاعة الله عز وجل) المستلزمة لطاعة رسوله ثم بين المعرفة فقال: (قال الأستاذ: المعرفة على لسان العلماء) غير الصوفية (هي العلم) وهو صفة توجب تمييزاً لا يحتمل متعلقه النقيض (فكل علم معرفة وكل معرفة علم، وكل عالم بالله تعالى عارف، وكل عارف عالم (وعند هؤلاء القوم) أي الصوفية (صفة من عرف الحق سبحانه بأسمائه وصفاته ثم صدق الله تعالى في

مدار الخشية معرفة المخشي والعلم بشؤونه، فمن كان أعلم به تعالى كان أخشى منه كما قال ﷺ: «أنا أخشاكم لله وأتقاكم له»[1] ولذلك عقبه بذكر أفعاله الدالة على كمال قدرته، وحيث كان الكفرة بمعزل عن هذه المعرفة امتنع إنذارهم بالكلية وتقديم المفعول لأنَّ المقصود حصر الفاعلية، ولو أخر انعكس الأمر وقرىء برفع الإسم الجليل، ونصب العلماء على أنَّ الخشية مستعارة للتعظيم، فإنَّ المعظم يكون مهيباً، وقوله: إنَّ الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على أنه معاقب للمصير على طغيانه غفور للتائب عن عصيانه. (قوله: إنما يخشى الله من عباده العلماء) أي إنما يخافه منهم خوفاً يحجزه عن المخالفات ويحثه على المتابعات العلماء يعني علماء القلوب لا الألسنة كما لا يخفى. (قوله: إنَّ دعامة البيت) أي أساسه وعماده ودعامة الدين كذلك المعرفة أي لأنَّه لا يصح قصد المجهول للخروج بذلك في العبادة عن كل محصول، وقوله: واليقين أي جزم القلب جزماً لا يحتمل ظناً ولا شكاً. (قوله: قال الكف: الخ) أقول: بيان للعقل بلازمه. ونمرته وإلا فهو ملكة في النفس بها إدراك الأشياء على ما هي عليه، وقيل: إنما سمي عقلاً لأنه يعقل ويمنع من اتصف به عن الذي يلام عليه قولاً وفعلاً وحركةً وسكوناً، ومدار التكليف على العقل. (قوله: هي العلم) أي جزم القلب وإذعانه عن دليل. (قوله: فكل علم معرفة الخ) أي فهما متساويان في المعنى وإنْ اختلفا في اللفظ والعبارة.

(قوله: وعند هؤلاء القوم) اعلم وفقني الله تعالى وإياك أنَّ جميع الهمم والإرادات متعلقة بالحقيقة الإلهية من جميع الطالبين لكنها لكونها مجهولة العين عندهم جهلوا الطريق الموصل إليها إلا من هداه الله تعالى، وإلا فأهل كل ملة ونحلة لا يعدل عن حب النجاة فهي مطلوبة لكل نفس، فكل يتخيل أنه على الطريق الموصل إليها، وبذلك وقع القدح والاختلاف، ولو علم المخطىء بخطئه ما أقام عليه والله أعلم.

(قوله: صفة من عرف الحق الخ) أي المعرفة صفة من عرف الحق فهو خبر

---

(١) أخرجه البخاري (إيمان ١٣) (نكاح ١) (اعتصام ٢٧) ومسلم (صيام ٧٤) (حج ١٤١) والموطأ (صيام ١٣) وأحمد بن حنبل (٣، ٣١٧، ٥، ٤٣٤، ٦، ٦١).

معاملاته ثم تنقى عن أخلاقه الرديئة وآفاته، ثم طال بالباب وقوفه، ودام بالقلب اعتكافه فحظي من الله تعالى بجميل) وفي نسخة بجميع **(إقباله وصدق الله في جميع أحواله وانقطع عنه هواجس نفسه)** أي خواطرها **(ولم يصغ بقلبه إلى خاطر يدعوه إلى غيره)** تعالى **(فإذا صار)** العارف بذلك **(من الخلق أجنبياً ومن آفات نفسه برياً، ومن المساكنات والملاحظات)** إلى ذلك **(نقياً، ودام في السر مع الله تعالى مناجاته، وحق في كل لحظة إليه رجوعه وصار محدّثاً)** بفتح الدال المشدّدة أي مُلهماً **(من قبل الحق سبحانه)** وتعالى **(بتعريف أسراره فيما يجريه)** عليه **(من تصاريف أقداره يسمى عند**

لمحذوف. **(قوله: صفة من عرف الحق الخ)** أي فنور المعرفة هو الدليل، وعلى صاحبه عند القوم التعويل، فمن ضل عنه ارتدى، ومن استضاء به اهتدى:

ومن لم يكن خلف الدليل مسيره كثرت عليه طرائق الأوهام

والحاصل أنّ العارف في اصطلاحهم هو من استجمع ما ذكره المؤلف إلى قوله: يسمى عند ذلك عارفاً. **(قوله: بأسمائه وصفاته)** أي بمظاهرهما وآثارهما أو بنفس الأسماء والصفات بالنسبة لمن علت همته.

(قوله: ثم صدق الله في معاملاته) الصدق في المعاملة بالجد فيها والدوام عليها مع الإخلاص في القصد. **(قوله: ثم تنقى)** أي تخلص وكان الأولى تقديم هذا على ما قبله إذ التخلية قبل التحلية كما لا يخفى على من له ذوق، وقوله: من أخلاقه الخ أي الأخلاق التي هي على عادة البشرية، ومحصله أنّه من إذا شكر اعترف بالعجز للمشكور، وعلى عكس ذلك يكون المتصف بالغرور:

ومتى أقوم بشكر ما أوليتني والقول فيك بقدر قول القائل

(قوله: فحظي من الله الخ) ذلك من ثمرة ما قبله. **(قوله: وانقطع عنه هواجس نفسه)** أي خواطرها فيما تميل إليه بطبعها فهو بمشيئة الفعال لما يريد لا يزال قائماً على نفسه بالتشديد يطلب حسن التدبير ويخاف سوء التقدير:

فيا ليت شعري أين أو كيف أو متى يقدر ما لا بدّ أنْ سيكون

(قوله: ولم يصغ بقلبه الخ) أي لم يلتفت بقلبه إلى خاطر من الخواطر البشرية أو المراد أنّه لا يدوم عليه لو اتفق له ذلك.

(قوله: فإذا صار العارف بذلك الخ) أي فأمارة كونه عارفاً وحشته من الخلق لأنسه بالحق وصيرورته أجنبياً من الخلق بواسطة دوامه على شهود الحق. **(قوله: وحق في كل لحظة إليه رجوعه)** أي وبسببه قصر أمله وإكثار إيراد ذكر الموت على قلبه. **(قوله: وصار محدثاً)** أي صار يناجى من قبل الحق تعالى بواسطة الإلهام بتعريف أسراره فيما يجريه الحق عليه من تصاريف أحكامه وأقداره. **(قوله: وبالجملة)** أي أقول لك قولاً ملتبساً

ذلك) أي عند صيرورته كذلك **(عارفاً وتسمى حالته)** التي تسمى بها عارفاً **(معرفة، وبالجملة فبمقدار أجنبيته عن نفسه)** وسائر المخلوقات **(تحصل معرفته بربه تعالى)** فلا يطلقون العارف إلا على من توالى عليه العلم بالله وصفاته، والنظر في مصنوعاته، وغلب عليه ذلك بحيث صار حالاً له حتى قالوا: من عرف الله كل لسانه أي شغلته معرفته به عن ذكر غيره **(وقد تكلم المشايخ)** الصوفية **(في المعرفة، فكل نطق بما وقع له)** منها **(وأشار إلى ما وجده)** منها **(في وقته)** فقال: **(سمعت الأُستاذ أبا عليّ الدقاق رحمه الله يقول: من أمارات المعرفة بالله حصول الهيبة من الله تعالى، فمن ازدادت معرفته)** به **(ازدادت هيبته)** منه ومن ازدادت هيبته استقامت حالته وعظمت بين الخليقة حرمته، **(وسمعته)** أيضاً **(يقول: المعرفة توجب السكينة)** أي الثبوت والصبر **(في القلب كما أنَّ العلم يوجب السكون، فمن ازدادت معرفته)** بالله **(ازدادات سكينته)**

بالإجمال بعد التفصيل فبمقدار أجنبيته عن نفسه الخ إنْ قلت: كيف هذا، وقد قال صاحب الشرع ﷺ: «إنَّ لنفسك عليك حقاً»[1] قلت: ذلك حقها فافهم.

(قوله: فبمقدار الخ) أي فعلى حسب القوّة على مخالفة النفس والبعد عما تهواه تكون معرفة العارف بربه، ولذا ثبت في الخبر «من عرف نفسه عرف ربه». **(قوله: أي شغلته معرفته به الخ)** أقول: وإنْ كان ما ذكره محتملاً أنَّ الأَظهر أنْ يقال: معنى ذلك أنَّه محمدي الأخلاق طبيب القلوب يخاطب كل أحد على حسب استعداده، ولو اتحدت المسألة، وذلك معنى قولهم: العارف فوق ما يقول. **(قوله: فكل نطق بما وقع له منها)** أي على قدر ما منح بالحكمة العلية والتقدير الأزلي.

(قوله: من أمارات المعرفة بالله) أي من علاماتها حصول الهيبة من الله تعالى أي بسبب تجلي الحق تعالى بالجلال والعظمة على قلب عبده.

(قوله: استقامت حالته الخ) أي لأنَّ تجلي الجلال زاجر عن كل قبيح وسائق على كل حق صحيح. **(قوله: المعرفة توجب السكينة)** أي بواسطة شهود أنَّه لا فاعل غيره تعالى، ولا يكون إلا ما يريد إذ النافع من المعرفة لا ينشأ عنه إلا الخشية من الله تعالى، وإلا فهي ضرر وحجة على العبد قال رسول الله ﷺ: «والقرآن حجة لك أو عليك»[2] كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها فمهلكها وإنما كانت المعرفة النافعة ما نشأت

---

(1) أخرجه أحمد بن حنبل في (المسند ٦/ ٢٦٨) والحاكم في (المستدرك ٤/ ٦٠) والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٤/ ١٥٢).

(2) أخرجه مسلم (طهارة ١) والترمذي (دعوات ٨٥) والنسائي (زكاة ١) وابن ماجه (طهارة ٥) والدارمي (وضوء ٢) وأحمد بن حنبل (٥، ٣٤٢، ٣٤٣).

فمن عرفه وأجله لم يهب غيره وصبر على ما يرد عليه منه. (**سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت أحمد بن محمد بن زيد يقول: سمعت الشبلي يقول: ليس لعارف**) بالله (**علاقة**) أي حظ في غيره (**ولا لمحب**) له ولا لما يرد عليه منه (**شكوى**) لأنَّ ما يرد عليه من محبوبه رضاه فكيف يشكوه لسواه (**ولا لعبد**) له (**دعوى**) لأنّه لا يملك شيئاً، فكيف يدعي لنفسه ما ليس ملكاً له (**ولا لخائف**) منه (**قرار**) ولا اهتداء حتى ينال ما يخاف فوته ويأمن ما يخاف ضرره (**ولا لأحد من الله عز وجل فرار**) لأنَّ الخلق في قبضته. (**وسمعته**) أيضاً (**يقول: سمعت محمد بن محمد بن عبد الوهاب يقول: سمعت الشبلي يقول: وقد سئل عن المعرفة فقال:**) هو زائد (**أوّلها الله**) أي ذكره باللسان والقلب (**وآخرها ما لا نهاية له**) بأن

عنها الخشية لأنها تحجز عن المعاصي وتدعو إلى المحاسن، وفقدها ينفي ذلك ولا سيما مع العلم المؤيد بالتأويل، ولذا قيل: من تفقه ولم يتصوّف فقد تفسق وتوجب التحقيق في التحصيل والنصح في التوصل والإنصاف في المذاكرة، وفقدها ينفي ذلك والخشية أيضاً تحمل على طلب الآخرة والإخلاص له تعالى في العمل.

(**قوله: فمن عرفه وأجله لم يهب غيره**) أي بل الغير هو الذي يهابه. (**قوله: ليس لعارف بالله علاقة**) أي ليس لمن عرف الله حق معرفته تعلق قلبي بغيره من الكائنات الدنيوية والأخروية، قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه: لا تنشر علمك ليصدقك الناس وانشر علمك ليصدقك الله، وإنْ كانت لام العلة موجودة فعلة تكون بينك وبين الله من حيث أمرك خير من علة تكون بينك وبين الناس من حيث نهاك عنها ولعلة تردك إلى الله خير من علة تقطعك عن الله.

(**قوله: ولا لمحب الخ**) أي لأنَّ كل ما يصدر عن المحبوب محبوب وحينئذٍ فلا وجه للشكوى، وما ألطف قول بعضهم:

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي ... متأخر عنه ولا متقدّم
أجد الملامة في هواك لذيذة ... طرباً لذكرك فليلمني اللّوم

(**قوله: ولا لعبد له دعوى**) أي لأن العبد لا يملك وإنْ ملكه سيده. (**قوله: ولا لخائف منه قرار**) أي سكون وطمأنينة بل يكون دائم الاضطراب والقلق والهروب إليه تعالى. (**قوله: ولا لخائف منه قرار**) أي بمطالعة قوله جل علاه: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وبدلالة «من يهد الله فهو المهتدي». (**قوله: ولا لأحد من الله عز وجل فرار**) أي لأنَّ مرجع الكائنات ومصيرهم إليه تعالى فلا مفر منه إلا إليه. (**قوله: أولها الله**) أقول: وكفى بالله عالماً ومعلماً وهادياً ونصيراً ووليّاً يهديك ويهدي بك ويهدي إليك، وينصرك وينصر بك ولا ينصر عليك، ويواليك ويوالي بك ولا يوالي عليك.

يتوالى ذلك على قلبه حتى ينسى نفسه وسائر المخلوقات، وقدرة الله صالحة لنقله في ذلك لا إلى نهاية يعني بالنسبة للإمكان، وإلا فكل عارف له حدّ أوصله الله إليه، وكل ما دخل في الوجود محصور، **(وسمعته)** أيضاً **(يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبا العباس الدينوريّ يقول: قال أبو حفص: منذ عرفت الله ما دخل قلبي حق ولا باطل قال الأستاذ الإمام)** القشيريّ (رحمه الله: **وهذا الذي أطلقه أبو حفص فيه طرف من الإشكال)** لأنّ من عرف الله لا يستغني عن النظر في عبادته ليوقعها له بحسب ما طلبها، وهذا حق ولا بدّ من دخوله قلبه والشيطان عدوّ له لا يسكت عنه، وذلك باطل ولا بدّ أنْ يدركه بقلبه ثم ينفيه، قال الأستاذ في دفع الإشكال: **(وآجل ما**

(قوله: أي ذكره باللسان والقلب) أي فإنَّ ذكر اللسان وسيلة لذكر القلب وهما معاً وسيلة لنيل درجة القرب منه تعالى. **(قوله: وآخرها ما لا نهاية له)** أي باعتبار ثمرات الكمال على ذكره تعالى وهي لا تكون كذلك إلا إذا كان فيها الاكتفاء بالله تعالى وعلامته التحفظ من الوقيعة فيمن آذاك والقصد في العمل بأسباب الدفع حيث توجهت والقيام لله بالعبودية افتقاراً فيما أنت به فتدبر.

(قوله: وإلا فكل عارف الخ) أي وإلا نقل للإمكان بل جرينا على ظاهر قوله: وآخرها ما لا نهاية له، فلا يصح لأنَّ كل عارف له حد أوصله الله إليه على حسب القسمة الأزلية، وكل ما دخل في الوجود الخارجيّ محصور على حد معلوم.

(قوله: ما دخل قلبي حق ولا باطل) أي إلا رجعت فيه إلى طلب المعونة منه تعالى، وبذلك يستغنى عما أطال به الأستاذ نفعنا الله ببركات علومه على أنَّ كلامه في الجواب يشير إلى ما ذكرنا. **(قوله: وأجل ما يحتمله كلامه الخ)** محصله أنَّ ذلك لغلبات أحواله على قلبه استغراقاً في الحق، وذلك لا ينافي القيام بالوظائف الشرعية المطلوبة من العبد. **(قوله: فالعارف رجوعه إلى ربه)** أي فهو في مقامه العزيز لا يطرأ عليه التغير فهو كالأبرير:

فيا سائلي عنه هو الذهب الذي وجدناه لا يصدأ وإنْ قدم الدهر

(قوله: وفرق بين من عاش بقلبه الخ) أي فإنَّه من يعيش بقلبه يلزمه في الغالب الوقوف مع محسنات عقله ونفسه بخلاف من عاش بربه لرجوعه إليه في سائر حركاته وسكناته. **(قوله: فقال: إنَّ الملوك الخ)** أي فأشار إلى أنَّ معرفة الحق تعالى توجب حضور المعروف في قلب العارف بدوام مراقبته فتفسد ما فيه من الحظوظ والعادات البشرية الطبيعية، وتصير النفس ذليلة متروكة اشتغالاً عنها بالنفس النفيس ومشاهدته في منصات التقديس، فإذا دخل الرب قلب العبد خرب ما سواه، وحينئذٍ فلا يتأتي له الجري مع المعتاد ولا التصرف بالأسباب، ولذا قيل: إذا عظم الرب في القلب صغر الخلق في

يحتمله) كلامه (**أنَّ عند القوم المعرفة توجب غيبة العبد عن نفسه لاستيلاء ذكر الحق**) تعالى (**عليه فلا يشهد غير الله عز وجل**) من سائر المخلوقات (**ولا يرجع**) في مهماته (**إلى غيره**) تعالى (**فكما أنَّ العاقل يرجع إلى قلبه وتفكره وتذكره فيما يسنح**) أي يخطر (**له من أمر أو يستقبله من حال، فالعارف رجوعه إلى ربه**) تعالى (**فإذا لم يكن مشتغلاً إلا بربه تعالى لم يكن راجعاً إلى قلبه**) ولا إلى غيره من سائر المخلوقات (**وكيف يدخل المعنى قلب من لا قلب له**) عنده لشغله عنه بربه (**وفرق بين من عاش بقلبه وبين من عاش بربه**) تعالى، (**وسئل أبو يزيد عن المعرفة فقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾** [النمل: ٣٤] قال الأستاذ: هذا معنى ما أشار إليه أبو حفص) فيما مرّ من أنَّ المعرفة عندهم توجب غيبة العبد عن نفسه لاستيلاء ذكر الحق عليه، فالمراد من الآية أنَّ القلب إذا تعمر بذكر الله وبشغله به لم يبق فيه سعة لغيره فلا يدخله ما يفسده، (**وقال أبو يزيد**) أيضاً: (**للخلق أحوال**) لما عندهم من آثار النفوس وتنعمها وتغيرها بما يرد عليها (**ولا حال للعارف**) بالله (**لأنّه**)

العين فقد شبه المعرفة ولوازمها بالملوك ذوي الغلبة فهي إذا غلبت على قلب العبد تفسد أخلاق النفس الذميمة وتصير النفس التي كانت عزيزة ذليلة كالملوك إذا دخلوا قرية وتغلبوا على أهلها.

(**قوله: فقال: إنَّ الملوك الخ**) أي وقال أيضاً: خضت بحراً وقف الأنبياء بساحله ومراده والله أعلم بحر التحقيق والتوحيد ومعناه وقف الأنبياء بساحله الأقصى ورجعوا إلى سيفه الأدنى رفقاً بعوام الاتباع، وصوناً لموضع الحرمة وتعظيم الشعائر والصون للأسرار عن الأغيار، ومنه ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠] وإليه الإشارة بخبر «لو تعلمون ما أعلم»[(١)] الحديث، فالأولياء في تيارات بحر الولاية خائضون، والأنبياء على ساحله في مقام النبوّة والنبا واقفون هذا ويحتمل أنَّ هذا صدر منه على طريق اللسان المحمدي والقدم الأحمدي، فحينئذٍ المراد بحر محيط اختص به وقف الأنبياء بساحله صوناً لموضع حرمته ﷺ، وهو أقرب والله أعلم.

(**قوله: ولا حال للعارف بالله**) أي لا حال له دائم إذ هو ابن وقته لا ينظر إلى ماضٍ ولا إلى مستقبل بل حاله الظهور بالمظاهر الإلهية الوقتية، وقوله: لأنَّه قد محيت عنه رسومه أي ولذلك تسمع أوصافه فتشتاق إليه وتراه فتحبه، وتحنو إليه وتستقل الوصف عند عيانه، وذلك لرفعة شأنه:

كانت محادثة الركبان تخبرني   عن وصفكم وعلاكم أطيب الخبر

---

(١) أخرجه النسائي (زكاة ٨٣) وأحمد بن حنبل (٥، ٦٥).

قد **(محيت)** عنه **(رسومه)** أي آثاره **(وفنيت هويته)** يعني ذكر نفسه **(بهوية غيره)** يعني بذكر الله تعالى **(وغيبة آثاره بآثار غيره)** وهو الله لكمال شغله به فنسي نفسه وأحوالها وآثارها، فلا حال له يراه، **(وقال الواسطيّ: لا تصح المعرفة)** بالله أي الكاملة **(وفي العبد استغناء بالله وافتقار إليه قال الأستاذ: أراد الواسطي بهذا أنّ الافتقار)** إليه **(والاستغناء)** به **(من أمارات صحو العبد وبقاء رسومه لأنّهما من صفاته)** أي صحو العبد لأنّ فيهما تفرقة بين المستغني والمستغنى به والفقير والمفتقر إليه **(والعارف)** الكامل **(محو في معروفه)** وهو الله لا يحس بنفسه فضلاً عن غيرها من سائر المخلوقات **(فكيف يصح له ذلك)** أي ما ذكر من الاستغناء بالله والافتقار إليه **(وهو لاستهلاكه في وجوده)** أي الله **(أو لاستغراقه في شهوده)** أي في حضور الله **(إنْ لم يبلغ الوجود)** أي لم يعلمه **(مختطف)** أي مغيب **(عن إحساسه بكل وصف هو له)** فلا يحس بمخلوق، **(ولهذا قال الواسطي أيضاً من عرف الله تعالى انقطع)** أي من غيره

حتى التقينا فلا والله ما سمعت أذني بأحسن مما قد رأى بصري

(قوله: أي آثاره) أي الراجعة لحظوظه. **(قوله: وفنيت هويته)** أي وجوده في الوجود الحق فصار وجوده بالله عياناً بعد أنْ كان برهاناً.

(قوله: يعني ذكر نفسه) أي ما لها من الأحوال والمقامات. **(قوله: فلا حال له يراه)** أي بدون ملاحظة فضل ربه. **(قوله: لا تصح المعرفة الخ)** أي لأنّ أل في العارف للكمال فهو ما بقي له إحساس لم تكمل معرفته لرب الناس.

(قوله: والعارف الكامل محو الخ) أي لأنّ شأن العارف الكامل الفناء عن نفسه وما لها من الأخلاق، وذلك بتحققه بمقام جمع الجمع، وهو أرقى من مقام التفرق وإنْ كان لا بدّ من ملاحظته في تحقق مقام العبودية فتأمل.

(قوله: محو في معروفه) أي ولذلك قيل: العارف لا إشارة له أي وسقوط إشارته في حال كماله فناء بشهود الكمال للحق لا قصوراً عن مدارك الجلال والجمال، فهو فانٍ في وجوده عن وجوده، وفي شهوده عن شهوده بموجده ومشهوده نعم الإشارة واسطة بين الرجاء والخوف فافهم أي فهو كلما علا به مقام صغرت رؤيته في أعين العوام:

كالنجم تستصغر الأبصار رؤيته والعيب للعين لا للنجم في الصغر

(قوله: إنْ لم يبلغ الوجود) أي لعدم التفاته إليه استغراقاً في الوجود المطلق، وتحققاً بحقائقه، وقوله: مختطف أي مغيب عن الشعور والاحساس بالنفس وما لها.

(قوله: كما قال ﷺ:) الشاهد فيه الاعتراف بالعجز إدراك الحقائق الإلهية فهو ﷺ يشير إلى مقام العبودية الذي هو أشرف المقامات. **(قوله: الذين بعد مرماهم)** أي عمن لم

(**بل خرس وانقمع**) أي ذل في نفسه وخضع تحت أنوار العزة كما (**قال ﷺ**: «**لا أحصي ثناء عليك**» **هذه صفات الذين بعد مرماهم**) أي غرضهم (**فأما من**) أي الذين (**نزلوا عن هذا الحد**) إلى إحساسهم (**فقد تكلموا في المعرفة فأكثروا**) وأعطوا كل ذي حق حقه كما أمرهم به ربهم. (**أخبرنا محمد بن الحسين رحمه الله قال**: **أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن سعيد الرازيّ قال**: **حدثنا عياش بن حمزة قال سمعت أحمد بن أبي الحواريّ يقول**: **سمعت أحمد بن عاصم الأنطاكي يقول**: **من كان بالله أعرف كان له أخوف**) لأنَّ من عرفه وعرف ما فعله ويفعله بالمخالفين في دنياهم وأخراهم كان أشد خوفاً من غيره، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨] أي العلماء به، (**وقال بعضهم**: **من عرف الله تعالى تبرم بالبقاء**) أي سئمه (**وضاقت عليه الدنيا بسعتها**) فقد حكى الله تعالى عن كعب بن مالك وأصحابه لما تخلفوا عن غزوة تبوك وهجروا إلى أنْ نزل فيهم قرآن ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾ [التوبة:

يساوهم في مقاماتهم. (**قوله**: **واعطوا كل ذي حق حقه**) أي من حق الحق وحق الخلق، وهذه أخلاق علماء الظاهر. وعوام هذه الطائفة وأخلاق من عاد بعد الجمع إلى مقام الفرق لغرض الإرشاد إلى رتب الإسعاد. (**قوله**: **من كان بالله أعرف الخ**) أي فمن كان بنعوت جلال الله وعظمته وجبروته أعرف كان منه تعالى أخوف، وذلك لما يشاهده من آثار هذه الأسماء وعظيم هاتيك الصفات.

فائدة:

ومن ذلك الخوف، الخوف من أبناء جنسه فيهرب خوفاً من خيرهم أكثر من شرهم، قال أبو الحسن الشاذليّ: أوصاني أُستاذي فقال: اهرب من خير الناس أكثر مما تهرب من شرهم فإنْ شرهم يصيبك في بدنك وخيرهم يصيبك في قلبك، ولأنْ تصاب في بدنك خير من أنْ تصاب في قلبك ولعدوّ ترجع به إلى الله خير لك من صديق يصدك عن الله.

(**قوله**: **تبرم بالبقاء**) أي مللاً منه لمحبته سرعة اللقاء أقول: ولذلك قيل: هو من ينطوي في الانتشار، ويختفي بظهور الأنوار:

تسترت عن دهري بظل جناحه ... فعيني ترى دهري وليس يراني

(**قوله**: **فقد حكى الله تعالى عن كعب بن مالك الخ**) أي حكى عنهم بقوله جل شأنه: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ [التوبة: ١١٨] أي وتاب الله عليهم بعد أنْ أخر أمرهم إلى أنْ نزل فيهم الوحي وهم كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع،

١١٨] وذلك لمعرفتهم بالله وعظمته وعظمة رسوله، وتخلفهم عن الجهاد مع رسوله، فكل من عرف الجليل العظيم لا يحتمل قلبه الاشتغال بغيره، ولا البعد عنه، **(وقيل: من عرف الله تعالى)** وأنَّ ما يجريه عليه فيه صلاحه **(صفا له العيش)** بما ينعمه به من قربه به وتلذذه بمناجاته **(وطابت له الحياة وهابه كل شيء، وذهب عنه خوف المخلوقين وأنس بالله)** تعالى، **(وقيل: من عرف الله تعالى ذهب عنه رغبة الأشياء)** لزهده في الدنيا ورضاه بجميع ما يختاره له مولاه والرغبة إنما تكون مع الاختيار والحب لبعض الأشياء دون بعض وقد زال الاختيار برضاه بما يختاره له مولاه **(وكان)** هو **(بلا فصل ولا وصل)** لكمال استغراقه في ذكر ربه وشغله به عن ذكر نفسه هل هي مفصولة أو موصولة، فإنَّ ذكر ذلك فيه تفرقة، ومن استغرق في شيء لم يبقَ عنده ذكر لغير ما هو فيه، **(وقيل: المعرفة)** بالله لكونها تقتضي تعظيم

وقرىء خلفوا أي خلفوا الفائزين بالمدينة وقرىء خالفوا، وقرىء على المخلفين، وقرىء غير ذلك، والظاهر معنى تخلفوا، وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ [التوبة: ١١٨] غاية للتخليف والمراد بقوله: ﴿بِمَا رَحُبَتْ﴾ رحبها وسعتها وذلك لانقطاع الناس عنهم، وقوله: ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾ أي إذا ضاقت رجعوا إلى أنفسهم لا يطمئنون لشيء لعدم الأنس واستيلاء الوحشة والحيرة، ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾ أي علموا أنَّ لا ملجأ من سخطه إلا إلى استغفاره ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ أي وفقهم للتوبة ليتوبوا أو أنزل قبول توبتهم ليصيروا من جملة التائبين أو رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد أخرى ليستقيموا على توبتهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ المبالغ في قبول التوبة كيفاً وكماً، وإنْ كثرت الجنايات وعظمت، الرحيم المتفضل عليهم بفنون الآلاء مع استحقاقهم لأفانين العقاب، هذا وإذا أردت الوقوف على قصة المخلفين موضحة فارجع إلى كتب التفسير لأنَّ حقيقة الخبر عند الخبير.

(قوله: صفا له العيش) أي المعيشة وذلك بواسطة رضاه بما يجريه الحق تعالى من الأحكام. **(قوله: بما ينعمه به)** أي وإنْ لم يلائم مطلق النفس إذ مثله ممن يشهد البلاء من النعم ويشكر الله على ذلك. **(قوله: ذهب عنه رغبة الأشياء)** أي لأنَّه قد فصل حقائق الحكم وبهجة الأنوار في الظلم فكان لغلبة نوره عليه وعظم نوره لديه لا تزكيه النار بحضرة سلطان الأنوار بل إنَّ مرّ بها لأمر سببي تقول له: جز فقد أطفأ نورك لهبي، ومن تم له رفع الحجاب فهم ما كان للكليم وقت الخطاب:

تكفي اللبيب إشارة مرموزة وسواه يدعى بالنداء العالي

(قوله: والرغبة إنما تكون الخ) في قوّة التعليل لقوله: ذهب عنه رغبة الأشياء.
(قوله: وكان هو بلا فصل ولا وصل) أي لأنَّ ملاحظة ذلك من علامة بقايا النفس.

العارف له واستشعار نظره إليه في سائر أحواله (**توجب**) له (**الحياء والتعظيم كما أنَّ التوحيد يوجب**) للموحد (**الرضاء**) بما يجريه الله عليه (**والتسليم**) فيه لكونه يغلب على قلبه رؤية الفعل من الواحد في سائر أحواله (**وقال رويم: للعارف مرآة**) هي قلبه (**إذا نظر فيها تجلى له**) فيها (**مولاه**) فليس في الوجود حركة، ولا سكون، ولا ذرة إلا وهي مذكرة للعارف ربه كما قال بعضهم: ما رأيت شيئاً حتى رأيت الله قبله، وقال بعضهم: والأوّل أكمل لدوام يقظته وقلة احتياجه للمذكرات عن الغفلات، (**وقال ذو النون المصري: ركضت أرواح الأنبياء عليهم السلام في ميدان المعرفة فسبقت روح سيدنا محمد ﷺ أرواح الأنبياء عليهم السلام إلى روضة الوصال**) ليس هذا راجعاً إلى الكشف بل هو إخبار عن الواقع واختصاص إلهي كما أخبر ﷺ بقوله: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»، (**وقال ذو النون**) أيضاً: (**معاشرة العارف**

(**قوله: المعرفة توجب له الحياء والتعظيم الخ**) أي وذلك لأنَّ من عرف الله تعالى بجلاله وجماله استحيا منه حق الحياء وعظمه حق التعظيم، ومن وحده ذاتاً وصفةً وفعلاً رضي وسلم جميع ما يجريه الحق من الأحكام لاءمت النفس أم لم تلائمها. (**قوله: للعارف مرآة الخ**) أقول: وما ألطف ما سمعت من نوع المواليا:

الكون مرآة فاجليها ترى فيها ... جمال ذاتك ولا تركن لما فيها
والقلب مرآتك العظمى فصفيها
ترى الجمال المقدس ثم تستغني ... يا ابن الفتوّه عن الجنة وما فيها

واعلم أنَّ مراده بالعارف الكامل منهم الفاني عن كامل مراداته، فهو حينئذٍ قلبه موضع أسرار الحق، ومورد واردات الصدق.

(**قوله: فليس في الوجود الخ**) لو اقتصر الشارح على قوله: كما قال بعضهم الخ لكان أنسب بما يظهر من قول المؤلف، فتدبر. (**قوله: ركضت أرواح الأنبياء الخ**) محصله أنَّ أرواح الأنبياء أسرعت في السير في معرفة الحق تعالى الشبيهة بالميدان لسعتها فسبقت روح سيدنا محمد ﷺ جميع الأرواح إلى روضة وصال الحق والدنو من منشأ النبأ الصدق عياناً وشهوداً لا كشفاً وبرهاناً.

(**قوله: ليس هذا**) أي ما ذكره ذو النون ليس راجعاً إلى الكشف أي منه بل هو للإخبار بما وقع وتحقق لهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. (**قوله: ولا فخر**) أي ولا فخر أعظم وأشرف من هذا الفخر والشرف الذي تحقق له ﷺ وأصل الفخر والافتخار المباهاة بالمكارم والمناقب من حسب ونسب وغير ذلك أو المعنى لا أقول ذلك افتخاراً بل إبلاغاً لما أمرت بإبلاغه. (**قوله: معاشرة العارف الخ**) الغرض إفادة الإمارة المحققة

كمعاشرة الله تعالى) في أنه (يحتملك ويحلم عنك تخلقاً بأخلاق الله تعالى) فمتى صحبته عفا عن كل ذنب يكون منك، وزال عنك برؤيته الفتور والكسل وتخلقت بأخلاقه الحميدة، (وسئل ابن يزدانيار متى يشهد العارف الحق) تعالى صرفاً بأنْ لا يشهد معه غيره؟ (فقال: إذا بدا) له (الشاهد) بمعنى المشهود الواحد (وفني الشواهد) أي الإدراكات (وذهب الحواس واضمحل) أي ذهب (الإخلاص) ولم يبق عنده إلا الشاهد، وهو المشهود الحاضر، (وقال الحسين بن منصور: إذا بلغ العبد إلى مقام المعرفة) بالله (أوحى الله إليه بخواطره) أي ألهمه بها المقاصد الصحيحة من الفراسة والإخبار ببعض المغيبات (وحرس سره) عن (أنْ يسنح) أي يخطر (فيه غير خاطر الحق) فالعارف يحفظه الله في سائر ما يرد عليه من الخواطر الذميمة، ويلهمه المقاصد الصحيحة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، (وقال علامة العارف) بالله: (أنْ يكون فارغاً من الدنيا والآخرة) لا زاهداً فيهما بل شغلاً عنهما بما هو أَجل وأَعظم منهما، وهو كمال شغله بمعروفه،

لعرفان العارف، والمراد بالمعاشرة المعاملة أي فمعاملة العارف لإِخوانه المؤمنين كمعاملة الله تعالى عباده بالرحمة والشفقة من العفو والحلم وغير ذلك.

(قوله: متى يشهد العارف الحق) أي ما أمارة ذلك وعلامته. (قوله: فقال: إذا بدا الشاهد الخ) أي فالمعرفة انكشاف يوجب رفع الغطاء عما استتر وتغطى، وذلك يكون بحسب كل حضرة ومثول ومقام واستعداد وقبول، فمعرفة الفرد فريدة للانفراد وأَهليتها غريبة للتوحيد بين الآحاد:

الطرق شتى وطرق الحق مفردة والسالكون طريق الحق إِفراد

وفني الشواهد أي انعدمت النفس وما لها من الأَخلاق، ويلزم مما ذكر أنَّ العارف يكون نظره الأوّل حينئذٍ إلى الحق ثم ينتقل منه إلى الآثار. (قوله: إذا بلغ العبد إلى مقام المعرفة الخ) أي وذلك لا يتم له إلا بعد أنْ يكبر على نفسه وعلى سائر الأَنام أربع تكبيرات ويجعل ذلك الختام. (قوله: إنَّ الله مع الذين اتقوا الخ) إنَّ المراد بالمعية الولاية الدائمة التي لا يحوم حول صاحبها شائبة شيء من الجزع وضيق الصدر وما تشعر به كلمة مع من متبوعية المتقين إِنما هو من حيث أنّهم مباشرون للتقوى، وكذا الحال في نظائره والمراد بالتقوى المرتبة الجامعة لما تحتها من التوقي عن الشرك، وتجنب كل ما يؤثم، والتنزه عن كل ما يشغل عن الحق تعالى والتبتل بسرّ شر نفسه، وهي التقوى الحقيقية المورثة لولاية الله تعالى المقرونة ببشارة قوله سبحانه: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]، وحاصل المعنى أنَّ الله ولي الذين تبتلوا إِليه بالكلية، وتنزهوا عن كل ما يشغل سرهم عنه فلم يخطر ببالهم شيء من مطلوب أو محذور فضلاً

فلم يبق فيه سعة لذكره غيره من المخلوقات التي هي الدنيا والآخرة وما فيهما، **(وقال سهل بن عبد الله: المعرفة غايتها شيآن الدهش)** لكمال المعروف وعزته **(والحيرة)** في معلوماته وتنزهاته من الجهات ونحوها. **(سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت محمد بن أحمد بن سعيد يقول: سمعت محمد بن**

عن الحزن بفواته والخوف من وقوعه، وقوله تعالى: ﴿وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨] للإشعار بأنَّ ذلك مما يتنافس فيه المتنافسون وحقيقة الإحسان الإتيان بالأعمال على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي المسلم نفسها الذاتي وتكرير الموصول للإيذان بكفاية كل من الصلتين في ولايته سبحانه وتعالى، وإيراد الجملة الأولى فعلية للدلالة على الحدوث كما أنَّ إيراد الثانية إسمية لإفادة كون مضمونها سمة راسخة وتقديم التقوى على الإحسان لما أنَّ التخلية بالخاء المعجمة مقدمة على التحلية بالحاء المهملة. روي عن هرم بن حبان أنَّه قيل له عند الاحتضار: أوص قال: إنما الوصية من المال وأوصيكم بخواتيم سورة النحل عن رسول الله ﷺ «من قرأ خواتيم سورة النحل لم يحاسبه الله تعالى بما أنعم عليه في دار الدنيا وإنْ مات في يومه أو ليلته كان له من الأجر كالذي مات وأحسن الوصية». **(قوله: بأن يكون فارغاً من الدنيا والآخرة)** أقول: والموجب للفراغ من الدنيا والخلق ما فيها من الأكدار وما تؤول إليه من الزوال ومن الخلق لأنَّ فتنتهم في إقبالهم وأذاهم في إدبارهم، والكلف والأهوال في ملابستهم، وعن النفس أيضاً فيما تريده وتهواه عن الاعتراض فيما تطلبه والتجهيل فيما تختاره، وعن الآخرة من حيث أنها تشغل ممن له الآخرة والأولى قال ﷺ: «من أسدى إليكم معروفاً فكافؤه فإنْ لم تقدروا فادعوا له»[1] وذلك ليتخلص القلب من رق الإحسان الصادر من الخلق ليدوم له التعلق بالملك الحق.

(قوله: لا زاهداً فيهما) أي لأنَّ الزهد إنما هو الإعراض عنهما، وليس مراداً بل الغرض عدم تعلق القلب بهما وإن لابس عملهما، ويحتمل أنَّ المعنى لا زاهداً فيهما لما يشير إليه الزهد من سبق التعلق بهما، وذلك نقص بالنسبة لمقام الكمل، والله أعلم. **(قوله: الدهش لكمال المعروف)** أي حيث هو مما لا تسعه العقول.

(قوله: وعزته) أي تعززه أو التحجب بحجاب العزة المانع للعبد المقرب من حقيقة الشهود. **(قوله: والحيرة في معلوماته)** أي من حيث عدم تناهيها حيرة فكر لا شك. **(قوله: وتنزهاته)** أي تقدساته عن الجهات ونحوها من لوازم الحدوث جل ربنا وتعالى

---

(١) أخرجه النسائي (زكاة ٧٢) وأبو داود (زكاة ٣٨) (أدب ١٠٨) وأحمد بن حنبل (٢، ٦٨، ٩٩، ١٢٧).

أحمد بن سهل يقول: سمعت سعيد بن عثمان يقول: سمعت ذا النون يقول: أعرف الناس بالله أشدهم تحيراً فيه) هذا يرجع إلى قول الصدّيق: سبحان من لم يجعل إلى خلقه سبيلاً إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته، فغاية معرفتهم وصولهم إلى الحدّ الذي جعل لهم إدراكه، ومعرفتهم بعجزهم عما لم يجعل إليه سبيلاً، **(وسمعته)** أيضاً **(يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت أبا عمر الأنطاكيّ يقول: قال رجل للجنيد من أهل المعرفة أقوام يقولون: بترك الحركات)** أي الأعمال التي **(من باب البر والتقوى)** كالصلاة والصوم لأنهم زعموا بضلالهم أنّهم إنما يحتاجون إليها ليصلوا بها إلى الله، وإلى أنْ يغلب على قلوبهم ذكره ومناجاته والأنس به، وقد وصلوا **(فقال)** له **(الجنيد: إنَّ هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال)** المتعبد بها **(وهو عندي)** أمر **(عظيم)** في الضلال **(والذي يسرق ويزني أحسن حالاً من الذي يقول: هذا)** القول **(فإنَّ)** كلاً من السارق والزاني يعلم أنّه مخطىء شرعاً ويرجو له التوبة من ذلك، وهؤلاء يظنون أنّهم في أعلى الطاعات، ولا ينتقلون عما هم عليه أصلاً ولأنَّ **(العارفين بالله أخذوا الأعمال عن الله تعالى)** أي عن أمره ونهيه **(وإلى الله رجعوا فيها)** أي استعانوا به على القيام بها قال: **(ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البرّ ذرة)**

عنها. **(قوله: أشدهم تحيراً فيه)** أي فنهاية وجدان العارف، وورود وارد المعارف مناغية له بحديث حبيبه ومشهوده في حضرة وصاله وشهوده:

وأميل نحو محدثي ليرى ... أني أعرت حديثه عقلي
وشغلت عن فهم الحديث سوى ... ما كان فيك فإنه شغلي

فهو وإنْ توارى عنه المحبوب في بعض الزمان عن مطالعة العيان فقد تراءى له في الجنان:

لئن كنت عني في العيان مغيباً ... فما أنت عن قلبي وسري بغائب
إذا اشتاقت العينان منك لنظرة ... تجليت لي في القلب من كل جانب

(قوله: أشدهم تحيراً فيه) أي وتحيرهم إنما هو في عجزهم عما لم ينالوه من المعرفة.

(قوله: وسمعته أيضاً يقول: الخ) تقدم له هذا فلا تغفل. **(قوله: وقد وصلوا)** أي وصلوا بزعمهم إلى مقام المحبة فاستغنوا عن الأخذ في الأسباب، وذلك ضلال عظيم.

(قوله: وهو عندي أمر عظيم) أي لما يلزمه من إنكار أحكام الشريعة التي هي معلومة من الدين بالضرورة، وذلك يوجب الكفر والخلود في النار. **(قوله: ويرجو له التوبة الخ)** أي بل يؤمل العفو منه تعالى وإن لم يتب من ذنبه بخلاف مثل هؤلاء. **(قوله:**

ما ذكره هو المراد بقولهم: العارف من لا يطفيء نور معرفته نور ورعه أي بل يأتي بجميع ما أمر به. (**قيل لأبي يزيد: بم وجدت**) أي نلت (**هذه المعرفة فقال: ببطن جائع وبدن عار**) يعني باجتهادي في العلم والعمل من غير التفاتي إلى جوع أو برد، وكأنه أورده في معرض تأديب من يزعم أنه يسلك طريق المعرفة، وهو مقيم على ما يترفه به من مطعم وملبس، (**وقال أبو يعقوب النهرجوري: قلت لأبي يعقوب السوسي: هل يتأسف العارف**) الكامل أي يتلهف ويحزن حزناً شديداً (**على**) فوات (**شيء غير الله فقال: وهل يرى غيره فيتأسف عليه**) لا فإنّه إذا غلب على قلب رؤية معروفه واستغناؤه به لا يجد ما يتأسف على فواته (**قلت**) له: (**فبأي عين ينظر**) العارف (**إلى الأشياء فقال**) لي: ينظر إليها (**بعين الفناء والزوال**) لأنَّ مصيرها إليهما أما من لم تكمل معرفته بأنْ كان مستغنياً بمن يوصله إليها من العارفين فيتأسف على فواته ويحب دوام انتفاعه به في وصوله إلى محبوبه، ويراه لأجل ذلك، فما أحبه ورآه إلا من حيث كونه وسيلة لنيل مقصوده، (**وقال أبو يزيد العارف:**) بالله في سيره

أي عن أمره ونهيه) أي وذلك لا يقبل التغيير والتبديل حيث لم يغي كل منهما بغاية من وصول أو غيره. (**قوله: من لا يطفيء نور معرفته نور ورعه**) يقرأ برفع نور الأوّل ونصب نور الثاني على أنّ الأول فاعل ليطفيء، والثاني مفعوله كما هو ظاهر.

(**قوله: فقال: ببطن جائع الخ**) يريد أنّه إنما أدرك ذلك بترك مألوف النفس وذلك مثل ما قاله أبو الحسن رحمه الله: أعظم القربات عند الله مفارقة النفس لقطع إرادتها وطلب التخلص منها بترك ما تهوى لما يرجى من حياتها وإنَّ من أشقى الناس من يحب أن يعامله الناس بكل ما يريد، وهو لا يجد من نفسه بعض ما يريد.

(**قوله: وكأنه أورده الخ**) أي فأشار إلى أنّه لا سبيل إلى الوصول إلا بالخروج عن سائر المألوفات وشهوات النفس. (**قوله: فقال: وهل يرى غيره**) أي ولذلك قيل: ما فقد شيئاً من وجد الله، وما وجد شيئاً من فقد الله فحال الأوّل حال من وقته صفا وذهب عنه الجفا وحل حضرات الوفاء مع أهل القرب والاصطفاء فهم رضي الله عنهم لهم حنين إلى المحبوب، وزفرات بها القلب يذوب، ومدامع لولاها لأحرقتهم نيران الاشتياق، ولهيب وجد به منعت الدموع أهلها الإغراق:

لولا مدامع عشاق ولوعتهم ... لبان في الناس عز الماء والنار
فكل نار فمن أنفاسهم قدحت ... وكل ماء فمن دمع لهم جاري

(**قوله: أما من لم تكمل معرفته**) أي مثل علماء الظاهر السالفين لا كأهل زماننا عفا الله عنا وعنهم أجمعين. (**قوله: فيتأسف على فواته**) أي وذلك من الأخلاق الحسنة لمن

إليه **(طيار)** أي سريع الرجوع إليه لعدم الشواغل والآفات لاستغراقه في شغله بالله **(والزاهد)** في سيره إلى الله **(سيار)** إليه لأنَّ آفاته لم تنقطع عنه بالكلية وإنما انقطع عنه آفة الدنيا دون آفتي الشيطان والنفس، **(وقيل: العارف)** بالله **(تبكي عينه)** تارة لكمال الأدب وعدم صلاحيته عنده لما وهب له، وتارة خوفاً من أنْ يبعد ويحجب، **(ويضحك قلبه)** لما توالى عليه من النعم والفوائد، **(وقال الجنيد: لا يكون العارف عارفاً حتى يكون كالأرض)** في أنّه **(يطؤه)** وفي نسخة يطؤها **(البر والفاجر)** فيتذلل لمولاه ويتواضع له ولخلقه **(وكالسحاب يظل كل شيء)** فينفع العارف كل أحد حبيباً أو بغيضاً قريباً أو بعيداً **(وكالمطر يسقي ما لا يحب)** كالسبخة **(وما يحب)** كغيرها فينفع العارف العاصي والمطيع، **(وقال يحيى بن معاذ: يخرج العارف من الدنيا ولا يقضي وطره)** أي غرضه **(من شيئين)** أحدهما **(بكاؤه على نفسه)** لما يعرفه من تقصيرها وسوء أدبها في عبادتها **(و)** ثانيهما **(ثناؤه)** على ربه لما يواليه على قلبه من النعم والفوائد، **(وقال أبو يزيد: إنما نالوا المعرفة بتضييع مالهم)** وهو ما أبيح لهم

كان سائراً إلى الله تعالى من المريدين. **(قوله: طيار الخ)** أفاد أنَّ العارف أرقى من الزاهد الذي لم تكمل له المعرفة. **(قوله: تبكي عينه الخ)** أي فهو لا يبقى على حال واحد بل كائن بين الفرح والحزن يتقلب بينهما، فلا يحكم عليه بحكم واحد منهما.

(قوله: حتى يكون كالأرض) أي بعد فنائه عن نفسه، فالتواضع الحقيقيّ لا يكون إلا كذلك وإلا كان خروجاً عن النفس بها وبالفناء عنها يكون خروجه عنها بالحق فافهم، واعلم أنّه لا يتم له هذا المقام إلا إذا شهد أنّه دون ذلك إذ لو رأى تواضعه فقد أثبت له منزلة تنازل عنها، وحقيقته تأبى ذلك، فالتواضع أنْ لا يرى لنفسه قدراً بل كلما وضعها في شيء من أنواع الذل تحقق أنّها مستحقة لما دونه لما هي موصوفة به من النقص تأصيلاً وتفصيلاً، والحاصل أنَّ حقيقة التواضع بشهود عظمة الحق جل جلاله قال في عوارف المعارف: اعلم أنَّ العبد لا يبلغ حقيقة التواضع إلا عند لمعان نور المشاهدة في قلبه، فعند ذلك تذوب النفس، وفي ذوبانها صفاؤها من غش الكبر والعجب فتلين وتطيع وتنقاد للحق بمحو آثارها، وسكون رهجها وغبارها اهـ.

(وأقول:) فالناس ثلاثة: رجل رأى قبيح فعله ولم يرَ لنفسه قدراً، ورجل شهد قبيح وصفه فلم يشهد لنفسه نسبة، ورجل شاهد عظمة ربه فنسي كل شيء به، وهذا أتم الوجوه وأحسنها والله أعلم. **(قوله: يخرج العارف من الدنيا الخ)** محصله أنَّ من أمارات العارف دوامه على شهود التقصير، ودوامه على الثناء لمولي النعم جل شأنه. **(قوله: لما يعرفه من تقصيرها)** أي وإنْ كان من قبيل حسنات الأبرار سيئات المقربين. **(قوله: بتضييع مالهم)** أي زهداً فيه ورغبة فيما وعدهم الحق تعالى، وقوله والوقوف مع ماله أي

في دنياهم ولم يجره عليهم مولاهم (والوقوف مع ماله) تعالى مما أمر به ونهى عنه. (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلميّ رحمه الله يقول: سمعت أبا الحسين الفارسيّ يقول: سمعت يوسف بن علي يقول: لا يكون العارف) بالله (عارفاً) به (حقاً حتى) يكون بحيث (لو أعطي مثل ملك سليمان) عليه السلام (لم يشغله) ذلك (عن الله طرفة عين) لكمال شغله به حتى نسي نفسه وغيرها من سائر المخلوقات فلم يبق منها شيء تميل نفسه إليه، (وسمعته) أيضاً (يقول: سمعت أبا الحسين الفارسي يقول: سمعت ابن عطاء يقول: المعرفة) بالله (على ثلاثة أركان الهيبة والحياء) منه (والأنس)

القيام به وعدم الخروج عنه. (قوله: لا يكون العارف عارفاً الخ) أقول: وذلك لأنّه محب، والمحب من يبذل روحه ويستقلها ليس المحب من يطلب الأعواض، ولله در تاج العارفين ابن الفارض حيث يقول:

مالي سوى روحي وباذل روحه ... في حب من يهواه ليس بمسرف

فلئن رضيت بها لقد أسعفتني ... يا خيبة المسعى إذا لم تسعف

ولله در من قال:

اسمح بنفسك إنْ أردت لقانا ... واحلف بنا أنْ لا تحب سوانا

فإذا قضيت حقوقنا يا مدعي ... عاينتنا بين الأَنام عيانا

فتحصل أنّ المحبة تحرق البقايا من المحب وتصير حاله الرضا لا الخوف، ولذلك قيل:

وأترك ما أهوى لما قد هويته ... وأرضى بما ترضى وإنْ سخطت نفسي

فإذا قيل له: أنت معلول بعروض السخط لنفسك فيجيب بقول القائل:

أريد وصاله ويريد هجري ... فأترك ما أريد لما يريد

فيقال له: الترك معروض للرضا وعدمه، ولا يصح في مقام المحبة غير الرضا كما قيل: وكل ما يفعل المحبوب محبوب

فلو قال قائل: حقيقة الحب تستدعي الطلب ورضا المحبوب في غير ذلك فيقال: الوصل حظك والرضا حقه، وهو أولى بك منك فافهم.

(قوله: لو أعطي مثل ملك الخ) أي وذلك لأنَّ حقيقة المعرفة تستدعي صدق المحبة، وهي أخذ جمال المحبوب بجملة قلب المحب حتى لا يبقى فيه بقية لغيره، وبحسب ذلك لا يبقى له غرض في غير رضا محبوبه بكون ذلك غاية مرغوبه بل يفنى عن نفسه وعن كل شيء.

(قوله: المعرفة بالله على ثلاثة أركان) أي تبنى المعرفة عليها، فلا تكمل إلا مع تحققها. (قوله: فقال: عرفت ربي بربي) أي يصير رضى الله عنه إلى خبر: "كنت كنزاً

به لأنَّ علم العبد بجلاله تعالى وسطوته يوجب الهيبة منه، وعلمه بنظر الحق إليه في سائر أحواله يوجب الحياء منه، وعلمه بتوالي نعمه عليه ودوام مناجاته له يوجب الأنس به، (**وسمعته**) أيضاً (**يقول: سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول: قيل لذي النون: بم عرفت ربك فقال: عرفت ربي بربي ولولا ربي لما عرفت ربي**) إذ لا قدرة للعبد على تحصيل مقام من معرفة ومحبة وغيرهما إلا بفضل ربه وعونه، فمن عرف الله به فهو العارف، ومن عرفه بالتقليد فهو عاميّ، ومن عرفه بالدليل فهو متكلم، (**وقيل: العالمُ يقتدى به والعارف يُهدى به**) بناء على طريقتهم، من الفرق بين العالم والعارف بأنَّ العالم من يدرك الأحكام فيقتدى به في العمل بها، والعارف من غلب على قلبه شغله بمولاه فيهتدى به وبرؤيته لظهور النعم ومواهب الله عليه، (**وقال الشبلي: العارف**) بالله لكونه دائم الشغل به عمن سواه وعالماً بأنّه لا حافظ له ولا مالك إلا إياه (**لا يكون لغيره**) تعالى

مخفياً فأردت أن أعرف فخلقت خلقاً في عرفوني»[1] فقوله فيه: كنت كنزاً إشارة إلى مقام الأحدية له تعالى المعبر عنه بالعماء الذي ما فوقه هواء ولا تحته هواء، وقوله: فأردت الخ إشارة إلى مقام الواحدية الذي هو التجلي الأوّل، فحينئذٍ المعنى فيما ذكره هذا العارف أنّه لولا إرادته تعالى التابعة لعلمه القديم ما عرفته، فلما تعرف لي فقد عرفته، إنْ قلت: هو في ذلك كغيره من الخلق قلت: الفرق ملاحظة ذلك، وقصده منه دون غيره، وبالجملة فمشهد هذا العارف التبري من الحول والقوّة حيث اعترف بأنّه لولا إعانة ربه على معرفته لما سهلت عليه معرفته فتأمل.

(**قوله: فمن عرف الله به فهو العارف**) أي فمن عرف الله تعالى بالأدلة العقلية والسمعية مع سبق العناية له فهو العارف على الحقيقة. (**قوله: بأنَّ العالم من يدرك الأحكام**) محصل الفرق وجود المعنى والسر الجاذب في العارف بواسطة زيادة أنوار باطنه دون العالم وإنْ كثر علمه إذ هو مشتت غير مجموع.

(**قوله: وبرؤيته لظهور النعم الخ**) أي لأنَّ أنوار الباطن تلوح على صفحات الوجه الظاهر وإنْ كان العارف صامتاً أخرس.

(**قوله: العارف بالله**) أي الذي هو من إقامة الحق تعالى في مقام أحديته، وقوله: لا يكون لغيره أي لأنّه لا غير عنده في هذا المقام ومني عليك السلام. (**قوله: العارف أنس بذكر الله**) أي بعد أنْ تحقق أنّه لا نافع ولا ضار غيره، ولا فاعل لشيء سواه. (**قوله:**

---

(١) أخرجه السيوطي الحلبي في (الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ١٢٦) وعلي القاري في (الأسرار المرفوعة ٢٧٣) والفتني في (تذكرة الموضوعات ١١) و (صاحب أحاديث القصاص ٣).

(لاحظاً ولا بكلام غيره لافظاً لا يرى لنفسه غير الله تعالى حافظاً، وقيل: العارف أنس بذكر الله تعالى فأوحشه من خلقه وافتقر إلى الله فأغناه عن خلقه وذل لله تعالى وأعزه في خلقه) فهو مستوحش منهم بأنسه بالله فقير فيهم لغناه به عمن سواه ذليل فيهم لتعززه بمولاه، **(وقال أبو الطيب السامري)** بفتح الميم وتشديد الراء: **(المعرفة طلوع الحق)** تعالى أي ظهوره وغلبته **(على)** محل **(الأسرار)** وهو قلب العبد **(بمواصلة الأنوار)** أي بتوالي أنوار معرفته عليه حتى لا ينساه في شيء من حالاته، **(وقيل: العارف)** بالله معرفته **(فوق ما يقول:)** إذ لا قدرة له على تعبيره عن جميع مقاماته وأحواله لقصور العبارة عنه كما يقصر عن الفرق بين روائح المحسوسات كرائحة الزبد ورائحة المسك، وحلاوة العسل، وحلاوة السكر، وحموضة النارنج، وحموضة الليمون، وإذا قصرت العبارة عن ذلك فعما يواليه الله ويفتح به على قلوب

فقير فيهم) أي لتجرده عن مثل حظوظهم استغناءً به تعالى، وقوله: وذليل فيهم أي لفنائه عن نفسه وتعززه بعزة مولاه. **(قوله: المعرفة طلوع الحق)** أي استيلاء الحق وغلبة شهوده بدوام مراقبته بواسطة توالي أنوار قلبه حتى يفنى بذلك عن خطور السوى.

(قوله: العارف فوق ما يقول:) أي لأنَّ لسانه يقصر عن مشاهده وأذواقه وواردات قلبه، ويحتمل أنَّ معناه أنَّ قدمه محمدي فهو يسأل عن المسألة الواحدة من متعدد، ويجيب كلاً بحسب ما يوافق استعداده إذ هو طبيب القلوب وخطيب منصة المحبوب، قال تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [الطلاق: ٧] وقال عز سلطانه ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧] فافهم.

(قوله: العارف فوق ما يقول: الخ) أقول: لقد لطفت كؤوس الأذواق واستعذبت في طعم فم المذاق بل حليت وطابت وجليت، وطافت على ملوك ملكوا حضرة التداني، وخلاع سكر بخمرة المعاني فلله ما سمعوا في ألحان من توقيع الألحان حين أنشدهم الحادي معرباً وأسكرهم مطرباً:

فأمطر الكاس ماء من أبارقها ... فأنبت الدر في أرض من الذهب
وسبح القوم لما أن رأوا عجباً ... نوراً من الماء في نار من العنب
سلافة ورثتها عاد عن أرم ... كانت ذخيرة كسرى عن أب فأب

غيره من ألطف ما رأيت:

كأن فؤادي مجمر فيه عنبر ... على نار فكري واللسان يروح
تترجم عما في ضميري مدامعي ... وكل إناء بالذي فيه ينضح

(قوله: إذ لا قدرة له على تعبيره) أي والذي يقدر على التعبير عنه بما يغار عليه من

العارفين أولى، ولذلك قال بعضهم: لو أراد العارف ان يتكلم بما في قلبه لعجز عنه لسانه، **(والعالم)** بأحكام الله علمه بها **(دون ما يقول:)** أي ما يقوله: من العلم بأحكام الآداب والحضرة مع الله لا يبلغه علمه السابق لأنَّه عاجز عن أنْ يصل إلى ذلك بعلمه، **(وقال أبو سليمان الداراني: إنَّ الله تعالى يفتح للعارف)** بالله **(وهو على فراشه ما لا يفتح لغيره وهو قائم يصلي)** لأنْ أحواله كلها مع الله، فلا يغفل عنه في متقلبه ومثواه، **(وقال الجنيد: العارف)** بالله **(من نطق الحق)** تعالى **(عن سره)** بأنْ جعل أحواله الظاهرة التي أجراها عليه دالة ناطقة للخلق بعمارة باطنه وكمال حاله معه تعالى **(وهو ساكت)** لم ينطق، **(وقال ذو النون: لكل شيء)** من المخلوقات **(عقوبة وعقوبة العارف انقطاعه عن ذكر الله تعالى)** لأنَّ العارف به محب له، ومن أحب شيئاً

سماع غير أهله. **(قوله: والعالم بأحكام الله الخ)** أقول: والفرق حينئذٍ بينه وبين العارف أن حقيقة مشهد الإحسان تأبى إلا الكمال دون النقصان إذ هي طاهرة بوصف القدوسية للقدوس، ظاهرة بذلك لأرباب الأرواح والعقول والنفوس، شعر:

ليس فيها من يقال له كملت لو أن ذا كملا
كل شيء من محاسنها كائن في نفسه مثلا

(قوله: لأنَّه عاجز الخ) أي وسبب عجزه انحصار عقله في النقل والآداب اللازمة للحضرة لا تتناهى في عدد ولا تضبعاً بشكل مع أنَّ عجز العالم لحكمة التيسير ولرحمة اللطيف الخبير. **(قوله: إنَّ الله تعالى يفتح الخ)** أي وذلك لأنَّ كشف العيان بما يزيد على العرفان هو حضرة انقلاب الأعيان، ألا ترى كيف شهد ذلك العارف كله بكليته، وسمع وقت المناجاة بجميع أنيته:

إذا ما بدت ليلى فكلي أعين وإنْ هي ناجتني فكلي مسامع

فالعارف هو من جمع الكمال وحصل المقال والحال:

حال وقال يشهدان بأنه حاز الكمال بكل معنى أنفس

والحاصل أنَّ الفتح للعارف هو جذب قلبه إلى التذكر والتفكر في مصنوعات القديم جل شأنه وعز علاه.

(قوله: من نطق الحق تعالى عن سره) أي وأمارة ذلك موافقة ما نطق به لعلم المتابعة وتأثر السامع بما يبدو منه لخروجه من صميم القلب مخلصاً به عن الحق، وقوله: وهو ساكت لم ينطق أي فأنوار باطنة مشرقة على صفحات ظاهره ناطقة بأنَّه من المقربين ومن عباد الله المحبين المحبوبين.

(قوله: انقطاعه عن ذكر الله تعالى) أي غفلته عن مراقبته تعالى وقتاً ما من الأوقات، وعن ذكره بلسانه، فعلم من ذلك أنْ ذنوبهم الفترات وحجبهم الغفلات.

أكثر من ذكره، والعبد إنما يترك ذكرربه بقلبه إذا غفل عنه وغفلته عنه نقص، وكفى بها عقوبة. (**سمعت أبا حاتم السجستاني رحمه الله يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول: سمعت الوجيهي يقول: سمعت أبا علي الروذباريّ يقول: سمعت رويماً يقول: رياء العارفين**) بأنْ رأوا أعمالهم واستحسنوها (**أفضل من إخلاص المريدين**) لأنَّ غاية إخلاص المريدين خلاص أعمالهم من الرياء الحقيقي الذي هو محرّم وإنْ رأوا عملهم واستحسنوه وسكنوا إليه ورجوا الثواب عليه، والعارف عندهم من كملت معرفته بمولاه ورأى فضله عليه وعطاياه، ومن جملة ذلك حفظه له عن الغفلة عنه فمتى رأى عمله واستحسنه عد ذلك رياء تشبيهاً بالرياء حقيقة، (**وقال أبو بكر الوراق: سكوت العارف**) بالله (**أنفع**) من سكوت غيره لأنَّ أحواله الظاهرة تدل على عمارة باطنه مع مولاه فينتفع به وبرؤيته وحده من رآه (**وكلامه أشهى وأطيب**) لسامعه من كلام غيره كالزاهد لأنّ كلامه في صفة الجلال والكمال لمولاه وذكر تفاصيل نعمه عليه، وعلى غيره في دنياه وأخراه، وذلك تطيب به النفوس وتهواه، وكلام الزاهد مثلاً غالبه في بيان نقص الدنيا، وقلة وزنها عند الله، وذلك لا يحتمله كل

(**قوله: وغفلته عن نقص**) أي لأنَّ الغفلة من صفات النفس المذمومة، وقد قيل: لولا مدائن النفوس ما تحقق سبر السائرين. (**أقول:**) وتلك المدائن على ثلاثة أقسام: الحظوظ بالغفلة، واتباع الوهم بدون تحقيق، وصريح الدعوى من غير حقيقة. (**قوله: رياء العارفين الخ**) أي وذلك لأنهم قد تجلت لهم أسرار الكائنات ففهموا منها بلطيف الإشارات وقرؤوا ما في سطورها من رقيق العبارات:

تأمل سطور الكائنات تجد بها ... من الملأ الأعلى إليك رسائل
لقد خط فيها لو تأملت سطرها ... ألا كل شيء ما خلا الله باطل

وقوله: أفضل من إخلاص المريدين أي مع أنَّ رياء العارفين إذا اتفق لا يدوم بل يوفق العارف للانتقال عنه حالاً ولا كذلك المريد.

(**قوله: أفضل من إخلاص المريدين**) إنْ قلت: لم يظهر وجه الأفضلية لأن ما بعده العارف رياء هو ما يتخلص إليه المريد، قلت: الوجه عد هذه الحالة نقصاً عند العارف وذنباً يتاب منه، وكمالاً عند المريد. (**قوله: عد ذلك رياء الخ**) أي فتجب التوبة منه حالاً. (**قوله: أنفع**) أي لدوام ثمرته دون غيره، وقوله: وكلامه أشهى وأطيب أي وله الإشارة بقول بعضهم: العارف يسعطك المسك والزاهد يسعطك الخل والخردل. (**قوله: لأنَّ كلامه في صفة الجلال الخ**) لو أبدله بالجمال لكان أوقع. (**قوله: وذلك لا يتحمله كل النفوس**) أي النفوس البشرية التي لم تتجرّد عن العادات وعن المألوفات. (**قوله: وهم فقراء العارفين**) أي وقد ثبت خبر: «اتخذوا عند الفقراء أيادي فإنَّ لهم دولة يوم

النفوس، **(وقال ذو النون: الزهاد ملوك الآخرة وهم فقراء العارفين)** لأنَّ الله تعالى يعوضهم في الآخرة بدل ما زهدوا فيه، ولا يبلغون فيها درجة العارفين فهم فقراؤهم بالنسبة لما منَّ الله به على العارفين، **(وسئل الجنيد عن العارف)** بالله **(فقال: لون الماء لون إنائه يعني أنه)** أي العارف لا حال له معين بل هو كالماء في الإناء يتغير لونه بحسب تغير الإناء فهو **(بحكم وقته)** الذي هو فيه، فتارة بحكم القبض والإجلال، وتارة بحكم البسط والجمال، وتارة بحكم الدهش، وتارة بحكم السرور وحسن النفس، **(وسئل أبو يزيد عن العارف)** بالله **(فقال:)** هو من **(لا يرى في نومه**

القيامة»[1] ففي مثلهم قد ثبت هذا الخبر «وكفاهم شرفاً» والله أعلم.

(قوله: فقال: لون الماء لون إنائه) فيه دلالة على أنَّ سائله لم يكن إلا صاحب عقد معين فأجابه بجواب كلي مفيد لكل معرفة بالله، فقد رقاه بجوابه إلى ما فوق معتقده فإنَّ من كان على ما ذكرنا لا لون له فيظهر له الحق بحسبه كما هو تعالى في نفسه، فحينئذ لا بقاء للعارف على حال لعدم سكونه إليه، فهو مثل الماء يتلون بلون إنائه لكونه شفافاً لطيفاً، قال صاحب الفصوص: سقى الله ثراه هذا الجواب سديد حيث أُخبر عن الأَمر بما هو عليه قال بعض شراحة في أثناء كلامه، على هذا فإنَّه إذا تعين الحق بوجوده وظهوره في تجليه، فهو إنما يكون بحسب خصوص قابلية المتجلي له كما أشار إليه الأُستاذ أبو القاسم الجنيد رضي الله تعالى عنه بقوله: لون الماء لون إنائه يعني ليس للحق صورة معينة فتميزه عن صورة أُخرى كالماء لا لون له، ولكن الماء يتلوّن بحسب لون إنائه فإن الحق لذاته يقتضي القبول لكل نعت، والظهور بكل وصف بحسب الواصف، والعالم والحاكم، فإنَّ كان العالم به صاحب اعتقاد خبري ظهر في معتقده بحسبه فهو بالنسبة إلى كل ذي اعتقاد على حكم معتقده، ومن لم يتقيد في معرفته وشهوده له إحاطة بالجمع، فذلك هو العارف الذي لا لون له. **(أقول:)** ويوضح هذا أنَّ مدد العارف إنما هو النور وهو لون له بل إنما يتلوّن بلون زجاجاته والله أعلم، وبكل شيء أحكم وسلم الأَمر تسلم.

(قوله: يعني أنّه بحكم وقته) أي بحسب التجلي الحاصل له فيه. **(قوله: فتارةً بحكم القبض والإجلال)** أي والغالب عليه في هذه الحالة الهيبة بدل الخوف، وقوله: وتارةً بحكم البسط والجمال أي والغالب عليه حينئذ الأدب بحسن المتابعة ليسد الكاملين، وقوله: وتارةً بحكم الدهش أي والغالب عليه السكون، وقوله: وتارةً بحكم السرور وحسن النفس أي والغالب عليه التواضع والحلم والرفق ولين الجانب.

(قوله: فقال: هو من لا يرى الخ) أي وذلك لأنَّه خرج من سجن نفسه إلى فضاء

---

(١) أخرجه الزبيدي في (اتحاف السادة المتقين ٩/ ٢٧٩) والعجلوني في (كشف الخفاء ١/ ٣٧، ٢/ ١٣٣) والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ٤/ ١٩٢) والمتقي الهندي في (كنز العمال ١٥٦٨٢).

غير الله ولا في يقظته غير الله) والأول مرتب على الثاني لأنَّ الغالب على العبد في نومه ما هو مشغول به في يقظته، وكل إناء بالذي فيه ينضح **(ولا يوافق غير الله)** أي لا يزال ذاكراً لله بقلبه **(ولا يطالع غير الله)** أي لا يزال رائياً لله بقلبه. **(سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت عبد الله بن محمد الدمشقي يقول: سئل بعض المشايخ بمَ عرفت الله؟ فقال:)** عرفته **(بلمعة لمعت)** في قلبي **(بلسان)** شخص **(مأخوذ عن التمييز المعهود ولفظة جرت على لسان)** شخص **(هالك)** بشغله بربه **(مفقود)** عن حسه بغلبة الأحوال عليه، **(يشير)** هذا القائل بما قاله: **(إلى وجد ظاهر)**

روحه، وسجن الروح من قبيل عالم التركيب المقيد الظلمانيّ وفضاء الروح من قبيل عالم التجرد والإطلاق النورانيّ الذي ينكشف به المقصود والمطلوب، وصاحب المقام الأول في الحضيض الأسفل، وصاحب المقام الثاني في الرفيع الأعلى إذ الأوّل مقصور على الكون لا يتعداه، والثاني روحانيّ معدن للعلوم والمعارف ينتقل عن الكون إلى المكون فيتعرفع بروحانيته للطفها، وحيث الأمر كذلك فالذي ينبغي للعاقل أنْ يطلب الكمال، وهو ما يسع به الكون ويرتقي به إلى المكون لأنَّه الأعلى مما وسع به الكون فقط إذ هو دني، فالمرء بالروح لا بالجسم إنسان فافهم.

(قوله: هو من لا يرى الخ) أقول: كيف لا يكون كذلك وهو قد غاب بخمر حبه عن الحس فانجلى له نور وجه المحبوب كالشمس فهناك دام له السكر وطفحت له الدنان، ودارت عليه كؤوس المحبة بالعرفان، شعر:

ما زال يشربها وتشرب عقله ... خبلاً وتؤذن روحه برواح

حتى انثنى متوسداً بيمينه ... سكراً وسلم روحه للراح

(قوله: فقال: عرفته بلمعة لمعت في قلبي الخ) محصله أنّه استفاد حاله ومقامه على نعت إنسان كامل القوّة مع غلبة أحوال الحقيقة عليه، فهو بظاهره يشاكل غيره من أرباب الصحو وباعتبار باطنه هالك مع أهل المحو، فأمده هذا العارف ببارقات الأنوار وإشارات خفايا الأسرار، فاللمعة كناية عن أنوار ذكره، وقوله: بلسان شخص أي بإشارة إرشادية، ودلالة إلهية، وقوله: مأخوذ عن التمييز المعهود يعني بذلك الالتفات إلى الحظوظ النفسية، فهو رضي الله تعالى عنه غائب عنها غريق في بحر المجاهدات والرياضات.

(قوله: فقال بلمعة لمعت في قلبي الخ) محصله أنَّ معرفته بواسطة إشراق نور ذكره المأخوذ بلسان شخص مستغرق في شهود الحق تعالى، وما له مع حسن المتابعة للسيد الكامل ﷺ لا إحساس له، ولا شعور بغير ذلك، ومن المعلوم أنَّ الواسطة إذا كان على هذا النعت يؤثر حاله وعمارة باطنه فيمن تلقى عنه واجتمع به من المريدين.

حصل له من ذلك الشخص **(ويخبر عن سر)** في باطنه **(ساتر)** لحاله عمن يراه، ويسمعه، فكل ما ذكره من صفة العارف الكامل أخبر عن أول معرفته باللمعة المذكورة من ذلك الشخص الذي غلبت أحواله على ظاهره مع كمال قوّته فهو بكمالها **(هو هو بما أظهره و)** هو **(غيره بما أشكله)** أي ستره مما توالى على قلبه من أسرار الغيب **(ثم أنشد)** في معناه **(نطقت)** لأجل ما ستره الحق عن غيري وخصني به في باطني **(بلا نطق)** أي مغلوباً عليَّ غير مختار **(هو)** أي النطق المغلوب عليّ **(النطق)** الحقيقي أي مثله **(إنّه)** أي الشأن **(لك)** يا ربي **(النطق لفظاً)** شبهه بالنطق لفظاً لوضوح دلالته على المعنى، ولذلك قال: **(أو يبين)** أي يظهر **(عن النطق)** ثم أشار إلى المعنى الذي خصه به الحق، وشغله به عن غيره بقوله: **(تراءيت)** يا ربي أي ظهرت لي وشغلتني بك **(كي أخفى)** عن غيرك **(وقد كنت خافياً.)** عني **(وألمعت لي برقاً)** أي أظهرته على لساني **(فأنطقت)** يا ربي **(بالبرق)** الذي خصصتني به في وقت آلية حالي، **(وسمعته)** أيضاً **(يقول: سمعت علي بن بندار الصيرفي يقول: سمعت الجريريّ يقول: سئل أبو تراب عن صفة العارف)** بالله **(فقال:)** هو **(الذي لا يكدره**

(قوله: ويخبر عن سر في باطنه ساتر لحاله) أي غيره من استشراف غير ربه عليه.

(قوله: هو هو الخ) مراده أنَّ هذا الشخص بحسب ظاهره، وتخلقه بخلق أمثاله البشر هو المعلوم، وبحسب باطنه، وما أخفاه مما منحه مولاه مغاير لذلك المعلوم ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ١٠٥]. **(قوله: ثم أنشد الخ)** محصل معنى ما أنشده أنَّ العبد المحبوب لعمارة باطنه بدوام مراقبة الحق تعالى، وزيادة أنوار باطنه ظهرت الآثار على صفحات وجهه ناطقة ودالة على مقام عرفانه، وعلى غاية تقريبه مع كون ذلك بغير اختياره، ومثل ذلك هو النطق الحقيقي، والدلالة الصحيحة فقوله: نطقت بلا نطق الخ معناه ظهرت آثار ما خصصتني به من عمارة باطني ظهوراً دالاً على تقريبي من حضرة اصطفائك شبيهة بالنطق غير أنَّه بالغلبة من غير اختيار مني، وهذا هو النطق الحقيقي يعني مماثلاً له في الدلالة الصحيحة، وقوله: إنَّه لك النطق لفظاً مبني على التجوّز والمشابهة بجامع وضوح الدلالة في كل، وقد أشار إليه الشارح بقوله: ولذلك قال: أو يبين الخ.

(قوله: ظهرت لي الخ) أي ظهرت بمظاهر أسمائك وصفاتك.

(قوله: كي أخفى عن غيرك) أي وذلك لأنَّ من تراءى له الحق وتعرف إليه يختفي عن الأمثال لعله يدوم له شريف الحال. **(قوله: وقد كنت خافياً عني)** أي بسبب قوّة حجبي بملابسة الحظوظ ممنوعاً من شهودالحق تعالى، وإلا فالحق تعالى منزه عن الحجاب. **(قوله: أي أظهرته على لساني)** أي وغيره من سائر جوارحي بواسطة فيضان أنوار قلبي.

(قوله: فقال: هو الذي لا يكدره شيء) أي لشهوده أحدية الحق جل علاه، ولقوة

شيء ويصفو به كل شيء) لرضا العارف بحسن ما يختاره له مولاه، فعنده بكرم الله ما يخلصه من كل كرب ويصفيه من كل كدر، **(وسمعته)** أيضاً **(يقول: سمعت أبا عثمان المغربي يقول: العارف)** بالله **(تضيء له أنوار العلم فيبصر به)** أي بنور العلم **(عجائب الغيب)** لأنّه انتقل من أخلاقه الذميمة إلى الحميدة، فلم يبق إلا نظره في العجائب والآيات، فهو يتفرج في ملكه تعالى وملكوته **(سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق رحمه الله يقول: العارف)** بالله **(مستهلك)** أي غريق **(في بحار التحقيق)** إذ ليس له حال معين بل هو مصرف بما يرد عليه من آثار الله فهو في بحار المعرفة فتارةً في بحار نعمه، وتارة في بحار أفعاله ومقدوراته، وتارة في بحار صفاته، فهي بحار والمعارف فيها **(كما قال قائلهم: المعرفة أمواج تغط)** أي **(ترفع)** العارف بما يطلعه الله عليه تارة **(وتحط)** به بالعجز والقهر، **(وسئل يحيى بن معاذ عن العارف)** بالله **(فقال)** مرّة: هو **(رجل كائن)** مع الخلق ببدنه **(بائن)** عنهم بقلبه **(ومنه قال: كان)** مع الخلق وعوائدهم **(فبان)** أي ففارقهم بشغله بربه. **(وقال ذو النون: علامة العارف)**

رضاه بما يجريه من تصاريف أحكامه، وقوله: ويصفو به كل شيء أي بسبب قوة التخلق بالمتابعة بقوى تأثيره فيما يقابله ويخالطه. **(قوله: تضيء له أنوار العلم الخ)** مراده بالعلم العلم الذوقي الذي هو ثمرة ونتيجة العمل على ما يوافق سنة سيد الكاملين عليه صلاة رب العالمين، فالعلم الذوقي لا يتحقق إلا بعد التحلي بالسمعيات والعقليات والعمل بأحكام المتابعات وقوله: فيصبر به الخ أي تفكراً وتذكراً في عجائب الغيب بل قد يبصر بذلك تلك العجائب شهوداً وعياناً والله أعلم. **(قوله: تضيء له أنوار العلم الخ)** أي لكونه قد قطع مدائن النفس وخرج منها إلى فضاء الشهود الذي هو من وظائف الروح، ولذا تراه يبصر عجائب الغيب، ثم ذلك من الأمورالتي تضيق عنها العبارة، وقد لا تبين عنها الإشارة، ولكنه شيء يدرك من وراء الستارة، فمن سرت لروحه هذه الأذواق ظهر عليه وفيه سرها، وذلك من شيم العارفين وإنسان المحبين المحبوبين ومن لم يحصل له ذلك السريان فهو مسجون بمحيطاته الجسمانية وخصور في هيكل ذاته النفسانية يطلب الأعواض ويتبع الحظوظ والأغراض فتدبر.

(قوله: في بحار التحقيق) المراد بها مظاهر أسماء الله تعالى وصفاته فهو فيها على حسب نور التجلي الوقتي. **(قوله: المعرفة أمواج الخ)** أي وذلك تابع لأنوار التجليّ الوقتي كما أسفلنا. **(قوله: ترفع وتحط)** أي وذلك من نعت العارف الذاتي له، فإنّه دائماً تتقلب عليه الأحوال بتبدل تجلي الجلال بالجمال، وحينئذ يتيه بالدلال أو بالعكس فيهيم إلى عود الوصال.

(قوله: فقال مرّة الخ) أي فقد عبر عن العارف باعتبار سني أحواله المختلف

بالله (**ثلاثة**) أحدها (**لا يطفىء نور معرفته**) بالله (**نور ورعه**) الذي هو ترك الشبهات المتضمن للعمل فلا يتركه لزعمه أنّه وصل أو أنه لا فائدة له مع ما سبق له في الأزل (و) ثانيها (**لا يعتقد باطناً من العلم ينقض عليه ظاهراً من الحكم**) فإذا وقعت له خواطر صحيحة عنده فلا يعمل بها حتى يزنها بميزان الشرع، ولا عبرة بما قيل: إنَّها خواطر خصهم الحق بها، فهي عن الله صادقة، فلا سبيل إلى تركها وإنْ صح في وقت لم يطرد (و) ثالثها (**لا تحمله كثرة نعم الله عليه**) من الكرامات ونحوها (**على هتك أستار محارم الله**) والإقدام على ما نهى عنه بناء على أنَّ مثله لا يؤاخذ بذلك، ومن قال به: فقد أمن مكر الله و ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩].

(**وقيل: ليس يعارف من وصف المعرفة عند أبناء الآخرة**) لأنَّ وصفها لهم يشوّش عليهم حالهم لأنّه يكلمهم بما لا يفهمونه لشغلهم بربهم عن غيره حتى عن أنفسهم (**فكيف**) بمن وصفها (**عند أبناء الدنيا**) الهلكى تحتها فإنَّهم لا يفهمون ولا يسمعون، (**وقال أبو سعيد الخراز: المعرفة تأتي من عين الجود وبذل المجهود**) أي لا تنال إلا بعون الله على بذل المجهود بمحض الكرم والجود، فلا تنال إلا ببذل

باختلاف الوارد على قلبه. (**قوله: لا يطفىء نور معرفته الخ**) نور المعرفة بالرفع فاعل، ونور الورع بالنصب مفعول، وذلك غني عن الإيضاح، فالعارف إذا امتحن بالإحسان قام بالأدب مع الكتمان وإنْ عدد وناح لا يمكن أنْ يقال ناح:

يا شمس ضحى جبينه وضاح ... ساعات رضاك كلها أفراح

عشاقك لو فعلت ما شئت بهم ... ماتوا كمداً وبالهوى ما باحوا

(**قوله: وثانيها لا يعتقد باطناً الخ**) أي فلا يعمل بما يرد على قلبه من الواردات إذا خالفه ظاهر حكم الشرع فطريقه دائماً المتابعة لسيد الكاملين.

(**قوله: وثالثها لا تحمله كثرة نعم الله الخ**) أقول: قد يغني عنه ما قبله. (**قوله: على هتك أستار الخ**) أي فلا ينشأ عنه ما يخالف قولاً أو فعلاً حكم الظاهر وإنْ كان ذلك في السر من متعلقات الأمر فرضاً. (**قوله: عند أبناء الآخرة**) أي الذين ينظرون إلى الحظوظ الآجلة. (**قوله: لشغلهم بربهم الخ**) لعله يرجع إلى الواصف لا إلى الموصوف له فتأمله.

(**قوله: المعرفة تأتي من عين الجود**) أي الكرم والفضل الإلهي، وذلك لأنَّها خصوصية من الحق لمن أراده من عبيده، فيكون منشؤها من عين كرم الحق وإحسانه، ومع هذا إذا ظهرت في عوالم الإنسان لا تنافي في بقاء بعض بشريته غير أنها تستره كشمس النهار إذا ظهرت في الأفق بالنسبة لظلمة الليل فيظن الجاهل أنها أذهبته بل إنما سترته تدبر ولأنك أسير الظاهر بسبب ظلمة السرائر. (**قوله: وبذلك المجهود**) أي بذل

المجهود بإعانة الكريم المعبود مع التبريّ من الحول والقوّة لتكون عين الجمع أتم. **(سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت محمد بن عبد الله يقول: سمعت جعفراً يقول؛ سئل الجنيد عن قول ذي النون المصريّ في صفة العارف)** بالله: **(كان ههنا)** أي مع الخلق وعوائدهم **(فذهب)** أي ففارقهم بشغله بربه، **(فقال الجنيد: العارف)** بالله هو الذي **(لا يحصره حال عن حال)** أي لا يتقيد بحال معين **(ولا يحجبه منزل)** أي لا يمنعه مقام حل فيه **(عن التنقل في المنازل)** بل ينتقل فيها إلى أنْ يصل إلى مقام المعرفة **(فهو مع أهل كل مكان بمثل الذي هو فيه يجد مثل الذي يجدونـ)**ـه **(وينطق فيها)** كلها **(بمعالمها)** لهم **(لينتفعوا بها)** وهو أقدر منهم على ما هم فيه بياناً ممن تخلق به لأنّه قد أحكمه قبل أنْ ينتقل عنه، فصارت المقامات كلها حاصلة له، **(وسمعته)** أيضاً **(يقول: سمعت عبد الله الرازيّ يقول: سمعت محمد بن الفضل يقول: المعرفة حياة القلب مع الله)** لأنَّ القلب إنما خلق للمعارف، فإنْ اشتغل بها كلها على أكمل وجوهها كان حياً أو على ضعف أو بعضها دون بعض كان مريضاً، وإنْ أعرض عنها بالكلية واشتغل بنفسه كان ميتاً قال الله تعالى: **﴿ومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها﴾** [الأنعام: ١٢٢] فالمعرفة حياة القلوب بالله وبسائر ما أمر بمعرفته، فبكمالها يكمل العبد وبنقصها ينقص، **(وسمعته)** أيضاً **(يقول: سمعت أحمد بن عليّ بن جعفر يقول: سمعت الكتانيّ يقول: سئل أبو سعيد الخراز هل يصير العارف إلى حال يجفو عليه البكاء؟)** أي يبعد عنه **(فقال: نعم إنما البكاء)** من العارفين **(في أوقات سيرهم إلى الله)** لتعلق همتهم بوصولهم إليه فلا يزالون فيها يبكون ويتضرعون ويتوسلون حتى يصلوا إليه، وينزلوا بمقام القرب **(فإذا نزلوا إلى حقائق القرب وذاقوا**

الوسع والطاقة في طاعة المولى جل علاه. **(قوله: لتكون عين الجمع أتم)** علة لقوله مع التبري. **(قوله: أي ففارقهم الخ)** أي فهو بائن بالخلق وإنْ لابس بالخلق. **(قوله: هو الذي لا يحصره حال عن حال)** أي لعدم وقوفه مع حال أو مقام. **(قوله: فهو مع أهل كل مكان)** أي مقام بمثل المقام الذي هو فيه، وقوله: يجد مثل الذي يجدونه أي من الواردات ورائق الإشارات، ويترجم عنها بأماراتها لينتفعوا بها.

(قوله: وهو أقدرهم على ما هم فيه) أي وذلك لتمكنه مما هو أعلى من مقاماتهم فيكون حينئذ أقدر على النطق بما يجدونه. **(قوله: المعرفة حياة القلب الخ)** أقول: ما ذكره من ثمرات المعرفة لا نفس المعرفة. **(قوله: كان ميتاً)** أي مثله في عدم النفع بل الضرر في هذا محقق. **(قوله: أو من كان ميتاً)** أي يظلمه الجهل والكفر فأحييناه أي بنور الإيمان والدلالة. **(قوله: فإذا نزلوا على حقائق القرب)** أي القرب من التفضلات الإلهية

طعم الوصول من بره) تعالى وكرمه **(زال عنهم ذلك)** وبقي في قلبه خدمة مولاه وتعظيمه، والعارف مع كمال قوّته يحفظ سره ويرد على قلبه ما يرد على غيره وأعظم ولا يتحرك، ولذلك لما قيل للجنيد: وقد حضر سماعاً ولم يتغير ظاهره فسئل عن ذلك فقال: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨].

والإحسانات السنية، فهو قرب مكانة لا مكان. **(قوله: زال عنهم ذلك)** أقول: لعله بالنسبة لبعض المقربين ممن كان تجليه الجمال وإلا فقد لا يزول بتكرر خطور خطر الجلال.

(قوله: وبقي في قلبه خدمة مولاه) أي فيدوم على جده في طاعة ربه محبة وإجلالاً بدون تعب ونصب **(قوله: بحفظ سره)** أي وجوارحه الظاهرة عن مثل الصياح والحركة.

باب المحبة

سيأتي بيانها وهي ممدوحة ومطلوبة. (قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرۡتَدَّ

باب المحبة

أقول: قال الجوهريّ الحب بضم الحاء المحبة، وكذلك الحب بالكسر والحب أيضاً الحبيب مثل خدن وخدين، فالمحبة هي الودّ والميل للمحبوب، ويلزم ذلك الموافقة في المطلوب، وأما معنى المحبة عند العلماء وأرباب الأصول وأرباب الأحوال من علماء الشريعة فهي كما قال أبو المعالي إمام الحرمين: قد اختلف أهل الحق فيها فمنهم من ردها إلى صفة الفعل لاستحالة معنى التحنن والميل في حقه تعالى، فالمراد بها حينئذ في حقه تعالى إنعامه وإحسانه على عبده، وبالنسبة للعبد انقياده وإذعانه له تعالى فإنه سبحانه وتعالى يستحيل أنْ يميل أو يمال إليه لما يلزم ذلك من التحيز والجهة المحالين في حقه تعالى، ومنهم من حمل المحبة على الإرادة فترجع إلى صفة الذات، وفيه أنه تعالى مريد لكل شيء من الخير والشر، فيكف يحب الكفر ويرضاه؟ وقال: ولا يرضى لعباده الكفر، وأجاب أبو المعالي حيث قال: يريد الكفر كفراً ويرضاه معاقباً عليه، وفيه أنه قد نفاه بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَ﴾ [الزمر: ٧]، أقول معنى قوله تعالى: (﴿وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَ﴾ **أنه لا يرضاه غير معاقب عليه، وحينئذ فلا ينافي ما قبله، قال: إلا أن يحمل العباد على مخصوصين من أوليائه قال تعالى:** ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ﴾) [الحجر: ٤٢] فهو تعالى لا يريد لعباده الخواص الكفر، ولا يخلفه لهم أصلاً، إذا علمت ذلك تعلم عدم صحة حمل المحبة على الحقيقة بالنسبة له تعالى لاستحالتها عليه، واعلم أنَّ المحبة عند أرباب الأحوال حالة لطيفة يجدها العبد بقلبه تحمله على إيثار المحبوب طوعاً وقد يعبر عنها بأنَّها احتراق، أو اهتياج، أو غرام، أو سقام، أو لدغ، فكل ذلك يصح أنْ تفسر المحبة به على القريب وإنْ كانت العبارة لا تفي بشرح حقيقتها على التفصيل، وقد ذكر المؤلف فيما بعد تفاصيل الأقوال في حقائقها، وفي معانيها فلا نطيل بغير ما ذكره حيث كان فيه الكفاية والله أعلم.

(**قوله: سيأتي بيانها**) أي كلام المصنف على وجه المحبة في حقه تعالى على حقيقتها كما تقدم لما يلزمه من التحيز والجهة المحالين بل على أنَّها صفة فعل أو ذات على معنى الإحسان، أو إرادته، وفيه أنَّ الإرادة لا تتعلق إلا بمتجدد والرب تعالى أزلي

مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤] وسيأتي بيان محبته ومحبتهم، و (**أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسين قال: أخبرنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق قال: حدثنا السلميّ قال: حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن لم يحب لقاء الله لم يحب الله لقاءه»**)[1] وفي رواية ومن

لا أول لوجوده، وإنما يريد المريد أنْ يكون ما ليس بكائن ويجوز كونه، وأنْ لا يعدم ما يجوز عدمه وما ثبت قدمه استحالة عدمه، فلا تتعلق به إرادة، والذي يكشف ذلك أنَّ اجتماع الضدين لما كان محالاً امتنع أنْ يريد المريد استحالة اجتماع الضدين، هذا كلام الإمام رضي الله عنه وما قاله من التفريع على أنَّ المحبة هي الإرادة إنْ صح له لغةً وعرفاً وقد أطلقها الحق على نفسه في قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤] فإذا كان لا معنى لها إلا الإرادة خاصة فكيف يصنع بظاهر هذه الإضافة وإنْ تأول الضمير في قوله: ويحبونه، وصرف إلى أفعاله تعالى فكون المعنى ويحبون أفعاله، فقد تعلقت محبتهم على الحقيقة إذ هي متجددة كائنة مع أنّه لا يخطر ببال أحد من العلماء أنَّ القديم الواجب الوجود يجوز أنْ يقصد إلى تخصيصه بالوجود لاستحالة إيجاد الموجود، فهذا مستغن عن الشرح، وما ذكر من اختلاف أهل الحق في معنى المحبة وأنّها ترجع إلى صفة الفعل أو صفة الذات يمكن الجمع فيه بتحقق الإرادة، والفعل في كل من الرب والعبد كما لا يخفى على من تأمل.

(**قوله: قال قال رسول الله: الخ**) أي وروى مالك يرفعه إلى إدريس الخولانيّ قال: دخلت مسجد دمشق فإذا فتى شاب براق الثنايا، وإذا الناس معه إذا اختلفوا في شيء أسندوه إليه وصدروا عن قوله فسألت عنه فقيل: هذا معاذ بن جبل فلما كان الغد هجرت فوجدته قد سبقني بالتهجير، ووجدته يصلي قال: فانتظرته حتى قضى صلاته ثم جئته فسلمت عليه، ثم قلت: والله إني لأحبك في الله فقال الله: فقلت: الله فقال: الله فقلت: الله قال: فأخذ بحبوة ردائي فجذبني إليه وقال: أبشر فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: «وجبت محبتي للمتحابين في والمتجالسين في والمتباذلين فيَ والمتزاورين»[2] فدل ذلك على ثبوت محبة الحق لعبده. (**قوله: من أحب لقاء الله الخ**) المعنى على محبة ما يقرب إليه تعالى وإنْ كرهت ذات الموت لمضادته للحياة المعهودة

---

(١) أخرجه مسلم (ذكر ١٤ ـ ١٨) والترمذي (جنائز ٦٧) (زهد ٦) والنسائي (جنائز ١٠) والدارمي (رقاق ٤٣) والموطأ (جنائز ٥١) وأحمد بن حنبل (٢، ٣١٣، ٣٤٦، ٤١٨، ٤٢٠، ٤٥١، ٣، ٨٠٧، ٤، ٢٥٩، ٢٦٠، ٥، ٣١٦، ٣٢١، ٦، ٤٤، ٥٥، ٢٠٧، ٢١٨، ٢٣٦).

(٢) أخرجه الموطأ (شعر ١٢) وأحمد بن حنبل (٤، ٣٨٦، ٥، ٢٢٩، ٢٣٣، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤٧، ٣٢٨).

كره لقاء الله كره الله لقاءه، و (**أخبرنا أبو الحسن عليّ بن أحمد بن عبدان قال: حدثنا أحمد بن عبيد الصفار البصري قال: حدثنا عبد الله بن أيوب قال: حدثنا الحسن بن موسى قال: حدثنا الهيثم بن خارجة قال: حدثنا الحسين بن يحيى عن صدقة الدمشقيّ عن هشام الكتانيّ عن أنس بن مالك عن النبيّ ﷺ عن جبريل عليه السلام عن ربه سبحانه قال: «من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة»**) وفي رواية «من

المألوفة، وقوله: أحب الله لقاءه على معنى أجزل له العطاء والله أعلم.

(**قوله: وفي رواية ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه**) أي على معنى أنَّ من دام على المخالفات المكروهة لله أعد الله له العذاب عليها. (**قوله: من أهان لي ولياً الخ**) أقول: نظم الحديث كما رواه البخاري في صحيحه في باب التواضع في الجزء السابع عشر من تجزئة ثلاثين برواية أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أُحبه، فإذا أَحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها وإنْ استنصرني لأنصرنه، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته ولا بد له منه»[1] انتهى ثم أقول: وبالله الإعانة من فوائد هذا الحديث المتعلقة بظاهره أنه من المتشابه لأنَّ قوله: كنت سمعه الخ لا يجوز حمله على ظاهره لأنَّ ظاهره أنَّ الحق تعالى يكون نفس سمع العبد وبصره ويده ورجله وسائر أعضائه وأجزائه، فيلزم الاتحاد الذي عليه أرباب الوجود المطلق، وهو كفر في الشريعة وإلحاد وزندقة، فلا بدّ من التأويل على قول من يجوز التأويل، وفي تأويله بحسب الظاهر وجوه منها ما ذكر في شرح الحديث كشرح الأربعين للنوويّ وشرح صحيح البخاريّ وغيرهما، وهو أنّه يحتمل أنْ يكون المراد بقوله: كنت سمعه الخ كنت الحافظ لجوارحه من الشيطان، ويحتمل كنت في قلبه عند سمعه وبصره وبطشه ومشيه، فإذا ذكرني كف عن العمل الغيريّ، ويحتمل أنَّ سمعه بمعنى مسموعه ومبصره أي ذكري يكون مسموعه وعجائب قدرتي مبصره، ويكون آخذه لي، وكذا مشيه يكون لي، ومن التأويل أنَّ ذلك يكون إشارة إلى مقام كمال المحبة وتأكدها فإنَّ المحبة بين شخصين إذا تأكدت وبلغت إلى نهايتها يُكني في العرف عن تلك الحالة بألفاظ تدل على الاتحاد فيقول كل واحد منهما ماله مالي ومالي ماله، وقوله قولي وقولي قوله بل يقول: نفسي نفسه ودمي دمه كما قال عليه السلام لعلي بن أبي طالب كرّم الله وجهه «لحمك لحمي ودمك دمي» ومن ذلك ما وقع في القرآن من

---

(١) أخرجه البخاري (رقاق ٣٨) وأحمد بن حنبل (٦، ٢٥٦).

قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] وقوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] وقوله في صدر الحديث «من عادى لي ولياً فقد بارزني بالحرب» فجعل معاداة أوليائه نفس معاداته، وفي الحديث النبوي «من أحبني فقد أحب الله، ومن أطاعني فقد أطاع الله، ومن رآني فقد رأى الحق، ومن عصاني فقد عصى الله»[1] من هذا المقام ما وقع في كلام العرفاء أنا من أهوى ومن أهوى أنا. ومنه كلام المجنون العامري أنا ليلى وإسمي ليلى فقوله: إذا أحببته يدل على أنَّ المحبة لا تبلغ إلى غايتها ما لم تتبدل المحبة بالمحبوبية، فإذا أحب الله العبد تتأكد المحبة، وتصفو المودة، وتذهب مذلة الأجنبية، وتدخل نوبة المحرمية، وزوال الغيرية، فقوله: كنت سمعه يكون معناه إذا تأكدت المحبة بيني وبين عبدي كنت نفس العبد يعني تكون أفعاله وحركاته وسكناته في الحقيقة أفعالي وآثاري، وقائمة لي بحيث لا يصدر منه فعل من عند نفسه وطبعه، ولا أكله إلى نفسه أبداً وأراقب أفعاله دائماً، ومن فوائد هذا الحديث أيضاً أنَّ التخصيص في الحديث بالنوافل مع أنَّ الله تعالى قال: وما تقرب عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وقال عليه السلام: «ثواب الفريضة يفضل على ثواب النافلة بسبعين مرّة» وقد ضرب له العلماء مثلاً يفهم منه فائدته كما هو مذكور في بعض شراح الأربعين للنوويّ فقالوا: مثل الذي يأتي بالنوافل بعد الفرائض ومثل الذي يأتي بالفرائض دون النوافل كرجل أعطى عبده درهماً يشتري به فاكهة، وأعطى آخر درهماً يشتري به فاكهة، فذهب أحد العبدين فاشترى فاكهة فجعلها في قوصرّة وطرح عليها ريحاناً ومشموماً من عنده ثم جاء فوضعها بين يدي السيد، وذهب الآخر واشترى فاكهة وجعلها في حجره ثم جاء بها ووضعها بين يدي السيد على الأرض فكل واحد من العبدين قد امتثل لكن أحدهما زاد من عنده القوصرّة والمشموم فيصير أحب إلى السيد، فمن صلى النوافل مع الفرائض يصير أحب إلى الله تعالى، وذكر فيه أنَّ المحبة من الله إرادته الخير للعبد، فإذا أحبه شغله بذكره وطاعته وحفظه من الشيطان واستعمل أعضاءه في الطاعة، وحبب إليه سماع القرآن والذكر، وكره إليه سماع الغناء والأغاني، وأدخله في زمرة الذين ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [القصص: ٥٥] ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣] وحفظ سمعه وبصره من المحرمات، فلا ينظر إلى ما لا يحل فصار نظره نظر فكر واعتبار واستدلال، قال عليّ كرّم الله وجهه: ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله قبله، وتصير حركاته باليدين والرجلين كلها لله، فلا يمشي فيما لا يعنيه هذا كلام الشارح، ومن فوائد الحديث

---

(١) أخرجه البخاري (أحكام ١) (جهاد ١٠٩) والنسائي (بيعة ٢٧) (استعاذة ٤٩) وابن ماجه (مقدمة ١) (جهاد ٣٩) (وأحمد بن حنبل ٢، ٢٥٣، ٢٧٠، ٣١٣، ٣٨٦، ٤١٦، ٤٦٧، ٤٧١، ٥١١).

أيضاً أنّه قد علم من قوله ﷺ: «لا يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل» إنّ التقرب قسمان فرضي ونفلي، فالفرضي هو الإتيان بالفرائض، والنفلي هو الإتيان بمجرّد النوافل، وبهما معاً، وإنّ هذا الثالث هو المراد في الحديث المثمر للمحبوبية فمعنى الحديث «لا يزال العبد يتقرب إلى الحق بالنوافل» بعد أداء الفرائض كما ينبغي فإنّ مجرّد النوافل لا يفيد ولا يثمر إلا البعد عن الحق تعالى، ويفهم ذلك من قوله: العبد لأنّه لا يكون عبداً إلا بعد أداء ما أوجب السيد عليه، فالتقرب الفرضيّ وحده يثمر محبة العبد للحق، والتقرب النفلي، بعد الفرضيّ يثمر محبوبيته له، فالفرضي وحده أكمل من النفليّ وحده بل لا كمال فيه وحده وكلاهما معاً أكمل.

ومن الفوائد المتعلقة بالحقائق أنّ هذا الكلام يتضمن الفناء بقوله: إذا أحببته كنت سمعه الخ، والبقاء بقوله: فبي يسمع الخ، وبيان ذلك أنّ النوافل هنا إشارة إلى الدنيا والعقبى، ومراتب الكشوفات الفعلية والوصفية والإسمية لأنّ النافلة هي الزيادة في اللغة، ولا شك أنّ الله تعالى خلق العبد لذاته كما قال لموسى: واصطنعتك لنفسي، وفي الحديث «يا ابن آدم خلقت الأشياء لأجلك وخلقتك لأجلي» فالدنيا وما فيها نافلة بالنسبة للأخرى، والآخرة وما فيها نافلة بالنسبة للمراتب الكشفية في التجليات الفعلية، وهي نافلة بالنسبة للوصفية والإسمية، وكلها نافلة بالنسبة للحضرة الهوية، والذات الأحدية فهي المقصد الأسنى والمطلب الأعلى، فما جاء شيء من الملك والملكوت والخلق والأمر إلا طفيلياً لجنابه تعالى كما يشير إليه قول الخليل: إنّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، فحاصل الحديث أنّ العبد ما أدّى مواجب العبودية من أداء ا لحقوق الشرعية إلا لتقربه للحضرة الأحدية بترك النظر عن نوافل الدنيا والعقبى، ولذائذ المكاشفات، وما وقف في برزخ من البرازخ حتى ينتهي إلى محبة ذاته والاستغراق فيه، فهناك تحبه الحضرة الأحدية بالمحبة الذاتية التي يدل عليها لفظة أنا المضمر في أحببته الذي هو الاسم الأعظم المشير إلى خصوصية الذات كما أنّ نحن يشير إلى خصوصية الصفات، فلا شركة لأحد في هذين الاسمين معه تعالى، فبعد التجلي المذكور يفنيه عنه كلاً وبقاء، ويكون الحق حينئذ خلفه كما قال سيد الطائفة الجنيد قدّس الله سره: من كان في الله تلفه كان الله خلفه، فهذا هو الفناء التام فأشار إليه بقوله: كنت سمعه الخ أي رجع سمعه إلى سمعي وبصره إلى بصري، وتصرفاته إلى تصرفاتي، كما قال وإليه المرجع والمآب، وكان الحق تعالى حينئذ خلفه في ذاته وصفاته، وهذا معنى قولهم: إذا تم الفقر فهو الله وأشار إلى البقاء بعد ذلك الفناء بقوله: فبي يسمع وبي يبصر، فإنّ البقاء يترتب على الفناء التام من غير فصل كما تدل عليه الفاء التي للتعقيب من غير مهلة، فقوله: كنت سمعه إفناء، وقوله: فبي يسمع إبقاء، فهو مثبت للوجود الثاني الذي هو الإنشاء الجديد كما قال: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [المؤمنون: ١٤] غير أنّ الباقي بذلك الوجود

....

يرى نفسه معدوماً موجوداً فانياً باقياً ظاهراً باطناً، وهذا نهاية رتبة الولاية، ثم في الحديث الإشارة إلى رتبة الفرق بقوله: ولا يزال عبدي الخ، وإلى مقام الجمع بقوله: فبي يسمع الخ، والمراد بالفرق الكسب، وبالجمع المواهب يعني ثمرة المجاهدات، ولا شك أنَّ عزة العبد في أنه يجد أفعال نفسه في أفعال الحق سبحانه مستغرقة، ومجاهداته في الهداية إليها منفية، فحينئذٍ يكون قيام العبد بالحق، والحق سبحانه معه بلسان الغيب من غيب الغيب فبي يسمع وبي يبصر الحديث، يعني يقول سبحانه: إنَّ عبدي إذا تقرب إلي بمجاهداته فنحن ندخله في سرادقات محبوبيتنا، وغلبة الشوق إلينا ونفي وجوده فيه ونقطعه عن نسبة أفعاله إليه فيغني عن ذكره كسبه، فينوب عنه ذكر سلطاننا يعني ينقطع عنه نسبة آفات الصفات الآدمية إليه، ويكون ذكره ذكرنا، وتزداد عليه تلك الحالة إلى أنْ يصير في غلبة الحال بصفة قال فيها أبو يزيد: سبحاني ما أعظم شأني، فقد جرى على لسانه في معرض الحكاية عنه تعالى أو في سكر وغلبات حال، كما ورد في هذا الحديث الصحيح المتفق عليه «فبي ينطق وبي يعقل وبي يسمع وبي يبصر» وهذا مقام لا بدّ من العبور عليه في سلوك الطريق فأهل الله قد يجري على ألسنتهم في غلبات أحوال أنهم الحق، والمعنى أنهم متحققون به فانون فيه، غير أن مشايخ الطريقة قدس الله سرهم أجمعوا على أنه لا يجوز الاقتداء إلا بمستقيم قد تخلص من دوران الأحوال، وذلك يشير إلى أنَّ رتبة الوصول إلى التمكين شرط في صحة الإرشاد والمرشد إما سالك مجذوب أو مجذوب سالك، فإنه المريد الصادق لو وضع وجوده تحت تصرف سالك أبتر أفسد عليه استعداد كمال الإنسانية، فلا يبلغ مبلغ الرجال وأرباب الكمال، وقالوا: مرتبة الإرشاد آخر مراتب البقاء الحقيقي بعد مجاوزة جميع مراتب الفناء، فمقام الإرشاد أعلى مراتب القرب لأنَّ المقرب قد يكون في مقام التلوين، وقيل: مرتبة القرب الخاص موقوفة على فناء أوصاف البشرية الجسمانية والروحانية في النشأة الدنيوية والأخروية وأوّل درجات القرب الخاص، والولاية الخاصة ما قالوا: الولي هو الفاني في حاله الباقي في مشاهدة الحق جل جلاله، فيكون هذا الحديث الشريف قد أشار إلى سبب الولاية الخاصة مع الإشارة إلى حقيقتها، وإنْ شئت أنْ أزيدك في معنى هذا الحديث فارجع إلى توسع في معنى الولاية الخاصة كالطبي أو غيره، ويحتمل أنَّ المراد من الحديث الحث على التقرب إلى الله تعالى بالنوافل بعد أداء الفرائض ليترقى فيستغرق في جناب قدسه بحيث أنَّه لا يلاحظ شيئاً إلا رأى الله فيه، وذلك آخر درجات السالكين وأوّل درجات الواصلين.

قال الحيري: قوله: كنت سمعه الخ معناه كنت أسرع إلى قضاء حوائجه من سمعه في الاستماع، وبصره في النظر، ويده في البطش، ورجله في المشي، وقال بعضهم: ذلك على طريق ضرب المثل أريد به التوفيق في الأعمال التي يباشرها العبد بهذه الأعضاء

يعني يوفقه للمحبوب ويصونه عن المكروه، وقد يراد سرعة الإجابة له إذا دعا والإنجاح في الطلب لأنَّ مساعي الإنسان إنما تكون بهذه الأعضاء الأربع، وقال بعضهم: معناه أنْ يكون في مقام الفناء عن الحظوظ، والانخلاع عن الشهوات بواسطة غلبة سلطان العشق والمحبة عليه، فلا يرى ولا يسمع ولا يعقل إلا الله بل أينما يتوجه يكن بمرأى منه ومسمع قد بعدت عنه الغفلات، وكل ما سوى المحبوب فلا يصدر منه شيء إلا يحبه المحبوب ويرضاه، فيكون الله تعالى له سمعاً وبصراً ويداً ورجلاً على معنى أنَّه يكون له معيناً وناصراً فيرجع هذا المعنى إلى ارتهان العبد كلاً بمراضي الله تعالى بحسن رعاية الله تعالى له، وفي مثل هذا المقام يقول المحب الواله المأخوذ منه:

جنوني فيك لا يخفى ... وناري فيك لا تخبو
فأنت السمع والناظـ ... ـر والمهجة والقلب

واعلم أنَّ سبب المحبة نظرة عين العناية لعبد سبقت له عواطف الهداية من الحنان، فدخل حضرة الامتنان بالأمان فهي نار تحرق الأكباد، ولوعة تنمو وتزداد:

وفي فؤاد المحب نار جوى ... أحرّ نار الجحيم أبردها

فيا من نظر حسن الغيد بحيها والبطاح فغدا مفتوناً بدلال تلك الملاح:

جمال ليلى تجلى ... فاشهد وطب وتملى

فحقيقة المحبة كتمان سر المحبوب فيما تجلى على المحب من مشاهد الغيوب:

بالسر إنّ باحوا تُباح دماؤهم ... وكذا دماء البائحين تباح

وكل هذا من نسمة سرت للمحب من المحبوب فطار بها فرحاً وشوقاً فكيف به لو رأى جماله عياناً كان يموت حقاً:

يا نسمة قد سرت سراً لنا سحراً ... من الحبيب لنا قد أنعشت نفسا
كيف العقيق وأبيات بذي سلم ... وكيف خلفت ذاك المنزل القدسا

يُحكى عن الشيخ الأكبر وهو في الطواف قال: كنت أطوف ذات ليلة فطاب وقتي وهزني حال كنت أعرفه، فخرجت من البلاط لأجل الناس فطفت على الرمل فحضرتني أبيات فأنشدتها أسمع بها نفسي ومن بليتي: لو كان هناك أحد وهي:

ليت شعري لو دروا ... أي قلب ملكوا
وفؤادي لو درى ... أي شعب سلكوا
أتراهم سلموا ... أم تراهم هلكوا
حار أرباب الهوى ... في الهوى وارتبكوا

فلم أشعر إلا بضربة بين كتفيّ بكف ألين من الخز فالتفت فإذا أنا بجارية من بنات الروم لم أرَ أحسن وجهاً، ولا أعذب منطقاً، ولا أرق حاشية، ولا ألطف معنى، ولا أرق

إشارة، ولا أظرف محاورة منها قد فاقت أهل زمانها ظرفاً وأدباً وجمالاً، ومعرفةً، فقالت: يا سيدي كيف قلت: فقلت:

ليت شعري هل دروا أي قلب ملكوا

فقالت: عجباً منك وأنت عارف زمانك تقول مثل هذا: أليس كل مملوك معروفاً، وهل يصح الملك إلا بعد المعرفة وتمني الشعور يؤذن بعدمها، والطريق لسان صدق، فكيف يتجوّز مثلك فماذا قلت بعده؟ قال: فقلت:

وفؤادي لو درى أي شعب سلكوا

فقالت: يا سيدي الشعب الذي بين الشغاف والفؤاد وهو المانع له من المعرفة فكيف يتمنى مثلك ما لا يمكن الوصول إليه والطريق لسان صدق؟ فكيف يتجوّز مثلك؟ فماذا قلت بعده؟ فقلت: أتراهم سلموا أم تراهم هلكوا، فقالت: أما هم سلموا والذي ينبغي أنْ تسأل نفسك أسلمت أم هلكت يا سيدي، فماذا قلت بعده؟ فقلت:

حار أرباب الهوى في الهوى وارتبكوا

فصاحت وقالت: يا عجباً كيف يبقى للمشغوف فضلة يحار بها والهوى شأنه التعميم يخدر الحواس، ويذهب العقول، ويدهش الخواطر، ويذهب بصاحبه في الذاهبين؟ فأينَ الحيرة؟ ومن هنا باقٍ فيحار والطريق لسان صدق، والتجوّز من مثلك غير لائق، فقلت: يا بنت الخالة ما اسمك فقالت: قرة العين، فقلت لي: ثم سلمت وانصرفت ثم إني عرفتها بعد ذلك وعاشرتها فرأيت عندها من لطائف المعرفة ما لا يصفه واصف انتهى.

ثم أقول في شرح الأربعة أبيات المذكورة: إنّ الضمير في قوله: دروا يعود على المناظر العلا عند المقام الأحلى حيث المورد الأحلى التي تتعشق بها القلوب، وتهيم فيها الأرواح، ويعمل لها العمال، وقوله: أي قلب يريد القلب الكامل المحمديّ لنزاهته عن التقييد، ومع هذا فقد ملكته هذه المناظر العلا، فكيف لا تملكه وهي مطلوبة له، وقوله: أي شعب يريد الطريق إلى القلب لأنّ الشعاب هي الطرق في الجبال فكأنه يقول: لما غابت هذه المناظر العلا ترى أيّ طريق لبعض القلوب الكائنة للعارفين سلكوا وخص ذكر الشعب لاختصاصه بالجبل، فيريد المقام لثباته، إذ الأحول لا ثبات لها، وقوله: أتراهم سلموا أم تراهم هلكوا معناه أنّ المناظر العلا من حيث هي مناظر لا وجود لها إلا بوجود الناظر، فالمقامات لا وجود لها إلا بوجود المقيم، فإذا لم يكن ثمّ مقيم لم يكن ثم مقام، وإذا لم يكن ناظر لم يكن منظور إليه من حيث هو منظور إليه، فهلاكهم إنما هو من حيث عدم الناظر، فهذا هو المراد بقوله: سلموا أم هلكوا، وقوله: حار أرباب الهوى في الهوى وارتبكوا، معناه لما كان الهوى يطلب بالشيء ونقيضه صار صاحبه حيران

عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب» أي أعلمته بأني محارب له **(وما ترددت في شيء كترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته)** لأنه تعالى يكره ما يؤلم وليه، والموت بطبعه مؤلم.

(ولا بدّ له منه، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ من أداء ما افترضت عليه، ولا يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أُحبه ومن أحببته كنت له سمعاً وبصراً ويداً ومؤيداً) و **(أخبرنا عليّ بن أحمد بن عبدان قال: أخبرنا أحمد بن عبيد قال: حدثنا عبيد بن شريك قال: حدثنا يحيى قال: حدثنا مالك عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إذا أحب الله تعالى العبد قال لجبريل عليه السلام: يا جبريل إني أحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي جبريل عليه السلام في أهل السماء إنَّ الله تعالى قد أحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يضع له القبول في الأرض)** فتحبه النفوس وتقبل عليه القلوب، **(وإذا أبغض الله تعالى العبد قال مالك: لا أحسبه إلا قال في البغض: مثل ذلك)** أي مثل ما

مرتبكاً، فإنّه من بعض مطالبه موافقة المحبوب فيما يريده المحبوب وطلب المحب الاتصال بالمحبوب، والمحبوب قد يريد الهجر فقد ابتلى المحب صاحب الهوى بالنقيضين أنْ يكونا محبوبين له، فهذه هي الحيرة التي لزمت الهوى واتصف بها كل من اتصف به هذا والحب أوّل نشأته في قلب المحب إذا لم يشاركه فيه أمر آخر، وخلص له وصفي يسمى حباً، فإذا ثبت يسمى وداً، فإذا عانق القلب والأحشاء والخواطر ولم يبقَ فيه شيء إلا تعلق به يسمى عشقاً وذلك اللبابة المشوّكة وإنما أطلنا الكلام في هذا المقام وإنْ قصرت الهمم وكلت الأفهام وبعد المرام رجاء أنْ يكون الجزاء حسن الختام، والوصول إلى دار السلام بسلام والسلام.

(قوله: وما ترددت في شيء الخ) أقول: ذلك من التقريب للأفهام القاصرة بما ألف وعهد، وتعالى ربنا عن التردد وما هو من شأن الحوادث.

(قوله: ولا بدّ له منه) أي بحكم القضاء الأزليّ. **(قوله: يتقرب إلي بالنوافل)** أي زيادة على أداء الفرائض كما تقدم. **(قوله: يا جبريل إني أحب فلاناً)** أي أريد له الخير أو أوجده له بالفعل، فالمحبة منه تعالى من صفات الذات أو الأفعال.

(قوله: فيحبه أهل السماء) أي على معنى أنّهم يثنون عليه أو يستغفرون له كما لا يخفى. **(قوله: قال مالك: لا أحسبه إلا قال في البغض مثل ذلك)** أي مثل قوله في الحب: بأنْ قال: إذا أبغض الله عبداً قال لجبريل عليه السلام: إني أبغض فلاناً فأبغضه فيبغضه جبريل، ثم ينادي جبريل عليه السلام في أهل السماء إنَّ الله تعالى قد أبغض فلاناً

قال في الحب، ثم بين المحبة فقال: **(المحبة حالة شريفة شهد الحق سبحانه بها للعبد، وأخبر عن محبته للعبد)** حيث قال: فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه **(فالحق سبحانه يوصف بأنه يحب الحق والمحبة)** الواردة **(على لسان العلماء)** غير الصوفية **(هي الإرادة)** على ما يأتي بيانه، **(وليس مراد القوم)** أي الصوفية **(بالمحبة الإرادة، فإنَّ الإرادة)** من العبد **(لا تتعلق بالقديم)** بناء على أنَّ أثرها التخصيص، فلا تتعلق بالقديم كما لا تتعلق بالمستحيل **(اللهم إلا أن تحمل على إرادة التقرب إليه)** تعالى **(والتعظيم)** والرؤية **(له)** فيصح تفسيرها بالإرادة، **(ونحن نذكر من تحقيق هذه المسألة طرفاً إنْ شاء الله تعالى، فمحبة الحق سبحانه للعبد إرادته لإنعام مخصوص عليه)** أي لإنعام على العبد مخصوص بدرجة رفيعة كحفظه وتقريبه له وعداوته لمن

فأبغضوه فيبغضه أهل السماء، ثم يضع له البغض في الأرض فتبغضه النفوس وتدبر عنه، ولا يخفى أنَّ المراد بالبغض السخط والكراهة.

(قوله: ثم بين المحبة) أي شرع في تحقيق معانيها وتفاصيل الأقوال في ذلك.
(قوله: المحبة حالة شريفة) أي ولذلك كانت العبارة لا تفي بشرح حقيقتها على التفصيل والإشارة لا تأتي على حصرها بالتحديد كما قال بعضهم:

بقلبي غرام لست أحسن وصفه ... على أنَّه ما كان فهو شديد
تمرّ به الأيام تسحب ذيلها ... وتبلى به الأيام وهو جديد

(قوله: فالحق سبحانه يوصف بأنه يحب العبد) أي لورود إطلاق المحبة عليه تعالى، فهو أذن لنا في مثله.

(قوله: هي الإرادة) أي وهي بالنسبة له تعالى صفة أزلية تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه، فتعلقها تابع لتعلق العلم القديم، ولها تعلقان أو ثلاثة على ما هو معلوم لمن له إلمام بفن الكلام.

(قوله: هي الإرادة) أي أو الفعل الدال عليها فهي صفة ذات أو فعل. **(قوله: وليس مراد القوم الخ)** أي بالنسبة للعبد فلا يريدون بمحبته إرادته. **(قوله: فإنَّ الإرادة من العبد لا تتعلق بالقديم)** أي بذاته وصفته بل إنما تتعلق بمراده تعالى المحبوب للعبد، وذلك لأنَّ الإرادة لا تتعلق إلا بمتجدد، والرب تعالى أزلي لا افتتاح لوجوده.

(قوله: بناء على أنَّ أثرها التخصيص) أي وهو من خواص الحادث، وحينئذٍ فلا تتعلق بالقديم كما لا تتعلق بالمستحيل لعدم قبولهما التخصيص. **(قوله: والرؤية له)** أي على معنى مراقبته بالقلوب. **(قوله: فمحبة الحق سبحانه الخ)** اعلم أن محبته تعالى لعبده معناها إنعامه عليه برحمة خاصة أو إرادة ذلك به، أو الثناء عليه كما يؤخذ من خبر «إذا

عاداه (**كما أنّ رحمته له إرادة الإنعام**) عليه (**فالرحمة أخص من الإرادة، والمحبة أخص من الرحمة، فإرادة الله تعالى أنْ**) أي لأنْ (**يوصل إلى العبد**) الطائع (**الثواب والإنعام تسمى**) تلك الإرادة (**رحمة إرادته لأنْ يخصه بالقربة والأحوال العلية تسمى محبة وإرادته سبحانه**) من حيث هي (**صفة واحدة**) فإنّها صفة توجب تخصيص أحد المقدورين في أحد الأوقات بالوقوع (**فيحسب تفاوت متعلقاتها تختلف أسماؤها، فإذا تعلقت بالعقوبة تسمى غضباً، وإذا تعلقت بعموم النعم تسمى رحمة، وإذا تعلقت بخصوصها تسمى محبة**) فمحبة الله تعالى للعبد إرادته أنْ يخصه بدرجة رفيعة، (**وقوم قالوا: محبة الله تعالى للعبد مدحه له وثناؤه عليه بجميل فيعود معنى محبته**) له (**على هذا القول إلى كلامه**) تعالى (**وكلامه قديم، وقال قوم: محبته للعبد من صفات فعله**) تعالى (**فهو إحسان مخصوص يلقى الله العبد به وحالة مخصوصة يرقيه إليها كما قال بعضهم: إنّ رحمته بالعبد نعمته معه**) لا تفارقه، وهذا لا يخرجها عن كونها إرادة إذ لا فعل بدونها، (**وقوم من السلف قالوا: محبته**) تعالى للعبد (**من الصفات الخبرية**

أحب الله عبداً نادى يا جبريل إني أحب فلاناً فأحبه»[1] الحديث. (**قوله: إرادته لإنعام**) أي فهي حينئذٍ صفة ذات ثم إذا أنعم الحق تعالى على عبده بالفعل أمكن حمل المحبة على صفة الفعل والذات معاً كما هو واضح. (**قوله: فالرحمة أخص من الإرادة**) أي أخص من مطلق الإرادة لأنّها قد تكون رحمة أو غضباً، وقوله: والمحبة أخص من الرحمة أي لأنّ المحبة إرادته تعالى لإنعام مخصوص بدرجة رفيعة، والرحمة أعم من ذلك ومن غيره.

(**قوله: من حيث هي**) أي فهي باعتبار ذاتها صفة واحدة وإنما التعدد فيما تتعلق به من الكائنات. (**قوله: أحد المقدورين**) المراد الوجود أو العدم، وقوله: في أحد الأوقات أي الجائز وقوع المقدور فيه وفي غيره بدلاً عنه.

(**قوله: تسمى غضباً**) أي وهو إرادة الانتقام أو نفس الانتقام. (**قوله: بعموم النعم**) أي بالنعم مطلقاً سواء كانت مخصوصة بدرجة رفيعة أو لا سواء كانت ثواباً في مقابلة أعمال أو لا. (**قوله: تسمى محبة**) أي لكونها بنعمة مخصوص. (**قوله: وقوم قالوا الخ**) أي فالخصوص في معنى المحبة حينئذٍ بحملها على المدح والثناء فقط والرحمة أعم. (**قوله: وكلامه قديم**) أي لأنّه من صفات الذات القديمة. (**قوله: فهو إحسان مخصوص**) أي بدرجة رفيعة مثلاً فهي حينئذٍ من صفات الأفعال. (**قوله: إذ لا فعل بدونها**) أي لأنّ النعمة أثر القدرة التابع تعلقها لتعلق الإرادة.

---

(١) أخرجه البخاري (بدء الخلق ٦) (أدب ٤١) (توحيد ٣٣) ومسلم (بر ١٥٧) والترمذي (تفسير سورة ١٩، ٧) والموطأ (شعر ١٥) وأحمد بن حنبل (٢، ٢٦٧، ٣٤١، ٤١٣، ٤٨٠، ٥٠٩، ٥١٤، ٥، ٢٠٩، ٢٦٣).

فأطلقوا) هذا **(اللفظ وتوقفوا عن التفسير)** له فهذه أربعة أقوال ترجع إلى قولين: الإرادة والكلام لرجوع الفعل إلى الإرادة كما مرّ والخبرية إلى الكلام **(فأما ما عدا هذه الجملة مما هو المعقول من صفات محبة الخلق كالميل إلى الشيء والاستئناس بالشيء)** والسكون إليه، وتعلق القلب به **(وكحالة يجدها المحب)** بقلبه **(مع محبوبه من المخلوقين)** كما يأتي بيان ذلك **(فالقديم سبحانه يتعالى عن ذلك)** علوّاً كبيراً، **(وأما محبة العبد لله)** تعالى **(فحالة يجدها)** العبد **(من قلبه)** ليستدل عليها بآثارها لا بلفظ لأنها **(تلطف عن العبارة)** أي لا يمكن التعبير عنها بلفظ غير لفظ المحبة، **(وقد تحمله تلك الحالة على التعظيم له)** تعالى **(وإيثار رضاه وقلة الصبر عنه والاهتياج)** أي

(قوله: من الصفات الخبرية) أي التي جاء الخبر بإطلاقها عليه تعالى فهي ترجع إلى صفة الكلام. **(قوله: وتوقفوا عن التفسير)** أي فوضوا علم المراد منه إليه تعالى جرياً على طريق السلف رضي الله تعالى عن الجميع. **(قوله: فأما ما عدا هذه الجملة الخ)** بعد أن بيّن معاني المحبة الجائزة في حقه تعالى أراد بيان المعاني المعهودة غير الجائزة في حقه سبحانه.

(قوله: وكحالة يجدها المحب الخ) أي مثل رقة القلب والعطف على من يحبه. **(قوله: وأما محبة العبد لله الخ)** اعلم أنَّ أسبابها كثيرة علمية وعملية أما العلمية فكيقين انفراده سبحانه وتعالى بالأفعال مع الفكرة في دوام الإنعام والإفضال والصفح والعفو والإكرام واللطف بغفران جميع الآثام وفي التوفيق لإصلاح النيات والأعمال العاجلة الدنيوية والأحوال الآجلة الأخروية وما سبق من الفضل والامتنان مما خصه به في الأزل من غير عمل من العبد ولا إحسان وكمخالطة المحبين ومحادثتهم ومباشرة أحوالهم مع العمل على منوالهم، والإشراف على مواجيدهم وإشاراتهم، وكتكلف الأعمال المطلوبة بالجد وإيقاعها على سنن الموافقة مع التشمير لأداء الواجبات والمندوبات وأفضلها في درجات الخيرات إلى أنْ يصل إلى مقام الولايات وغير ذلك من الأسباب.

(قوله: فحالة يجدها العبد) أشار إلى أنَّ تلك الحالة من الوجدانيات التي تلطف وتدق عن التعبير عنها، ثم وهذه الحالة تنشأ عن تخلص جوهر الروح من الأعراض المكدرة، وعن فناء النفس عن الحظوظ والعلل والأغراض:

هم العريب بنجد قد عرفتهم ... لم يبق لي معهم مال ولا نسب

(قوله: يستدل عليها بآثارها) أي كالجد في العبادة والصدق في ذلك بالدوام مع الإخلاص في العمل. **(قوله: وإيثار رضاه)** أي تقديم ما يرضيه تعالى عن حظوظات النفس، وقوله: وقلة الصبر عنه أي عما يرضيه تعالى.

(قوله: والاهتياج) أي الناشىء عن زيادة الشوق والغرام، وقوله: أي من غير

الثوران (**إليه، وعدم القرار من دونه**) أي من غير حضوره معه (**ووجود الاستئناس بدوام ذكره له بقلبه وليست محبة العبد له سبحانه**) المستلزمة لميل قلبه له (**متضمنة ميلاً**) إلى جهة فيها المحبوب (**ولا اختطاطاً**) بالخاء المعجمة أي كونه في خط يحيط به لأنّ هذه المحبة تابعة للمعرفة بالله وكما أنّ المعروف منزه عن الجهات والإحاطة، فكذا المحبوب ولأنّ الميل معنويّ وحسيّ، والمراد المعنويّ بلا ريب، وهذا كمن سمع بعالم عارف بالله جرت على يده كرامات فإنّه يميل بقلبه إليه ويتمنى رؤيته وإنْ لم يعلم له جهة، ولا قطراً يحيط به (**كيف وحقيقة الصمدية مقدسة عن اللحوق والدرك**) بمعنى الإدراك (**والإحاطة**) قال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] أي لا تحيط به، (**والمحب**) المتصف (**بوصف الاستهلاك**) أي الاستغراق (**في المحبوب أولى منه**) أي من المحب (**بأنْ يوصف بالاختطاط**) أي بأنّه في خطة تحيط به وبمحبته لأنّ وصفه بهذا قد يوهم أنّ المحبوب محاط به أيضاً (**ولا توصف المحبة بوصف**) أوضح بحيث يعرفها (**ولا تحد بحد أوضح**) كما علم مما مرّ (و) مع ذلك

حضوره معه أي من غير جمعية قلبه على ما يرضيه تعالى بدوام مراقبته، وقوله: ووجود الاستئناس بدوام ذكره له بقلبه أي اللازم له غاية الوحشة من خطور ما سواه. (**قوله: لأنّ هذه المحبة تابعة للمعرفة بالله**) علة للنفي كما لا يخفى.

(**قوله: وكما أنّ المعروف الخ**) لو عبر بالفاء بدل الواو لكان أولى. (**قوله: والمراد المعنويّ**) أي وهو لا يتضمن شيئاً مما ذكر ولا يقتضيه. (**قوله: وهذا كمن سمع الخ**) تقريب لحال المعقول بحال المحسوس والحاصل أنّ المحبة قسمان طبيعية وعقلية، والمراد هنا العقلية لاستحالة الطبيعية على ما لا يخفى. (**قوله: وحقيقة الصمدية**) أي التي هي من نعوته تعالى مقدسة أي منزهة عن اللحوق والوصول والدرك أي الإدراك.

(**قوله: والمحب المتصف الخ**) محصله أنّ وصف المحب لله بالاستهلاك أولى من وصفه بالاختطاط بُعداً عن إيهام أنّ المحبوب مثله في ذلك الاختطاط. (**قوله: والمحب المتصف الخ**) توضيحه أنّ كمال المحبة في المحبة الذاتية لا الوصفية ولا الإسمية، ومن المعلوم أنّ الذات جامعة لنعوت الكمال الغير المتناهية، فيلزم أنّ المحب يكون مستغرقاً في كامل الكمالات لا في مخصوص منها، فيكون أعلى ممن هام في معين من الكمالات هذا ما ظهر لي والله أعلم بمراد أحبائه.

(**قوله: ولا توصف المحبة بوصف الخ**) أقول: ومما يقرب ذلك أنّ المحبة من جملة أسبابها المواهب الإلهية والإحسانات العلية، وأنّه من المعلوم أنّه لا حصر لمقدورات الحق الممكنة الوجود لا في الدنيا ولا في الآخرة أما في الدنيا فما أوجد سبحانه نوعاً إلا وهو قادر على إيجاد مثله وخلافه من غير حصر، وأما في الآخرة فنعيم

(**لا أقرب إلى الفهم من المحبة**) فعدم وصفها بذلك أو تحديدها إما لعسره أو لكونها ضرورية كما قيل به في تعريف العلم (**والاستقصاء**) أي الاستغراق والإمعان (**في المقال**) وشرح الكلام على المحبة إنما هو (**عند**) حصول (**الإشكال**) أي الاستعجام والاستبهام (**فإذ زال الاستعجام والاستبهام سقطت الحاجة إلى الاستغراق**) وفي نسخة الإمعان (**في شرح الكلام**) على ذلك ومحبة العبد تختلف، فتارة تكون للحنو والشفقة كمحبة الوالد لولده، وتارة تكون للنعم فبحسب من أنعم عليه.

وتارة تكون للاتصاف بصفة جميلة كالعلم والكرم والشجاعة فيحب المتصف بها وإنْ لم يكن له عليه نعمة، وإذا عرف جلال الله وعظمته وعفوه عن الزلل أَحبه، وهذه محبة العارفين ودونها محبة العابدين والزاهدين، وهي المحبة للإنعام ودونها محبة عوام المؤمنين وهي اعتقادهم أنَّ جميع ما هم فيه من صحة أَبدانهم وغيرها من الله تعالى (**وعبارات الناس**) المفصحة (**عن**) وفي نسخة في (**المحبة كثيرة و**) قد (**تكلموا في أصلها في اللغة فبعضهم قال: الحب اسم لصفاء المودّة**) أي المحبة (**لأنَّ العرب تقول: لصفاء بياض الأسنان ونضارتها**) أي حسنها (**حبب الأسنان**) بضم

أهل الجنة الذي يجدده الله تعالى لهم لا نهاية له، فإذا كانت المواهب لا تنحصر فالمحب لا يقف عند حد كما هو كالبديهي، فالمحبة حينئذٍ لا توصف إذ الوصف لبيان الموصوف وتمييزه والحد لتعيين الحقيقة، وذلك إما متعسر أو متعذر أو ضروري.

(**قوله: إما لعسره الخ**) أي أو للطفها ودقتها ورقتها، فتضيق العبارة عن الشكف عن معناها، ولذلك قيل:

أتاني هواها قبل أنْ أعرف الهوى ... فصادف قلباً خالياً فتمكنا

فأل في الهوى للاستغراق. (**قوله: والاستقصاء الخ**) هو كالتعليل لما قبله. (**قوله: ومحبة العبد تختلف**) أي بحسب اختلاف متعلقاتها. (**قوله: وتارة تكون للنعم**) أي ومنه قولهم: جبلت القلوب على حب من أَحسن إليها. (**قوله: فيحب من أنعم عليه**) أي حقيقة أو مجازاً. (**قوله: وتارةً تكون للاتصاف بصفة جميلة**) أي ويقال: لها محبة عقلية وعليها يحمل قوله ﷺ: «من لم أكن أحب إليه من نفسه وماله وولده فلا إيمان له» فتأمل. (**قوله: وإذا عرف جلال الله الخ**) أي وهذه يقال لها: محبة الذات للصفات. (**قوله: وهي المحبة للإنعام**) أقول: والفرق بينها وبين ما قبلها الوقوف مع الحظوظ ولو آجلة وعدمه.

(**قوله: وهي اعتقادهم الخ**) والفرق بين هذه وما قبلها الوقوف مع حظ النفس العاجل دون ما قبلها. (**قوله: لأنَّ العرب تقول**) أي فالأخذ للمحبة باعتبار معناها الذي هو صفاء المودة اللازم منه الميل.

الموحدة الثانية (**وقيل**) الحب مأخذه (**الحباب**) بالضم وهو (**ما يعلو الماء عند المطر الشديد، فعلى هذا المحبة غليان القلب وثورانه عند العطش والاهتياج إلى لقاء المحبوب**) والحباب بالكسر المحابة والموادّة (**وقيل: إنّه**) أي الحب (**مشتق**) أي مأخوذ (**من حباب الماء**) بفتح الحاء (**وهو معظمه فسمي بذلك لأنَّ المحبة غاية معظم ما في القلب من المهمات، وقيل: اشتقاقه**) أي أخذه (**من**) الأحباب بمعنى (**اللزوم والثبات يقال: أحب البعير وهو أنْ يبرك فلا يقوم فكان المحب لا يبرح بقلبه عن ذكر محبوبه، وقيل: الحب**) بمعنى المحبة مأخوذ من الحب بمعنى ما ذكره بقوله: (**هو القرط**) بضم القاف وهو الحلق الذي يعلق في الأذن، (**قال الشاعر**) في وصف شخص بالشجاعة: (**تبيت الحية النضناض منه. مكان الحب تستمع السرارا**) النضنضة تحريك الحية لسانها، ويقال لها: نضناض ونضناضة قاله الجوهريّ: (**وسُمي القرط حباً إما للزومه الأذن أو لقلقه وكلا**) هذين (**المعنيين صحيح في الحب وقيل: هو**

(**قوله: وهو ما يعلو الماء**) أي ما يقال له في العرف: الرغاوي. (**قوله: المحابة الخ**) أي فعل ما يوجب ذلك. (**قوله: وهو معظمه**) أي وذلك باعتبار الغلبة على قلب المحب حتى يكون معظم شغله بالمحبوب كما يشهد له خبر «حبك الشيء يعمي ويصم»[1]. (**قوله: اللزوم والثبات**) أي ولذلك قيل: المحب هو من لا يغيره عذل الرقيب بل يزيده ذلك حباً في الحبيب:

أحبك يا شمس الزمان وبدره ... وإنْ لامني فيك السها والفراقد

غيره:

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي ... متأخر عنه ولا متقدم

أجد الملامة في هواك لذيذة ... طرباً لذكرك فليلمني اللوّم

(**قوله: لا يبرح بقلبه عن ذكر محبوبه**) أي ويدل لذلك خبر «من أحب شيئاً أكثر من ذكره». (**قوله: هو القرط**) أي باعتبار معنى اللزوم أو القلق والاضطراب على ما يأتي في كلامه. (**قوله: تبيت الحية النضناض**) أي المحركة لسانها منه أي من الشخص الممدوح بالشجاعة مكان الحب أي محل الحب الذي هو القرط، ومحله الأذن، وقوله: تستمع السرار أي لتسمع ما يسره من الغدر بها، وإذا كان هذا حال الحية المذكورة فما ظنك بغيرها، وذلك كما ترى فيه مبالغة في شجاعته.

(**قوله: وكلا هذين الخ**) أي ولذلك قيل: المحبة الحقيقية جذبة اضطرارية، وذلك عند المحققين من الصوفية:

وأصرف طرفي نحو غيرك عامداً ... على أنه بالرغم نحوك راجع

---

(١) أخرجه أبو داود (أدب ١١٦) وأحمد بن حنبل (٥، ٩٤، ٦، ٤٥٠).

مأخوذ من الحب) بفتح الحاء **(والحب جمع حبة وحبة القلب ما به قوامه فسمي الحب للشيء (حباً باسم محله، وقيل: الحب والحب كالعمر والعمر)** في جواز الضم والفتح **(وقيل: هو مأخوذ من الحبة بكسر الحاء وهي بزور الصحراء فسُمي الحب حباً لأنّه لباب الحياة كما أنّ الحب)** بالفتح الذي هو جمع حبة بالكسر **(لباب النبات وقيل: الحب)** في الأصل **(هي الخشبات الأربع التي يوضع عليها الجرّة فسميت المحبة حباً لأنّه)** أي لأنَّ الحب كما هو كذلك في نسخة **(يتحمل عن محبوبه كل عز وذل وقيل: هو)** أي الحب بمعنى المحبة مأخوذ **(من الحب)** بمعنى الزير **(الذي فيه الماء لأنه يمسك ما فيه فلا يسع فيه)** هو زائد **(غير ما امتلأ به كذلك إذا امتلأ القلب بالحب فلا مساغ فيه لغير محبوبه، وأما أقاويل الشيوخ)** من الصوفية

أقول: ولهذا ترى الأشباح تهتز لاهتزاز الأرواح:

وما زال بي شوقي إليك يقودني ... يذلل مني كل ممتنع صعب
إذا كان قلبي سائراً بزمامه ... فكيف لجسمي بالمقام بلا قلب

فقوله: وكلا هذين المعنيين صحيح أي لأنَّ المحب ملازم لمراد المحبوب، ولقلبه قلق في طريق الوصول إليه والله أعلم.

(قوله: وقيل: مأخوذ من الحب بفتح الحاء الخ) محصله أنَّه من تسمية الحال باسم المحل. **(قوله: وقيل: هو مأخوذ من الحبة بكسر الحاء الخ)** محصله عليه أنه لما كان القلب لا عيش له بدون حبيبه لأنَّ حياته به وبقاءه به سُمي ميله حباً من الحبة التي هي لباب النبات ومنشؤه. **(قوله: لأنّه يتحمل عن محبوبه الخ)** أي وذلك لفناء صفاته الطبيعية التي هي لجلب المنافع والحيوانية التي لدفع المضار والنفسية العارضة كالعلوم والأعمال والأخلاق والأحوال والأصلية كالسمع والبصر والكلام والقدرة، فهو حينئذٍ كالميت لأجل تمكن الحب منه تمكناً تاماً والله أعلم.

(قوله: وقيل: هو الخ) أقول: ما ألأمه لمعنى الحب وما أقربه في تحقيق معناه فتأمله.

فائدة:

تنقسم محبة العبد إلى واجبة ومندوبة على حسب أنواع ما كلف به أما محبة الحق للعبد بمعنى الإرادة فيستحيل انقسامها لكونها صفة قديمة متعلقة بسائر المرادات، وليس بلازم تعددها بتعدد المرادات، نعم تختلف تتفاوت أحوال المراد لهم على حسب ما سبق لهم في علم الرب جل المرادات نعم تختلف وتتفاوت أحوال المراد لهم على حسب ما سبق لهم في علم الرب جل جلاله، وأما المحبة باعتبار الفعل فهي منقسمة على ما سبق به التقدير الأزليّ بحكمة الاستعداد. **(قوله: وأما أقاويل الشيوخ الخ)** أي ما تقدم هو من أقاويل أهل الظاهر وأما أقاويل الشيوخ الخ.

وغيرهم (**فيه**) أي في الحب أي في تعريفه (**فقال بعضهم: المحبة الميل الدائم بالقلب الهائم**) الذي لا قرار له، (**وقيل: المحبة إيثار المحبوب على جميع المصحوب**) للمحب لأنَّ القلب إذا أحب شيئاً اشتغل به وآثره على غيره حتى على نفسه ويتحمل في خدمته فوق طاقته، (**وقيل:**) هي (**موافقة الحبيب في المشهد والمغيب**) لكمال مراقبته واشتغاله به، (**وقيل:**) هي (**محو المحب لصفاته وإثبات المحبوب بذاته**) أي المحبوب لكمال اشتغاله بمحبوبه حتى ينسى نفسه، وللخبر الآتي «حبك للشيء يعمي ويصم»، (**وقيل:**) هي (**مواطأة**) أي موافقة (**القلب**

(**قوله: المحبة الميل الدائم الخ**) أي ميل القلب إلى صفات الرب جلّ علاه أو إلى آثارها بالنسبة لبعض العبيد. (**قوله: الميل الدائم**) أي الميل الدائم إلى طاعة الله تعالى وإلى فعل ما يرضيه، وإنما اعتبرت الديمومة في الميل لأنَّ المدار على الصدق في الطاعة، وهو الجد فيها دائماً مع الإخلاص في العمل لله وحده.

(**قوله: إيثار المحبوب الخ**) أقول: هذا يرجع إلى أنَّ المحبة حالة في القلب تحمل على إيثار المحبوب على كل شيء وذلك لكون الحب يحمل على الموافقة والإيثار، ومداومة الأعمال آناء الليل وأطراف النهار لا لرغبة في جنة ولا لرهبة من نار كما قيل شعر:

وكن لربك ذا حب لتخدمه ... إنّ المحبين للرحمن خدام

ولذلك قال سلطان المحبين ابن الفارض قدّس الله روحه ونوّر ضريحه:

إذا ما أحلت في هواها دمي ففي ... ذرا العز والعلياء قدري أحلت

قال عبد المطلب: شارح التائية في هذا المحل قال تعالى: ﴿مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ [يوسف: ٧٥] ثم إنَّ القطرة منه إذا وقعت في البحر صار جميع صفات البحر صفاتها اهـ.

وذلك في غاية اللطف فتفهمه والله المستعان.

(**قوله: وقيل: هي موافقة الحبيب الخ**) المراد موافقة ما يرضيه في حالة الحضور والغيبة، فالكامل هو من يحفظ في الحالتين، ويحتمل أنَّ المراد عدم الاعتراض إذ لا بدّ للواصل من نظرين نظر بعين التحقيق ونظر بعين التشريع، فبالأوّل يوحد ويعذر، وبالثاني ينكر وينهي ويأمر. (**قوله: وقيل: هي محو المحب لصفاته**) أي فناؤه فيما يرضي الحق باعتبار فناء صفاته الذميمة والتعوّض عنها بالحميدة أقول: بل الكمال في المحبة التهالك في العبادة والطاعة حتى تفنى عينه وذاته.

(**قوله: مواطأة الخ**) أي وهي لا تكون إلا بعد فناء العبد عن مراده في مراد سيده.

لمرادات**) وفي نسخة لموارد (**الرب**) لسرعة انقياد المحب لمحبوبه، (**وقيل:**) هي (**خوف ترك الحرمة**) أي حرمة المحبوب (**مع إقامة الخدمة**) له لإجلال المحب محبوبه، وكمال محبته له، فالأوّل يوجب خوف ترك الحرمة، والثاني يوجب إتقان الخدمة (**وقال أبو يزيد البسطامي: المحبة استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك**) لكمال المحبة والمعرفة لأنّك وإنْ بالغت في خدمته رأيت ذلك يسيراً حقيراً فيما يليق بجلاله وعظمته وإنْ أنعم عليك بنعمة رأيتها كثيرة عظيمة لاستصغارك نفسك عما أنعم به عليك، (**وقال سهل: الحب معانقة الطاعة**) للمحبوب أي لا تفارقه (**ومباينة المخالفة**) له، (**وسئل الجنيد عن المحبة فقال:**) هي (**دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب**) بأنْ يتخلى عن الرذائل ثم يتحلى ببدلها من الفضائل (**أشار**) الجنيد (**بهذا إلى استيلاء ذكر**) صفات (**المحبوب**) على قلب المحب

(**قوله: وقيل: هي خوف الخ**) أي ومن ذلك خبر: «نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه». (**قوله: مع إقامة الخدمة**) أي مع دوام الطاعة والإخلاص فيها على حسب الاستطاعة. (**قوله: رأيت ذلك يسير الخ**) أي ويشهد لذلك خبر «سبحانك، ما عبدناك حق عبادتك». (**قوله: لاستصغار نفسك**) أي بواسطة شهودك التقصير منها. (**قوله: معانقة الطاعة**) أي حيث المحب لمن يحب مطيع، وقوله: ومباينة المخالفة عطف لازم على ملزوم قال بعضهم شعراً:

عين المحب بنومها لا تنعم ... ترعى الدياجي والخلائق نوّم
رحل الكرى عنها فأسبل دمعها ... ما في الضمير من المحبة يكتم
يتلو الكتاب ودمعه مترقرق ... يذري الدموع هو المحب المسقم
يتملق المولى ويسأله الرضا ... ويقول يا من كان عني يحلم
أيام كنت أجرّ ذيل جهالتي ... متمرّداً غرّاً ونفسي أظلم
يا حسنه مستعتباً لحبيبه ... بخضوع مشتاق ودمع يسجم
حتى إذا الليل استوى لرحيله ... وخشي من الصبح المنغص يهجم
ناداه يا ليل المنغص قف على ... أهل الهوى فعساهم أنْ يرحموا
دعني أعاتب من أحب فإنما ... عتب المحب لمن يحب تنعم
يا واحدي زاد الجفاء وخانني ... صبري وأنت محبتي لك تعلم
مولاي لا أشكو الهوى لعذابه ... لكنني أخشى جوارك أحرم

(**قوله: هي دخول صفات الخ**) اعلم أنّ قوله: هي دخول الخ فيه إشارة إلى أنّ المحبة حالة يكساها المحب من كمال اشتغال قلبه وهيجانه وعدم قراره في طلبه بارئه ومحو أثر التفاته لنفسه، وذكره لصفاته حتى يكون الغالب على حاله جمال محبوبه وكماله

ودخولها فيه **(حتى لا يكون الغالب على قلب المحب إلا ذكر صفات المحبوب والتغافل بالكلية عن صفات نفسه و)** عن **(الإحساس)** أي الشعور **(بها وقال أبو علي الروذباريّ المحبة الموافقة)** للمحبوب في أمره ونهيه كما علم، **(وقال أبو عبد الله القرشيّ: حقيقة المحبة أنْ تهب كلك لمن أحببت فلا يبقى لك منك شيء)** لكمال محبتك له وشغلك به **(وقال الشبليّ: سميت المحبة محبة لأنّها تمحو من القلب ما سوى المحبوب، وقال ابن عطاء: المحبة إقامة العتاب على الدوام)** العتاب كلام من المحب لمحبوبه يؤلف به ما خشيت فرقته ويجبر به ما لاحت قطيعته. **(سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق رحمه الله يقول: المحبة)** في أوّل أمرها **(لذة ومواضع الحقيقة)**

لا غير، وذلك قريب من قوله قبله وقيل هي محو المحب بصفاته وإثبات المحبوب بذاته، تدبر تفهم والله أعلم. **(قوله: حتى لا يكون الغالب الخ)** أقول: كيف لا يكون كذلك وهو إذا تموى عليه الشوق وسعرت تلك النيران ترادفت عليه الهموم والأحزان فاسمعه قصص أخبارهم عن أحبارهم شعر:

قصوا عليّ حديث من قتل الهوى ... إنَّ التأسي روح كل حزين

(قوله: إنْ تهب كلك الخ) أي بأنْ تبذل قواك في طاعته حتى تفنى فيها وتفنى عن سائر حظوظ نفسك، فلا يبقى لك مراد سوى ما أراده منك بل عليك أنْ تستصغر ذلك بحسب عظم ما تشاهده، ولذا قيل: إذا تنزل المحبوب للمحب من عالم الغيوب زاد الهيام وامتنع الكلام إلا عند الشكوى من ألم البلوى شعر:

الحب ما منع الكلام الألسنا ... وألذ شكوى عاشق ما أعلنا

(قوله: لأنّها تمحو من القلب الخ) أي وذلك لأنَّ القلب إذا امتلأ بمحبة شيء فلا اتساع فيه حينئذٍ لغيره ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ﴾ [الأحزاب: ٤]. **(قوله: إقامة العتاب على الدوام)** أي وذلك يتحقق بدوام شهود التقصير والذلة والانكسار مع التعرض لنفحات الرضا بالابتهال والتضرع إليه تعالى. **(قوله: المحبة في أوّل أمرها لذة)** أي ولذلك يقال: روح المحب المشوق كالغصن الممشوق كلما مرت به نسمة لطيفة أوجبت له حركة ظريفة شعر:

أهتز عند تمني وصلها طرباً ... ورب أمنية أحلى من الظفر

ثم هي إذا استحكمت كانت عذاباً غير أنّه يستعذب، شعر:

عذابي فيك يحلو لي ... ومرّ الصبر أحلى لي

(قوله: ومواضع الحقيقة الخ) أقول: ومن ذلك ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف: ٣٠] قلن: ذلك لائمات لها عاذلات فلما رأينه أكبرنه يعني عظمنه وأجللنه ووقع عليهن الدهش، وقطعن

أي ما غلب على قلب العبد من شغله بالله بحيث تكاملت محبته فيه وامتلأ قلبه بعجائب ما يرى من كماله وجلاله وقدرته **(دهش)** وهذا حقيقة المحبة، **(وسمعته)** أيضاً **(يقول: العشق مجاوزة الحد في المحبة)** **بأنْ** يستغرق المحب في محبوبه حتى لا يحس بنفسه، فمجاوزته لإحساسه بنفسه هي مجاوزته الحدّ **(و)** لكن **(الحق سبحانه لا يوصف بأنّه يجاوز الحدّ)** لتنزهه عن ذلك **(فلا يوصف بالعشق)** وإنْ وصف بالمحبة لعدم الإذن فيه، ولأنّه إنما يكون لغائب والله لا يغيب عنه شيء لأنّه عالم بكل شيء، ولا يؤثر في ذلك كون الوصف كمالاً عادة فإنا نصفه تعالى بأنّه حكيم وكريم وعالم لأنّه وصف نفسه بها، ولا نصفه بأنّه مهندس وسخيّ وفقيه أو نحويّ أو أصوليّ **(ولو جمع محاب الخلق كلهم لشخص واحد لم يبلغ ذلك استحقاق قدر الحق سبحانه)** وتعالى على ذلك الشخص **(فلا يقال: إنَّ عبداً جاوز الحدّ في محبة الله تعالى)** بل ولا بلغه **(فلا يوصف الحق سبحانه)** وتعالى **(بأنّه يعشق)** عبده **(ولا)** يوصف **(العبد في صفته سبحانه بأنّه يعشقـ)**ـه لعدم الإذن كما مر **(فنفي العشق)** عن أنْ يوصف به الحق وأنْ يوصف به العبد فيما ذكر، وقد أوضحه بقوله: **(ولا سبيل له)** أي للعشق **(إلى وصف الحق سبحانه)** به **(لا من الحق للعبد ولا من العبد للحق سبحانه)** فلا يقال: الحق عشق عبده، ولا العبد عشق الحق ولا يخفى ما في كلامه من التكرار. **(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلميّ رحمه الله يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت الشبليّ يقول: المحبة أنْ تغار)** أنت **(على**

أيديهن، ﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١] وأخذت كل واحدة منهن تطلب الوصال لنفسها حتى استغاث و ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ [يوسف: ٣٣].

(قوله: العشق مجاوزة الحدّ في المحبة) أي مجاوزة حدّ الشعور بالنفس وما لها من الحظوظ، فالعشق آخر درجات المحبة وهو بهذا المعنى الذي ذكرناه يصح إضافته للعبد المحب لله تعالى فيقال له: عاشق. **(قوله: لأنه إنما يكون لغائب)** أي لأنَّ ما وراء الحدّ غائب عن الشخص. **(قوله: ولا يؤثر في ذلك)** أي لا يسهل الإطلاق عليه تعالى.

(قوله: ولا نصفه الخ) أي وإنْ كان بمعنى ما ورد. **(قوله: لعدم الإذن)** أي ولعدم إمكان مجاوزة الحدّ في محبته سبحانه وتعالى. **(قوله: ولا يخفى الخ)** أنت خبير بأنَّ معظم الأقوال في غالب الأبواب متقاربة المعاني غير أن الباعث على ذكر جميعها إنما هو زيادة البيان مع فائدة قوّة السند بذكر العارفين، وهذه فائدة وأي فائدة. **(قوله: أن تغار أنتَ على المحبوب)** أقول: لله در الشارح فيما خرج عليه هذا المعنى، فالله تعالى ينفعني وإخواني المؤمنين ببركة علومه ومعارفه.

المحبوب) لكماله وجلاله وتنزهه **(أنْ يحبه مثلك)** لنقصك وعدم صلاحيتها لك عند نفسك، فليس مراده أنْ تغار عليه أنْ يحبه أحد من المؤمنين مثلك لتختص به دونه فإنَّ ذلك نقص وحسد، **(وسمعته)** أيضاً **(يقول: سمعت أبا الحسين الفارسيَ يقول: سمعت ابن عطاء يقول: وقد سئل عن المحبة فقال:)** زائد **(أغصان تغرس في القلب فتثمر على قدر العقول)** فهي مواهب يهبها الله لعبده من معرفة كماله وجلاله وغيرهما فإنْ رزقه الأدب في حفظها واستعمل عقله في جهات حفظ أدبه معه في جميع تعلقاته ظهرت ثمرة تلك المحبة عليه، وانتفع بها هو ومن رآه وسمع كلامه، **(وسمعته)** أيضاً

(قوله: أغصان تغرس الخ) أقول: الناس على ثلاثة أقسام: قسم حسن الظن بالله لأجل وصفه بالإحسان، وقسم أحبَّ الله وحسن الظن به لأجل إحسانه أيضاً، وقسم أحب الله وحسن الظن به لهما، وهم في الفضيلة على هذا الترتيب وعلى الثالث الأكمل يدور كلام الكمل، فمن ذلك قول رابعة العدوية رضي الله تعالى عنها:

أحبك حبين حب الهوى ... وحب لأنك أهل لذاك

فأما الذي هو حب الهوى ... فشغلي بحبك عمن سواك

وأما الذي أنت أهل له ... فكشفك للحجب حتى أراك

فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ... ولكن لك الحمد في ذا وذاك

واعلم أنَّ في قوله أغصان تغرس الخ إشارة إلى أنَّ المحبة مواهب تكساها القلوب، ونعم ترد من المحبوب، فيظهر الأثر على الجوارح دالاً على ما في الغيوب، فتتكامل في صاحبها الصفات حتى تكاد أحواله تورده حياض الممات، فلا يبقى فيه لغير محبوبه فضلة ولا يجد مع غيره راحة، وتذوب نفسه من شدّة الاشتياق، ويضمحل جسمه بسبب دوام الاحتراق رضي الله تعالى عنهم وعنا ببركاتهم.

(قوله: فتثمر على قدر العقول) أي على حسب الاستعداد، ولذلك تجد أحوال أهل الغرام تتفاوت في الحال وفي المقام فالمريد ينمحي بسكره وينطوي في نشره، والمراد كلما ازداد سكراً طاب عرفه نشراً شعر:

صحا المريدون منها بعد ما سكروا ... وللمرادين سكر عندها باقي

والحاصل أنَّ المغار عليه من المقربين يحظ بمقام الاصطفاء، ويسدل عليه حجاب الإخفاء قد أُدخل خلوة الخمول، فلا يلبس فضله بالفضول يتهنى بالأوقات، وتطيب له الأقوات ما استنبت في بطن الأرض تم له النبات، والذي فوقها ليس له ثبات أحسن نور الفلاح ما بذره الفلاح فافهم وربنا بالحال أعلم.

(قوله: فهي مواهب الخ) فيه أنَّه قاصر على بواعث محبة الكاملين، والله خير المحسنين. **(قوله: ومن رآه وسمع كلامه)** أي لأنَّه دائم الصحو، وذلك هو الذي عليه

(يقول: سمعت النصرأباذيّ يقول:) المحبة نوعان **(محبة توجب حقن الدماء ومحبة توجب سفك الدماء)** فيه دليل على أنَّ المحبة من العبد إيثار المحبوب، ولها أقل وأكمل فأقلها محبة النعم وتواليها عليه من المنعم، فإذا شكر عليها تزايدت عليه وحفظت عليه نفسه ونعمه وأكملها استغراقه في ذكر ربه ومناجاته، وتلذذه بذلك بحيث غلب على قلبه ذلك، ويذل نفسه في الجهاد حتى أوجب أنْ يراه تعالى، فالمحبة الأولى أوجبت حقن الدماء للشكر على النعم والثانية أوجبت سفك الدماء لرؤية المنعم، **(وسمعته)** أيضاً **(يقول: سمعت محمد بن عليّ العلويّ يقول: سمعت جعفراً يقول: سمعت سمنوناً يقول: ذهب المحبون لله تعالى بشرف الدنيا والآخرة لأنَّ النبي ﷺ قال: «المرء مع من أحب فهم مع الله تعالى»)** كما أنَّ الله معهم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨] والتقوى اسم جامع

مدار النفع. **(قوله: المحبة نوعان)** أي بحسب ما ذكر هنا وإلا فهي ثلاثة أنواع على حسب بواعثها من المحبين، والنوع المتروك أدنى البواعث على ما تقدّم.

(قوله: محبة توجب حقن الدماء ومحبة توجب سفك الدماء) أقول: مشهد الأوّل الجلال والجبروت استغرق في ذلك المشهد حتى أتاه اليقين، وهو عامل على متابعة سيد الكاملين عليه صلاة رب العالمين، ومشهد الثاني الجمال والدلال فتاه بعز الوصال وفاه بما ظاهره ينافي الكمال، وباح من سكر خمر الحقيقة بما أشرق لقلبه من أنوار طوارق الطريقة، فجوزي بالقصاص حتى التبس أمره على الناس هذا ما بدا لي ودعا إليه حالي، وإنْ كان جرى الشارح على خلافه مما أشربه من خمر كأسه.

(قوله: ومحبة توجب الخ) أقول: وما ألطف ما قيل هنا من قولهم:

أموت بدائي لا أصيب دوائيا ... ولا فرجاً مما أرى من بلائيا

إذا كان داء العبد حب مليكه ... فمن دونه يرجو طبيباً مداويا

(قوله: ومحبة توجب سفك الدماء) أقول: ولذلك الإشارة بقول أبي العباس الشبليّ قدس الله سره، لا تتكلموا في الطريق مع غير أهلها، فمن تكلم فيها مع غير أهلها شهدت عليه كما شهد الجنيد على الحلاج.

(قوله: فأقلها محبة النعم الخ) المراد بالنعم ما يعم العاجلة أو الآجلة أو هما معاً، وبذلك تتم أنواع المحبة الثلاثة. **(قوله: وأكملها الخ)** أقول: ويحتمل أنّه أشار بذلك إلى حال أهل الشطح ممن سفكت دماؤهم بسيف الشريعة وقت ما صدر منهم ما يخالف ظاهرها.

(قوله: قال: المرء مع من أحب) أقول: ظاهره وإنْ قصر في المتابعة وهو كذلك

للطاعات والإحسان أنْ تعبد الله كأنك تراه، فإنْ لم تكن تراه فإنّه يراك كما مرّ، **(وقال يحيى بن معاذ: حقيقة المحبة)** الكاملة **(ما)** أي حال **(لاينقص بالجفاء ولا يزيد بالبر)** لأنّ هذه المحبة محبة للذات لما هي عليه من صفات الكمال والجلال اتي لا تتبدّل ولا تتغير لاستحالة تغير متعلقها بخلاف المحبة للنعم، فإنّها تزول بزوالها، **(وقال)** أيضاً: **(ليس بصادق من ادّعى محبته)** تعالى **(ولم يحفظ حدوده)** التي طلبها منه ونهاه عنها، **(وقال الجنيد: إذا صحت المحبة سقطت شروط الأدب)** أي تكلف المحب للمحبوب كما مرّ، **(وفي معناه أنشد الأستاذ أبو عليّ رحمه الله. إذا صفت**

نظر الثمرة مجرّد المحبة فتأمل. **(قوله: حقيقة المحبة الخ)** مراده بها المحبة الكاملة كما أشار إليه الشارح، وقوله: ما أي حال لا ينقص الخ أقول: وذلك لمحو صفات المحب في نعوت المحبوب، ولأنَّ من عرف ما طلب هان عليه ما ترك، فمن تفكر في أصل نفسه بداية ونهاية عرف حق ربه فرضي بما يجريه من أحكامه، وكيف لا ولولا ذل المحب ما لذ له الحب، وقد أشار إلى ذلك سلطان المحبين ابن الفارض قدّس الله روحه، ونوّر ضريحه حيث قال في تائيته:

ولو عز فيها الذل ما لذ لي الهوى ولم تك لولا الذل في الحب عزتي

فالعز باطن في الذل كما أنَّ الذل باطن في العز فتأمل حقيقة الخليل والكليم والشفيع صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كيف قاسى كل منهم ما قاسى من الإقصاء والإيذاء والإذلال الظاهريّ، ومع ذلك أثمر لهم عاقبة العز في الدنيا والآخرة، وكذلك حال المحبين والله أعلم.

(قوله: محبة للذات) أي باعتبار تجلي الصفات والأسماء القديمة.

(قوله: ولم يحفظ حدوده) أي فلا بدّ للسائر من المحبين من ثلاثة أشياء تدله العقل أي تحيره بحيث ينسب صاحبه إلى الجنون، وقوّة الجهد بحيث يصير مجهوداً وغايته الذل وهو الثالث، فيستفاد من التدله العقل أي الفهم عن الله تعالى، ومن المجاهدة المشاهدة، فيقوى بها على تحمل الأعباء، ولذلك الإشارة بخبر «ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»(1)، ومن المذلة العزة فيصير أعز أبناء جنسه، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]. **(قوله: ولم يحفظ حدوده)** أي لأنَّ شأن المحب الموافقة لمن يحبه. إنَّ المحب لمن يحب مطيع. **(قوله: سقطت شروط الأدب)** المراد سقط تكلف الشروط وبقي من أسبابها المحبة، وإلا فالمحبة توجب زيادة الأدب كما لا يخفى، فوصف المحبة كافٍ في إلزام طريق الأدب والبعد عن أسباب العطب.

---

(١) أخرجه البخاري (أدب ١٠٢) ومسلم (بر ١٠٦ ـ ١٠٨) والموطأ (حسن الخلق ١٢) وأحمد بن حنبل (١، ٣٨٢، ٢، ٢٣٦، ٢٦٨، ٥١٧).

المودّة بين قوم. ودام ودادهم سمج الثناء) أي قبح لأنّ ما بينهم من المودّة أعظم من الثناء بالألسن، **(وكان يقول)** رحمه الله: **(لا ترى أباً شفيقاً يبجل ابنه في الخطاب والناس يتكلفون في مخاطبته)** بما فيه تبجيل وتعظيم **(والأب يقول)** في ذلك له **(يا فلان)** باسمه فلا يتكلف لما ذكر، **(وقال الكتانيّ: المحبة الإيثار للمحبوب)** على غيره لكماله وجلاله وجماله، فحقّ من أحبه أنْ يتفرّغ له بكليته. **(سمعت محمد بن الحسين)** رحمه الله **(يقول: سمعت أبا سعيد الأرجانيّ يقول: سمعت بندار بن الحسين يقول: رؤي مجنون بني عامر في المنام)** بعد موته وكان قد استغرق في حب امرأة وساح في البراري **(فقيل له: ما فعل الله تعالى بك فقال: غفر لي)** ما كان من الزلل **(وجعلني حجة على المحبين)** الذين يدعون محبته تعالى، فيه دليل على كماله تعالى وتنزهه وإنْ من أحبه حقه أنْ يفرغ كليته في طلبه وأنّ مجنون بني عامر كانت محبته لمن له أشباه مع أنّه استغرق في حبه هذا الإستغراق العظيم وساح في البراري ولما رآه هذا الرائي في النوم وهو من المحبين لله سأله عن حاله فأجابه بما ذكر وإنما جعله حجة على من ذكر لأنّه بذل نفسه في محبة مخلوق له أشياء فكيف بمن ادّعى محبة من لا مثل له ولا شبيه، فحقه أنْ تزيد محبته له على محبة مجنون بني عامر الزيادة الغالبة، فهذه الرؤيا في حق الرائي إنْ كانت كملت محبته لله، وفي حق كل من سمعها إنْ كان كذلك. **(وقال أبو يعقوب السوسيّ: حقيقة المحبة أنْ ينسى العبد**

(قوله: سمج الثناء) أي لما في الثناء من إشعار استجلاب المحبة وهي ثابتة من قبل ومن بعد. **(قوله: لأنّ ما بينهم الخ)** أي ولما في ذلك من التعرض لأسباب الظهور، وقوله بعد: لا ترى أبا الخ كالتوضيح لما قبله. **(قوله: فحق من أحبه أنْ يتفرغ له بكليته)** أي وإلا كان كالمتشبع بما لم ينل وكلابس ثوبي زور، قال تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾ [الأحزاب: ٤]. **(قوله: وكان قد استغرق في حب امرأة الخ)** أي فإذا ثبت هذا لمثله فيكون محب مبدع الكائنات أحرى حيث صفته تحقق له البشرى، ولا سيما إذا حضر المحب مع الحبيب المقام فسكر سكر أهل الهوى والغرام، فلا عجب حينئذٍ إنْ غاب وسكر وطاب، وفاه ببعض نعوت الأحباب شعر:

سكران سكر هوى وسكر مدامة ... فمتى يفيق فتى به سكران

(قوله: فقال: غفر لي) فيه تنبيه على أنّ أوصاف المحب في حال حياته قد تثمر له أضدادها بعد مماته فذله يثمر له العز الأبديّ السرمديّ، وولهه وجنونه يثمر له العقل الكامل الذي ينكشف به ما لا ينكشف بغيره، والجهد والضعف يثمر له الراحة الأخروية.

(قوله: وجعلني حجة على المحبين) لعل وجهه ما ذكره الشارح أو عفته حتى مات شهيداً ومحبة الإله الحق بذلك كله. **(قوله: ولما رآه هذا الرائي الخ)** أي فهذه الرؤيا من لطف

حظه من الله عز وجل وينسى حوائجه إليه) بأنْ تشغله محبته للذات والكمال والجلال والأنس به تعالى عن ذكر الإنعام والإحسان إليه، فحبه لله يتعلق تارةً بأفعاله من نعمه وإحسانه وتارة بكماله وجلاله وجماله، والثانية أكمل من الأولى كما عرف.

(وقال الحسين بن منصور: حقيقة المحبة قيامك مع محبوبك بخلع أوصافك) بأنْ تنسى نفسك شغلاً بربك وبأُنسك به، فيرجع إلى ما مرّ. (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلميّ) رحمه الله (يقول: قيل للنصرأباذيّ ليس لك من المحبة) له (شيء

الله تعالى بالرائي لينبهه بها على التمسك بحقيقة المحبة. (قوله: حقيقة المحبة أنْ ينسى العبد الخ) أقول: ويشهد لذلك ما نسب إلى سمنون رحمه الله تعالى حيث قال شعراً:

فكان فؤادي خالياً قبل حبكم ... وكان بذكر الخلق يلهو ويمرح
فلما دعا قلبي هواك أجابه ... فلست أراه عن فنائك يبرح
رميت ببين منك إنْ كنت كاذباً ... وإنْ كنت في الدنيا بغيرك أفرح
وإنْ كان شيء في البلاد بأسرها ... إذا غبت عن عيني لعيني يملح
فإنْ شئت واصلني وإنْ شئت لم تصل ... فلست أرى قلبي لغيرك يصلح

قلت: قوله: فإنْ شئت واصلني الخ ليس إقداماً وترك احترام وتمنياً للآلام والأسقام بل هو تفويض وتسليم واعتراف بأنَّ الحق له فعل ما يشاء فإنّه العليم الحكيم.

(قوله: وينسى حوائجه إليه) أي ولو كانت الحاجات آجلة أخروية كما لا يخفى على من له ذوق وإلمام. (قوله: فحبه لله الخ) تكميل للفائدة، وإلا فالقصد محبة الذات دون شيء آخر معهما، وقوله: يتعلق تارةً بأفعاله الخ التي تؤثر في النعم على العبيد والتي لا تؤثر ذلك على حسب اختلاف همم المقربين قوةً وضعفاً.

(قوله: حقيقة المحبة قيامك مع محبوبك الخ) أقول: لعله يشير للخروج حسن العقل عند من أراد إدراك الحقائق الإلهية لأنَّ العقل كالرقيب يمنع المواصلة، وينغص عيش الأحبة بالمراقبة، وذلك لأنّه معقول عن درك الحقائق المطلقة غافل عن إدراكها، فتأمل سر قوله جل شأنه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧] حيث لم يقل: عقل، لأنَّ القلب يتقلب مع الحق سبحانه وتعالى في جميع شؤون مظاهره إنْ تجلى بالأسماء أو بالصفات أو بغير ذلك، أو ما سمعت خبر «لم يسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي»[1] ومثل القلب في كل ذلك السر، ثم لا يخفى عليك أنَّ المراد بالعقل المعاشي أو المعادي لا عقل المعاني فافهم، ولا ترجع لمن لا يعلم.

(قوله: فقال صدقوا الخ) لعله أراد نفي المحبة اللائقة بفائق الكمال الإلهي لأنها

---

(١) أخرجه الزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٧/ ٢٣٤).

فقال: صدقوا ولكن لي حسراتهم فهو ذا احترق فيه) أي في الله، وهذا كمال في الأدب وستر لحاله عمن حجب فورّى بقوله: صدقوا أي في أنَّ محبته ليست هي قلقاً ولا طيشاً، وإنما هي حسرات المحبين الكاملين الذين أفرغوا جهدهم في المحبة وما بلغوا مطلوبهم لأنَّ معرفتهم لكماله وجلاله وجماله لم يقوموا بها حق القيام، **(وسمعته)** أيضاً **(يقول: قال النصرأباذي: المحبة مجانبة السلو)** عن المحبوب **(على كل حال)** بأنَّ يستغرق العبد في صفات محبوبه من الكمال والجلال والجمال بحيث يتعذر عليه سلوه عنه واشغتاله بغيره **(ثم أنشد)** في معنى ذلك **(ومن كان في طول الهوى)** أي الحب لليلى **(ذاق سلوة. فإني من ليلي لها)** أي للسلوة **(غير ذائق، وأكثر شيء نلته)** وأدركته **(من وصالها. أمانيّ لم تصدق كلمحة بارق)** أي لم يدرك من كمالها وجلالها والأنس بها إلا شيئاً يسيراً. فلو كمل حاله في الشغل بها لاستحالت السلوة، وأما المحبة للنعم فقد تزول بزوالها كما مرّ، فيسلو فيها المحب عن محبوبه، **(وقال محمد بن الفضل: المحبة سقوط كل محبة من القلب إلا محبة الحبيب)** لشغل المحب به عن نفسه فضلاً عن محبة حبيب آخر، **(وقال الجنيد: المحبة فراط الميل)** بالقلب **(بلا نيل)** أي إصابته للنعم، أشار بذلك إلى بيان المحبة الكاملة، والمراد الميل المعنويّ، وهو تعلق القلب برؤية محبوبه أما الميل الذي نفاه

غير مقدورة للبشر، وحينئذٍ فلا حاجة لما ذكره الشارح من التورية، فتدبر تفهم والله أعلم. **(قوله: مجانبة السلو الخ)** أقول: لعله باعتبار حال غير الكمل أما الكمل فمحبتهم توجب لهم الرضا بأحكام الحق تعالى وإنْ لم تلائم البشرية بل تقتضي اللذة والفرح والسرور من حيث هي مراداته تعالى قال بعض المحبين: تلذلي الآلام مذ أنتَ مسقمي إلى آخر ما قال، ثم أقول: وكيف لا يكون كذلك وهو إذا دخل ليلة حمى الحبيب وقت غفلة الواشي والرقيب التذ بسماع الخطاب في حضرة الندمان من الأحباب، شعر:

يا ليلة بالحمى ما كان أطربها ... من طيبها رقصت من تحتنا النجب

(قوله: ومن كان في طول الهوى) أي مع طول زمنه ذاق سلوة أي مللاً للحب وسآمة منه فإنني من ليلي لها غير ذائق، وذلك لاستغراقي ومحو صفاتي في حبها حتى صرت لا أهوى خلاف ما تهوى، وقوله: وأكثر شيء نلته الخ مراده أنَّ نهاية ما وصل إليه من وصال محبوبته مجرد أمانيّ لطيفة إذا اتفقت لا تدوم، وذلك لقوّة حجابها وعزتها الثابت ذلك لها، ومن ذلك كانت تلك الأمانيّ لا تصدق وتزول بسرعة كسرعة البرق.

(قوله: فقد تزول بزوالها) أي ومن هذا القبيل ما اشتهر من قولهم: من أحبك لشيء سلاك عند انقطاعه. **(قوله: المحبة سقوط كل محبة من القلب الخ)** أقول: قال تعالى:

العلماء بقولهم: الحق تعالى لا يميل ولا يمال إليه، فهو الميل الحسيّ لأنه تعالى ليس بجسم حتى يميل، ولا في جهة حتى يمال إليه، **(ويقال: المحبة تشويش في القلوب يقع من المحبوب)** لأنه تعالى إذا منَّ على عبده بمحبته تشوّشت عليه أسبابه وأحواله المعتادة، وتعلقت آماله بالوصول إلى محبوبه وتمنى رؤيته، **(ويقال: المحبة فتنة)** أي ابتلاء واختبار **(تقع في الفؤاد)** أي القلب **(من المراد)** أي المحبوب المطلوب

﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ﴾ [الأحزاب: ٤] أي المحبة الكاملة لله هي تكون كذلك، ولا يخفى ما في قوله: إفراط إذ لا يخلو أحد من نوع التفريط فافهم.

(قوله: المحبة تشويش الخ) أقول لعل ذلك باعتبار العقل المعاشي لا عقل المعاني إذ لا تشويش باعتباره، والحاصل أنَّ العقول ثلاثة: معاشيّ ومعاديّ ومعانيّ، فالأوّل ما اشترك فيه الخاص والعام والإنسان والبهائم والأنعام، والثاني ما اختص به الثقلان الأنس والجان، والثالث ما امتاز به الإنسان، وشارك فيه الملائكة الكرام عليهم الصلاة والسلام، وأيضاً فالأوّل للشريعة والثاني للطريقة، والثالث للحقيقة، فمقام فقهاء الظاهر وعلماء الرسوم الأوّل، ومقام علماء الباطن وفقهاء القلوب الثاني، ومقام الراسخين في العلم المخزون والسر المكنون الثالث، فكل طبقة في مقام، ويتفاوتون فيه على حسب الأنعام تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام تدبر تفهم، وإلا فسلم الأمر تسلم. **(قوله: المحبة فتنة)** أي باعتبار خواطر قلب المحب إذ من ذلك خواطر الهوى الضلاليّ ومنشأ ذلك من النفس والشيطان، فهما في حكم الفئتين المشار إليهما بقوله جل اسمه: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ [آل عمران: ١٣] فمطلق المحبة قد تكون فتنة، وإلا فهي لبعض الكمل منحة وشرف كما لا يخفى.

(قوله: وأنشد الخ) اعلم أنَّ العشق والحب ليس هو بالهين بل إنما هو كما قال سلطان العشاق في قصيدته اللامية رضي الله عنه:

هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل … فما اختاره مضني به وله عقل
وعش خالياً فالحب راحته عنا … وأوّله سقم وآخره قتل

إلى آخر ما ذكر، فالمحب في حال محبته يحمل ما لا تحمله الجبال، ولذلك الإشارة بقوله: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [الأحزاب: ٧٢]، وقوله جل شأنه: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ [الحشر: ٢١] مع أنّه نزل على قلب فخر المحبين ﷺ وتلقته قلوب أصحابه وأتباعه، ولم تتصدع قلوبهم من حمله، فدل ذلك على أنَّ الضعف المشار إليه بقوله جل جلاله: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨] إنما هو ضعف ما منه تركيب بنيته، وأما اللطيفة الروحانية فهي الحاملة لما عجزت عنه الأكوان الكثيفة الأجرام الواسعة الأكناف، ومن ثمّ قيل: العارف من يحمل السموات والأرضين والعرش وما حواه على شعرة من

(**وأنشد ابن عطاء**) في معناه (**غرست**) يا رب (**لأهل الحب غُصناً**) وفي نسخة غرساً (**من الهوى.**) أي الحب (**ولم يَكُ يدري ما الهوى أحد قبلي. فأورق**) ذلك الغصن (**أغصاناً وأينع**) أي أظهر (**صبوه.**) أي ميلاً إلى محبوبه (**وأعقب لي**) بسبب الهموم وتغير الأحوال (**مراً من الثمر المحلي**) بالحاء المهملة أي اليابس، وحاصل ذلك أنَّ الأصل الذي خلقه الله له لما تمكن في قلبه تغيرت أحواله، فظهر عليه إمارات الغلبة والصبوة إلى محبوبه ثم تغيرت أحواله من صعوبة الحال ومرارته عليه إلى أنْ صار يتلذذ به ويتنعم وهو قوله: وأعقب إلى آخره، فلما تمكن حاله في المحبة، وطلب الوصال توالت على قلبه الهموم والأحزان (**وكل جميع العاشقين هواهم.**) أي حبهم الصحيح (**إذا نسيبوه كان من ذلك الأصل**) أي المغرس الذي غرسه في قلوبهم وإلا كانت أحوالهم دعاوى لا أصل لها. (**وقيل: الحب أوّله ختل**) بالمعجمة وإسكان

أجفان عينه، فسبحان المعطي الوهاب الممدّ من شاء من خاصة الأحباب. (**قوله: غرست الخ**) أي أسست لهم بواعث المحبة، . (**وقوله: ولم يكُ يدري الخ**) مبالغة فيما ناله من ألم المحبة في ابتداء أمره حتى توهم أنَّ مثل ذلك لم يسبق لغيره، وقوله: فأورق ذلك الغصن يريد أنَّ بواعث المحبة تزايدت بحسب ما أشرق عليه من كمالات الحق تعالى فأظهرت تلك البواعث زيادة ميله إلى محبوبه، وقوله: وأعقب الخ أي ترتب على زيادة محبتي أني صرت أستحلي مرّ مكابدته، وأتلذذ بذلك استغراقاً في مرادات المحبوب عز علاه، وقوله: وكل الخ الغرض منه بيان أنَّ سبب جميع أنواع المحبة واحد، وهو ما نشأ عنه محبتي هذا ويحتمل أنَّ ذلك لسان محمديّ برز من تابع أحمديّ، والله أعلم بمراد خلقه. (**قوله: وقيل الحب أوّله ختل الخ**) أي وذلك بسرّ اسمه تعالى الرب إذ هو المبلغ للكمال شيئاً فشيئاً، وقوله: وآخره قتل أي يؤدّي إلى الفناء والهلاك، والمراد الفناء عن النفس وما لها من الأخلاق، أو القتل حقيقة بحسب زيادة ألمه وسقمه.

(**قوله: أوّله ختل الخ**) أي ومع ذلك فمن لم يحصل له من المحبة مقدار ذرة أو حبة من خردل فقد حجب عن النعيم باليأس، وليس هو في شيء من الناس، شعر:

وما الناس إلا العاشقون ذوو الهوى ... ولا خير فيمن لا يحب ويعشق

وقوله: وآخره قتل أي وبذلك تكون حياة الأبد قال جلَّ وعزَّ: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰأُوْلِي الْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٧٩] فافهم. (**قوله: أي مخادعة الخ**) أي فعل ما يضاهيها، وهو تراسل النعم العاجلة، وتسهيل سبيل الآجلة، وإلا فإطلاق المخادعة في جانبه تعالى من قبل أنفسنا لا يجوز ولا يصح. (**قوله: وآخره قتل**) المراد قتل النفس الحيوانية وهي حياة للنفس الإنسانية.

المثناة أي مخادعة يعني معاملة الله عبده بالرفق، وتوالي نعمه عليه **(وآخره قتل)** أي ألم وسقم لأنَّ العبد إذا أحب الله ودامت معاملته له اطلع من صفاته تعالى على يحثه على طلبه له، ويشغله به عن غيره، فإذا وجد اللذة في كمال شغله ثم حجب عنها تألم وسقم، وفي نسخة بعد الأبيات المذكورة: جريت مع الشعاق في حلبة الهوى، ففقتهم سبقاً وجئت على رُسلي. **(سمعت الأستاذ أبا عليّ رحمه الله يقول في معنى قوله ﷺ: «حبك للشيء يعمي ويصم» فقال:)** هو زائد **(يعمي عن الغير)** أي غير الشيء المحبوب **(غيرة)** للمحبوب أنْ يرى أنَّه ناقص لا يصلح لمحبة محبوبه **(و)** يصم **(عن المحبوب هيبة)** له وقد قرىء بين يدي السريج ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥]، فقال لأصحابه: أتدرون ما هذا الحجاب هذا حجاب الغيرة، فالحق سبحانه يغار على كلامه العزيز أنْ يسمعه من ليس له أهلاً، فالعبد يغار لربه لهيبته وجلاله، ويغار على نفسه لغفلته واشتغاله بالأغيار بعد معرفته بالواحد القهار، فلا يقال: غار على ربه بل غار لربه.

(ثم أنشد) أبو علي **(إذا ما بدا لي تعاظمته. فأصدر)** أي أرجع عنه **(في حال من لم يرد)** مضارع ورد الماء. **(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلميّ)** رحمه الله

فائدة:

لما لطفت ورقت العشاق من المحبين صار لهم مناسبة لمحبة مولاهم رب العالمين تقدّس وتعالى.

(قوله: جريت مع العشاق الخ) يريد أنَّه تمسك بأذيال أسباب محبته تعالى مع جملة المحبين، ثم سابقهم فسبقهم مع أنَّه لم يجهد نفسه في السير بل وصل على رسله، وذلك كأنه من قوّة عزيمته لم يستشعر بإتعاب نفسه لعدم تكلفه الحركات والسكنات.

(قوله: فقال: يعمى عن الغير الخ) أقول: وذلك أبلغ مما اشتهر مما هو في معناه من أنه يعمى عن رؤية عيب في المحبوب، ويصم عن سماع عزل فيه. **(قوله: لا يصلح لمحبة محبوبه)** فيه إظهار في مقام الإضمار تلذذاً بتكرار اسم المحبوب.

(قوله: فقال لأصحابه: أتدرون الخ) يشير بما ذكره إلى نوع تجوّز في قوله: جعلنا بينك بحذف مضاف تقديره جعلنا بين سماع القرآن منك سماع قبول، وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً. **(قوله: إذ ما بدا لي الخ)** أي إذا ظهر لي فما زائدة للتأكيد، والمعنى أنَّ الحق تعالى كلما ظهر له بآياته وآثار قدرته الباهرة تعاظمه من أجل شهود كمالاته السنية فيرجع كأنه لم يرد ولم يصل إلى المشاهدة المذكورة إذ ما من آية إلا وهناك أكبر منها، وجميع هذه الآيات إنما هي لقوّة حجب عظمة الباري عز شأنه.

(يقول: سمعت أحمد بن علي يقول: سمعت إبراهيم بن فاتك يقول: سمعت الجنيد يقول: سمعت الحرث المحاسبي يقول: المحبة ميلك إلى الشيء بكليتك ثم إيثارك له على نفسك، وروحك، ومالك، ثم موافقتك له سراً وجهراً) على ما أمرك به ونهاك عنه (ثم علمك بتقصيرك في حبه، وسمعته) أيضاً (يقول: سمعت أحمد بن علي يقول: سمعت عباس بن عصام) وفي نسخة عاصم (يقول: سمعت الجنيد يقول: سمعت السريّ يقول: لا تصلح) وفي نسخة تصح (المحبة بين اثنين حتى يقول الواحد للآخر: يا أنا) فينزله منزلته فكأنّه قال: أنت أنا لأنّ المحبة بين المتحابين توجب إيثار كل منهما للآخر على نفسه، فيلزم منه رؤية كل منهما الفضل للآخر على نفسه، ولهذا قال ﷺ: «لا يبلغ المؤمن حقيقة الإيمان حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وأهله»[1]، (وقال الشبليّ: المحب إذا سكت) أي عن ذكر محبوبه

(قوله: ثم إيثارك الخ) عطفه وما بعده على ما قبله من عطف اللازم على الملزوم.

(قوله: ثم موافقتك له سراً وجهراً الخ) أي ولهذا قيل: علامة المحبة قيام المحب بأوامر المحبوب، واستحلاء ما مرّ من الشؤون والخطوب، شعر:

تعصي الإله وأنت تُظهر حبه ... هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته ... إنّ المحب لمن يحب مطيع

هذا ولا يطيق الكتمان من قلبه من المحبة ملآن، شعر:

ومن قلبه مع غيره كيف حاله ... ومن سره في جفنه كيف يكتم

(قوله: ثم علمك بتقصيرك في حبه) أي لعدم القيام بواجب حقه.

(قوله: حتى يقول: الواحد الخ) أي حتى يكونا كأنهما روحان حلتا بدناً واحداً، ومن قول عاشقهم:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا ... نحن روحان حللنا بدنا

(قوله: فيلزم منه الخ) أي ومن ذلك ما نُقل عن إمامنا الشافعيّ رضي الله تعالى عنه في حق الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه شعر:

قالوا: يزورك أحمد وتزوره ... قلت الفضائل لا تفارق منزله
إنْ زارني فبفضله أو زرته ... فلفضله فالفضل في الحالين له

وكذلك ما نقل عن الإمام أحمد من قوله في حق الشافعيّ: إنّه كالشمس في الدنيا والعافية في البدن، فإذا فقدا فهل لهما من بدل أو كما قال:

(قوله: حتى أكون أحب إليه الخ) المراد المحبة العقلية لا الطبيعية كما لا يخفى

---

(١) أخرجه الطبراني في (المعجم الصغير ٢/ ٧٢) والفتني في (تذكرة الموضوعات ١٨٩).

(**هلك**) غماً لأنَّ راحته إنما هي في ذكره، فلولا توالي ذكره على قلبه ولسانه هلك غماً (**والعارف إنْ**) وفي نسخة إذا (**لم يسكت هلك**) غماً لأنَّه لا يقدر على النطق بكل ما يخلقه الله في قلبه، وربما نطق بما لا يفهم، فكان فيه ضرورة، (**وقيل: المحبة نار في القلب تحرق ما سوى مراد المحبوب**) لشدّة تأثيرها في القلب، (**وقيل: المحبة بذل المجهود**) في طاعة الحبيب (**والحبيب يفعل**) في محبه (**ما يشاء، وقال الثوريُّ: المحبة هتك الأستار وكشف الأَسرار**) لأنَّ من كملت محبته قلَّ صبره عن محبوبه فظهرت محبته على لسانه وبدنه، وصار مغلوباً فظهر سره للخلق، وبدا لهم ما كان مستوراً عنهم، (**وقال أبو يعقوب السوسي: لا تصح المحبة إلا بالخروج عن رؤية المحبة إلى رؤية المحبوب بفناء علم المحبة**) لأنَّ محبة العبد تكون أوّلاً

على من له إلمام بتحقيق المسائل الفرعية والأَصلية. (**قوله: إذا سكت هلك**) أي فقلب المحب لا يرعوي عن المحبوب وإنْ تقول غير ذلك فهو كذوب، شعر:

أليس وعدتني يا قلب أني إذا ما تبت عن ليلى تتوب
فها أنا تائب عن حب ليلى فما لك كلما ذكرت تذوب

(**قوله: إذا سكت هلك**) أي وذلك لأنَّ السكوت عن ذكر الأحباب إنما ينشأ عن الغفلة وقوّة الحجاب قال ﷺ: «من أحب شيئاً أكثر من ذكره». (**قوله: والعارف إنْ لم يسكت هلك**) أي لأنّ المعرفة توجب الخرس والصمت كما تقدّم غير مرة.

(**قوله: المحبة نار في القلب الخ**) أي لهب أشواق تحرق وتفني ما سوى المحبوب، وحقه لأنَّ من لوازمها إذا كملت الموافقة والإِيثار. (**قوله: وقيل: المحبة بذل المجهود الخ**) أي لأنّ شأن المحب طاعة محبوبه وموافقته، فدعوى المحبة بدون ذلك زور وبهتان.

(**قوله: والحبيب يفعل الخ**) أي لأنّه المالك لرقه له الأمر في صحته وسقمه، فلا يسأل عما يفعل. (**قوله: المحبة هتك الأستار**) أي ربما تفضي إلى ذلك بدون اختيار بالنسبة لمن لا طاقة له على تحمل غلباتها ولا صبر له على حر نارها، وزيادة لهب أشواقها، ولذا قال قائلهم:

زارني من أحب قبل الصباح فحلا لي تهتكي وافتضاحي
وسقاني وقال قم وتملى ما على من أحبنا من جناح

(**قوله: إلا بالخروج الخ**) أي وذلك لأنّ بقاء الإِحساس بنعت المحبة تفرق، والفناء عن ذلك جمع وفرق ما بين المنزلتين.

(**قوله: تكون أوّلاً للنعم**) أي وذلك في حال ابتداء طلب الحق تعالى وأوّل السير إلى الوصول، فالمحبة للنعم من أخلاق المريدين، والمحبة للكمال والجلال من نعوت

للنعم، ثم تكون للكمال والجلال، ثم يشتغل به تعالى حتى يستغرق فيه وينسى المحبة، فكلامه رضي الله عنه في كمال درجات المحبة، وهو الشغل عنها بالمحبوب، (**وقال جعفر: قال الجنيد: دفع السري إليَّ رقعة وقال: هذه لك خير من سبعمائة قصة أو حديث يعلو**) أي حديث من أحاديث الصالحين، وحكايات كراماتهم العالية الرفيعة التي تتحرك لسماعها القلوب، فتنشط بها للعمل، قال الجنيد: وفائدة حكاياتها تقوية قلوب المريدين بها قال: ودليل ذلك من الكتاب قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠] (**فإذا فيها**) أي الرقعة (**ولما ادّعيت الحب**) لليلى (**قالت: كذبتني. فمالي أرى الأعضاء منك كواسيا**) أي مكسوّات باللحم لأنَّ كمال المحبة يمسك عن الطعام والمنام حتى يظهر على المحب التحول والسقام كما بينه بقوله: (**فما الحب**) موجوداً (**حتى يلصق القلب بالحشا. وتذبل**) أنت (**حتى لا تجيب المناديا**) لك (**وتنحل**) أي تهزل (**حتى لا يبقى لك الهوى.**) أي الحب (**سوى مقلة تبكي بها وتناجيا**) بها محبوبك وإنما كانت هذه

العارفين، والاشتغال به تعالى من شيم المحققين ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠]. (**قوله: وقال: هذه لك خير الخ**) وجهه أنَّ المقصود بالاطلاع على قصص الصالحين من السلف إنما هو تقوية القلب الضعيف، وهذه الأبيات التي في الرقعة لما اشتملت على ما حق المحب أنْ يكون عليه كانت تقويتها للقلب أتم وتنبيهها على التخلق أعظم، والله سبحانه وتعالى أعلم.

(**قوله: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ﴾**) أي وكل نبأ فالتنوين عوض عن المضاف إليه نقص عليك أي نخبرك به، وقوله تعالى: ﴿مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ﴾ [هود: ١٢٠] بيان لكلا وقوله تعالى: ﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠] بدل منه هذا، والأظهر أنْ يكون المضاف إليه المحذوف المفعول المطلق لنقص أي نقص كل اقتصاص أي كل أُسلوب من أساليبه ما نثبت به فؤادك مفعول نقص، وفائدته التنبيه على أنَّ المقصود بالاقتصاص زيادة يقينه عليه السلام وطمأنينة قلبه، وثبات نفسه على أداء الرسالة واحتمال أذية الكفار بالوقوف على تفاصيل أحوال الأمم السابقة في تماديهم في الضلال وما لقي الرسل من جهتهم، والله أعلم.

(**قوله: ولما ادّعيت الحب**) أي ادّعيته دعوى قد تجرّدت عن الدليل المثبت لها، ولذلك قالت: كذبتني أي حيث أخبرت بخلاف الواقع فما لي أرى الأعضاء الظاهرة منك كواسيا باللحم، وذلك من أدلة كذبك في خبرك إذ لو صدقت لتجرّدت تلك الأعضاء من اللحم بما أنحلها من سقام المحبة الضروريّ عند تحققها، وقوله: فما الحب موجوداً أي بصفة كماله حتى يلصق أي إلى أنْ ينتهي بك الحال إلى لصوق القلب بالحشا من شدّة

الأبيات خيراً له مما ذكر لخصوصيتها بقلبه، (**وقال ابن مسروق: رأيت سمنوناً يتكلم في المحبة فتكسرت قناديل المسجد كلها**) إما لاستماعها خرقاً للعادة كحنين الجذع للنبي ﷺ وتسبيح الحصى في كفه، وإما لتحركها بتحريك جماعة منا أو من الجن. (**سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت أحمد بن عليّ يقول: سمعت إبراهيم بن فاتك يقول: سمعت سمنوناً وهو جالس في المسجد يتكلم في المحبة إذ جاء طير صغير فقرب منه ثم قرب**) منه (**فلم يزل يدنو**) منه (**حتى جلس على يده**) وفي نسخة بين يديه (**ثم ضرب بمنقاره الأرض حتى سال منه الدم ثم مات**) فيه دلالة على أنّ الحيوان يستمع ويفهم وإنما يمتنع عليه الكلام إلا مع من أفهمه الله كلامه كإجابة الهدهد لسليمان عليه السلام بسبب تأخره عنه بقوله: ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل: ٢٢] وكقول النملة لأصحابها ﴿ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾ [النمل: ١٨] إلى آخره. (**وقال الجنيد: كل محبة كانت لغرض**) كنعمة فـ (**إذا زال ذلك الغرض زالت تلك المحبة**) بخلاف محبة صفات الله كالكمال

الهزال، وقوله: تذبل أي تضمحل جسماً حتى لا يبقى فيك قوّة تجيب بها المنادي إذا ناداك لشدّة ضعفك عن الإجابة أو لغيبتك عن غير محبوبك ومطلوبك، وتنحل من النحول الذي هو تجرد الجسم عن النمو والزيادة إلى أنْ تصير عدماً صرفاً لا يبقي لك الهوى أي الميل إلى المحبوب سوى أي غير مقلة تبكي بها على فراق الأحبة، وتناجي بها مطلوبك بأنْ تقول بلسان الحال إني من جملة المحبين الفانين في المحبوبين. (**قوله: فتكسرت قناديل الخ**) أي وذلك من أجل ما ثبت للأستاذ في قدم المحبة من الشرب، فحالة المحب الصادق تنتقل وترقى حتى يكون بذلك من غيره أرقى:

أراك تزيد في عيني جمالاً وأعشق كل يوم منك حالا
تزيد ملاحة وأزيد حباً وحالي فيك ينتقل انتقالا

(**قوله: إما لاستماعها**) أي وتأثرها بما سمعته خرقاً للعادة، ولو اقتصر على ذلك وترك الترديد لكان أولى. (**قوله: إذ جاء طير**) أقول: ولا بدع، وقد قيل: إذا غلبت نار الجوى وهاجت بالهوى أحرقت روح المحب، فذابت وتدفقت من أماقيه وسالت:

وليس الذي يجري من العين ماءها ولكنها روحي تذوب فتقطر

فتأمل يا أخي في نفسك وبقائها على الجحود، وهذا الطائر الحيوان الصرف كيف تأثر بما سمعه حتى أسال دمه فمات، وهذا بمرة من السماع وأنتَ مع تكرر المواعظ وقرعها المسامع مصر على الجهالات على وسائد الغفلات، ولكن من يضلل الله فلا هادي له فلا حول ولا قوّة إلا بالله.

(**قوله: كل محبة كانت لغرض الخ**) مراده الحث على كمال المحبة له تعالى بشهود

والجلال لأنّ صفاته تعالى قديمة لا تزول، فالمحبة لها كذلك، **(وقيل: حبس)** أبو بكر **(الشبلي في المارستان)** ليتداوى فيه مما حصل له من شبه الجنون بسبب غلبة المحبة عليه، وهو مع ذلك ناظر إلى الله، ولما أجراه عليه وابتلاه به **(فدخل عليه جماعة)** من إخوانه **(فقال)** لهم: **(من أنتم فقالوا: محبوك يا أبا بكر)** فأخذ يبتليهم كما ابتلي ليعرف صدقهم في دعواهم محبته **(فأقبل يرميهم بالحجارة، ففروا فقال: إنْ ادعيتم محبتي فاصبروا على بلائي،** وأنشد الشبلي) يناجي ربه فقال: **(يا أيها السيد الكريم. حبك بين الحشا مقيم. يا رافع النوم عن جفوتي. أنتَ بما مرّ بي عليم. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلميّ رحمه الله يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت النهرجوريّ يقول: سمعت عليّ بن عبيد يقول: كتب يحيى بن معاذ إلى أبي يزيد: سكرت من كثرة ما شربت من كأس محبته، فكتب إليه أبو يزيد)** لما فهم أنّه ذاق منها مرة واحدة فلم يطق حملها فسكر **(غيرك شرب بحور السموات والأرض)** من المحبة **(وما روي بعد)** بل هو فاغر فاه **(ولسانه خارج)** عنه **(و)** هو

حقه من الجلال والكمال مع الفناء عن الحظوظ العاجلة والآجلة. **(قوله: وقيل: حبس أبو بكر الخ)** أقول: ويؤيد ذلك ويوضحه قول الشيخ الأكبر في قصيدته التي أوّلها:

ألا يا حمامات الأراكة والبان ... ترفقن لا تضعفن بالشجو أشجاني

إلى أنْ قال فيها رضي الله تعالى عنه ونفعنا ببركات علومه ومعارفه:

لنا أسوة في بشر هند وأختها ... وقيس وليلى ثم ميّ وغيلان

حيث ذكر المحبين في عالم الكون المهيمين بعشق المخدرات في الصور فهو يقول: الحب من حيث ما هو حب لنا ولهم حقيقة واحدة غير أنّ المحبوب مختلف فهم تعشقوا بكون، وأنا تعشقت بعين، والشروط واللوازم والأسباب واحدة فلنا أسوة بهم فإنّ الله ما هيّم هؤلاء ولا ابتلاهم بحب أمثالهم إلا ليقيم بهم الحجة على من ادّعى محبته ولم يهم في حبه هيمان هؤلاء حيث ذهب الحب بعقولهم وأفناهم عنهم لمشاهدة شواهد محبوبهم في خيالهم، فأحرى من يزعم أنه يحب من هو سمعه وبصره. **(قوله: فأقبل يرميهم بالحجارة)** أي على عادة المجانين ممن زال علقهم بعارض مرض سوداوي مثلاً. **(قوله: فقال: إنْ ادعيتم محبتي الخ)** أي فدعوى المحبة بدون الصبر على ما يرد من أحكام المحبوب دعوى زور وكذب. **(قوله: يناجي ربه)** أي متعرضاً إلى إجابة سؤله بواسطة الثناء على الحق تعالى بإحاطة علمه بما هو كائن به. **(قوله: لما فهم أنّه ذاق مرة واحدة الخ)** وجهه أنّ قول يحيى بن معاذ: سكرت من كثرة ما شربت لا يفيد تكرر الشرب لأنّ الكثرة تتحقق في مرة واحدة.

(قوله: غيرك) أي ممن هو من أهل الكمال الذين قوّاهم الحق تعالى وأعانهم على

(يقول: هل من مزيد) وذلك لكمال قوّته ووجود العون من ربه في حاله، فلذلك يحفظ نفسه، ولا يظهر شيئاً من محبته على ظاهره **(وأنشدوا)** في معناه.

(عجبت لمن يقول: ذكرت ألفي) وفي نسخة ربي أي لأنَّ الذكر إنما يكون بعد النسيان، والغفلة أما دائم الذكر، فلا يقول: ذكرت لأنَّ الحاصل لا يطلب تحصيله

(.................................... **وهل أنسى فأذكر ما نسيت**
أموت إذا ذكرتك ثم أحيا **ولولا حسن ظني ما حييت**
فأحيا بالمنى وأموت شوقاً **فكم أحيا عليك وكم أموت**
شربت الحب كأساً بعد كأس **فما نفد الشراب وما رويت)**

لما مرّ **(وقيل: أوحى الله عز وجل إلى عيسى عليه السلام إني إذا اطلعت على قلب عبد فلم أجد فيه حب الدنيا والآخرة ملأته من حبي)** أي محبتي لإعراضه عن المشغلات والشهوات، **(ورأيت بخط الأستاذ أبي عليّ الدقاق رحمه الله في بعض**

التحمل، وعدم إظهار شيء من عليّ أحوالهم. **(قوله: فلذلك يحفظ نفسه الخ)** أي ويدل له ما تقدم عن الجنيد من قوله: وترى الجبال تحسبها جامدة، وهي تمر مر السحاب.
(قوله: عجبت لمن يقول: ذكرت ألفي) أي لأنه مما يخفى سببه إذ المحب شأنه دوام الذكر باللسان والقلب كما يوضحه قوله: على سبيل الاستفهام الإنكاري: وهل أنسى فأذكر ما نسيت.

(قوله: لأنَّ الحاصل لا يطلب تحصيله) أي لأنَّ تحصيل الحاصل محال. **(قوله: فما نفد الشراب الخ)** هذا كناية عما ناله وما لم ينله من كمالات الحق جل جلاله. **(قوله: إني إذا اطلعت الخ)** هذا من باب الجري على المعهود والمألوف، والمعنى أنَّ العبد إذا تجرد عن الحظوظ العاجلة والآجلة منحه الحق تعالى مقام محبته والله أعلم.
(قوله: ورؤيت بخط الأُستاذ أبي علي الخ) أقول: ويشير إلى ذلك قول الشيخ الأكبر:

ترفقن لا تظهرن بالنوح والبكا خفيّ صباباتي ومكنون أحزاني

حيث هو يخاطب الواردات الإلهية التي عناها في البيت قبل هذا بقوله:

ألا يا حمامات الأراكة والبان ترفقن لا تضعفن بالشجو أشجاني

فهو حينئذٍ من باب قوله تعالى في الحديث القدسي: «وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض عبدي المؤمن هو يكره الموت وأنا أكره مساءته ولا بدّ له من لقائي»[1]

---

(١) أخرجه البخاري (رقاق ٣٨) وأحمد بن حنبل (٦، ٢٥٦).

الكتب المنزلة) يا (عبدي أنا) مبتدأ (وحقك) قسم أقسم به لشدة حرمته عليه فإنَّ حرمة المؤمن عند الله عظيمة (لك محب) خبراً لمبتدأ (فبحقي) عليك (كن لي محباً) لتكمل سعادتك، وقد قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤] فما أحبوه حتى أحبهم إذ لو لم يحبهم لما خلق لهم محبته، (وقال عبد الله بن المبارك: من أعطى شيئاً من المحبة ولم يعط مثله من الخشية) أي الخوف (فهو مخدوع) لأنَّ كل نعمة لم يصحبها خوف زوالها فصاحبها معجب بها فهو مخدوع بها. (وقيل: المحبة ما يمحو أثرك) لأنَّ شدة الحب تورث السقم (وقيل: بالمحبة سكر لا يصحو صاحبه) وفي نسخة صاحبها (إلا بمشاهدة محبوبه ثم السكر الذي يحصل عند الشهود لا يوصف) لعظمه فشغلك بالله عن غيرك من المخلوقين، وأنت مدرك لسلوكك سكرة، وشغلك به عن غيره حتى نفسك سكرة أخرى أعظم من تلك، وهي محبة العارفين، وتلك محبة العابدين والزاهدين.

(وأنشدوا) في معناه (فأسكر القوم دور كأس. وكان سكري من المدير. وكان

فمن هنا يكون البكاء، وقوله: خفيّ صباباتي يريد ما تنطوي عليه ضلوعه من رقة الشوق للمنظر الآجل، وقوله: ومكنون أحزاني يريد بذلك ما يستره من ألَم الفقد عند رجوعه وانقطاع تلك الواردات عنه، والله أعلم بمراد أوليائه وأحباب ولائه.

(قوله: عبد أنا وحقك الخ) غير خاف أنَّ للحق تعالى أنْ يقسم بما شاء من خلقه كما ثبت في غير ما آية من الكتاب العزيز. (قوله: فما أحبوه الخ) أي لأنَّ علة محبة الخلق سبق عناية الحق. (قوله: ولم يُعطِ مثله من الخشية الخ) أي ويشهد لذلك علم الفروع حيث ذكر فيه أنَّه يطلب الخوف في حال صحة الإنسان والرجاء في حال المرض، فالكامل من كان يتقلب بين الخوف والرجاء بموافقة المتابعة بأنْ يستعمل كلاً فيما طلب له مع عدم الإفراط والتفريط. (قوله: وقيل: المحبة ما يمحو أثرك) أي أثر جسمانيتك وطبيعتك كالعادات والمألوفات إذا علمت ذلك رأيت ما في الشارح من القصور في التعليل إلا أنْ يقال: إنَّ تحول الجسم بمفارقة المألوفات أيضاً تأمل. (قوله: فأسكر القوم الخ) أي سكر القوم إنما كان من إدارة الكأس لأجل بقية بقيت لنفوسهم وقفوا معها، وكان سكري وغيبتي من نفس المدير استغراقاً في شهوده مع الفناء عما سواه، هذا، وما ألطف قول الشيخ الأكبر متغزلاً وهو يقصد الحقائق الإلهية قدس الله سره:

ومن أعجب الأشياء ظبي مبرقع   يشير بعناب ويومي بأجفان
ومرعاه ما بين الترائب والحشا   ويا عجباً من روضة وسط نيران

فهو يريد لطيفة إلهية محجوبة بحال نفسية من أحوال العارفين المجهولة، ويعني بقوله: ومرعاه الخ ما حشى به باطنه من الحلم والإيمان ثم أخذ يتعجب من محب أحرقته

الأستاذ أبو علي ينشد كثيراً: لي سكرتان) مر بيانهما آنفاً (**وللندمان بضم النون أي السكارى الداخل أنا فيهم منهما (واحدة)** نشترك فيها، وهي السكرة الأولى، وما ذكرته من أنَّ لي سكرتين (**شيء خصصت به من بينهم وحدي**) وهذا بحسب ما قام عنده، (**وقال ابن عطاء: المحبة إقامة العتاب**) أي الاعتذار لله تعالى من التقصير مع كمال الجد والتشمير (**على الدوام، وكان للأُستاذ أبي عليّ رحمه الله جارية تسمى فيروز وكان يحبها إذ كانت قد خدمته كثيراً فسمعته يقول: كانت فيروز تؤذيني يوماً وتستطيل عليّ**) فيه (**بلسانها فقال**) لها (**أبو الحسن القاري: لم تؤذين هذا الشيخ فقالت: لأني أحبه**) فيه دلالة على أنَّ المحب يتحمل من محبوبه كل ما يرد عليه منه وإنْ كان في بعضه أذيته لكونه يدل عليه فينكر عليه ما لا يصلح أنْ يقع منه، (**وقال يحيى بن معاذ: مثقال خردلة من الحب أحب إليّ من عبادة سبعين سنة بلا حب**) لأنَّ كل عبادة تجري من المحب تكون على أحسن وجوهها عند محبوبه بخلاف من تعبد محمولاً بالخوف والرجاء والصبر، فتارة يغلب، وتارة يُغلب، (**وقيل: إنَّ شاباً**

نيران الاشتياق كيف لم تخرق تلك المحبة ما تحمله من العلوم والحكم التي بين ترائبه، وفي حشاه، والجواب عن التعجب المذكور أنَّه من يكون عن شيء لم يعدمه ذلك الشيء كما قيل في السمندل إنْ كان حقاً أنَّه حيوان فافهم.

(**قوله: لي سكرتان الخ**) تقدم بيانهما بمحبة العارفين ومحبة العابدين والزاهدين. (**قوله: وللندمان**) جمع نديم، وهو من ينادمك ويشاكلك ويوافقك على ما تريد وتهوى. (**قوله: وهي السكرة الأولى**) أي وهي الحاصلة بالاشتغال بالخالق عن الخلق مع بقاء الإحساس بما للنفس في طريق السير إليه تعالى. (**قوله: وهذا بحسب ما قام عنده**) أي من أنَّه لم يصل أحد إلى ما وصل إليه.

(**قوله: المحبة إقامة العتاب الخ**) أقول: هذا من ثمرات المحبة لا نفس المحبة كما لا يخفى على حاذق. (**قوله: فقالت: لأني أحبه**) لعله فقالت: لأنَّه يحبني أو يقال: كانت المحبة من الطرفين. (**قوله: يحتمل من محبوبه كل ما يرد عليه**) أي وله الإشارة بقول عارف وقته ابن الفارض قدس الله سره العزيز:

أصبحت فيك كما أمسيت مكتئباً ... ولم أقل جزعاً يا أزمة انفرجي

(**قوله: مثقال خردلة الخ**) المقصود حب الذات العلية باعتبار حقها من الجلال والجمال والكمال، وذلك لأنَّ العمل مع المحبة يدوم على أحسن الوجوه بخلافه مع غير المحبة كما لا يخفى.

(**قوله: فتارةً يغلب الخ**) أي فتارة يغلب الحاصل بسبب بقاء بعض المألوفات،

أشرف على الناس في يوم عيد وقال: من مات عشقاً) أي حُباً **(فليمت هكذا)** إذ **(لا خير في عشق بلا موت وألقى نفسه من سطح عال فوقع ميتاً)** لأنَّ من قويت محبته من محبوبه، ولم يجد وصولاً إليه هان عليه بذل نفسه فيه لكن لا يخفى أنَّ الفعل المذكور ممنوع منه، فلا فضيلة فيه، ولعل فاعل ذلك كان كافراً أو جاهلاً أو مغلوباً على عقله. **(وحُكي أنَّ بعض أهل الهند عشق جارية فرحلت الجارية فخرج الرجل في وداعها فدمعت إحدى عينيه دون الأخرى فغمض التي لم تدمع أربعاً وثمانين سنة، ولم يفتحها عقوبة لها لأنها لم تبك على فراق حبيبته)** الغرض من ذلك أنَّ العبد إذا وجد مع الله لذة ودام ذكره ومناجاته له، ثم ابتلاه ببعده وفتوره عما كان فيه، فحقه دوام البكاء والقلق، فإنْ لم تساعده نفسه على ذلك أدبها بالآداب الجائزة عقوبة لها كما فعل هذا بعينه، **(وفي معناه أنشدوا: بكت عيني غداة البين)** أي الفراق **(دمعاً. وأخرى بالبكا بخلت علينا. فعاقبت التي بخلت علينا. بأن غمضتها يوم التقينا)** وفي نسخة بعد هذا:

وجازيت التي جادت بدمع   بأنْ أقررتها بالحب عيناً

(وقال بعضهم: كنا عند ذي النون المصري فتذاكرنا المحبة فقالَ ذو النون، كفوا عن هذه المسألة لا تسمعها النفوس فتدعيها ثم أنشأ يقول: الخوف أولى

وتارة يغلبه الحامل بسطوات قوّته، فهو حينئذٍ متردّد بين الثبات وضده بخلاف من تمكنت المحبة من قلبه، وكان عمله من أجلها. **(قوله: أو مغلوباً)** أي بسبب مرض أو غلبات الحقيقة عليه فلم يحفظ فيها. **(قوله: كما فعل هذا بعينه)** أي في عشق من له شبيه، فمحبة من لا شبيه له أحق وأولى. **(قوله: بكت عيني)** أي سال دمعها، وقوله: غداة البين أي صبح يوم الفراق، وقوله: دمعاً تأكيد لقوله: بكت وأخرى أي وعيني الأُخرى بالبكاء بخلت علينا أي لم يسل دمعها، وقوله: فعاقبت التي بخلت علينا يعني بالبكاء بأنْ غمضتها يوم التقينا أي وقت ملاقاتنا منعاً لها من لذة المشاهدة تأديباً على ما جنته من بخلها بالدمع.

(قوله: بأن أقررتها) أي صيرتها قريرة مسرورة بمشاهدة محبوبها. **(قوله: فقال ذو النون: كفوا الخ)** غرضه نفعنا الله به أنَّ حقيقة المحبة مما لا تسعه العقول، وذلك لأنَّ نهايتها الاتحاد بحيث يصير المحب والمحبوب كالشيء الواحد، وله الإشارة بالخبر القدسيّ «مرضت فلم تعدني استطعمتك فلم تطعمني»[1] الحديث وخبر «كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به» الحديث حيث أشار ذلك إلى أنَّ الحق تعالى بلطفه نزل

---

(١) أخرجه مسلم (بر ٤٣).

بالمسيء. إذا تألّه) وكذا **(الحزن. والحب يجمل بالتقى. وبالنقيّ من الدرن)** أي الوسخ، **(وقال يحيى بن معاذ، من نشر المحبة عند غير آهلها فهو في دعواه)** لها **(دعيّ)** فيها لأنَّ أربابها لا يظهرون مواجيدهم إلا عند من يفهم عنهم إشارتهم لما هم فيه فينتفعون وينتفع، فمن ذكرها عند غير أهلها فهو مراء أو متشبع بما لم ينل.

(وقيل: ادعى رجل الاستهلاك في محبة شخص) شاب **(فقال له الشاب: كيف هذا)** الاستهلاك في المحبة **(وهذا أخي أحسن مني وجهاً وأتم جمالاً، فرفع الرجل رأسه يلتفت)** إلى الأخ **(وكان)** وفي نسخة وكانا **(على سطح فألقاه من السطح وقال)** منكراً عليه **(من يدعي هوانا)** أي حبنا **(لا ينظر إلى سوانا)** الغرض من ذلك أنَّ من كملت محبته لشيء قبح أن ينظر إلى غيره، فمن كملت محبته لله قبح التفاته إلى غيره، **(وكان سمنون يقدم المحبة على المعرفة)** أي على حقيقتها وهي غلبة أحوالها على العارف لكمال شغله بمعروفه، واستغراقه في مناجاته حتى يفنى عن نفسه، والمحبون يبقى معهم بقايا يتنعمون فيها بمحبوبهم **(والأكثرون يقدمون المعرفة على**

نفسه منزلة عبده لطفاً وعناية لأنّه في الحقيقة منه وإليه ألا إلى الله تصير الأمور ألا له الخلق والأمر، وله الإشارة أيضاً بقول الشاعر:

رق الزجاج وراقت الخمر ... وتشابها وتشاكل الأمر

فكأنما خمر ولا قدح ... وكأنما قدح ولا خمر

فافهم وتفهم ولا تتوهم أنَّ العبد حل في ذات الله أو الحق تعالى حل في ذات العبد بحيث صارا متحدين أي شيئاً واحداً فإنَّ هذا لا يقوله عاقل ولا يفهمه فاهم أين العدم من الوجود أين الهالك من الباقي الدائم، والله أعلم.

(قوله: الخوف أولى الخ) أي فإذا حَل الخوف والحزن قلب عبد مسيء مقصر كان أحق به، والحب يجمل بالتقى أي المداوم على اتقاء الشبهات وبالتقى أي المتخلص من الأوساخ المعنوية. **(قوله: من نشر المحبة الخ)** أي من تكلم في علوم المحبة، وذكر أحكامها وتكلم في ثمراتها، وبيان حقائقها عند غير أهلها كان كالدعيّ الذي يدعى لغير أصله.

(قوله: فقال له الشاب:) أي اختباراً لصدقه. **(قوله: فألقاه من السطح الخ)** فيه أنَّ ذلك من أكبر المعاصي. **(قوله: فمن كملت محبته)** أي وثبت قدمه في مقام أحدية الحق عز علاه. **(قوله: يقدم المحبة على المعرفة)** أقول: لعل وجهه أنَّ ذلك من الأخلاق المحمدية إذ الكمال في الصحو، وهو لا يتم إلا مع بقاء بقية يتنعم العبد بها فتأمل.

(قوله: أي على حقيقتها الخ) دفع به ما يقال: كيف تقديم المحبة على المعرفة مع

المحبة) لأنَّ العبد إنما يحب من يعرف كماله وفضله، وكل من القولين صحيح باعتبار التوجيهين لكن الأوّل أوفق بما عند محققيهم، وقد أشار الإمام القشيريّ إلى ترجنحه بقوله: **(وعند محققيهم المحبة)** هي **(استهلاك في لذة)** بالتنعم فيما بقي معهم **(والمعرفة شهود في حيرة وفناء في هيبة، وقال أبو بكر الكتانيّ جرت مسألة في المحبة بمكة أيام الموسم فتكلم الشيوخ بها وكان الجنيد أصغرهم سناً فقالوا له هات ما عندك يا عراقي فأطرق رأسه ودمعت عيناه ثم قال:)** المحب **(عبد ذاهب عن نفسه)** إلى ربه **(متصل بذكر ربه قائم بأداء حقوقه ناظر إليه بقلبه)** قد **(أحرق قلبه أنوار**

أنَّ المعرفة من أعظم أسبابها، فلا تتحقق المحبة بدون المعرفة، والجواب أنَّ الكلام في الحقائق الكاملة. **(قوله لأنَّ العبد إنما يحب من يعرف الخ)** محصله أنَّ تقديم المعرفة على المحبة من حيث أنها السبب والباعث عليها. **(قوله: استهلاك في لذة)** أي وهذا حال أرباب الصحو، وقوله، والمعرفة شهود في حيرة أي وهو من حال أرباب المحو وأرباب الصحو أكمل من أرباب المحو فتدبر والله أعلم.

(قوله: فأطرق رأسه الخ) لعل ذلك منه لملاحظة خطر هذا المقام، وأنَّه ربما جرى على لسانه ما لم ينله بقلبه فيكون حظه الأقوال المجردة عن الأحوال، وهو من نعت المبعدين وصفة المنافقين، ولهذا تراه رضي الله تعالى عنه قد نطق بالحكم واللطائف.

(قوله: قال: المحب عبد ذاهب الخ) محصله أنَّ المحب إنسان قد تحلى بنعت العبودية، وتخلى عن العادات البشرية، ثم اتصل بدوام الذكر لمن وجب له خالص الشكر، فقام بأداء الحق مصحوباً بمراقبات الصدى حتى اشتعلت نار الأشواق بقلبه فأحرقت منه ما سوى حق ربه فشرب بكأس شراب المحبين فسكر بتجلي الحق المبين، فصار لا يفوه إلا بالله، ولا يتكلم إلا من الله، ولا يعوّل إلا على الله، فجميع حركاته وسكناته بالله إعانة ومن الله توفيقاً ولله إخلاصاً، ومع الله مراقبة، هذا معنى إشارته بفائق عبارته رضي الله تعالى عنه وعنا به.

(قوله: عبد ذاهب عن نفسه) أي مفارق لها باعتبار عاداتها ومألوفاتها، وقوله: إلى ربه أي إلى ما يقربه من رضاه وإحسانه، وقوله: متصل بذكر ربه أي دائم الاشتغال به بلسانه وقلبه، وقوله: قائم بحقوقه أي بما طلب منه وجوباً وندباً وما هو الأولى في حقه، وقوله: ناظر إليه بقلبه أي مراقبه في جميع حركاته وسكناته، وقوله: قد أحرق قلبه أنوار هو فيه أي بعد أنْ تفرق في ميادين مظاهر الأسماء والصفات اجتمع بواسطة إشراف نور الذات، والمراد بإحراق القلب قوّة البواعث على الفناء في محبة هوية الذات، وقوله: وصفا شربه أي راق نصيبه وحظه من كدورات البشرية، وقوله: كأس وده أي المبتدأ ذلك الصفا من محبته الأكيدة.

هويته) أي ذاته **(وصفي شربه من كأس وده)** أي حبه **(وانكشف له الجبار)** تعالى **(من أستار غيبه)** فالمحبة استفراغ الجهد في العمل إلى أنْ يحصل الأمل ويغيب العبد في مذكوره حتى عن نفسه **(فإنْ تكلم فبالله، وإنْ نطق فمن الله، وإنْ تحرك فبأمر الله)** أي إرادته **(وإنْ سكن فمع الله فهو بالله)** ومن الله **(ولله ومع الله فبكى الشيوخ)** من كلامه **(وقالوا: ما على هذا مزيد جبرك الله يا تاج العارفين)** لقبوه بذلك لما جرى على لسانه من حقائق المحبة والمعرفة وإماراتهما، **(وقيل: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام يا داود إني حرمت على القلوب أنْ يدخلها حبي وحب غيري)** فالمحبة الكاملة لله تعالى أنْ لا يبقى في القلب ذكر لغيره. **(أخبرنا حمزة بن يوسف السهمي قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن القاسم قال: حدثنا هميم بن همام قال: حدثنا إبراهيم بن الحارث قال: حدثني عبد الرحمن بن عفان قال: حدثني محمد بن أيوب قال: حدثني أبو العباس خادم الفضيل بن عياض قال: احتبس بول الفضيل)** بن عياض **(فرفع يديه)** إلى السماء **(وقال: اللهم بحبي لك إلا أطلقته عني)** قال: **(فما برحنا)** أي زلنا **(حتى شفي)** استجاب الله دعاءه حيث تفضل عليه بإطلاق بوله كما تفضل عليه بما وهبه من محبته العظمى.

(وقيل: المحبة الإيثار) أي إيثار المحبوب على النفس **(كامرأة العزيز)** واسمها

(قوله: وانكشف له الجبار الخ) أي على معنى أنّه قد أُزيل عنه ما كان حاجباً له عن شهود جلال الله سبحانه وتعالى، فالحجاب إنما هو بالنسبة للعبد وتعالى الرب عن أنْ يحجبه شيء. **(قوله: إني حرمت على القلوب الخ)** لعل المراد قلوب الكمل من عباد الله أو المعنى أنَّ المحرم حب الغير من حيث ذاته بدون ملاحظة حق الحق من ذلك الغير، وإلا فهو ممدوح كما يشير إليه قول بعضهم:

ما أو مض برق لا ولا فاح خزام ... إلا وأهاج لي إلى الحبيب غرام

والحاصل أنَّ من ادعى محبة الله، وفي قلبه ميل إلى ما سواه تعالى لم تكمل له المحبة والله أعلم. **(قوله: وقال: اللهم بحبي لك الخ)** أقول: لعل ذلك صدر منه تلذذاً بذكر الله تعالى لا افتخاراً بشاهد ميل النفس الأمارة، واعلم أنَّ محبة الحق تعالى هي السبب في محبة الخلق كما يشير إليه قوله عز سلطانه ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، ويحتمل أنَّ قوله: اللهم بحبي لك الخ صدر منه لغرض تقوية قلوب المريدين بإشارة الحق وإمارة الصدق ليدوم انتفاعهم ويخلص اتباعهم.

(قوله: وقيل: المحبة الإيثار) أي من علامة قوّة المحبة وتمكنها من قلب المحب الإيثار بأن يقدم حق المحبوب على نفسه وما لها من الحظوظ، وذلك مثل ما وقع لامرأة العزيز مع الصديق عليه السلام. **(قوله: كامرأة العزيز الخ)** أي وكذلك كل محب إذا

زليخا (لما تناهت في أمرها) أي حبها ليوسف عليه السلام أَقرت بالذنب وأضافته إلى نفسها حيث (قالت: أنا راودته عن نفسه) أي طلبت منه أنْ يواقعني (وإنَّه لمن الصادقين وفي الابتداء) أي ابتداء حبها له (قالت: ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم فوركت الذنب في الابتداء عليه) أي نسبته إليه (وفي الانتهاء نادت على نفسها بالخيانة) وبرأته منها. (سمعت الأُستاذ أبا عليّ) الدقاق (يقول ذلك، وحُكي عن أبي سعيد الخراز أنه قال: رأيتُ النبي ﷺ في المنام) وكان يحب الله ورسوله لكن محبته لله أكثر (فقلت: يا رسول الله اعذرني فإنَّ محبة الله) تعالى (شغلتني عن محبتك فقال) لي: «(يا مبارك من أحب الله فقد أحبني) لأن من أحب محبوباً وكمل حبه له أحب من أَحبه المحبوب، فلو كمل نظرك لأحببتني أشد المحبة لأني حبيب المحبوب» ولفظة يا مبارك تستعمل في حق من قصر نظره بعض القصور (وقيل: قالت رابعة) العدوية (في مناجاتها) لربها: (إلهي تحرق بالنار قلباً يحبك، فهتف بها هاتف ما كنا نفعل هكذا) بمن يحبنا (فلا تظني بنا ظن السوء) في ذلك تنبيه على حسن الظن بالله فإنَّه لا يخلف الميعاد، ولو أَراد بالمحب العذاب لما خلق له

تناهي في المحبة وفنيت نفسه فيها يشاهد حينئذ أنَّه لم يقم بحقها، ولم يوفِ بأحوال صدقها فينادي من بيده الأَمر كله إهد قلبي ولا تضله فتجاب نفسه السنية ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [الفجر: ٢٨].

(قوله: لما تناهت في أمرها الخ) أي فالمحب إذا تناهى في محبته ووصل إلى غاية درجته شهد على نفسه بالتقصير لما يشاهد من سابق عناية الملك القدير، وغاية التدبير في هذا المقام الخطير أنْ يصير على وعده، وأنْ يتبرأ من عمله وكسبه. (قوله: فقال: يا مبارك الخ) محصله أنَّ من ادّعى محبة الحق تعالى والاشتغال بها عن محبة رسوله ﷺ فدعواه من الزور وأحواله من الغرور كيف ومحبة الله السبب فيها معرفته، وهي لا تكون بدون واسطته كما يصرح به قوله جل وعز ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]. (قوله: لأني حبيب المحبوب) أي والسبب الأعظم في محبة كل محب لله تعالى.

(قوله: تحرق بالنار الخ) هو على حذف همزة الاستفهام كما هو ظاهر. (قوله: فهتف بها هاتف) أي من واردات أنوار المحبوب وإشارات من هو المقصود والمطلوب. (قوله: على حسن الظن بالله) أي على طلب تحسين الظن بالله تعالى.

(قوله: على حسن الظن بالله الخ) أي ويدل له خبر «أنا عند ظن عبدي بي»[1]

---

(١) أخرجه البخاري (توحيد ١٥، ٣٥) ومسلم (توبة ١) (ذكر ٣، ١٩) والترمذي (زهد ٥١) (دعوات ١٣١) وابن ماجه (أدب ٥٨) والدارمي (رقاق ٢٢) وأحمد بن حنبل (٢، ٢٥١، ٣٥١، ٣٩١، ٤١٣، ٤٤٥، ٤٨٠، ٤٨٢، ٥١٦، ٥١٧، ٥٢٤، ٥٣٤، ٥٣٩، ٣، ٢١٠، ٢٧٧، ٤٩١، ٤، ١٠٦).

المحبة (**وقيل: الحب حرفان حاء وباء والإشارة فيه أنَّ من أحب**) الله (**فليخرج عن روحه وبدنه وكالإجماع**) أي والأقوال الحاصلة (**من إطلاقات القوم**) كالإجماع أي تقارب الإجماع على (**أنَّ المحبة هي الموافقة**) منك للمحبوب على ما طلبه منك (**وأشد الموافقات الموافقة بالقلب**) لأنَّ موافقته سبب لموافقته الجوارح فإنَّه إذا صلح صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله (**والمحبة توجب انتفاء المباينة**) بين المحب والمحبوب ومن لازمها ملازمة ذكر المحبوب وقلة الغفلة عنه (**فإنَّ المحب أبداً مع محبوبه**) كما أنَّ محبوبه معه الدال عليه آية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ [النحل: ١٢٨] (**وبذلك ورد الخبر**) الآتي وخبر: «أنت مع من أحببت»، (**حدثنا الإمام أبو بكر بن فورك رحمه الله قال: حدثنا القاضي أحمد محمود بن خرزاذ قال: حدثنا الحسين بن حماد بن فضالة قال: حدثنا يحيى بن حبيب قال: حدثنا مرحوم بن عبد العزيز عن سفيان الثوريّ عن الأعمش عن أبي وائل عن أبي موسى الأشعري أنَّ النبي ﷺ قيل له: الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم**) أي في العمل (**فقال: «المرء مع من أحب» سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلميّ رحمه الله يقول: سمعت عبد الله الرازيّ**)

الحديث. (**قوله: ولو أراد الخ**) فيه بشرى بأنَّ المحبة من أسباب النجاة، وهو كذلك. (**قوله: والإشارة فيه الخ**) من ذلك تعلم وجه تفضيل العابد الذي يتشوق في عبادته لأجر ولا يخاف من عقاب بل عبادته تقع لكمال الله تعالى وانفراده في الوجود على من وقف مع الحظوظ الآجلة، وذلك لأنَّ العابد للخوف والرجاء قد عرف الله تعالى ببعض النعوت والتجليات والأسماء، والعابد للذات قد عرفها بكل إسم وكل صفة وكل تجلٍّ والله أعلم. (**قوله: والإشارة فيه الخ**) أي فالحاء من الروح والباء من البدن، وحينئذ فلا تتم المحبة لعبد حتى يذلهما في محبته تعالى. (**قوله: إن المحبة هي الموافقة**) أي بشاهد أنها تقتضي الإيثار للمحبوب وحقه على المحب وحقه. (**قوله: والمحبة توجب انتفاء المباينة**) أقول: ما ألطفها عبارة ولكن لا غرابة فقد قال بعضهم: غواص الفكر يغوص في بحر القلب يستخرج درر المعاني فينقلها إلى ساحل الصدر فينادي عليها سمسار اللسان فتشترى بنفائس أثمان حسن الطاعة في بيوت أذن الله أنْ ترفع ويذكر فيها اسمه فافهم.

(**قوله: توجب انتفاء المباينة**) أي الحاصلة بنوع الغفلات عن مرادات المحبوب. (**قوله: فإنَّ المحب أبداً مع محبوبه**) أي معه بالقلب لأنَّ صحة الأعمال وقبولها منوط بالنيات وإخلاصها كما يدل له خبر «إنما الأعمال بالنيات» فلا بد حينئذ من مراقبة المحبوب وحقه بالقلب لتصح الأعمال وتقبل.

(**قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾** [النحل: ١٢٨]) أي معهم بالحفظ والإعانة والنصر. (**قوله: فقال: المرء مع من أحب**) أي وإنْ لم يعمل بعملهم كما هو الظاهر من لفظ الخبر

يقول: سمعت أبا عثمان الحيريّ يقول: سمعت أبا حفص يقول: أكثر فساد الأحوال من ثلاثة فسق العارفين وخيانة المحبين وكذب المريدين، قال أبو عثمان) في تفسير ذلك: (فسق العارفين إطلاق الطرف) أي التفات البصر (واللسان والسمع إلى أسباب الدنيا ومنافعها، وخيانة المحبين اختيار هواهم على رضا الله تعالى فيما يستقبلهم) من الأفعال (وكذب المريدين أنْ يكون ذكر الخلق ورؤيتهم تغلب عليهم على ذكر الله تعالى ورؤيته، وسمعته) أيضاً (يقول: سمعت أبا بكر الرازيّ يقول: سمعت أبا القاسم الجوهريّ يقول: سمعت أبا عليّ ممشاد بن سعيد العكبريّ يقول: راود خطاف) وهو ما يسمى عصفور الجنة (خطافة) أي طلب منها أنْ يواقعها (في قبة سليمان عليه السلام فامتنعت عليه فقال لها) وسليمان يسمعه: (تتمنعين عليّ و) أنا (إنْ شئت قلبت القبة على سليمان فدعاه سليمان عليه السلام وقال له: ما حملك على ما قلت:) مع ما فيه من قلة الأدب(فقال) له: (يا نبي الله إنَّ العشاق لا يؤاخذون بأقوالهم) لكثرة خطاياهم فيها (فقال) له: وكان يعرف منطق الطير بنص القرآن كما مرّ: (صدقت) وهذا النوع قد يقع من بعض المحبين، ويسمى الشطح فلا يؤاخذون به ولا يعدلهم مقاماً ولا حالاً.

الشريف ومن سياقه أيضاً، ويحتمل أنَّ المعنى أنَّ المحبة توجب الموافقة فدعواها بدون موافقة دعوى بدون دليل. (قوله: أكثر فساد الأحوال من ثلاثة الخ) أقول: وسبب الجميع عمي البصيرة قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦] فالمعنى الحقيقي الضار في الدنيا والآخرة عمى القلوب عما يعود على العبد من الخير والشر، أو المعنى فإنها لا تعمي الأبصار عن درك الحقائق إذ هي ليس محلاً لإدراكها، ولكن العمى عمى القلوب عن ذلك لأنها محل إدراكها، قال الشاذليّ رضي الله تعالى عنه: عمى البصيرة في ثلاثة أشياء: إرسال الجوارح في معاصي الله تعالى، والتضييع لطاعة الله، والطمع في خلق الله، فمن ادّعى البصيرة مع واحدة من هذه الثلاثة فقلبه هدف الظنون والوساوس.

(قوله: فسق العارفين إطلاق الطرف) المراد بذلك الالتفات إلى غير الله، ولو لحظة، ويشهد لذلك أنَّ مقام العرفان فوق مقام العبادة والزهد والورع، فإذا أطلق العارف طرفه على معنى ما قدمنا فقد سقط عن مقامه. (قوله: اختيار هواهم الخ) أي وذلك لأنَّ مقام المحبة يوجب الموافقة بل يقتضي الإيثار كما مر غير مرة.

(قوله: فقال: يا نبي الله إنَّ العشاق لا يؤاخذون الخ) أي لأنهم قد تغلبهم غلبات أحوال المحبة، فهم مكرهون غير مختارين على أنَّ المحب شأنه أنْ يحب المحبوب لا يرى إلا محاسنة فافهم.

(قوله: ولا يعدلهم مقاماً ولا حالاً) أي لأنَّ المقامات والأحوال لا تعتبر إلا بشاهد المتابعة وحكم الشرع.

باب الشوق

سيأتي بيانه وهو ممدوح ومطلوب. **(قال الله عز وجل:** ﴿كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍ﴾ [العنكبوت: ٥]) إذ الرجاء يتضمن الاهتمام والارتياح إلى المرجو. **(أخبرنا عليّ بن أحمد بن عبدان الأهوازي رحمه الله قال: أخبرنا أحمد بن البصريّ قال: أخبرنا ابن أبي قماش قال: أخبرنا إسماعيل بن زرارة عن حماد بن زيد قال: أخبرنا عطاء بن السائب عن أبيه قال: صلى بنا عمار بن ياسر)** رضي الله عنه **(صلاة فأوجز)** أي خفف **(فيها فقلت: خففت)** في صلاتك يا **(أبا اليقظان فقال: وما عليّ من ذلك)** أي لا يضرني تخفيفها **(ولقد دعوت الله تعالى بدعوات سمعتها من رسول**

باب الشوق

أقول: الشوق يتلو المحبة لأنّه من ثمرتها ونتائجها، فهي أصله وهو فرعها، ينشأ عنها فهي أفضل منه مقاماً بهذا الاعتبار، وحقيقته نيران تستولي على القلوب فتحرقها، ولهب يتزايد على الأكباد فيقطعها، ولا دواء له إلا لقاء المحبوب، وجمع القلب والهمة على المقصود والمطلوب، وله الإشارة بقول عارف وقته وسلطان أهل عرفانه ابن الفارض قدّس الله سره:

إلى كم أواخي الستر ها قد هتكته ... وحل أواخي الحجب لي عقد بيعتي

وبقول قدوة المحبين وإمام العارفين ابن أبي الوفا قدّس الله سره:

رفعكم ستري قد ألبسني ... حلة التمزيق بين البشر
عشت فإنْ لا أرى غيركم ... في أمان من جميع الغير
لست عن خلع عذاري فيكم ... يا ملاح الحي بالمستتر
حسنكم صيرني في حبكم ... مستهاماً ليس بالمستتر

(قوله: من كان يرجو لقاء الله) أي يؤمله ويجزم به ويعمل له فإنّ أجل الله لآت أي آت بالقضاء الحق والوعد الصدق. **(قوله: إذ الرجاء يتضمن الاهتياج الخ)** أفاد الشارح أنّ إيراد الآية الكريمة للاستئناس بها على أنّ الشوق إلى الله تعالى ممدوح ومطلوب باعتبار اندراج معناه في الرجاء وذلك واضح.

(قوله: فقال: وما عليّ من ذلك) أي وقد انجبر التخفيف بما دعوت الله به من

الله ﷺ فلما قام تبعه رجل من القوم فسأله عن الدعوات فقال) له: هي (اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيراً ليَ وتوفني ما) وفي نسخة إذا (علمت الوفاة خيراً لي اللهم إني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة) أي الحضور (وأسألك القصد) أي التوسط (في الغنى والفقر وأسألك بما لا ينفد) أي لا يفنى (و) أسألك (قرة عين لا تنقطع وأسألك الرضا بعد القضاء) أي الابتلاء (و) أسألك (برد العيش بعد الموت، وأسألك النظر إلى وجهك و) أسألك (شوقاً إلى لقائك في غير ضراء مضرة) بالإِضافة وضم الميم ولا فتنة مضلة كما وجد في نسخة (اللهم زينا بزينة الإيمان اللهم اجعلنا هداة مهتدين. قال الأستاذ) القشيريّ: (الشوق اهتياج) وفي نسخة ارتياح (القلوب إلى لقاء المحبوب وعلى قدر المحبة يكون الشوق) لأنّه ثمرتها، ويؤخذ من كلامه أنّ الله تعالى لا يوصف بالشوق وإنْ وصف بالمحبة وهو

الدعوات المأثورة عن فخر الكائنات، وتاج عز النبوّات والرسالات ﷺ.

(قوله: اللهم) أي يا الله بعلمك الغيب أي علمك ما غاب عنا علمه وقدرتك على الخلق أي اقتدارك عليهم أحيني الخ فيه تفويض له تعالى حيث هو الأعلم بدواء السقام، اللهم إني أسألك خشيتك أي الخوف منك في الغيب والشهادة أي في حالة غفلتي وحالة مراقبتي وحضوري إذ لا يخلو البشر عن تقصير، وأسألك كلمة الحق أي التوفيق للنطق بها، والعمل عليها في حالة الرضا وفي حالة الغضب حتى لا أتعدى حدودك وأسألك القصد أي التوسط بلا إسراف ولا تقتير في حالة الغنى وفي حالة الفقر، وأسألك تعميماً أي تنعماً لا ينفد أي بدخول الجنة مع السابقين، وأسألك قرّة عين أي سرورها الذي لا ينقطع ولا يبلى، وأسألك الرضا أي التسليم وعدم القلق والشكوى بعد القضاء الحق وأسألك برد العيش أي المعيشة بعد الموت، وأسألك النظر إلى وجهك أي التهيؤ لأسباب مشاهدة ذاتك على الوجه الذي يليق بك، وأسألك شوقاً أي اهتياجاً إلى لقائك أي إلى ما يرضيك عني عند اللقاء في غير ضراء مضرة أي الحاصلة من عذاب القبر وما بعده من البرازخ، اللهم زينا بزينة الإيمان أي وفقنا للتصديق بجميع ما جاء على ألسنة رسلك حتى يتزين بذلك ظاهرنا بالأعمال وباطننا بالأنوار اللهم اجعلنا هداة لغيرنا مهتدين في أنفسنا.

(قوله: الشوق اهتياج) أي وسببه ثوران نيران محبة لقاء المحبوب الذي ينشأ عنه الاهتياج والقلق، وعدم السكون حتى يلقى حبيبه، ويشفى غليله بشهود جماله ومطالعة أنواره.

(قوله: وعلى قدر المحبة يكون الشوق) اعلم هداك الله أنَّ هذه الطائفة السادة لما أريد بهم التخصيص وسبقت لهم بالتقدير السعادة أسكن الله في قلوبهم المنورة نار الإرادة، فاحترقوا شوقاً إلى أوطان القرب، وتمزقوا في الهوى وخرجوا عن العادة فرفضوا الحظوظ، وهجروا المنام، وجانبوا الكلام، وزهدوا في الكائنات، وهم متفاوتون في حرارة نار الشوق، فمنهم من أقلقته لذعة الهوى، وأزعجته لوعة الجوى، فليس له قرار

كذلك كما مر بيانه. (**سمعت الأُستاذ أبا عليّ الدقاق رحمه الله يفرق بين الشوق والاشتياق، ويقول: الشوق يسكن باللقاء والرؤية**) للمشتاق إليه (**والاشتياق لا يزول باللقاء**) له (**وفي معناه أنشدوا: ما يرجع الطرف عنه عند رؤيته. حتى يعود إليه الطرف مشتاقاً**) فذو الاشتياق لا تكفيه الرؤية واللقاء مرة واحدة بخلاف الشوق. (**سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت النصر أباذي يقول: للخلق كلهم مقام الشوق**) يناله كثير من السالكين (**وليس له مقام الاشتياق ومن دخل في حال الاشتياق هام فيه حتى لا يرى له أثر ولا قرار**) لاشتغاله عن نفسه بالكلية بما هو مستغرق فيه من صفات الله العظيمة كالكمال والجلال، (**وقيل: جاء أحمد بن حامد الأسود إلى عبد الله بن منازل وقال**) له: (**رأيت في المنام أنك تموت إلى**) يعني بعد مدة (**سنة فلو استعددت للخروج**) من الدنيا إلى الآخرة في هذه المدة لكان خيراً لك. (**فقال**) له (**عبد الله بن منازل: أجلتنا إلى أمد بعيد أأعيش أنا إلى سنة**) أشار

بل هو هائم في البراريّ والقفار، ومنهم من سكن الخربات بقلب عامر، ومنهم من جاور بقلب حي الموتى في المقابر إلى غير ذلك من الأحوال على حسب مجاري الأفضال رضي الله تعالى عنهم ورضوا عنه.

(**قوله: وهو كذلك كما مر بيانه**) أي لعدم الإذن فيه مع ما فيه من الإبهام. (**قوله: والاشتياق لا يزول باللقاء**) أي لأنَّ صاحبه دائماً في ظمأ لا يروى. (**قوله: ما يرجع الطرف الخ**) محصله أنَّ المحبة لا تجامع مللاً ولا سآمة. (**قوله: مرة واحدة**) أي بل هو من لا يقنع بالتكرار.

(**قوله: للخلق كلهم الخ**) مراده بالكل الأكثر كما ذكره الشارح. (**قوله: وليس لهم مقام الاشتياق**) أي بل هو للعارفين منهم. (**قوله: هام فيه الخ**) أي هام هياماً حسن لديه فيه انخلاعه عن المألوف والمعتاد وحبب إليه فيه الوحدة والانفراد، ولذلك قيل: التهتك للعاشقين أفضل من تنسك الناسكين، وكشف النقاب أشهى للمشتاق من لبس الثياب، ولله درّ من قال:

ألا فاسقني خمراً وقل لي هي الخمر ... ولا تسقني سراً إذا أمكن الجهر
وبح باسم من أهوى ودعني من الكنى ... فلا خير في اللذات من دونها ستر

(**قوله: فقال له عبد الله: الخ**) اعلم أنَّك إنْ وجدت مشام روح الأُنس قد هب عليها من رياض ربيع الكرم عند ذكر الحبيب الأعظم، فهو من جناب الأبد يذكرك إلتزام شرط بيعه المحبة فيحرك شمائل العهد القديم فتضرم في سويداء القلب نار أسف المهجور لوحشة الانقطاع، وتتوقد في صميم السر جمرة حرقة المحجوب بفرقة المحبوب فينادي لسان هيمان وجد فاقد الأحبة:

بذلك إلى محبته للقاء الله، وأنّه مشتاق إليه، والمشتاق لا يحتمل طول الأجل ثم قال له أيضاً: (**لقد كان لي أُنس**) وراحة (**بهذا البيت الذي سمعته من هذا الثقفي يعني أبا علي رحمه الله وهو: يا من شكى شوقه من طول فرقته. اصبر لعلك تلقى من تحب غداً**) بموتك فيه وإنما أنس به لما فيه من ذكر الغد المنبىء عن قرب موته المحصل لمطلوبه، وفيه إشارة إلى أنّه كان شديد الشوق إلى لقاء الله تعالى بسرعة مجيء الموت الذي يلقى به من هو مشتاق إليه (**وقال أبو عثمان: علامة الشوق حب الموت مع الراحة**) الحاصلة بتوالي النعم الدنيوية والأخروية، فلا يسكن إلى شيء منها بل يكون قلبه مشتاقاً إلى لقاء ربه، أما حب الموت مع التعب والضر المنهي عنه في خبر «لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به»[1] فليس هو لمحبة لقاء الله بل هوَ للراحة مما هو فيه من البلاء.

(**وقال يحيى بن معاذ: علامة الشوق فطام الجوارح عن الشهوات**) بأنْ يعرض العبد عنها شوقاً إلى ربه كما يعرض الطفل عن اللبن حين يطيب له الطعام ويشتاق إليه. (**سمعت الأستاذ أبا علي**) الدقاق (**يقول: خرج داود عليه السلام يوماً إلى بعض الصحاري منفرداً**) عن الخلق (**فأوحى الله إليه ما لي أراك يا داود وحدانياً فقال: إلهي**)

على مثل ليلى يقتل المرء نفسه ويحلو له مر المنايا ويعذب

هذا ما أشار إليه وعوّل بما ذكره عليه فافهم.

(**قوله: فقال له عبد الله: الخ**) فيه دلالة على كماله وقوّة رجائه في جميل فعل الحق لمن أحسن ظنه به فتأمل. (**قوله: يا من شكى شوقه**) أي شكى سبب اشتياقه من فراق أَحبته، وقوله: اصبر أي احبس نفسك على الرضا بما يجريه الحق تعالى من أَحكامه التي لا تخلو عن حكمة لعل صبرك يثمر لك أنْ تلقى أحبتك عن قريب من الزمان. (**قوله: علامة الشوق حب الموت**) أي حب ما يسهل سبيله من أعمال البر والخير وإنْ نفر بحسب طبعه من نفس الموت، فالمراد عدم النفرة من الموت باعتبار تهيؤه إلى لقاء ربه بدوام جده في طاعة مولاه. (**قوله: مع الراحة الخ**) أفاد بهذا القيد أنّ محل النهي عن تمني الموت الوارد في الخبر الشريف فيما إذا كان مع غير الراحة بل مع التعب والضرر كما أشار إليه الشارح نفعنا الله به، ومحله أيضاً إذا لم يكن لخوف فتنة دينية أما له فلا كراهة فيه.

(**قوله: الشوق فطام الجوارح**) أي لأنّ المحبة تستدعي الموافقة للحبيب والشوق أَقوى في هذا منها والله أعلم. (**قوله: فأوحى الله إليه الخ**) محصله أنّ اشتغال العبد

---

(١) أخرجه ابن عدي في (الكامل في الضعفاء ٦/ ٢٣٦٠).

قد (**استأثر الشوق إلى لقائك على قلبي حال بيني وبين صحبة الخلق فأوحى الله سبحانه إليه إرجع إليهم فإنك إن أتيتني بعيد**) منهم (**آبق أثبتك في اللوح المحفوظ جهبذاً**) أي نقاداً عارفاً بالجيد والرديء، وفي نسخة شهيداً وأشار بذلك إلى أنَّ من كملت قوّته ومحبته لله لزهادته في الدنيا فالأولى له الرجوع إلى الخلق، فإنَّه ينفعهم ولا يتضرر بهم في آخرته، فلا يليق به الهروب منهم وبذلك كان العلماء ورثة الأنبياء وخلفاء الله في أرضه لأنهم وسايط بينه وبين عباده، ومن كان ضعيفاً فالهرب والشغل بما كلفه به ربه أولى به (**وقيل: كانت عجوز قدم بعض أقاربها من السفر، وأظهر قومها السرور**) بقدومه (**والعجوز تبكي فقيل لها: ما يبكيك فقالت: ذكرني قدوم الفتى**) باختلاف أحوال الناس بسبب قدومه (**يوم القدوم**) أي قدومهم(**على الله**) واختلافهم في أحوالهم من مسرور ومحزون، ومناسبة ذكر هذه الحكاية في هذا الباب أنَّ إظهار سرور المذكورين لقدوم هذا المسافر يدل على شوقهم إلى لقائه، (**وسئل ابن عطاء عن الشوق فقال:**) هو (**احتراق الأحشاء**) جمع حشا وهو ما انضمت عليه الضلوع (**وتلهب القلوب وتقطع الأكباد**) من المشتاق على المشتاق إليه

الكامل بإرشاد الغير أفضل من تبتله في العبادة، ويشهد له خبر «لأنْ يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»[1]. (**قوله: فالأولى له الرجوع إلى الخلق**) أي لأجل التخلق بالأخلاق المحمدية والعادات الأحمدية. (**قوله: بذلك**) أي بالرجوع إلى الخلق لهدايتهم ودلالتهم كان العلماء ورثة الأنبياء أي نوابه في مثل هذا العمل والله أعلم.

(**قوله: ومن كان ضعيفاً الخ**) أي وعليه تُحمل أحاديث إيثار العزلة. (**قوله: فقال: هو احتراق الأحشاء الخ**) أقول: وسبب ذلك الهبة الأصلية والعناية الأزلية فهو بهذا الاعتبار غير مكتسب لتقدمه في التقدير والعلم القديم بالحكمة الباهرة قبل تجلي أخذ الميثاق إذ العاشق والمشتاق كان موجوداً باعتبار تعلق العلم الأزليّ قبل بروزه منه إلى اللوح المحفوظ وعالم المقال وعالم الخلق الجديد، فإنَّ الأشياء بأسرها كانت غيباً ثم برزت إلى غيب شهادي ثم إلى شهادة شهادية فبروزها إلى اللوح غيب نهادي لأنَّه غيب باعتبار ثم بروزها منه إلى عالم المثال شهادة باعتبار وغيبة باعتبار حتى ينتهي إلى عالم الشهادة والخلق الجديد فعالم الأمر هو الوجود في الغيب وتعينه فيه، ومنه إلى اللوح، ومنه إلى المثال، ومنه إلى الخلق الجديد فافهم ولا تقلد من لا يعلم.

(**قوله: هو احتراق**) أي تلهب أي بزيادة نيران المحبة، وقوله: وتقطع الأكباد أي

---

(١) أخرجه البخاري (جهاد ١٠٢) وأبو داود (وتر ١) (علم ١٠) والترمذي (وتر ١) وابن ماجه (إقامة ١١٤) والدارمي (صلاة ٢٠٨).

لشدة التفاته (وسُئل) أيضاً (**الشوق أعلى أم المحبة فقال: المحبة لأنَّ الشوق منها يتولد**) وهذا يختلف باختلاف المقصد، فمن نظر إلى أنّها سببه فاعتنى بها لتحصيله جعلها أعلى، ومن نظر إلى أنّه يتلوها ويترتب عليها قرباً إلى الله تعالى جعله أعلى فالأفضلية في حق الطالب إنما تكون بالنسبة إلى مقصوده.

(**وقال بعضهم: الشوق لهيب ينشأ بين أثناء الحشا يسنح**) أي يظهر (**عن الفرقة**) بين المشتاق والمشتاق إليه (**فإذا وقع اللقاء**) بينهما (**طفيء**) اللهيب (**وإذا كان الغالب على الأسرار مشاهدة المحبوب لم يطرقها الشوق**) لأنّه إنما يكون لغائب كما ذكره بقوله: (**وقيل لبعضهم: هل تشتاق**) إلى الله (**فقال: لا إنما الشوق إلى غائب وهو**) تعالى (**حاضر**) هذه طريقة رفيعة، وأصلها جمع الهم على الله ودوام الإقبال عليه وهو أنْ تعبد الله كأنّك تراه، فهو بذلك حاضر معه، ولا يمكنه الشوق إلى حاصل نعم إذا كان في درجة وفوقها أعلى منها أمكن الشوق إلى المقام الأعلى (**سمعت الأستاذ أبا علي**) الدقاق (**رحمه الله يقول: في قوله تعالى: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾**)[طه: ٨٤] أي زيادة على رضاك (**قال:**) زائد (**معناه**) عجلت إليك (**شوقاً**)

تفتتها وذوبانها بهذه النيران. (**قوله: وسُئل أيضاً**) محصله قولان لكل منهما وجه عند قائله، فمن ذهب إلى أنّ المحبة أصل والشوق فرع قال: إنَّ المحبة أفضل، ومن نظر إلى أنَّ الشوق يتلوها وفوقها في الدرجة قال: إنَّ الشوق أفضل، فلكل وجهة هو موليها والله أعلم.

(**قوله: الشوق لهيب ينشأ الخ**) أقول: منه يعلم أنَّ الشوق لا يكون إلا لمن شاهد المحبوب ثم ثبت له حجاب وأنّه لا يكون لمن دام له الشهود ولم يذق طعم الغفلة، وهو كذلك إذ مثله يتنزه عن الأشواق لأنّه دائماً في حظائر التلاقِ. (**قوله: فقال: لا إنما الشوق الخ**) اعلم أنَّ مثل هذا المقام حجابه فساد القلوب من حب الدنيا، وفساد النية من الحرص والطمع واتباع الهوى، وفساد الأرواح من حب البقاء وطول الأمل فلهذا يجب الزهد في النفس لأنّها محل العلل، وذلك يحصل بقتل النفس بسيف الصدق وطرحها في قبر الانقطاع ودفنها في أرض ترك التدبير وتلقي ما يرد من القضاء بالرضا والتسليم والأنس بخير الله والسكون إلى حكمة الله وبالله تعالى التوفيق.

(**قوله: وهو أنْ تعبد الله الخ**) أي وهو مقام الإحسان المشار إليه في الخبر الوارد فيه. (**قوله: وعجلت إليك رب لترضى**) الغرض منه إفادة أنَّ عجلته لأمر مرضيّ له تعالى بمسارعته لأمر ربه واعتنائه بالوفاء بعهده، وزيادة رب لمزيد الضراعة والإبتهال رغبة في قبول عذره الذي تقدمت إشارته إليه بقوله: ﴿قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي﴾ [طه: ٨٤] يعني أنهم معي وإنما سبقتهم بخطا يسيره ظننت أنّها لا تخل بالمعية ولا تقدح في الاستصحاب

وفي نسخة شوق (**إليك فستره**) أي الشوق (**بلفظ الرضا**) المؤوّل بما ذكر، (**وسمعته**) أيضاً (**يقول: من علامات الشوق تمني الموت على بساط العوافي**) جمع عافية هذا كقول أبي عثمان فيما مر حب الموت مع الراحة، وتقدم بيانه ومثل ذلك بقوله: (**كيوسف عليه السلام لما ألقي في الجب لم يقل: توفني ولما أدخل السجن لم يقل: توفني**) أي لما ابتلي برمي إخوته له في الجب وبيعهم له، وما جرى له مع امرأة العزيز وإدخاله السجن وطول مكثه فيه وغيرها لم يتغير ولم يتمن الموت مع هذه الشدائد (**ولما دخل عليه أبواه وخرّ الأخوة له سجداً**) واعترفوا بخطئهم وعجزهم وقالوا له: جئناك ﴿بِبِضَٰعَةٍ مُّزۡجَىٰةٍ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ﴾ [يوسف: ٨٨] (**وتم له الملك والنعم قال: توفني مُسلماً**) وألحقني بالصالحين لارتفاع همته إلى الله تعالى واشتياقه إلى لقائه بما ناله من ذلك.

حيث ذلك مما لا يعتد به فيما بين الرفقة أصلاً مجيباً به عن قوله عز علاه ﴿۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٨٣] مع أمرك باستصحاب قومك. (**قوله: أي زيادة على رضاك**) أي وإلا فهو تعالى راض عنه من قبل. (**قوله: تمنى الموت على بساط العوافي**) أي لا للراحة مم نزل من الأسقام والأمراض وطوارق الفتن والمعنى الاستعداد لذلك بالموافقات والمتابعات والجد في الطاعات حتى بواسطة التمكن من ذلك كله لا يبعد أنْ يتمنى الموت وإلا فتمنيه بالفعل لغير خوف فتنة مكروه بحكم الشرع والله أعلم. (**قوله: لم يتيغر ولم يتمن الموت الخ**) أي لأن مقام الصبر من جملة مقاماته وكسوة الرضا من محاسن عاداته عليه الصلاة والسلام. (**قوله: وتم له الملك الخ**) أي حيث فهم من ذلك قرب الرحيل ولذلك قيل:

إذا تم شيء بدا نقصه ... توقع زوالاً إذا قيل تم

(**قوله: لارتفاع همته الخ**) إشارة مع رقة العبارة وهي قال معشوق الأرواح ومحبوب القلوب وغاية آمال الطالبين مشيراً إلى صفوته من خلقه: فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أي حيث كانوا نياماً في مراقد العدم رقوداً في مهود الغيوب فئة في كهوف الكرم فاستخرج ذرات ذواتهم سابك القدر من أجزاء الطين وأذهب غشها بنار الاصطفاء ونقش عليها صانع المواهب سطر يحبهم وقال عنهم وهم في طيّ العدم ويحبونه فهذا حديث منطق الطير لا يفهمه إلا سليم الذوق، أقول في توضيحه وبيان مكنونه والله الهادي إلى الحق والمؤيد بالصدق يعني أنّهم بعدما كانوا رقوداً تحت ظلال شجر كن قد نبههم مؤذن القدر بهبوب نسيم فيكون فأشرقت ظلمة الدنيا بأضواء شموع وجودهم وسكنت نفوسهم قصور الصور فاختلط صفاؤها بكدر ظلمة العنصرية، وحلت الأرواح محل الغريب من البلد فاشتاقت إلى ما أشرقت به من جنات القدم وحنت إلى ما أنست به من مواطن

(وفي معناه أنشد بعضهم: نحن في أكمل السرور ولكن. ليس إلا بكم يتم السرور. عيب ما نحن فيه) أي عيب حالنا هذه **(يا أهل ودي)** أي حبي **(إنكم غيب ونحن حضور)** فلو حضرتم معنا انتفى العيب، **(وفي معناه)** أيضاً **(أنشدوا: من سره العيد الجديد تم سروره واكتفى به، وأما أنا فقد عدمت به)** أي فيه **(السرورا)** وإنما **(كان السرور يتم لي. لو كان أحبائي حضورا، وقال: ابن خفيف: الشوق ارتياح القلب بالوجد ومحبة اللقاء)** لله **(بالقرب)** منه وبذلك يقوى اشتغالهم بربهم وبما يجريه على قلوبهم حتى يشتغلوا عن أنفسهم، **(و)** لذلك **(قال أبو يزيد)** البسطامي: **(إنَّ لله تعالى عباداً لو حجبهم في الجنة عن رؤيته لاستغاثوا من الجنة كما يستغيث**

القدس وطال عليها التنقل في الفوق والتحت فأصبحت ذرات ذواتهم هباءً طائراً في فضاء الغرام، فلما خرجوا إلى سعة ميدان القرب ألبست يد العناية كلا منهم ما قدر له من خلع الحب وعقد لخواصهم في خلوّة الأُنس ألوية يحبهم ويحبونه، ونصب لقدومهم أسرة العز على ساحل بحر، وسارعوا وأمر كاتب ديوان الأزل أنْ يسجل لهم سجل السعادة الكبرى، ويجعل ختم كتابه والله يدعو إلى دار السلام وعنوان خطابه فاتبعوني يحببكم الله ويبعثه مع بريد على جواد قد جاءكم من الله نور فيا هذا سرير الأسرار ينصب في سرادقات الأطوار الطينية، وهي تلحظ بعيون اليقين نقطة التوحيد، وهي قاعدة بناء الوجود هو الأوّل والآخر والظاهر والباطن إنْ كنت معنا تمعنا، وإنْ لم تكن معنا فدعنا أو سلم الأمر تسلم، والرب بالحال أعلم.

(قوله: نحن في أكمل السرور الخ) أي فمراده التحدث بنعم الله تعالى عليه حيث أقامه في أداء ما طلب منه من أمر الدين غير أنّه أشار إلى أنّ سروره لم يتم إلا بحضوره وعدم غفلته في أحوال عبادته حضوراً ومراقبة لم يكن معهما غفلة ولا فترة، وذلك غير واقع له بسبب ما يغلب عليه من أحوال البشرية التي قلّ أنْ يخلو عنها أحد مع أنَّ حق عبادة الحق أنْ تقع مع الاستغراق وعدم الالتفات إلى السوى في وقت ما من الأوقات والله أعلم.

(قوله: عيب ما نحن فيه) أي من النقص الذي نحن متلبسون به في أنواع العبادة وفنون الطاعة يا أهل ودّي أي يا أصحاب محبتي الخالصة عن غالب الكدورات البشرية انكم غيب عن لحظ قلبي دائماً بل حضوركم في وقت دون وقت وفي حال دون حال، ونحن حضور على معنى أننا قائمون بخدمتكم التي لم تكمل لنا بالمراقبة لكم الدائمة.
(قوله: من سره العيد الخ) معناه قريب مما قبله فلا داعي إلى تكرار الكلام فيه.

(قوله: ولذلك قال أبو يزيد الخ) اعلم وفقني الله تعالى وإياك أنَّ المحبة والشوق إنما هما لأرباب التجلي الظاهري وأهل التجلي الباطني، وأهل مقام جمع الجمع بينهما

أهل النار من النار) لشدة تألمهم بذلك (أخبرنا محمد بن عبد الله الصوفيّ رحمه الله قال: حدثنا أبو العباس الهاشمي بالبيضاء قال: حدثنا محمد بن عبد الله الخزاعي قال: حدثنا عبد الله الأنصاريّ قال: سمعت الحسين الأنصاريّ يقول: رأيت في النوم كأن القيامة قد قامت وشخص قائم تحت العرش فيقول الحق سبحانه يا ملائكتي من هذا) القائم (فقالوا: الله أعلم فقال: هذا معروف الكرخي سكر من حي) لشدة شوقه إليّ (فلا يفيق) من سكرته (إلا بلقائي، وفي بعض الحكايات في مثل هذا المنام أنَّه قيل: هذا معروف الكرخيّ خرج من الدنيا مشتاقاً إلى الله تعالى فأباح الله تعالى له النظر إليه، وقال فارس: قلوب المشتاقين) إلى الله (منوّرة بنور الله تعالى فإذا تحرّك اشتياقهم) إليه (أضاء النور ما) زائدة (بين السماء والأرض فيعرضهم الله على الملائكة فيقول) لهم: (هؤلاء المشتاقون إليّ أشهدكم أني إليهم أشوق) أي أحب لما مر أنه تعالى لا يوصف بالمشوق فوصفه به هنا مجاز على سبيل المشاكلة. (سمعت الأستاذ أبا عليّ) الدقاق (رحمه الله يقول: في قوله ﷺ: «أسألك الشوق إلى لقائك»[1] قال)

في مقام قاب قوسين فيكون حجاباً على الذات أما صاحب مقام أحدية الجمع أو أدنى والمراقبة الأدنى فيرى عين الذات أما الأوّل فبحكم فأحببت أنْ أعرف، وأما الثاني فبحكم كان الله ولا شيء معه يقول بلسان الترجمان: فارقت الحب الذي هو صفة وحجاب لتحقيقي بالحب الذاتي، قلت: فعلى هذا كليات المعارج ثلاثة: الأوّل من ظاهر الوجود، والثاني من قيد روحية الروح وخلقتها إلى إطلاق باطن الوجود، والثالث من قند كثرة حكم الظهور والبطون إلى إطلاق جمع الهوية بينهما المعبر عنه بمقام قاب قوسين، ومقام أو أدنى فافهم ولا تعول على من لم يعلم والله أعلم.

(قوله: إنّ لله تعالى عباداً الخ) أي عباداً قد أخلصوا له المحبة واستغرقوا فيها ولم يلتفتوا إلى الغير أصلاً والله أعلم. (قوله: لاستغاثوا الخ) أي لأنَّ غاية مطلوبهم مشاهدة الذات العلية راضية عنهم. (قوله: سكر من حبي) أي غاب عن سائر الكائنات من أجل استغراقه في محبتي. (قوله: فلا يفيق الخ) أي لأنَّ لقاء الله ومشاهدته غاية مقصده ونهاية مأربه رضي الله عنه. (قوله: فأباح الخ) أي جزاء وفاقاً لأنَّ حق المحب أنّه يحب ويبلغ مقام المحبوبين. (قوله: منوّرة) أي بالنور المعنويّ، وقوله: بنور الله أي الحاصل في معرفة الله تعالى الشبيهة بالنور المحسوس.

(قوله: أضاء النور الخ) أي بحيث لو خرج ذلك النور وتكون لأضاء الخ. (قوله: فيعرضهم الله) أي وذلك لإظهار شرفهم في الملأ الأعلى. (قوله: أشهدكم أني الخ)

---

(١) أخرجه النسائي (سهو ٦٢) وأحمد بن حنبل (٤، ٢٦٤، ٥، ١٩١).

زائد **(كان الشوق مائة جزء)** منها **(تسعة وتسعون له)** ﷺ (و) الباقي جزء متفرق في الناس لأنه صلى الله عليه وسلم أكمل الناس محبة وشوقاً لله **(فأراد أن يكون ذلك الجزء)** أيضاً **(له فغار أن تكون شظية)** أي فلقة **(من الشوق لغيره)** لعدم صلاحية غيره لنيل كمال الشوق. **(وقيل: شوق أهل القرب أتم من شوق المحجوب عنه، فإنه إذا فتح الله عليه بشيء منه قنع به (ولهذا قيل: وأبرح)** أي أشق**(ما يكون الشوق يوماً. إذا دنت الخيام من الخيام)** بخلاف ما إذ بعدت **(وقيل: إنَّ المشتاقين يتحسسون حلاوة الموت عند وروده لما قد كشف لهم من روح الوصول)** بفتح الراء أي راحته **(أحلى من الشهد)** لأنَّ العبد إذا كمل اشتياقه للقاء ربه لم يقم لاشتياقه شيء، ويؤيده خبر «لا يجد الشهيد من ألم القتل في سبيل الله إلا كما يجد من القرصة»[1] فإنَّه لما كمل شوقه من الحب للقاء حبه لم يجد من السيف ألماً **(سمعت محمد بن الحسين رحمه**

المراد المجازاة بأفضل مما يجازي به غيرهم ممن لم يبلغ مقامهم. **(قوله: تسعة وتسعون له الخ)** أي وهكذا يكون شربه ﷺ في كل مقام على أنَّ التعبير بمثل ذلك في حقه ﷺ لأجل التقريب للعقول، وإلا فلا يعلم ما منحه ﷺ غير من أعطاه وأرباب الهمم العالية إنما تدرك من ذلك على حسب استعدادها والله أعلم.

(قوله: وقيل: شوق أهل العرب أتم) أي ولهذا قيل: إنَّ من ذاق عرف، ومن وصل إلى البحر اغترف وقد قيل:

لا يعلم الشوق إلا من يكابده ... ولا الصبابة إلا من يعانيها

(قوله: إذا دنت الخيام الخ) وذلك لأنَّ المشتاق يزداد ظمأ وعطشاً بالقرب من المحبوب حيث لا يقنع بشيء منه ولا باللقاء والله أعلم. **(قوله: يتحسون حلاوة الموت)** التحسي هو الشرب بجمع الكف، ويحتمل أنَّ المراد به حقيقة الموت كما مشى عليه الشارح، ويحتمل أنَّ المراد به موت النفس الحيوانية الشهوانية، والخروج من قيد العادات إلى فضاء المعارف والمشاهدات إذ في ذلك وصولهم إلى الشهود، بعد انقطاعهم عن المعهود. **(قوله: أحلى من الشهد الخ)** التعبير به للتقريب بالمألوفات وإلا فلا نسبة ولا مناسبة.

(قوله: لم يجد من السيف ألماً) أي وذلك لأجل استغراقه في بحور أشواقه. **(قوله الشوق أجل مقام للعارف)** أي لأنه يتلو المحبة إذا تمكنت من قلب المحب، فهو به يخرج عن اللذة المقيدة بقيد التركيب إلى فضاء الإدراك، فيكون حينئذ لكل عضو من كل

---

(١) أخرجه الترمذي (فضائل الجهاد ٢٥) والنسائي (جهاد ٣٥) وابن ماجه (جهاد ١٦) والدارمي (جهاد ١٦) وأحمد بن حنبل (٢، ٢٩٧).

الله يقول: سمعت عبد الله بن عليّ يقول: سمعت جعفراً يقول: سمعت الجنيد يقول: سمعت السريّ) السقطيّ (يقول: الشوق أجلّ مقامٍ للعارف) بالله (إذا تحقق وتمكن (فيه) أي غلب على قلبه وصار به حقيقة وحالاً (وإذا تحقق) وتمكن (في الشوق لهي) وفي نسخة كفى بالبناء للمفعول (عن كل شيء يشغله عمن يشتاق إليه) هذا يؤيد ما مر من أنه إذا كمل المحب في محبته وتوالت عليه ثمراتها اشتغل بمحبوبه عن غيره حتى نفسه والشوق من ثمرات المحبة، (وقال أبو عثمان الحيريّ في) تفسير(قوله عز وجل: ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍ﴾) [العنكبوت: ٥] (هذا تعريض للمشتاقين معناه أني أعلم أنّ اشتياقكم إليّ غالب وأنا أجلت للقائكم أجلاً، وعن قريب يكون وصولكم إلى من تشتاقون إليه) لأنّ كل آت قريب ولولا أنّ الله أجل للموت أجلاً لعجل للمشتاقين لقاءه، (وقيل: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام قل لشبان بني إسرائيل لم تشغلون أنفسكم بغيري وأنا مشتاق إليكم) إي محب لكم (ما هذا الجفاء) فإنّه غير لائق، (وقيل: أوحى الله) تعالى أيضاً (إلى داود عليه السلام

لذة شرب ونصيب، فلا تختص العين بلذة المرئيات، ولا الأذن بلذة المسموعات، وكله من قبيل خرق العادات. (قوله: وإذا تحقق وتمكن في الشوق لهى) أي ولذلك أشار ابن الفارض قدّس الله سره العزيز حيث هو يقول:

أممت أمامي في الحقيقة فالورى ... ورائي وكانت حيث وجهت وجهتي

أو يقول:

جمالكم نصب عيني ... إليه وجهت كلي
وسركم في ضميري ... والقلب طور التجلي

وذلك منه رضي الله تعالى عنه إشارة للاقتداء بالخليل حيث قال لجبريل: أما إليك فلا لأنه قد ترك الورى بأسره خلف ظهره فلم يقصد ويتوجه إلا إلى مولاه فقد قصر قصده عليه ورجع في كل شيء إليه والله أعلم.

(قوله: والشوق من ثمرات المحبة) أي لأنه يتلوها ويتفرع عنها وينشأ من تمكنها. (قوله: هذا تعريض الخ) أي تعريض قصد به تعليلهم وراحتهم بتقريب منتظرهم كما تعلل الوالدة ولدها ليلهو وينام والله أعلم. (قوله: لعجل للمشتاقين لقاءه) أي لراحتهم من تعب فراق محبوبهم. (قوله: لم تشغلون أنفسكم بغيري) أي سفهاً وجهلاً وغفلة عن المقصود الحق مع الاشتغال باللهو الباطل. (قوله: وأنا مشتاق إليكم) أي على معنى المحسن أو مريد الإحسان لكم والله أعلم.

(قوله: ما هذا الجفاء) أي الإعراض عن العبادة وفنون الطاعة فإنّه غير لائق أي غير

لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي إلى ترك معاصيهم لماتوا شوقاً إليّ وانقطعت أوصالهم من محبتي يا داود هذه إرادتي للمدبرين عني فكيف إرادتي للمقبلين إليّ) وفي نسخة عليّ، **(وقيل: مكتوب في التوراة شوقناكم فلم تشتاقوا وخوّفناكم فلم تخافوا، ونحنا لكم فسلم تنوحوا)** لم تختلف الشرائع في الترغيب والترهيب، ويكفي في ذلك ما في الكتاب العزيز من بيان درجات المقربين وما أعد لهم، وكيف أهلكهم في الدنيا بأنواع العذاب من الريح والصيحة والحجارة وغيرها، فكل ما يتعلق بالترغيب والترهيب مقطوع به لم تختلف فيه الشرائع، ولهذا قال تعالى في كتابه العزيز بعد ذكر الجنة والنار وأمر الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۞ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: ١٨، ١٩]. **(سمعت الأستاذ أبا عليّ)** الدقاق **(رحمه الله يقول: بكى شعيب عليه السلام حتى عمي فردّ الله بصره عليه ثم بكى حتى عمي فردّ بصره عليه، ثم بكى حتى عمي فأوحى الله تعالى إليه إنْ كان هذا البكاء لأجل الجنة فقد أبحتها لك، وإنْ كان لأجل النار فقد أجرتك منها، فقال: لا بل شوقاً إليك فأوحى الله تعالى إليه لأجل ذلك أخدمتك نبيي وكليمي)** موسى عليه

لائق في معاملة العظيم جل جلاله. **(قوله: لو يعلم المدبرون عني)** أي المعرضون عن إجابة رسلي فيما دعوتهم إليه من التوحيد والطاعة كيف انتظاري لهم أي على معنى ما أعددت لهم من الإكرام لو أقبلوا على طاعتي وعبادتي، وقوله: لماتوا شوقاً أي لأداهم علم ذلك إلى الموت المذكور. **(قوله: هذه إرادتي للمدبرين)** أي هذا ما أحبه لهم وأرضاه لهم. **(قوله: شوقناكم فلم تشتاقوا)** أي رغبناكم في محبتنا وطاعتنا وصدق الأعمال لنا بوعد الصدق وقول الحق، فلم تشتاقوا بل دمتم على النفرة والإعراض والعقوق وخوّفناكم أي بوعيدنا كذلك فلم تنتهوا بل دمتم على غفلاتكم وشهواتكم. **(قوله: ونحنا لكم)** أي خلقنا لكم أسباب النوح والبكاء على تقصيركم، فلم يقع منكم نوح ولا اتعاظ. **(قوله: من بيان درجات المقربين)** أي منازلهم الرفيعة، وقوله: وما أعدلهم أي من النعيم المقيم، وقوله: وبيان دركات العصاة أي الإشارة إلى ما ذكر من قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤] وقيل: إلى ما في التوراة جميعاً وقوله: صحف إبراهيم وموسى بدل من الصحف الأولى، وفي إبهامه ووصفها ثم بيانها وتفسيرها من الفخامة ما لا يخفى رُوي عن النبي ﷺ «من قرأ سورة الأعلى أعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف أنزل على إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد» والله أعلم.

(قوله: إنّ هذا لفي الصحف الأولى) أي فجميعه من الشرائع القديمة وقد قرّرته شريعة الخاتم ﷺ. **(قوله: لأجل ذلك أخدمتك الخ)** أي ومثل هذا لا يكون إلا من أجل عظم الشوق لأنّ فضيلة الجزاء تدل على عظم المجازي عليه. **(قوله: وإن الشوق إليه**

السلام(**عشر سنين**) في رعاية غنمك فيه دلالة على أنَّ منزلة الشوق إلى الله رفيعه وأنها لا تُعطى إلا لخواصه وأنَّ الشوق إليه بحسب المعرفة بكماله وجلاله وجماله، فإنْ عظمت المعرفة بذلك في القلب زاد فيه الألَم، وتوقد الاشتياق في محبة اللقاء (**وقيل: من اشتاق إلى الله اشتاق إليه كل شيء وفي الخبر «اشتاقت الجنة إلى ثلاثة علي وعمار وسلمان»**)[1] رضي الله عنهم لاشتياقهم إليه تعالى. (**سمعت الأستاذ أبا عليّ**) الدقاق (**رحمه الله يقول: قال بعض المشايخ: أنا أدخل السوق والأشياء**) من الفواكه وغيرها (**تشتاق إليّ وأنا عن جميعها حر**) لم يسترقني منها فلم ألتفت إليها زهداً فيها، وذلك لأنَّ من شرفه الله وعظمه عرف جميع الخلق منزلته عند ربه، شرفوه وعظموه، وتشتاق كل الأشياء إليه من خرق العوائد، وقد كان الشجر والحجر يسلمان على النبي ﷺ قبل مبعثه وحن الجذع إليه، وسبّح الحصى في كفه وكف أصحابه. (**سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلميّ رحمه الله يقول: سمعت عبد الله بن جعفر يقول: سمعت محمد بن عمر الرمليّ يقول: حدثنا محمد بن جعفر قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال: حدثنا مرحوم قال: سمعت مالك بن دينار يقول: قرأت في التوراة شوقناكم فلم تشتاقوا وزمرناكم**) أي خلقنا لكم على لسان داود عليه السلام من الأصوات الحسنة ما يحرك الجبال بل مات بوعظه للناس خلق كثير من الجن والإنس والطير والوحش (**فلم ترقصوا**) ولم تتحركوا، وحاصله أنَّ الله وعظهم وحركهم إلى الرجوع إليه، وطلب مرضاته فلم يتحركوا. (**سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول: سمعت محمد بن فرحان يقول: سمعت الجنيد، وقد سئل**

الخ) أي فالمعرفة سبب في المحبة، والمحبة سبب في الشوق والله أعلم.

(**قوله: اشتاق إليه كل شيء**) أي وذلك لأنَّ شأن المحب أنّه يحب، وإذا أحب الله عبداً خلق له المحبة عند كافة خلقه. (**قوله: إلى ثلاثة**) أقول: لعل ذلك لخصوصية علمها الشارع وإلا فهي مشتاقة إلى كمل أصحابه ﷺ ومن تبعهم بإحسان. (**قوله: وأنا عن جميعها حر**) أي لعدم تعلق قلبي بشيء غير ربي وحقه.

(**قوله: وقد كان الشجر الخ**) دليل على ما قبله أي وكلما صح أنْ يكون معجزة لنبي جاز أنْ يكون كرامة لوليّ. (**قوله: فلم ترقصوا**) أي لم ترقص أرواحكم على معنى أنها لم تتحرك شوقاً إلى الله وحقه.

(**قوله: وقد سئل الخ**) أي ولذلك قيل:

ما للنوى ذنب ومن أهوى معي

---

(١) أخرجه الترمذي (مناقب ٣٢).

من أي شيء يكون بكاء المحب إذا لقي المحبوب فقال: إنما يكون ذلك سروراً به ووجداً من شدة الشوق إليه) فالبكاء يكون عند الفرح والسرور كما يكون عند الألَم والمصائب، (ولقد بلغني أنَّ أخوين تعانقا فقال أحدهما: واشوقاه وقال الآخر: واوجداه) صرح كل منهما بما وجده من السرور بأخيه، فانطفأ باللقاء ما كان يجده الأول من الشوق، وزال به ما كان يجده الثاني من الوجد، واعلم أنَّ للشوق مراتب أولها استحسان، وينشأ عن النظر والسماع، ثم مودة وهي الميل، وينشأ عن دوام الفكر في محاسن الحبيب ثم محبة وهي ائتلاف روحان، ثم خلة وهي تمكن المحبة في القلب، ثم هوى وهو أنْ لا يخالط المحب في المحبة تغير، ولا يداخله فيها تكدر ثم عشق وهو أنْ لا يخلو فكره من تخيل المحبوب، ثم تهيم، وهو أنْ لا يوجد في قلبه متسع لغير صورته، ثم وله وهو الخروج عن الحسن فيداخله التغير في صفاته، ويعجز الأطباء عن مداواته.

(قوله: فانطفى باللقاء الخ) أي لأنَّ دوام الشوق لا يكون إلا من عدم لقاء المحبوب. (قوله: واعلم أنَّ للشوق مراتب) أي أعلى وأوسط وأدنى باعتبار انتهاء الأَمر ووسطه وأدناه. (قوله: وهي الميل) أي ميل القلب إلى المحبوب. (قوله: وينشأ عن دوام الفكر في محاسن الحبيب) أي بكثرة خطورها بفكر المحب. (قوله: وهي تمكن المحبة في القلب) أي حتى يسهل بذل النفس في مرضاة المحبوب.

(قوله: وهو أنْ لا يخلو فكره) أي وذلك لتمكن الصورة وانتقاشها في قلب المحبوب. (قوله: وهو أنْ لا يوجد في قلبه متسع) أي لامتلاء قلبه بما لمحبوبه من الحق والشواهد.

خاتمة:

نسأل الله حسنها، اعلم أنَّ من علامات المحبين رضي الله تعالى عنهم ملازمة ما عزموا على القيام به أو تركه لمحبوبهم، فما فعلوه داموا عليه، وما تركوه كذلك فهم مثابون دائماً وأبداً على كل من الفعل والترك بحسن مقاصدهم حيث كان ذلك للحق تعالى، ويشمل ذلك ترك الطيبات من الشهوات المباحة بحسب الأصل إذا كان يقصد تركها لمجاهدة النفس، والخروج عن هواها لتصير طاعة يتقرب بها إليه تعالى، فإذا أراد الكامل دوام الخير له في كامل ما يتركه يقصد بتركه التقرب إليه تعالى أما إذا تركه مع الغفلة عن ذلك فلا أجر له في الترك، والله سبحانه وتعالى أعلم.

باب حفظ قلوب المشايخ
وترك الخلاف عليهم

وذلك ممدوح ومطلوب لينتفع به تلامذتهم، ولأنَّ التقليد أمانة، فمتى خالف

باب حفظ قلوب المشايخ

اعلم أنّه الآن عمت البلوى بمخلطين يتشبهون بالمشايخ وأهل الإرادة كثرت بهم المفاسد وتبعهم زمر من العوام بواسطة عموم الجهالة، وعدم المساعدة على إحقاق الحق، وإبطال الباطل، فيلزم أننا نشير من ذلك إلى شيء يستدل به على ما عداه والله المستعان، فمنهم من يدعي الدين والصلاح وأنّه من أهل الوصول ويأتي بحكايات من تقدم من الأكابر ويطرز بها كلامه، وهو مع ذلك يشير إلى نفسه وأنَّ عنده من ذلك طرفاً، وأنّه حاصل له من ذلك حاصل، ومنهم من له قوّة على تصنيف الحكايات والمرائي التي يختلقها، ولا سيما ما ابتلي به بعضهم من دعواه رؤيا النبي ﷺ في المنام وأنّه أقبل عليه وخاطبه وأمره ونهاه بل ربما يدعي رؤيته في اليقظة مع أنَّ هذا باب ضيق، وقلّ أنْ يقع إلا لمن كان على صفة عزيز وجودها في هذا الزمان بل العدم فيه أقرب مع أني لا أنكر ذلك لبعض الأكابر الذين حفظ الله ظواهرهم وبواطنهم. قال سيدي أبو مدين رحمه الله: من مات رأى الحق ومن لم يمت لم يره، ومراده موت الحظوظ والله أعلم بالصواب، وهو المؤمل في الثواب، ومنهم من يشير إلى نفسه بالكرامات وخرق العادات وهو عري عنها بالاتصاف بضدّها، ومنهم من يدعي رؤية المشايخ ولقيهم وهو لم يجتمع بهم، ومنهم من يدعي صحبتهم والاهتداء بهديهم وهو لم يصحبهم ولا هو على طريقتهم، ومنهم من يدعي رؤية الخضر وربما يؤكد ذلك باليمين الفاجرة ليكون أدعى للقبول منه، وذلك تقول وافتعال لا أصل له مع أني لا أنكر ذلك إذا وقع من أهله من أرباب الصدق، ومنهم من يقدم قبل قوله: الاستشهاد بكتاب الله فيقول: قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: ٦٠] ثم يحلف أنّه رأى كذا وكذا والعوام والجهال عند مثل هذا التمويه يصدقونه وينزلونه المنزلة التي يدعيها، أسأل الله السلامة من ذلك بمنه وكرمه، وبالجملة فأحوالهم الرديئة لا تنحصر، وفيما وقع التنبيه به كفاية ومقنع، هذا حال المستترين منهم، والعجب ممن يعتقدهم مع ما هم عليه من مخالفة

الشرع الشريف مثل ما يفعله بعضهم من أنه يرى الناس الزهد في الدنيا حتى أنه يجلس مكشوف العورة، ومنهم من يدخل النار ولا يحترق على زعمه بمرأى من الناس، وعلى فرض أنَّ ذلك صحيح فهو بدعة ومنكر إذ من شرط المعجزة إظهارها والتحدي بها، ومن شرط الكرامة عكس ذلك. نعم قد يقع إظهار الكرامة لبعض الأكابر لضرورة شرعية دعت لذلك على أنَّ هناك أدوية إذا استعملت لا يحترق الشخص معها، فهي من قبيل السيمياء والنارنجيات كمن يظهر الكرامة بمسك الثعابين وأكلها حية، وذلك محرم وفيه ما فيه من التمويه على الأمة، ومن ذلك ما اشتهر من أمر الدوسة، والمرور على ظهور الخلق وهم نائمون على وجوههم بالخيل، فهو محرم باتفاق للخطر والبدعة، ووضع الوجه الذي هو أشرف الأعضاء على الأرض لغير أمر الله سبحانه وتعالى، فيجب على ولاة الأمور إبطال ذلك وتعزير فاعله، ومنهم من استن سنة سيئة وهي حلق اللحى لغير ضرورة شرعية، ومنهم من يفعل عكس ذلك فلا يأخذون شيئاً من شعور أبدانهم، وذلك قبيح شنيع لأنَّه يشبه فعل الرهبان، وفيه مثلة واستقذار، وقد نهينا عن ذلك كله، ومنهم من يلبس الليف والأشياء التي لا تستر عند الركوع والسجود مثل الشعر، وهو أيضاً من المثلة والبدعة وكشف العورة، وكله من المحرم، وأقبح من ذلك لبس الحديد فيتخذ سواراً في يديه، وطوقاً من حديد كالغل بل هو نفسه ويعلقون في آذانهم حلقاً من حديد، ولا خفاء في تحريم هذا كله وبدعته وشناعته وقبحه، وأنَّه لا مدخل له في الشرع الشريف، وقد ورد أنَّ الحديد حلية أهل النار، وقد ورد «من تشبه بقوم فهو منهم»[1] فيقعون في هذا الخطر العظيم بسبب الجهل والجهل بالجهل، وأشد من هذا كله أنَّ أكثرهم يدعي أنَّه على الحق، وأنَّ طريقته هي المثلى، ومنهم من تنزه عن ذلك غير أنَّه وقع في أشياء رذلة كاتخاذه العلم على رأسه مع أنَّه لا يخلو حاله من كونه ولياً لله أو لا، فإنْ كان ولياً فهو لو قدر على أنْ يدفن نفسه أو يكون أرضاً يمشي عليه لفعل، فكيف ينشر العلم على رأسه، وهو من باب الشهرة والدعوى، وأهل الإيمان برآء من ذلك، ألا ترى إلى قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لتميم الداري رضي الله عنه لما سأله أنْ يعظ الناس فقال له: أنت تريد أنْ تقول: أنا تميم الداري فاعرفوني، فكل من أراد الظهور فليس من أهل الطريق في شيء بل هو على عكس حالهم مع ما ينضم إلى الأعلام من المفاسد التي تقع من اجتماع الرجال والنساء والشبان إذا أشرفوا على بلد من البلاد، ورفعوا أصواتهم بالذكر بقصد الإعلام بورود الشيخ والفقراء الذين معه حتى تخرج أهل البلد إلى تلقيهم، وفي ذلك من مخالفة الشرع ما لا يخفى خصوصاً، وقد يضر نزوله بأهل البلد مع من معه من الفقراء

(١) أخرجه أبو داود (اللباس ٤) وأحمد بن حنبل (٢، ٥٠).

بإحضار ما لا طاقة لهم به من الأطعمة والأشربة وغيرها مما لا تسمح به أنفسهم، ومفاسد ذلك قلّ أنْ تحصر، وقد يزيد بعض المشايخ قبحاً بقوله: المال مال الله ونحن عبيد الله، فلا فرق بيننا وبين صاحب المال لأنا شركاؤه فيه، وهذا حل ونقض لعرى الشريعة المطهرة وهو بهتان عظيم، والعجب العجيب إنْ غالب المشايخ الذين يعطون العهود للمريدين لا يحسنون الوضوء، ولا الصلاة ولا غيرهما من بقية الواجبات والمندوبات مع أنَّ من لم يأتمنه الله على أدب من آداب الشريعة بعيد أن يؤتمن على سر من أسرار الله تعالى، ثم العجب من ادّعائهم المشيخة وهم لا يعرفون مبادي أمر دينهم دون أنْ يدعي أحد منهم حالاً أو مقاماً، فما بالك وبعضهم حاله غاية الجهل، وهو مع ذلك يدعي الأحوال والمقامات، ويعطي الإجازات وينصب بين يديه الأعلام والرايات، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ومن البدع ما يفعله بعضهم من تعليق السبحة في عنقه أو يشهرها في يده كما يفعله بعض فقراء هذا الزمان مع أنَّ هذه الطائفة أصل عملها على التحفظ من السيئات والهواجس والخطرات، وقد قالوا: إنَّ ترك السيئات أوجب من فعل الحسنات، ويشهد لذلك قوله ﷺ: «اتق محارم الله تكن أعبد الناس»[1] فلا حول ولا قوّة إلا بالله. هذا، واعلم أنَّ المراد بالمشايخ من رفع همته عن الخلائق وامتلأ قلبه بمشاهدة الحقائق، فإذا نظرت إليه وجدته مشغولاً بالله وإذا تكلم فإنما يدلك على الله، قال الشاذليّ: نفعنا الله به، لا تصحب من يؤثر نفسه عليك فإنّه لئيم ولا من يؤثرك على نفسه، فإنّه قلما يدوم واصحب من إذا ذكر ذكر الله وإذا رجع فإلى الله ذكره نور القلوب، ومشاهدته مفاتيح الغيوب، وقال أيضاً رحمه الله: أوصاني خليلي فقال: لا تنقل قدميك إلا حيث ترجو ثواب الله، ولا تجلس إلا حيث تأمن من معصية الله، ولا تصحب إلا من تستعين به على طاعة الله، ولا تستعطف لنفسك إلا من تزداد به يقيناً، فينبغي للمريد أنْ لا يتخذ شيخاً إلا إذا اجتمع فيه خصال إحداها علمه بما يجب لله ولرسوله من العقائد بالبراهين العقلية والسمعية حتى يقوى بذلك على إزالة التشويش، والشكوك عن المريد إذا عرض له ذلك، الثانية: أنْ يكون اعتقاده اعتقاد أهل الحق وجماعة المسلمين من أهل السنة.

الثالثة: أنْ يكون عالماً بأحكام الله المتعلقة بالقلوب والأبدان ودقائق الآفات الداخلة على العمال في الأعمال. الرابعة: أنْ يكون مستعملاً فيما يعلمه من أحكام الله تعالى قائماً بحدوده غير مخل بحق من حقوقه ولا مرتكب لشيء من مناهيه المحرمة المخلة بعدالته إذ لا بدّ من العدالة في صحة التقليد، ثم ينبغي للمريد فيمن يقلده زيادة

(١) أخرجه الترمذي (زهد ٢) وأحمد بن حنبل (٢، ٣١٠).

فيه التلميذ فقد خان، وقد (**قال الله تعالى في قصة موسى**) حكاية عنه (**مع الخضر عليهما السلام**: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦]) لا خلاف في أنّ موسى نبيّ واختلفوا في الخضر هل هو نبي أو وليّ والأكثر على أنّه نبيّ، وجزم

اعتناء بمن تمكن في المقامات مثل الورع والزهد وغير ذلك من بقية المقامات ليفيده الأَخذ عنه، واعلم أنّ أصل هذا كله أخذ أكمل الكمل ﷺ أولاً يوم قال: «لست بقارىء عن جبريل حتى رقي وارتفع إلى قاب قوسين فأخذ من تيارات زواخر بحور فأوحى إلى عبده ما أوحى»[1] وقال تعالى: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان: ١٥] وقال: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠] فليس شيخك من دعاك إلى الباب إنما شيخك من رفع بينك وبينه الحجاب، شيخك من خرج بك من سجن الهوى ودخل بك على المولى، شيخك الذي ما زال يجلو مرآة قلبك حتى تجلت فيه أنوار ربك نهض بك إلى الله حتى ألقاك بين يديه فزج بك في نور الحضره، وقال: ها أنت وربك. (**قوله: حفظ قلوب المشايخ**) أي بلزوم الأدب معهم والتسليم لما يبدو منهم، والبعد عن أسباب الاعتراض عليهم في كامل حركاتهم وسكناتهم، فإذا اختل شيء من ذلك انتفى الانتفاع بهم بل ربما يؤدّي إلى حلول الضرر، واعلم أنّ من أسباب حفظ قلوب المشايخ النظر إلى أنّهم الوسايط بين العبد وربه، فرضاهم يدل على رضاه، وسخطهم يدل على سخطه والالتفات إلى أنّ الشيخ مستغن عنه في نفسه وإنما غرضه أنّ يقربه ويدنيه إلى فضائل ربه شفقة ورحمة به، فكلما قويت معرفته بهذه الجهات جرى على موافقته، وكلما جرى على موافقته أحبه، وكلما أحبه خصه بخصائص معرفته ودقائق أسراره، وكلما خصه بذلك ترقى في درجات القرب، وحلّ بحظائر الشهود والأنس، فهذه فوائد حسن الأدب مع المشايخ الموصلين من العارفين والمحققين.

(**قوله: هل أتبعك على أنْ تعلمني الخ**) استئذان منه في اتباعه على وجه التسليم، وقوله: مما علمت رشداً أي علماً ذا رشد أرشد في ديني والرشد إصابة الخير وقرىء بفتحتين مفعول، ويجوز كونه علة لأتبعك أو مصدراً بإضمار فعله، ولا ينافي نبوته وكونه صاحب شريعة أنْ يتعلم من نبي آخر ما لا تعلق له بأحكام شريعته من أسرار العلوم الخفية، وقد راعى معه في سوق الكلام غاية التواضع، وفي صحيح البخاري قال الخضر: يا موسى إني على علم من علم الله تعالى علمنيه لا تعلمه، وأنت على علم من علم الله علمكه الله تعالى لا أعلمه، انظر بقية التفسير إنْ شئت.

(**قوله: والأكثر على أنّه نبي**) أي ومع ذلك، فموسى صلوات الله وسلامه على

---

(١) أخرجه البخاري (بدء الوحي ٣) (تفسير سورة ٩٦، ١) (تعبير ١) ومسلم (إيمان ٢٥٢) وأحمد بن حنبل (٦، ٢٣٣).

به ابن الصلاح وأقره عليه النوويّ ورجحه الجمهور، وقد سئل موسى هل على وجه الأرض أحد أعلم منك؟ فقال: لا فأوحى الله إليه بل عبدنا خضر بمجمع البحرين أعلم منك، فعزم على طلبه وقال: لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقباً أي دهراً طويلاً قيل: إنه مائة سنة فلما اجتمع به قال له: هل أتبعك إلى آخره. **(قال الإمام)** القشيريّ: **(لما أراد)** موسى **(صحبة الخضر حفظ شرط الأدب)** معه **(فاستأذن**

نبينا، وعليه أفضل منه لأنه من المرسلين أولي العزم. **(قوله: وقد سئل موسى)** أي سؤال ابتلاء لأجل زيادة تأديبه ليدوم له شهود الأدب وليزيد انتفاعه الذي تمام ترقيه به، وقوله: فقال: لا أي قاله: تحدثا بالنعمة لقوّة محبته للحق تعالى، وعظمة رجائه فيه لا افتخاراً وتيهاً وعجباً حيث هو منزه عن مثل ذلك بواسطة العصمة الواجبة في حقه.

(قوله: أعلم منك) أي بما خص به من علوم الحقائق التي لا تتوقف عليها شريعتك. **(قوله: فعزم على طلبه)** أي لزيادة رغبته في تحصيل الخيرات الدينية، وقيل: في معنى قول النبي ﷺ: «يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا»[1] إنَّ المعنى دلوهم على الله، ولا تدلوهم على غيره، وذلك ظاهر، فإنَّ من دلك على الدنيا فقد غشك، ومن دلك على الله فقد نصحك.

(قوله: وقال: لا أبرح الخ) هو من برح الناقص كزال أي أسير فحذف الخبر اعتماداً على قرينة الحال واتكالاً على ما يعقبه من قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ [الكهف: ٦٠] وهو ملتقى بحر فارس والروم مما يلي المشرق، والمعنى لا يبرح سيري حاصلاً حتى أبلغ، فيحذف المضاف ويقام المضاف إليه مقامه، فينقلب الضمير البارز المجرور المحل مرفوعاً فيتحول الكلام من صيغة الغيبة إلى التكلم، وقوله: أو أمضي حقباً أي أسير زماناً طويلاً، والحقب الدهر أو ثمانون سنة، وقيل: إنَّ موسى عليه السلام لما ظهر على بني إسرائيل واستقر بمصر بعد هلاك القبط أمره الله عز وجل أنْ يذكر قومه النعمة، فقام فيهم خطيباً بخطبة بديعة رقت لها القلوب، وذرفت لها العيون، فقالوا له: من أعلم الناس فقال: أنا فعتب الله عليه حيث لم يردّ العلم إليه عز وجل، فأوحى إليه بل أعلم منك عبد لي بمجمع البحرين، وهو الخضر عليه السلام، وكان في أيام أفريدون قبل موسى عليه السلام وكان على مقدمة ذي القرنين الأكبر، وبقي إلى أيام موسى عليه السلام.

(قوله: قال الإمام القشيري: الخ) منه يعلم أنَّ المريد لا بدّ له من شيخ كامل مرشد يقتدي بآثاره ويهتدي بهديه وأنواره، فالشيخ واسطة الخير، وحجاب الشيطان وأوليائه بل وحجاب من النار.

---

(١) أخرجه البخاري (مغازي ٦٠) (أحكام ٢٢) والدارمي (مقدمة ٢٤).

أولاً في الصحبة) له (ثم شرط عليه الخضر أنْ لا يعارضه في شيء ولا يعترض عليه في حكم) بقوله: ﴿فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٧٠]، فوافقه (ثم لما خالفه موسى عليه السلام) ثلاث مرات الأولى بقوله في نزع لوح من السفينة، ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ [الكهف: ٧١] والثانية بقوله في قتل الشاب: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ [الكهف: ٧٤]، والثالثة بقوله: في إقامة الجدار الذي أراد أنْ ينقض: ﴿لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف: ٧٧]

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥] وقال تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] وهم المشايخ الكمل، ولله درّ من قال:

وغنم مريد في انقياد لكامل ... له خبرة بالعلم والوقت والحال
هو الكنز والإكسير والكيميا لمن ... أراد وصولاً أو بغى نيل آمال

(قوله: لما أراد موسى الخ) أقول: ورُوي أنَّ الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام يا ابن عمران كن يقظاناً وارتد لنفسك إخواناً، وكل أخ أو صديق لا يوازرك على مسرتي فهو لك عدوٌ يقسي قلبك ويباعدك مني.

(قوله: أن لا يعارضه) أي على ما هو اللازم في حق من يريد الأخذ والتعلم ليتوصل إلى المقامات العلية. (قوله: فإنْ اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً) أذن له في الاتباع بعد اللتيا والتي، ثم قال له: فلا تسألني عن شيء من أفعالي أي لا تفاتحني بالسؤال عن حكمته فضلاً عن المناقشة والاعتراض حتى أحدث لك منه ذكراً أي حتى أبتدىء بيانه، وفي ذلك إيذان بأنَّ كل ما صدر عنه له حكمة وغاية حميدة البتة، وهذا من أدب المتعلم مع المعلم والتابع مع المتبوع، وقرىء فلا تسألني بالنون المثقلة. (قوله: فوافقه) أي رغبة في العلم والتعلم.

(قوله: ثم لما خالفه موسى الخ) أي ومخالفته عليه السلام غيرة منه على ما للحق تعالى من الأحكام لا لحظ نفسه على ما هو اللائق بمقامه الشريف، وذلك لأنَّ كل ذي شريعة لا صبر له على ما يخالف شريعته. (قوله: أخرقتها لتغرق أهلها) قيل خرقها بعدما لجوا حيث أخذ فأساً وقلع من ألواحها لوحين مما يلي الماء قال موسى: أخرقتها لتغرق أهلها من الإغراق، وقرىء بالتشديد من التغريق لقد جئت أتيت وفعلت شيئاً أمراً عظيماً هائلاً من أمر الأمر إذا عظم، وقوله: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ أي طاهرة من الذنوب، وقرىء زاكية بغير نفس أي بغير قتل نفس محرم قتلها، ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ قيل: معناه أنكر من الأول إذ يمكن تدارك الأول بالسد ونحوه، وقيل: الأول أعظم لأنَّ قتل نفس واحدة أهون من إغراق أهل السفينة، وقوله: ﴿لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ تحريض له على أخذ الجعل،

(تجاوز عن المرة الأولى والثانية فلما صار إلى الثالثة والثلاث آخر حدّ القلة وأول حد الكثرة سامه الفرقة) أي أولاه إياها وأرادها منه **(فقال: هذا فراق بيني وبينك)** ثم بيّن له السبب في فعله كل مرّة بقوله: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ﴾ [الكهف: ٧٩] إلى آخره، فعلم أنه لا ينبغي للتلميذ أنْ يعترض على شيخنا، فإنْ وقع في نفسه شيء فليمسك عن السؤال، فلعله يبين له بعد ذلك ما أشكل عليه، فإنْ دعته حاجة إلى معرفة ما سمع فليورد كلامه على وجه السؤال لا على وجه الاعتراض. **(أخبرنا أبو الحسين الأهوازيّ)** رحمه الله **(قال: حدثنا أحمد بن عبيد البصري قال: حدثنا أبو سالم)** وفي نسخة أبو سليم وفي أخرى أبو سلمة **(القزاز قال: حدثنا يزيد بن بيان قال: حدثنا أبو الرجال عن أنس بن مالك)** رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ:**

وتعريض بأنه فضول لما في لو من النفي لما رأى الحرمان ومساس إلحاحه واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك في الصبر واتخذ فعل من تخذ بمعنى أخذ كاتبع بمعنى تبع وقرىء لتخذت أي لأخذت، وقرىء بإدغام الذال في التاء.

(قوله: تجاوز عنه الخ) أي تخلقاً بأخلاق الله على ما جرت به عادته في عباده المقصرين حيث يديم ستره عليهم المرة بعد المرّة عسى أنْ يرجعوا ويتوبوا رأفة ورحمة. **(قوله: سامه الفرقة)** أي تأديباً له وإرشاداً إلى طرق الكمال في حق المشايخ.

(قوله: ثم بين له السبب) أي لأجل أنْ يطمئن قلبه ويسكن مما أصابه بظاهر الحال.

دقيقة:

لا يوافق المريد شيخه فيما علم تحريمه بالإجماع أو في مذهب ذلك الشيخ، فما يظهر من أخلاقهم من دخول النار بأمر المشايخ أو السفر بلا زاد ولا راحلة أو الاجتماع بنحو السباع الضارية، فذلك لعادتهم مع ربهم من كفايته لهم بوقوع الخارق لهم، فليس في ذلك من التغرير بالنفس شيء. **(قوله: بقوله: أما السفينة)** أي التي خرقها، فكانت لمساكين أي لضعفاء لا يقدرون على مدافعة الظلمة، وقيل: كانت لعشرة خمسة منهم زمنى، وخمسة يعملون في البحر، وحينئذٍ فالإسناد للتغليب وقوله: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ أي أجعلها ذات عيب، وقوله: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ﴾ أي كان أمامهم قيل: اسمه جلندي بن كركر، وقوله: يأخذ كل سفينة أي صالحة غصباً نصب على المصدر، وقوله: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ﴾ أي الذي قتله ﴿فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ لم يصرح بكفره لظهوره، وقوله: فخشينا أنْ يرهقهما أي خفنا أنْ يغشى الوالدين المؤمنين طغياناً وكفراً لتعبهما بعقوقه وسوء صنيعه، وقوله: ﴿فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ أي طهارة من الذنوب، وأقرب

«ما أكرم شاب شيخاً لسنه إلا قيض الله له من يكرمه عند) كبره (سنه»[1]) أي جاءه به حينئذ قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]. (سمعت الأستاذ

رحمة وعطفاً، قيل: ولدت لهما جارية تزوّجها نبي فولدت نبياً هدى الله على يديه أمة، وقيل: ستين نبياً، وقوله: وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين مقيمين في المدينة هي القرية المذكورة فيما سبق، وكان تحته كنز لهما أي من فضة وذهب، وكان أبوهما صالحاً أي فصلاحه عمت بركته ذريته، قيل: كان هو الأب السابع لهما، أُنظر بقية التفسير إنْ شئت.

(قوله: إلا قيض الله له الخ) أي جزاء وفاقاً، ويؤيد ذلك خبر «لا تزال أمتي بخير ما وقر صغيرهم كبيرهم».

فائدة:

إذا اتخذ المريد شيخاً له لا يخفي عنه شيئاً من أمره، فإنَّه يعامله على حسب ما يظهر منه قوّة وضعفاً لكن لا يخبره إلا بما هو محتاج إلى كشفه له بما يتعلق بأحواله إما لجهله بأحكامه أو لمعرفته بوجه الرياضة والانتقال عما يعرفه من نفسه من سيء الخصال لا ما لا حاجة له بإظهاره ليحوز أفضل أعمال البر مما الأوفق به الخفاء والسر، لأنَّ ما أمر بإظهاره هو ما احتاج إليه إلى شفاء أسقامه بمحاسن أدوائه، فما اشتهر من أنَّه لا يخفي عن شيخه شيئاً من أحواله، فهو مخصوص بما هو محتاج إلى بيانه إذ الغالب على المريد في ابتداء أمره الجهل بالأحكام وقوّة النفس والالتفات إلى الشهوات، ومألوف العادات، فمن هذه الجهة أمر بكشف أحواله حتى يتخلص من خبيث أسقامه، ثم إذا وصل المريد على يد شيخه وانتقل عن الفتور والكسل فعليه الشكر لمولاه على ما أولاه، والموافقة لشيخه في كل ما يأمره به من أمر دنياه وأخراه، فلا يخالفه فيما يأمره به من ترك مكاسبه وفيما تعلقت به نفسه من أغراضه ومآربه، وذلك لأنَّه أنظر لمصالحه من نفسه وأشفق عليه منها لأنَّ نظره بنور العلم وهو ينظر بظلمة الشهوة والجهل، ولأنَّه ينبغي له أنْ يوافقه فيما أمره به لحقه ومزيته ومراعاة حرمته، إذ كيف يليق بمن توالى عليه الإحسان من المتفضل عليه به أنْ لا يمتلىء قلبه بمحبته وتلزم عن ذلك الموافقة له حتى لو أمر بترك ما لم يمنعه الشرع لكونه غير محرم ولا مكروه، فحقه موافقته فيه امتثالاً لأمره، فإنَّ إدخال السرور على من له عليه حق من أعظم القربات والموصل لنيل أعلى المقامات، ولأنَّه ربما تألم شيخه بمخالفته، فكان سبباً لانحطاطه عن درجته والله أعلم.

(قوله: قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠] أي ما جزاء الإحسان في العمل إلا الإحسان في الثواب، فهو استئناف مقرر لمضمون ما فصل قبله.

---

(١) أخرجه الترمذي (بر ٧٥).

أبا عليّ الدقاق رحمه الله يقول: بدء كل فرقة) بينك وبين غيرك (المخالفة يعني به أنَّ من خالف شيخه لم يبق على طريقته وانقطعت العلقة بينهما وإنْ جمعتهما البقعة) لتغير قلب الشيخ عليه ونفرته عنه، ولأنه حينئذ لا يراه أهلاً للانتفاع به (فمن صحب شيخاً من الشيوخ ثم اعترض عليه) ولو (بقلبه فقد نقض عقد الصحبة) لأنّه بذلك ترك تقليد من لزمه تقليده (ووجبت عليه التوبة) من ذلك والرجوع إلى تقليد شيخه (على أنَّ الشيوخ قالوا: عقوق الأستاذين لا توبة عنها) الأولى عنه، وذلك لا بمعنى أنّه معصية لا يتوب الله على فاعلها، فإنّه يقبل التوبة عن عباده في الكفر، فما دونه، بل بمعنى أنّه لا ينبغي للشيخ أنْ يعفو عنه بل يؤدبه لأنَّ العفو عنه يجرّئه ويزيل عنه حرمة الشيخ من قبله بالكلية.

(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلميّ) رحمه الله (يقول: خرجت إلى مرو في حياة شيخي الأستاذ أبي سهل الصعلوكي وكان له قبل خروجي) إليها (أيام الجمعة بالعدوات مجلس دور) بفتح الدال، وفي نسخة درس (القرآن والختم) بأنْ يختم بجماعته ختمة ثم يبتدىء بأخرى (فوجدته عند رجوعي) منها (قد رفع ذلك المجلس وعقد لأبي الغفاني في ذلك الوقت مجلس القول) ليذكر به الناس، وربما أنشدهم فيه أشعاراً ترقق قلوبهم (فداخلني من ذلك شيء) من الاعتراض عليه (فكنت أقول في

(قوله: وكل فرقة بينك وبين غيرك المخالفة) أي كل فرقة تحصل فسببها المخالفة وذلك لكونها تؤثر انصداع القلوب الذي لا ينجبر. (قوله: لتغير قلب الشيخ عليه) أي والقلب إذا تغير يكون كالزجاج إذا انكسر قل أنْ ينجبر كسره، شعر:

إنَّ القلوب إذا تنافر ودّها ... مثل الزجاجة كسرها لا يجبر

(قوله: فقد نقض عقد الصحبة) أي حل عهدها، وقوله: ووجبت عليه التوبة أي حيث ارتكب العظيم من الذنوب في طريق السلوك والسير إلى الله تعالى.

(قوله: لا توبة عنها) لعله لا توبة جائزة بدون تأديب على الذنب الذي وقع من المريد كما هو اللائق بالرأفة من المؤمنين بعضهم مع بعض. (قوله: بل بمعنى أنّه لا ينبغي للشيخ الخ) فيه أنَّ العفو من صفات الكرم، وقد ندبه له الحق تعالى لعباده بآيات الكتاب المبين، قلت: لعل ذلك فيما إذا عادت مصلحة التأديب إلى نفس العافي، وما نحن فيه المصلحة تعود على من فعل الذنب، ويؤيد ذلك ما نص عليه في كتب الفروع من أنَّ الوالد لا ينبغي له العفو عن ولده إذا جنى ذنباً بخلاف الزوج في ذنب زوجته، والفرق عود مصلحة التأديب في الأول على الولد الجاني وفي الثاني على الزوج العافي والله أعلم.

نفسي: **قد استبدل مجلس الختم بمجلس القول فقال لي يوماً)** مكاشفة: **(يا أبا عبد الرحمن إيش يقول الناس في)** هذا ستر لحاله حيث لم يقل له: ما الذي تقوله في **(فقلت)** له: **(يقولون: رفع)** أبو سهل **(مجلس)** ختم **(القرآن ووضع مجلس القول فقال)** لي: **(من قال لأستاذه لم)** فعلت كذا ولو على وجه السؤال بلا حاجة **(لا يفلح أبداً)** فحقه الانقياد والتسليم له، ولعل أبا سهل إنما عدل عن مجلس ختم القرآن لما نقل عن الإمام مالك من أنه مكروه **(ومن المعروف أنّ الجنيد قال: دخلت على السريّ)** السقطيّ **(يوماً فأمرني شيئاً)** أي بشيء كما في نسخة أي بقضاء حاجة له **(فقضيت حاجته سريعاً، فلما رجعت إليه ناولني رقعة وقال:)** خذه **(هذا لمكان قضاء حاجتك لي)** يعني حاجتي **(سريعاً فقرأت الرقعة فإذا فيها مكتوب سمعت حادياً يحدو في البادية)** يقول: **(أبكي وهل يدرك)** يا ليلى **(ما يبكيني أبكي حذاراً)** من **(أن تفارقيني وتقطعي حبلي وتهجريني)** وفي نسخة بعد هذا: وتجعلين البعد منك دوني، جعل الرقعة جزاء السرعة في قضاء حاجته ورآها أسرع في صلاح حاله لأنّ البكاء مع الله يختلف، فقد يكون العبد بعيداً فيبكي لبعده طلباً لقربه، وقد يكون قريباً فيبكي خوفاً من إبعاده، فالسريّ علم من حال الجنيد أنّه نال من معرفة الله ومحبته حالة رفيعة، فدله على سبب حفظها وأنّه يبكي خوفاً من أنْ يبعده الله عنه، فأعطاه هذا الشعر الدال على ذلك، ولهذا أقام الله المشايخ ليداووا قلوب الطالبين، ويردوا إليه الشاردين، ومداواة كل مريد باللائق بمرضه وهو يختص به مشايخ هذ الفن فإنّهم عرفوه علماً وسلوكاً وحالاً. **(ويُحكى عن أبي الحسن الهمدانيّ العلويّ قال: كنت**

(قوله: في هذا ستر لحاله الخ) أي وذلك من الأخلاق المحمدية، والطرق الأحمدية لما ثبت من أنّه ﷺ كان إذا كره أمراً من أحد يقول: «ما بال أقوام يفعلون كذا ويقولون كذا»[1]. **(قوله: لما نقل عن الإمام مالك الخ)** أنظر وجه الكراهة عنده رضي الله تعالى عنه، ولعل وجهها ما فيه من الابتداع الذي لم يعهد في زمنه ﷺ ولا في زمن أصحابه إذ كان المعهود مدارسة القرآن من اثنين لا غير.

(قوله: لمكان قضاء الخ) أي جزاء لسرعة قضائها منك. **(قوله: فإذا فيها الخ)** لعله لكون محصل ما فيها الإشارة إلى أنّ الذي ينبغي للمحب وإنْ تمكن في مقام المحبة أنْ لا يغتر بذلك بل ينظر خوف السقوط عن مقامه حيث هو من الجائز في حقه كما أشار إليه الشارح. **(قوله: فإنّهم عرفوه)** أي فكانوا بهذا الوصف أنجع من يداوي. **(قوله: وجعلت**

---

(١) أخرجه الزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٧/ ٥٤٢) والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ٣/ ١٤٢).

ليلة عند جعفر الخلديّ) لزيارته (وكنت أمرت في بيتي أنْ يعلق طير وكان سميناً (في التنور) وجعلت تحته جذابة (وكان قلبي معه فقال لي جعفراً: قمُ عندنا الليلة) أي لمصلحة لي أولك (فتعللت بشيء) لتعلق نفسي بالطير والجذابة (ورجعت إلى منزلي فأخرج الطير) مع الجذابة (من التنور ووضع بين يدي، فدخل كلب من الباب وحمل الطير عند تغافل الحاضرين) باشتغالهم بأسباب يكمل أكلهم بها (فأتي بالجوذاب) أي الجذابة (الذي تحته، فتعلق به ذيل الغلام) لما انزعج، وتحرك في طلب الكلب (فانصب) ما كان تحت الطير (فلما أصبحت دخلت على جعفر فحين وقع بصره عليّ قال) لي مكاشفة: (من لم يحفظ قلوب المشايخ سلط عليه كلب يؤذيه) عقوبة له فينبغي تجنب مخالفتهم فقد يكون لهم مقاصد صحيحة تخفى على التلامذة، فهذا الهمدانيّ عوقب بما ذكر، فلم يأكل الطير ولا الجذابة.

(وسمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلميّ رحمه الله يقول: سمعت عبد الله بن عليّ الطوسيّ يقول: سمعت أبا عبد الله الدينوريّ يقول: سمعت الحسن الدامغانيّ يقول: سمعت عمي البسطامي يحكي عن أبيه أنَّ شقيقاً البلخي وأبا تراب النخشبي قدما على أبي يزيد) البسطاميّ لزيارته (فقدمت السفرة و) وهناك (شاب يخدم أبا يزيد فقالا له: كل معنا يا فتى) وكان صائماً نفلاً (فقال) لهما: (أنا صائم فقال) له (أبو تراب: كل ولك أجر صوم شهر فأبى فقال) له (شقيق: كل ولك أجر صوم سنة فأبى) يعني كل منهما بما قاله: إنَّ أكلك معنا وإدخالك السرور علينا أفضل من صومك (فقال) له شيخه (أبو يزيد: دعوا) أي اتركوا (من سقط من عين الله تعالى) بمخالفته قول المشايخ (فأخذ ذلك الشاب في السرقة بعد سنة وقطعت يده) عقوبة له.

(وسمعت الأُستاذ أبا عليّ) الدقاق رحمه الله (يقول: وصف سهل بن عبد الله رجلاً بالولاية) وكان (خبازاً بالبصرة فسمع رجل من أصحاب سهل بن عبد الله ذلك فاشتاق إليه فخرج إلى البصرة) لزيارته (فأتى حانوت الخباز فرآه يخبز) الخبز (وقد تنقب لمحاسنه على عادة الخبازين) فإنَّهم يتنقبون بأنْ يلقوا على وجوههم المناديل وقت خبزهم خوفاً من احتراق شعر وجهه بالنار، وتشوّه خلقه بلحوق حرارتها ووجهه حين

تحته جذابة) لعلها أشياء توضع في إناء الطبخ تجذب ما في اللحم من الدسم وتؤكل مع الطعام بعد نضجه.

(قوله: بأسباب يكمل الخ) أي كإحضار خبز ونحوه. (قوله: من لم يحفظ قلوب المشايخ الخ) أي وحفظها إنما يكون بجمع القلب على ما يشيرون به وترك حظ النفس. (قوله: فقال له شيخه الخ) لعل الأولى أنْ يقول: فقال لهما شيخه. (قوله:

يميل بشقه ليضع الخبز في جوانب التنور (**فقال في نفسه: لو كان هذا ولياً**) كما قال الشيخ: (**لم يحترق شعره**) ولم يتشوه خلقه (**بغير نقاب**) لأنّ النار لا تسلط على الأولياء (**ثم أنّه سلم عليه وسأله شيئاً**) أي مسألة من المسائل (**فقال**) له (**الرجل**) الخباز مكاشفة: (**إنك استصغرتني ولا**) الأولى فلا كما في نسخ: (**تنتفع بكلامي وأبى أن يكلمه**) عقوبة له بمخالفة شيخه فحق التلميذ تجنبها لأنّه وإنْ سلم أنَّ النار لا تسلط على الأولياء في الدنيا فلف هذا الولي وجهه بالمنديل أستر لحاله فإنّه يتعاطى الأسباب التي يتعاطاها العوام وهو عند ربه من السادة الكرام. (**سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلميّ رحمه الله يقول: سمع عبد الله الرازي أبا عثمان الحيريّ يصف محمد بن الفضل البلخيّ ويمدحه فاشتاق إليه فخرج إلى زيارته**) واجتمع به بنية الامتحان (**فلم يقع بقلبه من محمد بن الفضل ما**) كان (**اعتقده**) فيه (**فرجع إلى أبي عثمان وسأله فقال: كيف وجدته فقال**) له: (**لم أجده كما ظننته**) (**فقال**) لي: (**لأنك استصغرته وما استصغر أحد أحداً إلا حرم فائدته ارجع إليه بالحرمة**) له تنتفع به (**فرجع إليه عبد الله**) بالاحترام له (**فانتفع بزيارته**) لخبر «إنما الأعمال بالنيات» وخبر: «إنما هي أعمالكم ترد عليكم»، وقد قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] (**ومن المشهور أنّ عمر بن عثمان المكي رأى الحسين بن منصور**) الحلاج (**يكتب شيئاً فقال**) له: (**ما هذا**) الذي تكتبه (**فقال: هو ذا**) أي شيء (**أعارض**) به (**القرآن فدعا عليه وهجره**) لعظم ما سمعه منه، (**قال الشيوخ: إنَّ ما حل به بعد طول المدة كان لدعاء ذلك الشيخ عليه**) في ذلك تحذير من دعاء المشايخ وتغيير قلوبهم بما يطلعون عليه من فساد أحوال التلامذة. (**سمعت الأستاذ أبا عليّ**

فأخذ) أي شرع ذلك الشاب الخ انظر عظم الجزاء تعلم منه قوّة الذنب.

(**قوله: فقال في نفسه**) أي لسابق عدم انتفاعه به وحرمانه من ذلك، فالله تعالى يرزقنا السلامة والتسليم لما يجريه الحكيم العليم. (**قوله: ارجع إليه بالحرمة له تنتفع**) أي بشاهد خبر «لو اعتقد أحدكم في حجر لنفعه». (**قوله: لخبر «إنما الأعمال بالنيات»**) أي إنما صحتها أو كمالها على الخلاف في ذلك بين الأئمة رضي الله تعالى عنهم، وقوله: «إنما هي أعمالكم ترد عليكم» أي يرد عليكم جزاؤها وثوابها. (**قوله: وقد قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾**) [الأنعام: ١٦٠] أي فعلها فله عشر أمثالها بالنسبة للبعض، وقد يضاعف الله الثواب زيادة عما ذُكر بالنسبة للبعض الآخر.

(**قوله: فقال: هو ذا أي شيء أُعارض به القرآن**) أقول: ذلك منه وإنْ احتمل معنى صحيحاً يحمله على بيان معانيه بعد عرض ألفاظه الشريفة على ذهنه غير أنّه لبشاعة ظاهره قد دعا عليه الأُستاذ وهجره لخروجه عن طريق الأدب فعقابه وما حل به لذلك.

الدقاق رحمه الله يقول: لما نفى أهل بلخ محمد بن الفضل من البلد دعا عليهم وقال: اللهم امنعهم الصدق فلم يخرج من بلخ بعده) ولا في زمنه **(صديق)** هذا كالذي قبله مع زيادة في التحذير من تغيير قلوبهم من حيث أنّه يعذب به بعد موتهم. **(سمعت أحمد بن يحيى الأبيورديّ رحمه الله تعالى يقول: من رضي عنه شيخه لا يكافأ)** أي يجازى **(في حال حياته لئلا يزول عن قلبه تعظيم ذلك الشيخ)** فتنقص درجته باستنقاصه له لو كوفيء في حال حياة شيخه **(فإذا مات الشيخ أظهر الله عز وجل عليه ما هو جزاء رضاه)** رحمة منه تعالى بهما وحفظاً لمقاماتهما عليهما **(ومن تغير عليه قلب شيخه لا يكافأ في حال حياة ذلك الشيخ لئلا يرق له)** فيرحمه **(فإنّهم)** أي المشايخ الصوفية **(مجبولون على الكرم، فإذا مات الشيخ فحينئذٍ يجد)** تلميذه الذي تغير هو عليه **(المكافأة)** وقوله: **(بعده)** ساقط من بعض النسخ ولا حاجة إليه.

(قوله: من حيث أنه يعذب به الخ) أي لأنّ العبد المقرب إذا تبرأ من حظوظه وآثر حق الحق قام الحق عنه في كامل مراداته. **(قوله: لئلا يزول عن قلبه الخ)** أي والزوال سببه عظم ما يصل إليه في مقابلة رضا الشيخ عنه، فربما يغتر بذلك ويستنقص شيخه بجهله أنّه بسبب رضاه والله أعلم. **(قوله: رحمة منه تعالى بهما)** أي وذلك بالنسبة للشيخ لئلا يغترّ فستر ذلك عنه رحمة به وبالنسبة للتمليذ فقد تقدمت الإشارة إليه قبل. **(قوله: ولا حاجة إليه)** أي للاستغناء عنه بقوله: قيل فإذا مات الشيخ.

باب السماع

هو الانتباه بالقلب إلى ما يحمد شرعاً، ويقال غير ذلك، وسيأتي بعضه وهو

باب السماع

أي الإصغاء إلى الأصوات الحسنة المصاحبة للتلحين، وذلك يختلف حكمه باختلاف ما منه الصوت المذكور، فإنْ كان من نحو آلات كعود وقانون وغيرهما فقد وقع فيه اختلاف بين الأئمة رضي الله تعالى عنهم، والمعتمد عند إمامنا الشافعيّ رضي الله تعالى عنه تحريمه سداً للذريعة، ودرءاً للمفسدة لأنَّ شأنه استجلاب الشهوات والحظوظ النفسية وإنْ كان بدون آلات بل من إنسان، ففيه تفصيل بين الذكر والأنثى، فهو من الأنثى محرم عند خوف الفتنة وإلا فهو مكروه، ومن الذكر فإنْ كان أمرد جميلاً فحكمه حكم الأُنثى على ما تقدم فيها من التفصيل وإنْ كان غير ذلك فلا بأس به إنْ كان كسماع قرآن أو ما اشتمل على توحيد الإله وتعداد نعمه على خلقه، أو على ما يتعظ به العبد، أو على مدح نبي، أو رسول أو ولي بما يليق بكل بدون إفراط ولا تفريط لا كمثل الغزل والتشبيب الخارج عن حد الاعتدال كالمشتمل على الكذب بالمبالغات المفرطة، فمثله لا يحل سماعه، والسماع كما في نور الجنان قوّة رسبت في العصب المنفرش على سطح باطن الصماخ هي مُشعر الأصوات بتوسط الهواء، والصوت هو ما يوجد عند تموّج الهواء لقلع أَو قرع فينضغط بعنف فينتهي تموّجه إلى الهواء الراكد في الصماخ وتموّجه بشكل نفسه، فيقع على جلدة مفروشة على عصب مقعرة كمد الجلد على الطبل، فيحمل طنين، فتدركه القوة المذكورة.

واعلم أنَّه ليس المراد به عند أَهل الطريقة الغناء مع رفع الصوت إذ هو من محل الخلاف وهم لا يقدمون إلا على واجب أو مندوب، ويخرجون عن المختلف فيه، والمكروه لا سبيل إليه إذ هو عندهم كالمحرم، والحاصل أنَّ السماع عندهم لا يرجع مباحاً إلا بشروط منها أنْ يكونوا في مكان لا يطلع فيه عليهم غيرهم وأنْ يكون القوال هو الذي يمدهم يذكر لهم من درر الشعر ونحوه ما يناسب حالهم وتقوى به قلوبهم على السير إلى الله تعالى بالترقي إلى المقامات العلية والنهوض إليها، وترك التراخي والتسويف الشاغل عنها، وأنْ يكون القوال بغير أجرة وأنْ لا يكون معهم أحد من أَبناء الدنيا، وأنْ لا يكون معهم شبان، وأنْ يكون سماعهم مع السكون والأدب لا مع الحركة والرقص

ممدوح ومطلوب على ما يأتي. (قال الله عز وجل: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ﴾) [الزمر: ١٧] الذي أثنى الله عليه وأمر باستماعه والتدبر له واتباعه ﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾

وضرب الأرض بالأقدام، بإظهار التواجد ولا سيما إذا كان مثل ذلك في مسجد من المساجد، وعلى الطريقة المعلومة الآن من رفع الصوت بالألحان المهيجة للشهوات، وتمايل مثل الأمرد الجميل إذ مثل ذلك حرام باتفاق لم يقل بحله أحد إلا من ابتدع أو تزندق، وأقبح من ذلك ما جمعوه مع السماع من الدف والشبابة والتصفيق، وكونه في مسجد مع أنَّ السلف كانوا يكرهون رفع الصوت فيه ولو بذكر أو قراءة أو غيرهما، وقد نهى النبي ﷺ عن رفع الصوت بالقراءة فيه ومن ذلك ما ورد «من نشد ضالة في المسجد فقولوا: لا ردها الله عليك»[(١)]، وورد «من سأل في المسجد فاحرموه»، وروى أبو داود والترمذيّ والنسائيّ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: «أنَّ رسول الله ﷺ نهى عن الشراء والبيع في المسجد وأنْ تنشد فيه ضالة وأنْ ينشد فيه شعر»، وبعض الناس يفعلون السماع على ما هو عليه اليوم في المساجد ويرقصون فيها على حصرها الموقوفة تارةً مع الدف والشبابة، وتارةً مع الضرب بالأكف مع أنَّ إمامنا الشافعيّ رضي الله عنه سئل عن مجرّد السماع فأجاب بأنه لهو وباطل أو يشبهه وأنه مكروه، ومذهب مالك رضي الله عنه أنّه يجب على ولاة الأمر زجرهم وردعهم وإخراجهم من المساجد حتى يتوبوا ويرجعوا، ومذهب الإمام أحمد رضي الله عنه أنهم لا يصلى خلفهم ولا تقبل شهادتهم وإنْ عقد النكاح أحد منهم فعقده فاسد، ومذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه أنَّ الحصر التي يرقصون عليها لا يُصلى عليها حتى تغسل والأرض لا يُصلى عليها حتى تحفر فإياك ومعاشرة هؤلاء أو الاجتماع معهم على شيء مما تقدم ذكره والله ولي هداك.

(قوله: فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) أي وهم الموصوفون باجتناب الطاغوت البالغ أقصى غاية الطغيان، فعلوت بني للمبالغة في المصدر كالرحموت والعظموت، ثم وصف به للمبالغة في المصدر وبالإنابة إلى الله تعالى والإقبال عليه، والإعراض عما سواه، ومدار اتصافهم بهذين الوصفين الجليلين كونهم نقاداً في الدين يميزون الحق من الباطل، ويؤثرون الأفضل، فالأفضل أولئك الذين هداهم الله الإشارة إليهم باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الجليلة وما في الإشارة من معنى البعد للإيذان بعلوّ مرتبتهم وبعدها في الفضل والشرف، وأولئك هم أولوا الألباب أي أصحاب العقول السليمة عن معارضة الأوهام ومنازعة الهوى فهم المستحقون للهداية لا غيرهم، وفيه دلالة على أنَّ الهداية تحصل بفعل الله تعالى وقبول النفس لها والله أعلم.

---

(١) أخرجه الدارمي (صلاة ١١٨).

وهو ما فيه كمال فلاحهم، فكله حسن وهم يتبعون أحسنه وأحسن كل شيء ما تضمنه الكتاب العزيز (**واللام**) وفي نسخة والألف واللام (**في قوله:**) يستمعون (**القول تقتضي التعميم والاستغراق**) لإفراده مما ذكرته (**والدليل عليه أنّه مدحهم باتباع الأحسن، وقال تعالى: ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾**) [الروم: ١٥] **جاء في التفسير أنّه السماع**) المذكور، وسيأتي عن مجاهد أنّه السماع في الجنة من الحور العين وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣] والسماع على ثلاث درجات: سماع

(**قوله: الذي أثنى الله عليه**) أي في نحو القرآن الشريف كالأحاديث الصحيحة القدسية والنبوية، وكالذي استنبطه الأئمة من ذلك رضي الله تعالى عنهم.

(**قوله: والدليل عليه**) أي على التعميم والاستغراق أنّه مدحهم باتباع الأحسن أي وهو يفيد التعدد إذ لا يكون أفعل إلا بين متعدد.

(**قوله: والسماع على ثلاث درجات**) أي المشروع من السماع على ثلاث درجات، وذلك باختلاف حال السامع واعلم هداني الله وإياك أنّه ليس المراد به السماع مع الرقص الذي يسمونه الآن ذكراً والتواجد مع ذلك الناشىء عن حظوظ وشهوات دنيئة شيطانية، واعلم أيضاً أنّ أول من أحدث الرقص أصحاب السامريّ لما اتخذ لهم عجلاً جسّد إله خوار فقاموا يرقصون حواليه ويتواجدون، فهو دين الكفار وعباد العجل تبعهم فيه من أضله الله من أهل هذه الأزمنة، وقد سُئل مالك عما يترخص فيه أهل المدينة من الغناء فقال: إنما يفعله عندنا الفساق ونهى عن الغناء واستماعه، وأبو حنيفة يكره الغناء ويجعله من الذنوب، وكل ذلك مذهب أهل الكوفة سفيان وحماد وإبراهيم والشعبي لا اختلاف بينهم في ذلك، والشافعي يقول: إنّه مكروه يشبه الباطل فهذا كما ترى مذهب الجماعة، وقد قال ﷺ: «من فارق الجماعة مات ميتة جاهلية»[1] هذه الطائفة الزاعمة أنّها صوفية ومن الفقراء الفاعلون ما يخالف السلف قد فارقوا جماعة المسلمين لأنّهم قد جعلوا الغناء ديناً وطاعة ورأت إعلانه في المساجد والجوامع مع ما انضم إليه من الرقص والتمايل مع أنّ الأولى بهم الاحتياط، فإنّهم يتلبسون بالدين، ويدعون الورع والزهد حتى يوافق بواطنهم ظواهرهم قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [لقمان: ٦] الآية، قال الحسن ومجاهد والنخعي: هو الغناء، وقال ابن مسعود، لهو الحديث الغناء والسماع، وقوله تعالى: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾ [الإسراء:

---

(١) أخرجه البخاري (فتن ٢) ومسلم (إمارة ٥٣، ٥٤، ٥٥) وأبو داود (سنة ٢٧) والترمذي (أدب ٢٨) والنسائي (تحريم ٦، ٢٨) وأحمد بن حنبل (٢، ١٣٢، ٢٩٦، ٣٠٦، ٤٨٨، ٣، ٤٤٥، ٤٤٦، ٥، ١٨٠، ٣٨٧).

العامة أي عامة المريدين، وسماع الخاصة، وسماع خاصة الخاصة، فسماع

٦٤] قال مجاهد: بالغناء والمزامير وأجلب عليهم بخيلك ورجلك قال: أكثر المفسرين كل راكب وماش في معصية الله فهو خيل إبليس ورجله، وشاركهم في الأموال والأولاد، قال قوم: كل مال أصيب من حرام وأنفق في حرام، وقيل: مشاركته لنا في الأموال والأولاد ما يزينه لنا من الأيمان ثم الحنث فيها فنطأ الفروج بعد الحنث ونكتسب الأموال بالإيمان الكاذبة، وقال ﷺ: «لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا التجارة فيهن»[١] رواه الترمذي وزاد «ولا تعلموهن وأكل أثمانهن حرام»، وروى أبو هريرة أنه ﷺ قال: «يمسخ قوم من أمتي آخر الزمان قردة وخنازير قالوا: يا رسول الله أمسلمون هم؟ قال: نعم يشهدون أنَّ لا إله إلا الله وأني رسول الله ويصومون قالوا: فما بالهم يا رسول الله؟ قال: اتخذوا المعازف والقينات والدفوف وشربوا هذه الأشربة فيأتوا على شرابهم فأصبحوا قد مسخوا»[٢]، وقال الحسن رحمه الله: ليس الدف من سنة المسلمين، ورُوي عن عبد الله بن عمرو قال: سأل إنسان القاسم بن محمد عن الغناء فقال: أنهاك عنه وأكرهه لك قال: أحرام هو قال: أتظن يا ابن أخي إذا ميَّز الله بين الحق والباطل من أيهما يكون الغناء، وقال الشعبيّ: لعن الله المغني والمغنى له، وقال الحكم بن عيينة رحمه الله: حب السماع يورث النفاق في القلب كما ينبت العشب على الماء، وقال الفضيل بن عياض: الغناء رقية الشيطان، وقال الضحاك: الغناء مفسدة للقلب مسخطة للرب، وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى مؤدّب ولده ليكن أوّل ما يعتقدون من ذلك بغضهم الملاهي التي بدوّها من الشيطان وعاقبتها سخط الرحمن الخ، وقال المحاسبيّ: الغناء حرام كالميتة والكلام في ذلك يطول، والله ولي السول.

فائدة:

احتج بعض الناس على إباحة الغناء بقوله ﷺ في حديث عائشة لأبي بكر في شأن الجاريتين المغنيتين عند عائشة يوم العيد لما انتهرهما «دعهما يا أبا بكر فإنَّ لكل قوم عيداً وهذا عيدنا» والجواب عن ذلك أنَّ المراد بالغناء في الحديث المذكور معناه اللغويّ الذي هو رفع الصوت بإنشاد الشعر، ونحن لا نذم ذلك ولا نحرمه وإنما الذي يصيره مذموماً تلحينه حتى يطرب، ويريح القلب بالشهوة الطبيعية، وليس كل من رفع صوته بالشعر لحن وألذ وأطرب فافهم.

تنبيه:

وإنَّ قال قائل: نحن لا نسمع بالطبع بل بالحق فنسمع بالله وفي الله لا بحظوظ

---

(١) أخرجه ابن ماجه (تجارات ١١).

(٢) أخرجه السيوطي في (الدر المنثور ٢/ ٣٢٤).

العامة يحصل من دواعي الأَعمال كالرجاء والخوف، ورؤية النعم، وسماع الخاصة من طروق الأَحوال لهم، وسماع خاصة الخاصة من فضل الله لشغلهم به عن غيره، فسبب سماع الطائفة الأولى التجريد للأَعمال، وسبب سماع الثانية توالي الواردات والأحوال على قلوبهم، وسبب سماع الثالثة ما يجريه الله عليهم من فضله بلا واسطة (**واعلم أنَّ سماع الأَشعار بالأَلحان الطيبة والنغم**) بكسر النون (**المستلذة إذا لم يعتقد المستمع**) لها أنَّ ثمَّ (**محظوظاً**) أي ممنوعاً منه (**ولم يسمع على مذموم في الشرع**) كمزمار وطنبور (**ولم ينجرّ**) بسماعه لها (**في زمام هواه، ولم ينخرط في سلك لهوه**) ودنياه (**مباح في**

البشرية، قلنا له: كذبت على طبعك وكذبت على الله في تركيبك، وماوصفك به من حب الشهوات، وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من فارق ألفه وادّعى العصمة فاجلدوه فإنّه مفترٍ كذاب أي لأنَّ دعواه تفيد أنّه لا تجب عليه مجاهدة نفسه، ومخالفة هواه، وأنّه لا ثواب له على ترك الشهوات واللذات، فيكون حينئذٍ من قبيل من قيل في حقهم: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠]، فإنْ قيل: أليس قد رُوي عن جماعة من الصالحين أنهم سمعوه، قلنا: ما بلغنا أنَّ أحداً من السلف فعله، وهذه مصنفات الأئمة شاهدة بذلك كمصنف مالك بن أنس والبخاري ومسلم وسنن أبي داود، وكتاب النسائي، وباقي مصنفات الشافعية، والمالكية، والحنفية، والحنابلة ممن تدور على أقوالهم الفتيا قديماً وحديثاً، فمن رأى هذا الرأي خليّ من الفقه عاطل من العلم، والله أعلم.

(**قوله: من دواعي الأَعمال**) أي مما يسوق العبد إليها كالرجاء والخوف. (**قوله: من طروق الأَحوال**) أي يأتي من غلبات الأَحوال على صاحبها. (**قوله: من فضل الله**) أي من طريق الواردات والهبات التي لا كسب للعبد فيها لأنها من اللدنيات. (**قوله: التجريد**) المراد به إفراغ القصد لها ودوام الجد فيها مع الصدق والإِخلاص والله أعلم.

(**قوله: بلا واسطة**) أي وبذلك يتحقق الفرق بين هذا وما قبله. (**قوله: واعلم أنّ سماع الأشعار الخ**) أقول: لعل هذا بالنسبة لأوّل الإِرادة مع بقاء بعض حيوانية النفوس أما بالنسبة للعارف المحقق فلا تشغله زمزمة الشادي، ولا نغمة الحادي كما يتفق ذلك للعامة من أهل الحجاب فإنّهم وإنْ طربوا فطربهم كالنعم من الصوت والنغم.

(**قوله: إذا لم يعتقد المستمع الخ**) أي إذا لم يغلب على ظنه محظور كنظر محرم أَو تحرك شهوة وإلا فيحرم السماع لذلك. (**قوله: كمزمار وطنبور**) أي ونحو عود وقانون وغير ذلك من بقية آلات اللهو المطربة. (**قوله: ولم ينخرط الخ**) أي لم يدخل في سلك لهوه فيترك مطلوباً شرعياً واجباً أو مندوباً.

الجملة، ولا خلاف أنَّ الأَشعار أنشدت بين يدي رسول الله ﷺ وأنّه سمعها) من منشديها (ولم ينكر عليهم في إنشادها فإذا جاز استماعها بغير الألحان الطيبة فلا يتغير الحكم بأنْ يسمع بالألحان) المطربة (هذا ظاهر من الأمر) أي الحال (ثم ما) أي السماع الذي (يوجب للمستمع توفر الرغبة على الطاعات وتذكر ما أعدّ الله لعباده المتقين من الدرجات، ويحمله على التحرّز من الزلات، ويؤدّي إلى قلبه في الحال صفاء الواردات مستحب في الدين، ومختار في الشرع، وقد جرى على لفظ رسول الله ﷺ ما هو قريب من الشعر وإنْ لم يقصد) هو (أن يكون شعراً)، فقد (أخبرنا أبو الحسين علي بن أحمد الأهوازيّ قال: أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار قال: حدثنا الحرث بن أبي أسامة قال: حدثنا أبو النضر قال: حدثنا شعبة عن حميد قال: سمعت أنساً) رضي الله عنه (يقول: كانت الأنصار يحفرون الخندق فجعلوا يقولون:

نحن الذين بايعوا محمداً ... على الجهاد ما بقينا أبداً

فأجابهم رسول الله ﷺ: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة»[1] فأكرم الأنصار والمهاجره، وليس هذا اللفظ منه ﷺ على وزن الشعر لكنه قريب منه، وقد سمع السلف والأكابر الأبيات بالألحان فمن قال: إباحته) أي سماع الشعر بالألحان (من

(قوله: ولا خلاف أنَّ الأشعار أُنشدت الخ) أي فدل ذلك على عدم منعها بل على طلبها ولا سيما إذا ترتبت مصلحة على السماع وفيه نظر فتأمله. (قوله: بأنْ يسمع بالألحان المطربة) أي من غير آلات الملاهي وإلا فيحرم السماع المذكور، هذا، وفيه نظر فتأمله. (قوله: مستحب في الدين) أي لأنَّه وسيلة لنيل الدرجات الفاضلة. (قوله: ما هو قريب من الشعر) أي لكونه موزوناً بيمزانه ونهاية الأمر أنَّ ذلك لم يقصد له ﷺ بل اتفق كذلك.

(قوله: اللهم لا عيش) أي لا معيشة هنية إلا عيش الآخرة أي إلا معيشتها. (قوله: فمن قال بإباحته الخ) ظاهره ولو كان بالآلات المطربة، وقد نقل عنه كذلك صراحة وعندي فيه توقف حيث ذلك غير لائق بورع مثل هذا الإِمام الجليل فحسبي الله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى.

(قوله: فمن قال: بإباحته الخ) جميع ما ذكره لا ينفع في الذي نحن بصدده من

---

(١) أخرجه البخاري (رقاق ١) (جهاد ٣٣، ١١٠) (مناقب الأنصار ٩) (مغازي ٢٩) ومسلم (جهاد ١٢٦، ١٢٩) والترمذي (مناقب ٥٥) وابن ماجه (مساجد ٣) وأحمد بن حنبل (٢، ٣٨١، ٣، ١٧٢، ١٨٠، ٢١٦، ٢٧٦، ٥، ٣٣٢).

السلف مالك بن أنس) رضي الله عنه **(وأهل الحجاز كلهم يبيحون الغناء)** المنقول عن مالك والحجازيين كراهته، فإنْ أُريد بالإباحة مقابل الحرمة، وبالكراهة التنزيه فلا منافاة، **(وأما الحداء)** بضم الحاء وكسرها بالمدّ وهو ما يقال خلف الإبل من رجز وغيره **(فإجماع منهم على إجازته، وقد وردت الأخبار واستفاضت الآثار في ذلك)** أي بإجازة ذلك، **(ورُوي عن ابن جريج أنّه كان يرخص في السماع فقيل له: إذا أتى بك يوم القيامة ويؤتى بحسناتك وبسيآتك ففي أيّ الجانبين سماعك؟ فقال: لا في الحسنات ولا في السيآت يعني أنه من المباحات)** قيل: بل المشهور عن ابن جريج منعه، **(وأما الإمام الشافعي رحمه الله فإنه لا يحرمه)** أي سماع الغناء **(ويجعله في)** حق **(العوام)** الذين يرتكبون **(مكروهاً حتى لو احترف بالغناء أو اتصف على الدوام بسماعه على وجه التلهي ترد به الشهادة ويجعله)** أيضاً **(مما يسقط المروءة، ولا يلحقه بالمحرمات وليس كلامنا)** أيها الصوفية **(في هذا النوع من السماع)** أي نوع سماع الغناء **(فإنّ هذه الطائفة جلّت رتبتهم عن أنْ يستمعوا بلهو أو يقعدوا للسماع بسهو أو**

سماع الصوفية لأنّ المباحات لا تتعلق بها همة الطالب للحق لأنّ أمره يدور مع المطلوب واجباً كان أو مندوباً نعم له في ابتداء السير أنْ يستعين بالسماع الخالي عن الألحان المطربة. **(قوله: وأما الإمام الشافعي الخ)** أقول والله المستعان، حاصل مذهبه رضي الله تعالى عنه وأرضاه عنا في السماع للقرآن الشريف بالألحان والأنغام المأخوذة من علم الموسيقي أنّه في نص عنه الكراهة وفي آخر الاستحباب والجمع بين النصين أنّ الكراهة محمولة على نغم تخرج الحروف معه عن حقها ومستحقها، وتغير الكلمات عن مواضعها بأنْ يقصر في محل المدّ وبالعكس أو يفخم في محل الترقيق وبالعكس والكراهة حينئذٍ للتحريم، وبهذه الصفة جرت العادة بين الفقهاء وقراء هذه البلاد إلا قليلاً ممن عصم الله تعالى، والاستحباب محمول على ما إذا سلم القارىء بالنغم من هذه المفاسد قال ﷺ: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن» وقال: «زينوا القرآن بأصواتكم»(١) وهذا من باب القلب أي زينوا أصواتكم بالقرآن والله أعلم. **(قوله: فإنّه لا يحرمه)** أي إذا كان بدون آلات الملاهي، ومن الذكر غير الأمرد الجميل وغير الأنثى أو منها، وأمنت الفتنة وإلا فإنّه يحرمه كما تقدّم لنا توضيحه قبل فارجع إليه إنْ شئت.

(قوله: حتى لو احترف بالغناء) أي جعله حرفة يتكسب بها. **(قوله: ترد به الشهادة)** أي لكونه يعد خارماً للمروءة كما ذكره بعد. **(قوله: ولا يلحقه بالمحرمات)** أي على

---

(١) أخرجه البخاري (توحيد ٥٢) وأبو داود (وتر ٢٠) والنسائي (افتتاح ٨٣) وابن ماجه (إقامة ١٧٦) والدارمي (فضائل القرآن ٣٤) وأحمد بن حنبل (٤، ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٩٦، ٣٠٤).

يكونوا بقلوبهم مفكرين في مضمون لغواً، أو يستمعوا على صفة غير كفء) للسماع **(وقد رُوي عن ابن عمر رضي الله عنهما آثار في إباحة السماع)** للغناء **(وكذلك عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وكذلك عن عمر رضي الله عنهم أجمعين)** فجميعهم أباحوا السماع **(في الحداء وغيره)** لا سيما إذا ترتب عليه ما ينتفع به القلب، وينشرح به الصدر، ويحصل على كمال الأعمال ويكشف شريف الأحوال، ونقل عن ابن عمر خلاف ذلك **(وأنشد بين يدي رسول الله ﷺ الأشعار فلم ينه عنها، أو رُوي أنه ﷺ استنشد الأشعار)** بين يديه **(ومن المشهور الظاهر أنّه دخل بيت عائشة رضي الله عنها وفيه جاريتان تغنيان فلم ينههما)** ﷺ عن ذلك **(أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلميّ رحمه الله قال: أخبرنا محمد بن جعفر بن محمد بن مطر قال: حدثنا الحباب بن محمد التستريّ قال: حدثنا أبو الأشعث قال: حدثنا محمد بن بكر البرستانيّ قال: حدثنا شعبة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أنّ أبا بكر الصديق رضي الله عنه دخل عليها وعندها قينتان)** أي أمتان مغنيتان **(تغنيان بما تقاذفت)** ورُوي تقاولت **(به الأنصار يوم بعاث)** بضم الباء وبالمهملة يوم الوقعة بين الأوس والخزرج **(فقال أبو بكر رضي الله عنه)** على وجه الإنكار: **(مزمار الشيطان مرتين فقال)** له **(رسول الله ﷺ: «دعهما يا أبا بكر فإنّ لكل قوم عيداً وعيدنا هذا اليوم»)** أي الذي نغني فيه **(أخبرناه علي بن أحمد الأهوازي قال: حدثنا أحمد بن عبيد قال: حدثنا عثمان بن عمر الضبيّ قال: حدثنا أبو كامل قال: حدثنا أبو عوانة**

الوجه الذي قدمناه من التفصيل. **(قوله: بلهو)** أي بحظ نفس، وقوله: بسهو أي غفلة، وقوله: في مضمون لغوي أي مما لا يعني الإنسان، وقوله: على غير كفء أي قدرة على حبس النفس على ما يرضيه تعالى.

(قوله: وقد رُوي عن ابن عمر الخ) ظاهره والذي بعده أنّهم أباحوا ذلك، ولو مع آلات اللهو، فحرر النقل عنهم والذي في ظني القوي البعد، بل لقائل أنْ يقول: الظاهر من هذه النقول أنّ الإباحة إذا خلى السماع عن آلات اللهو بل وعن التلحين والله أعلم.

(قوله: استنشد الأشعار) أي طلب أنْ تقال وتذكر بين يديه. **(قوله: قينتان)** تثنية قينة وهي الأمة المغنية. **(قوله: مزمار الشيطان الخ)** هو على حذف همزة الاستفهام الإنكاري. **(قوله: فلو أرسلتم الخ)** أي فدل ذلك على الجواز. **(قوله: حسنوا القرآن بأصواتكم الخ)** أقول: ذهب بعضهم إلى أنّ في الخبر قلباً والمعنى عليه حسنوا أصواتكم بالقرآن وهو بعيد من قوله في الخبر: فإنّ الصوت الحسن الخ ونهاية الأمر أنّ ما قاله أحق بطريق الأدب والله أعلم.

عن الأجلح عن أبي الزبير عن جابر عن عائشة رضي الله عنها أنها أنكحت ذات قرابتها من الأنصار فجاء النبي ﷺ فقال) لها «أهديتم الفتاة» إلى بعلها (فقالت) له: (نعم قال: فارسلت من يغني قالت: لا فقال النبيّ ﷺ: «إنَّ الأنصار فيهم غزل) أي رفع صوت بمحاسن العروس ليحبيوها لبعلها (فلو أرسلتم من يقول: آتيناكم آتيناكم. حيانا وحياكم») وفي نسخة فحيونا نحييكم، ويدل لجواز ذلك خبر «أشهروا النكاح واضربوا عليه بالدف» (أخبرنا الأستاذ الإمام أبو بكر محمد بن الحسين بن فورك رحمه الله قال: حدثنا أحمد بن محمود بن خرزاذ قال: حدثنا الحسين بن الحرث الأهوازيّ قال: حدثنا سلمة بن سعيد عن صدقة بنت أبي عمران قالت: حدثنا علقمة بن مرثد عن زاذان عن البراء بن عازب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «حسنوا القرآن بأصواتكم فإنَّ الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً» دل هذا الخبر على فضيلة الصوت الحسن) لما فيه من زيادة المنفعة والتأثير في قلب السامع لكن قد يقال: إنما دل على فضليته في كتاب الله لا في الغناء وفي قياسه عليه بعد (وأخبرنا عليّ بن أحمد بن عبدان الأهوازيّ رحمه الله قال: حدثنا أحمد بن عبيد قال: حدثنا عثمان بن عمر الضبيّ قال: حدثنا أبو الربيع قال: حدثنا عبد السلام بن هاشم قال: حدثنا عبد الله بن محرز عن قتادة عن أنس بن مالك) رضي الله عنه (قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل شيء حلية وحلية القرآن الصوت الحسن») في سنده عبد الله بن محرز وهو ضعيف لا يحتج به (وأخبرنا عليّ بن أحمد الأهوازي رحمه الله) أيضاً (قال: أخبرنا أحمد بن عبيد قال: حدثنا محمد بن يونس الكريميّ قال: حدثنا الضحاك بن مخلد أبو عاصم قال: حدثنا شبيب بن بشر البجليّ عن أنس بن مالك) رضي الله عنه (قال: قال رسول الله ﷺ: صوتان ملعونان صوت ويل عند مصيبة وصوت مزمار عند نعمة»[1] مفهوم الخطاب) أي مفهوم المخالفة (يقتضي إباحة غير هذا) أي ما ذكر من الصوتين (في غير هذه الأحوال) أي الحالين المذكورين (وإلا) أي وإنْ لم يقتض ذلك (بطل التخصيص) الحق أنَّ الصوت الحسن محبوب مطلقاً، وإنما ذمّ في الحالين المذكورين لما قارنه من القصد الذميم (والأخبار في هذا الباب تكثر) أي كثيرة (والزيادة على هذا القدر من ذكر الروايات) الدالة على ذلك (تخرجنا عن المقصود من

(قوله: يزيد القرآن حسناً) أي لأنَّ النفر تميل إلى السماع معه أكثر من غيره. (قوله: يزيد القرآن حسناً) المراد الحسن بوجه الشرع لا بحكم الطبع الشهواني، فلا ترجع إلى من تأول على غير ما ذكرناه. (قوله: ملعونان) أي ملعون صاحبهما على معنى أنّه

---

(١) أخرجه الألباني في (السلسلة الصحيحة ٤٢٨).

الاختصار، وقد رُوي أنَّ رجلاً أنشد بين يدي رسول الله ﷺ **أقبلت**) أي المحبوبة (**فلاح لها. عارضان**) أي فظهر لي عارضان لها (**كالسبج**) بالسين المهملة وفتح الباء والجيم وهو الخرز الأسود ثم (**أدبرت فقلت لها:**) أي في شأنها (**والفؤاد**) أي القلب (**في وهج**) بفتح الهاء أي حر النار منها (**هل عليّ ويحكما**) أيها العارضان (**إنْ عشقت من حرج فقال رسول الله ﷺ: «لا) حرج عليك»**[1] هذا حديث موضوع (**و**) رُوي (**أنَّ حسن الصوت مما أنعم الله به على صاحبه من الناس قال الله تعالى: ﴿يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾** [فاطر: ١] **قيل في التفسير من ذلك**): أي مما يشاؤه من زيادة الخلق (**الصوت الحسن**) فهو أمر موهبي لا كسبيّ (**وذم الله سبحانه الصوت الفظيع**) أي الشنيع (**فقال تعالى: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾** [لقمان: ١٩]، **واستلذاذ القلوب واشتياقها إلى الأصوات الطيبة واسترواحها إليها مما لا يمكن جحوده**) أي إنكاره (**فإنَّ الطفل يسكن إلى الصوت الطيب، والجمل يقاسي تعب السير ومشقة الحمولة**) بضم

مبعد عن درجات المقربين أو المراد الزجر والتنفير. (**قوله: كالسبج**) التشبيه به لسواده. (**قوله: لا حرج**) أي حيث كان بالإذن الشرعي. (**قوله: هذا حديث موضوع**) أي فلا يصح الاستشهاد به. (**قوله: مما أنعم الله به على صاحبه**) أي وعلى غيره أيضاً ممن يسمعه. (**قوله: فهو أمر موهبيّ الخ**) أي لأنَّه لا مدخل للقوّة البشرية في ذلك. (**قوله: مما لا يمكن جحوده**) كيف وهو من جملة غذاء الأرواح اللطيفة. (**قوله: فإنَّ الطفل يسكن الخ**) أي وإذا كان هذا حال الطفل مع عدم تمييزه يسكن إلى الصوت الحسن، ويتسلى به عما يضاهي مشقة الموت، فما ظنك بالعارف الكامل، فلا عجب إنْ نشط فتحرك، ورقص فلا يكون ذلك من النقص في حقه حيث كان السماع على الوجه الذي قدمناه بدون تلحين وتطريب لأن النقص إنما هو في السماع والطرب بشاهد الهوى والميل الحيوانيّ. (**قوله: فإنَّ الطفل يسكن الخ**) أقول: قد استدل بعض الناس على إباحة الغناء بالألحان فقال: إنَّ الطفل يسكن إلى الصوت الطيب والجمل يقاسي تعب السير ومشقة الحمولة إذا سمع الحداء، قال: وقد رُوي أنَّه استدل على ذكاء صغير من أولاد الملوك وصلاحيته للخلافة عن أبيه الذي مات وتركه بكونه هش، وضحك عند السماع فقبلوا الأرض بين يديه والجواب أني أقول: انظروا إلى ذوي الألباب كيف قادهم ركوب الهوى وعشق الباطل وقلة الحيلة إلى هذه السخافة، وحسبك من مذهب إمامهم فيه الإنعام والصبيان في المهد، وهكذا يفضح الله من اتبع الباطل وحسبك من عقول لا تقتدي

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه ٣/ ١٧٢، ٩/ ٨٢) والبيهقي في (السنن الكبرى ٧/ ٦٧) والطحاوي في (مشكل الآثار ٢/ ٣٣٩) وابن حجر في (فتح الباري ٥/ ١٠٧).

الحاء أي الإحمال (فيهون عليه) ذلك (بالحداء قال الله عز وجل: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ﴾) أي نظر اعتبار ﴿إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧] ليستدلوا بها على قدرة الله تعالى على إلهامه لها السكون إلى الأصوات الحسنة (وحكى إسماعيل بن علية) أنه (قال: كنت أمشي مع الشافعي رضي الله عنه وقت الهاجرة فجزنا بموضع يقول:) أي ينشد (فيه أحد) الأولى واحد (شيئاً فقال) لي: (مِلْ بنا إليه) لنسمع صوته فملنا إليه فسمعناه

بأحبار المسلمين وعلمائهم، وتقتدي بالإبل والأطفال، واعلم أنَّ السماع طبعاً من جهة الاستنباط هو جاسوس القلب، وسارق المروءة والعقول به تتغلغل من مكامن القلوب ويطلع على سائر الأفئدة ويثير الشهوة والسخافة والرعونة، فترى الرجل وعليه سيما الوقار وبهاء العقل، وبهجة الإيمان، وعظمة العلم كلامه حكمة، وسكوته عبرة، وهو إذا سمع اللهو نقص عقله، وقلَّ بهاؤه وحياؤه، وذهبت مروءته فيستحسن ما كان قبل السماع يستقبحه ويبدي ما كان قبل يكتمه، فينتقل من السكون إلى كثرة الكلام والكذب والهزهزة، فيميل برأسه ويهز منكبيه، ويدق الأرض برجليه، وهكذا كما تفعل الخمرة إذا مالت بشاربها فمثله مما يجب أنْ يُجتنب والله أعلم.

(قوله: فإنَّ الطفل يسكن الخ) أقول: وذلك عجيب إذ التحريك مناف للتسكين، فالطفل بمهده لما عجز عن الحركة بمانع الضعف والكتف بالقماط حركه مربيه بتنزله إلى طوره ومناغاته بما يبسطه ويزيح قبضه فيسكن عن ذلك الاضطراب، فهكذا حال المريد السامع إذا هاجت بلابل أشواقه، وفاضت سواكب إغراقه، وهمّ أنْ يخرج من وجوده بشاهد تمزيق أطماره وأطواقه حركه ربه وهو بمهد أرض طبيعته الكائنة من لطيفته، فكان حاله مطابقاً لحال الوليد، فدام بوارد صدقه في رتب أهل المزيد، هذا، ولا يخفى أنَّ كلاً منا في السماع لا بالطبع ولا بالشهوة الحيوانية، وحينئذٍ فما معنى هذا الاستدلال. (قوله: والجمل يقاسي الخ) أي مع بهيميته فالأولى أنْ يكون كذلك النوع العاقل من البشر. (قوله: بالحداء) أي صوت الحادي بالحداء. (قوله: أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت) استئناف مسوق لتقرير ما فصل من حديث الغاشية، وما هو مبني عليه من البعث الذي هم فيه مختلفون بالاستشهاد عليه بما لا يستطيعون إنكاره، فالهمزة للإنكار والتوبيخ، والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وكيف منصوبة بما بعدها معلقة لفعل النظر، والمعنى أينكرون البعث من قدرة الله فلا ينظرون إلى الإبل التي هي نصب أعيانهم كيف خلقت خلقاً بديعاً معدولاً عن سنن خلق سائر الحيوان في عظم جثتها وقوّة شدّتها اللائقة بتأتي ما يصدر عنها من الأفاعيل كالنوء بالأوقار الثقيلة إلى الأقطار النازحة، وفي صبرها على الجوع والعطش واكتفائها باليسير من شوك ونحوها مما لا يكاد يرعاه غيرها.

(قوله: الأولى واحد) فيه أنَّ أحد بمعنى واحد لأنَّ أصله وحد من الوحدة نعم أحد

(ثم قال لي: أيطربك هذا فقلت: لا فقال: ما لك حس) لعل إطرابه إنما كان لتضمنه معاني حسنه يختص بإدراكها بعض الناس دون بعض لا لمحض الصوت، فإنَّ حسن الصوت لا ينكره أحد كما مرّ **(وقال رسول الله ﷺ: «ما أذن الله)** أي ما استمع **(لشيء كإذنه)** بفتح الذال أي كاستماعه **(لنبي)** حسن الصوت **(يتغنى بالقرآن»)** أي يجهر به والمراد باستماعه له الرضا والقبول **(أخبرنا علي بن أحمد الأهوازي رحمه الله قال: أخبرنا أحمد بن عبيد قال: حدثنا ابن ملحان قال: حدثنا يحيى بن بكير قال: حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب أنَّه قال: أخبرني أبو سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:** «لم يأذن الله لشيء ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن» **وقيل: إنَّ داود عليه السلام كان يستمع لقراءته الجن والإنس والطير والوحش إذا قرأ الزبور، وكان يحمل من مجلسه أربعمائة جنازة ممن قد مات ممن قد (سمعوا قراءته)** وموعظته وفي نسخة من سماع قراءته **(وقال ﷺ لأبي موسى الأشعري)** أي في شأنه: «لقد أعطي مزماراً

لا يبدأ به العدد، فلعل المنع من هذه الجهة. **(قوله: فقال: ما لك حس)** أي إحساس تدرك به الطرب من ذلك الصوت. **(قوله: إنما كان لتضمنه معاني حسنة)** أي وهي من غذاء الأرواح وحياة القلوب التي هي محل تجلي الحق تعالى، وخزائن أسراره، فإذا تجلى فيه الحق تجلياً جمالياً أو جلالياً قام القلب بإذنه تعالى خليفة عنه في أرضه فيبرزه إلى عوالمه وجوارحه الجثمانية، فكان القلب حينئذٍ حاجب الحق تعالى، وكان أيضاً بمقتضى ذلك الاستخلاف كأنه رب الأسرار التي دونه من النفس، وما فوقها وما دونها، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ [الفجر: ٢٨] يعني القلب فافهم أو سلم تسلم.

(قوله: وقال رسول الله الخ) أقول: وهو أقوى ما يستدل به على مدح الصوت الحسن وإباحة سماعه بل طلب سماعه. **(قوله: لم يأذن الله لشيء الخ)** قال بعضهم: المراد بالتغني بالقرآن الجهر به يعني ما استمع لشيء كاستماعه لنبي يجهر بالقرآن لأنَّ أصل الغناء لغة رفع الصوت، وبهذا فسره في آخر الخبر **فقال: يجهر به فلا يجوز القرآن** بالتحلين وإنما معنى الحديث التحبير والتحزين، قال بعضهم: فإنْ سألوا عن معنى قوله ﷺ: «زينوا القرآن بأصواتكم» أقول: معناه التحزين، قال شعبة: نهاني أيوب أنْ أتحدث بهذا الحديث مخافة أنْ يتأول على غير وجهه. **(قوله: لم يأذن الله لشيء الخ)** المعنى على ما تقدّم من القبول والرضا.

(قوله: كان يستمع لقراءته الجن الخ) أي وذلك لحسن صوته وتأثير موعظته في قلوب السامعين. **(قوله: وكان يحمل الخ)** أي وسببه شدّة تأثرهم بالسماع منه عليه السلام. **(قوله: لقد أعطي مزماراً الخ)** أي حيث كان حسن الصوت، ولكلامه تأثير في

من مزامير آل داود»[1] **وقال معاذ بن جبل لرسول الله ﷺ: لو علمت أنك تسمع قراءتي (لحبرته لك تحبيراً)** أي لحسنته لك تحسيناً، وزينته لك تزييناً، والمراد تحسين ما يتلوه بحسن إيراده. **(أخبرنا أبو حاتم السجستاني قال: أخبرنا عبد الله بن عليّ السرّاج قال: حكى أبو بكر محمد بن داود الدينوريّ الرقي قال: كنت في البادية فوافيت قبيلة من قبائل العرب فأضافني رجل منهم فرأيت غلاماً أسود مقيداً هناك ورأيت جمالاً قد ماتت بفناء البيت فقال لي الغلام: أنت الليلة ضيف)** عند مولاي **(وأنتَ على مولاي كريم)** لأنه يكرم الضيوف **(فتشفع لي فإنه لا يردك فقلت لصاحب البيت؛ لا آكل طعامك حتى تخلي)** وفي نسخة تحل **(هذا العبد)** أي تفكه من قيده **(فقال لي: هذا الغلام قد أفقرني وأتلف مالي فقلت)** له: **(فما فعل فقال له: صوت طيب وكنت أعيش)** بما أكتسبه **(من ظهر هذه الجمال فحملها أحمالاً ثقيلة، وحدا لها حتى قطعت مسيرة ثلاثة أيام في يوم واحد، فلما حط عنها ماتت كلها ولكن قد وهبته)** أي ذنبه **(لك)** وقبلت شفاعتك فيه **(وحل عنه القيد فلما أصبحنا أحببت أنْ أسمع صوته فسألته)** أي الواهب **(ذلك فأمر الغلام أنْ يحدو على جمل كان على بئر هناك يستقي عليه، فحدا فهام الجمل على وجهه وقطع حباله، ولم أظن أني سمعت صوتاً أطيب منه فوقعت لوجهي حتى أشار إليه بالسكوت)** فسكت. **(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلميّ رحمه الله يقول: سمعت محمد بن عبد الله بن عبد العزيز يقول: سمعت أبا عمر الأنماطي يقول: سمعت الجنيد يقول: وقد سُئل ما بال الإنسان يكون هادئاً فإذا سمع السماع اضطرب)** بقلبه مع جوارحه وبدونها **(فقال)** زائد: **(إنَّ الله سبحانه لما خاطب الذر في الميثاق الأوّل بقوله:)** وإذ أخذ ربك من

القلوب. **(قوله: لحبرته لك تحبيراً)** أي لرفعت صوتي به متحزناً ومرققاً له لا على معنى التلحين والتطريب المعهود عند أهل الفسوق.

(قوله: أخبرنا أبو حاتم الخ) فيه تنبيه على أنَّ الحق تعالى يخص من يشاء من العبيد بالنعم العظيمة، وإنَّ الحيوان يتأثر بالسماع حتى يؤدّي ذلك إلى الموت.

(قوله: هذا الغلام قد أفقرني) أي تسبب في فقري وإتلاف مالي. **(قوله: ولكن قد وهبته الخ)** المراد قد أسقطت حقي لأجلك. **(قوله: فقال: إنَّ الله سبحانه الخ)** محصله أنَّ الطرق من سماع الأصوات الحسنة لتذكر سماع كلام القديم جلَّ شأنه وقت أخذ

---

(١) أخرجه البخاري (فضائل القرآن ٣١) ومسلم (مسافرين ٢٣٥، ٢٣٦) والترمذي (مناقب ٥٥) والنسائي (افتتاح ٨٣) وابن ماجه (إقامة ١٧٦) والدارمي (صلاة ١٧١) (فضائل القرآن ٣٤) وأحمد بن حنبل (٢، ٣٦٩، ٤٥٠، ٥، ٣٤٩، ٣٥١، ٣٥٩، ٦، ٣٧، ١٦٧).

بني آدم من ظهورهم ذرّياتهم وأشهدهم على أنفسهم **(ألست بربكم قالوا: بلى استفرغت عذوبة سماع الكلام)** المخاطب به **(الأرواح)** فالمراد بالذرية والذر الأرواح التي خلقت قبل الأشباح **(فلما سمعوا السماع حركهم)** السماع **(ذكر ذلك)** الذي خوطبوا به، فالأرواح كلها أقرت بالربوبية، وعلى هذا حمل خبر «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه»[1] وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها، فمن سبق في علمه تعالى أنّه يدوم على الفطرة بعد خلق جسمه، ويكمل شرف روحه بالطاعات وبالمواهب الربانية قرّت روحه إليه تعالى عند طروق سماعه ما يذكره ذلك الميثاق **(سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول: السماع حرام على العوام لبقاء نفوسهم)** فهي لما تسمعه من الشعر ونحوه بالألحان مائلة إلى ما اعتادته من الشهوات **(مباح للزهاد لحصول مجاهداتهم)** لأنّهم عرفوا الله وجاهدوا أنفسهم في طلبه وأعرضوا عنها، فلا يتضررون بالسماع بل يرجى لهم به الانتفاع **(مستحب لأصحابنا)** الصوفية الذين ارتقوا عن مجاهدة أنفسهم، وغلب على قلوبهم مناجاة ربهم، وتمكنوا في الأحوال حتى صارت مقامات **(لحياة قلوبهم)** فالسماع في حقهم يزيدهم حياة وقرباً، ويوالي عليهم براً ولطفاً **(سمعت أبا حاتم السجستانيّ يقول: سمعت أبا نصر الصوفيّ يقول: سمعت الوجيهيّ يقول: سمعت أبا عليّ**

الميثاق بالإيمان. **(قوله: الأرواح التي خُلقت قبل الأشباح)** فيه إنّ الأرواح حادثة، وهو كذلك وإنْ كانت مما لا يفنى بعد على الصحيح في ذلك كله والله أعلم.

(قوله: كل مولود يولد على الفطرة) أي على معنى أنه لو خلي ونفسه لدام على توحيد الله تعالى، وهذا كما ترى لا ينافي استعداد كل على حسب قسمته الأزلية من خير وشر والله أعلم. **(قوله: السماع حرام على العوام الخ)** أي فيختلف حكم السماع باختلاف حال السامع قوّة وضعفاً، وكله فيما إذا كان بدون آلات الملاهي، وإلا فهو ممنوع منه مطلقاً، وكذا لو كان من امرأة أو أمرد جميل مع خوف الفتنة فيهما.

(قوله: لحياة قلوبهم) أي والحق تعالى ناظر إلى حياتها ويحبه حتى قيل: إنَّ القلب أفضل من الكعبة لأنها خلقت من أجله قال تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٩٧] وخلق القلب وما حواه من الأسرار من أجل الله تعالى الواحد القهار كما قال تعالى: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ [طه: ٤١] وما خوطب به موسى الكليم فبصدده كل عارف وعالم فافهم. **(قوله: متع بهن في الدنيا)** أي وفي الآخرة أيضاً لأنها

---

(١) أخرجه مسلم (قدر ٢٥).

الروذباريّ يقول: كان الحرث بن أسد المحاسبيّ يقول: ثلاث إذا وجدت تمتع) وفي نسخة متع (بهن) في الدنيا، وذلك قليل قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء: ٧٧] فلا يجد العبد الراحة إلا بهذه الثلاث (وقد فقدناها) أحدها (حسن الوجه) أي الإقبال والملقى في الظاهر بين الإخوان (مع الصيانة) للباطن عن التكلف ومخالفة الظاهر.

(و) ثانيها (حسن الصوت) بأنْ لا يتكلم إلا بما يثاب عليه (مع الديانة) الحاصلة بالطاعات (و) ثالثها (حسن الإخاء) بأنْ ينظر كل واحد في حق أخيه كما ينظر في حق نفسه بل يؤثره على نفسه (مع) دوام (الوفاء) بذلك (وسئل ذو النون المصريّ عن الصوت الحسن فقال) هو (مخاطبات وإشارات أودعها الله كل) ذكر (طيب و) كل شيء (طيبة، وسئل مرة أخرى عن السماع فقال:) هو (وارد حق يزعج القلوب) أي يحرّكها (إلى الحق) تعالى (فمن أصغى إليه) أي الوارد (بحق تحقق) وتمكن من حاله (ومن أصغى إليه بنفس) وباطل (تزندق وحكى جعفر بن نصير عن الجنيد أنه قال: تنزل الرحمة على الفقراء في ثلاثة مواطن) أحدها (عند السماع) كما

قد تكون وسيلة إلى ذلك باعتبار شهود من تفضل ومنّ بها عليه. (قوله: فلا يجد العبد الراحة الخ) أي الراحة الدنيوية بل والأخروية كما قدّمناه. (قوله: أي الإقبال) أي فليس المراد خصوص الجمال وتناسب الأعضاء فقط. (قوله: عن التكلف) أي لغير المداراة أما التكلف لها فمندوب إليه. (قوله: بأنْ لا يتكلم الخ) تصوير لما يحسن سماعه والإصغاء إليه من ذي الصوت الحسن. (قوله: بأنْ ينظر كل واحد الخ) أي عملاً بما ورد في ذلك من الخبر الصحيح من قوله ﷺ: «حب لأخيك كما تحب لنفسك»[1]. (قوله: بل يؤثره على نفسه) أي عملاً بالكتاب العزيز حيث أثنى الحق به على الفضلاء من عباده. (قوله: مع دوام الوفاء) أي ليتحقق صدقه في ذلك المقام.

(قوله: فقال هو مخاطبات الخ) تعريفه بذلك باعتبار متعلق الصوت لا نفسه وكذا ما بعده، ويحتمل أنّه باعتبار ذاته إذ في كل شيء آية تدل على الحق تعالى وانفراده في الملك. (قوله: فمن أصغى الخ) أي فلا بدّ من كون الإصغاء على طريق الموافقة لظاهر الشريعة المطهرة، وقوله: تحقق أي حيث جرى على السداد والتمكين.

(قوله: ومن أصغى إليه بنفس وباطل) أي بأنْ كان على وجه يخالف ظاهر الشرع والنص، ويوافق الطبيعة والشهوة تزندق أي سلك طريق الزندقة. (قوله: أحدها عند السماع) أي الذي ندب الإصغاء إليه كما بينه الشارح. (قوله: قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ

---

(١) أخرجه مسلم في (صحيحه الذكر والدعاء ب ١١، رقم ٣٨) وأبو داود في (سننه ١٤٥٥) وابن ماجه في (سننه ٢٢٥) والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٥/٨).

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤] وقال النبي ﷺ: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا غشيتهم الرحمة، وتنزلت عليهم السكينة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده»[1] **(فإنَّهم لا يسمعون إلا عن حق ولا يقولون إلا عن وجد)** صادق ويستحيون من ربهم أنْ يطلع على قلوبهم وهم يتكلفون لغيره **(و)** ثانيها **(عند أكل الطعام فإنَّهم لا يأكلون إلا عن فاقة)** لينشطوا للعبادة **(و)** ثالثها **(عند مجاراة العلم فإنَّهم لا يذكرون)** مع صفات الله تعالى ورسله **(إلا صفات الأولياء)** من أحوالهم ومقاماتهم. **(سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت الحسين بن أحمد بن جعفر يقول: سمعت أبا بكر بن ممشاد يقول: سمعت الجنيد يقول: السماع فتنة)** أي

ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ﴾ [الأعراف: ٢٠٤] فيه إرشاد إلى طريق الفوز بما أُشير إليه من المنافع الجليلة التي ينطوي عليها القرآن أي وإذا قرىء القرآن الذي ذكرت شؤونه العظيمة فاستمعوا له استماع تحقيق وقبول، وأنصتوا أي امكثوا في خلال القراءة وراعوها إلى انقضائها تعظيماً له وتكميلاً للاستماع، وقوله: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤] أي تفوزون بالرحمة التي هي أقصى ثمراته وظاهر النظم الكريم يقتضي وجوب الاستماع والإنصات عند قراءة القرآن في الصلاة وفي غيرها، وقيل: إذا تلى عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له، وقيل: إنَّهم كانوا يتكلمون في الصلاة فأمروا باستماع قراءة الإمام، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ النبي ﷺ قرأ في المكتوبة وقرأ الصحابة رضي الله عنهم خلفه فنزلت، أما خارج الصلاة فعامة العلماء على استحبابه وعند إمامنا الشافعي حملها على الخطبة والله أعلم.

(قوله: ويتدارسونه الخ) المراد بالمدارسة أنْ يقرأ الجملة واحد القراء ثم يقرأها بعينها آخر منهم. **(قوله: إلا غشيتهم الرحمة)** أي عمتهم وتنزلت عليهم السكينة أي طمأنينة القلب وحفتهم الملائكة أي طافت بهم مستغفرين لهم وذكرهم الله فيمن عنده أي أثنى عليهم في الملأ الأعلى.

(قوله: إلا عن حق) أي عن أمر مرضي له تعالى. **(قوله: ولا يقولون إلا عن وجد)** أي فهم رضي الله تعالى عنهم مراقبون لله تعالى في سائر عباداتهم وحركاتهم وسكناتهم. **(قوله: ولا يأكلون إلا عن فاقة)** أي عن حاجة شديدة لما ينشأ عن الأكل من الفتور وقسوة القلب وظلمته. **(قوله: فإنَّهم لا يذكرون الخ)** أي فلا يذكرون غير ما ذكر مما مرجعه سفه النفس من الغير المأذون فيه شرعاً. **(قوله: السماع فتنة)** أي لأنَّ المكلف

---

(١) أخرجه البخاري (إيمان ٧).

امتحان وابتلاء **(لمن طلبه)** لأنَّ من طلبه تكلف له، ومن تكلف له استجلبه بظاهره، ومن استجلبه قارنه الرياء والتشبع بما لم ينل فليحذر من طلبه **(ترويح لمن صادفه)** أي راحة لمن أتاه بغتة، وقهره من فضل ربه فهو ترويح لقلبه، وعون له في سلوكه ونيل لطلبه.

(وحُكي عن الجنيد أنّه قال: السماع يحتاج إلى ثلاثة أشياء الزمان) أي سلامته مما يشوّش على القلوب من الأسباب لتتفرغ للسماع **(والمكان)** أي سلامته من الأغيار والأضداد بأنْ يكون خالياً عما لا يوافقه ليسلم من القبض والتكلف في الأحوال **(والإخوان)** ليتخذ المقاصد وتحصل المساعدة في نيل الفوائد. **(وسُئل الشبليّ عن السماع فقال: ظاهره فتنة)** لما فيه من سماع غناء بأصوات حسنة، وربما كان معه آلات **(وباطنه عبرة)** للسامع بما يفهمه مما سمعه مما يدل على المحبة والشوق، والقرب والبعد ونحوها **(فمن عرف الإشارة)** من الكلام **(حل له استماع العبرة وإلا فقد استدعى الفتنة وتعرض للبلية)** لعدم معرفته الإشارة، **(وقيل: لا يصلح السماع إلا لمن كانت له نفس ميتة وقلب حي فنفسه)** ماتت لأنها **(ذبحت بسيوف المجاهدة)** فخرجت بها عن شهواتها وعاداتها **(وقلبه حي بنور الموافقة)** للأوامر والنواهي فإنَّ

الكامل مشغول بالأفضل من الوظائف الوقتية التي هي من أسباب القرب إليه تعالى، فإذا طلب غيره فقد تعرض للفتنة بعدوله عن الأفضل في حقه، وهذا بخلاف ما إذا صادفه من غير قصد كما ذكره. **(قوله: أي راحة الخ)** أي حيث هو حينئذٍ من واردات الحق وإشارات الصدق.

(قوله: الزمان) أي صفاء الزمان وفراغه من الوظائف الأهمية من السماع، وسلامته من شواغل القلوب بما غلب عليها من الطوارق الوقتية. **(قوله: أي سلامته من الأغيار)** أي المغايرين له في تخلقه. **(قوله: والإخوان)** أي لأجل المساعدة في تحقيق المقاصد ونيل الفوائد. **(قوله: ظاهره فتنة)** أي محنة باعتبار نظر غير العارف لوقوفه مع المحسوسات، وهو في نفس الأمر قد يكون باطنه عبرة باعتبار قوّة حال السامع ولا يخفى عليك أنَّ الفرض في السماع الجائز في ابتداء الإرادة لا في مطلق السماع الشامل لما منع شرعاً أو طريقة، وبما قررناه يظهر لك ما في كلام الشارح.

(قوله: حل له استماع العبرة) أي بشرط أنْ يكون السماع على طريقة المتابعة وإلا امتنع لأنَّ درء المفاسد مقدم على جلب المصالح. **(قوله: إلا ممن كانت له نفس ميتة الخ)** المراد فناء النفس الحيوانية عن عاداتها ومألوفاتها، والمراد بحياة القلب دوام ذكره للرب ومراقبته له جل جلاله.

(قوله: فنفسه ذبحت بسيوف المجاهدة) أي المجاهدة التامة في تحقق مقامات الصدق في أنواع الطاعة الشبيه ذلك بذبح السيف المعتاد. **(قوله: بنور الموافقة)** أي

موافقتها سبب لتوالي النعم والمعرفة والمناجاة، ودوام المشاهدة **(وسئل أبو يعقوب النهرجوريّ عن السماع فقال:)** هو **(حال يبدي)** أي يظهر **(الرجوع إلى الأسرار)** أي المعاملات التي بين السامع وربه **(من حيث الاحتراق)** فالسماع حال يظهر هذه الأسرار على ظاهر السامع من المحبة والشوق والقرب والبعد ونحوها، **(وقيل: السماع لطف غذاء الأرواح لأهل المعرفة)** أي أرواحهم تتغذى وتعيش بالمعاني اللطيفة التي تفهم من السماع ويقوى بها جدها وطلبها، ويدوم أنسها بمحبوبها ويظهر عليها طربها. **(سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق رحمه الله يقول: السماع طبع)** بأنْ يستجلبه السامع بالغناء والآلات **(إلا عن شرع)** أي سبب مأذون فيه شرعاً بأنْ يستجلبه بسماع القرآن والمواعظ أو الشعر الجائز **(وخرق)** بأنْ يقوم في السماع ويرقص ويصيح **(إلا عن حق)** أي غلبة **(وفتنة)** بأنْ يستجلبه بسماع الأشعار الموضوعة لمدح المخلوقين وجمالهم وقربهم وبعدهم **(إلا عن عبرة)** بأنْ يعتبر بما

المتابعة لظواهر أحكام الشريعة. **(قوله حال يبدي الخ)** أي فكل سامع إنما يسمع مما غلب على قلبه من معاملات ربه، ولذلك يختلف السماع اختلافاً كثيراً باعتبار مقامات وأحوال السامعين، فما يظهر على ظاهر صور السامعين فهو مما أضمر من أسرار المحبين على اختلاف شرب المقربين وخالص شراب المخلصين.

(قوله: أي أرواحهم تتغذى الخ) أي فمعاني معارج المعرفة ولطائف المنن المتحفة هي قوت أرواح أهل المعرفة وحياة نعيمهم المترفة. **(قوله: السماع طبع)** أي يكون سبباً في الطبع على قلوب السامعين، وذلك حيث كان على وجه غير مأذون فيه كما أشار إليه الشارح.

(قوله: السماع طبع) أي ينشأ بموافقة الطبع الحيوانيّ والمألوف الشهوانيّ، وحينئذٍ فثمرته الطبع على القلب حتى لا تؤثر فيه المواعظ، فقول الشارح بأنْ يستجلبه الخ تصوير للسماع الذي يحذر، وقوله: إلا عن شرع أي إلا السماع الناشىء عن سبب مأذون فيه شرعاً بأنْ يستجلبه بسماع القرآن والمواعظ والشعر الجائز كما ذكره الشارح، فإنَّه من الوسائل المدنية من عليّ المقامات. **(قوله: بسماع القرآن)** أي ولو كان بالألحان ما دام القارىء يراعي أحكام القراءة فلا يمدّ مقصوراً، ولا يقصر ممدوداً، ولا يخرج حرفاً عن مخرجه مثلاً. **(قوله: أو الشعر الجائز)** أي مثل المشتمل على التوحيد والمواعظ، أم مدح نبي أو ولي بدون الإطراء والمبالغات التي ربما أخرجته عن مواطن الصدق، وإلا فيحرم سماعه كما لا يخفى على من له إلمام بالأحكام. **(قوله: وخرق)** أي: ثلم مروءة حيث يرجع إلى حظ النفس وشهواتها.

(قوله: وفتنة) أي افتتان أي سبب فيه إلا عن عبرة أي إلا إذا أدّى إلى اعتبار

سمعه من ذلك حاله مع مولاه فيسلم من الفتنة **(ويقال: السماع على قسمين سماع بشرط العلم والصحو، فمن شرط صاحبه)** أي ما ذكر من العلم والصحو **(معرفة الأسامي والصفات)** التي لله تعالى ليصفه بما يليق بجلاله مما سمعه وينفي عنه ما سواه **(وإلا وقع في الكفر المحض)** والعياذ بالله، **(وسماع بشرط الحال فمن شرط صاحبه الفناء عن أحوال البشرية والتنقي من آثار الحظوظ بظهور)** غلبة **(أحكام الحقيقة)** على السامع بشغله بربه ودوام مراقبته له بحيث نسي سائر خلقه **(وحُكي عن أحمد بن أبي الحواري أنه قال: سألت أبا سليمان عن السماع)** أي أحبه **(فقال:)** هو **(من اثنين)** أي دليلين أو مسمعين **(أحب إليّ)** منه **(من الواحد)** لأنَّ تأثير القلب بالاثنين أبلغ وأقوى وأنفع من تأثيره بالواحد **(وسئل أبو الحسن النوريّ عن الصوفيّ فقال:)** هو **(من سمع السماع وآثر الأسباب)** أي أسباب السماع، فإذا كان سبب سماعه كلام الله تعالى أو موعظة من أخٍ صادق كان إيثاره له ومحبته له آكد من غيره، **(وسئل أبو عليّ الروذباريّ عن السماع يوماً فقال: ليتنا تخلصنا منه رأساً برأس)** أي لا لنا ولا علينا خوفاً من التكلف واستجلاب الأحوال مع الجماعة **(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلميّ رحمه الله**

السامع، فلا يكون حينئذٍ فتنة. **(قوله: شرط العلم والصحو)** أي على طريقهما، وقوله: فمن شرط صاحبه الخ أي فمن شرط حل سماع الإنسان علمه ومعرفته بما يصح إطلاقه عليه تعالى من الأسماء والصفات ليحذر من غيره.

(قوله: وإلا وقع في الكفر المحض) أي إذا علم وتعمد إطلاق ما يفيد النفس وما لا يليق بجنابه تعالى. **(قوله: وسماع شرط الحال)** أي على طريق غلبتها على قلب السامع. **(قوله: فمن شرط صاحبه الفناء الخ)** محصله وثوق السامع بالقيام على نفسه بواسطة دوام مراقبته للحق تعالى فيما يسمعه. **(قوله: أي أحبه)** مراده بالأحب الأفضل باعتبار ما يترتب عليه من حق الحق لا من جهة سيل النفس بدون شاهد الصدق. **(قوله: لأنَّ تأثير القلب بالإثنين)** أي ما يحصل فيه من العلم واليقين بخبر الاثنين أبلغ وأقوى وأنفع من تأثيره بالواحد أي بخبره لضعفه بالنسبة للإثنين. **(قوله: فقال: هو من سمع السماع وآثر الأسباب)** أقول: لعل ذلك باعتبار إبتداء حال التصوّف إذ عند نهاية التصوّف غير السماع أهم منه كما لا يخفى على ذي الذوق السليم والعمل المستقيم.

(قوله: فقال: ليتنا الخ) أشار نفعنا الله به إلى أنَّ السماع من مواطن الخطر لا يحسن إلا عند من عظم صدقه وتحقق عنده الحق. **(قوله: من ادّعى السماع الخ)** أي ويشير إليه أنَّ في كل شيء آية تدل على أنّه تعالى واحد، فمن فرق في السماع فما تحقق ولذا قيل:

وكل ناطقة في الكون تطربني

والله أعلم.

يقول: سمعت أبا عثمان المغربيّ يقول: من ادّعى السماع ولم يسمع صوت الطيور وصرير الباب وتصفيق الرياح) أي ولم ينتفع بسماعه لها (فهو فقير مدع) لأنَّ الصوفي الكامل قد رق قلبه وقوي إدراكه فله في كل صوت سماع سواء كان من طير أم رعد أم تصفيق ريح أم غيرها على غفلة لتأثر قلبه وانزعاجه بأدنى سبب كما قال بعضهم: ما رأيت شيئاً حتى رأيت الله معه أي كل حادث يذكره المحدث. (سمعت أبا حاتم السجستانيّ رحمه الله يقول: سمعت أبا نصر السراج الطوسيّ يقول: سمعت أبا الطيب أحمد بن مقاتل العكيّ يقول: قال جعفر: كان ابن زيري من أصحاب الجنيد شيخاً فاضلاً، فربما كان يحضر موضع سماع فإنْ استطابه) ووجد فيه خيراً (فرش إزاره وجلس) لكمال الخير (وقال الصوفي:) راحته (مع قلبه وإن لم يستطبه قال: السماع لأرباب القلوب) أُخبر أنَّ قلبه في هذا الوقت ليس بطيب (ومر) أي انصرف (وأخذ نعله) ولم يتكلف لسماع. (سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت عبد الواحد بن بكر يقول: سمعت عبد الله بن عبد المجيد الصوفيّ يقول: سُئل رويم عن وجود الصوفية) أي عما يجدونه (عند السماع فقال: يشهدون المعاني) المرضية لله (التي تعزب عن غيرهم فتشير إليهم) انتوا (إليّ إليّ فيتنعمون بذلك من الفرح) لأنَّ كل عارف بالله له معه معاملة، وقرب بحسب حاله، وما فتح الله به عليه، فمنهم خائف ومنهم راجٍ ومنهم مقبوض، ومنهم مبسوط، ومنهم محب ومنهم مشتاق، ومنهم واجد، ومنهم مراقب، ومنهم مشاهد، فإذا سمعوا السماع دل المسموع كل واحد منهم على المعنى الذي بلغ إليه في معاملته وقربه من مولاه، فإنْ كان متمكناً قوي عليه الفرح والأنس والانبساط (ثم يقع الحجاب) لهم ليتأكد شوقهم ويقوى طلبهم لما كانوا فيه.

(فيعود ذلك الفرح بكاء، فمنهم من يخرق ثيابه، ومنهم من يصيح، ومنهم من

(قوله: فإنْ استطابه الخ) فيه دليل على أنَّه من الكاملين الذين لا يتكلفون أسباب السماع، ويتحرون في الاتفاقي منه لا كل أحواله. (قوله: راحته مع قلبه) أي مع حالة حضور قلبه ومراقبته. (قوله: قال السماع لأرباب القلوب) أي القلوب التي تخلصت من العلائق والشواغل.

(قوله: يشهدون المعاني الخ) أي فكل يسمع على حسب شربه في مقامه وحاله، ويصل بالسماع إلى ما ذاقه من شراب وصاله، فيزيد سروره بما بدا، ثم يعود بعد كما بدا فافهم.

(قوله: ثم يقع الحجاب) أي وذلك باعتبار حال السائرين أما العارفون الكاملون فلا يغيرهم شيء لخروجهم عن إحساس أنفسهم باستغراقهم في مشاهدهم. (قوله: أي قدر

يبكي) ومنهم من يغشى عليه، ومنهم من يموت **(كل إنسان على قدره)** أي قدر تعلقه بربه ورفعة مقامه وعظم بعده وحجبه. **(سمعت محمد بن أحمد بن محمد التميميّ يقول: سمعت عبد الله بن عليّ يقول: سمعت الحصريّ يقول في بعض كلامه: إيش أعمل بسماع ينقطع إذا انقطع من يسمع منه)** فلا ينبغي للسامع هذا السماع وهو السماع المعتاد الذي بالآلات وجميل الأصوات بل **(ينبغي أنْ يكون سماعك (سماعاً) متصلاً غير منقطع قال: وقال الحصريّ:)** أيضاً ما هو كالتفسير لذلك **(ينبغي أنْ يكون)** للسامع **(ظمأ دائم وشرب دائم، فكلما ازداد شربه ازداد ظمؤه)** وذلك بدوام معرفة الله ومحبته ومناجاته والاشتغال به حتى تتأنس القلوب به، وتنال من فضله وعطاياه وما يمنحه لها الله فإذا وصل العبد إلى هذا السماع لم يصبر عنه بحال، وكلما ازداد شربه منه والانتفاع توالى عطشه عليه وتواردت على قلبه الأوجاع، فعمل المؤمن دائم لا ينقطع قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩] أي الموت، وقال النبيّ ﷺ: «أحب العمل ما دام عليه صاحبه»(١) **(وجاء عن مجاهد في تفسير قوله تعالى: ﴿فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ﴾ أنه)** [الروم: ١٥] أي معناه **(السماع من الحور العين بأصوات شهية نحن الخالدات فلا نموت أبداً نحن الناعمات فلا نبأس أبداً)** كسائر أهل الجنة إذ لا موت فيها ولا شدة، والبأس الشدّة في الحرب ونحوه يقال منه بؤس الرجل يبأس بأساً إذا كان شديد البأس **(وقيل: السماع نداء)** من الله للعبد **(والوجد)** من العبد **(قصد)** وإجابة له. **(سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت أبا عثمان المغربيّ يقول: قلوب أهل الحق قلوب حاضرة وأسماعهم أسماع مفتوحة)** في ذلك دلالة على دوام تكلف القلوب للحضور

تعلقه بربه الخ) أقول: ويحتمل أنَّ المراد على قدره أي المقدر له في سابق علم الحق تعالى. **(قوله: بل ينبغي الخ)** مراده الحث على سبب دوام السماع ليكون من أمارات الانتفاع بحيث يصير كلما ازداد سماعه عظمت أوجاعه وكلما ورد شراب المحبين وكرع من إشارات المقربين اشتدّ ظمؤه وصدق نبؤه فافهم. **(قوله: ما دام عليه صاحبه)** أي وإنْ قلّ كما ورد هكذا في رواية أخرى. **(قوله: نحن الخالدات الخ)** لعل ذلك بيان لما سيسمع منهن. **(قوله: وقيل: السماع نداء الخ)** أي نداء إشاري وإجابة حقيقية فافهم والله أعلم.

(قوله: قلوب حاضرة) أي بدوام ذكر الحق ومراقبته بالصدق، والمراد قلوب

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل (٦، ٢٨٩، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢).

والسماع، فلما كملت أحوالها كشف لها في وقت عن الجلال والجمال ليكمل إدراكها وستر ذلك عنها في وقت ليعظم لهبها واشتياقها، فهي بين كشف واستتار، وحياة ودمار، ونيل وانتظار قال تعالى في وصف المؤمنين: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧] ووصف الكفار بأنهم ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الأنعام: ٢٥] وبأنه ختم على قلوبهم وعلى سمعهم، **(وسعته)** أيضاً **(يقول: سمعت الأُستاذ أبا سهل الصعلوكيّ يقول: المستمع بين استتار وتجلٍ فالاستتار يوجب التلهيب)** أي الاشتياق **(والتجلي يورث)** وفي نسخة يوجب **(الترويح والاستتار يتولد منه حركات المريدين وهو)** أي الاستتار **(محل الضعف والعجز والتجلي يتولد منه سكون الواصلين)** إلى الله تعالى **(وهو محل الاستقامة والتمكين، وذلك صفة الحضرة ليس فيها إلا الذبول تحت موارد الهيبة قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟﴾)** أي قال بعضهم لبعض: **(أنصتوا)** أي اصغوا لاستماعه **(وقال أبو عثمان الحيريّ: السماع)** لكونه إنما طلب للانتفاع، والخلق فيه ثلاثة أقسام: مبتدىء ومنتهٍ ومتوسط **(على**

العارفين المحققين إذ ما ذكره الشارح يفيد ما ذكر. **(قوله: إنَّ في ذلك لذكرى)** أي فيما ذكر في السورة لتذكرة وعظة، وقوله: لمن كان له قلب أي قلب سليم يدرك به كنه ما يشاهده من الأمور، ويتفكر فيها كما ينبغي، فإنَّ من عرف ذلك بقلبه رأى أنَّ مدار الدمار على الكفر، وقوله: أو ألقى السمع أي إلى ما يُتلى عليه من الوحي الناطق بما جرى للكفرة وأوفى قوله: أو ألقى السمع لمنع الخلو دون منع الجمع، فإنَّ إلقاء السمع لا يُجدي بدون سلامة القلب كما يلوح به قوله تعالى: ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ أي حاضر بفطنته لأنَّ من لا يحضر ذهنه كأنه غائب.

(قوله: المستمع بين استتار وتجلٍ) أي وذلك ليدوم اشتياقه، ويقوى بذلك رجاؤه، فهو إذا احتجب التهب، وإذا كوشف اقترب واضطرب، فهو بين عذاب عذب، ولذة غارق في أبحر تلك النعمة فافهم.

(قوله: يوجب التلهيب) أي الاحتراق بنيران الأشواق. **(قوله: يورث الترويح)** أي بطلوع بشائر التفريح. **(قوله: يتولد منه حركات المريدين)** أي بما يظهر من عدم تحمل وارد رب العالمين. **(قوله: وهو محل الضعف والعجز)** أي عن تحمل الواردات الإلهية، وبوارق أنوار الصمدية، فيبدو منهم الاضطراب من عدم القوّة على تحمل ما أصاب.

(قوله: والتجلي يتولد منه الخ) أي وإنْ كان التجلي يختلف لأنّه قد يكون بالجلال والكمال، وقد يكون بالجمال والدلال. **(قوله: السماع على ثلاثة أوجه الخ)** محصله أنَّ المبتدىء سماعه من بواعث العمل، والمتوسط سماعه من صدق الحال، والمنتهي سماعه مما يجريه الحق تعالى فيه من تصاريف الأحكام.

ثلاثة أوجه، فوجهٌ منها للمريدين والمبتدئين يستدعون بذلك الأحوال الشريفة ويخشى عليهم في ذلك الفتنة والمراآة) فسماعهم لتحصيل ما لم يحصل، وهم متكلفون عاملون في أسباب التحصيل بالفكر والبكاء وخلطة أرباب الأحوال، فيخشى عليهم دخول آفات الأعمال من الرياء والعجب وغيرهما مما يفسد الأحوال (والثاني للصداقين يطلبون الزيادة في أحوالهم ويسمعون من ذلك) السماع (ما يوافق أوقاتهم) فسماعهم لكمال الأحوال والترقي في درجات الكمال (والثالث لأهل الاستقامة من العارفين) بالله (فهؤلاء لا يختارون على الله) أي لا اختيار لهم (فيما يرد) من الله (على قلوبهم من الحركة والسكون) بل هي محل لذلك فسماعهم لدوام الكمال (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت أبا الفرج الشيرازيّ يقول: سمعت أبا علي الروذباريّ يقول: كان أبو سعيد الخراز يقول: من ادعى أنّه مغلوب) على قيامه وحركاته (عند الفهم يعني في السماع، وأنّ الحركات مالكة فعلامته) أي علامة صدقه في دعواه (تحسين) أهل (المجلس الذي هو فيه بوجده) بأنْ يؤثر فيهم حاله بما ظهر عليه من إمارة الغلبة والقهر في حركاته وسكناته، فيوقع الله صدقه في قلوبهم فينال كلاً منهم نصيب من حاله (قال الشيخ أبو عبد الرحمن السلميّ فذكرت هذه الحكاية لأبي عثمان المغربيّ فقال: هذا) أي ما ذكر من علامات صدقه (أدناه و) أما (علامته الصحيحة) الدالة على كمال صدقه وتناهي حاله فهي (أنْ لا يبقى في المجلس محق إلا أنس به) لأنّه وجد بعض ما وجد أو مثله (ولا يبقى فيه مبطل) منكر (إلا استوحش منه) لأنّه أنكر عليه حاله، (وقال بندار بن الحسين: السماع) الحاصل للناس (على ثلاثة أوجه منهم من يسمع بالطبع، ومنهم من يسمع

(قوله: يستدعون بذلك الخ) أي لأنّهم يسمعون من باعث الخوف والرجاء، وقوله: ويخشى عليهم الخ أي يخشى عليهم لبقاء نفوسهم حية تطلب حظوظها. (قوله: يطلبون الزيادة في أحوالهم) أي لأنّ سماعهم من واردات قلوبهم بواسطة ملك أو إلهام. (قوله: فهؤلاء لا يختارون على الله الخ) أي لأنّ سماعهم بقلوبهم بما يرد عليها منه تعالى بدون واسطة والله أعلم.

(قوله: فسماعهم لدوام الكمال) أي بواسطة المحبة والإجلال. (قوله: فعلامته الخ) محصله وقوع صدقه في قلب من رآه ممن صفت قلوبهم لا مطلقاً. (قوله: أنْ لا يبقى في المجلس الخ) أي وذلك لأنّ من ذاق عرف، ومن وصل إلى البحر اغترف. (قوله: إلا استوحش) أي لأنّ الجاهل عدّو للعالم، وقوله: لأنّه أنكر عليه حاله أي وإنْ كان الإنكار بالحال لا بالقال.

(قوله: منهم من يسمع بالطبع) أي بالجبلة، وقوله: بالحال أي حال القلوب،

بالحال، ومنهم من يسمع بحق) وفي نسخة بالحق **(فالذي يسمع بالطبع يشترك فيه)** أي فيما يسمعه **(الخاص والعام فإنَّ جبلة)** الأولى الجبلية **(البشرية استلذاذ الصوت الطيب)** والنغم الحسن (و) أما **(الذي يسمع بالحال فهو)** من **(يتأمل ما يرد عليه من ذكر عتاب أو خطاب، أو وصل، أو هجر، أو قرب، أو بعد، أو تأسف على فائت، أو تعطش إلى آتٍ، أو وفاء بعهد، أو تصديق لوعد، أو نقض لعهد، أو ذكر قلق، أو اشتياق، أو خوف فراق، أو فرح وصال، أو حذر انفصال، وما جرى مجراه، وأما من يسمع بحق فيسمع بالله ولله، ولا يتصف بهذه الأحوال التي هي ممزوجة بالحظوظ البشرية فإنَّها مبقاة مع العلل فيسمعون من حيث صفاء التوحيد بحق لا بحظ)** حاصل ذلك أنَّ الأوّل وهو المبتدىء موقوف على خلاصه من ضرر الإثم، والثاني وهو صاحب الحال سماعه للزيادة مما هو فيه من معاملته مع الله وقربه منه، فلا علم عنده لعدم المجاهدة، وهو يتنعم بما يتوالى عليه من المشاهدة، والثالث وهو صاحب الحق مستغرق فيما هو فيه من شغله بالله حتى لم يرَ ما عداه، وإنما سماعه منه وبه وإليه لا إله سواه.

(وقيل: أهل السماع على ثلاث طبقات) أي أضرب ضرب أوّل هم **(أبناء**

وقوله: بحق أي وذلك هو الله تعالى. **(قوله: يشترك فيه الخاص والعام)** أي وإنْ كان هناك فرق بين العامي غير المريد، والعامي المريد لأنَّ الأوّل يسمع من حيث ما للنفس من الحظ، والثاني يسمع من بواعث الأعمال.

(قوله: فهو من يتأمل ما يرد عليه) أي بواسطة إلهام أو ملك ينفث في روعه وارداً من تلك الواردات. **(قوله: من ذكر عتاب الخ)** ما ذكره من الواردات يناسب كامل أحوال الخلق العارفين وغيرهم. **(قوله: وما جرى مجراه)** أي فيشتغل بما بدا له من آثار هذه الواردات المتقدمة. **(قوله: فيسمع بالله ولله)** أي بما يرد عليه منه تعالى بدون واسطة بخلاف من قبله، فإنَّ ما يرد عليه لا يكون إلا بالواسطة من إلهام أو ملك، وقوله: ولله أي فيكون سماعه لحقه تعالى لا لغير ذلك من الأغراض النفسية.

(قوله: موقوف على خلاصه الخ) فيه قصور يظهر مما قدمناه من الفرق بين العامي غير المريد، وبين العامي المريد، فما ذكره الشارح إنما يناسب العامي غير المريد، وأما العامي المريد فيقال فيه: إنّه موقوف على التثبت في مراعاة المتابعة لسنة سيد الكاملين عليه صلاة وسلام رب العالمين. **(قوله: للزيادة)** أي فهو طالب ومن بعده صامت. **(قوله: حتى لم ير ما عداه)** أي لأنّه قد فني عن مراده في مراد مولاه سبحانه وتعالى. **(قوله: وإنما سماعه منه وبه وإليه)** أي بدأً وإعانة ومرجعاً. **(قوله: أهل السماع على ثلاث طبقات إلى آخره)** حاصله أنَّ الطبقة الأولى مخاطبون بخطاب الحق سامعون له وعاملون

الحقائق يرجعون في سماعهم إلى مخاطبة الحق سبحانه لهم) بأنْ يسمعوا منه ما يخلفه في قلوبهم من الفهم مع أنهم لم يقطعوا العلائق الآتي بيانها **(وضرب)** ثانٍ **(يخاطبون الله تعالى بقلوبهم بمعاني ما يسمعون)** بأنْ يخاطبوه بما يلهمهم إياه من الدعاء والالتجاء والنجوى **(فهم مطالبون بالصدق فيما يشيرون به إلى الله تعالى)** بقلوبهم **(و)** ضرب **(ثالث هو فقير مجرد قطع)** أي هم فقراء مجردون قطعوا **(العلاقات من الدنيا والآفات)** لا يخاطبون الله بل **(يسمعون)** منه **(بطيبة قلوبهم)** ما يلهمه لهم فإنَّهم لكونهم فرغوا من تدبير أنفسهم ورياضة أحوالهم صاروا محال لما يجريه الله عليهم من المعاني التي يتلذذون بها **(وهؤلاء أقربهم)** أي أقرب الأضرب الثلاثة **(إلى السلامة)** لبعدهم عن دعوى الصدق فيما يخاطبون الله به لأنَّهم لا يخاطبونه كما مرّ **(سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت أبا بكر الرازيّ يقول: سمعت أبا عليّ الروذباريّ يقول: وقد سئل عن السماع فقال:)** هو **(مكاشفة الأسرار)** الموصلة **(إلى مشاهدة المحبوب)** بأنْ يكون العبد في غطاء من غفلته عن

به، والثانية تخاطبه تعالى بمعاني ما يرد على قلوبهم فهم حينئذ مدّعون، ولذلك طولبوا بالصدق فيه، والثالثة صامتة خرساء تجرّدت عن العلائق شاهدة أنّها محال لما يجريه الحق تعالى في الخلق والله أعلم.

(قوله: يرجعون في سماعهم الخ) أي فهم دائماً بشاهد المتابعة غير أنّ قلوبهم متطلعة إلى ما وعد به الحق تعالى من الحظ الآجل. **(قوله: وضرب ثان يخاطبون الله الخ)** أي يخاطبونه على معنى اشتغال قلوبهم بما يسمعونه في الوقت فيتخلقون بإشارته على حسب وارده، ويحتمل أنّ معنى يخاطبون الله أي من حيث أنّ ألسنتهم لهجة بذكره، وقلوبهم مشتغلة بفكره، فلا تعلق لهم في الظاهر والباطن إلا به تعالى، وهذا أولى مما قبله. **(قوله: هو فقير مجرد)** أي متخلٍ عن الإرادة والاختيار لشيء غير ما أراده مولاه. **(قوله: قطعوا العلاقات من الدنيا)** أي بل ومن الآخرة أيضاً. **(قوله: لكونهم فرغوا من تدبير أنفسهم)** أي من تربيتها على طريق المتابعة. **(قوله: ورياضة أحوالهم)** أي بعرضها على ظاهر الشرع، فما وافق منها عمل به وغيره يترك العمل به. **(قوله: لبعدهم عن دعوى الصدق)** الأولى لبعدهم عن سائر الدعاوى لأنّهم صامتون راضون بكل ما يجريه الحق تعالى فيهم من تصاريف الأحكام ولو لم تلائم. **(قوله: فقال: هو مكاشفة الأسرار الخ)** أي فمعناه تنبيه القلب إلى ما كان غافلاً عنه من كمالات ربه، وهو كما ترى من أخلاق المريدين لا العارفين من المحققين إذ لا غفلة لهم لأنّها عندهم من أكبر الذنوب التي لو وقعت بتقدير الحكيم العليم لوجبت عليهم التوبة منها حالاً.

(قوله: الموصلة إلى مشاهدة المحبوب) أي فحينئذٍ السماع وارد حق منبه للقلب

ربه ثم يكشف عنه الغطاء فيذكر ربه، ويتمتع برؤيته ومشاهدته بقلبه، فانتقاله عن غفلته إلى ذكر ربه ورؤيته هو ما يعبر عنه بالسماع الصحيح، **(وقال) إبراهيم (الخوّاص رحمه الله تعالى وقد سئل: ما بال الإنسان يتحرّك)** ويجد **(عند سماع غير القرآن)** من الشعر ونحوه **(ما لا يجد ذلك في)** وفي نسخة عند **(سماع القرآن فقال:)** زائد **(لأنّ سماع القرآن صدمة لا يمكن لأحد أنْ يتحرّك فيه لشدة غلبته وسماع القول ترويح)** لقلب السامع **(فيتحرّك)** بسماعه لأنّه مطابق لما عنده، فيسرع الفهم إليه فيقبله ويأنس به، وقد قيل: القرآن ذكر، فلا يقدر على فهمه ووجود الأحوال في سماعه إلا الذكور من الرجال بخلاف الشعر ونحوه الذي هو لمخاطبة المخلوقين. **(سمعت محمد بن الحسين رحمه الله تعالى يقول: سمعت عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الرازيّ يقول: سمعت الجنيد يقول: إذا رأيت المريد يحب السماع فاعلم أنّ فيه بقية من البطالة)** لأنّه لم تكمل معرفته بمولاه، ولا جاهد نفسه في مفارقة هواه بخلاف سماع من كملت معرفته، فإنّه إنما يكون بعد تقدم المجاهدات والرياضات والإعراض عن الشهوات شغلاً بالله وطمعاً في وجود الراحات، فيكون سماعه من

المستعدّ للكمالات على مراقبة مولاه فيما أولاه بعد غفلته في مهد رقدته، وذلك هو السماع الصحيح كما ذكره الشارح نفعنا الله ببركات أنفاسه. **(قوله: ما بال الإنسان يتحرّك الخ)** اعلم أنّ الحركة وقت السماع المشروع لا تعد نقصاً عند تجرّد السماع عن شوائب الحظوظ النفسية، وإنما النقص في الحركة عند السماع الهوائي الممازج للشهوات نعم الكمال في الكمال، وله الإشارة بقوله جل ذكره: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: ١٧] وغير البصر منه أحرى فافهم.

(قوله: فقال: لأنّ سماع القرآن الخ) حاصله أنّ القرآن كلام الله القديم، ولا نسبة بين القديم والحادث حتى يصح الترويح بسماعه لأنّ نسبته العظمة والجلال والقهر، ووصف العبد الذل والضعف، فلذا كان سماع القرآن صدمة وجبروتاً وعظمة بخلاف سماع كلام من ماثلك في النعوت البشرية، فهو يوجب الترويح لقوّة المناسبة بينك وبينه.

(قوله: وقد قيل: القرآن ذكر الخ) المراد به أنّه من مجالي الجبروت والعظمة، وحينئذ فلا يتروّح به إلا الذكور من الرجال لكونهم في الثبات كالجبال بخلاف غير القرآن من الشعر ونحوه الذي لا يصدر غالباً إلا من خناثاهم فإنّه هو الذي يتروّح به الأمثال من الخناثى. **(قوله: يحب السماع)** أي يحبه من جهة ما للنفس فيه من الحظ باعتبار ما جبلت عليه النفوس. **(قوله: بخلاف سماع من كملت معرفته)** أي وكان من المتوسطين في طريق السير إلى الله تعالى. **(قوله: السماع علم الخ)** لعل المراد أنّ تأثير السماع في قلوب السامعين مما استأثر الله بعلمه إذ هو الذي لا يعلمه غيره تعالى. **(قوله: وكان**

باب العون له على مقاصده الصحيحة وأحواله الرفيعة (**وسمعته**) أيضاً (**يقول: سمعت أبا عبد الله البغداديّ يقول: سمعت أبا سعيد الرمليّ يقول:**) زائد (**قال سهل بن عبد الله: السماع علم استأثر الله**) أي اختص (**به لا يعلمه إلا هو**) لأنّه ليس مكتسباً بل موهبة من الله لمن اختصه به، (**وحكى أحمد بن مقاتل العكيّ قال: لما دخل ذو النون المصريّ بغداد اجتمع إليه الصوفية ومعهم قوّال**) ينشد الشعر (**فاستأذنوه**) أي ذا النون (**بأنْ يقول:**) القوا (**بين يديه شيئاً**) وكان محتاجاً إلى السماع من غيره (**فأذن**) بذلك (**فابتدأ يقول: صغير هواك**) أي حبك (**عذبني. فكيف به إذا احتنكا**) أي استولى وقهر (**وأنت جمعت من قلب. هوى**) أي حباً (**قد كان مشتركا. أما ترثي لمكتئب.**) أي شديد الحزن (**إذا ضحك الخليّ**) أي الخالي من الهم (**بكى قال: فقام ذو النون وسقط على وجهه**) من شدة حاله (**والدم يقطر من جبينه ولا يسقط على الأرض**) وفي نسخة ولا يشعر أي به (**ثم قام رجل من القوم**) لم يبلغ حاله حال ذي النون (**يتواجد فقال له ذو النون: الذي يراك حين تقوم فقعد الرجل سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق رحمه الله يقول في هذه الحكاية: كان ذو النون صاحب إشراف على ذلك الرجل حيث نبهه**) على (**أنَّ ذلك ليس مقامه، وكان ذلك مقامه، وكان ذلك الرجل صاحب إنصاف حيث قبل ذلك منه فرجع وقعد سمعت محمد بن أحمد بن محمد التميميّ يقول: سمعت عبد الله بن عليّ الصوفيّ يقول: سمعت ابن الجلاء يقول: كان بالمغرب شيخان لهما أصحاب وتلامذة يقال لأحدهما: جبلة وللثاني رزيق**) بتقديم الراء (**فزار رزيق يوماً جبلة في أصحابه فقرأ رجل من أصحاب رزيق شيئاً فصاح**)

محتاجاً إلى السماع) أي كان في ذلك الوقت الأهم عنده السماع لا غيره. (**قوله: صغير هواك الخ**) أي حبي إياك الذي مننت عليّ به الذي هو في نفس الأمر صغير بالنسبة لما يليق بجلالك وعظمتك عذبني أي صيرني متقلقاً لأجل محبة لقائك، فكيف إذا احتنكا باستيلائه وقهره على قلبي، وزاد على طاقتي، وقوله: وأنت جمعت الخ محصله أنّه كان قبل يميل إلى أشياء متعددة، ثم بتوفيق الحق تعالى له صار لا يميل إلا إليه سبحانه، وقوله: أما ترثي الخ شاهد لما قبله والله أعلم. (**قوله: ولا يسقط على الأرض**) أي صيانة له وحفظاً لكرامته عند ربه. (**قوله: فقال له ذو النون: الذي يراك الخ**) أي ذكره بالرقيب القريب، وقوله: فقعد الرجل أي قعد خوفاً وحياء. (**قوله: حيث قبل ذلك منه الخ**) أي فكان ذلك دليلاً على قوّة خوفه وحيائه، وهو من أسباب القرب وبلوغ درجة الكمال. (**قوله: وفي ذلك دلالة على صدق القارىء**) أي بواسطة ما شوهد من تأثير ما بدا من قوّة حاله، وقوله: والمستمع أي لما شوهد تأثيره حتى كان ذلك سبب موته، ولا يخفى الفرق بينهما والله أعلم.

واحد) صادق **(من أصحاب جبلة ومات)** لقوّة حاله عليه، وفي ذلك دلالة على صدق القارىء والمستمع في السماع **(فلما أصبحوا قال جبلة لرزيق، أين الذي قرأ بالأمس فليقرأ فقرأ آية فصاح جبلة صيحة فمات القارىء)** على أحسن أحواله **(فقال جبلة: واحد بواحد)** أشار به إلى أنَّ في أصحاب كل منهما صادقاً **(و)** لكن **(البادي)** منهما بالقراءة **(أظلم)** من الظلمة لا من الظلم لأنَّ قلبه لم يتأثر بقراءته كما تأثر بها قلب سامعه، أصفى وأنور من قلبه، فمات بسماع قراءته دونه، ولما كمل صفاء قلبه وزالت عنه ظلمته بقراءته ثانياً وبصيحة جبلة بقوّة الحال مات فرحم الله الجميع **(وسئل إبراهيم المارستانيّ عن الحركة عند السماع فقال: بلغني أنَّ موسى عليه السلام قص في بني إسرائيل)** أي ذكر لهم قصة **(فمزق واحد منهم قميصه فأوحى الله إليه قل له: مزق لي قلبك ولا تمزق ثيابك)** فالمراد من السماع سماع القلب وإصلاحه وحفظه لا سماع الجوارح من غير غلبة إذ يخشى على من ظهر عليه الرقص والتواجد والقلق من غير غلبة دخول الرياء والكذب في دعواه إنَّ ذلك عن غلبة فيدخل في خبر «المتشبع بما لم ينل كلابس ثوبي زور»[1] **(وسأل أبو عليّ المغازليّ الشبليّ)** رحمهما الله **(فقال)** له: **(ربما يطرق)** وفي نسخة طرق **(سمعي آية من كتاب الله تعالى فتحدوني)** أي تسوقني وتحملني **(على ترك الأشياء)** المشتهاة **(والإعراض عن الدنيا)** والإقبال على الله **(ثم أرجع إلى أحوالي)** وإحساسي **(وإلى الناس فقال الشبليّ: اجتذبك)** وساقك **(إليه)**

(قوله: ولكن البادي منهما بالقراءة أظلم) أي حيث لم يتم له نور القلب وقت القراءة أوّل مرة وإلا لتأثر مثل السامع الأوّل. **(قوله: بقراءته ثانياً)** أي مع ملاحظة المشايخ له في حال قراءته. **(قوله: فقال: بلغني أنَّ موسى الخ)** فيه تنبيه على أنَّ معاملة الحق تعالى لا تكون إلا بالقلوب حتى تثمر عن المطلوب لأنَّ ما يظهر عرضة للامتحان، وقد يكون من أسباب الافتتان. **(قوله: فالمراد من السماع سماع القلب وإصلاحه وحفظه)** أي فالسماع النافع الموصل إلى الله تعالى هو ما يكون كذلك بخلاف غيره من سماع الجوارح مع غفلة القلوب فإنَّه من أقوى أسباب العطب.

(قوله: فتحدوني) من الحداء، وهو رفع الصوت بالرجز لسوق الإبل غير أنَّ المراد به هنا الحث والسوق على ما ذكره الشارح نفعنا الله به. **(قوله: فقال الشبليّ الخ)** محصله أنَّ كلاً من حالتي السائل من باب اللطف منه تعالى والرحمة بالعبد بمظهر حقيقة إسمه الرب الذي هو من التربية لغرض التنبيه على أشرف الأحوال من التبري من الحول والقوّة والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري (نكاح ١٠٦) ومسلم (لباس ١٢٦، ١٢٧) والترمذي (بر ٨٧) وأحمد بن حنبل (٦، ١٦٧، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٥٣).

تعالى (**فهو عطف منه عليك ولطف**) وإكرام منه لك (**وما رددت**) به (**إلى نفسك**) وإحساسك والناس **فهو شفقة منه عليك لأنه لم يصح لك**) لكونك لم تكمل (**التبري من الحول والقوة في التوجه إليه**) تعالى فهو تعالى يربيك ويعلمك به ويذيقك أشرف الأحوال معه لتعرف قدر نعمه، ويردك إلى نفسك وإحساسك لتعرف عجزك عن نيل ذلك، ويتكامل همك وتقوى رغبتك في الاشتغال به والاعتماد عليه دون غيره. (**سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول: سمعت أحمد بن مقاتل العكي يقول: كنت مع الشبلي في مسجد ليلة في شهر رمضان، وهو يصلي خلف إمام له وأنا بجنبه، فقرأ الإمام ولين شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك فزعق زعقة قلت**) في نفسي: (**طارت**) بها (**روحه وهو يرتعد ويقول: بمثل هذا يخاطب الأحباب**) فكيف بغيرهم (**ويردد ذلك كثيراً**) على نفسه وهو مغلوب عليه، فالعارفون وإن بلغوا من معرفة الله ومحبته وكرامته ما بلغوا لا يأمنون المكر، ولا ييأسون من الفضل لعلمهم بأنه تعالى يفعل ما يشاء (**وحُكي عن الجنيد أنه قال: دخلت على السري يوماً فرأيت عنده رجلاً مغشياً عليه فقلت: ما له فقال**) لي: (**سمع آية من كتاب الله تعالى**) فغشي عليه واستغرق فيها (**فقلت**) له: (**تقرأ عليه ثانياً**) لعله يفيق (**فقرىء**) الأولى فقرئت عليه (**فأفاق فقال لي: من أين علمت هذا فقلت**) له: (**أنَّ قميص يوسف**) الذي لطخ بالدم (**ذهب بسببه**) مع ما يأتي (**عين**) وفي نسخة عينا (**يعقوب عليهما السلام ثم به**) أي يعوده يعني يعود جنسه فإنَّه غير القميص الذي لطخ بالدم (**عاد بصره فاستحسن مني ذلك**) لأنَّ ذهاب بصر يعقوب كان بسبب بعد يوسف وغيبته عنه وأسفه عليه مع إتيان قميصه له ملطخاً بالدم فلما أتاه قميصه تحقق وجوده وسلامته،

(**قوله: فهو تعالى يربيك**) من التربية هي إبلاغ الشيء درجة الكمال على التدريج شيئاً فشيئاً. (**قوله: عن نيل ذلك**) أي بدون إعانة اللطيف الخبير. (**قوله: فالعارفون وإن بلغوا الخ**) أي وذلك لأنهم دائرون بين الرجاء والخوف بل الخوف أغلب على قلوبهم، وذلك بشهودهم أنَّ الحق تعالى يفعل ما يريد ولا معقب لحكمه، ولا تعلل أحكامه. (**قوله: فقرأ عليه فأفاق**) أي لأنهم كما يغيبون بالآيات يصحون بها باعتبار ما يؤثر من أسرار ذي الآيات جل شأنه.

(**قوله: فلما أتاه قميصه الخ**) أي فكما كان سبباً للحزن المفرط كان سبباً للفرح الدائم، وهما ضدان، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨].

تنبيه:

اتفق أنَّ سائلاً سأل كيف يصح ما وقع لسيدنا يعقوب من الحزن على فقد سيدنا يوسف عليهما السلام المؤدي لذهاب بصره مع أنَّه في ضعفاء الأمة المحمدية من له الصبر التام على مثل هذا المصاب، قلت: حزنه عليه السلام ليس هو المعهود البشري

وقرب الاجتماع به، فزال عنه ما كان فيه وورد الله عليه بصره. (**سمعت أبا حاتم السجستانيّ يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول: سمعت عبد الواحد بن علوان يقول: كان شاب يصحب الجنيد فكان إذا سمع شيئاً من الذكر يزعق فقال له الجنيد يوماً: إنْ فعلت ذلك مرة أخرى لم**) الأولى لا (**تصحبني**) لأنَّ إخفاء الأحوال عن غير الله أَفضل لمن قدر عليه (**فكان إذا سمع شيئاً يتغير ويضبط نفسه حتى كان يقطر كل شعرة من بدنه بقطرة**) وفي نسخة قطرة أي قطرة ماء مما يقاسيه في الكتم من الشدّة (**فيوماً من الأيام صاح صيحة تلفت بها نفسه**) لغلبة قوّة الحال عليه، فكان ذلك سبب موته على أحسن أحواله وما قاله الجنيد: هو شأنه في القوّة، ولهذا لما حضر سماعاً وقيل له: مالك في هذا السماع من نصيب أَجاب بقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨]. (**وسمعت أبا حاتم السجستانيّ يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول: حكى لي بعض إخواني عن أَبي الحسين الدراج قال: قصدت يوسف بن الحسين الرازي من بغداد**) لزيارته وكان بالري (**فلما دخلت الري سألت عن منزله فكل من أسأله عنه يقول لي: إيش تفعل بذلك الزنديق فضيقوا صدري حتى عزمت على الانصراف**) عنه (**فبت تلك الليلة في مسجد ثم قلت**) في نفسي: (**جئت هذا البلد فلا أَقل من زيارته، فلم أزل أَسأل عنه حتى وقعت إلى مسجده، وهو قاعد في المحراب وبين يديه رحل**) بالحاء المهملة (**وعليه مصحف**)

الطبيعي بل هو من الخوف على فقد ثمرة وجود يوسف عليه السلام من هداية الكافة به، وانتفاعهم على يديه فعض عليه بالنواجذ، ولا تظن سوءاً والله أعلم.

(**قوله: الأولى لا**) ألا لأنَّ لم للنفي في الماضي ولا له في المستقبل وهو المراد. (**قوله: أفضل لمن قدر عليه**) أي لما فيه من حفظ السرّ الذي هو من أَسباب دوام البر، ولأنَّه أبعد عن المعطلات من كبير المراآت. (**قوله: وما قاله الجنيد هو شأنه الخ**) أي ولذا أمر به تلميذه لحسن ظنه به أنّه يقوى على مثله، وإلا فالعارف طبيب يداوي بحسب حال المريض. (**قوله: أجاب بقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ﴾** الخ) [النمل: ٨٨] أي فقد أشار إلى أنَّ حال الكامل السكون في الظاهر لابتنائه على إخفاء ما بينه وبين مولاه عن سائر ما سواه، وذلك كما لا يخفى لا ينافي طيران القلوب في الذي يتجلى عليها به المحبوب حيث هي شأنها التقلب باعتبار ما يرد عليها من الواردات، شعر:

وما سُمي الإنسان إلا لنسيه ... وما القلب إلا أنه يتقلب

(**قوله: يقول لي: إيش تفعل الخ**) أي وذلك منهم لقوّة الحجاب عليهم، فلم يشهدوا كماله. (**قوله: فضيقوا صدري**) أي من كثرة وقوعهم فيه بالغيبة الناشئة لهم عن شدّة غفلتهم. (**قوله: فلا أقل من زيارته الخ**) فيه دليل على أنّه قد تأثر بما قيل له، ويحتمل أنّه على اعتقاده

يقرأ) فيه (وإذا هو شيخ بهي حسن الوجه واللحية، فدنوت منه وسلمت عليه فردّ علي السلام وقال) لي: (من أين) جئت (فقلت: من بغداد قصدت زيارة الشيخ فقال) لي: مكاشفة وامتحاناً فيما وقع لي من تردّدي في زيارته بسبب ما قيل لي: إنه زنديق، ومن قولي بعده فلا أقل من زيارته ثم زيارتي له بهذه النية، ورؤيتي له على صورة حسنة وهو يقرأ في المصحف (لو أنَّ في بعض البلدان) التي بيننا وبين بغداد (قال لك إنسان: أقم عندي حتى أشتري لك داراً أو جارية أو كان يمنعك) ذلك (عن زيارتي فقلت) له: (يا سيدي ما امتحنني الله بشيء من ذلك ولو كان) قد امتحنني (لا أدري كيف كنت أكون) يعني ما كنت أدري ما يكون، ففهم من كلامه أنه عاقل عالم بقدر الله صادق في زيارته (فقال) لي: هل (تحسن أنْ تقول شيئاً) من الشعر المناسب للحال؟ (فقلت) له: (نعم وقلت: رأيتك) يا عبدي (تبني دائباً) أي مجداً (في قطيعتي. ولو كنت) أنت (ذا حزم لهدّمت ما تبني) أشار به إلى أنَّ العبد يشتغل في أكثر عمره بغير ربه، وما خلق له (فأطبق الشيخ المصحف) لما سمع منه هذا البيت (ولم يزل يبكي حتى ابتلت لحيته وثوبه حتى رحمته من كثرة بكائه ثم) أراد أنْ يعرفني أيضاً كمال حاله، وأنَّ زيارته لم تخب حيث (قال لي: يا بني تلوم أهل الري على

لم يتغير حاله، وهذا هو الأولى بمثله وإنْ أشار الشارح إلى خلافه.

(قوله: لو أنَّ في بعض البلدان الخ) محصله امتحانه هل يؤثر العاجل من الحظوظ أو الآجل منها. (قوله: ففهم من كلامه الخ) أي لأنّه لم يدع مقاماً ولا حالاً بل فوّض علم ما يحصل له عند الامتحان إلى الحق تعالى. (قوله: رأيتك) أي علمتك تبني أي تؤسس أفعالك دائباً من الدأب وهو الجد في قطيعتي أي مقاطعتي ومخالفة أمري ولو كنت ذا حزم أي صاحب رأي سديد لهدّمت ما تبني بطاعة أمري ومخالفة هواك.

(قوله: وهذا كله الخ) إنْ قلت: كيف يبكي عند سماع الشعر دون سماع القرآن، قلت: ذلك لجلالة القرآن وبعد مناسبة العبد منه بخلاف الشعر كما تقدّم. (قوله: لمدح العوام) أي ولا غير العوام بعداً عن طرق المهلكة بالرجوع إلى غيره تعالى. (قوله: في سبيل الله الخ) محصله أنّه يتفهم من إشارته الرائقة وعبارته الفائقة أنَّ الحق تعالى يحب كمال العبد ويريد له الإحسان، والعبد تارةً يقبل على مولاه وعلى عبادته، وتارةً يحجم، وذلك يتكرّر منه كل وقت، وبمثل هذه المعاملات لا تعامل العظماء، فلا حول ولا قوة إلا بالله. (قوله: فقال لها يا جارية الخ) أي قال ذلك لما ظهر له من إشارة اللفظ وعبارة الوعظ حيث كان مثل هذا حاله وعلى هذا المنوال أعماله. (قوله: وشهق شهقة) أي لما أثر فيه من عتاب الأحباب وشريف التنبيه برقيق الخطاب، وهكذا السعداء تحفهم الألطاف، وتدركهم سوابق الإسعاف رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم عنا بمنه وكرمه.

قولهم: **يوسف بن الحسين زنديق ومن وقت الصلاة هو ذا)** أي أنا (**اقرأ)** وفي نسخة يقرأ (**القرآن ثم لم تقطر من عيني قطرة وقد قامت عليّ القيامة)** وجرى عليّ ما رأيت (**بهذا البيت)** أي بسماعي له، وهذا كله يدل على كماله لاشتغاله بكتاب الله من وقت الصلاة إلى وقت الاجتماع مع ما رأيت، وأين هذا من الزندقة، وبالجملة فالغرض أنَّ العبد لا يلتفت لمدح العوام ولا ذمهم لأنَّهم يوقعون ذلك بغير أَصل، ولو سمع هذا الزائر من كلامهم لفاتته هذه الخيرات. (**سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفيّ يقول: سمعت عبد الله بن عليّ الطوسي يقول: سمعت الرقي يقول: سمعت الدراج يقول: كنت أنا وابن القوطي مارّين على الدجلة)**وفي نسخة دجلة (**بين البصرة والأبلة)** بضم الهمزة والموحدة وتشديد اللام مدينة بجنب البصرة (**وإذا)** نحن (**بقصر حسن له منظر وعليه رجل، وبين يديه جارية تغني وتقول: في سبيل الله ود.)** أي حب (**كان مني لك يبذل)** أي يعطي (**كل يوم تتلون.)** عليّ يا عبدي وتلوّنه مع مولاه دليل قلة معرفته به، فتارة يذكر فضل ربه عليه وما والاه، وتارة يضعف حاله ويرجع إلى دنياه، ولذلك قال: (**غير هذا بك أجمل وإذا شاب تحت المنظرة بيده ركوة وعليه مرقعة يسمع)** هذا البيت (**فقال)** لها: (**يا جارية بحياة مولاك أعيدي كل يوم تتلون. غير هذا بك أجمل فأعادته)** بإذن مولاها (**فقال)** لها (**الشاب: قولي)** أي أعيديه أيضاً (**فأعادته)** أيضاً بإذن مولاها (**فقال الفقير:)** أي الشاب (**هذا والله تلوني مع الحق)** تعالى (**وشهق شهقة خرجت)** بها (**روحه فقال صاحب القصر للجارية:)** لما أثر فيه صدق الشاب (**أَنتِ حرة لوجه الله تعالى وخرج أهل البصرة)** في جنازته (**وفرغوا من دفنه والصلاة عليه فقام صاحب القصر وقال)** لهم: (**أليس تعرفوني؟ أشهدكم أنَّ كل شيء لي)** فهو (**في سبيل الله وكل مماليكي أحرار ثم اتزر بإزار، وارتدى برداء، وتصدّق بالقصر، ومرّ فلم يرَ له بعد ذلك وجه ولا سمع له أثر)** أي خبر (**سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفيّ يقول: سمعت عبد الله بن عليّ الطوسيّ يقول: سمعت يحيى بن الرضا العلويّ قال: سمع أبو سلمان الدمشقي: طوافاً ينادي)** على

(**قوله: لما أثر فيه من صدق الشاب)** أي الشاب الذي كانت الجارية سبباً في موته.
(**قوله: فقام صاحب القصر الخ)** أي نهض من نوم الغفلات وسكر العادات، والتهافت على الشهوات، والعكوف على تحصيل المرادات بما نبهه من حال الشاب الصادق وإتلاف روحه بالخوف الفائق، فالله سبحانه يمنحنا الاعتبار ويهبنا الاستبصار بجاه السيد المختار ﷺ.

(**قوله: أليس تعرفوني الخ)** لعل مراده أليس تعرفوني بصفة صحة التصرف. (**قوله: قال: سمع أبو سليمان الخ)** تأمل يا أخي أسباب السعادة إذا أريدت للإنسان حيث يأخذ

السعتر الذي يؤتى به من البرية (**يا سعتر بري فسقط مغشياً عليه فلما أفاق سُئل**) عن ذلك (**فقال**: **حسبته**) أي وقع في سمعي أنّه (**يقول**:) يا عبدي (**اسع**) إليّ (**تر بري**) أي إكرامي لك وسمع بعضهم منادياً ينادي في السوق على الخيار أربعة بربع فبكى وانتحب وقال: إذا كان هذا قدر الخيار فكيف يكون قدر الشرار، (**وسمع عتبة الغلام رجلاً يقول**: **سبحان رب السماء إنّ المحب لفي عناء**) أي تعب ومشقة (**فقال عتبة**: **صدقت وسمع رجل آخر ذلك القول فقال**: **كذبت فكل واحد**) منهما (**سمع من حيث هو**) متصف بحاله الذي هو فيه فأخبر عن نفسه بما وجده من ربه. (**سمعت أبا حاتم السجستانيّ يقول**: **سمعت أبا نصر السراج يقوله**: **سمعت أبا الحسن عليّ بن محمد الصوفيّ يقول**: **سمعت رويماً وقد سئل عن**) حال (**المشايخ الذين لقيهم في السماع فقال**:) هو (**كالقطيع**) من الغنم (**إذا وقع فيه الذئب**) فإنّ كل واحدة منه تشرد إلى جهة، فكذلك كل واحد من المشايخ الذين يستمعون القول يسمع من حاله الذي هو فيه، فكل منهم مضى إلى جهة، وهذا يدل على كمال صدقهم وأنّ كلاً منهم مع الحال الذي فتح الله عليه به. (**وحُكي عن أبي سعيد الخراز قال**: **رأيت عليّ بن الموفق في السماع يقول**؛ **أقيموني فأقاموه فقام وتواجد**) ورقص (**ثم قال**: **أنا الشيخ الزفان**) هذا ذم لنفسه وإظهار لعجزه عن كتم حاله.

(**وقيل**: **قام الرقي ليلة إلى الصباح يقوم ويسقط على**) سماع (**هذا البيت والناس قيام يبكون**) لما يشاهدون من حاله وشدّة ما هو فيه ولم يشعر بنفسه، والبيت هو (**بالله فاردد فؤاد مكتئب**) أي شديد الحزن (**ليس له من حبيبه خلف**) أي بدل. (**سمعت محمد بن أحمد التميميّ يقول**: **سمعت عبد الله بن عليّ الصوفيّ يقول**:

من إشارات الحق الواقعة على السنة أبناء الزمان فيكمل سعده بالكرامات فيدعوه سيده بما يقع من المنادات.

(**قوله**: **فكل واحد منهما الخ**) أي وذلك لأنّ كل إناء بما فيه ينضح. (**قوله**: **فقال**: **هو كالقطيع من الغنم**) التشبيه في مطلق الفرار من أسباب الضرر، فالمراد أنّ كلاً يسمع من شربه، ويفر إلى حزبه بحسب حاله مع ربه. (**قوله**: **فكل منهم مضى إلى جهة**) أي اشتغل بما نفثه الملك في روعه وقلبه من دواعي أسباب وصوله وقربه. (**قوله**: **هذا ذم لنفسه**) أي لأنّ الكمال في كتم ألاشواق وإنْ قطعت السيوف الأعناق كما تقدم عن الجنيد حيث قال: وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب.

(**قوله**: **والبيت هو بالله الخ**) أي فلعل ما بدا له منه التنبيه على كمال شاهده في سيره ثم حجبه عنه لتدوم له الأشواق وتتزايد فيه نيران الاحتراق. (**قوله**: **بالله فاردد فؤاد مكتئب الخ**) معناه أنّه لما تزايدت أحزانه وعظم شوقه وغرامه بحجبه عن المناظر العلا

سمعت عليّ بن الحسين بن محمد بن أحمد بالبصرة يقول: سمعت أبي يقول: خدمت سهل بن عبد الله سنين كثيرة فما رأيته تغير عند سماع شيء كان يسمعه من الذكر والقرآن وغيره، فلما كان في آخر عمره قرىء بين يديه) قوله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ﴾ [الحديد: ١٥] رأيته تغير وارتعد وكاد يسقط على الأرض (فلما رجع إلى حال صحوه مسألته عن) سبب (ذلك فقال: يا حبيبي) لما كبرنا واستشعرنا قرب الأجل والوقوف بين يدي الله، وأنّه لا يؤخذ فدية ممن عليه حق فدية (ضعفنا) عن كتم أحوالنا فظهرت. (وحكى ابن سالم قال:) الأولى فقال: (رأيته) أي سهل بن عبد الله (مرة أخرى قرىء بين يديه) قوله تعالى: (﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [الفرقان: ٢٦] فتغير) حاله (وكاد يسقط فقلت له في ذلك:) أي ما سببه (فقال: ضعفت) عن كتم حالي (وهذه صفة الأكابر لا يرد عليه) أي على الكبير (وارد وإنْ كان) الكبير (قوياً إلا هو) أي الوارد (أقوى منه) أي الكبير وهذا كالذي قبله (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلميّ رحمه الله يقول: دخلت على أبي عثمان المغربي وواحد يستقي) الماء (من البئر على بكرة فقال) لي أبو عثمان: (يا أبا عبد الرحمن تدري إيش تقول البكرة؟ فقلت) له: (لا فقال) لي: (تقول: الله الله) بحسب ما وقع

بعد أنْ كوشف بالجمال الأسمى أقسم على الله بإسم ذاته أنْ يرده إلى سني عاداته حيث لا يرى لها خلفاً ولا أعظم منها شرفاً، ولهذا قيل: من وجد الله ما فقد شيئاً، ومن فقد الله ما وجد شيئاً والله أعلم.

(قوله: فاليوم لا يؤخذ منكم فدية) أي يوم القيامة لا يقبل من أحد افتداء بل كل واحد منوط بما جنى في حال حياته مؤاخذ به مسؤول عنه، فلا يغني أحد عن أحد شيئاً. (قوله: فقال: يا حبيبي لما كبرنا الخ) أي لأنّهم في حالة الشباب يؤملون سعة مدّة العيش والتوفيق فيها لمحاب الإله، فإذا قرب الوقت على جاري عادة الله في خلقه يزيد خوفهم منه تعالى، والله أعلم. (قوله: الملك يومئذ الحق للرحمن) أي السلطنة القاهرة والاستيلاء الكليّ العام الثابت صورة ومعنى ظاهراً وباطناً بحيث لا زوال له أصلاً ثابت للرحمن يومئذ، فالملك مبتدأ والحق صفته، وللرحمن خبره، ويومئذ ظرف لثبوت الخبر للمبتدأ، أو فائدة التقييد أنّ ثبوت الملك المذكور له تعالى خاصة يومئذ، وأما فيما عداه من أيام الدنيا فيكون لغيره أيضاً تصرف صوري في الجملة فالجملة مسوقة لبيان أحوال هذا اليوم وأهواله وإيراده تعالى بعنوان الرحمانية للإيذان بأنّ اتصافه تعالى بغاية الرحمة لا يهوّن الخطب على الكفرة لعدم استحقاقهم للرحمة كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦] والله أعلم. (قوله: فتغير حاله) أي حيث تنبه لمقام أحدية الحق تعالى وانفراده بالحكم في ملكه. (قوله: إلا وهو أقوى منه) أي ويشهد لذلك

في نفسه من صوتها. (سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول: سمعت علي بن طاهر يقول: سمعت عبد الله بن سهل يقول: سمعت رويماً يقول: رُوي عن علي بن أبي طالب رضي الله أنّه سمع صوت ناقوس) وهو ما تضرب به النصارى لأوقات الصلوات (فقال لأصحابه: أتدرون ما يقول هذا) الناقوس: (فقالوا) له: (لا فقال) لهم: (إنّه يقول: سبحان الله حقاً حقاً إنّ المولى صمد) وفي نسخة حق (يبقى) بحسب ما وقع في نفسه من صوتها. (سمعت محمد بن أحمد التميمي يقول: سمعت عبد الله بن علي يقول: سمعت أحمد بن علي الكرخي الوجيهي يقول: كان جماعة من الصوفية متجمعين في بيت الحسن القزاز ومعهم قوّالون يقولون:) الشعر (ويتواجدون فأشرف عليهم ممشاد الدينوري فسكتوا فقال) لهم: (ارجعوا إلى ما كنتم فيه فلو جمع ملاهي الدنيا في أُذني ما شغل) ذلك (همي) بربي يعني صرفه عني (ولا شفي بعض ما بي) لكمال شغله بربه، فلا يحس بمن يحضره ولا بمن يكلمه (وبهذا الإسناد عن الوجيهي قال: سمعت أبا علي الروذباري يقول: بلغنا في هذا الأمر) أي التصوّف (إلى مكان مثل حدّ السيف إنْ ملنا كذا ففي النار) سقطنا هذا هو الصراط المستقيم في الدنيا، وذلك أنّ من عرف مولاه حق معرفته فهو مضيف إلى ربه ما تفضل به عليه من توفيقه لطاعته مستحقر للعمل خائف من الزلل، وبذلك يكون أبداً عاملاً بما طلب منه خائفاً مما سبق له في الأَزل.

فإنْ مال إلى ما سبق له خشي عليه الوقوع في الجبر، وإنْ مال إلى عمله

«والمخلصون على خطر عظيم». (قوله: فقال لي: تقول: الله الله) أي وذلك لأنّ العبد إذا كمل لا ينظر لشيء من الكائنات إلا ويشهد الله تعالى مع ذلك الشيء أو فيه أو قبله أو بعده على حسب الدرجات لأرباب السيادات، والله أعلم. (قوله: فقال لهم: إنّه يقول: سبحان الله الخ) أي فهو لما شغل قلبه وامتلأ من توحيد الإله وتفرده بالملك فهم منه ذلك، ويحتمل الحقيقة والله على كل شيء قدير.

(قوله: ما شغل ذلك همي) أي زيادة عما أنا فيه من الشغل لأنّ تجدّد التنبيه لمن تجدد له الغفلة، ولا كذلك مثله، وقوله: ولا شفى بعض ما بي أي لأنّه لا يكتفي بالذكر والفكر في حقه تعالى، والله أعلم. (قوله: بلغنا في هذا الأمر الخ) المراد أنّهم وصلوا في مقام التصوّف إلى حدّ مثل حد السيف إنْ مالوا عن ذلك الحد ففي النار سقطوا، فالمكان المذكور حد اعتبار، والنار المراد منها ما يعم نار العذاب وظلمة الحجاب بحسب قوّة الميل وضعفه، والممال إليه كذلك. (قوله: وذلك أنّ من عرف مولاه) أي من عرفه بالآيات والدلالات العقلية والسمعية. (قوله: فهو مضيف إلى ربه) أي خلقاً وتقديراً. (قوله: مستحقر للعمل) أي لما يشاهد من تقصيره فيه، وقوله: خائف من الزلل أي الذي ربما يسقطه عن حاله ومقامه. (قوله: فإنْ مال إلى ما سبق الخ) المراد بذلك اعتماده عليه

وطاعته خشي عليه الوقوع في القدر، فهذا هو الصراط المستقيم في الدنيا الذي هو أحدّ من السيف وأرق من الشعر، فمن يسره عليه مولاه وسار فيه السير المطلوب نجّاه وإلا زلت به قدمه وتغير والعياذ بالله.

(وقال خير النساج: قص موسى ابن عمران عليه السلام على قوم قصة فزعق واحد منهم زعقة فانتهره موسى عليه السلام) فيه دلالة على أنَّ كتم الأحوال أولى من إظهارها لكنها إنْ غلبت السامع عذر كما ذكره بقوله: **(فأوحى الله تعالى إليه يا موسى بطيبي ناحوا وبحبي باحوا وبوجدي صاحوا فلم تنكر على عبادي)** فإني خلقت لهم من الوجد ما لا قدرة لهم على حمله فناحوا وباحوا وصاحوا، **(وقيل: سمع الشبلي قائلاً يقول: الخيار عشرة بدانق فـ)**ـبكى و **(صاح وقال: إذا كان الخيار عشرة بدانق فكيف الشرار)** لم يرَ للخيار قدراً ووزناً من جهة أنفسهم بل بكرم الله وفضله، ومن كان عند نفسه من الأشرار لا ييأس من فضل الله عليه، فالكل منه تعالى، فإنَّه يفعل في خلقه ما يشاء يعز من يشاء، ويذل من يشاء، ولو شاء ربك ما فعلوه، ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً فمن رحمه الله فبفضله، ومن أهلكه فبعدله، **(وقيل: إذا تغنت الحور العين في الجنة توردت الأشجار)** التي فيها أي خرج وردها وزهرها وتغير حالها بسماع الصوت الطيب الموافق، وكذا من يسمع السماع الصحيح لا سيما إذا كان بصوت حسن، فإنَّه يعيش من موت غفلته وتظهر آثار الخيرات عليه، **(وقيل: كان عون بن عبد الله يأمر جارية له حسنة الصوت)** بالغناء **(فتغني بصوت**

والتهاون بهذا النظر فيما أمر به ونهى عنه، وقوله: وإنْ مال إلى عمله أي بأنْ استحسنه ووقف معه وغفل عما يجوز في حقه من فعل ربه حيث هو الفاعل المختار خشي عليه الوقوع في القدر والله أعلم.

(قوله: وإلا زلت به قدمه) أي التخلق بما تقدّم من الجبر أو القدر. **(قوله: على أنَّ كتم الأحوال أولى)** أي لأنَّها من الأسرار بين العبد وربه. **(قوله: فأوحى الله تعالى إليه الخ)** المراد أنَّه بين له أنَّهم مغلوبون فيما ظهر منهم لعدم طاقتهم على تحمل ما ورد عليهم من واردات الحق تعالى. **(قوله: فلم تنكر على عبادي)** استفهام معناه الإنكار. **(قوله: فناحوا)** أي ناحوا على أنفسهم بسبب رؤية تقصيرهم، وقوله: باحوا أي أظهروا ما كانوا يكتمونه من لاعج أشواقهم، وقوله: وصاحوا أي وكان صياحهم بواسطة غلبة أشواقهم، وقوّة ما ورد على قلوبهم من واردات الحق وإشارات الصدق.

(قوله: توردت الأشجار الخ) أي وإذا ثبت مثل هذا التأثر للأشجار فأولى ثبوته لذوي التذكار والله أعلم بأسرار خلقه. **(قوله: ليس بحرام)** أي عند أمن الفتنة بسماع

حزين حتى تبكي القوم) باستماعهم لها بناء على أنّ استماع صوت المرأة ليس بحرام مع أنّها إنما كانت تورده على وجه الغناء المطرب (وسُئل أبو سليمان الداراني عن السماع) أهو الميل إلى الصوت الحسن أو غيره (فقال: كل قلب يريد الصوت الحسن فهو ضعيف) لأنّه موقوف مع الأصوات دون المعاني وإلا لتلقف ذلك من كل قائل لصحة قلبه وكمال فهمه، فقلب من لم يسمع إلا بواسطة الصوت الحسن ضعيف (يداوى كما يداوي الصبي إذا أريد أنْ ينام، ثم قال أبو سليمان) أيضاً: (إنّ الصوت الحسن لا يُدخل في القلب شيئاً إنما يحرّك من القلب ما فيه، قال ابن أبي الحواري: صدق والله أبو سليمان) في ذلك (وقال الجريريّ: كونوا ربانيين أي) مشغولين بالرب تعالى بأنْ تكونوا (سامعين من الله تعالى قائلين بالله تعالى) لأنّ من كملت معرفته بالله كان سامعاً لله وبالله، وناطقاً بالله، والربانيون هم العلماء العباد، والأحبار هم العلماء خاصة، (وسُئل بعضهم عن السماع فقال:) هو (بروق تلمع ثم تخمد وأنوار تبدو) أي تظهر للقلب (ثم تخفى ما أحلاها لو بقيت مع صاحبها طرفة عين) لأنه يتنعم بها (ثم أنشأ يقول:

خطرة في السر منه خطرت　　خطرة البرق ابتدى ثم اضمحل)

صوتها كما هو الموضوع. (قوله: وإلا لتلتقف ذلك الخ) أي ولذلك قيل: وكل ناطقة في الكون تطربني، فافهم. (قوله: يداوي) أي يعالجه أستاذه حتى ينقله عن هذا الخلق السيء. (قوله: لا يدخل في القلب شيئاً) أي لا يجدد شيئاً في القلب أي لأنّ ذلك معلوم من قلب الخلي، فهو حينئذ إنما يحرك ما في القلوب ولذلك قيل شعراً:

الراح كالريح إنْ مرت على عطر　　تذكو وتخبث إنْ مرت على الجيف

(قوله: أي مشغولين بالرب الخ) أي فمعنى رباني أنّه ممتلىء القلب بالحق تعالى، وما له عليه من الطاعة، وإلا فكل الخلق ربانيون بمعنى عبيد الرب تعالى. (قوله: سامعين من الله) أي من أوامره ونواهيه لا من دواعي النفس والشيطان، وقوله: قائلين بالله أي بتوحيده وصدق رسله. (قوله: هم العلماء العباد) أي المتبتلون للعبادة المكثرون منها، وقوله: والأحبار هم العلماء خاصة أي القائمون بأعباء التكاليف وإنْ كانوا غير متبتلين.

(قوله: فقال: هو بروق تلمع الخ) أشار رضي الله تعالى عنه إلى أنّ ما يتحرك في قلب العبد المخلص عند سماعه من إشارات الحق وإمارات الصدق لطائف واردات تطرق القلب، ثم تزول سريعاً كلمعان البرق وشرائف أحوال تظهر للقلب بواسطة نور الإلهام، ثم تخفى، وقوله: ما أحلاها الخ هذه أماني لدوام استغراقه فيما يرد عليه وقت السماع ليدوم له التنعم به غير أنّ حكمة الباري اقتضت سرعة زوال تلك الواردات ليدوم العبد على مشاق المجاهدات.

(قوله: ثم أنشأ يقول الخ) هو بمعنى ما قبله ودليل عليه. (قوله: وقيل: السماع فيه

أي أنه كما لمع ذهب (أيّ زور لك) بفتح الزاي أي أي زائر زارك (**لو قصد أسرى.**) أي لو قصد الإقامة عندك (و) أي: (**ملم بك لو حقاً فعل**) أي لو قصد الإلمام بك حقاً ولكنه ألم وانطفأ، فبين بالبيتين أنَّ السماع كالبرق الذي لم يثبت، وكالنور الذي لم يدم، (**وقيل: السماع فيه نصيب لكل عضو، فما يقع إلى العين تبكي، وما يقع إلى اللسان يصيح، وما يقع على اليد يمزق الثياب ويلطم**) الوجه وغيره (**وما يقع على الرجل يرقص**) فالسماع النافع ما يقبله القلب وإنْ كان طريقه الآذان لأنَّ السماع هو قبول المعنى الذي ينشئه الله في القلب وإذا أنشأه فيه ظهرت آثاره على الجوارح، (**وقيل: مات بعض ملوك العجم وخلف ابناً صغيراً**) رضيعاً (**فأرادوا أنْ يبايعوه**) على الولاية (**فقالوا: كيف نصل إلى معرفة عقله وذكائه**) حتى نبايعه (**فتوافقوا على أنْ يأتوا بقوّال يقول:**) أي ينشد (**شيئاً فإنْ أحسن الإصغاء**) إليه (**علموا كياسته فأتوا بقوّال يقول: فلما قال القوّال شيئاً ضحك الرضيع فقبلوا الأرض بين يديه وبايعوه**) لما علموا من تمييزه الحسن لما امتحنوه بذلك إذ من الصغار من إذا سمع زمراً أو نحوه فرح وضحك، ومنهم إذا سمع شيئاً مفزعاً بكى، ومنهم من إذا طلب حاجة وشغل بأخرى أحسن منها سكن وقبل الثانية، فيدل على حسن تمييزه، ومنهم من إذا خطر بباله شيء أو غيب عنه شيء وشغل بغيره لم يرجع إليه، ويدوم بكاؤه على ما خطر له، وليس ذلك إلا لسوء خلقه وقوّة رأسه، والغرض أنَّ من عنده أدنى تمييز يميل إلى السماع، وهذه الإبل إذا حدا لها حاد حسن الصوت وحملت الأثقال لا تبالي بأحمالها وطاب لها

نصيب لكل عضو الخ) محصله أنَّ السماع المعتبر هو ما طرق آذان القلوب وأثر فيه ثم هي إذا امتلأت بأنواره واحترقت بأسراره فاض منها ذلك النور على الجوارح الظاهرة، فما يقع للعين تبكي منه الخ والله أعلم.

(**قوله: وقيل: مات بعض ملوك العجم الخ**) الغرض الاستئناس بما ذكر من ميل الصبيان إلى الصوت الحسن لما نحن بصدده من السماع النافع في الطريق الحق وإنْ كانت ذات الصوت غير منظور إليها ولا معول عليها فيه بل نهاية الأمر أنَّ الصوت الحسن مما يعين الله تعالى به من أراد له الخير من عباده ضعفاء القلوب، وإلا فالأقوياء نعتهم الاستغراق في ذات الله تعالى والفناء فيها عن شواهدهم كما يدل له ما تقدم نقله عن الروذباريّ من قوله: بلغنا في هذا الأمر إلى مكان مثل حد السيف إنْ ملنا عنه ففي النار سقطنا على ما تقدم لنا توضيحه. (**قوله: علموا كياسته**) أي حذقه وذكاءه وعقله. (**قوله: فقبلوا الأرض بين يديه**) أي على عادة الأعاجم وإنْ كان مثله ممنوعاً شرعاً. (**قوله: إذ من الصغار الخ**) أقول: ذلك من محسوس العادات.

(**قوله: ومدت أعناقها وجدت**) أي بل ربما ماتت بذلك شغلاً به وغيبة عن أنفسها.

سماع الحادي ومدّت أعناقها وجدّت في سيرها (**سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق رحمه الله يقول: اجتمع أبو عمرو بن نجيد والنصر أباذي والطبقة**) أي طبقتهما (**في موضع فقال النصر أباذي: أنا أقول: إذا اجتمع القوم**) لسماع شيء من الشعر (**فواحد**) منهم (**يقول: شيئاً ويسكت الباقون**) أي فإنّ قول واحد منهم شيئاً وسكوت الباقين لسماعه وإنْ حصل فيه رياء (**خير من أن يغتابوا أحداً**) لما قام عنده من أنَّ الغيبة أقبح من الرياء (**فقال أبو عمر: ولأنْ تغتاب أنتَ ثلاثين سنة أنجى لك من أنْ تظهر في السماع ما لست**) متصفاً (**به**) لما قام عنده من أنَّ الرياء أقبح من الغيبة، وقيل: لا مخالفة إذ كلام النصر أباذي في السماع حقيقة، فهو دائر بين حرام، ونفل لأنَّ الغيبة حرام، والسماع نفل وترك الحرام مقدّم على كل نافلة، وكلام أبي عمرو في السماع المراءي به فهو دائر بين محرمين الرياء والغيبة، ورأى أنَّ الرياء أقبح وأضر، والغرض من ذلك التحذير من آفات السماع من قيام وصياح وتكلم وتحرك بغير حق. (**سمعت الأستاذ أبا عليّ يقول: الناس في السماع ثلاثة متسمع ومستمع وسامع فالمتسمع**) من (**يسمع بوقت**) بأنْ يتكلف ويستجلب في وقته حاله ليجد ما يطلبه في السماع (**والمستمع**) من (**يسمع بحال**) بأنْ يصير السماع حاله بحيث يثور عليه ويغلبه بأول استماعه (**والسامع**) من (**يسمع بحق**) بأنْ يجريه الحق تعالى عليه بلا تكلف منه، ولا حال، فهو أرفع من الأولين، والثاني أرفع من الأوّل. (**وسألت الأُستاذ أبا علي رحمه الله غير مرة شبه**) أي

(**قوله: وإن حل فيه رياء**) أي للقائل أو غيره ممن يسمع بإظهار ما لم يجده من حاله وشربه، فيكون متشبعاً بما لم ينل. (**قوله: وإنْ حصل فيه رياء**) منه يعلم أنَّ سماع القوال خطر لأنه قد يؤدي إلى المراآت، وهي من أقبح الزلات. (**قوله: فقال أبو عمر: ولأن تغتاب الخ**) محصله أنه استقبح المراآة عن الغيبة وخالف من قبله، وقلبي إلى ما ذهب إليه النصرأباذي أميل فتأمل.

(**قوله: وقيل: لا مخالفة الخ**) محصله أنهما ما لم يتواردا على موضوع واحد حتى يتحقق الاختلاف فيه بل نقول: الكل منهما موضوع غير الآخر هذا وفيه نظر فتأمله. (**قوله: إذ كلام النصر أباذي الخ**) أي وعليه فقوله: خير على غير بابه إذ لا خير في الغيبة. (**قوله: في السماع حقيقة**) أي الخالي عن الرياء.

(**قوله: والغرض من ذلك التحذير**) أي على كلام أبي عمرو. (**قوله: الناس في السماع ثلاثة الخ**) محصله الفرق بالتكليف وبدونه، وبتحري السماع وبدونه. (**قوله: وسألت الأُستاذ الخ**) فيه دلالة على أنَّ المريد لا يفعل شيئاً من قبل نفسه بل حتى يستفتي شيخه وطبيب روحه عن ذلك الشيء وهو كذلك.

نوع (**طلب رخصة في السماع فكان يحيلني على ما يوجب الإمساك عنه ثم بعد طول المعاودة**) له في ذلك (**قال: إنَّ المشايخ قالوا: ما جمع قلبك إلى الله تعالى**) ولا يكون إلا مشروعاً (**فلا بأس به**) توقف الشيخ عن إجابته أوّلاً لكونه لم يرَ له السماع نافعاً لأنَّه كان شاباً ومعرفته بربه ضعيفة، فلما ارتفعت درجته وصلح أمره وهو مستمر على طلبه أجابه أنَّه لم يَهنْ عليه أنْ يجيبه عن نفسه بل عن المشايخ (**أخبرنا أبو الحسن عليّ بن أحمد الأهوازيّ قال: أخبرنا أحمد بن عبيد البصريّ قال: حدثنا إسماعيل بن الفضل قال: حدثنا يحيى بن يعلى الرازيّ قال: حدثنا حفص بن عمر العمريّ قال: حدثنا أبو عمرو عثمان بن بدر قال: حدثنا هارون بن حمزة عن الفدافديّ عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام إني جعلت فيك عشرة آلاف سمع**) يعني معنى (**حتى سمعت كلامي وعشرة آلاف لسان حتى أجبتني**) إذ لا قدرة للعبد على ما يرد عليه من الله إلا إذا أمدّه بزيادة في قوته (**وأحب ما تكون**) أنتَ (**إليّ وأقربه**) مني (**إذا أكثرت الصلاة على محمد ﷺ**) وقد رُوي أنّ أحب ما يتقرّب به إلى الله تعالى الصلاة على محمد ﷺ، وقد سُئل كيف نصلي عليك؟ فقال: قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنَّك حميد مجيد. (**وقيل: رأى بعضهم النبي ﷺ في المنام فقال**) له: (**الغلط في هذا أكثر**) منه في غيره (**يعني به السماع**) والغلط فيه يرجع إلى أصله من حيث أنَّه مشروع أم لا أو إلى السامع من حيث أنَّه يسمع بحق أو يتكلف. (**سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي**) رحمه الله (**يقول: سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت أبا بكر النهاونديّ يقول:**

(**قوله: ما جمع قلبك إلى الله**) أي ما أحالك على مراقبته تعالى في سائر حركاتك وسكناتك، فلا بأس به أقول بل يكون مطلوباً حيث أنَّ الوسائل لها حكم المقاصد.
(**قوله: إني جعلت فيك الخ**) الذي يظهر لي منه والله أعلم أنَّ المراد لولا أقدرتك وأعنتك على سماع كلامي ومكافحة خطابي حتى سمعت وأجبت ما أمكنك ذلك، وذكر العدد لبيان قوّة التهيؤ بما خلقه الله فيه من القوى والله أعلم.

(**قوله: وأحب ما تكون الخ**) أي وذلك لأنَّ سيدنا محمداً ﷺ واسطة كافة الخلق والأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم نواب عنه بل هو الممد لجميع الخلق.
(**قوله: فقال: قولوا الخ**) وهذه الصيغة الإبراهيمية من أفضل صيغ الصلاة عليه ﷺ.
(**قوله: فقال له: الغلط في هذا أكثر**) أي فهو من مواطن الخطر باعتبار أنَّه مما تميل إليه

سمعت علياً السائح يقول: سمعت أبا الحرث الأولاسيّ يقول: رأيت إبليس لعنه الله في المنام على بعض سطوح أولاس وأنا على سطح، وعلى يمينه جماعة وعلى يساره جماعة وعليهم ثياب لطاف فقال لطائفة منهم: قولوا) شيئاً: (فقالوا: وغنوا فاستفزعني طيبه) أي طيب قوله: (حتى هممت أنْ أطرح نفسي من السطح ثم قال) للقوم: (ارقصوا فرقصوا أطيب ما يكون ثم قال لي: يا أبا الحرث ما أصبت شيئاً أدخل به عليكم إلا هذا) السماع من حيث اشتماله على الرياء والعجب، فإنَّ العبد يستفزه السماع حتى يقوم قبل وقته، فلا يكون مغلوباً ولا معذوراً، وربما قام مغلوباً وسري عنه، فلا يهون عليه أنْ يقعد ويتمادى في التواجد متكلفاً، فيكون مرائياً لأنَّه فعل ذلك خوفاً من نسبته إلى ضعف حاله وقلة وجده. (سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت عبد الله بن عليّ يقول: اجتمعت ليلة مع) أبي بر (الشبليّ رحمه الله تعالى فقال القوال: شيئاً فصاح الشبليّ وتواجد قاعداً فقيل له: يا أبا بكر ما لك من بين الجماعة قاعداً فقام وتواجد وقال:

لي سكرتان وللندمان واحدة شيء خصصت به من بينهم وحدي) يعني شاركتهم في واحدة واختصصت بأخرى إذ كانت له محبتان محبة شارك فيها الناس وهي محبة الإنعام والإفضال، ومحبة اختص بها وحده وهي محبة الكمال والجلال والجمال، وتقدّم ذلك في باب المحبة، (وسمعته) أيضاً (يقول: سمعت منصور بن عبد الله الأصبهاني يقول: سمعت أبا علي الروذباريّ يقول: جزت بقصر فرأيت شاباً حسن الوجه مطروحاً وحوله ناس) وكان عارفاً بالله كثير الطلب لأولياء الله ليجد معهم راحة ما وجدوه من معرفتهم بالله، وكمال أحوالهم مع محبوبهم (فسألت عنه فقالوا: إنَّه جاز بهذا القصر وفيه جارية تغني) وتقول: (كبرت همة عبد.) وفي نسخة عين

النفس بطبعها، فربما كان سبباً لغيره من المحظورات. (قوله: من حيث اشتماله الخ) أقول: وهذا النوع الخسيس مما يندر في أهل زماننا هذا ولو وقع لكان كالكمال، فالغالب فيه السماع لجلب الشهوات، وذلك في ا لعام والخاص بدون تكير، فلا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم.

(قوله: لي سكرتان الخ) تقدم ذلك وإنما أعاده لمناسبة المقام والسلام ختام.
(قوله: وفيه جارية تغني الخ) أي فوجد من معاني ما سمعه منها ما يوافق شربه، وما اشتغل به من عليّ أحواله، فغاب بذلك عن حسه، وغرق في بحار أنسه. (قوله: كبرت همة عبد) أي عظمت وارتفعت عن حضيض العادات إلى أوج ذوي السيادات طمعت في أنْ تراك أي قوي رجاؤها في الشغل والاستغراق في نعوت جلالك وجمالك. (قوله: أو

(طمعت في أنْ تراكا) فعرف أنها همته فوقف لسماع باقي البيت وهو **(أو ما حسب العين)** أي أوَما يكفيها **(أنْ ترى من قدر آكا)** وهم العارفون بالله، فكان فيه ردّ لهمته العالية المتعلقة برؤيته تعالى وتعزية له في فوات مقصوده، فلم يحمله قلبه **(فشهق شهقة ومات)** على أحسن أحواله.

ما حسب لعين الخ) المراد حث النفس على القنع بمشاهدة من هذه نعوته من المحبين استصغاراً للنفس عن اللحوق بدرجة المقرّبين. **(قوله: فكان فيه ردّ لهمته الخ)** أي لأجل الرضا بما أراده الحق له على حسب سابق حكمته الأزلية والله أعلم.

باب إثبات كرامات الأولياء

الكرامة ظهور أمر خارق على يد الولي غير مقارن لدعوى النبوّة، وهي عون له

باب إثبات كرامات الأولياء

اعلم أنّ الكرامة أمر خارق للعادة غير مقرون بالتحدي يوجب لصاحبه الاحترام والتخصيص لا التقديم والاتباع إلا أنْ يظهر عليه كمال الاستقامة وهي الاستواء في اتباع الحق ظاهراً وباطناً على منهج السداد بلا علة، فهي حينئذٍ توبة بلا إصرار، وعمل بلا فتور، وإخلاص بلا التفات، وتعيين بلا تردّد واستسلام بلا معارضة، وتفويض بلا تدبير، وتوكل بلا وهن، واعلم أنّ الولاية قسمان عامة وخاصة، والخاصة أقسام باعتبار أهل الخصوص إذ هم منقسمون إلى أقسام: عباد، وزهاد، وعمال، وأبدال، ونجائب، وعصائب ونقباء، وأقطاب، وقطب أقطاب، والجميع من أهل الحضرة الإلهية غير أنّهم متفاوتون في الشرب بحسب ما تقدّم لهم في القضاء الأزلي على ما اقتضاه اسم الله المقسط هذا وإمارة قطب الأقطاب ما ذكره العارف الشاذليّ حيث قال: للقطب خمس عشرة كرامة فمن ادعاها أو شيئاً منها فليبرز بمدد الرحمة، والعصمة، والخلافة، والنيابة ومدد حمله العرش، ويكشف له عن حقيقة الذات وإحاطة الصفات، ويكرم بكرامة الحلم والفضل بين الوجودين وإنفصال الأوّل عن الأوّل، وما انفصل عنه إلى منتهاه، وما ثبت فيه وحكم ما قبل وما بعد، وعلم البدء وهو العلم المحيط بكل علم وبكل معلوم بدأ من السر الأوّل إلى منتهاه، ثم يعود إليه، فهذا معيار أعطاه الشيخ يختبر به من ادعى هذه الرتبة العظيمة القائمة بكفالة الأسرار والمحيطة بمدد الأنوار، وهو نحو ما ذكره أبو عبد الله الترمذيّ الحكيم في كتاب ختم الأولياء حيث قال: من ادعى الولاية فيقال له: صِفْ لنا منازل الأولياء فذكر مسائل معياراً على من ادعى الولاية اهـ.

واعلم أنّ آخر مقام الولاية أوّل مقام الصدّيقية، وآخر مقام الصديقية أول مقام النبوّة، وآخر مقام النبوّة، أول مقام الرسالة، وآخر مقام الرسالة، أول مقام ذوي العزيمة من أولي العزم، وآخر مقام أولي العزيمة، أول المقام المحمدي، فما بالك بنهايته وغايته فلا مطمع لأحد في ذلك المقام نعم قد يغبطه فيه أولو العزم من الرسل، واعلم أنّ ما أجراه الله تعالى على أوليائه في الدنيا من الكرامات وخوارق العادات فبحر لا يقدر على نزحه متعاطيه، وعدد يشق حصره على من يعانيه، فإنّ القدرة الأزلية صالحة لإيجاد سائر

على طاعته، ومقوية ليقينه وحاملة له على حسن استقامته، ودالة على صدق دعواه الولاية إنْ ادعاها لحاجة، وشهدت له بها الشريعة، ثم ظهور الكرامات على الأولياء جائز بل واقع **(والدليل على جوازه أنّه أمرٌ موهوم حدوثه في العقل لا يؤدّي حصوله إلى رفع أصل من الأصول فواجب وصفه سبحانه بالقدرة على إيجاده)** في الولي، فوجب كونه مقدوراً لله **(وإذا وجب كونه مقدوراً لله تعالى، فلا شيء يمنع جواز حصوله)** فثبت جواز ظهور الكرامات على الأولياء **(وظهور الكرامات علامة صدق من ظهرت عليه في أحواله، فمن لم يكن صادقاً فظهور مثلها عليه لا يجوز، والذي يدل عليه أنّ تعريف القديم سبحانه إيانا)** الكرامة **(حتى نفرق بين من كان صادقاً في أحواله**

الممكنات، وما يقوّي الله به قلوب أوليائه مختلف الأنواع والصفات، فما من نوع أجراه الحق من خوارق العادات فيما تقدم من الزمان إلا وإعادته أو مثله أو خلافه جائزة في سائر الأوقات، فحيث كان هذا من قسم الإمكان ونقل وقوعه العدول كان ردّه من باب الخذلان إذ لو استحال خرق العادة لتعذرت المعجزات وما يسبقها من الإرهاصات، وأوضحها لنبينا عليه الصلاة والسلام القرآن وغيره كنبع الماء من بين أصابعه، وتكثير القليل من الطعام، وحنين الجذع، وتكليم الضب، وانشقاق القمر، وغير ذلك مما ورد في صحيح الروايات، ونقله العدول السادات.

(قوله: غير مقارن لدعوى الخ) أقول: وبهذا يحصل الفرق بين المعجزة والكرامة، فإنْ قيل: يغني عنه قوله قبله على يد الولي، قلنا: لا يغني لأنَّ للنبي ولاية أيضاً. **(قوله: وهي عون له الخ)** الغرض منه بيان حكمة إيجاد الكرامة للولي، فقوله: فهي عون له الخ هو بالنسبة لحال المبتدئين والمتوسطين، وقوله: ودالة على صدق دعواه الولاية الخ بالنسبة للواصلين من المرشدين. **(قوله: إنْ ادعاها لحاجة)** أي مثل قوّة قلب المريدين المقلدين له ليدوموا على طريق الإرشاد والرشاد، والله ولي الإسعاف والإسعاد.

(قوله: جائز) أي لأنَّ خرق العادة من جملة الممكن وقدرة الحق تعالى متعلقة بسائر الممكنات تعلقاً صلوحياً قديماً وتنجيزياً حادثاً فتأمل. **(قوله: موهوم حدوثه)** أي لعدم المانع منه شرعاً وعقلاً. **(قوله: إلى رفع أصل من الأصول)** أي من الأصول الواجبة الثبوت عقلاً أو شرعاً. **(قوله: فواجب وصفه سبحانه الخ)** أي لعموم تعلق القدرة بسائر الممكنات. **(قوله: فلا شيء يمنع جواز حصوله)** أي لأنَّ سائر الممكنات في قبضة قدرته تعالى. **(قوله: علامة صدق من ظهرت عليه)** أي فهي كالمعجزة من حيث هي دالة على صدق مدعي النبوّة أيضاً، فهي بمنزلة قوله سبحانه: (صدق عبدي فيما يبلغ عني) فكذلك الكرامة على يد الرجل الصالح فإنَّها تدل على صدقه في حاله وشربه، والله أعلم. **(قوله: فظهور مثلها عليه لا يجوز)** أي لا يجوز على أنَّه من نوع الكرامة بل يكون من نوع الإهانة

وبين من هو مبطل من طريق الاستدلال **أمر موهوم)** حدوثه في العقلِ **(ولا يكون ذلك إلا باختصاص الوليّ بما لا يوجد مع المفتري في دعواه، وذلك الأمر)** الموهوم **(هي الكرامة التي أشرنا إليها)** آنفاً، فلو ظهر أمر خارق للعادة على يد كاذب كان مكراً واستدراجاً لا كرامة إنْ وافق مراده، وإلا كان إهانةً. رُوي أنَّ مسيلمة الكذاب دعا لأعور أنْ يفتح الله عينه العوراء فعمي. **(ولا بدّ أنْ تكون الكرامة فعلاً ناقضاً)** أي خارقاً **(للعادة في أيام التكليف)** لا في أَيام الآخرة لأنّها ليست دار تكليف **(ظاهراً على موصوف بالولاية في معنى تصديقه في حاله)** الذي اتصف به **(وتكلم الناس في الفرق بين الكرامات وبين المعجزات من أهل الحق)** هو بيان للناس **(فكان الإمام أبو إسحاق الإسفراينيّ رحمه الله يقول: المعجزات دلالات صدق الأنبياء)** عليهم الصلاة

أو الاستدراج. **(قوله: فأمر موهوم حدوثه في العقل)** أي لعدم ما يحيل وجوده من شاهد العقل أو النقل.

(قوله: بما لا يوجد) أي بأمرٍ خارق لا يوجد مع المفتري الكذاب على أنّه من نوع الكرامة. **(قوله: كان مكراً)** أي خداعاً له. **(قوله: فعمي)** أي لقصد إهانته قبحه الله تعالى. **(قوله: لا في أيام الآخرة الخ)** انظر هل البرزخ مدّته من حكم الدنيا أَو من حكم الآخرة، والظاهر أنّها من حكم الدنيا نعم التعليل لا يساعد ذلك. **(قوله: على موصوف بالولاية)** أي مشتهر بالخير والصلاح بين الناس على نهج المتابعة للنبي ﷺ.

(قوله: المعجزات دلالات صدق الأَنبياء الخ) محصله أنَّ نوع المعجزة لا يصح أنْ يكون كرامة أقول: ومن باب المعجزات ما رواه الترمذيّ يرفعه إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء أعرابي إلى رسوله الله ﷺ فقال: بِمَ أعرف أنك نبي قال: «إنْ دعوت هذا العذق من هذه النخلة فشهد أني رسول الله»[1] فدعاه رسول الله ﷺ فجعل ينزل من النخلة حتى سقط إلى النبي ﷺ وقال: إرجع فعاد فأسلم الأعرابي وقال فيه: هذا حديث حسن صحيح، وهذا مما يجري مجرى المعجزة لأنه خاص بالأعرابيّ المذكور، وليس عاماً حتى يكون من حقيقة المعجزة إذ هي ما قارن دعوى النبوّة العامة، وروى الترمذي أيضاً يرفعه إلى أنس بن مالك قال: رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة والتمس الناس الوضوء فلم يجدوا فأُتي رسول الله ﷺ بوضوء فوضع رسول الله ﷺ يده في ذلك الإناء وأمر الناس أنْ يتوضؤوا منه فنبع الماء من تحت أصابعه فتوضأ الناس حتى توضؤوا من عند آخرهم، وقال فيه: هذا حديث حسن صحيح، هذا والمعجزات الثابتة عنه ﷺ وزاده شرفاً كثيرة جداً، فلا نطيل بإيرادها خوف الطول والخروج عن حد الاختصار. **(قوله: فلا**

---

(١) أخرجه الترمذي (مناقب ٦).

والسلام (**ودليل النبوّة لا يوجد مع غير النبي كما أنّ العقل الحكم لما كان دليلاً للعالم**) به (**في كونه عالماً لم يوجد ممن لا يكون عالماً**) به، (**وكان يقول**) أيضاً: (**الأولياء لهم كرامات شبه إجابة الدعاء**) كالإخبار بمجيء زيد من سفره وبعافيته من مرضه (**فأما جنس ما هو معجزة للأنبياء**) كإحياء الموتى وتسبيح الحصا (**فلا**) تكون للأولياء، (**وأما الإمام أبو بكر بن فورك رحمه الله فكان يقول: المعجزات دلالات الصدق**) أي صدق الأنبياء (**ثم إنْ ادعى صاحبها النبوّة فالمعجزة تدل على صدقه في مقالته وإنْ أشار صاحبها إلى الولاية دلت المعجزة على صدقه في حالته، فتسمى كرامة**) له وإنْ كان نبياً (**ولا تسمى معجزة وإنْ كانت من جنس المعجزات للفرق**) بينهما بأنّ المعجزة ما قارنها دعوى النبوّة بخلاف الكرامة، فعنده أنَّ ما يكون من جنس المعجزات يكون للولي أيضاً، وهو المختار الذي دل عليه كلام المصنف فيما يأتي، (**وكان رحمه الله يقول**) أيضاً: (**من الفرق بين المعجزات والكرامات أنّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مأمورون بإظهارها**) أي المعجزات (**والولي يجب عليه سترها واخفاؤها**) أي الكرامات (**والنبي يدعي ذلك**) أي ما ذكر من المعجزة (**ويقطع القول به:**) لشدة قوّة حاله (**والولي لا يدعيها**) أي الكرامة (**ولا يقطع بكرامته لجواز أنْ يكون ذلك مكراً**) واستدراجاً، والحاصل أنَّ النبي لا بدّ من علمه بأنه نبي ومن قصده إظهار الخوارق، ومن قطعه بأنّها معجزات بخلاف الوليّ، (**وقال أوحد وقته في فنه القاضي أبو بكر الأشعريّ**) الباقلانيّ (**رحمه الله أنّ المعجزات تختص بالأنبياء، والكرامات تكون**

تكون للأولياء) لعل المراد أنها لا تكون لهم على نعتها لو وقعت على يد نبي وأما على وصف آخر ككونها كرامة فلا مانع منه لأنَّ ما وقع لنبي يجوز أنْ يقع مثله لوليّ وحينئذٍ الخلاف لفظياً والله أعلم. (**قوله: وأما الإمام الخ**) أقول: الحق ما ذهب إليه هذا الإمام إذ هو الموافق لما نص عليه في علم الكلام. (**قوله: وكان رحمه الله يقول الخ**) أقول: هو وجيه فعض عليه بالنواجذ. (**قوله: لجواز أنْ يكون ذلك مكراً الخ**) أي باعتبار نفس الأمر لسابق عدم العناية، فيكون الخارق حينئذٍ من قبيل المكر بالإنسان وإنْ كان ظاهر الحال الخير والصلاح، فالعبرة بما في نفس الأمر. (**قوله: إنَّ المعجزات تختص بالأنبياء الخ**) أفاد ذلك أنَّ الخارق إذا وقع على يد النبي يقال له: معجزة، وقد يقع على أنّه من نوع الكرامة بخلاف الولي لا يقع على يده إلا على وصف الكرامة دون المعجزة.

فائدة:

مما جرى للتابعين من الخوارق التي نقلها العدول أنَّ سعيد بن المسيب رضي الله عنه قال: لما توفي زيد بن خارجة الأنصاري في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه فسجي بثوبه ثم سمعوا جلجلة في صدره ثم تكلم، وذكره ابن أبي الدنيا فيمن تكلم بعد الموت رواه عن

للأولياء كما تكون للأنبياء، ولا تكون للأولياء معجزة لأنَّ من شرط المعجزة اقتران دعوى النبوة بها والمعجزة لم تكن معجزة لعينها، وإنما كانت معجزة لحصولها على أوصاف كثيرة) وإنْ شاركتها في بعضها الكرامة، إذ الفعل الخارق للعادة من حيث أنه خارق لا يدل على كرامة، ولا معجزة إلا إذا اقترن به ما دل الشرع على استقامته (فمتى اختل شرط من تلك الشرائط لا تكون معجزة وأحد تلك الشرائط دعوى النبوة، والوليّ لا يدعي النبوّة، فالذي يظهر عليه لا يكون معجزة، وهذا القول) هو (الذي نعتمده ونقول به: بل ندين) لله (به فشرائط المعجزات كلها أو كثرها يوجد في الكرامات إلا هذا الشرط الواحد) وهو دعوى النبوة، فلا تكون المعجزة كرامة (فالكرامة) كالمعجزة (فعل) من الله (لا محالة) فهي حادثة لا قديمة (لأنَّ ما كان قديماً لم يكن له اختصاص

ابن المسيب سحنون بن سعيد عن ابن وهب عن سليمان بن أبي بلال عن يحيى بن سعيد وكلهم عدول. ومن خوارق التابعين قال سعيد بن المسيب لعليّ بن زيد بن جدعان وكان جالساً في مجلسه: مُر قائدك ينظر إلى وجه هذا وأشار إلى رجل قلت: قال: فعلت أو تحدثني أنتَ قال: إنه كان يتناول علياً وطلحة والزبير فنهيته عن ذلك فأبى فدعوت الله على أنْ يسوّد وجهه فسوّد وجهه رواه سعيد بن أسد بن موسى في فضائل التابعين.

(قوله: وإن شاركتها في بعضها الكرامة) أي من حيث مطلق كونها خارقة للعادة. (قوله: إلا إذا اقترن به ما دل الشرع على استقامته) أي وهو مختلف في النبيّ والوليّ. (قوله: وأحد تلك الشرائط) أي الشرائط المعتبرة في تحقق كون الخارق معجزة هو دعوى النبوّة التي لا تصح إلا من النبي دون الولي. (قوله: فالكرامة كالمعجزة) أي في جواز الوقوع على يد من أراد الله به خيراً من نبي أو ولي بشرطه. (قوله: فعل من الله) أي لحكمة التصديق أو تقوية اليقين.

فائدة:

من التابعين ذوي الكرامة الحسن البصريّ رضي الله عنه خرّج عنه الإمام أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك ببغداد عن عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه عن موسى بن هلال عن هشام بن حسان عن الحسن قال: كان عامر بن عبد الله عطاؤه ألفين فكان يأخذ عطاءه في كمه فيجيء إلى منزله فما يلقاه سائل إلا أعطاه بغير عدد قال: ثم يجيء بها إلى البيت فينثرها قال هشام: فلا أدري أكانت الدراهم يومئذٍ وزناً أو عدداً قال: فتوزن أو تعد فلا تنقص درهماً، ومن كرامة استجابة دعائه رضي الله عنه ما رواه حماد بن زين عن أيوب قال: كنا عند الحسن البصريّ فغم على الناس هلال رمضان فقال الحسن: اللهم إنْ كانت ليلته فبينه لنا فانجلى عنه الغيم حتى نظر الناس إليه.

(قوله: فهي حادثة لا قديمة) ذكر ذلك بياناً لقوله: فعل من الله الخ، وليس للرد

بأحد) من الخلق بل ولا يشارك الله فيه غيره **(وهو)** أي ذلك الفعل **(ناقض)** أي خارق **(للعادة وتحصل)** أي الكرامة **(في زمان التكليف)** لا في غيره من أزمنة الآخرة، وليس المراد أنّها لا تحصل من غير مكلف فقد صرح الإمام اليافعيّ بأنّها تحصل من الصبي غير المميز، ويدل لذلك ما ذكره الماتن بعد ممن تكلم في المهد **(وتظهر على عبد)** مطيع **(تخصيصاً له وتفضيلاً)** له على من لا كرامة له **(وقد تحصل)** الكرامة له **(باختياره ودعائه)** أي طلبه لها، **(وقد لا تحصل له)** وإنْ اختارها وطلبها **(وقد تكون)** أي تحصل **(بغير اختياره)** وطلبه **(في بعض الأوقات، ولم يؤمر الولي بدعاء الخلق إلى نفسه)** بل إلى الله فقط بخلاف النبي في ذلك، فإنَّ المعجزة إنما تحصل له باختياره وطلبه، وهو مأمور بدعاء الخلق إلى نفسه كما أنّه مأمور بدعائهم إلى الله لأنّه تعالى بعثه إليهم، فطاعته طاعته ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] **(ولو أظهر)** الولي **(شيئاً من ذلك)** أي مما ذكر من كراماته **(على من يكون أهلاً له لجاز)** بل قد يندب لما

على من يقول بقدمها لأنّه لا قائل به. **(قوله: وتحصل أي الكرامة في زمان التكليف)** أي في مدة الحياة الدنيونية، وقوله: لا في غيره من أزمنة الآخرة أُنظر هل زمن البرزخ من أزمنة الآخرة، فلا يحصل فيه الكرامة أيضاً أو لا فتحصل، والذي يظهر لي والله أعلم أنَّ الكرامة تحصل في زمن البرزخ على معنى أنّ الله تعالى يخلق الكرامة لإكرام من أراد من الموتى حيث هو الفعال الخلاق.

(قوله: غير المميز) أي والمميز بالأولى وربك على كل شيء قدير. **(قوله: وتظهر على عبد مطيع)** أي حتى تسمى كرامة، وقوله: تخصيصاً أي أو ليقوى يقينه ويدوم اجتهاده. **(قوله: وقد لا يحصل له)** أي ليدوم الإنسان على نعت عبوديته وذله لعزّ ربه. **(قوله: وقد تكون)** أي تحصل بغير اختياره أي لحكمة إكرامه وقوّة يقينه أو يقين من اتبعه من المريدين. **(قوله: وهو مأمور بدعاء الخلق إلى نفسه)** أي ليحترم ويصدق في دعواه أي ولذلك يقع الخارق باختياره بخلاف الولي، فذلك حكمة الفرق بين النبي والولي.

(قوله: ولو أظهر الوليّ الخ) محصله أنّه إنما يجوز له ذلك إذا قوي رجاؤه في انتفاع غيره من المريدين بواسطة قوّة اعتقادهم فيه بما أظهره عليهم من الكرامات بل قد يندب له ذلك كما ذكره الشارح. وروى حمزة عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه عن السريّ بن يحيى عن رباح بن عبيدة قال: صلى بنا عمر بن عبد العزيز فلما انصرف إذا شيخ يتوكأ على يده قال: فقلت في نفسي: إنّ هذا الشيخ جلف يتوكأ على يد الأمير قال: فقلت: أصلح الله الأمير من الشيخ الذي رأيته يتوكأ على يدك قال: ورأيته يا رباح قال: قلت: نعم قال: أحسبك رجلاً صالحاً ذلك الخضر أتاني وأعلمني أني سألي الأمر وأعدل فيه، وهو مذكور في سيرة عمر بن عبد العزيز ورجاله ثقات.

يترتب عليه من الخيرات كزيادة يقينه (**واختلف أهل الحق في الولي هل يجوز أن يعلم أنّه ولي أم لا، فكان الإمام أبو بكر بن فورك رحمه الله يقول: لا يجوز ذلك لأنّه يسلبه الخوف، ويوجب له الأمن، وكان الأستاذ أبو علي الدقاق رحمه الله يقول بجوازه وهو الذي نأثره**) أي ننقله (**ونقول به**) وهو الصحيح ولا نسلم أنَّ ذلك يسلب الخوف ويوجب الأمن، فالعشرة الذين بشرهم النبي ﷺ بالجنة علموا ببشارته أنّهم أولياء الله وكانوا مع ذلك خائفين مع كمال فضلهم واجتهادهم في الدين وسيأتي هذا في كلامه (**وليس ذلك**) أي علم الولي بأنّه ولي (**بواجب في جميع الأولياء حتى يكون كل ولي يعلم أنّه ولي واجباً**) أي وجوباً (**ولكن يجوز أن يعلم بعضهم ذلك كما يجوز أن لا يعلمه بعضهم، وإذا علم بعضهم أنّه ولي كانت معرفته تلك كرامة له انفرد بها، وليس كل كرامة لولي يجب أن تكون تلك بعينها لجميع الأولياء بل لو لم يكن للولي كرامة ظاهرة عليه في الدنيا لم يقدح عدمها في كونه ولياً**) بل قد يكون أفضل ممن ظهرت عليه كرامات لأنَّ الأفضلية إنما هي بزيادة اليقين لا بظهور الكرامة، قال الجنيد، وقد مشى رجال باليقين على الماء، ومات بالعطش أفضل منهم يقيناً، وقال

(**قوله: واختلف أهل الحق**) أي اختلفوا على قولين جواز علم الوليّ بأنّه ولي وعدمه، والمعتمد الأوّل على ما سيذكره. (**قوله: لا يوجوز ذلك لأنّه الخ**) فيه نظر مع ما يظهر منه من ترويج القول بوجوب فعل الصلاح والأصلح عليه تعالى تنزه الله عن ذلك والله أعلم.

(**قوله: وكانوا مع ذلك خائفين**) أي ويشهد لذلك خبر: «والمخلصين على خطر عظيم» على أنَّ الخوف لو سلب لخلفه الهيبة والإجلال لله تعالى كما يشير إليه خبر: «نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه» فتأمله. (**قوله: وليس ذلك بواجب الخ**) استئناف يبين أنه غير لازم على الولاية لكل ولي بل هو من الجائز، فلو فرض علمه بولايته كما هو جائز في حقه كان علمه بها كرامة أكرمه الله بها. (**قوله: كانت معرفته تلك كرامة**) أي إكراماً منه تعالى لذلك الولي حيث أعلمه بولايته مع أنَّ ذلك غير بعيد حيث هو من الخارق للعادة.

(**قوله: لم يقدح عدمها في كونه ولياً**) أقول: كيف لاولا كرامة كالاستقامة. (**قوله: إنما هي بزيادة اليقين**) أي ويدل لذلك خبر «ما فضلكم أبو بكر بصلاة ولا بصوم بل بشيء وقر في قلبه»[1] أو كما ورد. (**قوله: ومات بالعطش الخ**) أي وذلك ليدوموا على الأشواق ونيران الاحتراق لمحبة اللقاء والتلاق بحكمة الرب الخلاق. (**قوله: وقال اليافعي الخ**) الذي يظهر منه القول بولايتها لا نبوّتها وهو أحد قولين في المسألة. (**قوله:**

---

(١) أخرجه الزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ١/ ٣٢٤).

اليافعي في كرامات مريم: إنّه كان في بدايتها يعرف لها خرق العادات بلا سبب ليكمل يقينها، فكانت كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً، فلما كمل يقينها ردت إلى السبب وقيل لها: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾ [مريم: ٢٥] **(بخلاف الأنبياء فإنّه يجب أن تكون لهم معجزات لأنّ النبي ﷺ مبعوث إلى الخلق، فبالناس حاجة إلى معرفة صدقه ولا يعلم)** صدقه **(إلا بالمعجزة)** لأنّ وجودها عقب دعواه النبوّة منزل منزلة قول الله له: صدقت في دعواك، **(وبعكس ذلك حال الولي)** أي لا يجب أنْ تكون له كرامة **(لأنّه ليس بواجب على الخلق ولا على الولي أيضاً العلم بأنّه ولي)** نعم يجوز أنْ يعلم أنّه ولي كما مر واحتج له بقوله: **(والعشرة من الصحابة رضي الله عنهم صدّقوا الرسول ﷺ فيما أخبرهم)** به من **(أنّهم من أهل الجنة)** فقد علموا بذلك أنّهم أولياء الله واجتمعت الأمة على فضلهم **(وقول من قال: لا يجوز ذلك)** أي علم الولي بأنّه ولي **(لأنّه يخرجهم من الخوف)** إلى الأمن لا يضر في عدم خوف تغير العاقبة **(فلا بأس أنْ لا يخافوا تغير العاقبة)** بأنْ يعلمهم الله بأنّهم يموتون على الإسلام، وذلك حاصل لبعض الأولياء، **(و)** أما **(الذي يجدونه في قلوبهم من الهيبة والتعظيم والإجلال للحق سبحانه)** ومن خوفهم مما توعدهم به ربهم من الوقوف بين يديه للسؤال والحساب فإنّه موجود فيهم بل **(يزيد ويربو على كثير من الخوف)** الحاصل لغيرهم بل لا يزول عنهم ذلك لأنّه ثمرة معرفتهم به تعالى وبجلاله وعظمته، وإنْ حصل لهم سكون بإعلام الله لهم بعدم تغير العاقبة، ولا يضر في علمهم بأنّهم أَولياء احتمال التغير كما لا يضر في العلم بأنّ الكافر حال كفره كافر احتمال إسلامه لأنّ العلم يتعلق بالمعلوم على ما هو به، **(واعلم أنّه ليس للولي**

بخلاف الأنبياء) أي الأنبياء المرسلين كما يرشد إليه التعليل مع أنّ الظاهر الأعم والله أعلم.

(قوله: فلا بأس الخ) حاصل الغرض في تحقيق هذا أنّه لا يلزم من علم الولاية سلب مطلق الخوف عن الولي لثبوت الخوف من العشرة المبشرين بالجنة مع علمهم بحسن عاقبتهم وبولايتهم على أنّه لا يلزم من نفي خوف العاقبة نفي خلف الخوف لثبوت الهيبة والإجلال له تعالى عندهم، وغير ذلك مما ذكره المؤلف.

(قوله: ولا يضر في علمهم بأنّهم أولياء الخ) محصل ذلك منع القول بأنّ علم الولاية يخرج عن الخوف أي وذلك لتعلقه بالحال، واحتمال التغير من حكم الاستقبال كما يرشد إليه التنظير بقوله: كما لا يضر في العلم الخ. **(قوله: لأنّ العلم يتعلق بالمعلوم على ما هو به)** أي في زمن العلم، وذلك تعليل لقوله: ولا يضر في علمهم الخ. **(قوله: واعلم أنّه ليس للوليّ الخ)** أي فالواجب في حق الوليّ أنّه لا يعلق همته بما سواه تعالى

مساكنة) أي سكون (**إلى الكرامة التي تظهر عليه ولا له ملاحظة**) لها (**وربما يكون لهم في ظهور جنسها قوّة يقين وزيادة بصيرة لتحققهم أنّ ذلك فعل الله تعالى فيستدلون بها على صحة ما هم عليه من العقائد، وبالجملة**) وفي نسخة وفي الجملة (**فالقول بجواز ظهورها**) بل وقوعها وفي نسخة إظهارها (**على الأولياء واجب، وعليه جمهور أهل المعرفة، ولكثرة ما تواتر بأجناسها الأخبار والحكايات صار العلم بكونها**) أي بوجودها (**وظهورها على الأولياء في الجملة علماً قوياً انتفى عنه الشكوك ومن توسط هذه الطائفة**) ولم يخرج عنها (**وتواترت عليه حكاياتهم وأخبارهم لم يبق له شبهة في ذلك على الجملة، ومن دلائل هذه الجملة**) أي إظهار الكرامات (**نص القرآن في قصة**) اصف (**صاحب سليمان عليه السلام حيث قال**) لسليمان: (**أنا آتيك به**) أي

سواء كان من الذوات والصفات، ولا فرق في ذلك بين الشريف والمشروف والذميم والمحمود، فلا يلتفت إلى علوي أو سفلي سماوي أو أرضي نعم لا بد من مراعاة الدليل والرفيق قبل الطريق، ويدخل في ذلك الأنبياء والمرسلون وخلفاؤهم، فلا يجوز الإعراض عنهم كما لا يجوز الميل إليهم عبودية قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠]. (﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾) [الإسراء: ٢٣] ومن جملة من ينبغي تعليق الهمة به الشيخ الكامل فهو خير معتصم للمريد المسترشد، ونعم هو عون للطالب والله أعلم.

(**قوله: واعلم أنه ليس للولي الخ**) أقول: ولذلك أشار صاحب الحكم العطائية حيث قال: الطيّ الحقيقي أن تطوى مسافة الدنيا عنك حتى ترى الآخرة أقرب إليك منك، قلت: ظاهر الطيّ من الفعل والكرامة كطي الايام بلا طعام ولا شراب أو طي الأرض بحيث يقطعها دون مشي ولا تعب في أقرب مدة، فكلاهما لا عبرة به، وإنما الطي الحقيقيّ طي الدنيا بالزهد كما قال بعضهم: في قوله عليه الصلاة والسلام: «الدنيا خطوة مؤمن» أي أنّه يتخطاها بالزهد كقول بشر رحمه الله: من دخل في طريقنا يومين فقد حاز ملك الدارين، قيل: لأنّه يترك في الأول الدنيا، وفي الثاني التعلق بالآخرة، وفي الثالث يكون لربه بلا علة.

(**قوله: في قصة آصف**) أي وهو ابن برخيا وزير سليمان عليه السلام. (**قوله: حيث قال لسليمان: أنا آتيك به**) قبل أنْ يرتد إليك طرفك الطرف تحريك الأجفان، وفتحها للنظر إلى شيء وارتداده انضمامها، ولكونه أمراً طبيعياً غير منوط بالقصد أوثر الارتداد على الرد ولما لم يكن بين هذا الوعد واتخاذه مدة كما كانت في وعد العفريت استغنى عن التأكيد وطوى عند الحكاية ذكر الإتيان به للإيذان بأنه أمر متحقق غني عن الإخبار به، هذا وقيل: الذي جاء به رجل عند الإسم الأعظم الذي إذا سئل به أجاب، وقيل:

بعرش بلقيس **(قبل أن يرتد إليك طرفك)** وقد أتى به مثل ما قال: **(ولم يكن نبياً والأثر)** في ذلك **(عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه صحيح أنه قال:)** على المنبر بالمدينة لسارية وكان بالشام أو بمصر يقاتل العدوّ وأراد العدوّ أنْ يكيده ويسبقه إلى الجبل **(يا سارية الجبل)** أي اصعده، كشف الله له حال سارية مع العدوّ فقال له ذلك **(في حال خطبته يوم الجمعة)** فسمعه سارية والناس فتحصنوا بالجبل **(و)** صحيح **(تبليغ صوت عمر إلى سارية في ذلك الوقت)** بإخبار سارية عن نفسه بذلك **(حتى تحرز من مكامن العدوّ من الجبل في تلك الساعة)** فلعمر في ذلك كرامتان ما كشف له عن سارية وأصحابه وحال العدوّ، وبلوغ صوته إلى سارية في بلاد بعيدة والأخبار والآثار والحكايات في ظهور الكرامات مشهورة، وسيأتي شيء منها، **(فإنْ قيل: كيف يجوز إظهار هذه الكرامات الزائدة في المعاني على معجزات الرسل، وهل يجوز تفضيل الأولياء على الأنبياء عليهم السلام)** أو لا، **(قيل:)** في الجواب عن الأوّل: **(هذه الكرامات لاحقة بمعجزات نبينا ﷺ لأنّ كل من ليس بصادق في**

الخضر أو جبريل أو ملك آخر أيده الله به عليه الصلاة والسلام، وقيل: هو سليمان عليه السلام، وفيه بعد لا يخفى.

(قوله: والأثر في ذلك الخ) أي ومنه ما روي عن ابن سيرين، فروى عنه أبو عبد الله محمد بن يحيى القاضي عن ممحمد بن يحيى الخراز عن أحمد بن خالد عن الزبيدي عن عبد الرزاق عن هشام بن حسان عن ابن سيرين قال: خرجت أم أيمن مهاجرة إلى الله تعالى وإلى رسوله وهي صائمة ليس معها زاد ولا حمولة ولا سقاء في شدة حر تهامة، وقد كادت تموت من الجوع والعطش حتى إذا كان الحين الذي يفطر فيه الصائم سمعت خفيفاً على رأسها فرفعت رأسها فإذا بدلو معلق برشاء أبيض قالت: فأخذته بيدي فشربت منه حتى رويت فما عطشت بعد قال: فكانت تصوم وتطوف لكي تعطش في صومها فما قدرت أنْ تعطش حتى ماتت، وروى الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه في كتاب الزهد قال محمد بن جعفر: حدثنا عوف بن أبي السليل قال: حدثنا صلة بن أشيم قال: كنت أسير على دابة لي بهذه الأهواز جعت جوعاً شديداً فبينما أنا أسير حسبت أنّه قال: أدعو ربي واستطعمه إذ سمعت وجبة خلفي قال: فالتفت فإذا أنا بمنديل أبيض فنزلت عن دابتي فأخذت الثوب، فإذا فيه دوخلة ملأى رطباً قال: فأخذته وركبت دابتي وأكلت منه حتى شبعت وجاء بالثوب إلى أهله وكانت امرأته تريه الناس، وحسبك برواية الإمامين ابن المبارك وابن حنبل وغيرهما من الثقات. **(قوله: كشف الله له حال سارية)** أي فهي كرامة أكرمه الله تعالى بها، وقوله: وتبليغ صوت عمر الخ هذه كرامة أخرى له رضي الله تعالى عنه.

(قوله: الزائدة في المعاني) أي بحسب سبر أفرادها الواقعة لآحاد الأمة. **(قوله: هذه**

الإسلام لا تظهر عليه الكرامة، فكل نبي ظهرت كرامته على واحد من أمته فهي معدودة من جملة معجزاته إذ لو لم يكن ذلك الرسول صادقاً لم تظهر على يد من تابعه الكرامة) فظهورها على الوليّ دليل صدق النبي وصحة معجزته، فإنَّه تابع له في الحق الذي أتى به فإكرام الله للولي يدل على أنَّه متبع للرسول بما أتى به عنه، فكرامات الأولياء ترجع إلى ما عضد الله به الأنبياء من المعجزات الدالة على صدقهم، والجواب عن الثاني ما ذكره بقوله: **(فأما رتبة الأولياء فلا تبلغ رتبة الأنبياء عليهم السلام للإجماع المنعقد على ذلك، وهذا أبو يزيد البسطامي سئل عن هذه المسألة فقال: مثل ما حصل للأنبياء عليهم الصلاة والسلام كمثل زق فيه عسل ترشح منه قطرة، فتلك القطرة مثل ما لجميع الأولياء وما في الظرف مثل ما لنبينا)** مثلاً (ﷺ) من المعجزات والكرامات.

(فصل ثم هذه الكرامات قد تكون إظهار طعام في أوان فاقة) أي حاجة **(من غير سبب ظاهر)** في تحصيل الطعام **(أو حصول)** أي تحصيل **(ماء في زمان عطش، أو**

الكرامات لاحقة الخ) محصله مع منع زيادتها عن المعجزات بواسطة كونها من جملة مقويات صدقها باعتبار موافقة من ظهرت على يده للنبي ﷺ في أعماله وباقي متابعاته. **(قوله: لا تظهر عليه الكرامة)** أي لا تظهر عليه بهذا العنوان أما الخارق بعنوان آخر فقد يقع.

(قوله: دليل صدق النبي) هو على حذف مضاف تقديره زيادة دليل صدق النبي. **(قوله: فلا تبلغ رتبة الأنبياء الخ)** أي وذلك لأنَّ غاية رتبة الولاية أوّل معارج الصديقين، وغاية معارج الصديقين أوّل قدم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

(قوله: فصل ثم هذه الكرامات الخ) شروع في بيان أنواعها مما يجريه الحق تعالى على يد أوليائه، واعلم أنَّه إذا كانت جميع الخوارق الجارية على يد أهل التصريف من عالم القدرة الجائز في حقها كل ممكن، فلا يبعد ما يذكر من أنواعها وأصنافها أنَّه وقع على يد من شاء الله من عباده إذ عالم الحكمة منطو في بساط القدرة، والعالمان من أخلاقه ﷺ، فمن بساط الحكمة قطعه ﷺ مسافات أسفاره مفصلة على ما جرت به العادة من حيث اقتضاء الحكمة الإلهية ذلك وشوهد ذلك منه في هجرته وعمرته وغزواته، وفي تلك الأسفار ساعد مقتضى الحكمة باتخاذ الزاد والأهبة والسلاح، ومن بساط القدرة طيه ﷺ مسافة الأرض والسموات السبع، وما فوق ذلك وما دونه ذهاباً وإياباً في بعض ليلة والله أعلم.

(قوله: قد تكون إجابة دعوة الخ) أي ومن ذلك قال يوسف بن الحسين: جاء رجل إلى ذي النون المصري فشكا إليه ديناً عليه نحواً من سبعمائة دينار قال: فأخذ ذو النون حصاة من الأرض فقال للرجل: خذها فإني أرجو أن يكون فيها قضاء دينك قال يوسف: فقال لي الرجل: فجئت بها إلى صديق لي من أصحاب الجوهر فدفعها إليه فقال: ليس

تسهيل قطع مسافة في مدّة قريبة أو) تسهيل **(تخليص من عدو أو سماع خطاب من هاتف أو غير ذلك من فنون الأفعال الناقضة)** أي الخارقة **(للعادة واعلم أنّ كثيراً من المقدورات يعلم اليوم قطعاً أنّه لا يجوز أنْ يظهر كرامة للأولياء وبضرورة أو شبه ضرورة يعلم ذلك)** أي ويعلم ذلك بالضرورة أو شبهها من البراهين **(فمنها)** أي من تلك المقدورات **(حصول إنسان لا من أبوين وقلب جماد بهيمة أو حيواناً)** آخر **(وأمثال هذا كثيرة)** وبحث بعضهم في هذا ما يوافق ما مرّ عن ابن فورك فقال: خرق العادة جائز مطلقاً في كل زمن ولا يختص ببعض المعتادات لكن هل يكفي في مثل هذا النوع الآحاد أو لا بدّ من تواتره، فإنْ مثله لو وقع لنقل إلينا متواتراً حتى لو نقله الآحاد دل على كذب الناقل أو على خيله لأنّ العادة تكذبه، وقد قال الزركشيّ: ما قاله القشيري: ضعيف، والجمهور على خلافه، وقد أنكروه عليه حتى ولده أبو نصر في كتابه المرشد وإمام الحرمين في الإرشاد والنووي في شرح مسلم، فقال: إنّه غلط من قائله وإنكار للحس بل الصواب جريانها بقلب الأعيان ونحوه.

(فصل فإنْ قيل: فما معنى الولي) ووزنه فعيل **(قيل: يحتمل أمرين**

هذا وقت بيعها فإنْ صبرت عليّ رجوت أنْ أبيعها بالضعف قال: فغبت عنه شهراً ثم عدت إليه فإذا هو قد باعها بألف وأربعمائة دينار، فذلك من باب استجابة الدعاء والله أعلم.

(قوله: أو تسهيل قطع مسافة الخ) أي ويقال لمثل هذا: طي مكان كما يقال: بسط زمان حتى يسع القليل منه الكثير مما يحصل فيه. **(قوله: أو تسهيل تخليص من عدو)** أي ومن ذلك أنّ ذا النون المصريّ رضي الله عنه جاءته امرأة فقالت: إنّ ابني قد أخذه التمساح هذه الساعة فرأى حرقتها قال: فأتيت للنيل فأخذت التمساح وشققت جوفه فأخرجت ابنها صحيحاً فقال: كنت إذا رأيتك سخرت منك فاجعلني في حل فأنا تائبة إلى الله تعالى.

(قوله: واعلم أنّ كثيراً الخ) هو كالتقييد لما قبله أي فليس كل ممكن خارق يجوز وقوعه على يد الولي لما ذكره المؤلف، وهو ضعيف لما فيه من التحكيم بلا وجه ظاهر فتدبره. **(قوله: جائز مطلقاً)** أي بأي نوع من أنواع الخارق. **(قوله: لكن هل يكفي في مثل هذا الخ)** أي في صحة نقله وصدقه. **(قوله: ما قاله القشيريّ)** أي لما فيه من التحكيم بدون وجه ظاهر. **(قوله: فقال: إنّه غلط)** أي لأنّ كل ما صح أنْ يكون معجزة لنبي جاز أنْ يكون كرامة لولي بدون محذور فيه. **(قوله: فصل فإنْ قيل: فما معنى الوليّ الخ)** يريد نفعنا الله به الولاية الخاصة، وإلا فالمؤمنون جميعاً أولياء الله تعالى، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة: ٢٥٧] والولي يطلق على كل عبد تولى أمراً فهو الناصر والعاضد والحافظ، ومتولي عقد النكاح وغيره من الأفعال التي تتولى، وأصل الولاية المبالغة في

أحدهما أنْ يكون فعيلاً مبالغة من الفاعل كالعليم والقدير) بمعنى العالم أو

الفعل الحسن، وكون الحق ولي المؤمنين فهو على معنى ناصرهم ومعينهم وموالي نعمه الدنيوية والأخروية عليهم، هذا، والمراد هنا الولاية في العرف وهي الخاصة بخواص المؤمنين لا غير والله أعلم.

(قوله: قيل: يحتمل الخ) منه يعلم على كل من المعنيين فيه اشتراط الموافقة في أقواله وأفعاله للشريعة المطهرة، وأنَّه لا تتحقق الولاية لأحد عليه اعتراض من جهة الشرع، فلا تغتر ذلك قال الله تعالى في بيان ما خص به الأولياء من النعوت: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢] فهو بيان على وجه التبشير والوعد بعدما أُشير إلى فظاظة حال المغترين وما سيعتريهم من الهول إشارة إجمالية على طريق التهديد والوعيد، وصدرت الجملة بحرف التنبيه والتحقيق لزيادة تقرير مضمونها والمراد بالأولياء خلص المؤمنين لقربهم الروحاني منه تعالى لا خوف عليهم في الدارين من لحوق مكروه، ولا هم يحزنون من فوات مطلوب، والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعاً لما هو معلوم من أنَّ النفي إذا نفس المضارع يفيد الدوام، والدوام بحسب المقام، وإنما لم يعتريهم ذلك لأنَّ مقصدهم ليس إلاّ طاعة الله تعالى، ونيل رضوانه المستتبع للكرامة والزلفى، وذلك مما لا ريب فيه ولا احتمال لفواته بموجب الوعد الصدق، وقوله: الذين آمنوا أي بكل ما جاء من عند الله تعالى، وقوله: وكانوا يتقون أي يتقون أنفسهم عما يحق وقايتها عنه من الأفعال والتروك وقاية دائمة حسبما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل بيانٍ وتفسير لهم وإشارة إلى ما به نالوا على طريق الاستئناف المبني على السؤال كأنَّه قيل: من أولئك وما سبب فوزهم بتلك الكرامة، فقيل هم الذين جمعوا بين الإيمان والتقوى المفضيين إلى كل خير المنجيين من كل شر، والمراد من التقوى المرتبة، الجامعة لما تحتها من التوقي عن الشرك التي يفيدها الإيمان أيضاً، ومرتبة التجنب لكل ما يؤثم من فعل وترك أعني تنزه الإنسان عن كل ما يشغل سره عن الله تعالى، والتبتل إليه بالكلية، وهي التقوى الحقيقية المأمور بها في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢] وبذلك يحصل الشهود والحضور والقرب الذي يدور عليه إطلاق الاسم نعم يتفاوت الحظ والشرب من ذلك بحسب تفاوت درجات استعداداتهم الفائضة عليهم بموجب المشيئة المبنية على الحكم أقصاها ما انتهى إليه همم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حتى جمعوا بذلك بين رياستيّ النبوّة والولاية، ولم يعقهم التعلق بعالم الأشباح عن الاستغراق في عالم الأرواح، ولم يصدهم الملابسة بمصالح الخلق عن التبتل إلى جناب الحق لكمال استعداد نفوسهم الزكية المؤيدة بالقوّة القدسية فملاك أمر الولاية هو التقوى، فأولياء الله هم المؤمنون المتقون، ويقرب منه ما قيل: من أنَّهم هم

القادر (**وغيره**) الأولى وغيرهما (**فيكون معناه من توالت طاعاته من غير تخلل معصية**) وهذا قريب من قول السعد التفتازاني الولي هو العارف بالله وصفاته حسب ما يمكن المواظب على الطاعات المتجنب عن المعاصي المعرض عن

الذين تولى الله هدايتهم بالبرهان، وتولوا القيام بحق عبوديته، والدعوة إليه، وما قيل: من أنهم هم الذين يذكر الله برؤيتهم أي بسمتهم وإخباتهم وسكينتهم، وما قيل: من أنهم المتحابون في الله، وقوله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٤] تفسيراً توليته تعالى إياهم والبشرى مصدر أريد به المبشر به من الخيرات العاجلة كالنصر والفتح والغنيمة أو نحو ذلك والآجلة الغنية عن البيان عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قلت: يا رسول الله الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال ﷺ: «تلك عاجل بشرى المؤمن»[1]، وعن النبي ﷺ: «هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو تُرى له»[2] وعنه ﷺ «ذهبت النبوّة وبقيت المبشرات»[3] وعن عطاء البشريّ عند الموت تأتيهم الملائكة قال تعالى: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ﴾ [فصلت: ٣٠] الآية والبشرى في الآخرة فتلقى الملائكة مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم وإعطاء الصحائف بأيمانهم، وغير ذلك من البشارات والله أعلم.

(**قوله: أنْ يكون فعيلاً مبالغة**) أي باعتبار صيغته إذ هي من صيغ المبالغة. (**قوله: فيكون معناه من توالت الخ**) أقول: قال الشاذلي نفعنا الله به: الكرامة كرامتان كرامة الإيمان بمزيد الإيقان وشهود العيان وكرامة العمل على الاقتداء والمتابعة، ومجانبة الدعاوى والمخادعة، فمن أعطيهما ثم جعل يتشوق إلى غيرهما فهو عبد كذاب مفترٍ قد أخطأ في العلم والعمل بالصواب كمن أكرم بشهود الملك على نعت الرضا فجعل يشتاق إلى سياسة الدواب، وما ذكره رضي الله تعالى عنه بالغ في بيان المقصود فافهمه.

(**قوله: حسب ما يمكن**) أي على حسب ما يطاق وإلا فحق المعرفة مما لا تسعه قدر البشر، واعلم أنَّ العارفين هم أهل الحضرة الإلهية، وهم أقسام شتى بحسب

---

(١) أخرجه مسلم (بر ١٦٦) وابن ماجه (زهد ٢٥) وأحمد بن حنبل (٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٦٨).

(٢) أخرجه البخاري (بدء الوحي ٣) (تفسير سورة ٩٦، ١ ـ ٣) (تعبير ١، ٥) ومسلم (صلاة ٢٠٧، ٢٠٨) (رؤيا ٣، ٤، ٦) وأبو داود (صلاة ١٤٨) والترمذي (رؤيا ٢، ٣) (تفسير سورة ١٠، ٢) والنسائي (تطبيق ٨، ٦٢) وابن ماجه (رؤيا ١) والدارمي (صلاة ٧٧) (رؤيا ٢ ـ ٥) والموطأ (رؤيا ٤) وأحمد بن حنبل (١، ٢١٩، ٣١٥، ٢، ١١٩، ١٢٢، ١٣٧، ٢١٩، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٦٩، ٣١٤، ٣٢٥، ٣٤٢، ٣٦٩، ٤٣٨، ٤٩٥، ٥٠٧، ٥، ٤٤، ٥٠، ٣١٥، ٣٢١، ٣٢٥، ٦، ١٢٩، ١٥٣، ٢٣٢، ٤٤٥، ٤٤٧، ٤٥٢).

(٣) أخرجه ابن ماجه (رؤيا ١) والدارمي (رؤيا ٣).

الانهماك في اللذات والشهوات، **(ويجوز أنْ يكون فعيلاً بمعنى مفعول كقتيل بمعنى مقتول، وجريح بمعنى مجروح وهو الذي يتولى الحق سبحانه حفظه وحراسته على الإدامة والتوالي، فلا يخلق له الخذلان الذي هو قدرة العصيان و)** إنّما **(يديم)** عليه **(توفقيه الذي هو قدرة الطاعة قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾)** [الأعراف: ١٩٦] فلا يكله إلى نفسه لحظة، وتقدم ذلك في باب الولاية.

(فصل فإنْ قيل: فهل يكون الولي معصوماً) من الذنوب **(قيل: أما)** كونه معصوماً منها **(وجوباً كما يقال في حق الأنبياء:)** حتى لا يقع في كبيرة إجماعاً ولا في صغيرة على الأصح **(فلا)** وما قيل: في حق الأنبياء مما يخالف ظاهره ذلك كقوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١] مؤوّل فأوّل عصى

مشاربهم وأذواقهم، وهم متفاوتون في شربهم بحسب اسم الله المقسط فأعطى كلاً بمقتضى إسمه الحكيم على ما سبق عليه إسمه العلام العليم، فرفعهم بإسمه الرافع رفيع الدرجات، وبسط على أرواحهم وأشباحهم ما فاض عن خزائن اسمه الباسط، وقبض عنهم النقائض بما فاض من تيار بحر إسمه القابض فشأنهم أنهم دائماً محفوظون ولربهم راكعون ساجدون يسبحونه تعالى الليل والنهار لا يفترون.

(قوله: المواظب على الطاعات) أي واجبها ومندوبها بل هو المواظب على الأفضل من ذلك، وقوله: المتجنب عن المعاصي أي عن المخالفات ولو المكروه منها وإنْ جاز وقوع ذلك منه إذ لا عصمة إلا لنبي، غير أنَّ الولي إذا وقع في المعصية بتقدير العزيز العليم لا يصر عليها بل يرجع حالاً إلى قرع باب القبول بالتوبة الصحيحة النصوح والله أعلم. **(قوله: المعرض عن الانهماك الخ)** أشار بذلك إلى جواز وقوع المخالفة من الولي بتقدير العزيز العليم لأنّه عصمة ثبتت في حق الولي بل له الحفظ فقط والله أعلم. **(قوله: ويجوز أنْ يكون فعيلاً الخ)** أي وعلى كلا المعنيين تلزم المتابعة لسيد الكاملين ﷺ وكل معنى أردته من المعنيين يلزمه المعنى الآخر كما هو واضح.

(قوله: وما قيل في حق الأنبياء الخ) محصله أنَّ المعاصي من الأنبياء صورية فقط لا حقيقية كيف وهي قد يترب عليها من الثمرات والفوائد الدنيوية والدينية بالنسبة للأمم ما لا يخفى على عاقل عالم.

(قوله: كقوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾) [طه: ١٢١] أي عصى بما ذكر من أكل الشجرة، فغوى أي زل عن مطلوبه الذي هو الخلود أو عن المأمور به أو عن الرشد حيث اغتر بقول العدوّ. **(قوله: فأوّل عصى بخالف)** أي وخلافه كان خطأ لا عمداً وقوله: وغوى بتغير حاله عما كان عليه أي من تطاير الحلل وهبوطه إلى الأرض وغير ذلك مما صار أمره إليه على نبينا وعليه الصلاة والسلام.

بخالف وغوى بتغير حاله عما كان عليه (**وأما إنْ**) أي أنَّه (**يكون محفوظاً حتى لا يصر على الذنوب إنْ حصلت**) منه (**هنات**) أي خصلات شر (**أو آفات أو زلات، فلا يمتنع ذلك في وصفهم**) بالولاية الأولى وصفه، فالولي يحفظ مما يجوز وقوعه فإنْ وقع في ذنب تاب منه سريعاً ومحي أثره عنه، والنبي يمتنع أنْ يقع له ما يجوز وقوعه فحفظ الولي مما ذكر جائز وإنْ وقع له وتاب منه كان ذلك من جملة الحفظ له أيضاً، ولا يخرجه ذلك عن كونه ولياً لله.

(**ولقد قيل للجنيد رحمه الله: العارف**) بالله هل (**يزني يا أبا القاسم؟ فأطرق**) رأسه (**ملياً**) بتشديد الياء أي طويلاً (**ثم رفع رأسه وقال: وكان أمر الله قدراً مقدوراً**) أشار إلى أنَّ وقوع الذنب من الولي لا ينافي ولايته بأنْ يحفظه الله بالتوبة منها سريعاً.

(**فصل فإنْ قيل: فهل يسقط الخوف عن الأولياء قيل: أما الغالب على**) الأولياء (**الأكابر**) **فكان هو** (**الخوف**) كما مرّ بيانه حتى تمنى عمر رضي الله عنه مع

(**قوله: حتى لا يصر الخ**) الذي يظهر من كلامه أنَّه يبعد حفظه من كل وجه بحيث لا يلابس ذنباً أصلاً، وهو كذلك باعتبار ما جبلت عليه نفس البشر والله تعالى على كل شيء قدير. (**قوله: تاب منه سريعاً الخ**) أي ويشهد له خبر «المؤمن مفتن تواب» أو كما ورد. (**قوله: كان ذلك من جملة الحفظ له**) أي بواسطة إلهام الرجوع سريعاً. (**قوله: العارف بالله الخ**) المراد به العالم بربه على قدر طاقته الذي توالى على قلبه ذكر ربه ومراقبته حتى فني في ذلك عما سواه تعالى.

(**قوله: فأطرق رأسه الخ**) أقول: لم يكن ذلك منه لتذكر الجواب بل للإشفاق مما يجوز في حقه رضي الله تعالى عنه. (**قوله: وكان أمر الله قدراً مقدوراً**) أي فلا يمكن تخلف ما قدره الله على عبده بل لا بد من وقوعه، ولو كان من قدر عليه ولياً من أوليائه، وحينئذ فالفرق بينه وبين غيره من عوام الأمة عدم إصراره على ما قُدر عليه من المخالفات بل يوفق للتوبة والرجوع سريعاً بخلاف غيره، وسبحان من لا يسأل عما يفعل والله أعلم.

(**قوله: فصل فإنْ قيل الخ**) محصله أنَّ الخوف من نعت العبد الغالب عليه تحقيق للعبودية، فخروجه عن ذلك نادر بواسطة إخبار معصوم أنَّه يموت مؤمناً ومع ذلك قد تخلف الخوف الهيبة والجلال بل ربما يكون تأثير ذلك أشد من تأثير الخوف فالولي دائماً دائر بين الخوف والهيبة لا ينفك عن ذلك أبداً نعم قد يسقط الخوف بالنسبة لمن دخلت نفسه حرم الأمن بإشارة ﴿جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧] فإنَّ النفس وقواها إذا دخلت حرم القلب أمنت من غوائل الهوى والشيطان، وإذا أمنت عم الأمان الجوارح، وإذا خرجت منه فقد تعرضت لتخطف الهوى والشيطان نعم في النادر من يدخل ذلك الحرم والله أعلم.

بكائه الزائد أنْ لم تكن أمه ولدته **(وذلك)** أي سقوط الخوف **(الذي قلنا)** فيما تقدم على **(جهة الندرة)** بضم النون بأنْ يعلمه الله بأنّه يموت مسلماً فيسقط عنه خوف موته كافراً **(غير ممتنع، وهذا السريّ السقطيّ يقول: لو أنّ واحداً دخل بستاناً فيه أشجار كثيرة، وعلى كل شجرة طير يقول له)** على سبيل خرق العادة **(بلسان فصيح: السلام عليك يا ولي الله فلو لم يخف)** من ذلك **(أنّه مكر لكان ممكوراً)** به وزالت معرفته بالله لأنّه تعالى قال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨] فكل عالم به لا بدّ أنْ يخشاه لمعرفته بجلاله وعظمته وكمال قدرته **(وأمثال هذا من حكاياتهم)** الدالة على عدم سقوط الخوف عنهم **(كثيرة فصل. فإنْ قيل: فهل تجوز رؤية الله تعالى بالأبصار اليوم؟)** أي **(في الدنيا على جهة الكرامة فالجواب عنه أنّ الأقوى فيه أنّه)** أي ما ذكر من الرؤية **(لا يجوز لحصول الإجماع عليه ولقد سمعت الأستاذ أبا بكر بن فورك رحمه الله يحكي عن أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه أنّه قال)** أي ذكر **(في ذلك قولين في كتاب الرؤية الكبير)** أحدهما الجواز إذ لو لم تجز رؤيته في الدنيا لم تجز في الآخرة لاستحالتها واللازم باطل، فقد صحت الأخبار برؤيته في الآخرة بل سأل

(قوله: فكان هو الخوف) أقول: والله أعلم لعل ذلك بالنسبة لقوم لم يبلغوا حرم القلب كما قدمنا القول في ذلك بل كان محلهم برزخ الصدر، فإذا هبت عليهم ريح الصبا من جهة يمين القلب والسر وجدوا نعيم الجمع، وإذا عصفت عليهم دبور الشمال من جهة الشهوات وجدوا عذاب الفرق فتدبر تفهم والله أعلم. **(قوله: فيسقط عنه خوف موته كافراً)** أي وذلك لا ينافي تحقق الخوف له من جهة أخرى كوجود الحجاب بما يجوز عروضه للأحباب أو سقوطه عن منازل المقربين ومقامات الكاملين، أو نحو ذلك مما لا ينافي الموت على الإيمان. **(قوله: وهذا السريّ السقطيّ الخ)** دليل على ما هو الغالب في حقهم رضي الله تعالى عنهم. **(قوله: وزالت معرفته بالله)** أي زالت وغابت عنه معرفته بأنّ جواز التغيير والتبديل من نعت الربوبية. **(قوله: فصل فإنْ قيل الخ)** محصله أنّ في المسألة قولين: الجواز وعدمه في الدنيا، والحق الجواز بل الوقوع بالفعل بالنسبة لنبينا ﷺ ما عليه الجمهور والاتفاق على رؤيته تعالى في الآخرة بالفعل على وجه يليق به جل جلاله.

(قوله: إنّ الأقوى فيه الخ) ضعيف كما يعلم مما يأتي. **(قوله: أحدهما الجواز)** أي وهو المعتمد، وقوله: لاستحالتها أي والمستحيل لا ينقلب جائزاً كما هو معلوم. **(قوله: واللازم باطل)** أي وهو عدم جواز الرؤية في الآخرة، ووجه بطلانه الاتفاق على وقوع الرؤية في الآخرة، والحاصل أنّ الرؤية في الدنيا جائزة عقلاً وشرعاً بل واقعه في الدنيا لنبينا ﷺ، وفي الآخرة واقعة لغيره من المؤمنين أيضاً والله أعلم.

(قوله: بل سأل موسى عليه السلام ربه رؤيته الخ) أي سأله بقوله تعالى حكاية عنه

موسى عليه السلام ربه رؤيته في الدنيا ولا يسأل النبي إلا فيما يجوز لكن أخبره الله بأنَّ وقوعها ممتنع في الدنيا لضعف الخلق عنها، ولهذا مثله بالجبل فقال: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣] وقد رآه نبينا ﷺ في الدنيا ليلة المعراج لقوته، وأما في الآخرة فيراه المؤمنون لما يخلق لهم من قوة الإدراك الذي يدرك به ما ليس في جهة، والثاني عدم الجواز للإجماع الذي ذكره المؤلف، والحق الأوّل والإجماع إنما هو على عدم وقوع الرؤية لا عدم جوازها مع أنّه محمول على غير نبينا ﷺ لما تقرر، فالمعتمد أنّها واقعة للنبي ﷺ في الدنيا والآخرة، ولغيره من المؤمنين جائزة عقلاً وشرعاً في الدنيا لا واقعة وواقعة في الآخرة.

حيث قال: ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] أي أرني ذاتك تمكنني من رؤيتك أو تتجلى لي فأنظر إليك وأراك أي وفي ذلك دليل على أنَّ رؤيته تعالى في الدنيا جائزة لما أنّ طلب المستحيل مستحيل من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولا سيما ما يقتضي الجهل بشؤون الله تعالى ولذلك ردّه بقوله لن تراني دون لن أرى تنبيهاً له على أنه قاصر عن رؤيته تعالى لتوقفها على استعداد في الرائي، ولم يوجد فيه ذلك، وجعل السؤال منه تبكيتاً لقومه الذين قالوا: أرنا الله جهرة خطأ، إذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب تجهيلهم كما فعل ذلك حين قالوا: إجعل لنا إلهاً حيث قال لأخيه: ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب على استحالة الرؤية أشد خطأ إذ يدل الإخبار بعدم رؤيته إياه على أنّه لا يراه أبداً وأنْ لا يراه غيره أصلاً ودعوى الضرورة مكابرة أو جهل بحقيقة الرؤية على أنَّ تعليق الرؤية باستقرار الجبل دليل على جوازها ضرورة أنَّ المعلق عليه من الممكن، فالمعلق بالممكن ممكن أيضاً، وقوله: ولكن انظر إلى الجبل قيل: هو جبل الأردن، وقوله: ﴿فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣] استدراك لبيان أنّه لا يطيق الرؤية، وقوله: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ أي لما ظهرت له عظمته تعالى وتصدّى له اقتداره وأمره، وقيل: أعطى الجبل حياة ورؤية حتى رآه ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ أي مدكوكاً مفتتاً، والدك والدق أخوان أو جعله أرضاً مستوية، وذلك على قراءته دكاء، ومنه ناقة دكاء أي لا سنام لها، وقوله: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ أي مغشياً عليه من هول ما رآه. **(قوله: والإجماع إنما هو الخ)** جواب عما يقال: كيف يكون الحق الأوّل مع أنَّ صاحب القول بعدم جواز الرؤية قد حكى الإجماع عليه؟ فقال مجيباً عن ذلك: والإجماع إنما هو على عدم وقوع الرؤية الخ.

(قوله: ولغيره من المؤمنين جائزة الخ) أي جائزة عقلاً وشرعاً لعدم ما يقتضي استحالتها مع ثبوت الرؤية له ﷺ وشرف وكرم. **(قوله: فصل فإنْ قيل: فهل يجوز؟ الخ)**

فصل

(فإن قيل: فهل يجوز أنْ يكون الولي ولياً في الحال ثم تتغير عاقبته) بأنْ يخرج عن ولايته (قيل: من جعل من شرط الولاية حسن الموافاة) لله تعالى: بأنْ يعلم الولي توالي الطاعات والقربات عليه إلى الممات (لا يجوز ذلك، ومن قال: إنَّه في الحال مؤمن على الحقيقة وإنْ جاز أنْ تتغير حاله) بعد (لا يبعد أنْ يكون ولياً في الحال صدّيقاً ثم يتغير وهذا) هو (الذي نختاره) ولا يورث احتمال التغير في العاقبة شكاً في كونه ولياً أو مؤمناً في الحال، وإلا لالتبس الأمر علينا، فلا يشترط في صدق ذلك دوامه إلى الممات (و) مع ذلك (يجوز أنْ يكون من جملة كرامات الولي أنَّ يعلم) بإعلام الله له (أنَّه مأمون العاقبة وأنّه لا تتغير عاقبته فتلتحق هذه المسألة بما ذكرنا) من (أنَّ الولي يجوز أنْ يعلم أنه ولي) لله تعالى.

فصل

(فإنْ قيل: فهل يرابل الولي) أي يزول عنه (خوف المكر) أي مكر الله به (قيل: إذا كان) العبد (مصطلماً) أي مستغرقاً (عن شاهده) أي مشهوده (مختطفاً عن

اعلم أنَّ هذه المسألة باعتبار عموم المعنى في الولاية العامة والخاصة يقال فيها تفصيل باعتبار العامة والخاصة والحال والاستقبال، فأما العامة وهي ولاية المؤمنين بمجرّد الإيمان فيمكن العلم بها في الحال، فإنَّ من عرف حقيقة الإيمان الذي كلفه الله تعالى به وأدركه من قلبه ونفسه فهو يعلم أنه من المؤمنين في وقته وإنْ لم يعلم الدوام عليه لما يجوز في حقه من التغيير والتبديل والعياذ بالله تعالى، وأما الخاصة الموقوفة على شروط زائدة على الإيمان من جريانهم على أشرف الأحوال واشتغالهم بأفضل الأعمال فهو باعتبار ما قد يعرض لهم من الآفات الجائزة في حقهم كل وقت، يقال: إنَّهم إذ وزنوا أنفسهم بميزان التحقيق ووجدوها على سواء الطريق ثار منهم الظن بحفظ المولى لهم نعم قد يخلق الله لهم علماً بعاقبة أمرهم فيعلمون أنَّهم أولياء الله، وحينئذ فذلك خارج من هذا المبحث، والله سبحانه وتعالى أعلم.

(قوله: لا يجوز ذلك) الإشارة إلى علمه في الحال بأنّه ولي لله باعتبار اشتراط علمه بتوالي الطاعات والقربات عليه إلى الممات. (قوله: وهذا هو الذي نختاره) أي علمه بأنه ولي في الحال هو الذي نختاره وإنْ جوّزنا تغيره في المستقبل إذ حكم الاستقبال لا ينافي حكم الحال سواء كان المحكوم به الإيمان أو الولاية.

(قوله: وإلا لالتبس الأمر علينا) أي في تحقيق ولايته في الحال. (قوله: قيل: إذا كان العبد مصطلماً الخ) أفاد بذلك أنَّ العبد وإنْ كمل يكون في حال صحوه خائفاً راجياً،

إحساسه) أي لا شعور له (**بحاله**) ونفسه (**فهو مستهلك عنه**) أي عن إحساسه (**فيما استولى عليه**) من الأحوال التي طرقته فأين هو من الخوف الذي هو من صفة حاضر كما قال: (**والخوف من صفات الحاضرين بهم**) أي منهم أو الأولياء أو الخلق.

فصل

(**فإنْ قيل: فما الغالب على الولي في أوان صحوه؟ قيل:**) الغالب عليه (**صدقه في أداء حقوقه سبحانه ثم رفقه وشفقته على الخلق في جميع أحواله ثم انبساط رحمته لكافة الخلق، ثم دوام تحمله عنهم**) إذا هم (**بجميل الخلق و**) دوام (**ابتدائه لطلب الإحسان من الله تعالى إليهم من غير التماس**) لشيء (**منهم و**) دوام (**تعليق الهمة بنجاة الخلق**) من المشقات والآفات (**وترك الانتقام منهم**) على قبائحهم (**والتوقي عن استشعار حقد عليهم مع قصر اليد**) فالبعد (**عن أموالهم وترك الطمع بكل وجه فيهم وقبض اللسان عن بسطه بالسوء فيهم والتصاون**) أي صون نفسه (**عن شهود مساويهم ولا يكون خصماً لأحد في الدنيا**) لهوانها عليه، فلا يخاصم عليها أحد (**ولا في**

ولا يكون آمناً أصلاً كيف وأصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله تعالى عنهم وعنا ببركاتهم مع ما كانوا عليه من قوّة اليقين وشهود النور المبين كان الغالب عليهم الخوف منه تعالى ومن جملتهم من بشرهم المقطوع بصدقه بالجنة، ومع هذا لم ينفكوا عن خوف الله بشهود جلاله وعظمته، نعم المصطلم يزول عنه الخوف في حالة اصطلامه كمن آمن العاقبة بواسطة خبر «معصوم من الأنبياء والمرسلين» صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

(**قوله: فصل فإنْ قيل: فما الغالب على الولي الخ**) هذا شروع في أمارات الولي وقت صحوه وهو حال تفرقه لأجل أنْ لا يلتبس بغيره ممن تضر متابعته ديناً ودنيا، والعياذ بالله تعالى. (**قوله: قيل: الغالب عليه صدقه الخ**) أي دوام جده في طاعة مولاه، فحينئذ علامة إقامة العبد في منازل الكرامة دوام جريانها عليه مع حصول نتائجها بواسطة علو الهمة والتعلق بالمعاني وكمال المعرفة بتحقيق اليقين والرضا عن الله في كل وقت، وعلى كل حال ونعوذ بالله من حال أهل النار. (**قوله: ثم رفقه وشفقته الخ**) أي لأجل أنْ يتخلق بالخلق المحمدي ﷺ، وقوله: انبساط رحمته أي عمومها لكافة جميع الخلق. (**قوله: ثم دوام تحمله عنهم أذاهم**) أي لأنّه كما تقدم كالأرض يطؤها البر والفاجر.

(**قوله: ودوام ابتدائه الخ**) أي حيث هو لا يقف على حال ولا مقام. (**قوله: ودوام تعليق الهمة بنجاة الخلق الخ**) أي ليكون بهم رؤوفاً رحيماً كما كان كذلك ﷺ. (**قوله: الطمع الخ**) أي اكتفاء به تعالى عما سواه.

(**قوله: وقبض اللسان الخ**) أي حفظاً لثمرات أعماله عن الضياع بالوقوع في الخلق.

الآخرة) لرحمته للخلق وشفقته عليهم فلا يطالبهم فيها بحق له عليهم، وجميع هذه المذكورات من علامات الولاية لدلالتها على الانكفاف عن النقائص **(واعلم أنَّ من أجل الكرامات التي تكون للأولياء دوام التوفيق للطاعات والعصمة عن)** وفي نسخاً من **(المعاصي والمخالفات ومما شهد من القرآن على إظهار الكرامات على الأولياء قوله تعالى في صفة مريم)** بنت عمران **(عليها السلام: ﴿ولم تكن نبياً ولا رسولاً﴾)** وفي نسخة نبية ولا رسولة **(إنَّ زكريا عليه السلام كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقاً وكان يقول: أنى لك هذا فتقول مريم: هو من عند الله)** إنَّ الله يرزق من يشاء بغير حساب **(وقوله سبحانه لمريم: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾)** [مريم: ٢٥] وكانت يابسة والباء زائدة **﴿تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾** أي يبسط عليها فتستغني عن أنْ تجنيه بيدها **(وكان في غير أوان الرطب، وكذلك قصة أصحاب الكهف والأعاجيب التي ظهرت**

(قوله: والتصاون الخ) أي اكتفاء بحال نفسه وإماطة معايبها. **(قوله: ولا يكون خصماً لأحد الخ)** أي لقوله ﷺ: «المؤمن هين لين»، الحديث. **(قوله: دوام التوفيق)** أي وذلك لأنَّ أجلَ الكرامة دوام الاستقامة بل الاستقامة هي حقيقة الكرامة إذ غيرها قد يعقبه ندامة، والحاصل أنَّ التحقيق في معنى الولاية أنْ يكون الوليّ محفوظاً من المخالفات، وميسراً للطاعات مع استعمال الخوف والرجاء كلاً في وقته وأي كرامة أعظم من الإستقامة على أنَّ الخارق للعادة قد يكون لقصد قوّة اليقين في ابتداء السير لرب العالمين على يد من تخلق بأكمل الأخلاق وحاز قصب السباق أو لرد منكر جاحد أو معاند حائد، فإذا كمل العبد في أحواله وتمكن في مقامه ووصاله ولم تدع دواعي الخارق على يده بمثل ما تقدم لم يلتفت إليه لتوالي الأكمل منه من نعم مولاه عليه، ودوام إحسانه إليه.

(قوله: والعصمة عن المعاصي) أي الحفظ عنها إذ لا عصمة إلا لنبي أو رسول لا لذوي الكرامات من بقية المؤمنين. **(قوله: وهزي)** الهز تحريك الشيء إلى الجهات المقابلة تحريكاً عنيفاً غير أنَّ المراد منه هنا ما كان منه بطريق الجذب والدفع لقوله تعالى: ﴿إِلَيۡكِ﴾ أي إلى جهتك وقوله: ﴿بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾ [مريم: ٢٥] الباء صلة للتأكيد كما في قوله: ﴿وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقوله: ﴿تُسَٰقِطۡ﴾ أي تسقط النخلة عليك إسقاطاً متوافراً على حسب تواتر الهز، وقوله: ﴿رُطَبٗا﴾ مفعول، وقوله: ﴿جَنِيّٗا﴾ صفته، وهو ما قطع قبل يبسه فعيل بمعنى مفعول أي رطباً مجنياً أي صالحاً لاجتناه، وقيل: بمعنى فاعل أي طرياً طيباً.

(قوله: وكذلك قصة أصحاب الكهف الخ) أي فيما حكى الله تعالى عنهم بقوله: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ﴾ [الكهف: ١٧] الخ حيث بين حالهم بعدما أووا إلى الكهف، والخطاب إلى النبي ﷺ أو لكل أحد ممن يصلح للخطاب، وليس المراد

عليهم من كلام الكلب معهم) وفي نسخة لهم (وغير ذلك) قوله: قال خالد بن معدان: الخ الذي في حياة الحيوان نقلاً عن خالد المذكور حمار العزير بدل حمار بلعام وزاد ناقة صالح.

الإخبار بوقوع الرؤية تحقيقاً بل الإنباء بكونه بحيث لو رأيته ترى الشمس الخ، وقوله: تزاور أي تتزاور وتتخبى بحذف إحدى التاءين، من وقوله: ﴿عَن كَهْفِهِمْ﴾ أي الذي أووا إليه وقوله: ﴿ذَاتَ ٱلْيَمِينِ﴾ أي جهة ذات اليمين، وقوله: ﴿وَإِذَا غَرَبَت﴾ أي غابت تراها عند غروبها تقرضهم أي تقطعهم ولا تقربهم ﴿ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ أي جهة ذات الشمال أي جانبه الذي يلي المشرق، وذلك على منهاج خرق العادة، وقوله: ﴿وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ جملة حالية منبئة عن كون ذلك أمراً بديعاً حيث لا تحوم حولهم مع أنَّهم في متسع من الكهف معرض لإصابتها، وقوله: ذلك أي ما صنع الله بهم من تزاور الشمس وقرضها لحالتي الطلوع والغروب مع كونهم في موقع شعاعها من آيات الله العجيبة الدالة على كمال علمه وقدرته وحقيقة التوحيد، وكرامة أهله عنده سبحانه وتعالى، وهذا كان قبل سد دقيانوس الكهف، وقوله: من يهدِ الله فهو المهتدِ أي من يهديه إلى الحق بالتوفيق فهو الذي أصاب الفلاح، والمراد إما الشهادة أو الثناء عليهم بإصابة المطلوب، وقوله: ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا﴾ مرشداً أي ومن يخلق فيه الضلال بصرف اختياره إليه، فلن تجد له أبداً وإنْ بالغت في التتبع والاستقصاء ناصراً يهديه إلى الفلاح لاستحالة وجوده، وقوله: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا﴾ أي تظنهم كذلك لما تبصره من انفتاح عيونهم على هيئة الناظر، وقوله: وهم رقود أي نيام، وقوله: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ﴾ أي في رقدتهم ﴿ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ أي جهتهما كيلا تأكل الأرض ما يليها من أبدانهم، قيل: لهم تقليبتان في السنة وقيل: واحدة يوم عاشوراء، وقوله: ﴿وَكَلْبُهُم﴾ هو كلب مروا به فتبعهم فطردوه مراراً فلم يرجع وأنطقه الله فقال: لا تخشوا جانبي فإني أحب الله فناموا حتى أحرسكم، وقيل: هو كلب راعٍ تبعهم على دينهم ويؤيده قراءة كالبهم، وقيل: هو كلب صيد أحدهم أو زرعه أو غنمه واختلف في لونه فقيل: كان أصفر، وقيل: أصهب، وقيل: غير ذلك، واختلف أيضاً في اسمه فقيل: قطمير، وقيل: ريان وقيل: تنور، وقيل: مطمون، وقيل: نور، قال خالد بن معدان: ليس في الجنة من الدواب إلا كلب أصحاب الكهف وحمار بلعام، وقيل: لم يكن من جنس الكلاب بل كان أسداً، وقوله: ﴿بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ حكاية حال ماضية، والذراع من المرفق إلى رأس الإصبع الوسطى، وقوله: ﴿بِٱلْوَصِيدِ﴾ أي بموضع الباب من الكهف، وقوله: ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أي لو عاينتهم ﴿لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ أي هرباً مما شاهدت منهم، وقوله: ﴿وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ أي خوفاً يملأ الصدر، وذلك لما ألبسهم الله تعالى من الهيبة، وقيل: لعظم إجرامهم هذا وبقية الكلام على ما يتعلق

فقد جاء في قصتهم أنّهم مروا بكلب فنبح عليهم فطردوه فقال لهم: لا تطردوني أنا أحب أحباء الله فناموا حتى أحرسكم وأنهم لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً نياماً وأنّهم يقلبون ذات اليمين وذات الشمال، وكلبهم معهم

بهم من توضيح قصتهم يطلب من كتب التفسير، وإنما ذكرنا هذه النبذة تبركاً بهم، والله أعلم.

(قوله: **وأنّهم يقلبون الخ**) أي والتقليب لئلا تضر الأرض أجسامهم بطول رقادهم.

(قوله: **ومن ذلك قصة ذي القرنين**)أي التي حكاها الله تعالى بقوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ [الكهف: ٨٣] أي السائل هم اليهود امتحاناً أو قريش بتلقينهم، وهو ذو القرنين الأكبر وإسمه إسكندر ابن فيلسوف اليونانيّ، وقيل: اسمه مرزبان بن مرزبة من ولد يافث، وقيل: مرزبا بن مدركه بن هشام، وقيل: إنّه أفريدون بن النعمان، وقيل: غير ذلك، ذكر أبوالريحان في كتابه المسمى بالآثار أنّه ملك مشارق الأرض ومغاربها وهو الذي افتخر به التبع اليماني حيث قال شعراً:

قد كان ذو القرنين جدّي مسلماً ... ملكاً علا في الأرض غير معتد

بلغ المشارق والمغارب يبتغي ... أسباب أمر من حكيم مرشد

والذي قاله الرازي: إنّ الذي بلغ في القوّة والسعة إلى الغاية التي نطق بها القرآن إنما هو الإسكندر اليونانيّ وهو الذي بنى الإسكندرية ومدينة سرنديب وغيرها من المدن العظام كان يدفن كنز كل بلد فيها، وقال علماء النجوم: إنّه يموت بأرض من حديد، وتحت سماء من خشب، فلما بلغ بابل سقط عن دابته فبسط له درع فنام عليها فآذته الشمس فأظلوه بترس فنظر وقال: هذه أرض من حديد وسماء من خشب فأيقن بالموت، فمات وهو ابن ألف وستمائة سنة وقيل: ابن ثلاث آلاف سنة، واختلف في نبوته بعد الاتفاق على إسلامه كان الخضر على مقدمة جيشه. (قوله: **ومن ذلك ما أظهر على يدي الخضر الخ**) أي فما يقع على يد غيره من الأولياء رضي الله تعالى عنه وعنهم أجمعين، فهو من هذا القبيل فهم محفوظون بحفظ الله تعالى موافقون للشرع في حقيقة الأمر وإنْ بدا منهم ما ظاهره يخالف كشتم ونهب وإتلاف أموال، فهم فيه على أنهج سبيل، وأكمل حال، فلك في قصة الخضر عليه السلام أكبر عبرة هل تراه خرج في خرق السفينة، وقتل الغلام وإصلاح الجدار عن الشرع قيد ذرة، فالمدد واحد:

عبارتنا شتى وحسنك واحد ... وكل إلى ذاك الجمال يشير

وتأمل قول سلطان العشاق قدس سره حيث يقول:

وخلع عذاري فيك فرضي وإنْ أبى اقـ ... ـترابي قومي والخلاعة سنتي

فقد شبه أهل القيود بالنقول من علماء الظاهر بالدواب المذممة بأرسانها، فقوله:

باسط ذارعيه بالوصيد، وكان ينقلب إذا انقلبوا وهو مثلهم في النوم واليقظة والشمس تزاور عن كهفهم ذات اليمين وذات الشمال، وكلها خوارق للعادة **(ومن ذلك قصة ذي القرنين وتمكينه سبحانه له)** في الأرض بكثرة المال **(ما لم يكن لغيره)** فيها كما هو مذكور في سورة الكهف، **(ومن ذلك ما أظهر على يدي الخضر)** بفتح الخاء وكسر الضاد وبكسر الخاء وفتحها مع إسكان الضاد **(من إقامة الجدار)** الذي كان مائلاً بيده **(وغيره من الأعاجيب)** كغرقه السفينة وقتله الغلام **(و)** من **(ما كان يعرفه مما خفي على موسى عليه السلام، كل ذلك أمور ناقضة)** أي خارقة **(للعادة اختص بها الخضر عليه السلام ولم يكن نبياً وإنما كان ولياً)**، والذي جزم به ابن الصلاح وأقرّه عليه النوويّ أنه نبي ورجحه الجمهور. **(ومما رُوي من الأخبار في هذا الباب)** شاهداً على إظهار الكرامات على الأولياء **(حديث جريج الراهب)** وهو ما **(أخبرنا)** به **(أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الأسفرايني قال: حدثنا أبو عوانة يعقوب بن إبراهيم بن إسحاق قال: حدثنا عمار بن رجاء قال: حدثنا وهب بن جرير قال: حدثنا أبي قال: سمعت محمد بن سيرين)** يحكي **(عن أبي هريرة)** رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: قال أبو عوانة وحدثني)** أيضاً **(الصنعاني وأبو أُمية قالا: حدثنا الحسن بن محمد**

وخلع عذاري يعني به خرقي للمغالي واجتلائي للمعاني هو الفرض المتفق عليه، وهو الأمر الذي دعاني الداعي إليه ففروا إلى الله قل الله ثم ذرهم، فليس خلعة الخلاعة هو سنتي أي طريقتي طريقة أهل السنة والجماعة لا أحب الآفلين لئن لم يهدني ربي لا ءكونن من الضالين يا قوم إني بريء مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض هكذا هكذا وإلا فلا لا ومن لا يوافق يفارقني ومن لا يساعدني يباعدني تدبر رقة المقام، ومني عليك السلام.

(قوله: وهو مذكور في سورة مريم) أي في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [مريم: ٣٠] الآية. **(قوله: فقالت لهم أنا أفتن جريجاً الخ)** فيه تنبيه على وجوب بر الوالدين بالنظر لما وقع لهذا العابد من الابتلاء مع تحريه وورعه في طلب الأفضل من طرق ما يرضيه تعالى. **(قوله: فكلام الأوّل)** أي وهو عيسى عليه الصلاة والسلام فيما حكاه الله تعالى عنه بقوله: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ الذي قصد به الإستئناف المبني على سؤال نشأ من سياق النظم الكريم الذي أنطقه الله تعالى به تحقيقاً للحق ورداً على من يزعم ربوبيته، قيل: إنّ الذي استنطقه عليه السلام زكريا عليه السلام، وعن السدي لما أشارت إليه مريم عليها السلام غضبوا وقالوا: لسخريتها أشد علينا مما فعلت، ورُوي أنه عليه السلام كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع وأقبل عليهم بوجهه وأشار بسبابته، وقال: ثم أنه عليه السلام لم يتكلم بعد ذلك حتى بلغ مبلغاً يتكلم فيه الصبيان.

المروزي قال: حدثنا جرير بن حازم عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة عيسى بن مريم وصبي في زمان جريج وصبي آخر فأما عيسى فقد عرفتموه»[1] أي كلامه وهو مذكور في سورة مريم عليها السلام (وأما جريج فكان رجلاً عابداً في بني إسرائيل وكانت له أم) موجودة (فكان يوماً يصلي إذ اشتاقت إليه أمه) فجاءته (فقالت) له: (يا جريج فقال: يا رب الصلاة خير أم آتيها) أي أجيبها وفي نسخة أم إجابتها (ثم صلى) أي استمر في صلاته (فدعته) ثانياً (فقال مثل ذلك: ثم صلى ودعته) ثالثاً (فقال مثل ذلك: ثم صلى فاشتد) أي شق ذلك (على أمه فقالت: اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات) أي الزانيات (وكانت) امرأة (زانية في بني إسرائيل) هناك (فقالت لهم: أنا أفتن جريجاً حتى يزني فأتته فلم تقدر على شيء) منه (وكان) هناك (راع يأوي بالليل إلى أصل صومعته) أي صومعة جريج (فلما أعياها) جريج (راودت الراعي على نفسها فأتاها فولدت) منه (ثم أنها قالت: ولدي هذا من جريج فأتاه بنو إسرائيل وكسروا صومعته وشتموه ثم صلى ودعا ثم نخس الغلام) بيده وقال له: يا غلام من أبوك (قال: محمد) هو ابن سيرين (قال أبو هريرة: كأني أنظر إلى النبي ﷺ حين قال: بيده) يحكي قول جريج: (يا غلام من أبوك فقال:) فلان (الراعي فندموا على ما كان) أي ما صدر (منهم) في حقه (واعتذروا إليه) وأقبلوا عليه يقبلونه ويتمسحون به (وقالوا) له: (نبني صومعتك من ذهب أو قال: من فضة فأبى عليهم وبناها كما كانت) لفظ مسلم قال: لا أعيدوها من طين كما كانت ففعلوا، (وأما الصبي الآخر فإنَّ امرأة كان معها صبي لها ترضعه إذ مر بها شاب جميل الوجه ذو شارة) أي هيئة حسنة (فقالت: اللهم اجعل ابني مثل هذا فقال الصبي: اللهم لا تجعلني مثله قال محمد: قال أبو هريرة: كأني أنظر إلى النبي ﷺ حين كان يحكي الغلام) أي كلامه (وهو يرضع ثم مرت بها أيضاً امرأة ذكروا أنّها سرقت وزنت وعوقبت فقالت اللهم لا تجعل ابني مثل هذه فقال: اللهم اجعلني مثلها فقالت له أمه: في ذلك) أي ما سببه (فقال: إنَّ الشاب جبار من الجبابرة وإنَّ هذه) المرأة (قيل: إنها زنت ولم تزن وقيل:) إنها (سرقت ولم تسرق وهي تقول: حسبي الله وهذا الخبر) صحيح (روي في الصحيح) فهؤلاء الثلاثة تكلموا في المهد وكلامهم خرق للعادة، فكلام الأول كرامة لمريم وبراءة لها مما نُسب إليها، وكلام الثاني

(قوله: وكلام الثاني) أي قوله: فلان الراعي جواباً لقول جريج له من أبوك. (قوله: وكلام الثالث) أي وهو قوله: اللهم لا تجعلني مثل في الشاب الحسن الهيئة، وقوله: في

---

(١) أخرجه البخاري (أنبياء ٤٨) ومسلم (بر ٨) وأحمد بن حنبل (٢، ٣٠٧، ٣٠٨).

كرامة لجريج وبراءة له مما نسب إليه، وكلام الثالث آية لوالدته وبراءة للمظلومة وزيد على الثلاثة سبعة أحدهم شاهد يوسف عليه السلام حيث قال: انظروا إنْ كان قميصه قد من قبل الآية، رواه الطبراني، الثاني ابن ماشطة فرعون حيث قال لأمه: لما اطلع فرعون على إيمانها وأراد إلقاءها في النار: اصبري فإنا على الحق رواه الطبراني ورُوي أنَّ المتكلم بنت الماشطة وأنَّه كان للماشطة ابنتان فذبح الكبرى على صدرها، وقال لها إنْ لم تكفري بالله ذبحت الصغرى، وكانت رضيعة فأبت فأتى بها فلما اضجعت على صدرها وأرادوا ذبحها جزعت الأم فقالت ابنتها يا أماه لا تجزعي فإنَّ الله قد بنى لكِ بيتاً في الجنة فاصبري فذبحت فلم تلبث الأم أنْ ماتت فأسكنها الله الجنة الثالث صاحب الأخدود فقد كان ملك من ملوك حر نجران قبل مولد النبي ﷺ خد أُخدوداً وملأه ناراً ثم عرض من أسلم رجلاً رجلاً فمن رجع عن الإسلام تركه، ومن أبى ألقاه في النار فأحرقه، وكان فيهم امرأة ولها ثلاثة أولاد أحدهم رضيع فقال لها الملك ارجعي عن دينك فأبت فألقى أحدهم في النار ثم قال لها مثل ذلك: فأبت

المرأة التي اتهمت بالسرقة والزنا وكانت في نفس الأمر بريئة اللهم اجعلني مثلها. **(قوله: أحدهم شاهد يوسف عليه السلام)** أي المحكي بقوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ [يوسف: ٢٦] قيل عنه: إنَّه ابن عمها، وقيل: هو الذي كان جالساً مع زوجها لدى الباب، وكان حكيماً يرجع إليه الملك ويستشيره، وإنما ألقى الله سبحانه الشهادة إلى من هو من أهلها ليكون أدل على نزاهته عليه السلام وأنفى للتهمة، وقيل: كان ابن خالها صبياً في المهد أنطقه الله تعالى ببراءته، وحينئذ فذكر كونه من أهلها البيان الواقع إذ لا يختلف الحال في هذه الصورة بين كون الشاهد من أهلها أو من غيرهم كما لا يخفى. **(قوله: الثالث صاحب الأخدود)** أي المحكي بقوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ [البروج: ٤] الذي هو جواب قسم على حذف اللام، وقيل: تقديره لقد قتل وأياً ما كان، فالجملة خبرية والأصل أنَّها دعائية دالة على الجواب كأنَّه قيل: أقسم بهذه الأشياء أنَّهم أي كفار قريش ملعونون كما لعن أصحاب الأخدود رُوي عن النبي ﷺ أنَّه قال: «كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم إليه غلاماً ليعلمه السحر وكان في طريق الغلام راهب فمر الغلام ذات يوم بدابة حبست الناس قيل: كانت أسداً فأخذ حجراً وقال: اللهم إنْ كان الراهب أحب إليك من الساحر فاقتلها فقتلها» فكان الغلام بعد ذلك يبرىء الأكمه والأبرص ويشفي من الأدواء، فعمي جليس للملك فأبرأه فأبصره الملك فسأله من ردّ عليك بصرك فقال: ربي فغضب فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فقدّه بالمنشار وأبى الغلام فذهب به إلى جبل ليطرح من ذروته فدعى فرجف بالقوم فطاحوا ونجى فذهب به إلى قرقور فلججوا به ليغرقوه فدعى فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجى،

فألقى الآخر فيها، ثم قال لها مثل ذلك: فأبت فأخذوا الصبي منها ليلقوه فيها فهمت بالرجوع فقال لها الصبي: يا أماه لا ترجعي عن الإسلام فإنْك على الحق ولا بأس عليك فألقي في النار ثم ألقيت أمه فيها على أثره رواه مسلم. الرابع يحيى عليه السلام رواه الثعالبي، الخامس إبراهيم الخليل عليه السلام ذكره البغويّ، السادس نبينا ﷺ تكلم في أوائل ما ولد رواه الدارقطني، السابع مبارك اليمامة، وكان في زمن النبي ﷺ رواه البيهقي، فقوله في الخبر الأول «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة» أي في بني إسرائيل أو أنه قال ذلك قبل أن يعلم الزيادة على الثلاثة. (**ومن ذلك حديث الغار وهو مذكور مشهور في الصحاح أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الإسفرايني قال: حدثنا أبو عوانة يعقوب بن إبراهيم بن إسحاق قال: حدثنا محمد بن عون وزيد بن عبد الصمد الدمشقي وعبد الكريم بن الهيثم الدير عاقولي وأبو الخطيب بن المستنير المصيصي قالوا: حدثنا أبو اليمان قال: أخبرنا شعيب عن الزهريّ عن سالم عن أبيه قال: قال النبي ﷺ: «انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم فآواهم المبيت إلى غار فدخلوه فانحدرت**) عليهم (**صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا: إنّه والله لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أنْ تدعوا الله بصالح أعمالكم**»)[1] فإنَّ لذلك أثراً ظاهراً في النجاة (**فقال رجل منهم: إنّه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق**) بضم الباء أي أسقي (**قبلهما أهلاً ولا مالاً فنأى بي طلب الشجر يوماً فلم أَرح عليهما**) أي فلم أصل

فقال للملك: لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع وتأخذ سهماً من كنانتي وتقول: بسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس: آمنا برب الغلام فقيل للملك: نزل بك ما كنت تحذر فأمر بأخاديد في أفواه السكك وأوقد فيها النيران، فمن لم يرجع منهم طرحه فيه حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست فقال الصبي يا أماه اصبري فإنّك على الحق وقيل: قال لها: قعي ولا تقاعسي، وقيل: إنَّ الغلام أخرج من قبره في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وإصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل والله أعلم.

(**قوله: الرابع يحيى عليه السلام**) قيل: إنّه نبيء وهو ابن ثلاث سنين كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما: عند قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢] حيث قال الحكم: النبوة استنبيء وهو ابن سنين، وقيل: الحكم الحكمة وفهم التوراة والتفقه في الدين ورُوي أنّه دعاه الصبيان إلى اللعب فقال: ما خلقت للعب. (**قوله: إلى غار**) الغار

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل (٢، ١١٦) والبخاري (أدب ٥) (حرث ١٣) (بيوع ٩٨) (إجارة ١٢) ومسلم (ذكر ١٠٠).

إليهما (**حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما**) أي مشروبهما (**فجئتهما به فوجدتهما نائمين فخرجت**) أي تجنبت الإثم من أنَّ أوقظهما وكرهت أنْ أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً فقمت والقدح على يدي انتظر استيقاظهما حتى برق الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم إنْ كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة (**فانفرجت انفراجاً لا يستطيعون الخروج منه فقال رسول الله ﷺ وقال الآخر: «اللهم كانت لي بنت عم وكانت أحب الناس إليّ فراودتها عن نفسها فامتنعت حتى ألمت بها سنة**) مجدبة (**من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أنْ تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت**) لي: (**لا يحل لك أنْ تفض الخاتم إلا بحقه**) وهو عقد النكاح (**فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي أحب الناس إليّ وتركت الذهب الذي أعطيتها»**) إياه (**اللهم إنْ كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة إلا أنهم لا يستطيعون الخروج منها قال رسول الله ﷺ، ثم قال الثالث: «اللهم إني استأجرت أُجراء فأعطيتهم أجورهم غير رجل واحد منهم ترك الذي له**) وسخطه (**وذهب فثمرت أجره**) حتى كثرت منه الأموال (**فجاءني بعد حين فقال**) لي: (**يا عبد الله أدِّ إليّ أجرتي فقلت له: كل ما ترى من أُجرتك من الإبل والبقر والغنم والرقيق فقال**) لي: (**يا عبد الله لا تستهزىء بي فقلت**) له: (**إني لا أستهزىء**) بك (**فأخذ ذلك كله فاستاقه ولم يترك منه شيئاً» اللهم فإن**) وفي نسخة إنْ (**كنت فعلت: ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا ما نحن فيه**) فعلم الله صدقهم في ذلك (**فانفرجت الصخرة**) عنهم (**فخرجوا من الغار يمشون وهذا حديث صحيح متفق عليه**) كما مرت الإشارة إليه في كلامه، والكرامة في ذلك استجابة دعائهم وإزالة الصخرة عنهم بقدرة الله خرقاً للعادة، والظاهر أنَّ أقواهم الثاني فإنَّه ترك شهوته مع تيسرها وكمال محبته لابنة عمه وبذله لها ما بذله لها من

الشق في الجبل. (**قوله: فانحدرت**) أي سقطت. (**قوله: فقالوا: إنَّه**) الضمير للشأن. (**قوله: من هذه الصخرة**) أي من شر سقوطها. (**قوله: إلا أنْ تدعوا الله**) أي تطلبوا منه متوسلين في قبول دعائكم بصالح أعمالكم أي بما أخلصتموه إليه تعالى. (**قوله: فإنَّ لذلك**) أي المذكور من الدعاء والتوسل. (**قوله: إنَّه كان لي أبوان**) أي أب وأم. (**قوله: وكنت لا أغبق الخ**) الغبوق الشرب آخر النهار كما أنَّ الصبوح الشرب أوله. (**قوله: ولا مالاً**) أي حيواناً. (**قوله: أي تجنبت الإثم**) أي بعدت عنه. (**قوله: حتى برق الفجر**) أي ظهر. (**قوله: فراودتها**) أي طلبت وطأها بدون عقد نكاح. (**قوله: حتى ألمت**) نزلت بها. (**قوله: وبذله لها الخ**) أي مع عدم رجوعه فيه بعد.

المال الجزيل، **(ومن ذلك الحديث الذي قال النبي ﷺ فيه: «إنَّ البقرة كلمتهم» أخبرنا أبو نعيم الأسفرايني قال: أخبرنا أبو عوانة قال: حدثنا يونس بن عبد الأعلى قال: أخبرنا ابن وهب قال: أخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال: حدثني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: بينا)** وفي نسخة بينما **(رجل يسوق بقرة قد حمل عليها)** شيئاً **(التفتت)** وفي نسخة فالتفتت **(البقرة وقالت: إني لم أخلق لهذا إنما خلقت للحرث» فقال الناس)** لما سمعوا كلامها: **(سبحان الله)** تعجباً **(فقال النبي ﷺ «آمنت بهذا)** أنا **(وأبو بكر وعمر»)** أي بأنه حق وأنَّ الله قادر عليه، وأنَّه يفعل ما يشاء ووجه دخول ذلك في كرامات الأولياء نصح البقرة لصاحبها حتى لا يحملها ما لا تطيقه. **(ومن ذلك حديث أويس القرني وما شهد)** له **(به عمر بن الخطاب رضي الله**

(قوله: ومن ذلك حديث أويس الخ) أي ومثله ما روى مالك بن أنس وخرج حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه في الإخبار عن الجنين في البطن، وحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سؤاله وقوله: أدرك قومك فقد احترقوا، وحديث الأنصار بين اللذين حفر عنهما بعد ما دفنا بستة وأربعين سنة فوجدا لم يتغيرا كأنما ماتا بالأمس، وفي جامع الأحاديث المستخرجة في رواية أشهب عنه حديث الذي انتبه بأرض الروم وعنده رطب في أرض ليس فيها رطب، ومن ذلك ما وقع للزبير يوم الجمل جعل يومي بدينه الذي عليه لولده عبد الله، ويقول: يا بني إنْ عجزت عن شيء فاستعن بالله، قال: فوالله ما دريت ما يقول: حتى قلت: يا أبتِ من مولاك قال: الله فوالله ما وقعت في كربة من دينه إلا قلت: يا مولى الزبير اقضِ عنه فيقضيه وهذا من باب الدعاء والقصد والالتجاء، وغير ذلك مما ورد في حقهم رضي الله تعالى عنهم. **(قوله: وقد تركنا شرح حديث أويس الخ)** واعلم أنه روى الإمام ابن عبد الله عن أبي بكر بن عياش قال: مات أويس القرنيّ بسجستان فوجد عنه أكفان لم تكن معه وأبو بكر بن عياش وأحمد بن عبد الله وأويس بن عامر كلهم قد اتفق البخاري ومسلم على الإخراج عنهم في الصحيح، وفي بعض الروايات، فإذا قبر محفور وماء مسكوب وكفن وحنوط فغسلناه وكفناه وصلينا عليه ودفناه، فقال بعضنا لبعض، لو رجعنا فعلمنا قبره لنستغفر له فرجعنا فإذا لا قبر ولا أثر، خرجه عبد الله بن أحمد بن حنبل عن ابن حمويه في كتاب الزهد أقول: ومن الخوارق ما وقع لعبد الله بن جحش يوم أُحد، وقوله: اللهم يا رب إذا لقيت العدو غداً فلقني رجلاً شديداً بأسه شديداً جره أقاتله فيك، ويقاتلني ثم يأخذني فيجدع أنفي وأُذني فإذا لقيتك غداً قلت: يا عبد الله من جدع أنفك وأذنك فأقول: فيك وفي رسولك فتقول: صدقت قال: فلقد رأيته آخر النهار وأنَّ أنفه وأذنه لمعلقتان في خيط، وروى عنه سعيد بن المسيب رضي الله عنه قال: قال عبد الله بن جحش: اللهم أقسم عليك إنْ ألقى

عنه من حاله وقصته ثم التقاؤه) أي أويس (مع هرم بن حيان وتسليم أحدهما على صاحبه من غير معرفة تقدمت بينهما، وكل ذلك أحوال ناقضة) أي خارقة (للعادة و) قد (تركنا شرح حديث أويس لشهرته) وحاصله أنَّ عمر رضي الله عنه اجتمع به في عرفات وعرّفه بصفة النبي ﷺ التي وصفها له وسأله أنْ يثبت له حتى يرجع فقال له: لا تراني ولا أراك بعد اليوم، وكان يرعى الإبل في صورة العبيد فبقي عمر ينادي عليه في كل موسم فلا يجد من يدله عليه لخفاء أمره وقلة شهرته، حتى دلّ عليه رجل قرنيّ من أهله ثم قال له: وما تسأل عن ذلك يا أمير المؤمنين والله ما فينا أحمق منه ولا أجن ولا أدنى فبكى عمر وقال: ما سألت عنه إلا أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: يدخل في شفاعته الجنة مثل ربيعة ومضر قال هرم بن حيان، فلما سمعت ذلك من عمر قدمت الكوفة فلم يكن لي هم إلا أنْ أطلب وأسأل عنه حتى سقطت عليه جالساً على شاطىء الفرات نصف النهار يتوضأ ويغسل ثوبه، فعرفته بالنعت الذي نعت به فإذا رجل لحيم شديد السمرة محلوق الرأس كث اللحية متغير جداً كريه الوجه مهيب المنظر فسلمت عليه فرد عليّ فقلت: حياك الله من رجل فمددت يدي لأصافحه فأبى أنْ يصافحني فقلت: رحمك الله يا أويس وغفر لك كيف أنتَ قال: وأنتَ حياك الله يا هرم بن حيان كيف أنتَ يا أخي، ومن ذلك عليّ قلت: الله قال: لا إله إلا الله سبحان الله إنْ كان وعد ربنا لمفعولاً قال: فعجبت حين عرفني ولا رأيته قبل ذلك، ولا رآني فقلت له: من أين عرفت اسمي واسم أبي وما رأيتك قبل اليوم قال: نبأني به العليم الخبير وعرفت روحي وروحك حين كلمت نفسي نفسك إنَّ الأرواح لها أنفس كأنفس الأجساد، وإنَّ المؤمنين ليعرف بعضهم بعضاً ويتحابون بروح الله، وإنْ لم يلتقوا، ومن كراماته ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّه قال: مات أويس بسجستان فوجد معه أكفان، ورُوي فإذا قبر محفور

العدوّ غداً فيقتلوني ثم يبقروا بطني ويجدعوا أنفي وأُذني ثم تسألني فيمَ ذلك فأقول: فيك قال سعيد بن المسيب: فإني لأرجو أنْ يبر الله قسمه كما أراد له ورفع جسد عامر بن فهيرة بعد قتله ببئر معونة إلى السماء وحفظ الله تعالى جسد عاصم بن ثابت بالدبر عن المشركين في نهاره، وحفظه عنهم بالسيل في ليله، وحال سفينة خادم رسول الله ﷺ مع السبع لما لقيه بالصحراء، وقضية خبيب بن عدي لما رأوا في يده قطفاً من عنب، وهو موثوق بالحديد بمكة، وليس بزمان عنب بمكة، وتسبيح البرمة أو القصعة بين يدي سلمان وأبي الدرداء، وغير ذلك مما جرى للصحابة رضي الله تعالى عنهم من خوارق العادات وأنواع الكرامات.

(قوله: إنَّ الأرواح لها أنفس الخ) أي ويشهد لذلك خبر «الأرواح جنود مجندة ما

وماء مسكوب وكفن وحنوط فغسلناه وكفناه وصلينا عليه ودفناه فقال بعضنا لبعض: لو رجعنا فعلمنا قبره بشيء لنستغفر له فرجعنا فإذا لا قبر ولا أثر عملاً مما كان يحبه في حياته من إخفاء عمله، **(ولقد ظهر على السلف من الصحابة والتابعين ثم على من بعدهم من الكرامات ما بلغ حد الاستفاضة، وقد صنف في ذلك كتب كثيرة، وسنشير إلى طرف منها على وجه الإيجاز إن شاء الله تعالى، فمن ذلك أنَّ ابن عمر رضي الله عنهما كان في بعض الأسفار فلقي جماعة وقفوا على الطريق من خوف السبع فطرد)** هو **(السبع من طريقهم ثم قال: إنما يسلط على ابن آدم ما يخافه ولو أنّه لم يخف غير الله لما سلط عليه شيء وهذا خبر معروف)** وقد جرى مثل هذا لإبراهيم بن أدهم لما كان في قافلة وتعرض السبع لها تقدم إليه وقال: يا أبا الحرث إنْ كنت أُمرت فينا بشيء وإلا فتنح عن طريقنا فهمهم وتنحى عن الطريق فتعجبوا من ذلك فقال لهم إبراهيم: ما على أحدكم أنْ يقول إذا أصبح وأمسى اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واحفظنا بركنك الذي لا يرام وارحمنا بقدرتك علينا، فلا نهلك وأنتَ الرجاء. **(ورُوي أنَّ رسول الله ﷺ بعث العلاء بن الحضرميّ في غزاة فحال بينهم وبين الموضع)** المطلوب **(قطعة من البحر فدعا الله تعالى باسمه الأعظم ومشوا على الماء)**

تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف»[1]. **(قوله: فإذا لا قبر الخ)** أي ويدل لذلك خبر «الجزاء من جنس العمل». **(قوله: ثم على من بعدهم الخ)** أقول: أما ما جرى من ذلك بعد التابعين فبحر عجاج مشهور مستغنٍ عن الاحتجاج، فما ذكره المؤلف نفعنا الله بعلومه قطرة من بحر أو رشح من نهر، ثم وذلك غير بعيد وكمالات الحق تعالى لا تتناهى، ونعمه لا يمكن عدها ولا إحصاؤها، والله أعلم.

(قوله: أنْ يقول: إذا أصبح) أي دخل في الصباح وأمسى أي دخل في المساء والأوّل يدخل وقته بالفجر، والثاني بغروب الشمس، اللهم أي يا ألله احرسنا أي احفظنا بعينك أي بحفظك وكلاءتك التي لا تنام أي لا يجوز عليها النوم لكونه من عوارض الحادث وهي مستحيلة في حقه تعالى، ولا يخفى ما في المقام من التجوز، فالمراد بقوله: لا تنام لازمه، وهو الحفظ الدائم الذي لا يطرقه مانع، وقوله: واحفظنا أي امنع عنا كل شيء بركنك أي بركوننا إليك واعتمادنا عليك، وقوله: الذي لا يرام أي لا يقصد بالمعارضة، وقوله: وارحمنا أي أحسن إلينا بقدرتك أي بسبب اقتدارك علينا إذ العفو هو ما كان عند القدرة، وقوله: فلا نهلك أي لا نعدم الخير، وأنتَ الرجاء أي المرتجى.

---

(١) أخرجه البخاري (أنبياء ٢) ومسلم (البر ١٥٩، ١٦٠) وأبو داود (أدب ١٦) وأحمد بن حنبل (٢، ٢٩٥، ٥٢٧، ٥٣٧).

رُوي أنَّ ما دعا به العلاء يا علي يا عظيم يا عليم يا حكيم إنا عبيدك نقاتل في سبيلك فاجعل لنا إليهم سبيلاً، ثم ضرب فرسه فخاض البحر ولا ينافي هذا قوله: ومشوا على الماء لاحتمال أنَّ الماشي على الماء غيره فقط أو كلهم والخائض الفرس وحده، **(ورُوي أنَّ عتاب بن بشير وأسيد بن حضير خرجا من عند رسول الله ﷺ)** في ليلة مظلمة **(فأضاء لهما رأس عصى أحدهما كالسراج)** ورُوي فظهر عند طرف سوط أحدهما كالقنديل من النور يستضاآن به فقال صاحبه: لو حدثنا الناس بهذا لكذبونا **(ورُوي أنَّه كان بين يدي سلمان وأبي الدرداء قصعة فسبحت حتى سمعا التسبيح)** منها **(ورُوي أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «كم من أشعث أغبر ذي طمرين»)**[1] أي ثوبين خلقين **(لا يؤبه له)** أي لا يبالى به **(لو أقسم على الله لأبره ولم يفرق ﷺ بين شيء وشيء فيما يقسم به على الله)** أي سواء الاسم الأعظم أم غيره. **(وهذه الأخبار لشهرتها أضربنا)** أي أعرضنا **(عن ذكر أسانيدها، وحكي عن سهل بن عبد الله أنَّه قال: من زهد في الدنيا أربعين يوماً صادقاً من قلبه مخلصاً في ذلك ظهرت له الكرامات ومن لم تظهر له)** بعدها الكرامات **(فإنَّه عدم الصدق في زهده فقيل لسهل: كيف تظهر له الكرامة فقال: يأخذ ما يشاء كما يشاء من حيث يشاء)** يعني يلطف الله به، ويسهل له سائر تصرفاته على وجه الاستقامة، ويدل له خبر «وما تقرب إليّ المتقربون عذا» مع أنَّه لا يلزم من الصدق ظهور الكرامة. **(أخبرنا عليّ ابن عبدان قال: حدثنا أحمد بن عبيد الصفار قال: حدثنا أبو مسلم قال: حدثنا عمرو بن مرزوق قال: حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة**

(قوله: يا علي الخ) أي يا ذا الرفعة التي لا تُضاهى، ويا ذا العظمة التي لا تقدر، ويا ذا العلم المحيط بكل شيء ويا ذا الحكمة والاتفاق الذي لا يتطرق إليه خلل، وقوله: إنا عبيدك أي خلقك لا رب لنا غيرك نقاتل في سبيلك أي نقصد قتال أعدائك طلباً لمرضاتك، وقوله: فاجعل لنا إليهم سبيلاً أي طريقاً حتى نتوصل إلى مقاصدنا من مقاتلتهم. **(قوله: ولم يفرق ﷺ)** أي إشارة إلى أنَّ المدار على قوة التوجه مع صدق الحال، وإلا فاسماؤه تعالى جميعها عظيمة يجاب للداعي بأي اسم منها.

(قوله: من زهد في الدنيا) أي من أعرض عنها بقلبه، وإن لابسها بظاهره مع القيام بحق الحق وحق الخلق، وقوله: أربعين يوماً الخ تخصيص العدد المذكور مما استأثر به الشارع. **(قوله: فقال: يأخذ ما يشاء الخ)** أي يصرفه الله تعالى فيما يشاء لطفاً منه ورحمة. **(قوله: هذا أي انهم هذا مع أنَّه لا يلزم الخ)** أي لما تقدم من قول بعضهم مشى ناس على الماء بقوة يقينهم، ومات ظمأ من هو أقوى منهم يقيناً والله أعلم.

---

(١) أخرجه الترمذي (مناقب ٥٤).

الماجشون قال: حدثنا وهب بن كيسان عن ابن عمير عن أبي هريرة) رضي الله عنه **(عن النبي ﷺ قال: «بينا رجل ذكر كلمة إذ سمع رعداً في سحاب فسمع صوتاً في السحاب)** هو صوت الملك الموكل به **(أنْ إسق)** أي يقول للسحاب: إسق **(حديقة فلان، فجاء ذلك السحاب إلى سرحة)** هي واحدة السرح وهو الشجر العظام يعني حديقة فلان **(فأفرغ ماءه فيها فأتبع)** السامع **(السحاب فإذا رجل قائم في حديقة فقال)** له: **(ما اسمك قال: فلان بن فلان باسمه قال: فما تصنع بحديقتك هذه إذا صرمتها)** أي قطعت ثمرتها **(قال: ولِمَ تسأل عن ذلك قال: إني سمعت صوتاً في السحاب أنْ إسق حديقة قال: فلان أما إذ قلت)** أي سألت عن ذلك **(فإني أجعلها أثلاثاً فأجعل لنفسي ولأهلي ثلثاً وأرد عليها)** أي على مصالحها **(ثلثاً وأجعل للمساكين وابن السبيل ثلثاً)** في ذلك دلالة على انتفاع هذا السامع بكونه خرقت له العادة حتى سمع كلام الملك وجاء إلى صاحب الحديقة وسأله عما يصنع فيها ليزداد حرصه في الطاعات ويهون عليه إخراج ماله في الخيرات لأنَّ الله يعوضه بذلك في ماله الخيرات والبركات **(سمعت أبا حاتم السجستانيَ يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول: دخلنا تستر فرأينا في قصر سهل بن عبد الله بيتاً كان الناس يسمونه بيت السبع فسألنا الناس عن ذلك فقالوا: كان السباع تجيء إلى سهل فكان يدخلهم في هذا البيت ويضيفهم ويطعمهم اللحم ثم يخليهم)** إلى حال سبيلهم شبه السباع بمن يعقل فأتى بها بضميره، **(قال أبو نصر: ورأيت أهل تستر كلهم متفقين على هذا لا ينكرونه وهم الجمع الكثير)** وسيأتي عن سهل أنّه كان قد أصابته زمانة في آخر عمره، فإذا حضرته صلاة الفرض انتشرت أعضاؤه، فإذا فرغ من فرضه عاد إلى زمانته وهذا من جملة الكرامة والحفظ له ليأتي بالفرض على أكمل وجوهه.

(سمعت محمد بن أحمد بن محمد التميميّ يقول: سمعت عبد الله بن علي الصوفي يقول: سمعت حمزة بن عبد الله العلويّ يقول: دخلت على أبي الخير التيناتيّ: وكنت اعتقدت) أي قصدت **(في نفسي أنْ أسلم عليه وأخرج)** من عنده **(ولا آكل عنده طعاماً فلما خرجت من عنده ومشيت قدراً)** بعيداً من موضعه **(فإذا به خلفي وقد حمل طبقاً عليه طعام فقال)** مكاشفاً لي بما قصدته: **(يا فتى كل هذا)** الطعام **(فقد خرجت الساعة من اعتقادك وأبو الخير التيناتي مشهور بالكرامات، وحُكي عن إبراهيم الرقيّ أنه قال قصدته)** أي أبا الخير **(مسلماً عليه فصلى صلاة المغرب فلم يقرأ الفاتحة مستوياً)** لكن لا يضر في الصلاة كأن لحن لحناً لا يغير المعنى أو كان به

(قوله: في ذلك دلالة الخ) أي ويدل له أيضاً قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ

عجمة منعته من التعلم (**فقلت في نفسي: ضاعت سفرتي**) لمن لا يحسن قراءة الفاتحة (**فلما سلمت**) عليه (**خرجت للطهارة فقصدني السبع فعدت إليه، وقلت**) له: (**إنَّ الأسد قصدني فخرج وصاح على الأسد، وقال: ألم أقل لك لا تتعرض لضيفاتي فتنحى**) عن الطريق (**فتطهرت فلما رجعت**) إلى أبي الخير (**قال**) لي مكاشفاً (**اشتغلتم بتقويم الظواهر، فخفتم الأسد واشتغلنا بتقويم القلب، فخافنا الأسد وقيل: كان لجعفر الخلدي فص فوقع**) منه (**يوماً في الدجلة وكان عنده دعاء مجرب للضالة**) إذا دعى به (**ترد فدعا به فوجد الفص في وسط أوراق كان يتصفحها**) الكرامة فيه وجوده الفص الذي سقط منه في البحر بين أوراق كان يتصفحها ولم يعرف من أتى به (**سمعت أبا حاتم السجستانيّ يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول: إنَّ ذلك الدعاء**) الذي دعا به جعفر هو اللهم (**يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه أجمع عليّ ضالتي قال أبو نصر السراج: أراني أبو الطيب العكي جزءاً ذكر فيه من ذكر هذا الدعاء على ضالة وجدها، وكان الجزء أوراقاً كثيرة سألت أحمد الطابرانيّ السرخسيّ فقلت له: هل ظهر لك شيء من الكرامات فقال**) لي: (**في وقت إرادتي وابتداء أمري ربما كنت أطلب حجراً حجراً أستنجي به فلم أجده فتناولت شيئاً من الهواء فكان جوهراً فاستنجيت به وطرحته**) الكرامة فيه لكونه أخذه من الهواء واستنجى به مع أنَّه صقيل لا يزيل الأذى وقد أزاله (**ثم قال**) منفراً عن الإلتفات إلى الكرامات: (**وأي خطر**) أي قدر (**للكرامات**) أي لظهورها (**إنما المقصود منه**) أي من ظهورها (**زيادة اليقين في التوحيد**) لله (**فمن لا يشهد غيره**) أي غير الله تعالى (**موجوداً في الكون**) وإنما يشهد وجوده تعالى (**فسواء أبصر فعلاً معتاداً أو ناقضاً**) أي خارقاً (**للعادة**) فيه أنَّ الكرامة لا يغتر بها، ولو أخر غيره عن موجوداً في الكون كان أوضح، وفي نسخ بدل موجوداً

﴿ مَخۡرَجٗا وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ﴾ [الطلاق: ٣]. (**قوله: لكن لا يضر في الصلاة الخ**) أي لأجل عذر منع من الاستواء، وقوله: كان لحن لحناً الخ أي، وكان غير متعمد لذلك، وحينئذٍ فلا إثم أيضاً. (**قوله: اشتغلتم بتقويم الظاهر**) أي بتعديله وغفلتم عن الأحق، وهو تقويم القلوب مع أنَّه عرش تجلي الرحمن تبارك وتعالى.

(**قوله: فكان جوهراً فاستنجيت به**) أقول: لعل وجهه مما يخفى على أمثالي، وإلا فمثل ذلك مما لا ينبغي شرعاً وإنْ أجزأ في الاستنجاء. (**قوله: إنما المقصود منه الخ**) أفاد بما ذكره أنَّ الحاجة لوقوع الكرامة للعبد إنما هو في ابتداء سيره إلى الله تعالى أما بعد كماله وعرفانه وقوة يقينه فلا حاجة له بها بل قد تكون من أسباب الامتحان. (**قوله: كان أوضح**) أي لأنَّ المقصود نفي شهود الوجود لذلك الغير فتأمله. (**قوله: كاشفني الخ**) أي

موجداً. (سمعت محمد بن أحمد الصوفيّ يقول: سمعت عبد الله بن عليّ يقول: سمعت أبا الحسن البصريّ يقول: كان بعبادان رجل أسود فقير يأوي إلى الخرابات فحملت معي شيئاً) إليه شفقة عليه (وطلبته فلما وقع عينه عليّ) كاشفني بما أتيته به حيث (تبسم وأشار بيده إلى الأرض) ليريني ما تفضل الله به عليه، وأنه مستغنٍ به عما أتيت به (فرأيت الأرض كلها ذهباً يلمع) ثم أسرني بقبول ما أتيته به مع استغنائه عنه حيث (قال) لي: (هات ما معك فناولته) له (وهالني) أي أفزعني (أمره فهربت) منه فزعاً. (سمعت منصوراً المغربي رحمه الله يقول: سمعت أحمد بن عطاء الروذباريّ يقول: كان لي استقصاء) ومبالغة (في أمر الطهارة فضاق صدري ليلة لكثرة ما صببت من الماء، ولم يسكن قلبي فقلت: يا رب عفوك فسمعت هاتفاً يقول: العفو في العلم) أي اتباعه (فزال عني ذلك) الضيق، الكرامة فيه أنَّ الله استجاب دعاءه وأزال عنه ما كان فيه من الوسوسة في الطهارة. (سمعت منصوراً المغربيّ) أيضاً (يقول: فرأيته) أي الروذباري (يوماً قعد على الأرض في الصحراء وكان عليها آثار الغنم) من بعر ونحوه (بلا سجادة) بفتح السين (فقلت) له: (أيها الشيخ هذه آثار الغنم) وأنتَ قاعد عليها (فقال:) قد (اختلف الفقهاء فيه) أي في حكمها من طهارة وعفو، وفيه إشارة إلى أنَّه قد زال عنه ما كان فيه من الوسوسة. (سمعت أبا حاتم السجستاني رحمه الله يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول: سمعت الحسين بن أحمد الرازيّ يقول: سمعت أبا سليمان الخواص يقول: كنت راكب حمار يوماً، وكان الذباب يؤذيه فيطأطىء) الحمار (رأسه فكنت أضرب رأسه بخشبة في يدي فرفع الحمار رأسه وقال) لي: (اضرب فإنَّك على رأسك هو ذا تضرب) أي فإنَّك تُجازى بما تعمل (قال الحسين: فقلت لأبي سليمان: لك وقع هذا فقال: نعم كما تسمعني) الكرامة فيه تكليم الحمار له، وفيه تأديب وتنبيه له (وذكر عن ابن عطاء أنّه قال: سمعت أبا الحسين النوريّ يقول: كان في نفسي شيء من هذه الكرامات فأخذت قصبة من الصبيان وقمت بين زورقين ثم قلت: وعزتك لئن لم تخرج لي سمكة فيها ثلاثة أرطال من اللحم لأغرقن نفسي) في البحر (قال: فأخرج لي سمكة فيها ثلاثة أرطال) استجاب الله له ذلك رحمة له لما علم من صحة عزمه على ذلك فسلمه من الغرق

وذلك من الخارق، وكذا رؤية الأرض ذهباً. (قوله: العفو في العلم الخ) أي فمن أجرى حركاته وسكناته على طريق المتابعة كفي شر الوسواس فيها. (قوله: من طهارة) أي على طريق الإمام مالك رضي الله تعالى عنه وأرضاه عنا، وقوله: وعفو أي على قول غير مالك من الأئمة. (قوله: وفيه تأديب الخ) أي وفيه لطف من الحق حيث لا يتركه ونفسه بل ينبهه دائماً إلى طريق سداده. (قوله: لأغرقن نفسي) فيه أنَّ ما توسل به لا يجوز،

إكراماً له وفي الخبر «إنَّ من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره» **(فبلغ ذلك الجنيد فقال: حكمه)** أي الثوري أي جزاؤه **(أنْ تخرج له أفعى تلدغه)** لتأليه عن الله وإدلاله عليه. **(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت أبا الفتح يوسف بن عمر الزاهد القواس ببغداد يقول: حدثنا محمد بن عطية قال: حدثنا عبد الكبير بن أحمد قال: سمعت أبا بكر الصائغ قال: سمعت أبا جعفر الحداد أستاذ الجنيد قال: كنت بمكة فطال شعري ولم يكن معي قطعة)** من حديد **(آخذ)** بها **(شعري فتقدمت إلى مزين توسمت)** أي تفرست **(فيه الخير فقلت)** له: **(تأخذ شعري لله تعالى فقال: نعم وكرامة، وكان بين يديه رجل من أبناء الدنيا فصرفه)** لما سمع لله مع أنَّه كان يرجو منه فائدة دنيوية **(وأجلسني)** بين يديه **(وحلق شعري ثم دفع إلي قرطاساً فيه دراهم وقال لي استعن بها على بعض حوائجك فأخذتها)** منه **(واعتقدت)** أي عزمت **(أنْ أدفع إليه أول شيء يفتح علي)** به **(قال: فدخلت المسجد فاستقبلني بعض أصحابي وقال لي: (جاء بعض إخوانك بصرة من البصرة من بعض إخوانك فيها ثلاثمائة دينار تصرفها في بعض أمورك فأخذت الصرة وجئت بها إلى المزين وقلت)** له: **(هذه ثلاثمائة دينار تصرفها في بعض أُمورك فقال)** لي: **(ألا تستحي يا شيخ تقول: احلق شعري لله تعالى ثم آخذ عليه شيئاً انصرف)** عني **(عافاك الله)** فيه دلالة على همته الشريفة وإعراضه عن الدنيا **(سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول: سمعت ابن سالم يقول: لما مات إسحاق بن أحمد دخل عليه سهل بن عبد الله صومعته فوجد فيها سفطاً)** بفتح الفاء كالقفة قاله في القاموس: **(فيه قارورتان في واحدة منهما شيء أحمر، وفي الأخرى شيء أبيض ووجد)** مع ذلك **(شوسقة)** يعني قطعة **(ذهب وشوسقة فضة قال: فرمى بالشوسقتين في الدجلة وخلط ما في القارورتين بالتراب)** ستراً على إسحاق لعلمه بأنَّه كان يحب ستر ذلك **(وكان على إسحاق دين قال ابن سالم قلت لسهل: إيش كان في القارورتين قال:)** شيآن **(أحدهما)** وهو الأحمر **(لو طرح منه وزن درهم على مثاقيل من النحاس صار ذهباً والآخر)** وهو الأبيض **(لو طرح منه مثقال على مثاقيل من رصاص صار فضة فقلت له: وإيش عليه لو)** أظهر هذا ثم **(قضى منه دينه فقال)** لي: **(أي دوست)**

فلعل ذلك لشاهد حاليّ والله أعلم. **(قوله: فقال: حكمه الخ)** لعل ذلك منه لما قدمناه من توسله بما لا ينبغي شرعاً. **(قوله: فيه دلالة على همته الشريفة)** أي وهمة المزين أيضاً بدوام صدقه في حاله ومقامه.

(قوله: قال: فرمى الخ) فيه إضاعة مال نعم يقال: جائز لغرض شريف مثل غرضه.

بالعجمية أي يا صاحبي (**خاف على إيمانه**) فيه دلالة على أنَّ إسحاق كان يعلم أُصول الكيمياء التي تقلب النحاس ذهباً أو فضة فستر سهل هاتين القارورتين كما سترهما إسحاق، وفي قوله: خاف على إيمانه تنبيه على أنَّ إسحاق لم يعمل بهما شيئاً، والمعنى أنّه خاف إنْ جرب ذلك سكنت نفسه إليه دون ربه فينقص إيمانه ودرجته. (**وحكي عن**) أبي علي (**النوريّ أنّه خرج ليلة إلى شط الدجلة**) بقصد مجاوزتها (**فوجدها وقد التزق**) له (**الشطان**) أي التقيا بحيث لو مد رجله كان على الشط الآخر (**فانصرف وقال:**) تأدباً واعترافاً بتوالي نعم الله عليه في كل خارق (**وعزتك لا أجوزها إلا في زورق**) كسائر الناس (**سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول: أملى علينا الوجيهي حكاية عن محمد بن يوسف البناء قال: كان أبو تراب النخشبي صاحب كرامات فسافرت معه سنة وكان معه أربعون نفساً ثم أصابتنا مرّة فاقة**) أي حاجة (**فعدل أبو تراب عن الطريق وجاء بعذق موز**) بالذال المعجمة (**فتناولنا**) منه (**وفينا شاب فلم يأكل**) منه شيئاً (**فقال له أبو تراب: كُل فقال: الحال الذي اعتقدته**) أي صار عقيدتي (**ترك المعلومات**) من الخلق فلا ألتفت إليها (**وصرت أنت معلومي**) لو أكلت أنا من ذلك (**فلا أصحبك بعد هذا فقال له أبو تراب: كن مع ما وقع لك**) واعتقدته أي أبقِ عليه ولا تأكل، علم منه أنّه قوّة وزيادة يقين، ومن قبيل قول الشاب: فلا أَصحبك بعد هذا ما جرى للخواص مع الخضر لما لقيه في سفره، وطلب منه الخضر الصحبة، فامتنع خوفاً من أنْ تسكن نفسه إليه فيفسد عليه توكله على ربه، وقد قال أبو تراب لذلك الشاب: ما يقول أصحابك في الكرامات التي يكرم الله بها أولياءه؟ فقال له: ما أعرف أحداً ينكرها قال له أبو تراب: من أنكرها فهو كافر، ولكن بلغني أنَّ أَصحابك يزعمون أَنَّها خدع من الحق، وليس الأمر كما ذكروه وإنما تكون خدعاً لمن اقترحها، وسكن بقلبه إليها، وأَما من أُعطيها ولم يسكن إليها فتلك مرتبة الربانيين. (**وحكى أبو نصر السراج عن أبي يزيد**) البسطاميّ (**قال: دخل على أبو علي السنديّ وكان أُستاذه وبيده جراب فصبه فإذا هي**) أي الأشياء التي فيه (**جواهر فقلت**)

(**قوله: خاف على إيمانه**) أي خاف نقصه بالسكون إلى العادات. (**قوله: كان يعلم أُصول الكيمياء الخ**) أقول: هذا مما لم يصح عند كثير من المحققين، وقد كتبوا في عدم حقيقة الكيمياء كتباً ورسائل منهم عارف وقته الغزالي والله أعلم بالحقائق.

(**قوله: تأدباً**) أي خوفاً من السكون إلى مثل هذا الخارق. (**قوله: وصرت أنتَ معلومي**) أي لسكون نفسي إليك في حاجتي، وذلك من القواطع عن الوصول وقوله: فلا أصحبك بعد هذا أي خوفاً من آفة السكون إليك. (**قوله: وإنما تكون الخ**) أفاد بذلك أنَّ

له: (**من أين لك هذا فقال**) لي: (**وافيت وداياً ههنا فإذا هو يضيء**) بما فيه (**كالسراج**) بأنْ جعل الله له حصى الوادي جواهر (**فحملت**) منها (**هذا فقلت**) له: (**كيف كان وقتك الذي وردت الوادي**) فيه (**فقال: وقت فترة عن الحال التي كنت فيها**) مع الله من شغلي به واستغراقي فيه بحيث أني لم أشعر بنفسي فضلاً عن الوادي وغيره من كرامة وغيرها، فلما حصل له تلك الفترة وزال عنه استغراقه ورجع إلى إحساسه أدرك ما في الوادي واستحسنه، وحمل منه في جرابه فلما أفرغه في بيت أبي زيد وسأله من أين هو أخبره بما ذكر، (**وقيل لأبي يزيد: فلان يمشي في ليلة إلى مكة**) هذه كرامة طي الأرض (**فقال**) منفراً عن الالتفات إليها وأي عجب في ذلك (**الشيطان يمشي في ساعة من المشرق إلى المغرب**) وليس هو في كرامة بل (**في لعنة الله وقيل له**) أيضاً: (**فلان يمشي على الماء**) ويطير في الهواء (**فقال:**) وأي عجب في ذلك (**الطير يطير في الهواء والسمك يمرّ على وجه الماء**) مع أنَّهما دون بني آدم فضلاً عن الأولياء منهم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠] وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣] وفيما ذكر دلالة على كمال أبي يزيد في المعرفة حيث لم يتلفت إلى الكرامات، ولم يسكن إليها إذ الكرامة الحقيقية هي الاستقامة على سلوك الطريق المستقيم.

(**وقال سهل بن عبد الله: أكبر الكرامات**) أي أفضلها (**أنْ تبدل**) أنتَ (**خلقاً مذموماً من أخلاقك**) بخلق محمود إذ أفضل الكرامات الاستقامة على الصراط المستقيم، ولا تحصل للعبد حتى تتغير أخلاقه المذمومة بالمحمودة من الزهد والصبر والصدق والتوكل ونحوها. (**سمعت محمد بن أحمد بن محمد التميمي يقول:**

الكامل لا يقصد الكرامة ولو اتفقت لا يسكن إليها شغلاً عنها بمولاه تعالى. (**قوله: فقال: وقت فترة الخ**) أي ولذلك كان التفاته لغيره تعالى إذ لو دام على استغراقه ما شهد سواه. (**قوله: وقيل له أيضاً: فلانٌ يمشي على الماء الخ**) أقول: ومن ذلك ما رواه عبد الله بن محمد بن قاسم عن أبي بكر مالك القطيعيّ عن عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه عن هشام بن القاسم عن سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال أنَّ أبا مسلم الخولانيّ مر بدجلة وهي ترمي بالخشب من مدها حتى مشى على الماء ثم التفت إلى أصحابه فقال: هل تفقدون من متاعكم شيئاً حتى أدعو الله عز وجلّ فيه، وهذا إسناده كله صحيح.

(**قوله: إذ الكرامة الحقيقية هي الاستقامة**) أي المصحوبة بالدوام عليها وعدم الفتور عنها، وذلك لأنَّ نوع الخارق قد يكون لحكمة الامتحان بخلاف الاستقامة حيث هي منشأ الإِحسان من الرحمن تعالى. (**قوله: ولا تحصل للعبد الخ**) أي فالاستقامة والصدق فيها

سمعت عبد الله بن علي الصوفي يقول: سمعت ابن سالم يقول: سمعت أبي يقول: كان رجل يقال له: عبد الرحمن بن أحمد يصحب سهل بن عبد الله فقال له يوماً: ربما أتوضأ للصلاة فيسيل الماء بين قضبان) أي أغصان (ذهب وفضة فقال) له (سهل:) مؤدباً له ومنفراً له عن الالتفات إلى الكرامات لئلا يسكن إليها على عادة الشيخ مع تلميذه في مثل ذلك (أما علمت أنّ الصبيان إذا بكوا يعطون خشخاشة ليشتغلوا بها) فيسكتوا. (سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول: أخبرني جعفر بن محمد قال: حدثني الجنيد قال: دخلت على السري) السقطي (يوماً فقال لي عصفور كان يجيء) إليّ (كل يوم) وينزل على يدي ولا ينفر مني: (وأفت له الخبز فيأكل من يدي فنزل وقتاً من الأوقات فلم يسقط على يدي فتذكرت في نفسي إيش السبب) في ذلك (فذكرت أني أكلت ملحاً بأبزار) من شمار وكمون ونحوهما (فقلت في نفسي: لا آكل) شيئاً من ذلك (بعدها) أي بعد هذه المرة (وأنا تائب) إلى الله (منه فسقط على يدي وأكل) على عادته معي في ذلك تأديب لطيف حيث أدرك السريّ ما نبهه به مولاه على بعض نقصه فيما عزم على الوفاء به من أنه لا يأكل طعاماً بشهوة ثم خطر له في وقت خلط الملح ببعض الأبازير، وغفل عن كونه دخل تحت عزمه لقلته، (وحكى أبو عمرو الأنماطي قال: كنت مع أُستاذي في البادية) يوماً (فأخذنا) أي أدركنا (المطر فدخلنا مسجداً نستكن فيه، وكان السقف يكف) أي يقطر يقال: وكف البيت وكفاً ووكيفاً وتوكافاً أي قطر وأوكف لغة فيه قاله الجوهري: (فصعدنا السطح ومعنا خشبة نريد إصلاح السقف) بها (فقصر الخشب عن الجدار فقال لي أستاذي) وقد جعل طرف الخشبة على الجدار من جهته: (مدها) من جهتك (فمددتها) فامتدت (فركبت الحائط من ههنا ومن ههنا) هذه كرامة لأُستاذه حيث طولت له اليابسات بحسن النيات حيث قصد إصلاح شيء من المسجد لما وجده قد وقع سقفه وخشبه. (سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول: سمعت محمد بن أحمد النجار يقول: سمعت الرقي يقول: سمعت أبا بكر الدقاق يقول: كنت ماراً في تيه

لازم في سائر المقامات المقربة إليه تعالى. (قوله: أما علمت الخ) الغرض إفهامه أنّ الكرامة إنما تكون لتقوية اليقين في ابتداء السير وأنّ حاله لم يكمل وضرب له مثلاً بما ذكره من حال الصبيان.

(قوله: فذكرت أني أكلت ملحاً الخ) أي وذلك فيه التفات إلى تحسين الأطعمة بما يطيبها ومثله مما لا يليق بمقامه. (قوله: حيث طولت الخ) أقول: لم تكن هذه الكرامة بأعجب من إلانة الحديد الثابتة بالنص.

بني إسرائيل فخطر ببالي أنّ علم الحقيقة) وهو ما يهبه الله لعبده في قلبه (مباين لعلم الشريعة فهتف بي هاتف من تحت الشجرة كل حقيقة لا تتبعها الشريعة فهي كفر) أو بدعة لأنّه ﷺ رتب الحقيقة على الحق في خبر حارثة فإنّه قال له: «كيف أصبحت» فقال: أصبحت مؤمناً حقاً فقال له: «إنّ لكل حق حقيقة» فرتبها على الحق والحق ما شهدت به الشريعة (وقال بعضهم: وكنت عند خير النساج فجاءه رجل وقال له: أيها الشيخ رأيتك يوم أمس وقد بعت الغزل بدرهمين) وصررتهما في طرف إزارك (فجئت خلفك فحللتهما من طرف إزارك وقد صارت يدي منقبضة على الدرهمين في كفي) لا أقدر على فتحها لأشتري بهما شيئاً (قال: فضحك خير) فرحاً بصنع مولاه معه، وحفظه له فيما يتعاطاه (وأومأ بيده) شفقة ورحمة عليّ (إلى يدي) ودعا لي (ففتحها ثم قال) لي: (امض واشتر بهما لعيالك شيئاً ولا تعد لمثله) سمح له بهما ونهاه عن العود إلى المنكر، وفيما ذكر دلالة على حفظ الله تعالى لأوليائه ما يحتاجون إليه، فهذا الرجل كان فقيراً ورأى خيراً النساج باع غزلاً بدرهمين وصرهما في طرف إزاره واكتفى في حفظهما بذلك اعتماداً على الله فيه، ولم يقوِ حرصه عليهما فترك القبض بكفه على الصرة المانع من حلها، فلما حلها الفقير وأخذ الدرهمين في كفه أيبس الله كفه عليهما، فصارت كفه حرزاً لخير حفظت له ماله، فلما أحس من نفسه ذلك علم أنّه من فعل الله فأتى إلى خير وأعلمه بذلك كما تقرر (وحُكي عن أحمد بن محمد السلميّ قال: دخلت على ذي النون المصريّ يوماً فرأيت بين يديه طشتاً من ذهب وحوله النَدّ) بفتح النون ما خلط من مسك وكافور (والعنبر يسنجر) أي يوقد في النار وفي نسخة يتبخر به أي بمجموع الأمرين (فقال لي: أنت ممن يدخل على الملوك في حال بسطهم ثم أعطا لي درهماً فأنفقت منه إلى بلخ) فيه دلالة على إكرام الله لذي النون بما جعله حواليه مما يتبخر به مما ذكر وبما أجراه على يده من خرق العادة في الإنفاق من الدرهم الذي ناوله للداخل عليه إلى بلخ بأنْ بارك الله فيما اشتراه فصار ينفق منه إلى أنْ وصل إلى بلخ، (وحُكي عن أبي سعيد الخراز قال: كنت في بعض

(قوله: رتب الحقيقة على الحق) أي جعل الحقيقة ثمرة الشريعة فأفاد بذلك أنّه كلما كان هناك اعتراض من الشريعة على من ادعى التخلق بالحقيقة علمنا أنَّ دعواه زور وبهتان. (قوله: والحق ما شهدت به الشريعة) أي فالحقيقة من نتائج الشريعة، ومن ثمراتها كما قدمنا. (قوله: وقد صارت يدي الخ) أقول: مثل هذا كثير وواقع.

(قوله: فقال لي: أنتَ ممن يدخل على الملوك) أي وصدور هذا منه لغلبة حال جماله على حال جلاله في ذلك الوقت فتبسط فيه قولاً وفعلاً رضي الله تعالى عنه.

أسفاري وكان يظهر لي كل ثلاثة أيام شيء) من الطعام (فكنت آكله وأستقل) أي أكتفي به (فمضى عليَّ ثلاثة أيام وقتاً) أي في وقت (من الأوقات لم يظهر) لي فيها (شيء) آكا له (فضعفت وجلست) من الجوع (فهتف بي هاتف قال لي: أيما أحب إليك سبب أو قوة فقلت: القوة) أحب إليّ (فقمت من وقتي ومشيت إثني عشر يوماً لم أذق فيها شيئاً ولم أضعف) في ذلك كرامة من جهة أنَّه كان يظهر له في كل ثلاثة أيام رزق من حيث لا يحتسب، ومن جهة أنَّه سمع تخيير الهاتف له فيما ذكر، ومن جهة أنه بقي اثني عشر يوماً لم يأكل ولم يضعف بترك الأكل، (وعن المرتعش قال: سمعت الخواص يقول: تهت في البادية أياماً فجاءني شخص وسلم عليّ وقال لي: تهت فقلت: نعم فقال) لي: (ألا أدلك على الطريق ومشى بين يدي خطوات ثم غاب عن عيني وإذا أنا على) الطريق (الجادة) أي المسلوكة (فبعد ذلك ما تهت ولا أصابني في سفري جوع ولا عطش) في ذلك دلالة على كمال التجاء الخواص له به في افتقاره إليه في حال تيهه، وخوفه من فوات مطلوبه، فلما علم الله ذلك منه يسر له هاتفاً من ملك أو ولي فسكن خوفه بقوله: تهت ثم دله على الجادة بخطوات يسيرة فيها طيّ الأرض له، ولمن تبعه، فلما صار في الجادة أعطاه الله بركة الافتقار إليه، وعرفه توالي نعمه عليه حتى لم يته في سفره، ولا احتاج إلى مطعم ولا إلى مخلوق ببركة الالتجاء إليه وصدقه فيه. (سمعت محمد بن عبد الله الصوفيّ يقول: سمعت عمر بن يحيى الأردبيلي يقول: سمعت الرقي يقول: سمعت ابن الجلاء يقول: لما مات أبي ضحك على المغتسل) لما رآه عند نزع روحه مما استبشر به وسُرَّ به فبقيت صورة ضحكه وتبسمه في وجهه كما قال تعالى: ﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ [يونس: ٦٤] فمن رآه ظنه حياً (فلم يجسر) أي يقدم عليه (أحد يغسله وقالوا: إنَّه حي حتى جاء واحد من أترابه) أي أقاربه وفي نسخة أقرانه (وغسله) رضي الله عنه (سمعت محمد بن أحمد بن محمد التميميّ يقول: سمعت عبد الله بن عليّ يقول: سمعت طلحة القصايريّ يقول: سمعت المنيحي صاحب سهل بن عبد الله

(قوله: إيما أحب إليك سبب أو قوة) مراده بالقوّة الصبر على الفقد مع كونه يرى فيه قوّة الطاعم والشارب بقدرته تعالى.

(قوله: لما رآه عند نزع روحه) أقول: إنْ كان هذا هو الواقع فلا كلام فيه، وإلا فما المانع من حدوث الضحك بعد الموت تكراراً لما كان قبله من البشرى. (قوله: فلم يجسر الخ) أي إجلالاً له وهيبة منه. (قوله: لرجوعه إلى حالته الخ) أي فكانت قوّته بدوام الذكر وقوّة الفكر رضي الله عنه.

يقول: **كان سهل يصبر عن الطعام سبعين يوماً وكان إذا أكل ضعف**) لبعده بترك الطعام تلك المدة عن الاستئناس به (**وإذا جاع قوي**) لرجوعه إلى حالته التي تعودها وأعانه الله عليها (**وكان أبو عبيد البسريّ إذا كان أول شهر رمضان يدخل بيتاً، ويقول لامرأته: طيني عليّ الباب وألقي إليّ كل ليلة من الكوة**) بفتح الكاف أفصح من ضمها وهي الطاقة (**رغيفاً فإذا كان يوم العيد فتح الباب ودخلت امرأته البيت فإذا بثلاثين رغيفاً في زاوية البيت فلا أكل ولا شرب ولا نام**) لكمال شغله بربه وستره لأعماله حتى عن إمرأته (**ولا فاتته ركعة من الصلاة**) ولعله كان له عذر في ترك الجمعة والجماعة، ويحتمل أنه ما تركها وكانت امرأته تظن أنَّه لم يفارق البيت، والحكمة في أنَّه أمر امرأته أنْ تأتيه كل يوم برغيف أنْ يسكن قلبها ولا تتكدر بتركه الأكل من حيث أنَّه يضعفه وفي ترك الأرغفة إلى آخر الشهر مع إمكان أنْ يتصدق بها إظهار هذه الكرامة، وهو كونه يصبر عن الطعام شهراً ليكون حجة على منكرها، (**وقال أبو الحرث الأولاشيّ مكثت ثلاثين سنة ما**) وفي نسخة لا (**يسمع**) أي ينطق (**لساني إلا من سري**) أي إلا ما تحققته في سري لكمال مراقبته له به في أعماله (**ثم تغيرت الحال**) بي بأنْ استقامت أحوالي في هذه الثلاثين سنة وبعدت عن الشهوات (**فمكثت ثلاثين سنة**) أُخرى (**لا يسمع سري إلا من ربي**) فصار شغله بربه فالثلاثون الأولى كانت في عمارة الباطن بالأخلاق الحميدة من توكله وتفويضه ونحوهما والثلاثون الثانية كانت في الفناء في التوحيد. (**حدثنا محمد بن عبد الله الصوفيّ قال: حدثنا أبو الحسين غلام شعوانة قال: سمعت عليّ بن سالم يقول: كان سهل بن عبد الله أصابته زمانة في آخر عمره فكان إذا حضر وقت الصلاة انتشرت يداه ورجلاه فإذا فرغ من الفرض عاد إلى حال الزمانة**) هذا من جملة الكرامة والحفظ له أنْ يُشفى من مرضه إذا حضر وقت الصلاة ليأتي بالفرض على أكمل وجوهه، وإنْ كان الإتيان به مع العجز

(**قوله: فلا أكل ولا شرب**) أي فكان غذاؤه الذكر ونومه الفكر. (**قوله: وكانت امرأته تظن به أنه لم يفارق البيت**) أي مع أنَّه قد يفارقه لنحو صلاة الجمعة. (**قوله: إظهار هذه الكرامة الخ**) أقول: الحمل على أنَّه قد غاب عن نفسه في هذا الزمن لا يبعد بل ذلك الأول بمثل هذا، والله أعلم.

(**قوله: أي إلا ما تحققته في سري**) أي من أحكام الشريعة المطهرة. (**قوله: لا يسمع سري إلا من ربي**) أي إلا من واردات الحق وإشارات الصدق، فكان ممن عني ﷺ بقوله: «استفتِ قلبك وإنْ أفتاك المفتون»[1]. (**قوله: وإنْ كان الإتيان به مع العجز الخ**)

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل (٤، ١٩٤).

مساوياً في الفضيلة للإتيان به مع السلامة عند كثير من العلماء، **(وحُكي عن أبي عمران الواسطيّ قال: انكسرت السفينة)** بنا **(وبقيت أنا وامرأتي على لوح)** واحد **(وقد ولدت في تلك الحالة صبية فصاحت بي وقالت لي: يقتلني العطش فقلت)** لها: **(هوذا)** أي ربنا **(يرى)** وفي نسخة ترين **(حالنا)** عرفها بقلة حيلته وانصرف رجاؤه إلى ربه قال: **(فرفعت رأسي فإذا رجل في الهواء جالس وفي يده سلسلة من ذهب وفيها كوز من ياقوت أحمر)** وهذا من أواني الجنة، وكذا ما وصف من الشراب الآتي **(وقال: هاك)** أي خذ هذا الكوز و **(اشربا قال: فأخذت الكوز وشربنا منه)** وفي نسخة منها أنث الكوز باعتبار أنّه آنية **(وإذا هو)** أي ما فيه **(أطيب من المسك وأبرد من الثلج وأحلى من العسل فقلت)** له: **(من أنت رحمك الله فقال: عبد لمولاك فقلت)** له: **(بم وصلت إلى هذا)** المقام **(فقال: تركت هواي لمرضاته)** تعالى **(فأجلسني في الهواء ثم غاب عني ولم أره)** في هذا موعظة لأبي عمران وهو أنّك لو تركت الهوى لرفعت في الهواء **(أخبرنا محمد بن عبد الله الصوفيّ قال: حدثنا بكران بن أحمد الجبليّ قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون المصريّ يقول: رأيت شاباً عند الكعبة يكثر الركوع والسجود)** وغيره مشتغل بالطواف **(فدنوت منه وقلت)** له: **(إنّك تكثر الصلاة فقال:)** الآن **(انتظر الإذن من ربي في الانصراف)** على ما جرت به عادته معه من أنه إذا دخل في عبادة لازمها إلى أنْ يحضره واجب أو يأتيه إذن من ربه بالانصراف **(قال)** ذو النون: **(فرأيت رقعة سقطت عليه مكتوب فيها من العزيز الغفور إلى عبدي الصادق انصرف مغفوراً لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر)** منه **(وقال بعضهم: كنت بمدينة الرسول ﷺ في مسجده مع جماعة نتجارى الآيات)** أي تتحاكى كرامات الأولياء **(ورجل ضرير بالقرب منا يسمع)** كلامنا **(فتقدم إلينا وقال: أنست)** أنا **(بكلامكم اعلموا أنّه كان لي صبية وعيال وكنت أخرج إلى البقيع أحتطب)** حطباً لأبيعه وأنفق عليهم من ثمنه **(فخرجت يوماً فرأيت شاباً عليه قميص كتان ونعله)** معلق **(في إصبعه فتوهمت أنّه تائه)** عن الطريق **(فقصدته أسلب ثوبه فقلت له: انزع ما عليك فقال)** لي **(مرّ في حفظ الله فقلت)** له: **(الثانية والثالثة)** مثل ذلك وربما لم يكن عليه سوى ذلك الثوب، فلو نزعه انكشفت عورته **(فقال)** لي: **(لا بدّ)** أنْ تأخذ ما عليّ **(فقلت)** له: **(لا بدّ)** أنْ آخذه **(فأشار من بعيد بإصبعه إلى عيني فسقطتا فقلت)** له: **(بالله عليك من أنتَ فقال:)** أنا **(إبراهيم الخوّاص)** ولم يوفق لما سأله بالله ذلك

أي وذلك هو المعتمد. **(قوله: لو تركت الهوى الخ)** أي ولذا تقدم عن الجنيد أنّه قال: إذا خالفت النفس هواها صار داؤها دواها. **(قوله: قال ذو النون الخ)** فيه إشارة إلى أنّه

أنْ يسأله بالله أنْ يدعو له ليردّ الله عليه بصره، وفيما ذكر إظهار الكرامة، وتحذير العبد من أنْ يطلب ما تشتهيه نفسه من كل أحد من الناس، ولا يخالف أحداً منهم مخالفة تؤدّيه إلى ضرر، فربما جازاه الله بفعله من حيث لا يشعر وربما كان بسبب من خالفه، (**وقال ذو النون المصريّ: كنت وقتاً في السفينة فسرقت قطيفة**) يقال: إنّها قلادة فيها جواهر والمراد أنّه سرق منها جوهرة وفي نسخة جوهرة (**فاتهموا بها رجلاً**) شاباً وكان عليه أمارات الخير (**فقلت: دعوه حتى أرفق به وإذا الشاب نائم في عباءة فأخرج رأسه من العباءة فقال له ذو النون في ذلك المعنى**) أي اتهامهم له (**فقال**) متعجباً: (**إلهي تقول ذلك أقسمت عليك يا رب أنْ لا تدع**) أي تترك (**واحداً من الحيتان إلا جاء بجوهرة قال: فرأينا وجه الماء**) أي عليه (**حيتانا في أفواههم**) الأولى في أفواهها كما في نسخة (**الجواهر**) أي في أفواه كل منها جوهرة ومدّ يده وأخذ جوهرة من فم حوت وألقاها إليهم (**ثم ألقى نفسه في البحر ومرّ**) على الماء (**إلى الساحل**) وغاب عنا، (**وحُكي عن إبراهيم الخوّاص قال: دخلت البادية مرة فرأيت نصرانياً على وسطه زنار**) بضم الزاي (**فسألني الصحبة**) فأجبته (**فمشينا سبعة أيام فقال لي: يا راهب الحنيفية**) أي المسلمين (**هات ما عندك من الانبساط**) أي مما تقدر عليه (**فقد جعنا فقلت: إلهي لا تفضحني مع هذا الكافر فرأيت طبقاً عليه خبز وشواء**) بكسر الشين والمدّ (**ورطب وكوز ماء فأكلنا وشربنا ومشينا سبعة أيام ثم بادرت وقلت: يا راهب النصارى هات ما عندك فقد انتهت النوبة إليك فاتكأ على عصاه ودعا وإذا بطبقين عليهما كأضعاف ما كان على طبقي قال: فتحيرت**) لا تحير شك في ديني بل تحيراً في حال هذا الكافر، وبأي وجه أجرى الله على يديه هذين الطبقين، وهل هو زيادة مكر في حقه أو أمر آخر تجدد له (**وتغيرت**) لذلك (**وأبيت أنْ آكل**) مما فيهما (**فألح عليّ**) في الأكل (**فلم أجبه**) له (**فقال**) لي: (**كُل فإني أُبشرك ببشارتين إحداهما أني أشهد أنْ لا إله إلا الله وأشهد أنَّ محمداً رسول الله وحل الزنار**) من وسطه (و) البشارة (**الأخرى أني**) سألت الله بك فإني (**قد قلت: اللهم إنْ كان لهذا العبد خطر**) أي قدر (**عندك فافتح عليّ بهذا**) الذي رأيته (**ففتح**) علي به (**قال: فأكلنا**

محمدي الأخلاق، وفضل الله واسع. (**قوله: وتحذير العبد الخ**) أي لأنَّ الأسرار قد تخفى في بعض العبيد، فربما أصابه بجهله بسببه شديد التنكيد. (**قوله: فربما جازاه الله بفعله الخ**) أي وذلك غيرة على وليه وصفيه وقد لا تكون من الولي حركة في ذلك. (**قوله: ثم ألقى نفسه في البحر الخ**) أي بقصد الفرار من أسباب الاشتهار، وأن تحدق به الأبصار. (**قوله: ففتح عليّ به**) أي فكان هذا الأستاذ من وسائل الرب ومن جملة من

ومشينا وحج) وفي نسخة وحججنا (وأقمنا بمكة سنة ثم أنه مات) فيها (ودفن بالبطحاء)، في ذلك دلالة على أنّ هذا الكافر كانت تتخرق له العادة في أسباب الدنيا التي لا تزن عند الله جناح بعوضة، وقد منعها أنبياء وأولياء، وأسبغها على غيرهم ممن أراد، ولما كان الله تعالى يجري على هذا الكافر بعض هذه الألطاف الدنيوية اغتر به، فلما لقيه الخوّاص وسأله الصحبة وسافرا سبعة أيام قال له: امتحاناً وتعجيزاً: يا راهب الحنيفية قد جعنا فهات ما عندك فدعا الخوّاص فأجابه فتحقق الكافر منه أنّ ذلك كرامة له، فحببه الله في الإسلام فأسلم (وقال محمد بن المبارك الصوري: كنت مع) أبي إسحاق (إبراهيم بن أدهم في طريق بيت المقدس فنزلنا وقت القيلولة تحت شجرة رمان فصلينا ركعات فسمعت صوتاً من أصل الرمان) يقول: (يا أبا إسحاق أكرمنا بأن تأكل منا شيئاً فطأطأ إبراهيم رأسه) أي نعم (فقال:) كل منهما ذلك (ثلاث مرات) وقال في الثاني: بمعنى فعل (ثم قال) المصوّت لابن المبارك: (يا محمد كن) لي (شفيعاً إليه) أي إلى إبراهيم (ليتناول منا شيئاً فقال) محمد: (يا أبا إسحاق لقد سمعت) ما قالته هذه الشجرة (فقام) أبو إسحاق (وأخذ) منها (رمانتين فأكل واحدة وناولني الأخرى فأكلتها وهي حامضة وكانت شجرة قصيرة فلما) زرنا بيت المقدس ثم (رجعنا مررنا بها وإذا هي شجرة عالية ورمانها حلو، وهي تثمر في كل عام مرتين وسمّوها رمانة العابدين ويأوي إلى ظلها العابدون) من كل وجه كل ذلك ببركة ما رغبت فيه من أكل إبراهيم منها، وقد نقل أنّ شجر الجنة إذا مرّ به الأولياء يناديهم هلى لنا فيك من دولة يا ولي الله؟ والكرامة في ذلك كلام الشجرة وسؤالها وتشفعها. (سمعت محمد بن عبد الله الصوفيّ يقول: سمعت محمد بن الفرحان يقول: سمعت الجنيد يقول: سمعت أبا جعفر الخصاف يقول: حدثني جابر الرحبيّ قال: أكثر أهل الرحبة عليّ الإنكار في باب الكرامات) أي أكثروا

يرزق بهم أهل الأرض. (قوله: وقد منعها أنبياءه الخ) أي تطهيراً لهم من دنسها، وقوله: وأسبغها على غيرهم ممن أراد أي ممن أراد امتحانه وخذلانه وافتتانه غالباً والله أعلم.

(قوله: فحببه الله في الإسلام فأسلم) انظر كيف توصل هذا بقصد الامتحان إلى درجات الإيمان والإحسان ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]. (قوله: فسمعت صوتاً الخ) فيه دلالة على أنّ من كملت محبته للحق خلق الله له المحبة في سائر خلقه حتى الجمادات. (قوله: وإذا هي شجرة الخ) أقول: هذه الكرامة من نوع ما أكرم به نبينا ﷺ، فهي تشير إلى قوّة صدق المتابعة له ﷺ. (قوله: وللولي الخ) يشير بذلك إلى أنّ ذات الكرامة لا تقصد للكامل حيث هي من مواطن الخطر بل إذا دعاه إليها داعٍ والله أعلم.

عليّ في إنكارها (فركبت السبع يوماً ودخلت الرحبة وقلت: أين الذين يكذبون أولياء الله قال: فكفوا بعد ذلك عني) ولولي أنْ يظهر الكرامة لمنكرها ليكون حجة عليه وتكذيباً له كما يظهرها لمن يقتدى به ليقوى حسن ظنه في الاتباع له، ومن ذلك ما حُكي أنّ قدرياً قال: إنَّه يفعل بنفسه ما يشاء فقال له ربيع الشاميّ: قم فقام ثم قال له: اجلس وسأل الله فيه أنْ لا يقدره على الجلوس فأجابه فلم يقدر على الجلوس فاعترف بعجزه وكذبه في معتقده. (سمعت منصوراً المغربي يقول: رأى بعضهم الخضر عليه السلام فقال له: هل رأيت فوقك أحداً فقال: نعم كان عبد الرزاق بن همام يروي الأحاديث) النبوية (بالمدينة) المشرفة (والناس حوله يستمعون فرأيت شاباً بالبعد منهم رأسه على ركبتيه فقلت له: يا هذا عبد الرزاق يروي أحاديث رسول الله ﷺ فلم لا تسمع منه؟ فقال) لي: (إنّه يروي عن ميت وأنا لست بغائب عن الله تعالى فقلت له: إنْ كنت كما تقول: فمن أنا؟ فرفع رأسه وقال: أنت أخي أبو العباس الخضر، فعلمت أنّ لله عباداً لم أعرفهم) يؤخذ من ذلك أنَّ الخضر وليّ وأنَّه حي وأنَّ الولي إنما يعرف من في درجته أو دونه لا من فوقه، وقد أخبر بحياته جمع كثير من الصالحين منهم إبراهيم الخوّاص وإبراهيم بن أدهم لكن الذي رجحه الجمهور أنَّه نبي كما مرّ، (وقيل: كان لإبراهيم بن أدهم صاحب يقال له: يحيى) بن سعيد (يتعبد في غرفة ليس إليها سلم ولا درج) عطفه على ما قبله عطف تفسير (فكان إذا أراد أنْ يتطهر يجيء إلى باب الغرفة يقول: لا حول ولا قوّة إلا بالله ويمرّ في الهواء كأنّه طير ثم يتطهر فإذا فرغ) من طهره (يقول: لا حول ولا قوّة إلا بالله ويعود إلى غرفته) الكرامة في ذلك طيرانه في الهواء. (أخبرنا محمد بن عبد الله الصوفيّ قال: سمعت عمر بن محمد بن أحمد الشيرازيّ: بالبصرة قال: سمعت أبا محمد جعفر الحذاء بشيراز قال: كنت أتأدّب بأبي عمر الإصطخري فكان إذا خطر لي خاطر أخرج إلى اصطخر) لأجتمع به فيها (فربما أجابني عما أحتاج إليه من غير أنْ أسأله، وربما سألته فأجابني ثم شغلت عن الذهاب) إلى اصطخر (فكان إذا خطر على سري مسألة أجابني من اصطخر فيخاطبني بما يرد عليّ) في ذلك دلالة على صحة الخواطر التي ينشئها الله في قلوب أوليائه جواباً عما سألوا عنه وعلقوا هممهم به، (وحكي بعضهم) وفي نسخة وحُكي عن بعضهم أنّه (قال: مات فقير في بيت مظلم فلما أردنا غسلة

(قوله: فقال لي: إنه يروي عن ميت) أي بحسب ما تراه في ظاهر الحال مع أنه عليه الصلاة والسلام حيّ في قبره كيف وحياة الكائنات بأسرها من حياته، أقول: وإنْ كان ما ذكره حقاً وصحيحاً غير أنَّ الكمال في الكمال. (قوله: الكرامة في ذلك الخ)

تكلفنا طلب سراج) يضيء علينا فلم يتيسر (فوقع من كوة) من البيت (ضوء فأضاء البيت فغسلناه فلما فرغنا) من تجهيزه (ذهب الضوء كأنه لم يكن) الكرامة فيه ظهور النور عليه ليستكملوا به تنظيفه وحسن تجهيزه، (وعن آدم بن إياس قال: كنا بعسقلان وشاب يغشانا ويجالسنا ويتحدث معنا فإذا فرغنا) من التحديث (قام إلى الصلاة يصلي قال: فودّعني يوماً وقال: أُريد الإسكندرية، فخرجت معه وناولته دريهمات فأبى أن يأخذها فألححت عليه فألقى كفاً من الرمل في ركوته واستقى) بها (من ماء البحر وقال) لي: (كله فنظرت) إليه (فإذا هو سويق بسكر كثير فقال: من كان حاله معه) وفي نسخة مع الله (مثل هذا يحتاج إلى دارهمك ثم أنشأ يقول:

بحق الهوى يا أهل وذي تفهموا — لسان وجود بالوجود غريب
حرام على قلب تعرض للهوى — يكون لغير الحق فيه نصيب
غيره ليس في القلب والفؤاد جميعاً — موضع فارغ يراه الحبيب
هو سؤلي ومنيتي وسروري — وبه ما حييت عيشي يطيب

وإذا ما السقام) بفتح السين أي المرض (حل بقلبي. لم أجد غيره لسقمي طبيب) الكرامة فيه قلب الأعيان له، وجعل في ركوته ما هو السبب لذلك مع أنَّ الله قادر على أنْ يخلق ذلك بلا سبب ليعرف الرائي له أنَّ الأسباب لا تنافي التوكل ولا الكرامات (وحُكي عن إبراهيم الآجري قال: جاءني يهودي يتقاضى عليّ في دين) أي يطالبني بدين (كان له عليّ وأنا قاعد عند الأتون) أي التنور (أوقد تحت الآجر) أي أطبخه (فقال لي اليهودي: يا إبراهيم أرني آية) أي كرامة (أسلم عليها فقلت له: تفعل) أي تسلم إذا أريتك آية (فقال) لي: (نعم فقلت) له: (انزع ثوبك فنزعه فلففته ولففت على ثوبه ثوبي وطرحته) أي الثوب المذكور (في النار ثم دخلت الأتون وأخرجت الثوب من وسط النار وخرجت من الباب الآخر إذا ثيابي بحالها لم يصبها شيء وثيابه في وسطها) وفي نسخة وثوبه في وسطه وفي أخرى وثيابه في

أقول: وهوغير بعيد بالنسبة لمن تجرّد عن ناسوته وقوي لاهوته. (قوله: فلما فرغنا من تجهيزه ذهب الخ) أي وذلك إكرام ولطف منه تعالى بالميت.

(قوله: ليس في القلب الخ) مراده أنَّ محبة الحق تعالى استأصلته حتى اصطلم فيها، وغاب عن حسه، فهو حينئذ لا يسأل غيره، ولا يهتم ويسر إلا به تعالى ولا يطلب عيشه إلا بذكره ومراقبته، وهكذا حال المحب الصادق إذا أصابه مرض حسي أو معنوي لا يعول في الشفاء إلا عليه تعالى.

(قوله: فقلت له: انزع ثوبك الخ) أقول: الداعي لفعل الكرامة المذكورة قوّة الرجاء

وسطه (**صارت حراقة فأسلم اليهودي**) لما رأى من ذلك (**وقيل: كان حبيب العجميّ يرى بالبصرة يوم التروية ويوم عرفة بعرفات**) هي كرامة طيّ الأرض (**سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول: سمعت أحمد بن محمد بن عبد الله الفرغانيّ يقول: تزوّج عباس بن المهتديّ امرأة فلما كانت ليلة الدخول وقع**) وفي نسخة وقعت (**عليه ندامة، فلماأراد الدنو منها زجر عنها فامتنع من وطئها وخرج**) من عندها (**فبعد ثلاثة أيام ظهر لها زوج قال الأستاذ الإمام**) القشيريّ (**رحمه الله: هذا هو الكرامة على الحقيقة حيث حفظ عليه العلم**) فإنّه تعالى حفظه عن أنْ يطأ إمرأة لا سبيل له إلى وطئها لكونها في عصمة غيره، وإنْ لم يكن له علم بذلك، وهذا يشبه ما جرى للمحاسبيّ في كونه إذا مد يده إلى طعام فيه شبهة ضرب على يده عرق، (**وقيل: كان الفضيل بن عياض على جبل من جبال منى فقال: لو أنَّ ولياً من أولياء الله تعالى أمر هذا الجبل أنْ يميد**) أي يتحرك (**لماد**) أي لتحرك (**قال: فتحرّك الجبل فقال**) له الفضيل: (**أسكن لم أردك بهذا**) القول (**فسكن الجبل**) في ذلك إشارة إلى كمال ولاية الفضيل، فإنّه إنما أورد صنيعته على وجه الحكاية لا على وجه الأمر والكرامة فيه تحرّك الجبل، وسكونه بقول الفضيل له: أسكن وقد كان النبي ﷺ على جبل حراء فتحرّك به وبمن معه فقال: «اسكن حراء فإنما عليك نبي وصدّيق وشهيد»، (**وقال عبد الواحد بن زيد لأبي عاصم البصري: كيف صنعت حين طلبك الحجاج**) بن يوسف الذي ابتلاه الله بطلب أهل الخير المخالفين له، وقد قتل منهم خلقاً كثيراً وآخر من قتله سعيد بن جبير (**قال**) له: (**كنت في غرفتي فدقوا عليّ الباب**) ففتحت لهم (**فدخلوا**) عندي (**فدفعت بي**) أي بنفسي (**دفعة**) في الهواء (**فإذا أنا على جبل أبي قبيس بمكة**) هذه كرامة الطيران في الهواء (**فقال له عبد الواحد: من أين كنت تأكل قال: كانت تصعد إليّ عجوز كل وقت إفطاري بالرغيفين اللذين كنت آكلهما بالبصرة**

منه في إسلام اليهوديّ وقد حقق الحقّ ما ترجاه وإلا فمثله لا يلتفت إلى الكرامة، ولا يسكن إليها ولا يأنس بها.

(**قوله: فلما أراد الدنو منها زجر**) لعل الزاجر له وارد حق قلبي جرياً على عادة لطف الله تعالى بالمحبين له. (**قوله: حيث حفظ عليه العلم**) أي حفظ عليه الدوام على العمل بالأفضل بشاهد العلم. (**قوله: وقد كان النبي الخ**) أي فهو محمديّ الأخلاق حيث وقع له ما هو من نوع المعجزة، وقوله: على جبل حراء أقول: الذي في حفظي أنّه جبل أُحد، فلعل ذلك وقع مرتين على كل جبل واقعة والله أعلم.

(**قوله: الذي ابتلاه الله الخ**) أقول: والله أعلم لم يكن أعظم من هذه البلية إلا

فقال عبد الواحد: **تلك الدنيا أمرها الله تعالى أنْ تخدم أبا عاصم)** الكرامة فيه مع ما مرّ وصول الرغيفين له كل ليلة عند إفطاره من حيث لا يحتسب، **(وقيل: كان عامر بن عبد قيس يأخذ عطاءه)** من بيت المال كل شهر **(ولا يستقبله أحد)** من الفقراء **(إلا أعطاه شيئاً)** من عطائه الذي أخذه **(فكان إذا أتى منزله)** أي أهل منزله **(رمى إليه بالدراهم فتكون بمقدار ما أخذه لم ينقص)** شيئاً هذا كرامة نزول البركة في المال الحلال الذي مع الصالحين حيث لم ينقص شيئاً بالتصدق منه **(سمعت أبا عبد الله الشيرازيّ يقول: سمعت أبا أحمد الكبير يقول: سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول: سمعت أبا عمرو الزجاجيّ يقول: دخلت على الجنيد وكنت أريد أنْ أخرج إلى الحج فأعطاني درهماً صحيحاً)** كان عنده **(فشددته على مئزري)** ودعا لي **(فلم أدخل منزلاً إلا وجدت فيه رفقاً)** أي رفقة كما في نسخة أرتفق بهم فيما أحتاجه من مأكل وغيره **(فلم أحتج إلى الدرهم، فلما حججت ورجعت إلى بغداد دخلت على الجنيد)** لأسلم عليه **(فمد يده)** إليّ **(وقال)** لي مكاشفة: بأنَّ الدرهم معي ولم أحتج إليه **(هات)** أي الدرهم الذي أعطيتكه **(فناولته الدرهم فقال)** لي: **(كيف كان)** الأمر أي ما الذي جرى لك **(فقلت)** له: **(كان الحتم)** بالمهملة أي الأمر **(نافذاً)** أي ماضياً بحسن همتك وبركة دعائك. **(وحُكي عن أبي جعفر الأعور قال: كنت عند ذي النون المصريّ فتذاكرنا حديث طاعة الأشياء للأولياء فقال ذو النون:)** لكونه رأى ثم رجلاً منكراً للكرامات **(من الطاعة أنْ أقول لهذا السرير يدور في أربع زوايا البيت ثم يرجع إلى مكانه فيفعل)** ذلك بقدرة الله تعالى **(قال: فدار السرير)** بنفسه أو بتدوير ولي أوجني لم يره أحد من الحاضرين **(في أربع زوايا البيت وعاد إلى مكانه وكان هناك شاب فأخذ يبكي)** وفي نسخة شاب قاعد فبكى **(حتى مات في الوقت)** لأنَّ قلبه لم يحمل ذلك **(وقيل: إنَّ واصلاً الأحدب قرأ: وفي السماء رزقكم وما توعدون)** فأثرت في قلبه أثراً عظيماً **(فقال: رزقي في السماء وأنا أطلبه في الأآض والله لأطلبته أبداً فدخل خربة ومكث يومين فلم يظهر له شيء)** أي رزق **(واشتد عليه)** الحال **(فلما كان**

الابتلاء بالكفر على أنَّ إيذاءه ﷺ في ذريته قريب من الكفر أعاذنا الله وأحيتنا من ذلك.

(قوله: هذا كرامة نزول البركة الخ) أي فهي لغيره معنوية فقط، وله معنوية وحسية يختص برحمته من يشاء.

(قوله: من الطاعة أنْ أقول: الخ) أي ومثل هذا قليل بالنسبة لما أعده الله في الآخرة.

(قوله: لأنَّ قلبه لم يحمل ذلك) أي لرقته بكثرة ما طرقه من طوارق المحبة

اليوم الثالث إذا بدوخلة من رطب) وهي ما ينسج من الخوص ليجعل فيه الرطب **(وكان له أخ أحسن منه نية فصار معه فإذا)** أي فلصيرورته معه **(قد صار)** ما معه **(دوخلتين فلم يزل تلك حالهما حتى فرّق بينهما الموت)** في دخول واصل الخربة لينتظر الفرج من الله دلالة على توكله من غير تعاطي كسب وأكمل منه ذلك مع تعاطي الكسب فقد سئل النبيّ ﷺ عن ناقة هل نعقلها ونتوكل أو نتركها فنتوكل؟ فأمره بأنْ يعقلها ويتوكل ففيه إشارة إلى أن هذا أكمل وأنْ الكسب لا ينافي التوكل، ولما علم الله صدقية واصل وانقطاعه إليه لطف به وسخر له من يعينه على غرضه، وهو أخوه وجاء له بالرطب كما جاء به لمريم عليها السلام وفيما فعله دلالة على أنه لمّا سمع الآية أثرت في قلبه وإلا فلا فرق بين السماء والأرض في تيسير الرزق قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما أعرف في السماء رزقاً إلا المطر **(وقال بعضهم: أشرفت على إبراهيم بن أدهم وهو في بستان يحفظه وقد أخذه النوم وإذا حية في فيها)** وفي نسخة فمها **(طاقة نرجس)** بالقاف **(تروّحه بها)** فيه دلالة على أنَّ الولي تخدمه الحيوانات حتى المؤذيات ليعرف الناظر شرف الأولياء عند الله تعالى، ويجدّ في طريق سلوكهم ويتخلق بأخلاقهم، **(وقيل: كان جماعة مع أيوب السختيانيّ في السفر فأعياهم طلب الماء فقال)** لهم**(أيوب)** وهو ممن روى عنه الإمام مالك: **(أتسترون عليّ)** ما يظهر على يدي من الكرامة **(ما عشت فقالوا: نعم فدوّر دائرة فنبع)** فيها **(الماء قال: فشربنا)** منه **(فلما دخلنا البصرة)** ومات أيوب **(أخبر به حماد بن زيد فقال عبد الواحد بن زيد: شهدت معه ذلك اليوم)** في ذلك دلالة على أنّ الأولياء يسترون ما بينهم وبين الله من الكرامات، ويؤكدون في سترها ولا يظهرونها إلا لحاجة، **(وقال بكر بن عبد الرحمن: كنا مع ذي النون المصريّ في البادية فنزلنا تحت شجرة من أم غيلان)**التي هي ذات شوك عظيم **(فقلنا: ما أطيب هذا الموضع لو كان فيه رطب فتبسم ذو النون وقال: تشتهون الرطب وحرك الشجرة وقال)** لها: **(أقسمت عليك بالذي ابتدأك وخلقك شجرة إلا نثرت علينا رطباً جنياً ثم حركها فنثرت علينا رطباً جنياً)** مع أنها ليست بنخلة، وهذا محل الكرامة بل في ذلك كرامتان **(فأكلنا**

والإجلال له تعالى. **(قوله: وأكمل منه الخ)** أي لأنه خلق محمدي ومظهر حقيقة العبودية، وهي من أعظم مقامات الكمل.

(قوله: ما أعرف في السماء رزقاً إلا المطر) أقول: كل الرزق من السماء حينئذ إذ الماء سبب حياة كل شيء ووجوده. **(قوله: وهو ممن روى عنه الإمام مالك)** أي وكفاه بذلك شرفاً. **(قوله: فنثرت علينا رطباً الخ)** أي فكانت كرامة مريمية بل زادت بكون

وشبعنا ثم نمنا فانتبهنا وحركنا الشجرة فنثرت علينا شوكاً) من شوكها المتصفة به.
(وحُكي عن أبي القاسم بن مروان النهاوندي قال: كنت أنا وأبو بكر الوراق مع أبي سعيد الخراز نمشي على ساحل البحر نحو صيداء) بفتح الصاد بالمد اسم بلد (فرأى) أبو سعيد (شخصاً من بعيد فقال) لنا: (اجلسوا لا يخلو هذا) الشخص (أنْ يكون ولياً من أولياء الله قال: فما لبثنا أنْ جاء شاب حسن الوجه) وهو ذلك الشخص (ومعه ركوة) أي قربة (و) معه (محبرة) بكسر الميم كما قاله الجوهري أي دواة (وعليه مرقعة فالتفت إليه أبو سعيد منكراً عليه لحمله المحبرة مع الركوة) كأنه وجد في نفسه من حمل المحبرة ما يجده المريدون من أنَّ بعض الفقهاء لم ينالوا من الحقائق ما نالوه هم فامتحنه (فقال له: يا فتى كيف الطريق إلى الله تعالى فقال: يا أبا سعيد أعرف إلى الله طريقين طريقاً خاصاً) بالخاصة وهم قوم فرغوا من صلاح أنفسهم فصار شغلهم بالله لا بغيره قد أعرضوا عن حظوظ أنفسهم الدنيوية والأخروية، (وطريقاً عاماً) للعامة أي عامة الصالحين والمريدين الذين هم مع الأسفار وتعلم الأخلاق وإصلاح القلوب، وتحقيق التوكل والإخلاص والرضا والتسليم (فأما الطريق العام فالذي أنتَ عليه وأما الطريق الخاص فهلم) أي تعال إليّ لأعرفكه (ثم مشى على الماء حتى غاب عن أعيننا فبقي أبو سعيد حيران مما رأى) من حاله وهذه سنة الله مع أوليائه أَنْ يؤدّبهم بمن دونهم سناً أو غيره ومشيه على الماء كرامةً، وأتم منه المشي على الهواء لما رُوي أنَّ عيسى عليه الصلاة والسلام مشى على الماء فقال النبي ﷺ: «لو ازداد يقيناً لمشى على الهواء»[1] قيل أشار به إلى حالته ليلة المعراج لما قال له جبريل عليه السلام: وما منا أي أيها الأنبياء إلا له مقام معلوم (وقال الجنيد: جئت مسجد الشونيزية فرأيت فيه جماعة من الفقراء يتكلمون في الآيات) أي الكرامات (فقال فقير منهم: أعرف رجلاً) أي نفسه (لو قال لهذه الأسطوانة: كوني ذهباً نصفك وفضة نصفك كانت) كما قال لها (قال الجنيد: فنظرت فإذا الأسطوانة نصفها ذهب ونصفها فضة) ثم أعادها الله إلى ما كانت عليه، (وقيل: حج سفيان الثوريّ مع شيبان الراعي فعرض لهما سبع فقال سفيان لشيبان: أما ترى هذا السبع فقال: لا تخف) منه

الشجرة غير نخلة وليس من شأنها مثل هذا الثمر. (قوله: طريقاً خاصاً الخ) أي وهو لا يتم إلا بعد التحقق بكامل المقامات والصدق فيها، وبعد التحلي بحلل الأحوال الشريفة، ثم بعد ذلك يخرج من ضيق الطريق إلى فضاء المعرفة، ثم منه إلى حظائر المشاهدات والمكافحات. (قوله: لو ازداد يقيناً الخ) أشار إلى أنَّ درجته ﷺ خاصة به لا يشاركه فيها

---

(١) أخرجه الزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٩/ ٧٥).

(فأخذ شيبان أُذنه) وفي نسخة بأذنه (فعركها فبصبص و) معناه (حرك ذنبه فقال) له (سفيان: ما هذه الشهرة فقال: لولا مخافة الشهرة) وكراهتي لها (لما وضعت زادي إلا على ظهره حتى آتى مكة) فيه دلالة على أنَّ الكرامات إنما يُظهرها الأولياء لأقرانهم ومن قاربهم ليقوى يقينهم وترتفع همتهم، ولا شهرة في ذلك إنما الشهرة أنْ يظهر العبد الكرامات لمن لا يقتدي به، ولا ينتفع بها بل قد يتضرر بإنكارها، (وحُكي أنَّ السري لما ترك التجارة) وانقطع إلى الله (كانت أُخته تنفق عليه من ثمن غزلها فأبطأت) عليه (يوماً فقال لها السريّ لم أبطأت فقالت: لأنَّ غزلي لم يشتر وذكروا أنَّه مخلط فامتنع السري من) أكل (طعامها) لتخيله من ذلك أنَّ فيه غشاً (ثم إنَّ أخته تألمت بذلك و (دخلت عليه يوماً فرأت عنده عجوزاً تكنس بيته وتحمل إليه كل يوم رغيفين) فازداد تألمها (فحزنت) وفي نسخة فخرجت (أخته وشكت إلى أحمد بن حنبل فقال أحمد بن حنبل للسري فيه:) أي تكلم معه بسببه (فقال) له: (لما امتنعت من أكل طعامها قيض الله بي الدنيا) أي جاءني بها على يد من شاء من أوليائه (لينفق عليّ) منها (وتخدمني) هي وأظهر الله ذلك لأخته في صورة امرأة ليسكن قلبها وتطلع عليه، وتعلم أنَّه تعالى لم يضيع أخاها (أخبرنا محمد بن عبد الله الصوفي، قال: حدثنا علي بن هارون قال: حدثنا عليّ بن أبي محمد التميميّ قال: حدثنا جعفر بن القاسم الخواص قال: حدثنا أحمد بن محمد الطوسيّ قال: حدثنا محمد ابن منصور الطوسيّ قال: كنت عند أبي محفوظ معروف الكرخيّ فدعا لي) وخرجت من عنده (فرجعت إليه من الغد، وفي وجهه أثر فقال له إنسان: يا أبا محفوظ كنا عندك بالأمس ولم يكن بوجهك هذا الأثر فما هذا) أي ما سببه (فقال) له: (سل عما يعنيك) دون ما لا يعنيك (فقال) له (الرجل:) أي الإنسان (بمعبودك) سألتك (أنْ تقول) لي: ما سبب هذا: (فقال) له: لأجل قسمه عليه بالله (صليت البارحة ههنا واشتهيت أنْ أطوف بالبيت فمضيت إلى مكة وطفت ثم ملت إلى زمزم لأشرب من

غيره ذلك فضل الله يختص به من يشاء من عباده. (قوله: فيه دلالة الخ) أي فهي من قبيل الدواء لا يظهر إلا لمرض يناسبه ذلك الدواء، والله أعلم. (قوله: قيّض الله لي الدنيا) أي لأنَّه تعالى لا يضيع عباده المحبين له بل يرزقهم من حيث لا يحتسبون. (قوله: صليت البارحة الخ) ذلك غير بعيد حيث أنَّ لهم ما يشاؤون عند ربهم رضي الله تعالى عنهم. (قوله: فزلقت على الباب الخ) أقول: وكونه لم يحفظ من الوقعة مع طيّ الأرض له لا تناقض فيه لأنَّ له في كل أجراً، على أنَّ ذلك كان سبباً في الإخبار بطيّ الأرض ليزداد السائل يقيناً والله أعلم.

مائها فزلقت على الباب فأصاب وجهي ما تراه) الكرامة فيه طيّ الأرض له أو طيرانه في الهواء، وفي ذلك إشارة إلى ما مرّ من أنّهم يكرهون إظهار الكرامات إلا لمن ينتفع بها أو ينكرها، وكان سبب إظهارها الجرح وإلا فالكرخيّ من أعظم الناس بركات حتى أنَّ قبره ترياق مجرب من أخذ منه شيئاً عوفي، (وقيل: كان عتبة الغلام يقعد فيقول: يا ورشان) بفتح الواو والراء طير (إنْ كنت أطوع لله عز وجل مني فتعال واقعد على كفي) ذكر ذلك ستراً لحاله (فيجيء الورشان ويقعد على كفه) فيه دلالة على أنَّ الله تعالى يسخر لأوليائه الطير كما سخره لسليمان عليه السلام (وحُكي عن أبي علي الرازيّ أنّه قال: مررت يوماً على الفرات فعرضت لنفسي) أي عند حاجتي للأكل (شهوة السمك الطريّ فإذا الماء قد قذف) في الحال (سمكة نحوي) أي جهتي (وإذا رجل يعدو ويقول) لي: (أشويها لك فقلت: نعم فشواها فقعدت وأكلتها) في ذلك دلالة على إكرام الله لأوليائه ولطفه بهم (وقيل: كان إبراهيم بن أدهم في رفقة فعرض لهم السبع فقالوا) لإبراهيم: (يا أبا إسحاق قد عرض لنا السبع فجاء إبراهيم) إليه (وقال) له: (يا أسد إن كنت أمرت فينا بشيء فامض) له (وإلا فارجع) عنا (فرجع الأسد) عنهم (ومضوا) هذا من جنس ما جرى لسفيان الثوري مع شيبان، (وقال حامد الأسود: كنت مع) إبراهيم (الخواص في البرية فبتنا) في ليلة (عند) وفي نسخة تحت (شجرة إذ جاء السبع فصعدت الشجرة) خوفاً منه وبقيت (إلى الصباح لا يأخذني النوم ونام إبراهيم الخواص والسبع يشمـ)ـه (من رأسه إلى قدمه) لكمال يقينه وعدم خوفه من غير ربه (ثم مضى) السبع (فلما كانت الليلة الثانية بتنا في مسجد بقرية فوقعت بقة على وجهه فضربته) أي قرصته (فأنّ أنّةً) أي ضج من قرصتها ضجة كضجة المريض (فقلت) له: (هذا عجب البارحة لم تجزع من الأسد والليلة تضج من البق فقال) لي: (أما البارحة فتلك حالة كنت فيها بالله تعالى) أي كامل الشغل به غير ملتفت إلى غيره بالكلية (وأما الليلة فهذه حالة أنا فيها) مشتغل (بنفسي) لفقدي تلك الحالة فرجعت إلى نفسي وأحسست بأدنى ألم (وحُكي عن عطاء الأزرق أنه دفعت إليه امرأته درهمين من ثمن غزلها ليشتري لهم) بهما (شيئاً من الدقيق فخرج من بيته فلقي جارية تبكي فقال لها: ما بالك) تبكي (فقالت: دفع إليّ مولاي درهمين أشتري لهم) بهما

(قوله: كما سخره لسليمان) أي كرامة لنبيهم ﷺ حيث جعل آحاد أمته على أنفاس من تقدم من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

(قوله: كان إبراهيم الخ) قد تقدمت هذه القصة فإعادتها تأكيد ولرعاية المقام.

(قوله: فقال: أما البارحة الخ) أي فهم رضي الله عنهم لا يثبتون على حال كما تقدم ذلك

(شيئاً فسقطا مني فأخاف أن يضربني فدفع عطاء الدرهمين إليها، ومر وقعد على حانوت صديق له ممن يشق) الخشب (الساج، وذكر له الحال، وما يخاف من سوء خلق امرأته) بسبب ذلك (فقال له صاحبه) أي صديقه: (خذ من هذه النشارة في هذا الجراب لعلكم تنتفعون بها في سجر التنور) أي حميه (إذ ليس يساعدني الإمكان في شيء آخر فحمل) عطاء (النشارة) في الجراب (وفتح باب داره ورمى بالجراب ورد الباب ودخل المسجد) واستمرّ فيه (إلى ما بعد العتمة) أي العشاء (ليكون النوم أخذهم ولا تستطيل عليه المرأة) بكلام أو غيره (فلما فتح الباب وجدهم يخبزون الخبز فقال لهم: من أين لكم هذا الخبز فقالوا له: من الدقيق الذي كان في الجراب لا تشتر) لنا دقيقاً (من غير هذا الدقيق فقال: أفعل إن شاء الله تعالى) الكرامة في ذلك قلب الأعيان للولي كما مر نظيره في قلب الأسطوانة ذهباً وفضةً والله تعالى هو الخالق لكل شيء من الجواهر والأعراض (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلميّ) رحمه الله (يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا جعفر بن بركات يقول: كنت أجالس الفقراء) وشأننا أنَّ ما فتح الله به لبعضنا كان لكلنا (ففتح عليَّ بدينار فأردت أَنْ أدفعه إليهم) لينفقوه علينا (ثم قلت في نفسي: لعلي أحتاج إليه فهاج) أي ثار (بي وجع الضرس فقلعت سناً فوجعت الأخرى حتى قلعتها فهتف بي هاتف إنْ لم تدفع إليهم الدينار لا يبقى في فيك) وفي نسخة فمك (سن واحدة قال الأستاذ) القشيريّ: (وهذا) أي تنبيه الله له بواسطة الهاتف على ما هو سبب للسلامة (في باب الكرامة أتم) عليه (من أن كان يفتح عليه دنانير كثيرة تنقض العادة) أي تخرقها، وفيه إشارة إلى تأكد طلب السلامة من الآثام بل السلامة منها آكد من فعل الطاعة، ولهذا قال الإمام القشيريّ: كرامة الحفظ من الزلل أحسن من كثير من العمل (وحكي أبو سليمان الداراني قال: خرج عامر بن عبد قيس إلى الشام ومعه شكوة) أي قربة (إذا شاء صب منها ماء ليتوضأ للصلاة وإذا شاء صب منها لبناً يشربه) كل ذلك بفضل الله ورحمته، وهذا كما زمزم بعضهم يشربه ماء وبعضهم يشربه سويقاً بسكر، حُكي أنَّ بعضهم قال: كنت أدخل في زمن الحر إلى زمزم وأستريح في زاوية، فلما ذهب كثير من الليل دخل رجل ملفوف بعباءة فرفع الدلو وشرب فقمت لأشرب خلفه فإذا هو سويق بسكر من ماء زمزم فتعجبت منه وراقبته ليلة أُخرى فرأيته دخل في ذلك الوقت ورمى

من نعوتهم. (قوله: فدفع عطاء الدرهمين إليها) أي وذلك لأنَّ من أمارات الولي عموم شفقته على الخلق كما تقدم. (قوله: قلب الأعيان للولي) أي وهو غير بعيد حيث هو من أفراد الممكنات الداخلة تحت تصرف الحق تعالى. (قوله: بل السلامة منها آكد) أي لأنَّ

الدلو في البئر ورفعه وشرب وتركه فذقته فوجدته كذلك، فلحقته فسألته بالذي أعطاك هذه المنزلة من أنتَ فقال: تستره فقلت: نعم فقال: سفيان بن سعيد الثوريّ، **(وروى عثمان بن أبي العاتكة قال: كنا في غزاة في أرض الروم فبعث الوالي)** أي أمير الجيش **(سرية إلى موضع وجعل الميعاد في يوم كذا (قال: فجاء الميعاد ولم تقدم السرية فبينا أبو مسلم)** الخولاني **(يصلي إلى رمحه الذي ركزه بالأرض إذ جاء طائر)** أي ملك من الملائكة **(إلى رأس السنان وقال: إنَّ السرية قد سلمت وغنمت وسيردون عليكم يوم كذا في وقت كذا، فقال أبو مسلم للطير: من أنتَ رحمك الله فقال: أنا مُذهب الحزن عن قلوب المؤمنين، فجاء أبو مسلم إلى الوالي وأخبره ذلك، فلما كان اليوم الذي قال)** الطير: إنَّ السرية تأتي فيه **(أتت السرية)** فيه **(على الوجه الذي قال:)** من أنَّها سلمت وغنمت، وكان أبو مسلم صاحب كرامات حرقه بالنار العنسي كما فعل بإبراهيم الخليل فلم تضره، فلما لم تضره نفاه من أرضه لئلا يفسد عليه من أتبعه من أهل الضلال فوصل إلى المدينة بعد موت النبي ﷺ واستخلاف أبي بكر رضي الله عنه فربط دابته ودخل يصلي في مسجد النبي ﷺ فبصر به عمر رضي الله عنه فسلم عليه وقال له: من الرجل فقال من أهل اليمن فقال: ما فعل الذي أحرقه الكذاب قال: ذلك عبد الله بن ثرب قال له عمر: أنشدك الله أأنتَ هو؟ قال: اللهم نعم هذا من فراسة عمر فاعتنقه وقبله بين عينيه وأتى به إلى أبي بكر وأجلسه بينهما، وقال: الحمد لله الذي لم يمتنا حتى رأينا في أمة محمد ﷺ من فعل به كما فعل بإبراهيم خليل الرحمن وسافر مع أصحابه في غزاة حال بينه وبين الكفار البحر فضرب فرسه وخاض البحر هو والعسكر على وجه الماء، فهذه كرامة أخرى، **(وعن بعضهم قال: كنا في مركب)** أي سفينة **(فمات رجل كان معنا عليل فأخذنا في جهازه)** وكنا في وسط البحر **(وأردنا أنْ نلقيه في البحر فصار البحر جافاً ونزلت السفينة)** على الأرض **(فخرجنا)** منها **(وحفرنا له قبراً ودفناه فلما فرغنا)** من دفنه وركبنا السفينة **(استوى الماء)** كما كان **(وارتفع المركب)** عليه **(وسرنا)** إلى مقصدنا، **(وقيل: إنَّ الناس أصابهم مجاعة بالبصرة فاشترى حبيب العجمي طعاماً بالنسيئة وفرقه على المساكين)** لوجه الله تعالى **(وأخذ)** وفي نسخة وخاط **(كيسه وجعله تحت رأسه فلما جاؤوا يتقاضونه)** ديونهم **(أخذه)** أي الكيس **(وإذ هو مملوء**

درء المفاسد مقدم على جلب المصالح. **(قوله: فلم تضره)** أي فهي كرامة إبراهيمية زيادة في شرف نبينا عليه وعليهم الصلاة والسلام حيث جعل شريعته جامعة لما تفرق في غيرها من الشرائع. **(قوله: فصار البحر جافاً الخ)** الكرامة فيه إرادة حفظ جسمه من أكل السمك

دراهم) فتح الله عليه بها من حيث لا يحتسب بصحة قصده وحسن معاملته مع الله ومع خلقه (فقضى منها ديونهم) التي لهم عليه إكراماً (وقيل: أراد إبراهيم بن أدهم أنْ يركب السفينة) مع أربابها (فأبوا إلا أنْ يعطيهم ديناراً فصلى على الشط ركعتين وقال: اللهم إنهم قد سألوني ما ليس عندي فصار الرمل بين يديه دنانير) وأعطاهم منها ما طلبوه، وهذا من إجابة الدعاء عند الاضطرار. (أخبرنا محمد بن عبد الله الصوفيّ قال: حدثنا عبد العزيز بن الفضل قال: حدثنا محمد بن أحمد المروزيّ قال: حدثنا عبد الله بن سليمان قال: قال أبو حمزة نصر بن الفرج: خادم أبي معاوية الأسود قال: كان أبو معاوية) قد (ذهب بصره فإذا أراد أنْ يقرأ) القرآن (نشر المصحف) بين يديه (فيرد الله عليه بصره) إكراماً له فإنَّ في القراءة في المصحف زيادة أجر على القراءة بالغائب لاستعمال أكثر الأعضاء فيها، ولأنها أقوى تدبراً (فإذا أطبق المصحف ذهب بصره) وصار على حاله، (وقال أحمد بن الهيثم المتطيب: قال لي بشر الحافي: قل لمعروف الكرخيّ إذا صليت: جئتك قال: فأديت الرسالة) كما قال: (وانتظرته فصلينا الظهر ولم يجيء ثم صلينا العصر) ولم يجيء (ثم) صلينا (المغرب ثم العشاء) ولم يجيء (فقلت في نفسي) متعجباً منه: (سبحان الله مثل بشر يقول:) إنَّه يفعل (شيئاً ثم لا يفعله) (لا يجوز) له (أنْ لا يفعله) وقد قال ما قال (فانتظرته وأنا فوق) سطح (مسجد على مشرعة) هي موردة الشاربة (فجاء بشر بعد هدى) بفتح الهاء أي طائفة (من الليل وعلى رأسه سجادة) بفتح السين (فتقدم إلى الدجلة ومشى على وجه الماء وقلت له: ادع الله لي) أي لأني أسأت بك الظن (فدعا لي وقال: استره) أي ما رأيته مني (عليّ قال: فلم أتكلم بهذا حتى مات) رضي الله عنه، الكرامة فيه مشيه على الماء، وقوله: إذا صليت أتيتك كان بنية صلاة العشاء مع ما عادته يصليه بعدها، وظن الرسول أنَّه عقب صلاة واجبة من الصلوات المذكورة فلما تخلف عن ذلك أساء به الظن. (سمعت أبا عبد الله الشيرازيّ قال: حدثنا أبو الفرج الورثاني قال: سمعت

كما يحفظ من الأرض لكرامته عند ربه. (قوله: وهذا من إجابة الدعاء عند الاضطرار) أي ويدل له قوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢]. (قوله: فإن في القراءة في المصحف الخ) أقول: الذي في حفظي أنَّ زيادة الأجر مرتبة على زيادة الخشوع والتدبر، فمن زاد له ذلك في حالة القراءة في المصحف كان هو الأفضل في حقه، وإلا بأنْ كان التدبر والخشوع يزيد له في حالة القراءة عن ظهر القلب كانت القراءة على هذه الحالة هي الأفضل فحرر.

(قوله: كان بنية صلاة العشاء الخ) أي فلم يخلف موعده. (قوله: فيه تدلل وقلة

عليّ بن يعقوب بدمشق قال: سمعت أبا بكر محمد بن أحمد يقول: سمعت قاسماً الجرعيّ يقول: رأيت رجلاً في الطواف لا يزيد على قوله: إلهي قضيت حوائج الكل ولم تقض حاجتي) فيه تدلل، وقلة أدب، فقد جاء في الخبر «لا يقولن أحدكم دعوت فلم يستجب»[1] (فقلت) له: (ما لك لا تزيد على هذا الدعاء فقال: أحدّثك) بما جرى لي (اعلم أنا كنا سبعة أنفس من بلدان شتى فخرجنا إلى الجهاد فأسرنا الروم ومضوا بنا لنقتل فرأيت سبعة أبواب فتحت من السماء وعلى كل باب جارية حسناء من الحور العين فقدم واحد منا) للقتل (فضربت عنقه فرأيت جارية منهن هبطت إلى الأرض وبيدها منديل فقبضت روحه) وهكذا فيمن بعده (حتى ضربت أعناق ستة منا فاستوهبني بعض رجالهم) أي الروم (فقالت الجارية: أي شيء) يعني شيء عظيم (فاتك يا محروم) بتخلفك عن أصحابك (وأغلقت الأبواب فأنا يا أخي متأسف متحسر على ما فاتني قال قاسم الجرعي: أراه) أي أظنه (أفضلهم) وإنْ تحسر على ما فاته (لأنه رأى) بعدهم (ما لم يروه وعمل على الشوق بعدهم) ما لم يعملوه بالقلب والجوارح لأنّ تحسره على ما ذكر حمله على الجد في العمل ودوام السؤال والتضرع وقوّة اليقين، الكرامة في ذلك رؤية هذا الرجل الأبواب والحور العين التي عليه، (وسمعته) أيضاً (يقول: سمعت أبا النجم أحمد بن الحسين بخورستا يقول: سمعت أبا بكر الكتانيّ يقول: كنت في طريق مكة في وسط السنة فإذا أنا بهميان) أي كيس (ملآن يلتمع دنانير فهممت أن أحمله لأفرقه بمكة على الفقراء فهتف بي هاتف إنْ أخذته سلبناك فقرك) الذي أنتَ فيه، والكرامة في ذلك تحذير العبد من الدخول في الدنيا ليفعل بها الخير وإرشاده إلى أنّ بقاءه مع فقره أفضل له عند ربه من ذلك، وكان في علم الله تعالى أنّه إذا أخذ الكيس ركنت نفسه إليه ونسي فقره إلى ربه والفقر عند التمكين في الأحوال عزِ من المال لأنّه أصلح له في حاله مع مولاه كما قيل: إذا افتقروا عضوا على الفقر ضنة، وإنْ أيسروا عادوا سريعاً إلى الفقر. (حدثنا محمد بن محمد بن عبد الله الصوفيّ قال:

أدب) أي بحسب سنة المتابعة وإلا فمثله كان تجليه جمالياً فلا لوم عليه بل هو الأفضل من باقي إخوانه كما يأتي ذكره بعد. (قوله: ما لم يعملوه بالقلب والجوارح) أي وكل ذلك زيادة فضل له، وإنْ ثبتت الشهادة لإخوانه. (قوله: سلبناك فقرك) أي ثمرة افتقارك إلينا من فراغ قلبك للشغل بنا عمن سوانا. (قوله: تحذير العبد من الدخول الخ) أي لأنّ الدنيا قد تكون في هذه الحالة من دسائس النفس، والله أعلم. (قوله: لأنّه أصلح له الخ) أي بشاهد قوله جل جلاله: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦، ٧] فالعبد عنها

---

(١) أخرجه الموطأ (قرآن ٢٩).

حدثنا أَحمد بن يوسف الخياط قال: سمعت أبا عليّ الروذباريّ يقول: سمعت أَبا العباس الشرقيّ يقول: كنا مع أبي تراب النخشبيّ في طريق مكة نعدل عن الطريق إلى ناحية فقال له بعض أصحابه:) أي فتى منهم (أنا عطشان فضرب برجله الأَرض فإذا عين من ماء زلال) أي عذب (فقال) له: (الفتى أحب أن أشربه في قدح فضرب بيده إلى الأَرض فناوله قدحاً من زجاج أبيض كأحسن ما رأيت فشرب) منه و(سقانا وما زال القدح معنا إلى مكة فقال لي أبو تراب يوماً ما يقول أصحابك في هذه الأمور التي يكرم الله تعالى بها عباده) وكانوا ينكرونها أولاً أعلم (فقلت) له: (ما رأيت أحداً إلا وهو يؤمن بها فقال: لي: من لم يؤمن بها فقد كفر) لنسبة القدرة الأَزلية إلى العجز عنها (إنما سألتك من طريق الأحوال) أي طريق معرفتك لأحوال (فقلت له: ما أعرف له قولاً فيه) أي في إنكارها (فقال: بلى قد زعم أصحابك أنها) ليست كرامة وإنما هي (خدع من الحق) يوقف معها من أراد فتوره عن الطريق (وليس الأَمر كذلك إنما الخدع) يكون (في حال السكون إليها فأما من لم يقترح ذلك) أي لم يسألها (ولم يساكنها) قلبه (فتلك مرتبة الربانيين) بمعنى أنَّ الرب إذا أوصل عبده إلى هذه الحالة فأي شيء طلبه منه فعله له. (حدثنا محمد بن عبد الله الصوفيُّ قال: أخبرنا أبو الفرج الورثانيّ قال: سمعت محمد بن الحسين الخلديّ بطرسوس قال: سمعت أبا عبد الله بن الجلاء يقول: كنا في غرفة سري السقطيّ ببغداد فلما ذهب من الليل شيء لبس قميصاً نظيفاً وسراويل و) لبس (رداء ونعلاً وقام ليخرج فقلت) له: (إلى أين) تذهب (في هذا الوقت فقال: أعود فتحاً الموصلي فلما مشى في طرقات بغداد أخذه

أَسلم والرب بالحال أعلم. (قوله: فضرب برجله الأَرض الخ) أقول: لعل ذلك لغرض تقوية يقين السائل لما تفرس فيه من قبول الخير، وتأثره بما يراه من نواقض العادة ولهذا أجابه في كل سؤله. (قوله: فقلت له الخ) فيه تنبيه على أنَّه كان شأنه الإعراض عما لا يعنيه شغلاً عنه بما يعنيه. (قوله: وليس الأَمر كذلك) أي على الإِطلاق بل على نحو ما ذكره التفصيل.

تنبيه:

قد دلت هذه الأخبار المنقولة عن الثقات العدول أئمة الدين وسادات المسلمين على وقوع خوارق العادات للأولياء، وليسوا بأنبياء، وإنْ جرى كثير من الخوارق على أيدي الأَنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام كإحياء الموتى والمشي على الماء وعلى الهواء، وطيّ الأرض والإتيان بالطعام من حيث لا يحتسب وجعل البركة في الدراهم التي يصرف منها، ولا تنقص شيئاً واستجابة الدعاء، وغير ذلك مما تضمنته الأخبار، فكيف تنكر وقد روى عبد الله بن أَحمد بن حنبل عن أبيه قال: لا ينكر كرامات الأولياء إلا جهنمي والله أعلم.

العسس) جمع عاس وهو الذي يطوف ليلاً للخيانة (وحبسوه) ظلماً (فلما كان من الغد أمر بضربه مع المحبوسين، فلما رفع الجلاد يده ليضربه وقفت يده) أي يبست (فلم يقدر) على (أن يحركها فقيل للجلاد: إضرب فقال: بحذائي) بجانبي (شيخ واقف يقول لي: لا تضربه) ويشفع فيه (فتقف يدي لا تتحرك فنظروا من الرجل) الشافع فيه (فإذا هو فتح الموصلي فلم يضربوه) انتفع السري ببركة فتح وبنية عيادته وزيارته، وإنْ لم يصل إليه فالعبد إذا صدقت نيته في الزيارة لصالح انتفع في الدنيا والآخرة ولعل المخبر بذلك هو السري.

(أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي) رحمه الله (قال: حدثنا الحرث الخطابي قال: حدثنا محمد بن الفضل قال: حدثنا عليّ بن مسلم قال: حدثنا سعيد بن يحيى البصريّ قال: كان أناس من قريش يجلسون إلى عبد الواحد بن زيد فأتوه يوماً وقالوا) له: (إنا نخاف من الضيقة والحاجة فرفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم إني أسألك بإسمك المرتفع الذي تكرم به من شئت من أوليائك وتلهمه الصفيّ من أحبابك أنْ تأتينا برزق من لدنك) أي عندك الساعة (تقطع به علائق الشيطان من قلوبنا وقلوب أصحابنا هؤلاء) بأنْ لا تجعل له علينا ولا عليهم سبيلاً بالوسوسة في تأخير الرزق وأراد بالإسم الذي دعا به الإسم الأعظم (فأنت الحنان) الذي يقبل على من أعرض عنه (المنان) الذي يبدأ بالنوال قبل السؤال (القديم الإحسان اللهم) ائتنا به (الساعة الساعة قال: فسمعت والله قعقعة للسقف) وفي نسخة فسمعت قعقعة والله للسقف (ثم تناثرت علينا دنانير ودراهم فقال عبد الرحمن بن زيد: استغنوا بالله عن غيره فأخذوا ذلك ولم يأخذ عبد الواحد بن زيد) منه (شيئاً) لأنه قصد الدعاء لهم خاصة، الكرامة في ذلك كون الدنانير والدراهم سقطت عليهم من السقف الذي كانوا تحته إجابةً لدعاء عبد الرحمن، وفي ذلك تنبيه على أنَّ دعاء العبد لغيره وحال ضرورته أقرب للإجابة لبعده عن هوى نفسه. (سمعت أبا عبد الله الشيرازيّ يقول:

(قوله: أخذه العسس الخ) أقول: مثل هذا الامتحان لعل حكمته إرادة زيادة الإحسان لهذا الإنسان رضي الله عنه وعنا به. (قوله: وبنية عيادته) أي ويدل له خبر «نية المرء خير من عمله». (قوله: إنا نخاف من الضيقة والحاجة) أي نخاف ما يترتب على ذلك من عدم الصبر الذي سببه وسوسة الشيطان. (قوله: فرفع رأسه) أي لما علم صدقهم في الالتجاء إلى الحق، فما كان منه إلا أنَّه ساعدهم بالدعاء لأكرم الأكرمين ورب العالمين. (قوله: القديم الإحسان) لعله باعتبار تعلق القدرة الصلوحيّ وإلا فصفة الفعل حادثة. (قوله: أقرب للإجابة) أي حيث صدر بإزاء الضرورة، والله تعالى قد وعد بإجابة المضطر من عباده حيث قال: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢].

سمعت أبا عبد الله محمد بن عليّ الجوزيّ بجند يسابور) لعله إسم مكان (قال: سمعت الكتانيّ يقول: رأيت بعض الصوفية وكان غريباً ما كنت أثبته) أي أعرفه وفي نسخة رأيته (قد تقدم إلى الكعبة وقال: يا رب ما أدري ما يقول هؤلاء: يعني الطائفين فقيل له: انظر ما في هذه الرقعة) فنظرت ما فيها (قال: فطارت الرقعة في الهواء وغابت) بعد أنْ نظرت ما فيها فعرفت أنَّ حاجتي قضيت والكرامة في ذلك تيسير من أعلمه بذلك حالاً وطيران الرقعة مع غيبتها. (وسمعته) أيضاً (يقول: سمعت عبد الرحمن بن بكر الورثانيّ يقول: سمعت محمد بن عليّ بن الحسين المقريّ بطرسوس يقول: سمعت أبا عبد الله بن الجلاء يقول: اشتهيت والدتي على والدي يوماً من الأيام سمكاً فمضى والدي إلى السوق وأنا معه فاشترى) لها (سمكاً ووقف ينتظر من يحمله) له بأجرة (فرأى صبياً وقف بحذائه) بالذال المعجمة أي بجانبه (مع صبي) آخر وهو أنا (فقال: يا عم تريد من يحمله) لك (فقال: نعم فحمله ومشى معنا فسمعنا الأذان) في الطريق (فقال) له (الصبي:) يا عم قد (أذن المؤذن وأحتاج أنْ أتطهر وأصلي فإنْ رضيت) بذلك فذاك (وإلا فاحمل السمك وضع السمك ومرّ) ولم يلتفت إلى ما يحصل له من الأجرة فتطهر وصلى (فقال أبي: فنحن أوْلى أنْ نتوكل) على الله (في السمك) وفي نسخة بالسمك (فدخلنا المسجد وصلينا وجاء الصبي وصلى فلما خرجنا) من المسجد (فإذا بالسمك موضوع مكانه) لم تصبه آفة ولم يأخذه أحد (فحمله الصبي ومضى معنا إلى دارنا فذكر والدي ذلك لوالدتي فقالت) له: (قل له: حتى يقيم عندنا ويأكل معنا) مجازاة له (فقلنا له) ذلك: (فقال: إني صائم فقلنا:) وفي نسخة فقال: (فتعود إلينا بالعشي) بعد أنْ تحمل مرّة ثانية وتفرغ من شغلك وقت الفطر لتأكل معنا من السمك بعد تجهيزه (فقال:) أنا (إذا حملت مرة في اليوم لا أحمل ثانياً ولكني سأدخل المسجد) وأمكث فيه (إلى المساء ثم أدخل عليكم فمضى) إلى المسجد (فلما أمسينا دخل الصبي) علينا (وأكلنا) معه (فلما فرغنا) من الأكل (دللناه على موضع الطهارة ورأينا فيه) أخذاً من كلامه (أنه يؤثر الخلوة فتركناه في بيت) خالٍ (فلما كان في بعض الليل وكان لقريب لنا ابنة زمنة فجاءت) إلينا ليلاً على خلاف عادتها (تمشي فسألناها عن حالها) أي عن سبب قدرتها على المشي (فقالت: قلت يا رب بحرمة ضيفنا) أسألك (أنْ تعافيني فقمت)

(قوله: ما أدري ما يقول هؤلاء: الخ) لعل مراده ما يقولونه وقت مشاهدتهم ما رتبه الحق تعالى لهم بمظهر اسمه المحسن المتفضل، وقوله: فقيل له: انظر ما في هذه الرقعة الخ لعل الذي نظره فيها ما قوي به يقينه من إكرامه مع جملتهم هذا ما ظهر لي والله أعلم بمراد أحبابه ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

أي فعافاني الله في الحال ببركته مع الاضطرار (**قال: فمضينا لنطلب الصبي فإذا الأبواب مغلقة كما كانت ولم نجد الصبي**) لطيرانه في الهواء أو لاختفائه عنا (**فقال أبي: فمنهم**) أي الأولياء (**صغير ومنهم كبير**)، في ذلك كرامات لا تخفى، ودلالة على أنَّ هذا الصبي كان ولياً وأنه كان يأكل من كسبه، وأنَّه إذا حمل مرة لا يحمل ثانية، وأنه لما زهد في أجرته وهان عليه تركها لأجل الصلاة لما أذن المؤذن أثر صدقه في أصحاب السمك حتى تركوه وصلوا معه، والسمك مكانه لم يصبه شيء.

(**سمعت محمد بن الحسين يقول: حدثنا أبو الحرث الخطابي قال: حدثنا محمد بن الفضل قال: حدثنا علي بن مسلم قال: حدثنا سعيد بن يحيى البصريّ قال: أتيت عبد الواحد بن زيد وهو جالس في ظل فقلت له: لو سألت الله تعالى أنْ يوسع عليك الرزق لرجوت أن يفعل**) لك ذلك في هذا الذي قاله: دخول فيما لا يعنيه لكن حسن خلق عبد الواحد حمله على أنْ لا يؤاخذه (**فقال**) له: (**ربي أعلم بمصالح عباده، ثم أخذ حصى من الأرض ثم قال: اللهم إنْ شئت أنْ تجعلها ذهباً، فإذا هي والله في يده ذهب فألقاها إلي**) ليعرفني أنَّ الله على كل شيء قدير (**وقال**) لي: (**أنفقها أنت فلا خير في الدنيا إلا**) أنْ تكون (**للآخرة**) للعون عليها عرفه بذلك أنَّ الغنى حقيقة من استغنى بالله لا بالمال لأنَّ من استغنى به تعالى فعل له ما يحبه، فلهذا صار الحصى في يده ذهباً تصديقاً للمقال بالحال وسلمه إلى سائله لينفعه لفقره وحاجته إليه.

(**سمعت محمد بن عبد الله الصوفيّ يقول: قال لي أستاذي أبو يعقوب السوسي: غسلت مريداً**) من مريدي (**فأمسك إبهامي وهو على المغتسل فقلت**) له: (**يا بني خلِّ يدي أنا أدري**) أي أعلم (**أنك لست بميت**) بمعنى أنَّ روحك تفنَ بل هي باقية كسائر الأرواح لا بمعنى أنَّها لم تفارق جسمك، وإلا لم يجز له تغسيله ودفنه (**وإنما هي**) أي إزالتها من جسمك (**نقلة من دار إلى دار فخلى يدي**) الكرامة فيه إمساك الميت يد

(**قوله: فمنهم صغير ومنهم كبير**) أقول: حيث كان المتفضل على كافة العبيد من لا يسأل عما يفعل، وهو بمصالح الخلق أعلم وأحكم، فلا يقال حينئذ: كبير ولا صغير لأنَّ رب الجميع على كل شيء قدير. (**قوله: لكن حسن خلق الخ**) أي وشيمهم رضي الله تعالى عنهم تحمل الأذى الصادر من غيرهم. (**قوله: غسلت مريداً الخ**) المريد هو الساعي بالصدق المجدّ إلى حضرة الحق أو هو المختطف من الخلق إلى حضرة الحق أو هو من سبقت مجاهدته مكاشفته وعلمه جذبه، وبالعكس المراد، فالمريد محب والمراد محبوب، ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ﴾ [الإسراء: ٢٠] فافهم.

(**قوله: إنَّك لست بميت**) أي من غير كرامة وفعل ناقض للعادة، وقوله: بمعنى أنَّ روحك لم تفنَ فيه أنَّ ذلك غير خاص به كما أشار إليه الشارح.

المغسل له وإرسالها بعد كلامه، وما ذكرته من أنَّ الأرواح لا تفنى هو مذهب أهل الحق، وهي باقية في منازلها في الخير والشر في البرزخ إلى أنْ يعيدها إلى الأجسام يوم القيامة والميت يحيا في قبره للسؤال ويسمع خفق نعال المنصرفين عن قبره، فإنْ كان من السعداء فسح له في قبره سبعون ذراعاً، وإنْ كان من الأشقياء ضيق عليه كالزج في القنا ثم يصيرُ تراباً وروحه باقية كما قلنا، **(وسمعته)** أيضاً **(يقول: سمعت أبا بكر أحمد بن محمد الطرسوسيّ يقول: سمعت إبراهيم بن شيبان يقول: صحبني شاب حسن الإرادة فمات فاشتغل قلبي به جداً وتوليت غسله، فلما أردت غسل يديه بدأت بشماله من الدهشة)** التي حصلت لي بموته **(فأخذها مني وناولني يمينه فقلت)** له: **(صدقت يا بني أنا غلطت)** الكرامة في ذلك ظاهرة، وفيه حفظه للغاسل والمغسول **(وسمعته)** أيضاً **(يقول: سمعت أبا النجم المقريّ البرذعيّ بشيراز يقول: سمعت الرقيّ يقول: سمعت أحمد بن منصور يقول: سمعت أبا يعقوب السوسيّ يقول: جاءني مريد بمكة فقال)** لي: **(يا أُستاذ أنا غداً أموت وقت الظهر فخذ هذا الدينار واحفر لي بنصفه وكفني بنصفه الآخر، ثم لما كان الغد جاء وطاف بالبيت ثم تباعد)** عنه **(ومات فغسلته وكفنته ووضعته في اللحد ففتح عينيه فقلت)** له: **(أحياة بعد موت فقال)** لي: **(أنا حي وكل محب لله تعالى حي)** إذ المحب له تعالى هو من جاهد نفسه في قربه، وهان عليه بذلها لنيل حبه وفيما ذكر كرامات ظاهرة. **(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلميّ يقول: سمعت محمد بن الحسن البغداديّ يقول: سمعت أبا علي بن وصيف المؤدب**

(قوله: لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا﴾) [آل عمران: ١٦٩] أي فهو كلام مستأنف مسوق لبيان أنّ القتل الذي يحذرونه ليس مما يحذر بل هو من أجلّ المطالب التي يتنافس فيها المتنافسون أثر بيان أنَّ الحذر لا يغني ولا يُجدي، والمراد بهم شهداء أُحد وكانوا سبعين رجلاً أربعة من المهاجرين وباقيهم من الأنصار رضوان الله تعالى عنهم أجمعين، والخطاب لرسول الله ﷺ أو لكل أحد ممن له حظ من الخطاب أي ولا تحسبن الذين قتلوا أنفسهم أمواتاً على أنَّ المراد من توجيه النهي تنبيه السامعين على أنهم أحقاء بأنْ يسلوا بذلك ويبشروا بالحياة الأبدية والنعيم المقيم، وذلك عند ابتداء القتل إذ بعده يتبين حالهم لهم، وقوله: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ أي بل هم أحياء وقرىء بالنصب أي بل أحسبهم أحياء على أنَّ الحسبان بمعنى اليقين، وقوله: ﴿يُرْزَقُونَ﴾ أي في الجنة تأكيد لكونهم أحياء، رُوي أنَّ الأرواح ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتسرح في الجنة حيث شاءت، وفي ذلك دلالة على أنّ روح الإنسان جسم لطيف لا يفنى بخراب البدن، ولا يتوقف على البدن إدراكه وتلذذه.

(قوله: وفيما ذكر كرامات) أي حاصلة بإخباره عن وقت موته، وفتح عينيه وكلامه

يقول: تكلم سهل بن عبد الله يوماً في الذكر فقال: إنّ الذاكر لله على الحقيقة لو هم أنْ يحيي الموتى لفعل ومسح يده على عليل بين يديه فبرىء وقام) الكرامة فيه إبراء الأسقام والآلام وأنّ الولي لو أراد إحياء الموتى لكان وقد صح إحياؤهم في قصة الذي مات حماره في الجهاد وأحياه الله له بدعائه الله قال الراوي: ولقد رأيته يباع في السوق بعد ذلك. (سمعت أبا عبد الله الشيرازيّ يقول: أخبرني عليّ بن إبراهيم بن أحمد قال: حدثنا عثمان بن أحمد قال: حدثنا الحسين بن عمر قال: سمعت بشر بن الحرث يقول: كان عمرو بن عتبة يصلي والغمام فوق رأسه) يظله (والسباع حوله تحرك أذنابها)، الكرامة في تظليل الغمام له، وحراسة السباع له، وتحريكها أذنابها، أنساً به فضلاً عن أنْ تؤذيه، وكونه لا يخافها (وسمعته) أيضاً (يقول: سمعت أبا عبد الله بن مفلح يقول: سمعت المغازلي يقول: سمعت الجنيد يقول: كانت معي أربعة دراهم فدخلت على السريّ) السقطي (وقلت) له: (هذه أربعة دراهم حملتها إليك فقال) لي: (أبشر يا غلام بأنك تفلح) فقد (كنت أحتاج) أي محتاجاً (إلى أربعة دراهم فقلت: اللهم ابعثها) لي (على يد من يفلح عندك)، فيه دلالة على كرامة الولي في استجابة دعائه في الحال وشهادته للجنيد بأنّه يفلح وقد أفلح، (وسمعته) أيضاً (يقول: حدثني إبراهيم بن أحمد الطبري قالّ حدثنا أحمد بن يوسف قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم بن يحيى قال: حدثني أبي قال: حدثني أبو إبراهيم اليمانيّ قال: خرجنا نسير على ساحل البحر مع إبراهيم بن أدهم فانتهينا إلى غيضة) أي أشجار من قصب (فيها حطب يابس كثير، وبالقرب منه حصن فقلنا لإبراهيم بن أدهم: لو أقمنا الليلة ههنا وأوقدنا من هذا الحطب فقال) لنا: (افعلوا فطلبنا النار من الحصن وأوقدنا) ها بالحطب (وكان معنا الخبز فأخرجنا) ه (نأكل فقال واحد منا: ما أحسن هذا الجمر) الذي حصل من الحطب الموقود (ولو كان لنا لحم نشويه عليه فقال إبراهيم بن أدهم: إنّ الله تعالى لقادر على أنْ يطعمكموه قال: فبينا نحن كذلك إذا بأسدٍ يطرد أيلاً) بفتح الهمزة وكسرها وتشديد الياء الذكر من الأوعال قاله الجوهريّ: (فلما قرب منا وقع فاندقت عنقه) ولم يصل إلى حركة المذبوح وفي نسخة ومدّ عنقه (فقام إبراهيم بن

بعد تحقق موته. (قوله: ومسح يده الخ) هذه الكرامة جارية على قدم عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام. (قوله: لكان) أي لأنَّ ذلك من جملة الممكنات التي هي تحت قبض قدرته تعالى.

(قوله: يصلي والغمام فوق رأسه) أي فكان على قدم محمدي وطريق أحمدي رضي الله عنه.

(قوله: ولم يصل إلى حركة المذبوح) أي بل كان فيه حياة مستقرة وإلا لما حل

أدهم وقال: اذبحوه فقد أطعمكم الله تعالى فذبحناه وشوينا من لحمه، والأسد واقف ينظر إلينا) الكرامة في ذلك أنهم لما تمنوا من الله أنْ يأتيهم بلحم يشوونه ويأكلونه أتاهم الله تعالى به على الوجه المذكور. (سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا القاسم عبد الله بن عليّ الشجريّ يقول: سمعت حامداً الأسود يقول: كنت مع إبراهيم الخوّاص في البادية سبعة أيام على حالة واحدة) لم نطعم فيها شيئاً (فلما كان اليوم السابع ضعفت فجلست فالتفت إليّ وقال لي: ما لك فقلت: ضعفت فقال) لي: (أيما أغلب عليك) وفي نسخة أحب إليك (الماء أو الطعام فقلت، الماء فقال) لي: (الماء وراءك فالتفت فإذا عين ماء كاللبن الحليب فشربت وتطهرت) منه (وإبراهيم ينظر) إليّ (ولم يقربه فلما أردت القيام هممت أنْ أحمل منه) شيئاً (فقال) لي: أمسك يدك عنه (فإنّه ليس مما يتزوّد منه) الكرامة فيه خروج الماء ببركة الخوّاص لكنه تستره فإنّه لم يدع ولم يضرب برجله الأرض وإنما دعا في نفسه ثم قال لحامد، الماء وراءك وفي آخر كلامه إشارة إلى أنَّ هذا الماء ليس من ماء الدنيا. (سمعت أبا عبد الله بن عبد الله يقول: سمعت أبا عبد الله الدباس البغداديّ يقول: سمعت فاطمة أُخت أبي عليّ الروذباريّ تقول: سمعت زيتونة خادمة أبي الحسين النوريّ وكانت تخدمه وخدمت أبا حمزة والجنيد قالت: كان) أي وجد (يوماً باردة فقلت للنوريّ: أحمل إليك شيئاً فقال: نعم فقلت) له: (إيش تريد) أنْ أحمل لك (فقال) لي: مرادي (خبز ولبن) لو قال: خبزاً ولبناً كان أولى (فحملت) له ذلك (وكان بين يديه فحم وكان يقلبها بيده وقد اشتغلت يده) بسواد الفحم (فأخذ يأكل الخبز واللبن يسيل على يده وعليها مواد الفحم فقلت في نفسي: ما أقذر أولياءك يا رب ما فيهم أحد نظيف قالت: فخرجت من عنده فتعلقت بي امرأة وقالت) لي: (سرقت لي رزمة ثياب) وجمعت عليّ جماعة (وجروني إلى الشرطي فأخبر النوريّ بذلك فخرج وقال للشرطيّ: لا تتعرضوا إليها فإنّها ولية من أولياء الله تعالى فقال) له (الشرطي: كيف أصنع والمرأة تدعي) عليها (قال: فجاءت جارية ومعها الرزمة المطلوبة فاسترد النوريّ المرأة وقال لها: تقولين بعد هذا ما أقذر أولياءك قالت: فقلت قد تبت) إلى الله تعالى، في ذلك كرامة لها وله أما لها فتعجيل أدبها في الدنيا على ما قالت: وأما له فمكاشفة

أكله لكونه ميتة. (قوله: ليس من ماء الدنيا) أي فوجوده من نواقض العادة كرامة له.

(قوله: لو قال خبزاً ولبناً الخ) أي بنصبه بفعل محذوف فيكون أنص على مراده منه بخلافه على الرفع.

(قوله: فتعجيل أدبها الخ) أي ويشهد له خبر «إذا أحب الله عبداً عجل له العقوبة

لما قالت. (سمعت محمد بن عبد الله الشيرازيّ يقول: سمعت محمد بن فارس الفارسيّ يقول: سمعت أبا الحسن خير النساج يقول: سمعت الخوّاص يقول: عطشت في بعض أسفاري وسقطت من العطش فإذا أنا بماء رش على وجهي ففتحت عيني فإذا) أنا (برجل حسن الوجه راكب دابة شهباء فسقاني الماء وقال) لي: (كن رديفي) فكنت رديفه (وكنت بالحجاز فما لبثت إلا يسيراً فقال لي) الرجل: (ما ترى فقلت: أرى المدينة فقال: انزل) وادخلها (وأقرىء رسول الله ﷺ مني السلام وقل) له: (أخوك الخضر يقرئك السلام) في ذلك كرامات منها تخليص الخوّاص من شدة عطشه ببركة الخضر وإردافه وإكرامه له وطي الأرض، وفيه إشارة إلى أنَّ الخضر نبي وهو ما جزم به ابن الصلاح وأقره عليه النوويّ ورجحه الجمهور، وقيل: إنَّه ولي. (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلميّ يقول: سمعت محمد بن الحسن البغدادي يقول: قال أبو الحديد: سمعت المظفر الجصاص يقول: كنت أنا ونصر الخرّاط ليلة في موضع فتذاكرنا شيئاً من العلم فقال الخرّاط: إنّ الذاكر لله تعالى فائدته في أوّل ذكره أنْ يعلم أنَّ الله تعالى ذكره فيذكر الله) له (ذكره) وهو (قال: فخالفته) في ذلك (فقالوا: لو كان الخضر عليه السلام ههنا لشهد) لي (بصحته قال: فإذا نحن بشيخ يجيء بين السماء والأرض) طائراً في الهواء (حتى بلغ إلينا وسلم) علينا (وقال: صدق) الخرّاط (الذاكر لله تعالى بفضل ذكر الله له ذكره) هو (فعلمنا) بذلك (أنَّه الخضر) وبذلك علم أنَّ الخرّاط أعلم ممن خالفه وبما قاله مع قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢] يعلم أنَّه تعالى يذكر قبله الذاكر قبل ذكره وبعده يذكره قبله بأقداره له عليه، وبعده بإيصال فضله ورحمته إليه (سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق رحمه الله يقول: جاء رجل إلى سهل بن عبد الله وقال: إنَّ الناس يقولون: إنك تمشي على الماء فقال) ستراً لحاله: (سل مؤذن المحلة فإنَّه رجل صالح لا يكذب قال: فسألته فقال له المؤذن: لا أدري هذا ولكنه كان في بعض هذه الأيام نزل الحوض ليتطهر) فزلق (فوقع في الماء فلو لم أكن أنا) هناك (لبقي فيه قال الأستاذ أبو عليّ: إنَّ سهلاً كان بتلك الحال الذي وصف به) من أنَّه يمشي على الماء (ولكن الله تعالى يريد أنْ يستر أولياءه فأجرى ما وقع من حديث المؤذن والحوض ستراً لحال سهل، وسهل كان صاحب الكرامات، وفي قريب من هذا المعنى) أي من ستر الولي حاله (ما حُكي عن أبي عثمان المغربي) وقد (رأيته بخط أبي الحسين الجرجانيّ رضي الله عنه قال: أردت مرة أنْ أمضي)

في الدنيا». (قوله: وفيه إشارة الخ) لعلها في قوله: وقل له: أخوك الخضر الخ. (قوله: وبما قاله) أي الخضر مع قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢] فذكر الحق قبل

وأعدي (إلى مصر) لحاجة لي (فخطر لي أنْ أركب السفينة ثم خطر ببالي أني أعرف هناك فخفت الشهرة) فتركت الركوب (فمر المركب فبدا لي) أنْ أَمضي إليها (للعادة أو غير ناقض) لها (فمشيت على الماء ولحقت بالمركب ودخلت السفينة، والناس ينظرون ولم يقل أحد) منهم: (إنَّ هذ ناقض) أي خارق (للعادة أو غير ناقض) لها (فعرفت أنَّ الولي مستور إنْ كان مشهوراً) وذلك من فضل الله وكرمه، (ومما شاهدنا من أحوال الأُستاذ أبي عليّ الدقاق رحمه الله معاينة أنَّه كانت به علة حزق البول وكان يقوم في ساعة غير مرة حتى كان يجدد الوضوء غير مرة لركعتي فرض، وكان يحمل معه قارورة في طريق المجلس) أي مجلس التكلم والوعظ (وربما كان يحتاج إليها في الطريق مرات ذاهباً وجائياً، وكان إذا قعد على رأس الكرسي يتكلم لا يحتاج إلى الطهارة ولو امتد به المجلس زماناً طويلاً، وكنا نعاين ذلك منه سنين، ولم يقع لنا في حياته أنَّه هذا شيء ناقض للعادة، وإنما وقع لي هذا وفتح عليَّ علمه بعد وفاته، وفي قريب من هذا ما يُحكى عن سهل بن عبد الله أنَّه كان قد أصابته زمانة في آخر عمره، فكان ترد عليه القوة في أوقات الفرض فيصلي قائماً، ومن المشهور أنَّ عبد الله الوزان كان مقعداً، وكان في السماع إذا ظهر به وجد يقوم) ويستمع في كل من هذه الحكايات الثلاث كرامة وعون لصاحبها على مطلوبه، ودلالة على صدقه في طاعة الله. (سمعت محمد بن عبد الله الصوفيّ يقول: حدثنا إبراهيم بن محمد المالكيّ قال: حدثنا يوسف بن أحمد البغداديّ قال: حدثنا أحمد بن أبي الحواريّ قال: حججت أنا وأبو سليمان فبينا نحن نسير إذ سقطت السطيحة) أي القربة (مني فقلت لأبي سليمان: فقدت السطيحة وبقينا بلا ماء وكان) إذ ذاك (برد شديد فقال أبو سليمان: يا راد الضالة ويا هادي من الضلالة اردد علينا الضالة فإذا واحد ينادي من ذهبت له سطيحة قال: فقلت: أنا فأخذتها) منه هذه كرامة إجابة دعاء أبي سليمان (فبينا نحن نسير وقد تدرعنا بالفراء من شدة البرد فإذا نحن بإنسان عليه طمران) أي ثوبان خلقان (وهو يترشح عرقاً) هذه كرامة له حيث لا يبالي بحر ولا برد لكمال شغله بربه (فقال) له (أبو سليمان: تعال حتى ندفع إليك شيئاً مما علينا من الثياب فقال: يا أبا سليمان أتشير إلى الزهد و) أنت (تجد البرد أنا أسيح في هذه البرية منذ ثلاثين سنة ما انتفضت ولا ارتعدت) من البرد بل (يلبسني) الله (في البرد فيحاً) أي

الذكر، وبعده بالإقدار للعبد وإيصال الفضل إليه. (**قوله: ولم يقل أحد الخ**) أي فيعلم منه أنَّ الحق قد يمنع وليه عن أسباب الشهرة بدون كسب منه. (**قوله: لا يحتاج إلى الطهارة الخ**) أي لطفاً به وحفظاً لوظائفه عن الضياع. (**قوله: يلبسني الله الخ**) محصله أنَّه يجد

ريحاً (من محبته ويلبسني في الصيف مذاق برد محبته ومر) إلى حال سبيله والحر والبرد عارضان على الأجسام إذا أراد الله أنْ يخلقهما خلقهما، وإذا أراد أنْ يصرفهما صرفهما، وقد يتعوّد جسم إنسان بلبس قميص واحد فيستوي حاله في الحر والبرد والله لطيف بمن يشاء، فيما يشاء (وسمعته) أيضاً (يقول: سمعت أبا بكر محمد بن عليّ البكريّ يقول: سمعت محمد بن عبد الله الكتانيّ بمكة يقول: سمعت الخوّاص يقول: كنت في البادية مرة فسرت في وسط النهار فوصلت إلى شجرة وبالقرب منها ماء فنزلت فإذا أنا بسبع عظيم) قد (أقبل) علي (فاستسلمت) أي انقدت له (فلما قرب مني إذا هو يعرّج فحمحم) أي صوت لطلب ما ينفعه يقال: حمحم الفرس إذا صوّت لطلب علفه (وبرك بين يدي ووضع يده في حجري) كأنه يشتكي ما به (فنظرت فإذا يده منتفخة فيها قيح ودم فأخذت خشبة وشققت الموضع الذي فيه القيح) وأخرجته منه (وشددت على يده خرقة) فوجد بذلك راحة (فمضى فإذا أنا به بعد ساعة ومعه شبلان) بكسر المعجمة وإسكان الموحدة أي ولدان له كأنّه أتى بهما إليه ليرجو لهما البركة منه قال: (فبصبصا) أي حركا ذنبهما (لي وحملا إلي رغيفاً) وفي نسخة رغيفين مجازاة لما فعلت مع أبيهما، وفي ذلك دلالة على أنّ الحيوانات العجم تعرف المصالح والمفاسد ومن يكرمها ومن يؤذيها، إلا أنها غير مكلفة، وهذا الرغيف يمكن أنه سقط من بعض الناس أو أنّه أتى به ولي أو أنّ الله أنشأ كل ذلك عبرة للخواص وآية لربه في أفعاله، (وسمعته) أيضاً (يقول: حدثنا أحمد بن عليّ السائح قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن مطرف قال: حدثنا محمد بن الحسن العسقلانيّ قال: حدثنا أحمد بن أبي الحواريّ قال: اشتكى) أي مرض (محمد بن السماك فأخذنا ماءه) يعنون بوله (وانطلقنا به إلى طبيب نصراني فبينما نحن نسير بين الحيرة والكوفة استقبلنا رجل حسن الوجه طيب الرائحة نقي الثوب) هو الخضر كما سيأتي (فقال لنا: إلى أين تمرون فقلنا: نريد فلاناً الطبيب نريه ماء ابن السماك فقال) لنا: (سبحان الله تستعينون على) شفاء (ولي الله بعدوّ الله اضربوا به الأرض وارجعوا إلى ابن السماك وقولوا له: ضع يدك على موضع الوجع، وقل: وبالحق أنزلناه وبالحق نزل، ثم غاب عنا فلم نره فرجعنا إلى ابن السماك فأخبرناه بذلك فوضع يده على موضع الوجع وقال: ما قاله الرجل) له: (فعوفي في

بعوراض محبته لله تعالى ما يشغله عن البرد والحرّ بتدبير إلهي فلا يتأثر بغير ما هو بصدده لطفاً به وفضلاً وحفظاً لوقته. (قوله: وقد يتعود الخ) هو مشاهد محسوس. (قوله: وفي ذلك دلالة على أنّ الحيوانات الخ) أقول: غير بعيد حيث هو من الممكن. (قوله: استقبلنا رجل الخ) ذلك من التسخير الإلهي إكراماً للمريض ولطفاً به.

(قوله: في ذلك دلالة على أنّ العبد الخ) أي لما يلزم من مراعاة الأهم فالأهم

الوقت وقال: كان ذلك الخضر عليه السلام)، في ذلك دلالة على أنَّ العبد ينبغي له أنْ يتداوى أولاً بما ذكر الله ونبيه فيه الشفاء كما قال الله تعالى: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النحل: ٦٩] وقال النبيّ ﷺ: «شفاء أمتي ثلاث: آية من كتاب الله أو رمقة من عسل أو شرطة من حجام» وفيه أيضاً أنَّه تعالى لم يرض لحبيبه أنْ يتداوى بعدوه والكرامة فيه ظهور الخضر لمن رآه أنَّه حي واستجابة دعاء ابن السماك في الحال. (سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت عبد الرحمن بن محمد الصوفي يقول: سمعت عمي البسطاميّ يقول: كنا قعوداً في مجلس أبي يزيد) البسطامي عنده (فقال) أبو يزيد مكاشفة: (قوموا نستقبل ولياً من أولياء الله تعالى فقمنا معه فلما بلغنا الدرب فإذا إبراهيم بن شيبة الهرويّ فقال له أبو يزيد: وقع في خاطري أنْ أستقبلك وأشفع لك إلى ربك) يعني أستغفر لك في إظهارأنَّه كاشفه وأنَّه أهل لأنْ ينال الله فيه ويشفع له (فقال) له (إبراهيم بن شيبة:) وما الذي حصل له بذلك (ولو شفعت في جميع الخلق لم يكن بكثير) أي عظيم (إنما هم قطعة طين فتحير أبو يزيد من جوابه وكرامة إبراهيم في استصغار ذلك) الذي أظهره له أبو يزيد بالنسبة إليه (أتم من كرامة أبي يزيد فيما حصل له من الفراسة و) فيما (صدق له من الحال في باب الشفاعة) والاستغفار، ولا يخفى أنَّ الشفاعة في جميع الخلق خاصة بنبينا ﷺ وعلى هذا فكرامة أبي يزيد أتم. (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلميّ يقول: سمعت أبا بكر الرازيّ يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون المصريّ يقول: وقد سأله سالم المغربيّ عن أصل توبته فقال: خرجت من مصر إلى بعض القرى فنمت في الطريق فانتبهت وفتحت عيني فإذا أنا بقنبرة) بضم القاف وفتح الباء(عمياء سقطت من شجرة على الأرض فانشقت الأرض فخرج منه سكرجتان إحداهما من ذهب والأخرى من فضة، وفي إحداهما سمسم وفي الأخرى ماء ورد فأكلت من هذه وشربت من هذه) رزقها الله ذلك مع أنها لا تستطيع حيلة في الرزق (فقلت: حسبي) أي كفاني ذلك قد (تبت ولزمت الباب إلى أن قبلني) ربي، أطلعه ربه على هذه الخوارق تقوية ليقينه وتوكله، وكمالاً لشغله بربه وإعراضاً عما سواه (وقيل: أصاب عبد الواحد بن زيد فالج فدخل وقت الصلاة واحتاج إلى الوضوء فقال: من ههنا؟ فلم يجبه أحد فخاف فوت الوقت فقال: يا

والأفضل فالأفضل كما هو واضح. (قوله: وكرامة إبراهيم في استصغار ذلك) أي حيث نظر إلى سعة رحمة ربه وفضله وأنَّ العباد بما يقترحون لا شيء بالنسبة لذلك الفضل والكرم، وذلك من قوّة الرجاء في جانب الحق تعالى. (قوله: فكرامة أبي يزيد أتم) أي لأنَّها من النفس المحمديّ والقدم الأحمديّ.

(قوله: يقول وقد سأله سالم الخ) تقدمت هذه القصة وإنما أُعيدت تأكيداً ولمناسبة

رب أحللني من وثاقي حتى أقضي طهارتي ثم شأنك وأمرك) وفي نسخة بأمرك (قال: فصح) من فالجه (حتى أكمل طهارته ثم عاد إلى فراشه وصار كما كان). الكرامة فيه ظاهرة. (وقال أبو أيوب الحمال: كان أبو عبد الله الديلمي إذا نزل منزلاً في سفر عمد إلى حماره، وقال في أذنه: كنت أريد أنْ أشدك فالآن لا أشدك وأرسلك في هذه الصحراء لتأكل الكلأ، فإذا أردنا الرحيل فتعال فإذا كان وقت الرحيل يأتيه الحمار) كما قال له في أذنه فيه كرامات له ظاهرة ودلالات على صدق همته وتعلق قلبه بمولاه في إصلاح دابته ورفع الشغل عن قلبه بتكليف مؤنته. (وقيل: زوج أبو عبد الله الديلمي ابنته واحتاج إلى ما يجهزها به، وكان له) من نسيجة كل وقت من أوقاته المعتادة له (ثوب يخرج به كل وقت) من تلك الأوقات (فيشتري) منه (بدينار فخرج له) من نسيجة عند إرادة تجهيز ابنته (ثوب فقال له البياع) أي السمسار لمريدي الشراء وفي نسخة البائع (إنّه يساوي أكثر من دينار فلم يزل) الأولى يزالوا (يزيدون في ثمنه حتى بلغ مائة دينار) بارك الله له في ثمنه عوناً له على مراده الديني (فجهزها) بها، (وقال النضر بن شميل: ابتعت إزاراً) لأتزر به (فوجدته قصيراً فسألت ربي أنْ يمغط) بالغين المعجمة (لي ذراعاً ففعل أي) سألته أنْ (يمد) لي ذراعاً فمده لي والمغط مأخوذ (من مغط القوس، وهو مده قال النضر بن شميل: ولو استزدته) في المد على ذراع (لزادني) هذا من زيادة البركة في الإجرام وما قبله من زيادتها في الأثمان، وذلك كله من خوارق العادات يكرم الله به أولياءه عند الحاجات. (وقيل: كان عامر بن عبد القيس سأل أنْ يهون الله عليه طهوره) أي ما يتطهر به من الماء (في الشتاء) فأجابه الله (فكان يؤتى به وله بخار) من سخونته بغير تسخين بنار (وسأل ربه أنْ ينزع شهوة النساء من قلبه) فأجابه (فكان) بعد ذلك (لا يبالي بهن) أي لا يميل إليهن (وسأله أنْ يمنع الشيطان) أي وسوسته (من قلبه، وهو في صلاته فلم يجبه إليه) أجابه إلى الأولين عوناً له على طاعته، ومنعه الثالث لأنّه أخبر أنّ الشيطان يوسوس في صدور الناس غير أنّه حفظ عباده من وسوسته بأنْ لا يقبلوها فقال: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢] أي سلطان القبول

المقام. (قوله: الكرامة فيه ظاهرة) أي وهي إجابته في طلبته حفظاً لوقته. (قوله: فيه كرامات) أي حيث أكرمه الحق تعالى بكفاية مؤنة الحمار وحفظه له وردّه عليه في وقت حاجته إليه، وربك على كل شيء قدير.

(قوله: بارك الله له الخ) أي وذلك لحسن قصده ومشروعية سعيه وحكم الضدّ بالضد. (قوله: ولو استزدته الخ) أقول: غير بعيد حيث وقع مدّ الخشب وإلانة الحديد فكل ممكن في قبضة قدرة الحق تعالى. (قوله: لأنّه أخبر الخ) أي وخبره لا يتخلف

(**وقال بشر بن الحرث: دخلت الدار فإذا أنا برجل فقلت: من أنتَ**) حتى (**دخلت داري بغير إذني فقال:**) أنا (**أخوك الخضر فقلت**) له: (**إدع الله لي فقال**) لي: (**هو الله عليك طاعته فقلت**) له: (**زدني فقال: وسترها عليك**) خشية من الرياء في إظهارها. (**وقال إبراهيم الخواص: دخلت خربة في بعض الأسفار في طريق مكة بالليل فإذا فيها سبع عظيم فخفت**) منه (**فهتف بي هاتف إثبت**) ولا تخف (**فإنَّ حولك سبعين ألف ملك يحفظونك**) فيه دلالة على أنَّ الله تعالى يحفظ أولياءه بصرف الشر عنهم وبملائكة يحرسونهم. (**أخبرنا محمد بن الحسين قال: أخبرنا أبو الفرج الورثاني قال: سمعت أبا الحسن عليّ بن محمد الصيرفي يقول: سمعت جعفر الدبيليّ يقول: دخل النوريّ الماء**) ليتطهر وترك ثيابه خارج الماء (**فجاء لص فأخذ ثيابه ثم أنَّه**) بعد أنْ مشى بها (**جاء ومعه الثياب ووضعها مكانها وقد جفت يده**) أي يبست وتفطن بسبب يبسها الذي هو سبب لمجيئه بالثياب (**فقال النوريّ**) مكاشفاً له: بما أصابه يا رب (**قد ردّ علينا**) اللص (**الثياب فرد عليه يده فعوفي**) بردها، (**وقال الشبليّ اعتقدت وقتاً**) أي عزمت في وقت على (**أنْ لا آكل إلا من الحلال فكنت أدور في البراري فرأيت شجرة تين فمددت يدي إليها لآكل**) منها لظني أنَّها لا مالك لها (**فنادتني الشجرة إحفظ**) عليك (**عقدك**) أي عزمك (**لا تأكل مني فإني ليهودي**) وهو لا يحبك لعداوة الدين بينك وبينه، فلا يحب إكرامك بالأكل من ماله، وفي ذلك زيادة ورع فإنَّه لو أكل ولم يعلم الحال لم يأثم، (**وقال أبو عبد الله بن خفيف دخلت بغداد قاصداً إلى**) مكة لأجل (**الحج وفي نفسي نخوة الصوفية**) أي كبرهم وعظمتهم على غيرهم وقدرتهم على وصال الصوم (**و**) لهذا (**لم آكل الخبز أربعين يوماً ولم أدخل على الجنيد**) أي لم أزره (**وخرجت ولم أشرب الماء إلى**) أنْ وصلت إلى (**زبالة**) بضم الزاي موضع (**وكنت**) في هذه المدة (**على طهارتي فرأيت**) في طريقي (**ظبياً على رأس البئر وهو يشرب**) من مائها (**وكنت عطشاناً فلما دنوت من**) وفي نسخة إلى (**البئر ولى الظبي**)

فلعله وقت الطلب غفل عن ذلك وإلا لما صدر منه طلبه. (**قوله: فقال: وسترها عليك الخ**) أي ستر عنك استحسانها ورؤية خيرها خشية من الوقوف مع ذلك الذي هو رياء العارفين بالله تعالى.

(**قوله: يحفظ أولياءه**) أي زيادة عن غيرهم وإلا فحفظه تعالى شامل لكافة خلقه، وإلا لما استقاموا لحظة على صفة الوجود. (**قوله: فقال النوريّ الخ**) أي قاله: رحمة باللص لأنَّه تقدم أنَّ من جملة أمارات الولي عموم رحمته وشفقته وتحمله الأذى.

(**قوله: وهو لا يحبك الخ**) أي وطعام من لا يحبك يضرك بشهادة خبر: «طعام

نافراً وإذا الماء) صار (في أسفله) الأولى أسفلها أي البئر فمشيت في الطريق (وقلت: يا سيدي ما لي) عندك (محل هذا الظبي) أي منزلته في أنْ أشرب الماء من أعلى البئر كما شرب هو وفي هذا إدلال والتفات إلى رؤية مقام، (فسمعت هاتفاً من خلفي) يقول: (جربناك) بذلك (فما صبرت) بل طلبت (ارجع) إلى ما طلبته (وخذ الماء فرجعت فإذا البئر ملأى ماء فملأت ركوتي وكنت أشرب منه وأتطهر) منه (إلى) أنْ وصلت إلى (المدينة) الشريفة (ولم ينفد) أي الماء أي لم يفرغ (ولما استقيت) من البئر وملأت ركوتي منها ووقع في سري الظبي شرب بلا ركوة ولا حبل وأنت إنما تشرب بهما (سمعت هاتفاً يقول: إنّ الظبي جاء بلا ركوة ولا حبل وأنت جئت مع الحبل والركوة، فلما رجعت من الحج دخلت الجامع) ببغداد ومضيت إلى الجنيد (فلما وقع بصر الجنيد علي قال) مكاشفاً لي بما جرى لي مع الظبي: (لو صبرت) ولم تطلب ما فعله الله مع الظبي (لنبع الماء من تحت رجلك) وفي نسخة رجليك (لو صبرت صبر ساعة صبر ساعة) نبع الماء من تحت رجلك هو تأكيد لما قبله وفي نسخة صبر ساعة بلا تكرار، ولو يحتمل أنْ تكون شرطية كما تقدم وأنْ تكون للتمني، فلا يحتاج إلى جواب. (سمعت حمزة بن يوسف السهمي الجرجاني يقول: سمعت أبا أحمد بن علي الحافظ يقول: سمعت أحمد بن حمزة بمصر يقول: حدثني عبد الوهاب وكان من الصالحين قال: قال محمد بن سعيد البصري: بينا أنا أمشي في بعض طرق البصرة إذ رأيت أعرابياً يسوق جملاً) فوقه رحل وقتب (فالتفت فإذا الجمل وقع ميتاً ووقع الرحل والقتب) اللذان فوقه (فمشيت ثم التفت، فإذا الأعرابي يقول: يا مسبب كل سبب ويا مولي) وفي نسخة ويا مأمول (من طلب رد عليَّ ما ذهب من جمل يحمل الرحل والقتب، وإذا الجمل قائم والرحل والقتب فوقه) هذه كرامة إحياء الموتى (وقيل: إنّ شبلاً المروزي اشتهى) يوماً (لحماً فأخذه بنصف درهم فاستلبته منه حدأة) بوزن عنبة (فدخل شبل مسجداً يصلي) فيه (فلما رجع إلى منزله قدمت امرأته إليه لحماً فقال) لها: (من أين هذا) اللحم (فقالت له: تنازعت

اللئيم داء وطعام الكريم شفاء». (قوله: وفي هذا إدلال الخ) أي لأنّه في وقت ذاك كان تجليه الجمال وإلا لدام على أدب الكمال. (قوله: وأنت إنما تشرب بهما) ليس المراد ذم الأخذ بالأسباب حيث هو لازم بل ذم التعلق بها والسكون إليها. (قوله: هذه كرامة إحياء الموتى) أي على طريق القدم العيسويّ لتأكيد جامعية سيد الكل لما تفرق في خواص العباد من أنواع الكرامات ونواقض العادات.

(قوله: الحمد لله الذي لم ينس شبلاً) أي لم يتركه محتاجاً وإنْ كان شبل ينساه أي يغفل عنه بعروض ما يجوز في حقه. (قوله: الكرامة فيه إحياء الميت) أي وعلمه أنّ

حدأتان فسقط هذا منهما) في دارنا ووصفته له فعرف أنّه لحمه وأنّ الحدأة لما أخذته رأته حدأة أُخرى فنازعتها فسقط اللحم منهما، إذ لو لم يعرف أنّه لحمه لوجب تعريفه لكونه لقطة (فقال: الحمد لله الذي لم ينسَ شبلاً وإنْ كان شبل كثيراً ينساه) الكرامة فيه من حيث أنَّ الله حفظ عليه قوته وقوت عياله عند الحاجة إليه. (أخبرنا محمد بن عبد الله الصوفي قال: حدثنا عبد الواحد بن بكر الورثاني قال: سمعت محمد بن داود يقول: سمعت أبا بكر بن معمر يقول: سمعت ابن أبي عبيد البسري يحدث عن أبيه أنّه غزا سنة من السنين فخرج في السرية فمات المهر الذي كان تحته وهو في السرية فقال: يا رب أعرناه إلى بسري يعني قريته فإذا المهر) قد (قام فلما غزا ورجع إلى بسري قال) لابنه: (يا بني خذ السرج عن المهر فقلت له: إنّه) قد (عرق فإنْ أخذت السرج عنه داخله الريح فقال) له: (يا بني إنّه عارية قال: فلما أخذت السرج عنه وقع المهر ميتاً) الكرامة فيه إحياء الميت بالدعاء الصادق عند الضرورة، (وقيل: كان بعضهم نباشاً) للقبور (فتوفيت امرأة فصلى الناس عليها وصلى) عليها (هذا النباش ليعرف القبر) فيأخذ كفن صاحبه (فلما جن عليه الليل) أي أظلم (نبش قبرها) ليأخذ كفنها (فقالت) له تعجباً: (سبحان الله رجل مغفور له يأخذ كفن مغفورة) أي مغفور لها (قال: هبي أنك مغفور لك فأنا) مغفور لي (من أين فقالت) لي: (إنّ الله غفر لي ولجميع من صلى عليّ وأنتَ قد صليت عليّ فتركتها ورددت التراب عليها ثم تاب الرجل وحسنت توبته) هذه كرامة سماع كلام الميت في قبره، وهي كرامة للنباش لأنّها سبب توبته وسلامته مما قصده. (سمعت حمزة بن يوسف يقول: سمعت أبا الحسن إسماعيل بن عمرو بن كامل بمصر يقول: سمعت أبا محمد نعمان بن موسى الحيريّ بالحيرة يقول: رأيت ذا النون المصريّ وقد تقاتل اثنان أحدهما) جندي (من أولياء السلطان والآخر من الرعية فعدا الذي من الرعية عليه فكسر ثنيته فتعلق الجندي بالرجل) الذي من الرعية (وقال: بيني وبينك الأمير فجازوا بذي النون فقال لهم الناس اصعدوا إلى الشيخ) ذي النون (فصعدوا إليه فعرفوه ما جرى فأخذ السن ثم بلها بريقه وردها إلى فم الرجل في الموضع الذي كانت فيه وحرك شفتيه) بالدعاء بثباتها (فتعلقت) وثبتت (بإذن الله فبقي الرجل يفتش فاه فلم يجد) هو ولا من حضره (الأسنان إلا سواء) صرف الله السوء عنهما جميعاً ببركة الشيخ وحسن دعائه وكمال همته. (أخبرنا أبو الحسين محمد بن الحسين القطان ببغداد قال: حدثنا أبو

حياته إنما تكون إلى أنْ يصل بسري عني موافقة ما طلبه. (قوله: هذه كرامة سماع كلام الميت) انظر وتدبر عناية ربك كيف يتفضل على العبيد في حالة ملابسة الجرائم، وارجع إليه فإنّه يقبل توبة التائبين ويرحم فهو أرحم الراحمين.

علي إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الصفار قال: حدثنا الحسين بن عرفة بن يزيد قال: حدثنا عبد الله بن إدريس الأودي عن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي سبرة النخعي قال: أقبل رجل من اليمن فلما كان في بعض الطريق نفق) أي مات (حماره فقام وتوضأ وصلى ركعتين ثم قال: اللهم إني) قد (جئت مجاهداً في سبيلك ابتغاء مرضاتك وأشهد أنك تحيي الموتى وتبعث من في القبور لا تجعل لأحد عليَّ منة اليوم أطلب منك أن تبعث حماري فقام الحمار) وهو (ينفض أذنيه) في ذلك كرامة إحياء الموتى، ودلالة على أنَّ الله يبعث من في القبور لسؤال منكر ونكير، وأما يوم الحشر، فالميت ينشأ نشأة أخرى بعدما تتفرق أجزاؤه وتصير تراباً ودوداً وغيرهما كما قال تعالى لإبراهيم عليه السلام: ﴿ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ﴾ [البقرة: ٢٦٠] (سمعت حمزة بن يوسف يقول: سمعت أبا بكر النابلسيّ يقول: سمعت أبا بكر الهمدانيّ يقول: بقيت في برية الحجاز أياماً لم آكل شيئاً فاشتهيت باقلاً حاراً وخبزاً من باب الطاق) موضع بالعراق (فقلت) في نفسي: (أنا في البرية وبيني وبين العراق مسافة بعيدة فلم أتم خاطري إلا وأعرابي من بعيد ينادي يا باقلاً حار وخبز فتقدمت إليه فقلت: عندك باقلاً حار وخبز فقال: نعم وبسط مئزراً كان عليه وأخرج باقلاً حاراً وخبزاً) وقال لي: كل فأكلت ثم قال لي: (كل فأكلت ثم قال: كل فأكلت فلما قال لي في الرابعة:) كُل (قلت: بحق الذي بعثك إلي إلا ما قلت لي من أنت؟ فقال: أنا الخضر وغاب عني فلم أره) في ذلك كرامتان رؤيته الخضر وإتيانه بما يحتاج خارقاً للعادة لأنه كان بموضع خالٍ عن ذلك. (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلميّ يقول: سمعت أبا العباس بن الخشاب البغداديّ يقول: سمعت محمد بن عبد الله الفرغانيّ يقول: سمعت أبا جعفر الحداد يقول: جئت الثعلبية وهو خراب ولي سبعة أيام لم آكل شيئاً فدخلت القبة وجاء قوم خراسانيون أصابهم جهد) أي مشقة من الجوع (فطرحوا أنفسهم على باب القبة فجاء أعرابي على راحلته) وكان ولياً لله (وصب تمراً بين أيديهم فاشتغلوا بأكل) منه (ولم يقولوا لي شيئاً ولم يرني الأعرابي فلما كانت بعد ساعة) سار فيها أميالاً (فإذا بالأعربي جاء) إليهم (وقال لهم:) هل (معكم غيركم فقالوا: نعم) معنا (هذا الرجل داخل القبة فدخل) إلى (الأعرابي وقال: إيش أنت لمَ لم تتكلم) حين جئت إلى هنا فقد (مضيت) من هنا (فعارضني إنسان فقال لي: قد خلفت إنساناً لم تطعمه ولم يمكن أن أمضي) ولم أطعمك (فتطولت

(قوله: ببركة الشيخ الخ) أي فكان هذا الشيخ ممن يرحم الله بهم أهل الأرض.
(قوله: ودلالة على أنَّ الله يبعث من في القبور) أي لأنه لا يزيد على هذا الواقع حيث الكل من الممكن مع صدق الخبر بذلك. (قوله: ولم يقولوا لي شيئاً الخ) لعل حكمة

عليَّ الطريق) وأتعبتني (لأني رجعت عن أميال) سرتها (وصب بين يدي تمراً كثيراً ومضى فدعوتهم فأكلوا وأكلت) معهم في ذلك من الكرامة لأبي جعفر رجوع الأعرابي إليه بعد أميال وإيثاره مع الحاجة، فإنّه لما جعل التمر بين يديه دعا القوم فأكلوا معه ولم يأكل وحده كما فعلوا به. (سمعت حمزة بن يوسف يقول: سمعت أبا طاهر الرقيّ يقول: سمعت أحمد بن عطاء يقول: كلمني جمل في طريق مكة فرأيت جمالاً والمحامل عليها وقد مدت أعناقها) للسير (في الليل فقلت) تعجباً: (سبحان من يحمل عنها ما هي فيه فالتفت إلى جمل) منها (وقال:) وفي نسخة فقال: (قل: جلَّ الله، فقلت جلَّ الله) الكرامة فيه كلام الحيوانات العجم وتقدم مثلها. (سمعت محمد بن عبد الله الصوفيّ يقول: سمعت الحسن بن أحمد الفارسيّ يقول: سمعت الرقي يقول: سمعت أبا بكر بن معمر يقول: سمعت أبا ذرعة الجنبيّ يقول: مكرت بي امرأة فقالت) لي: (ألا تدخل الدار فتعود مريضاً) فيها (فدخلت فأغلقت الباب) عليّ (ولم أرَ أحداً) فيها (فعلمت ما فعلت فقلت: اللهم سودها فاسودت فتحيرت) في أمرها (وفتحت الباب فخرجت وقلت: اللهم ردها إلى حالها فردها إلى ما كانت عليه) هذا يشبه ما جرى لامرأة العزيز مع يوسف عليه السلام فعصمه الله منها برؤية البرهان من ربه والبرهان هنا سواد المرأة، وفي ذلك كرامة له بإجابة دعائه في الحال. (سمعت حمزة بن يوسف يقول: سمعت أبا محمد الغطريفي يقول: سمعت السراج يقول: سمعت أبا سليمان الروميّ يقول: سمعت خليلاً الصياد يقول: غاب ابني محمد فوجدنا عليه وجداً شديداً فأتيت معروفاً الكرخي فقلت) له: (ادع الله) لنا (أنْ يرده) علينا (فقال: اللهم إنّ السماء سماؤك والأرض أرضك وما بينهما لك ائت بمحمد قال خليل) الصياد: (فأتيت باب الشام فإذا هو واقف) عنده (فقلت) له: (يا محمد) أين كنت (فقال) لي: (يا أبتِ كنت الساعة بالأنبار) فأحضرني الله إلى هنا في الحال. (قال الأستاذ أبو القاسم) القشيري (رضي الله عنه: واعلم أنَّ الحكايات في هذا الباب تربى) أي تزيد (على الحصر والزيادة على ما ذكرنا تخرجنا عن المقصود من الإيجاز وفيما ذكرناه مقنع) أي رضا يقتنع به (في هذا الباب) وقد حصل فيه من الكرامات ما يفيد العلم بوقوعها فضلاً عن جوازها ولا ينكر وقوعها إلا أهل الأهواء، وأما إنكار جوازها فمن باب الضلال والعمى.

ذلك إظهار كرامة أبي جعفر وإلا فمثلهم يبعد في حقهم الشح بما وجدوا على مثل هذا الأستاذ. (قوله: الكرامة فيه كلام الحيوانات) أي كلامهم بما يشير إلى أدب التنزيه له تعالى لأنَّ في تعبيره إخلالاً به. (قوله: فقال لي: الخ) فيه كرامتان إجابة الدعاء وطي الأرض. (قوله: ما يفيد العلم بوقوعها) أي لتواترها على السنة الثقات والله أعلم.

باب رؤيا القوم في النوم

يكفي في إثباتها ما نص عليه في قصة يوسف عليه السلام بقوله: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ﴾ [يوسف: ٣٦] الآيات، والرؤيا الحسنة ممدوحة **(قال الله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٤] قيل: هي الرؤيا الحسنة يراها المرء أو ترى له أخبرنا أبو الحسن الأهوازي قال: أخبرنا أحمد بن عبيد البصريّ قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم المنقريّ قال: حدثنا منصور بن أبي مزاحم قال حدثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم عن أبي صالح عن أبي الدرداء)** رضي الله عنه **(قال: سألت النبي ﷺ عن هذه الآية ﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾) قال ﷺ لي: «ما سألني عنها أحد قبلك هي الرؤيا الحسنة يراها المرء أو ترى له»[1] أخبرنا السيد أبو الحسن محمد بن الحسين العلويّ قال: أخبرنا أبو علي الحسن بن محمد بن زيد**

باب رؤيا القوم في النوم

اعلم أنّ الرؤيا تنقسم إلى رؤيا شيطان وأضغاث وهمة وإلى رؤيا ملك، وهي المقصودة والمعول عليها، وهي قد تكون لإشارة الترغيب أو الترهيب ورؤيا الملك هو المقول فيها من طرف الشريعة أنّها جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، والنوم قد يكون عادة، وقد يكون عبادة وسيأتي بيانه في كلام المصنف.

(قوله: يكفي في إثباتها) أي في تحققها في نفسها وإثباتها بالدليل. **(قوله: ودخل معه السجن فتيان)** أي أدخل يوسف عليه السلام السجن وقد اتفق أنه أدخل حينئذٍ السجن آخران من عبيد ملك مصر صاحب شرابه وخبازه اتهما بأنّهما يريدان أنْ يسماه، وذلك بواسطة أعداء الملك جعلوا لهم رشوة على سمه فقبل الرشوة الخباز وصدق صاحب الشراب، فلما حضر الطعام قال صاحب الشراب للملك: لا تأكل فإنّ الطعام مسموم فقال صاحب الطعام: لا تشرب فإنّ الشراب أيضاً مسموم فأمر صاحب الشراب أنْ يشرب فشرب وأطعم الملك دابة من الطعام فهلكت فحبسهما معاً. **(قوله: قيل: هي الرؤية الحسنة الخ)** ذلك ظاهر لعموم البشرى ولصريح الحديث الآتي ذكره في تفسير الآية،

(١) أخرجه ابن الجوزي في (الموضوعات ١/ ١٤٥).

قال: حدثنا علي بن الحسين قال: حدثنا عبد الله بن الوليد عن سفيان عن يحيى بن سعيد عن أبي سلمة عن أبي قتادة قال: قال رسول الله ﷺ: «الرؤيا من الله تعالى والحلم من الشيطان فإذا رأى أحدكم رؤيا يكرهها فليتفل عن يساره وليتعوذ فإنَّها لن تضره»[1] أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن عبدوس المزكي قال: أخبرنا أبو أحمد حمزة بن العباس البزار قال: حدثنا عياش بن محمد بن حاتم قال: حدثنا عبد **الله بن موسى قال: حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص وأبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «من رآني في المنام فقد رآني حقاً»[2] (فإنَّ الشيطان لا يتمثل في صورتي)** أي لا يقدر على أنْ يتمثل فيها إكراماً له وتشريفاً له ﷺ (ومعنى) هذا **(الخبر أنَّ تلك الرؤيا رؤيا صدق وتأويلها حق وأنَّ الرؤيا نوع من أنواع الكرامات)** وعلامة صحة رؤياه ﷺ أنَّ من رآه لا يسمع منه ما يخالف ما جاءت به الشريعة بأنْ يكون له تأويل صحيح عند علماء هذا الفن، وحقيقة الرؤيا الحسنة أنْ يخلق الله في قلب النائم أو في حواسه الأشياء كما يخلقها في اليقظان، فربما يقع ذلك في اليقظة كما رآه وربما جعل ما رآه علما على أمور أخر يخلقها في ثاني الحال أو كان قد خلقها فتقع تلك كما جعل الله الغيم علامة للمطر، وهذا أولى من قوله: **(وتحقيق الرؤيا) أنَّها (خواطر ترد على القلب وأحوال تتصور في الوهم)** بخلق الله

وقيل: هي تنزل الملائكة عليهم ويدل له قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ [فصلت: ٣٠]. **(قوله: فليتفل عن يساره)** أي أنْ يفعل ذلك ثلاثاً من غير إخراج ريق، وقوله: وليتعوذ أي بأي صيغة أراد والأفضل أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم. **(قوله: من رآني في النوم)** أي بأن مثلت له صورتي في حال نومه، وقوله: فقد رآني حقاً أي فما مثل له من صورتي حق ثابت، وقوله: فإنَّ الشيطان الخ تعليل له. **(قوله: وعلامة صحة رؤياه الخ)** المراد تقييد ما ظهر من الحديث بأنَّه مخصوص بمن رآه وسمع منه ما يوافق حكم ظاهر الشرع لا مطلقاً. **(قوله: الأشياء)** أي أمثلتها. **(قوله: علماً)** أي أمارة. **(قوله: في ثاني الحال)** أي في المستقبل من الزمان.

---

(١) أخرجه البخاري (تعبير ٣، ٤، ١٠، ١٤) (بدء الخلق ١١) (طب ٣٩) ومسلم (رؤيا ١ ٢٠١) وأبو داود (أدب ٨٨) والترمذي (رؤيا ٥) وابن ماجه (رؤيا ٤) والدارمي (رؤيا ٥) والموطأ (رؤيا ٤) وأحمد بن حنبل (٥، ٢٩٦، ٣٠٠، ٣٠٥، ٣١٠).

(٢) أخرجه البخاري (علم ٣٨) (تعبير ١٠) ومسلم (رؤيا ١١) وأبو داود (أدب ٨٨) والترمذي (رؤيا ٤، ٧) وابن ماجه (رؤيا ٢) والدارمي (رؤيا ٤) وأحمد بن حنبل (٢، ٢٣٢، ٢٦١، ٣٤٢، ٤١٠، ٤١١، ٤٢٥، ٤٦٣، ٤٦٩، ٤٧٢، ٥، ٣٠٦، ٦، ٣٩٤).

وإنَّ حملت الرؤيا في كلامه على المرئيات ففيه نظر أيضاً فإنَّ الخواطر إنما ترجع إلى الأقوال من أمر ونهي وإخبار واستخبار على حسب ما يرد على قلب العبد وهو يقظان، وأما المرئيات في النوم فهي صور وأشكال وسواءً كانت خواطر أم لا فهي إنما تكون (**إذا لم يستغرق النوم جميع الاستشعار فيتوهم الإنسان عند اليقظة**) من نومه (**أنه**) أي ما يرد على القلب مما ذكر (**كان رؤية في الحقيقة**) أي واقعاً في اليقظة، (**وإنما كان ذلك تصوّراً وأوهاماً للخلق تقرّرت في قلوبهم وحين زال عنهم الإحساس الظاهر**) بنومهم (**تجردت تلك الأوهام عن المعلومات بالحس والضرورة فقويت تلك الحالة عند صاحبها فإذا استيقظ ضعفت تلك الأحوال التي تصوّرها بالإضافة إلى حال إحساسه بالمشاهدات وحصول العلوم الضرورية ومثاله**) أي النائم الرائي (**كالذي يكون في ضوء السراج عند اشتداد الظلمة فإذا طلعت الشمس عليه غلبت**) أي الشمس أي ضوءها (**ضوء السراج فيتقاصر نور**) وفي نسخة ضوء (**السراج بالإضافة إلى ضياء الشمس، فمثال حال النوم كمن هو في ضوء السراج، ومثال المتيقظ كمن تعالى عليه النهار فإنَّ المستيقظ**) من نومه (**يتذكر ما كان متصوّراً له في حال نومه ثم إنَّ تلك الخواطر والأحاديث**) أي الأحوال (**التي ترد على قلبه في حال نومه مرة تكون من قبل الشيطان**) فتسمى أحلاماً، (**ومرة عن هواجس النفس**) فترجع إلى ما يتحدّث به الرائي في نفسه فتسمى هاجساً، (**ومرة تكون بخواطر الملك**) فتسمى رؤيا، (**ومرة تكون تعريفاً من الله تعالى بخلق تلك الأحوال في قلبه ابتداءً**) فتسمى رؤيا أيضاً، (**وفي**

(**قوله: وهذا أولى الخ**) أي لإيهام تعبيره أنَّ الخواطر مطلقاً هي حقيقة الرؤيا، وليس كذلك إذ حقيقتها ما قدمه الشارح. (**قوله: فهي صور وأشكال**) أي وهي أعمّ من الخواطر. (**قوله: إذا لم يستغرق الخ**) أي أما إذا استغرق جميع الاستشعار فلا توجد الرؤيا لعدم متعلقها. (**قوله: فيتوهم الإنسان الخ**) توضيح لما قدمه من بيان حقيقة الرؤيا.

(**قوله: وإنما كان ذلك الخ**) محصله أنَّ استشعار النائم بالصورة المخيلة له في حالة النوم أضعف منه بها بعد تيقظه من نومه ومثاله موضح لهذا الذي أشرت إليه وعوّلت في البيان عليه، وتوضيح ذلك أنَّ إدراك النائم لما يخلقه الله في قلبه من الأشياء في حالة نومه أضعف من إدراكه لما يشاهده في حالة يقظته من تلك الأشياء.

(**قوله: ثم إنَّ تلك الخواطر الخ**) شروع في تقسيم الرؤيا إلى شيطانية وحديث نفس ورحمانية. (**قوله: ومرة عن هواجس النفس الخ**) أي وهي مختلفة فهي أمارة ولوّامة ومطمئنة وراضية ومرضية وحديث كل على حسب شربه ومقامه. (**قوله: ومرة تكون بخواطر الملك الخ**) أفاد أنَّ حقيقتها هي ما تكون بالخواطر أو بخلق الأحوال في قلب العبد ابتداء لا غير. (**قوله: وفي الخبر الخ**) أي فهو يشير إلى أنَّ قوّة صدق الرؤيا تابع

الخبر «أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً»[1] والذي يراه النائم ليس حقيقة المرئي وإنما هو صور وأشكال، وذلك لأنه ﷺ قد يراه جماعة في وقت واحد يراه بعضهم شاباً، وبعضهم شيخاً، وبعضهم كهلاً، ويراه واحد بالمغرب وآخر بالمشرق، ومحال أن تكون ذاته الواحدة بأمكنه وأحوال مختلفة في وقت واحد، (**واعلم أنّ النوم على أقسام**) بعضها يأتي وبعضها الآخر (**نوم غفلة**) عما خلق العبد له (**ونوم عادة**) وهو ما قصد به التلذذ والتنعم (**وذلك**) أي كل منهما (**غير محمود بل معلول**) أي مذموم (**لأنّه أخو الموت، وفي بعض الأخبار المروية «النوم أخو الموت» وقال الله**) تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم﴾ [الأنعام: ٦٠] أي كسبتم (**بالنهار وقال تعالى**: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَا﴾) [الزمر: ٤٢] **وقيل: لو كان في النوم خير لكان في الجنة نوم، وقيل: لما ألقى الله تعالى** (**على آدم النوم أخرج منه حواء وكل بلاء**) اتصل (**به**) أي بآدم (**إنما حصل حين حصلت حواء**) التي أخرجها الله من آدم في حال نومه. (**سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول: لما قال إبراهيم عليه السلام لإسماعيل عليه السلام: يا بنيّ إني أرى في المنام أني أذبحك**

لقوّة صدق حديث اليقظة. (**قوله: ومحال الخ**) أي فتعين أنّ ما يرى في النوم من قبيل الصور والأشكال. (**قوله: نوم غفلة**) أي وهو نوم المنهمكين على شهواتهم المتهافتين على حظوظهم ومألوفاتهم. (**قوله: وذلك أي كل منهما الخ**) أي ولا يخفى الفرق بين نوم الغفلة ونوم العادة.

(**قوله: وقال الله تعالى: الخ**) دليل على أنّه أخو الموت. (**قوله: وهو الذي يتوفاكم بالليل**) أي ينيمكم فيه على استعارة التوفي من الإماتة للإنامة لما بين النوم والموت من المشاركة في زوال الإحساس والتمييز، وأصل التوفي قبض الشيء بتمامه، وقوله: ويعلم ما جرحتم بالنهار أي ما كسبتم فيه، والمراد بالليل والنهار الجنس المتحقق في كل فرد من أفرادهما وتخصيص التوفي بالليل والجرح بالنهار مع تحقق كل منهما فيما خص بالآخر للجري على سنن العادة.

(**قوله: وقيل: لو كان في النوم خيراً الخ**) أي لو كان في ذات النوم خير وإلا فهو خير باعتبار ما يعتريه من المقاصد الحسنة.

(**قوله: وكل بلاء**) أي باعتبار ما قسم له من الوجود في دار الامتحان بالنظر لبعض ذرّيته وإلا فلا تخفى الثمرات التي من جملتها سكنى الجنات، فالله تعالى يرزقنا الأدب

---

(١) أخرجه مسلم (رؤيا ٦) وأبو داود (أدب ٨٨) والترمذي (رؤيا ١، ١٠) وابن ماجه (رؤيا ٩) والدارمي (رؤيا ٧).

فقال) (إسماعيل: **يا أبت هذا جزاء من نام عن حبيبه**) حتى رأى هذه الرؤيا (**لو لم تنم لما أمرت بذبح الولد**، وقيل: **أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: يا داود كذب من ادّعى محبتي فإذا جنه الليل**) أي أظلم (**نام عني والنوم ضد العلم**) بواسطة أنَّه ضد اليقظة التي لا يحصل العلم إلا فيها، (**ولهذا قال الشبلي: نعسة في ألف سنة فضيحة**) على من لم يغلبه النوم لأنه فيها حرم بركة لذة المناجاة (**وقال الشبلي: اطلع الحق على الخلق فقال: من نام غفل ومن غفل حجب، فكان الشبليّ يكتحل بالملح بعده حتى كان لا يأخذه النوم، وفي معناه أنشدوا:**

عجباً للمحب كيف ينام ... كل نوم على المحب حرام

وقيل: المريد أكله فاقة، ونومه غلبة، وكلامه ضرورة) أي ينبغي له أن يكون كذلك (**وقيل: لما نام آدم عليه السلام بالحضرة**) الإلهية (**قيل له: هذه حواء**) خلقت

في حقه وحق خلقه أنَّه جواد كريم. (**قوله: يا بنيَ إني أرى في المنام أني أذبحك**) أي أرى هذه الصورة بعينها أو ما هذه عبارته وتأويله، وقيل: إنَّه رأى ليلة التروية كأنّ قائلاً يقول له: إنَّ الله يأمرك بذبح ابنك هذا، فلما أصبح روّى في ذلك من الصباح إلى الرواح أمن الله هذا الحلم أم من الشيطان، فمن ثمة سمي يوم التروية، فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنَّه من الله تعالى، فمن ثمة سمي يوم عرفة، ثم رأى مثله في الليلة الثالثة، فهم بنحره فسمي يوم النحر، وقوله: فانظر ماذا ترى هو من الرأي وإنما شاوره فيه مع أنَّه أمر محتوم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله تعالى ليأمن عليه أنْ سلم وليوطن نفسه عليه ليهون، ويكسب المثوبة بالانقياد قبل نزول البلاء بالفعل وقرىء ماذا ترى بضم التاء وكسر الراء وبفتحها مبنياً للمفعول هذا وإنْ أردت توضيح هذه القصة فارجع إلى التفاسير والله أعلم.

(**قوله: هذا جزاء من نام عن حبيبه**) أي فكان عليه مثالاً وعنواناً ليعتبر ذو اللب، فيحفظ دواعي الحب. (**قوله: كذب من ادعى محبتي الخ**) أي ولهذا قال سلطان العشاق ابن الفارض قدّس الله سِرّه:

ومرّ الغمض أنْ يمرّ بجفني ... فكأني به مطيعاً عصاك

(**قوله: ولهذا قال الشبلي الخ**) أقول: السالبة الكلية يناقضها موجبة جزئية فافهم. (**قوله: فقال من نام غفل الخ**) أي غفل عن أسباب الوصول، وقوله: ومن غفل حجب أي حجب عن بلوغ المأمول. (**قوله: كل نوم الخ**) ليس المراد بالحرمة أحد الأحكام بل حرمان لذة مناجاة أكرم الأكرمين. (**قوله: المريد أكله فاقة**) أي فلا يأكل إلا عند الفاقة والضرورة بمقدار ما تقوم به بنيته ويقوى به على سلوك سبيل السنة، وقوله: ونومه غلبة أي لدوام اشتغاله بما طلب منه، وقوله: وكلامه ضرورة أي لأجل الضرورة فقط ليتقي شر الكلام.

(لتسكن إليها) قال الإمام القشيريّ: (هذا جزاء من نام بالحضرة) إذ لا يليق بمن كملت محبته بمحبوبه أنْ يشتغل بغيره، (وقيل: إنْ كنت حاضراً فلا تنم فإنَّ النوم في الحضرة سوء أدب، وإنْ كنت غائباً فأنت أهل الحسرة والمصيبة والمصاب لا يأخذه نوم، وأما أهل المجاهدات فنومهم صدقة من الله تعالى عليهم) لتستريح أبدانهم، وينشطوا لعمل الطاعة (وإنَّ الله تعالى يباهي) أي يفاخر (بالعبد إذا نام في سجوده) ملائكته (يقول: انظروا إلى عبدي نام وروحه عندي وجسده بين يدي، قال الأستاذ) القشيري: (أي روحه في محل النجوى وبدنه على بساط العبادة) وهذا النوم نوم ضرورة وهو محمود لأنّه معين على العبادة (وقيل: كل من نام على الطهارة يؤذن لروحه أنْ تطوف بالعرش وتسجد لله تعالى قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾) [النبأ: ٩] أي راحة لأبدانكم. (سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول: شكا رجل لي بعض المشايخ من كثرة النوم) الذي يغلبه (فقال: اذهب فاشكر الله تعالى على

(قوله: هذا جزاء من نام بالحضرة) أي في حالة كان ينبغي له فيها جمع قلبه على الحق ودوام اشتغاله فيها بأحوال الصدق، فلذلك جوزي بخلق سبب الآلام ودواعي غلبات الأسقام. (قوله: إنْ كنت حاضراً) أي مجموع الهمة على الله تعالى فلا تنم أي فلا تغفل إذ النوم في هذه الحالة سوء أدب وسبب لحرمان لذة مناجاة الحق سبحانه، وقوله: وإنْ كنت غائباً أي في حال التفرقة فائت حينئذٍ أهل الحسرة والحزن أي على ما فاتك في مقام المشاهدات والمكافحات فمثلك حينئذٍ لا ينام لاشتغاله بهما ومصيبته التي ابتلي بها.

(قوله: وأما أهل المجاهدات الخ) فيه التفات إلى النوم المشروع المثاب عليه بحسن المقاصد كالتقوي به على أداء كرائم العبادات. (قوله: إذا نام في سجوده) أي لأنَّ نومه هذا من نوم الغلبة وهو من المثاب عليه المحبوب فاعله، ولا سيما في حالة السجود. (قوله: روحه في محل النجوى) أي في أشرف حال يناجي فيه العبد ربه إذ هو من مجال القرب بشاهد خبر «أقرب ما يكون لي العبد وهو ساجد»[1]، وقوله: وبدنه أي جسمه على بساط العبادة أي وهو ما يفرش ليصلى عليه. (قوله: وقيل كل من نام على الطهارة الخ) أي ولهذا كان من سنة سيد البشر ﷺ. (قوله: وجعلنا نومكم سباتاً) أي فالنوم المشروع ما كان كذلك لا للعادة ولا للغفلة.

(قوله: أي راحة لأبدانكم) أي وقيل: سباتاً أي موتاً لأنّه إحدى التوفيتين لما بينهما من المشاركة التامة من انقطاع أحكام الحياة وعليه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم

---

(١) أخرجه مسلم (صلاة ٢١٥) والنسائي (مواقيت ٣٥) (تطبيق ٧٨) والترمذي (دعوات ١١٨) وأحمد بن حنبل (٢، ٤٢١).

العافية فكم من مريض في شهوة غمضة من النوم الذي تشكو) أنت (منه) أي فالنوم لك نعمة من الله تعالى لأنّه بنية العبادة والمجاهدة (وقيل: لا شيء أشدّ على إبليس من نوم العاصي) فإنّه (يقول: متى ينتبه ويقوم حتى يعصي الله) فنومه رحمة له لأنّه لا يعصي في نومه لأنّه غير مكلف فيه، (وقيل: أحسن أحوال العاصي أنْ ينام) فإنّه (إنْ لم يكن الوقت له) بأنْ لم يعمل فيه خيراً (لم يكن عليه) لأنّه لم يعمل فيه شراً. (سمعت الأستاذ أبا علي رحمه الله يقول: تعود شاه الكرماني السهر فغلبه النوم مرة فرأى الحق تعالى في النوم، فكان يتكلف النوم بعد ذلك فقيل له في ذلك:) أي ما سببه (فقال:

رأيت سرور قلبي في منامي فأحببت التنعس والمناما

فكان يحب النوم لهذا الغرض الذي يزيده يقيناً واشتغالاً بربه، وفي ذلك دلالة على جواز رؤية الله تعالى في النوم، فالنوم كما قال أقسام: نوم غفلة ونوم عادة، وهما مذمومان لعدم الحاجة إليهما، ونوم ضرورة وهو ممدوح للحاجة إليه كما في القدر الذي يتناوله من الطعام لإقامة البنية، ونوم استعانة على فعل الأفضل كأن ينام أوّل الليل ليقوم آخره مع تمكنه من قيامه أوّله وهو أيضاً ممدوح، ولهذا كان نوم العالم عبادة، ونوم يجد فيه النائم ما يقوّيه على سلوكه ويجمع همه لنيل مطلوبه، وهو أيضاً ممدوح لما عرفت لكنه وإنْ كان ممدوحاً فالظاهر أنَّ اليقظة أفضل منه لأنَّ فيها نيل مطلوبه بالمجاهدة، والنوم إنما فيه ما يحمله ويقويه على مطلوبه، (وقيل: كان رجل) شيخ (له تلميذان فاختلفا فيما بينهما فقال أحدهما: النوم خير لأنّ الإنسان لا يعصي الله تعالى في تلك الحالة) لما مرّ، (وقال الآخر: اليقظة خير لأنّه يعرف الله

بِٱلَّيۡلِ﴾ [الأنعام: ٦٠] وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ﴾ [الزمر: ٤٢]. (قوله: لأنه بنية العبادة الخ) أي ولا تكليف في حالة النوم بل هو حينئذٍ به مأجور لا مأزور. (قوله: وقيل: لا شيء أشد الخ) منه يعلم أنّه لا شيء أشدّ عليه أيضاً من يقظة المطيع العابد لأنّه لا يغفل فيها عن عبادة ربه. (قوله: سمعت الأستاذ أبا علي الخ) في ذلك تنبيه على أنَّ النوم لا يذم لذاته ولا يمدح لها بل الاعتبار في ذلك بالعوارض التي تعرض له وهو كذلك.

(قوله: وهما مذمومان) أي لما يلزمهما من ضياع الوقت وفوت الثمرات. (قوله: ونوم استعانة الخ) أقول: ذلك هو المثاب عليه من أقسام النوم التي تقدّمت غير نوم الضرورة. (قوله: ونوم يجد فيه الخ) أي والثواب على ذلك بحسن النية لا لذاته. (قوله: فالظاهر أنّ اليقظة أفضل منه) أي لأنَّ فضيلته بما قارنه من محاسن المقاصد فقط بخلاف اليقظة. (قوله: فقال الخ) محصله أنَّ الموضوع قد اختلف، فلا خلاف حينئذٍ، وإنما لكل

في تلك الحالة، **فتحاكما إلى ذلك الشيخ فقال: أما أنت الذي قلت: بتفضيل النوم فالموت خير لك من الحياة، وأما أنت الذي قلت بتفضيل اليقظة، فالحياة خير لك من الموت**) فلا خلاف وإنما ذلك محمول على حالين بعد الإتيان بالواجب والرواتب، فمن خاف خللاً في العمل فالنوم خير له، وإلا فاليقظة خير له، ولهذا لما ضعف عمر بن الخطاب رضي الله عنه وخشي على نفسه من ضعف العمل تمنى الموت، فتمنى الموت لخوف الخلل في العمل أولى من الحياة مع ضعف العمل، (**وقيل: اشترى رجل**) تاجر (**مملوكة**) وكانت صالحة (**فلما دخل الليل قال**) لها: (**افرشي**) لي (**الفراش**) لأنام (**فقالت المملوكة**) له: (**يا مولاي ألك مولى فقال**) لها: (**نعم فقالت**) له: هل (**ينام مولاك فقال**) لها: (**لا فقالت**) له: (**ألا تستحي أن تنام ومولاك لا ينام**) في ذلك مع ما مرّ تحريض على أنَّ النوم لا يكون من العبد إلا على وجه الغلبة (**وقيل: قالت بنية لسعيد بن جبير لم لا تنام فقال: إنَّ جهنم لا تدعني**) أي خوفي منها لا يتركني (**أن أنام، وقيل: قالت بنت لمالك بن دينار: لم لا تنام فقال**) لها: (**إنَّ أباك يخاف**) على نفسه (**البيات**) يعني الموت في نومه غافلاً عما خلق له، (**وقيل: لما مات الربيع بن خيثم قالت بنية لأبيها: الأسطوانة**) أي السارية (**التي كانت في دار جارنا**) إلى (**أين ذهبت فقال**) لها: (**إنّه**) لم يكن اسطوانة وإنما (**كان جارنا الرجل الصالح بقوم من أوّل الليل إلى آخره فتوهمت البنية أنّه كان سارية لأنها كانت لا تصعد السطح إلا بالليل**) فخفي عليها الأمر، (**وقال بعضهم: في النوم معان ليست في اليقظة منها أنّه**) أي العبد (**يرى**) فيه (**المصطفى ﷺ والصحابة والسلف الماضين**) رضي الله عنهم (**في النوم ولا يراهم في اليقظة وكذلك يرى الحق**) تعالى (**في النوم**) ولا يراه في اليقظة على ما مرّ (**وهذه مزية عظيمة**) لكن مزايا اليقظة أعظم لما مرّ، ولأنَّ الأدلة العقلية والنقلية أبلغ، وأنفع في الدين والدنيا من الرؤيا المحتاجة

شرب من حاله بحسن مآله من نواله. (**قوله: فقالت المملوكة الخ**) انظر إشارات الحقائق وفائقات أذواق الطرائق، فالفضل إنما يعرفه ذووه، والخير لا يتم إلا لمن عرفوه وقصدوه، فالله يمدّنا بمدد عباده المقرّبين وينسبنا للمحبين المحبوبين بجاه سيد الخلق أجمعين.

(**قوله: فقال: إنَّ جهنم لا تدعني الخ**) أي فمن ادّعى الخوف من الله تعالى ونام عما إليه دعاه كانت دعواه من البهتان وأحواله تقربه إلى الخسران. (**قوله: فقال لها: إنَّ أباك الخ**) فيه دلالة على قوّة مراقبته لأحواله رضي الله عنه وأرضاه، وجعل الجنة مثواه. (**قوله: قالت بنية لأبيها الخ**) في ذلك دلالة على أنّه كان يديم القيام للصلاة ليلاً حتى توهمته البنية أنّه سارية رضي الله عنه. (**قوله: لكن مزايا اليقظة أعظم**) أي مع أنَّ المزية لا

إلى التعبير الذي قد يخطىء، (وقيل: رأى أبو بكر الآجري الحق تعالى في المنام فقال له الحق: سل حاجتك فقال: اللهم اغفر لعصاة أمة محمد ﷺ) اختار ذلك تحبباً لحبيبه ﷺ لأنّ ما يحبه المحبوب محبوب وأمته من اقتدى به، وهو ﷺ يحبهم ويحرص على نجائهم والحق يحبه ويحب من يحبه (فقال) له الحق: (أنا أولى بهذا منك)

لأنّهم أمة حبيبي (سل حاجتك) التي تخصك. (وقال الكتاني: رأيت النبي ﷺ في المنام فقال لي: «من تزين للناس بشيء يعلم الله منه خلافه شأنه الله») أي عابه وقبحه، (وقال الكتانيّ أيضاً: رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت) له: (ادع الله) لي (أنْ لا يميت قلبي فقال) لي: («قل كل يوم أربعين مرة يا حيّ يا قيوم لا إله إلا أنت») هذا ينفع قائله في الدنيا والآخرة. (ورأى الحسن بن عليّ رضي الله عنه عيسى بن مريم في المنام فقال) له: (إني أريد أنْ أتخذ) لي (خاتماً فما الذي أكتب عليه فقال) لي (اكتب عليه لا إله إلا الله الملك الحق المبين فإنّه آخر الإنجيل) أي خاتمته، وهذا كالذي قبله في النفع، ويشهد لكل منهما خبر «أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله»[1] وفي كل منهما دلالة على وقوع رؤية النبي ﷺ في النوم. (ورُوي عن أبي يزيد) البسطاميّ (أنّه قال: رأيت ربي عز وجل في المنام فقلت) له: (كيف الطريق إليك فقال) لي: (اترك نفسك وتعال) أي اترك العمل لحظها واعمل لي خاصة فإنّك حينئذ تصل إلي (وقيل: رأى أحمد بن خضرويه ربه في المنام فقال) لي: (يا أحمد كل الناس يطلبون مني) أفضالي (إلا أبا يزيد فإنّه يطلبني) وفرق بين

تقتضي الأفضلية. (قوله: أبلغ) أي مع أنها لا يطلع عليها إلا في حال اليقظة. (قوله: فقال: اللهم اغفر الخ) أي فدل ذلك على علو مقامه لأنّ من أمارات الولاية عموم الرحمة والشفقة إلى كافة الخلق بشاهد العلم والله أعلم.

(قوله: أنا أولى بهذا منك) أي حيث الله هو أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين. (قوله: سل حاجتك التي تخصك) أقول: لم يكشف بعد ذلك ما سأله مما يخصه فكان عليه أنْ يبينه إلا أنْ يقال: إنّه لم يبلغه والله أعلم.

(قوله: شأنّه الله الخ) أي ولهذا ورد «إنّ من أشد الناس عذاباً يوم القيامة من يرى الناس ان فيه خيراً ولا خير فيه». (قوله: وشهد لكل منهما) فيه أنّه لا يخصهما بهذا اللفظ، نعم قد اشتمل التركيب على ما ورد. (قوله: اترك نفسك وتعال) أي فالدواء الأعظم في طريق الوصول مخالفة هوى النفس والشيطان. (قوله: إلا أبا يزيد فإنّه الخ) أي

---

(١) أخرجه الموطأ (قرآن ٣٢) (حج ٢٤٦).

من يكفيه العطاء ومن لا يرضيه إلا كشف الغطاء **(وقال يحيى بن سعيد القطان: رأيت ربي في المنام فقلت)** له: **(يا رب كم أدعوك ولا تستجيب لي)** لم يقل ذلك استبطاءً للإجابة حتى يقال: إنَّه ارتكب ما نهي عنه في خبر «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول: دعوت فلم يستجب لي» وإنما سأله عن سبب ذلك، **(فقال تعالى: يا يحيى أحب أن أسمع صوتك)** مع أنَّ الذي أريده لك خير من الذي تريده لنفسك إذ المقصود من إجابة الدعاء المنفعة التي اختارها لنفسه، ولا ريب أنَّ ما اختاره له ربه أولى في حقه مما اختاره لنفسه، فالإجابة تختلف بحسب ما يحبه الله ويرضاه للداعي، وقد يكون دعاؤه أنفع له عند الله من حصول مطلوبه كما أُريد من قصة يحيى، وفي كل من هذه الحكاية واللتين قبلها دلالة على وقوع رؤية الله تعالى في النوم، **(وقال بشر بن الحرث: رأيت أمير المؤمنين علياً رضي الله عنه في المنام فقلت)** له: **(يا أمير المؤمنين عظني فقال: ما أحسن عطف الأغنياء على الفقراء)** بالزكاة وغيرها **(طلباً لثواب الله)** تعالى **(وأحسن من ذلك تيه الفقراء)** بكسر التاء الفوقية وإسكان الياء التحتية أي تكبرهم **(على الأغنياء ثقة بالله)** تعالى وبقربه وبعطاياه، فلا يذلون لهم لأجل مالهم، ولا يخضعون لهم طمعاً في نوالهم وإنما كان هذا أحسن من ذلك لأنَّ ذاك أغراض مع السعة عن بعض ما يملكه وهذا إعراض مع العدم عما هو محتاج إليه ثقة بالله أنْ يأتيه به عند دعاء الضرورة إليه، **(فقلت)** له لما أعجبني هذا الكلام: **(يا أمير المؤمنين زدني)** في الموعظة فدلني على تصغير الدنيا في عينه وتحقيرها في قلبه فأخبرني بأنَّ أصلي من التراب وأنَّ الله أحياني وكلفني بما يترتب عليه الحساب وسيميتني ويردّني إلى ما كنت عليه ثم يحييني مرة أخرى للوقوف والحساب وغيرهما، وقد ضمن ذلك شعراً: **(فقال:**

قد كنت ميتاً فصرت حياً وعن قريب تصير ميتاً

فكانت عبادته ومحبته لذات الله ولجلاله ولعظمته كما أشار إليه خبر «نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه». **(قوله: لم يقل ذلك استبطاء للإجابة)** أي بل قاله دلالاً لإرادة كشف السبب كما أشار إليه الشارح. **(قوله: مع أنَّ الذي أريده الخ)** أي بشهادة خبر: «لو اطلع أحدكم على الغيب لاختار الواقع». **(قوله: بحسب ما يحبه الله)** أي بحسب ما يريده على مقتضى سابق حكمته. **(قوله: على وقوع رؤية الله)** أي وهو صحيح وثابت. **(قوله: أي تكبرهم)** مراده به نزاهة نفوسهم وإعراضها عما بأيدي الأغنياء لا حقيقة الكبر والأنفة إذ هو ممنوع شرعاً. **(قوله: بأنَّ أصلي من التراب)** أي الأصل العنصري العارض، وإلا فالأصل العدم الكلي. **(قوله: ثم يحييني)** أي حياة النشأة الثانية. **(قوله: قد كنت ميتاً)** أي مثله في عدم الحياة فصرت حياً أي بعد التركيب المقيد ونفخ الروح بتأثير الله تعالى،

عز بدار الفناء بيت فأين أقت (**بدار البقاء بيتاً**) أي إذا لم يمكنك في هذه الدار الإقامة ببيت لكون الله كتب عليها الفناء فأين لك بيتاً بدار كتب الله لها البقاء، (**وقيل: روّي سفيان الثوري في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: رحمني فقيل له: ما حال عبد الله بن المبارك فقال: هو ممن يلج على ربه كل يوم مرتين**) في ذلك دلالة على أن أرواح السعداء ترى الله تعالى في البرزخ وتتنعم بقربه فيما أعد لها من النعيم، ويكمل لها ذلك يوم القيامة إذا حشرت بأجسادها وقد جاء أنّ أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تعلق في ثمار الجنة. (**سمعت الأُستاذ أبا علي الدّقاق رحمه الله يقول: رأى الأستاذ أبو سهل الصعلوكي أبا سهل الزجاجيّ في المنام وكان الزجاجيّ يقول بوعيد الأبد**) أي بأنّ كل من توعده الله على معصية وفعلها لا يغفرها له لأنّ توعده من باب الخبر وخبره صدق (**فقال له: ما فعل الله بك فقال الزجاجيّ: الأمر ههنا**) أي في الآخرة(**أسهل مما كنا نظنه**) في الدنيا فوجد أنّ الحق خلاف ما كان يقول به وهو كذلك لأنّ الله تعالى قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦] (**وروّي الحسن بن عصام الشيبانيّ في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: وإيش يكون من الكريم**) أي لا يكون منه (**إلا الكرم**) أي فأكرمني، (**وروّي بعضهم في المنام فسئل عن حاله فقال**) بياناً لحاله: (**حاسبونا فدققوا. ثم منوا فأعتقوا، ورُؤي حبيب العجمي في المنام فقيل له:**) يا أو أنت (**حبيب العجمي فقال: هيهات ذهبت العجمة وبقيت في النعمة**) في كل من هذه المرائي دلالة على رحمة الله ولطفه بالمرئي، وعلى قوّة رجاء الرائي وحسن ظنه بربه، (**وقيل: دخل الحسن البصري**

وعن قريب تصير ميتاً أي حقيقة بعد قبض روحك، عز أي تعزز بدار الفناء لمآلها إليه، بيت أي سكناه فابن وأسس لك بيتاً بدار الفناء حيث هو لا يفنى والله أعلم.

(**قوله: فقال: هو ممن يلج على ربه الخ**) لعل المراد إفادة زيادة تنعمه في عالم البرزخ وإلا فما يظهر منه لا يصح أنْ يراد. (**قوله: يقول بوعيد الأبد**) أي بأن الكبائر لا يتعلق بها الغفران. (**قوله: ويغفر ما دون ذلك**) أي وهو يعم ما فيه وعيد شديد. (**قوله: وإيش يكون من الكريم**) أي ولهذا قيل بدواعي قوّة الرجاء:

وحمل الزاد أقبح كل شيء ... إذا كان القدوم على كريم

(**قوله: حاسبونا الخ**) بقيته هكذا سيمة الملوك. بالمماليك يرفقوا. (**قوله: في كل من هذه المرائي الخ**) أقول: لا يخفى أنّ الرجاء هو تعلق القلب بمرغوب فيه مع الأخذ في الأسباب وإلا كان من الطمع المحرم.

(**قوله: وقيل: دخل الحسن البصري الخ**) فيه تنبيه على أنّ عيب الظاهر لا يضر إذا

مسجداً **ليصلي فيه المغرب**) مع جماعة (**فوجد إمامهم حبيباً العجمي**) ولم يسمع قراءته لكن نقل إليه أنه يلحن فيها (**فلم يصل خلفه لأنه خاف أن يلحن**) لحناً يضر الصلاة وليس كذلك وإنما كان يلحن لحناً يسيراً (**لعجمة**) كانت (**في لسانه فرأى في المنام في تلك الليلة قائلاً يقول له: لمَ لم تصل خلفه لو صليت خلفه لغفر لك ما تقدم من ذنبك**) لأنَّ صلاته كانت صحيحة، وكان فيها من الحضور والخشوع والتذلل بين يدي الله تعالى ما تزيد فضيلته على فضيلة ذلك اللحن اليسير الذي لا يضر وهو وإنْ فاتته فضيلة لفظية امتاز على غيره بفضيلة قلبية هي أفضل عند الله فقيل للبصري مع كمال فضله وورعه وحرصه على الفضائل: لو صليت خلفه لنالتك فضيلة أخرى اختص بها على غيره من الأئمة، (**ورؤي مالك بن أنس في المنام فقيل له: ما فعل الله بك فقال: غفر لي بكلمة كان يقولها عثمان بن عفان رضي الله عنه عند رؤية الجنازة سبحان الحي الذي لا يموت**) في ذلك دلالة على أنَّ مالكاً رضي الله عنه لقي من ربه بقوله ذلك كل خير فغفر له كل زلل، (**ورؤي الليلة التي مات فيها الحسن البصريّ كأن أبواب السماء مفتحة، وكان منادياً ينادي إلا أنَّ الحسن البصري قدم على الله تعالى وهو عنه راض**) فيه دلالة على فضيلته، وهي معلومة من حاله في الدنيا. (**سمعت أبا بكر بن أبي أشكيب يقول: رأيت الأستاذ أبا سهل الصعلوكيّ في النوم على حالة حسنة فقلت**) له: (**يا أستاذ بمَ وجدت هذا**) الحال الحسن (**فقال: بحسن ظني بربي**) مرتين دلالة على فضيلته، وهي معلومة من حاله في الدنيا أيضاً، (**وقيل: رؤي الجاحظ في المنام فقيل له: ما فعل الله بك فقال: فلا تكتب بكفك**) وفي نسخة بخطك (**غير شيء. يسرك في القيامة أنْ تراه**) لأنَّ العبد يُسأل عن جميع أعماله ومنها الكتابة (**وقيل: رأى الجنيد إبليس**) الخبيث (**في منامه عرياناً**) على عادته من تظاهره بكشف عورته عند أَهل الشر ليحسن لهم ذلك ويتعوّدوا به (**فقال له: ألا تستحي من الناس فقال: هؤلاء ناس**) أي ليسوا بناس يستحى منهم (**إنما الناس**) الذين يستحى منهم (**أقوام في مسجد الشونيزية أضنوا جسدي وأحرقوا كبدي قال الجنيد رحمه الله**) تعالى: (**فلما انتبهت**)

تحلى الباطن بما يسر، فلا تقف مع المظاهر حيث المعتبر حسن السرائر. (**قوله: فغفر له كل زلل**) أي ولو كان من باب حسنات الأبرار سيئات المقرّبين. (**قوله: فيه دلالة على فضيلته الخ**) كيف ولسان الحال ينادي بالنوال هذه آثارنا تدل علينا ومشاهدنا تشهد لنا نفعنا الله ببركات أنفاسه.

(**قوله: فقال بحسن ظني الخ**) أي ويؤيده خبر «أنا عند ظن عبدي بي إنْ خيراً فخير وإنْ شراً فشر». (**قوله: رؤي الجاحظ**) قال بعضهم: كان مشوّه الخلق وفيما ذكر هنا

وأصبحت (**غدوت إلى المسجد فرأيت جماعة**) استقبلوا القبلة ثم (**وضعوا رؤوسهم على ركبهم يتفكرون**) في خلق السموات والأرض ويذكرون الله (**فلما رأوني قالوا لي**: مكاشفة بما رأيته في النوم (**لا يغرنك حديث الخبيث**) لأنَّ كل ما يقوله شر لا خير فيه، (**وروي**) أبو القاسم (**النصر أباذي بمكة بعد موته في النوم فقيل له: ما فعل الله بك فقال: عوتبت عتاب الأشراف**) أي عتاباً يسيراً (**ثم نوديت يا أبا القاسم نودي بكنيته زيادة في فضيلته أبعد الاتصال انفصال**) أي أيليق بك بعد أنْ أوصلناك أنْ تلتفت لغيرنا (**فقلت: لا يا ذا الجلال فما وضعت في اللحد حتى لحقت بالأحد**) أي صرت عند الله في منزلة رفيعة من التقريب والإكرام، وهذا من تتمة جواب ما فعل الله بك (**وروي ذو النون المصريّ في المنام فقيل له: ما فعل الله بك فقال: كنت أسأله ثلاث حوائج في الدنيا فأعطاني البعض**) في الدنيا أي واحدة وفي نسخة فأعطاني منها اثنتين وليست بصحيحة لما سيأتي (**وأرجو أنْ يعطيني الباقي كنت أسأله أنْ يعطيني من**) الكرامات (**العشرة التي على يد رضوان**) خازن الجنة (**واحدة ويعطيني**) أي ويتولى ذلك (**بنفسه وأنْ يعذبني**) وفي نسخة يعذبني (**عن الواحدة التي**) وفي نسخة عن الواحدة الذي (**بيد مالك**) خازن النار (**بعشرة ويتولى هو**) العشرة بنفسه غرضه بذلك أنَّ النعيم وإنْ قلّت أفراده والعذاب له بنفسه كمل سروره في النعيم ولم يجد كمال الألم في العذاب لأنَّ كل ما يكون من المحبوب محبوب (**وأنْ يرزقني أنْ أذكره بلسان الأبدية**) بأنْ لا يحجبني عنه نعيمه ولا عذابه وهذا هو الذي أعطيه في الدنيا، (**وقيل: رؤي الشبلي في المنام بعد موته فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: لم يطالبني بالبراهين على الدعاوي**) التي كنت أتكلم بها (**إلا على شيء واحد**) وهو أني (**قلت يوماً: لا خسارة أعظم من خسران الجنة ودخول النار فقال لي: وأيّ خسارة أعظم من خسران لقائي**) لأنَّ النعيم وإنْ شرف والعذاب وإنْ عظم صغيران

شيء في الخلق عافانا الله تعالى وإياه. . (**قوله: فلما رأوني قالوا الخ**) ليس المراد منه كذب ما أخبره به الخبيث بل إفادة شأنه الغالب عليه حكمه. (**قوله: ثم نوديت الخ**) لعل ذلك صورة العتب. (**قوله: حتى لحقت بالأحد**) أي غبت في مقام أحدية الحق تعالى غافلاً عن سائر الأكوان حيث هو مقام العمى الأوّل. (**قوله: كنت أسأله الخ**) حاصله أنَّ غرضه أنَّ الحق تعالى يتولى كلاً من نعيمه وعذابه، وذلك ليعظم الأوّل ويسهل الثاني، ويشير إليه قول سلطان العشاق ابن الفارض قدّس الله سره: تلذ لي الآلام مذ أنت مسقمي. إلى آخر ما قال رضي الله عنه. (**قوله: بأنْ لا يحجبني الخ**) يشير إلى أنّه ممن يشهد البلاء من النعم فشكر عليه رضي الله تعالى عنه. (**قوله: فقال: وأيّ خسارة الخ**)

بالنظر إلى رؤية الله والحجب عنه إذا أشرف النعيم الذي هو في الجنة رؤية الله وأشدّ العذاب الذي هو في النار الحجب عن الله. (**سمعت الأستاذ أبا علي رحمه الله يقول: رأى الجريريّ الجنيد في المنام فقال له: كيف حالك يا أبا القاسم فقال: طاحت تلك الإشارات**) أي سقطت بمعنى خفت بالنسبة للتسبيحات (**وبادت تلك العبارات**) أي هلكت بمعنى ما ذكر (**وما نفعنا إلا تسبيحات**) من الذكر ونحوه (**كنا نقولها بالغدوات**) فيه دلالة على أنَّ أكثر العبادات منفعة عند الله تعالى الذكر كما قال تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، (**وقال النباجي: تشهيت يوماً شيئاً فرأيت في المنام كأنَّ قائلاً يقول: أيجمل**) أي يحسن (**بالحر المريد أنْ يتذلل**) أي يذل نفسه (**للعبيد وهو يجد من مولاه ما يريد**) فيه إشارة إلى أنَّ من كثرت شهواته ذل في طلبها للعبيد لتحصيلها (**وقال ابن الجلاء: دخلت المدينة**) المشرفة (**وبي فاقة فتقدمت إلى القبر وقلت: أنا ضيفك يا نبي الله فغفوت غفوة**) أي نمت نومة (**فرأيت النبي ﷺ في نومي قد أعطاني رغيفاً فأكلت نصفه وانتبهت وبيدي النصف**) الآخر في ذلك دلالة على صدقه في حاجته، وعلى أنَّ الله أكرمه بهذه الكرامة لشرف نبينا ﷺ واستضافته، (**وقال بعضهم: رأيت النبي ﷺ في المنام يقول: «زوروا ابن عون فإنّه يحب الله ورسوله»**) في كرامة لابن عون بقول النبي ﷺ: «زوروه» وشهادة له منه بأنَّه يحب الله ورسوله، (**وقيل: رأى عتبة الغلام**) امرأة (**حوراء**) من الحور وهو شدة بياض العين في شدّ سوادها (**في المنام على صورة حسنة فقالت: يا عتبة أنا لك عاشقة فانظر أنْ لا تعمل من الأعمال شيئاً يحال**) به (**بيني وبينك فقال لها عتبة:**) ليطمئن قلبها (**طلقت الدنيا ثلاثاً لا رجعة لي عليها حتى ألقاك**) فيه دلالة على فضيلة عتبة بكمال زهده في الدنيا واشتغاله بالآخرة (**سمعت منصوراً المغربي يقول: رأيت**

أي فالذي ينبغي للكامل أنْ تكون همته عالية فلا يقصد غير معالي الأمور ويدع سفسافها. (**قوله: وما نفعنا الخ**) أي ويدل له خبر «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»(١). (**قوله: تشهيت يوماً شيئاً**) أي شيئاً لا يتيسر إلا بسؤال الغير كما يدل له ما قيل له في النوم. (**قوله: وهو يجد من مولاه ما يريد**) قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ [الحجر: ٨٨] الآية. (**قوله: فأكلت نصفه الخ**) يدل له خبر «من رآني في المنام فقد رآني حقاً فإنَّ الشيطان لا يمتثل بي». (**قوله: فيه دلالة على فضيلة عتبة الخ**) أي وفيه دلالة أيضاً على أنَّ الكمالات الأخروية لا تكون إلا لمن تجرّد

---

(١) أخرجه البخاري (إيمان ١٩) (توحيد ٥٨) (دعوات ٦٦) ومسلم (ذكر ٣٠) وابن ماجه (أدب ٥٦) والترمذي (دعوات ٥٩) وأحمد بن حنبل (٢، ٢٣٢).

شيخاً في بلاد الشأم كبير الشأن وكان الغالب عليه الانقباض فقيل لي: إنْ أردت أنْ ينبسط هذا الشيخ معك فسلم عليه وقل له: رزقك الله الحور العين فإنَّه يرضى منك بهذا الدعاء فسألت عن سببه فقيل: إنّه رأى شيئاً من الحور) العين (في منامه فبقي في قلبه شيء من ذلك) بلقائهن (فمضيت) إليه (وسلمت عليه وقلت) له: (رزقك الله الحور العين فانبسط الشيخ معي) في هذا وما قبله دلالة على وقوع رؤيا الحور العين في النوم، (وقيل: رأى أيوب السختياني جنازة عاص فدخل دهليزاً) واختفى فيه (لئلا يحتاج إلى الصلاة عليها) رأى أنَّ هذا الميت ممن ينبغي لأهل الدين أنْ لا يصلوا عليه زجراً لأمثاله عن المعصية (فرأى بعضهم الميت في المنام فقال له: ما فعل الله بك فقال: غفر لي، وقال لي: قل لأيوب) السختيانيّ (قل: ﴿لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ﴾) أي من الرزق والمطر ﴿إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ﴾ [الإسراء: ١٠٠] أي لبخلتم (خشية الإنفاق) أي خوف نفادها بالإنفاق فتفتقرون، فيه تنبيه على سعة رحمة الله وجواز مغفرته للكبائر من الذنوب غير الشرك كما قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، (وقيل: رؤي الليلة التي مات فيها مالك بن دينار كأن أبواب السماء فتحت وقائل يقول: إلا أنَّ مالك بن دينار أصبح من سكان الجنة) فيه بشرى له بأنّه من أهل الجنة (وقال بعضهم: رأيت الليلة التي مات فيها داود الطائي نوراً وملائكة صعوداً وملائكة نزولاً فقلت: أيّ ليلة هذه فقالوا: ليلة مات فيها داود الطائيّ وقد زخرفت الجنة لقدوم روحه على أهلها) فيه ما ذكر قبله. (قال الأستاذ الإمام) القشيريّ رحمه الله: (رأيت الأستاذ أبا عليّ الدقاق رحمه الله في المنام فقلت له: ما فعل الله بك فقال) لي: (ليس للمغفرة ههنا كبير خطر) أي قدر عند الله بل يغفر ويكرم ويلطف (أقل من حضر ههنا خطراً) أي قدراً (فلان) وعنى إنساناً ومع ذلك (أعطي كذا وكذا، ووقع لي في المنام أنَّ ذلك الذي عناه قتل نفساً بغير حق) في

عن الشهوات الدنيوية. (قوله: رأى أنَّ هذا الميت الخ) أي فكان الأولى في حقه ما فعله من اختفائه وعدم الصلاة عليه.

(قوله: وقال لي: قل لأيوب السختياني قل: لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي) أي خزائن رزقه التي أفاضت على كافة الموجودات وأنتم مرتفع بفعل يفسره المذكور كما في قول حاتم: لو زادت سوار لطمتني، والغرض المبالغة في حب الاختصاص، وقوله: لأمسكتم أي لبخلتم خشية الإنفاق أي مخالفة النفاق إذا ليس في الدنيا أحد إلا وهو يختار النفع لنفسه، ولو آثر غيره بشيء فإنما يؤثره لغرض يعود مرجعه إليه. (قوله: على سعة رحمة الله) أي وعدم صحة اليأس من مغفرته وإنْ عظمت الجرائم إذ هي حقيرة في جانب

ذلك دلالة أيضاً على سعة رحمة الله وأنّه بعد العفو يعطي الجزيل من فضله، (**وقيل: لما مات كرز بن وبرة رؤي في المنام كأن أهل القبور خرجوا من قبورهم وعليهم ثياب جدد بيض فقيل:**) لهم (**ما هذا قيل: إنّ أهل القبور كسوا ثياباً جُدداً**) وفي نسخة لبسوا لباساً جديداً (**لقدوم كرز بن وبرة عليهم**) فيه كرامة له، (**ورؤي يوسف بن الحسين في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي فقيل له: بماذا؟ فقال: لأني ما خلطت جسداً بهزل قط**) فيه إشارة إلى كمال ورعه وأنَّ أكثر أحواله جد وإنْ مزح فبوجه حق كما قال النبي ﷺ: «إني لأمزح ولا أقول إلا حقاً»[1]، (**ورؤي أبو عبد الله الزراد في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: أوقفني وغفر لي كل ذنب أقررت به في الدنيا إلاّ**) ذنباً (**واحداً استحيت أنْ أقر به فوقفني في العرق حتى سقط لحم وجهي**) ثم غفر لي (**فقيل له: وما ذاك**) أي ما سببه (**فقال: نظرت يوماً إلى شخص جميل**) بشهوة (**فاستحيت أنْ أذكره**) فيه أنَّ الاستحياء من ذكر الذنب يوم القيامة لا يفيد لأنَّ ذاك اليوم ليس يوم عمل وإنما هو يوم جزاء. (**سمعت أبا سعيد الشحام يقول: رأيت الشيخ الإمام أبا الطيب سهلاً الصعلوكيّ في المنام فقلت له: أيها الشيخ فقال**) لي: (**دع الشيخ**) أي اسمه (**فقلت**) له: (**و**) أين (**تلك الأحوال التي شاهدتها**) فيك (**فقال**) لي: (**لم تغن عنا**) شيئاً (**فقلت**) له: (**ما فعل الله بك قال: غفر لي بمسائل كانت تسأل**) ني (**عنها العجز فأجبتهم عنها**) فيه دلالة على سعة رحمة الله وعلى فضيلة المفتي للعوام المحتاجين إلى معرفة الأحكام. (**سمعت أبا بكر الرشيديّ الفقيه يقول: رأيت محمداً الطوسيّ المعلم في المنام فقال لي: قل لأبي سعيد الصفار المؤدب: وكنا**) متعاهدين (**على أنْ لا نحول عن الهوى**) أي الحب (**فقد**) داخلة على

سعة الفضل الرحماني. (**قوله: على سعة رحمة الله وأنه بعد العفو الخ**) كيف وقد أمرنا معاشر الخلق ونحن الأشحاء طبعاً بذلك فهو تعالى أحق حيث هو رب العطاء وإليه الفضل جل وعلا.

(**قوله: وإنَّ أكثر أحواله**) حمله الشيخ على هذا الوجه وإن احتمل أنّه لا هزل له أصلاً اعتباراً بالأغلب في حق البشر. (**قوله: فقال: نظرت إلى شخص الخ**) تدبر عظم إثم مجرد النظر بشهوة عسى أنْ تعتبر، فحيث ثبت هذا فيه فكيف يكون الحال بفاعل الفعلة القبيحة أعاذنا الله منها، فلا حول ولا قوّة إلا بالله.

(**قوله: وعلى فضيلة المفتي للعوام الخ**) أي ويدل له خبر «لأنْ يهدي الله بك رجلاً

---

(١) أخرجه الهيثمي في (مجمع الزوائد ٩/ ١٧) والقاضي عياض في (الشفا ٢/ ٤٢٤) و (صاحب أخلاق النبوة ٨٦) والطبراني في (المعجم الكبير ١٢/ ٣٩١) والعجلوني في (كشف الخفاء ١/ ٥٧٢).

حلتم (وحياة الحب) قسم معترض بينهما (حلتم عن الهوى وما حلنا) عنه وفي نسخة بعد هذا: تشاغلتم عنا بصحبة غيرنا. وأظهرتم الهجران ما هكذا كنا. لعل الذي يقضي الأمور بعلمه. سيجمعنا بعد الممات كما كنا. (قال: **فانتهبت وقلت: ذلك لأبي سعيد الصفار فقال**) لي: (**كنت أزور قبره كل يوم جمعة فلم أزره هذه الجمعة وحُكي عن بعضهم أنه قال: رأيت في المنام رسول الله ﷺ وحوله جماعة من الفقراء فبينا هو**) وفي نسخة فبينما هم (**كذلك إذ نزل**) عليهم (**من السماء ملكان وبيد أحدهما طست وبيد الآخر إبريق فوضع الطست بين يديْ رسول الله ﷺ فغل**) فيه (**يده الكريمة**) من الإبريق (**ثم أمر الملكين**) بمثل ذلك مع الجماعة أو أمر بمثل ما فعله هو (**حتى غسلوا أيديهم ثم وضع الطست بين يديّ فقال أحدهما للآخر: لا تصب على يده فإنَّه ليس منهم فقلت: يا رسول الله ليس قد روي عنك أنّك قلت: «المرء مع من أحب» فقال: «بلى» فقلت: أنا أحبك وأحب هؤلاء الفقراء فقال ﷺ: «صب على يده فإنَّه منهم»**) حكماً فيه دلالة على أنَّ صحبة العبد للأخيار تنفعه وإنْ لم يكن معهم في المنزلة، (**وحُكي عن بعضهم**) وهو عمر الحمال كما يأتي (**إنَّه كان يقول أبداً**) أي دائماً: (**العافية العافية فقيل له: ما معنى هذا الدعاء فقال: كنت حمالاً في ابتداء أمري وكنت حملت يوماً صدراً**) أي شيئاً ثقيلاً (**من الدقيق فوضعته لأستريح فكنت أقول: يا رب لو أعطيتني كل يوم رغيفين من غير تعب لكنت أكتفي بهما**) ولم أعذب نفسي بهذا العمل (**فإذا رجلان يختصمان فتقدمت أصلح بينهما فضرب أحدهما راسي بشيء أراد أنْ يضرب به خصمه فدمي وجهي فجاء صاحب الربع**) أي المحلة وكان من أعوان السلطان (**فأخذهما، فلما رآني ملوثاً بالدم أخذني**) أيضاً (**وظن أني ممن تشاجر**) معهما (**فأدخلني**) معهما (**السجن**) تأديباً (**فبقيت في السجن مدّة**) طويلة (**أوتى كل يوم رغيفين فرأيت ليلة في المنام قائلاً يقول لي: إنك سألته الرغيفين كل يوم من غير نصب**) أي تعب (**ولم تسأل العافية فأعطاك ما سألت**) دون غيره (**فانتبهت وقلت: العافية العافية فرأيت باب السجن يقرع وقيل:**) أي وقائل يقول لأهل السجن: (**أين عمر الحمال**) خلوا سبيله (**فأطلقوني وخلوا سبيلي**) في ذلك دلالة على أنه ينبغي للعبد أنْ لا يختار لنفسه شيئاً كما فعل الحمال حيث كره ما كان

واحداً خير لك من حمر النعم» حيث عمومه يشمل ذلك. (**قوله: تشاغلتم الخ**) محصله عتب لطيف واستجلاب ظريف، ودعاء شريف وهكذا حال المتحابين في الله. (**قوله: وإنْ لم يكن معهم الخ**) أقول: ولا يظهر سر المحبة إلا في هذه الحالة. (**قوله: في ذلك دلالة على أنه ينبغي الخ**) أي ويشهد له قوله عز وجل: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا

فيه من الحمل واختار غيره بل يرضى بكل ما يجريه الله عليه، وإنْ سأل فليسأل العافية في الدين والدنيا والآخرة.

(وحُكي عن الكتاني أنّه قال: كان عندنا رجل من أصحابنا هاجت عينه) أي ثار وجعها **(فقيل له: ألا تعالجها فقال: عزمت على أنْ لا أعالجها حتى تبرأ)** بنفسها لعلمه بأنَّ المداوي والمبرىء هو الله تعالى **(قال: فرأيت في المنام كأنْ قائلاً يقول: لو كان هذا العزم على أهل النار كلهم لأخرجناهم من النار)** به لصحته وقوته، **(وحُكي عن الجنيد أنّه قال: رأيت في المنام كأني أتكلم على الناس)** أي أعظهم **(فوقف عليّ ملك)** في صورة آدمي **(وقال)** لي: **(أقرب)** أي أفضل **(ما تقرب به المتقربون إلى الله تعالى ماذا؟ فقلت)** له: **(عمل خفيّ بميزان وفيّ)** أي بوقوعه على وجهه شرعاً، فقد اشتهر أنَّ عمل السر يزيد على عمل العلانية بسبعين ضعفاً لكونه بين العبد وربه **(قال)** الجنيد: **(فولى الملك عني وهو يقول: كلامُ مُوفق والله)** في ذلك دلالة على فضيلة الجنيد في العلم والعمل، ومثله ما رُوي أنَّ الحسن البصريّ لما دخل مكة رأى شاباً من أولاد الحسن بن عليّ قد أسند ظهره إلى الكعبة يعظ الناس، فأراد أن يمتحنه فقال: يا فتى ما ملاك الدين؟ فقال: الورع فقال وما آفته فقال: الطمع فقال: مثلك من يصلح أنْ يعظ الناس **(وقال رجل للعلاء بن زياد: رأيت في المنام كأنّك من أهل الجنة فقال)** لي: **(لعل الشيطان أراد)** مني **(أمراً)** أعصي الله به **(فعصمت منه فأشخص)** أي أرسل **(إليّ رجلاً)** وهو أنت **(يعينه على مقصوده من إضلالي)** في ذلك دليل على حفظ العلاء من تلبيس إبليس، وعدم انخداعه بالثناء عليه، وهكذا ينبغي لكل متق أنْ لا ينخدع بذلك، وأنّه إذا جرت على يده خوارق للعادات لا يعدها كرامات إلا بعد النظر فيها وفيما يثمر من زيادة اليقين والحمل على الأعمال الصالحات، **(وقيل: رؤي عطاء السلميّ في المنام فقيل له:**

﴿كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ [القصص: ٦٨] فيه أنّ الدواء مشروع، قلت: لعله لمن لا قوة لبصره وإلا فله ترك الدواء اعتماداً على الرقيب المداوي. **(قوله: يزيد على عمل العلانية)** أي بالنسبة لغير من يرجى الاقتداء به فيه وإلا فعمل العلانية لمثله أفضل. **(قوله: في ذلك دليل على حفظ الخ)** أي بواسطة دوام اتهامه لنفسه وعدم استحسان حاله. **(قوله: فقال: مع الذين أنعم الله عليهم)** أي وهم المطيعون الرسول ﷺ، وقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ الخ بيان للمنعم عليهم والعرض لمعية سائرالأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع أنَّ الكلام في بيان حكم طاعة نبينا ﷺ للإشارة إلى أنَّ طاعته عليه السلام متضمنة لطاعتهم لاشتمال شريعته على شرائعهم التي تتغير بتغير الأعصار، وقوله: والصديقين أي المتقدمين في

لقد كنت طويل الحزن) أي على التقصير في حق الله تعالى (فما فعل الله بك فقال: أما والله لقد أعقبني ذلك راحة طويلة وفرحاً دائماً فقيل له: ففي أيّ الدرجات أنتَ فقال: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ﴾) [النساء: ٦٩] (الآية وقيل: رؤي الأوزاعي في المنام) فقيل له: ما فعل الله بك؟ (فقال: ما رأيت ههنا درجة أرفع من درجة العلماء ثم درجة المحزونين) على التقصير في حق الله وإنما يعلم ذلك من كملت معرفته بعظمة الله وجلاله، فكل عمل عمله بعد ذلك وإنْ أتقنه وأحكمه يراه قليلاً حقيراً بالنسبة إلى جلال الله وعظمته.

(وقال البناجي: قيل لي في المنام: من وثق بالله رزقه زيد في حسن خلقه) لقلة حرصه على الدنيا وحسن معاملته في تصرفه حينئذ (وسمحت نفسه في نفقته) لسهولة البذل عليه حينئذ (وقلّت وساوسه في صلاته) لحسن توكله واعتماده على ربه حينئذ، (وقيل: رؤيت زبيدة) زوجة هٰرون الرشيد (في النوم فقيل لها: ما فعل الله تعالى بك فقالت: غفر لي فقيل) لها: (بكثرة نفقتك في طريق مكة فقالت: لا إنَّ أجرها) أي الأموال التي أنفقتها (عاد إلى أربابها) إذ الأموال السلطانية الغالب عليها أنها لم تؤخذ بوجه شرعي وأنَّها باقية على ملك أربابها (ولكن غفر لي بنيتي) يعني بقصدها للناس الخير وتيسيرها المياه والمنازل للحاج والمسافرين، وفي ذلك إشارة إلى أنَّ الأموال إذا أخذت من غير وجهها وتاب آخذها ولم يعرف أربابها ليردها إليهم تصرف في جهات البر ويكون أجرها لأربابها وللصارف أجر طاعته ونيته، وذلك بعد توبته وصدق نيته في أنَّه ما قدر على ردها إلى أربابها.

(ورؤي سفيان الثوريّ في المنام فقيل له: ما فعل الله بك فقال: وضعت أول

تصديقهم البالغين فيه، وفي الإخلاص قولاً وفعلاً، وهم أفاضل أصحاب الأنبياء وأماثل خواصهم المقربين، وقوله: والشهداء أي الذين بذلوا أرواحهم في طاعته تعالى وقوله: والصالحين أي الصارفين أعمارهم في طاعته تعالى. (قوله: فقال مع الذين أنعم الله عليهم) المعية لا تقتضي المساواة من كل وجه وإلا فمنزلة هؤلاء أعلى المنازل على أنّه يحتمل أنّه قد بلغ الصديقية. (قوله: من درجة العلماء) أي العلماء العاملين بعلمهم وإلا كان علمهم شاهداً عليهم لا لهم. (قوله: ثم درجة المحزونين على التقصير في حق الله) أي وإنما ارتفعت درجتهم على غيرهم ممن لم يكن كذلك جزاء لهم على دوام حزنهم في الدنيا الملهية لغيرهم عن مثل هذه الحالة الشريفة. (قوله: من وثق بالله) أي اعتمد على وعد ربه في الرزق. (قوله: وحسن معاملته) أي لفراغه من الشواغل والقواطع. (قوله: ولكن غفر لي بنيتي) أي ولهذا ورد: «نية المرء خير من عمله». (قوله: فإن من

قدمي على الصراط والثاني في الجنة) هذا من التسهيل في جواز الصراط فإنَّ من الخلق من يمرّ عليه كالريح ومنهم من يمر كالبرق كسفيان، ومنهم من يمر كالطير، ومنهم من يمر كشديد الرجال، ومنهم من يمشي، ومنهم من يتعثر، والعياذ بالله، (وقال أحمد بن أبي الحواري رأيت في النوم جارية) من الحور العين (ما رأيت أحسن منها يتلألأ وجهها نوراً فقلت) لها: (ما أنور وجهك فقالت) لي: (تذكر الليلة التي بكيت فيها فقلت: حملت إليّ دمعتك) أي قطرة من دمعك (فمسحت بها وجهي فصار وجهي هكذا) في ذلك دلالة على فضيلة البكاء من خشية الله وأنَّ أجرها عند الله عظيم، (وقيل: رأى يزيد الرقاشيّ النبي ﷺ في المنام فقرأ عليه) شيئاً من القرآن (فقال له: «هذه القراءة فأين البكاء) من خشية الله» فيه دلالة على أنَّ القراءة إذا صحبها البكاء والخشوع كانت أفضل، (وقال الجنيد: رأيت في المنام كأن ملكين نزلا من السماء فقال أحدهما) لي: (ما الصدق فقلت) له: (الوفاء بالعهد فقال الآخر: صدق ثم صعدا) إلى السماء، الصدق يكون غالباً في الأقوال فهو الإخبار

الخلق الخ) أي وذلك جميعه على حسب الهمم في حال الحياة الدنيا وبحسب القسمة الأزلية. **(قوله: فأين البكاء)** أي ولهذا ندب إن لم يبك القارىء فليتباك. **(قوله: فقلت له الوفاء الخ)** إنما حمل الصدق عليه لكونه أعم متعلقاً لشموله جميع ما كلف به الإنسان وعوهد على القيام به. **(قوله: من الأقوال الخ)** أي فالقصد من الأقوال أنْ تكون مطابقة للحق، ومن الأفعال أن تقع على أكمل وجوهها ومن النيات أن تكون خالصة لوجهه الكريم. **(قوله: فقال رجال صدقوا ما عاهدوا وا الله عليه)** أي من الثبات مع رسول الله ﷺ والمقاتلة لأعداء الدين وهم رجال من الصحابة رضوان الله عليهم نذروا أنهم إذا لقوا حرباً مع رسول الله ﷺ ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وحمزة ومصعب بن عمير وأنس بن النضر وغيرهم، ومعنى صدقوا أتوا بالصدق من صدقني إذا قال الصدق. **(قوله: فلو نظر كمال النظر الخ)** أقول: إنما كان ذلك كمال النظر لأنه بعيد عن الإفراط والتفريط المهلك كل منهما. **(قوله: وما كان شيء أضر عليَّ الخ)** لعل ذلك محمول على إشارات التخويف الزائدة عن الحد التي ربما أدت السامع إلى اليأس مما يذكره للمريدين رضي الله تعالى عنه بقصد تربيتهم، وإلا فما ذكره الشارح بعيد من مرتبته ومن تخلقه. **(قوله: ليقوى بها يقينه)** أي فكان ذلك لطفاً به ورحمة. **(قوله: في ذلك تشريف)** أي إظهار لشرفه وإلا فالحق تعالى أعلم به منه. **(قوله: رأيت في المنام شيئاً الخ)** ذلك التمثيل له من اللطف به ليحذر ما يضر ويدوم على ما يسر بشاهد محاسن المتابعة. **(قوله: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾** [النحل: ١٢٨] المراد بالمعية الولاية الدائمة التي لا يحوم حول صاحبها

بالشيء على ما هو عليه، وقد يكون في صدق النية فهو قوة العزم حتى يقع الفعل المعزوم عليه، وقد يكون في صدق الوفاء فيما هو عليه من الأقوال والأفعال والنيات، فهو الوفاء بما عوهد عليه كما مدح الله قوماً بوفائهم العهد، فقال: ﴿رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] الآية وكلام الجنيد من هذا الأخير، (ورؤي بشر الحافي في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي وقال) لي قبل أنْ غفر لي على وجه العتاب اللطيف: (أما استحيت يا بشر مني) حيث (كنت تخافني كل ذلك الخوف) الذي يخشى منه أنْ يكون قنوطاً أي فكان الأكمل لك أنْ تخافني خوفاً معتدلاً برجائي فبشر نظر إلى ذنوبه لا إلى أعماله الصالحة فنظر إلى بطش ربه وأخذه، ولم ينظر إلى سعة فضله ورحمته فلو نظر كمال النظر اعتدل خوفه ورجاؤه، (وقيل: رؤي أبو سليمان الداراني في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي وما كان شيء أضر عليّ) في السؤال (من إشارات القوم) حيث فهمت منها غير مرادهم أو حيث أوهمت غيري تخلقي بها وبأحكامها ولم أكن تمكنت فيها، (وقال علي بن الموفق: كنت أفكر يوماً) تغيرت فيه الأحوال والأسباب كتضييق الرزق وقلة المطر والسيل (في سبب عيالي والفقر الذي) نزل (بهم فرأيت في المنام رقعة فيها مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم يا ابن الموفق أتخشى الفقر وأنا ربك) عاتبه بذلك لكونه لم يعتمد عليه (فلما كان وقت الغلس أتاني رجل بكيس فيه خمسة آلاف دينار وقال لي: خذها إليك يا ضعيف اليقين) حيث لم تعتمد على الخالق وأرسل الله إليه هذا المال الكثير ليقوي به يقينه، ويزيل عنه خوف الفقر بالكلية (وقال) أبو القاسم (الجنيد: رأيت في المنام كأني واقف بين يدي الله تعالى فقال لي: يا أبا القاسم من أين لك هذا الكلام الذي تقولـ)ـه؟ (فقلت) له: (لا أقول إلا حقاً فقال) لي: (صدقت) في ذلك تشريف له ودلالة على أنَّ جميع كلامه كان حقاً (وقال أبو بكر الكتاني: رأيت في المنام شاباً لم أرَ أحسن منه فقلت له: من أنتَ فقال:) أنا

شائب شيء من الجزع وضيق الصدر وما يشعر به دخول كمله مع متبوعية المتقين إنما هو من حيث أنهم المباشرون للتقوى، والمراد بالتقوى المرتبة الجامعة لما تحتها من التوقي من الشرك، والتجنب عن كل ما يؤثم من فعل، وترك أي التنزه عن كل ما يشغل السر عن الحق، والتبتل إليه بشراشر النفس، وهي التقوى الحقيقية المؤثرة للولاية المقرونة ببشارة قوله سبحانه: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢] وقوله: ﴿وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨] المراد بهم من أتى بالأعمال على الوجه الأكمل اللائق الذي هو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي المشار إليه بخبر «أن تعبد الله كأنك تراه» الحديث، وفي تكرير الموصول إشارة وإيذان بكفاية كل من الصلتين

(التقوى) هي إسم جامع للأعمال الصالحة المقارنة للخوف والرجاء (فقلت) له: (وأين تسكن قال:) أسكن (في كل قلب حزين) على التقصير في القيام بما ينبغي لرب العباد لدلالة التقوى على كمال الخشية من الله قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ [النحل: ١٢٨] (ثم التفت فإذا امرأة سوداء كأوحش ما يكون) من النساء (فقلت) لها: (من أنتَ فقالت:) أنا (الضحك فقلت) لها: (وأين تسكنين فقالت:) أسكن (في قلب كل فرح) أي مسرور (مراح) أي شديد الفرح لدلالتهما على كمال الغفلة وتمكن القسوة قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦] والمراد الفرح بالدنيا أما الفرح بنعم الله وبما يرد منه من اللطف والبر فمحمود قال تعالى: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٧٠] (قال: فانتهبت واعتقدت) أي عزمت على (أن لا أضحك إلا غلبة)، فيما ذكر دلالة على أنَّ ما يرى ليس ذات المرئي وإنما هو صورة ومثال كما مرّ، (وحُكي عن أبي عبد الله بن خفيف قال: رأيت رسول الله ﷺ في النوم كأنّه قال لي «من عرف طريقاً إلى الله تعالى) من طرق عبادته (بسلكه ثم رجع) أي أعرض (عنه عذبه الله عذاباً لم يعذب به أحد من العالمين») فيه دلالة على أنَّ عذاب العالم على المعصية أشد من عذاب الجاهل عليها، (و) قيل: (رؤي الشبلي في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: ناقشني حتى أيست) من نفسي ففي الخبر «من نوقش الحساب عذب»[1] (فلما رأى إياسي تغمدني) أي غمرني (برحمته) وفضله قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾ [النور: ٢١]، (وقال أبو عثمان المغربي: رأيت في النوم كأنَّ قائلاً يقول لي: يا أبا

وتقديم التقوى على الإحسان لما أن التخلية بالخاء المعجمة مقدمة على التحلية بالحاء المهملة. (قوله: لدلالتهما على كمال الغفلة) أي الغفلة عما الإنسان عرضة له في الدنيا والدين من الابتلاء والامتحان وسبب قسوة القلب الانهماك على الحظوظ والمألوفات.. (قوله: قال تعالى: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٧٠] أي وهو شرف الشهادة والفوز بالحياة الأبدية والزلفى من الله تعالى والتمتع بالنعيم السرمدي. (قوله: من عرف طريقاً إلى الله) أي مما يطلب الدوام عليه من أنواع العبادات. (قوله: أشد من عذاب الجاهل) أي لأنَّ العالم لا عذر له بعد علمه والجاهل قد يعذر في الجملة. (قوله: تغمدني الخ) مأخوذ من غمد السيف الذي يعمه ويستره فالمراد شمول الرحمة كما قاله

---

(١) أخرجه البخاري (علم ٣٥) (تفسير سورة ٨٤، ١) (رقاق ٤٩) ومسلم (جن ٧٩، ٨٠) وأبو داود (جنائز ٨) والترمذي (قيامة ٥) (تفسير سورة ٨٤، ١) وأحمد بن حنبل (٦، ٤٧، ٤٨، ٩١، ١٠٨، ١٢٧، ١٨٥، ٢٠٦).

عثمان اتق الله في الفقر ولو) كانت التقوى **(بقدر سمسمة)** والمراد الفقر من المال أو إلى الله دون غيره إتق الله في حال فقرك وضرورتك من تناول ما فيه شبهة أو اتقِ الله في أنْ لا تعتمد على غيره من الأسباب لئلا تكون كذاباً مدعياً لما ليس فيك.

(وقيل: كان لأبي سعيد الخراز ابن مات قبله فرآه في المنام فقال له: يا بني أوصني فقال) له: **(يا أبت لا تعامل الله على الجبن)** أي قلة الشجاعة من الفتور والكسل في الطاعات **(فقال)** له: **(يا بني زدني)** في الموعظة **(فقال)** له: **(لا تخالف الله تعالى فيما يطالبك به)** من الطاعات **(فقال)** له: **(زدني فقال: لا تجعل بينك وبين الله قميصاً)** أي لا تقف مع شيء يحجبك عن طاعته فإنَّ حبك للشيء يعمي ويصم، فمتى أحببت شيئاً من الدنيا منعك حبه عن القيام بالمأمورات وأوقعك في بعض المحرمات، وفوّت عليك أعلى الدرجات، **(قال: فما لبست القميص ثلاثين سنة)** لئلا يشغله ويحجبه عن الطاعات. **(وقيل: كان بعضهم يقول في دعائه، اللهم الشيء الذي لا يضرك وينفعنا لا تمنعه عنا)** في هذا إيهام أنَّ ثم شيئاً يضره تعالى وشيئاً ينفعه، وليس مراداً **(فرأى في المنام كأنه قيل له: وأنت فالشيء الذي يضرك ولا ينفعك فدعه)** أي اتركه. نبه في نومه بذلك على ما ينتفع به وهو امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه.

(وحُكي عن أبي الفضل الأصبهاني أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ في المنام فقلت) له: **(يا رسول الله سل الله أنْ لا يسلبني الإيمان)** بأنْ يختم لي بخير **(فقال)** لي **(«ذلك شيء قد فرغ الله منه»)** أي قضاءه وقدره في الأزل فاعمل بما أمرك الله به واجتنب ما نهاك عنه مع الخوف والرجاء، **(وحُكي عن أبي سعيد الخراز أنّه قال: رأيت إبليس في المنام فأخذت عصاي لأضربه)** ليهرب مني **(فقيل لي: إنّه لا يفزع)** أي يخاف **(من**

الشارح. **(قوله: قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾)** [النساء: ٨٣] الخطاب لجميع الخلق والمعنى لولا تقدم إرادته الخير والإحسان ﴿مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ [النور: ٢١] بمجرّد قوته، ولكن الله يزكي من يشاء بأن يخلق فيه قدرة العبادة والطاعة فله الفضل أولاً وآخراً ظاهراً وباطناً. **(قوله: اتق الله في الفقر الخ)** وجه تخصيص الفقر أنه مظنة التعدي لما فيه شبهة من أنواع المكاسب، وقوله: ولو كانت الخ الغرض منه المبالغة في التحذير عما فيه شبهة ولو كان قليلاً جداً. **(قوله: لئلا تكون كذاباً الخ)** أي فتكون حينئذ كالمتشبع بما لم ينل. **(قوله: أي لا تقف مع شيء الخ)** أي ولو كان ذلك الشيء قليلاً «فالمكاتب قن ما بقي عليه درهم». **(قوله: فما لبست القميص الخ)** لعل مراده ما لبس قميصاً يزيد على قدر الحاجة بشاهد العلم. **(قوله: فقال لي: ذلك شيء قد فرغ الله منه)** أي فالعبرة بما سبق به القضاء الأزلي ومع ذلك فلا ينبغي الاشتغال بذلك بل بمقتضيات الأوامر والنواهي.

هذا إنما يفزع هذا من نور يكون في القلب) مراده بالنور كمال معرفة الله تعالى وجمال مناجاته أي فإنْ كمل نور قلبك خاف منك وهرب ففيه تحريض له على كمال الشغل بالله والإعراض عما سواه، **(وقال بعضهم: كنت أدعو لرابعة العدوية)** بعد موتها **(فرأيتها في المنام تقول)** لي: **(هداياك تأتينا على أطباق من نور مخمرة)** أي مغطاة **(بمناديل من نور)** فيه تعريف للداعي بأنَّ دعاءك لنا بإخلاص يأتينا بركته على أَحسن وجه، **(ويروى عن سماك بن حرب أنه قال: كف بصري فرأيت في المنام كأنَّ قائلاً يقول لي: إئت الفرات فاغتمس)** وفي نسخة فاغتسل **(فيه وافتح عينيك قال: ففعلت فأبصرت)** هذا من جملة المداواة للأبصار إذا منعها من الرؤية بعض الغشاء اللطيف لأنَّ الماء الصافي إذا نزل الإنسان فيه وفتح عينيه تصرف منهما من البخار ما كان يتوالى منه على محل الإبصار والإدراك، **(وقيل: رؤي بشر الحافي في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: لما رأيت ربي عز وجل قال لي: مرحباً يا بشر لقد توفيتك يوم توفيتك وما على الأرض أحب إلي منك)** فيه مدح له وبيان مرتبته عند ربه ومزيته على العباد في زمنه، وفائدة ذلك أنَّ الرائي يزداد به عملاً في الطاعات.

(قوله: ففيه تحريض على كمال الشغل بالله) أي بما أمر به ونهى عنه والإعراض عما سوى ذلك. **(قوله: فيه تعريف للداعي الخ)** أي وفيه أنَّ الميت ينتفع بدعاء الحي وتصل إليه بركته وهو كذلك على المعتمد. **(قوله: قال: فقلت فأبصرت)** أقول: إذا كان هذا من دواء الحق بدون واسطة الخلق، فلا يختص بعارض للبصر دون عارض. **(قوله: وفائدة ذلك أنَّ الرائي الخ)** أي فهو من اللطف به ليقوى يقينه ويدوم سروره.

تنبيه:

إذا تأملت بما يأتي في الذي سيذكره في وصيتهم ويعول عليه في سلوك طريقتهم والاستشهاد على ذلك بواضح أدلتهم، تعلم اتحاد الشريعة والطريقة وأنَّ أحكامهما واحدة في الحقيقة لأنهما قد رجعا إلى أصل واحد وهو الأدلة والبراهين القاطعة من نص الكتاب وسنة سيد الأحباب وإجماع المسلمين، واتفاق العلماء المحققين، وتبينت أنَّ طريق المريدين مستندة إلى ما استندت إليه سائر أحكام الشريعة من الآيات والأخبار الصحيحة، وأنهم إنما أخذوا بأفضل المندوبات واتصفوا بأكمل الأحوال والمقامات، فالله هو المسؤول في الأنعام بمثل ما أنعم به عليهم والتخلق بأفضل الأخلاق لديهم، إنه سميع الدعاء جزيل النعماء في العطاء قال رضي الله تعالى عنه.

باب الوصية للمريدين

(قال الأستاذ الإمام) القشيري رضي الله عنه: **(لما أثبتنا طرفاً من سير القوم وضممنا إلى ذلك أبواباً من المقامات)** والأحوال **(أردنا أن نختم هذه الرسالة بوصية للمريدين)** بل ولغيرهم **(نرجو من الله سبحانه حسن توفيقهم لاستعمالها وأن لا**

باب الوصية للمريدين

أي الوصية بما يلزمهم التخلق به إذا أرادوا السير إلى الله تعالى، وحاصل ذلك على طريق الإجمال البدء بالأهم فالأهم، فيبدأ المريد أولاً بتصحيح عقيدته بالنظر في أدلة علم الكلام العقلية والسمعية حتى يعلم ما يجب للحق تعالى وما يجوز وما يستحيل، وكذا يحب مثله في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام ثم بعد ذلك ينظر فيما يصحح أعماله في عبادة ربه على طريقة متابعة رسوله ﷺ ثم يتوب إلى الله تعالى مما جناه على نفسه من الذنوب صغيرها وكبيرها عمدها وخطئها وسهوها، ويرد المظالم إلى أهلها ثم يأخذ في طريق تجريد النفس عن حب الدنيا مالاً وجاهاً وغير ذلك من باقي حظوظ النفس وعاداتها ومألوفاتها فيجد في طريق خلافها على سبيل التدريج شيئاً فشيئاً حتى لا تمل ويبعد عن أبناء الدنيا المشتغلين بها وعن مشاهدة ما تميل إليه النفس بطبعها الخسيس، وكل ذلك يكون على يد شيخ موفق عالم بطريق الوصول إلى الله تعالى والحذر كل الحذر من مخالفته أو الإعتراض على شيء يبدو منه في حركاته وسكناته، فإذا احتاج إلى شيء سأله عنه على وجه الاستفهام بغاية الأدب والخشوع، فإذا سلك على الطريق الذي قدّمناه، ودام كذلك على فعل ما يرضي مولاه رجي له الخير والسداد، وثبت في ديوان المحبين المحبوبين من العباد. **(قوله: لما أثبتنا طرفاً الخ)** أشار بذلك إلى أنّ ما ذكره نبذة لطيفة وإلا فمواهبه تعالى وإنعاماته على عباده لا تستقصى فلا طريق إلى سبر أهل المواهب رضي الله تعالى عنهم. **(قوله: في سير القوم)** أي التي نقلت عن ثقاة الأمة وعدولهم. **(قوله: أبواباً)** جمع باب وهو لغة فرجة في ساتر يتوصل منها من خارج إلى داخل وبالعكس، وعرفاً جملة من العلم مشتملة على فصول ومسائل غالباً.

(قوله: من المقامات) جمع مقام وهو ما يدوم للعبد من الأخلاق المحمودة والحال مما لا يدوم له. **(قوله: أردنا أن نختم الخ)** أي بذلاً للنصيحة لهم وشفقة ورحمة بهم كما هو لازم لأخوة الدين والله خير الشاهدين. **(قوله: حسن توفيقهم)** التوفيق خلق قدرة

يحرمنا القيام بها) ولا بمضمونها **(وأنْ لا يجعلها حجة علينا فأوّل قدم للمريد في هذه الطريقة)** أي طريقة الصوفية **(ينبغي)** له **(أنْ يكون)** بانياً أمره **(على الصدق)** مع الله تعالى **(ليصح له البناء على أصل صحيح، فإنَّ الشيوخ قالوا: إنما حرموا الوصول لتضييعهم الأصول كذلك)** أي هكذا. **(سمعت الأستاذ أبا علي)** الدقاق رحمه الله **(يقول:)** إذا تقرّر ذلك **(فتجب البداية بتصحيح اعتقاد بينه وبين الله)** تعالى **(صاف عن الظنون والشبه حال من الضلالة والبدع صادر عن البراهين والحجج)** وذلك لخبر «إنما الأعمال بالنيات» وصحة الاعتقاد بموافقة ما عرف بالأدلة الصحيحة **(ويقبح بالمريد**

الطاعة في العبد المطيع **(قوله: وأنْ لا يحرمنا القيام بها)** أي التخلق بمعانيها وحقائقها. **(قوله: وأنْ لا يجعلها حجة علينا)** أي شاهدة علينا بعدم التخلق بمضمونها. **(قوله: فأوّل قدم للمريد الخ)** مراده أوّل ما يقدم به المريد على عبادة ربه أنْ يتحلى بحلية الصدق في مقاصده وأعماله لتثمر له الفوائد لا ويرجع بمحاسن العوائد. **(قوله: إنما حرموا الأصول الخ)** أي الوصول إلى درجات الكمال، والقرب وعوائد الأفضال. **(قوله: لتضييعهم الوصول)** جمع أصل وهو ما يبني عليه غيره من المقاصد والأعمال. **(قوله: بتصحيح اعتقاد بينه الخ)** الاعتقاد هو جزم القلب عن دليل عقلي أو سمعي أو هما معاً وذلك بعد النظر في الدليل المذكور بأوجه النظر المعلومة هذا ويكفي الاعتقاد الناشيء عن التقليد في أصل الإيمان وأنَّ جامع الإثم بالنسبة لمن قدر على النظر في الدليل وقصر فيه كما لا يخفى على من له إلمام. **(قوله: صاف عن الظنون والشبه)** أقول: هو تأكيد لقوله: اعتقاد الخ إذا لا يسمى اعتقاداً إلا إذا كان كذلك. **(قوله: خال من الضلالة والبدع)** أي كاعتقاد القدرية والجبرية والجهمية والمجسمة وغيرهم من بقية فرق أهل الاعتزال. **(قوله: صادر عن البراهين والحجج)** أي ناشيء عنهما وعطف الحجج على البراهين للتفسير، وهذا الدليل إما عقلي وإما سمعي على حسب ما يقتضيه الحال في العقائد، وهذا في حق القادر على النظر وإلا فيكفيه الاعتقاد الصادر عن التقليد ويكفي أيضاً الدليل الجملي بالنسبة للعامة على معنى أنّه لو عرض عليه ما أفاده الدليل لأذعن إليه وانقاد له.

(قوله: وذلك لخبر «إنما الأعمال بالنيات») أي وحيث كان معناه لا عمل بدون نية وجب الاعتقاد لأجل وقوع العمل المكلف به صحيحاً، وهذا الذي أوضحناه في معنى الخبر من أنَّ معناه نفي صحة العمل بدون النية هو ما ذهب إليه إمامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه خلافاً لغيره ممن يقول: المنفي الكمال لا الصحة والوجه مع إمامنا فإنَّ نفي الصحة أقرب إلى الحقيقة من نفي الكمال على ما يظهر لأولي الفضل والأفضال. **(قوله: وصحة الاعتقاد الخ)** أي كفاية الاعتقاد في ثبوت الإيمان والتخلص من الإثم لا تكون إلا إذا وافق الاعتقاد ما عرف من ذلك الدليل. **(قوله: ويقبح بالمريد أنْ ينتسب الخ)** أي

أنْ ينتسب إلى مذهب من مذاهب من ليس من هذه الطريقة) من الطرائق التي لا تجر نفعاً **(وليس انتساب الصوفي إلى مذهب من مذاهب المختلفين سوى)** أي غير **(طريقة الصوفية إلا نتيجة جهلهم)** الأنسب جهله **(بمذاهب أهل هذه الطريقة فإنّ هؤلاء)** أي الصوفية **(حججهم في مسائلهم أظهر من حجج كل أحد وقواعد مذهبهم أقوى من قواعد كل مذهب والناس)** قسمان لأنّهم **(إما أصحاب النقل والأثر وإما أرباب العقل والفكر وشيوخ الطائفة هذه ارتقوا)** بعمارة بواطنهم بالأخلاق الحميدة وبعدهم عن الأخلاق الذميمة ومراقبتهم لربهم في أعمالهم **(عن هذه الجملة)** أي جملة القسمين **(فالذي)** هو **(للناس غيب)** عن أعينهم **(فهو لهم ظهور والذي)** هو **(للخلق)** من المعارف **(مقصود فلهم)** أي فهو لهم **(من الحق سبحانه موجود)** بلطف الله وفضله

يقبح منه ذلك بعد تحققه بما تقدم من وجوب تصحيح اعتقاد بينه وبين الله تعالى على النعت المذكور.

(قوله: وليس انتساب الصوفي الخ) غرضه أنّ من انتسب إلى الصوفية وانتحل مذهباً يخالف ما ذهبوا إليه في طريقهم كان ذلك دليلاً على جهله ونتيجة لجهله لا غير لأنّ مذهبهم مذهب أهل الحق من جماعات المسلمين رضي الله تعالى عنهم أجمعين. **(قوله: فإنّ هؤلاء)** تعليل لقوله: وليس انتساب الصوفي الخ. **(قوله: أظهر من حجج كل أحد)** أي لأنّهم إنما بنوها على أصول صحيحة وطرق واضحة لاتخفى إلا على ذي عمى في بصيرته. **(قوله: والناس قسمان الخ)** هو علة لما ادعاه من أظهرية ما ذهب إليه الصوفية، وذلك لأنّ ما ذهب إليه غيرهم إما أنْ يكون صادراً عن دليل سمعي وإما أنْ يكون صادراً عن نظر عقل واستعمال فكر صحيحين في نظرهما وهم رضي الله تعالى عنهم ارتقوا عن ذلك بعد تحقيقة عندهم إلى ما هو أعلى منه بواسطة زيادة أنوار بصائرهم بعمارتها بالأخلاق الحميدة ومراقبتهم لربهم في كامل حركاتهم وسكناتهم. **(قوله: فالذي هو للناس الخ)** تفريع على ما قبله من الارتقاء والمعنى أنّ ما غاب عن أعين غيرهم من أحكام الحق تعالى فهو لهم ظهور أي ظاهر، وذلك أنّه بواسطة إشراف أنوار بصائرهم صارت الأحكام عندهم بعد تحقيقها دليلاً وبرهاناً كشفاً وعياناً بخلاف غيرهم ممن بقي على عقال عقله لم ينفك عنه.

(قوله: والذي هو للخلق مقصود) أي مقصود تحصيله فهو لهم موجود أي بشاهد خبر: «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم». **(قوله: فهم أهل الوصال)** أي أهل المواصلة حيث أنّهم وصلوا بزيادة النور القلبي إلى مقام المشاهدات والمكافحات دون غيرهم من بقية الخلق، وقوله: والناس أي غيرهم أهل الاستدلال أي لأنهم وقفوا مع الظواهر بسبب عدم تمكنهم من أحكام السرائر. **(قوله: وهم كما قال القائل: ليلي**

وكرمه **(فهم أهل الوصال وللناس أهل الاستدلال وهم كما قال القائل:**

ليلي بوجهك مشرق   وظلامه في الناس سار

والناس في سلف الظلا * م) بضم السين وفتح الدال جمع سدفة بفتح السين وإسكان الدال وهي الظلمة **(ونحن في ضوء النهار. ولم يكن عصر من الأعصار في مدة الإسلام الأوليه شيخ من شيوخ هذه الطائفة ممن له علوم التوحيد وإمامة القوم إلا وأئمة ذلك الوقت من العلماء استسلموا)** أي انقادوا **(لذلك الشيخ وتواضعوا له وتبركوا به، ولولا مزية وخصوصية لهم)** يعني للمشايخ عند أئمة ذلك الوقت **(وإلا كان الأمر بالعكس)** يعني كانوا مستسلمين لأئمة ذلك الوقت **(هذا أحمد بن حنبل كان عند الشافعي فجاء شيبان الراعي)** رضي الله عنهم **(فقال أحمد)** للشافعي **(أريد يا أبا عبد الله أنَّ أنبه هذا على نقصان علمه ليشتغل بتحصيل بعض العلوم)** التي يلزمه تحصيلها **(فقال)** له: **(لا تفعل)** لأنّ الله لا يخلي مثله عن ذلك **(فلم يقنع)** منه بذلك،

بوجهك مشرق * وظلامه في الناس سار الخ) الذي محصله أنّ ظلمة الجهالات الثابتة لغيره قد محاها منه إشراف نور الحق على قلبه، وهذه الظلمة سارية في الناس الذين لم تسبق لهم عناية الحق فما وقفوا على حقائق إشارات الصدق، وذلك على حسب القضاء الأزلي الساري حكمه فيما لا يزال، وقوله: والناس الخ ظاهر المعنى مما أوضحناه قبله، هذا والأولى أنْ يقول: فهم كما قال القائل لتفريعه على ما قدمه.

(قوله: ولم يكن عصر الخ) أي لم يكن زمن من الأزمان وقرن من القرون إلا وفيه شيخ من شيوخ هذه الطائفة قائماً لإرشاد غيره من أمة نبيه وحبيبه لطفاً من الله ورحمة وزيادة لكرامة رسوله ﷺ. **(قوله: ممن له علوم التوحيد)** أي مع إشارات التجريد والتفريد. **(قوله: إلا وأئمة ذلك الوقت)** أي المقدمون فيه في علوم الشريعة استسلموا وانقادوا لذلك الشيخ أي فدل ذلك على زيادة صدقهم، وتحقيق صفاء شرابهم ورفعة درجاتهم وأحوالهم.

(قوله: ولولا مزية وخصوصية لهم) أي مزية وخصوصية باطنية لم تتحقق لغيرهم أي فتأثر علماء الظاهر بهم يدل على عمارة الباطن منهم. **(قوله: وإلا كان الأمر بالعكس)** أي إلا نقل أنَّ أئمة الوقت من علماء الظاهر استسلموا لهم لما شاهدوه من خصوصيتهم ومزيتهم لكان الأمر بالعكس يعني لكان الصوفية هم المستسلمون لأئمة الوقت، وذلك باطل لأنّه خلاف الواقع. **(قوله: هذا أحمد الخ)** شروع في إثبات الدعوى بجزئيات من أخلاق أهل التقوى. **(قوله: فقال أحمد الخ)** من تقديم سؤاله تعلم أنَّ الغرض له رضي الله تعالى عنه بذل النصح لإخوانه المؤمنين لا تقبيح آحاد الموحدين.

(فقال لشيبان: ما تقول فيمن نسي صلاة من خمس صلوات في اليوم والليلة ولا يدري أي صلاة نسيها ما الواجب عليه يا شيبان فقال) له: (شيبان: يا أحمد هذا قلب غفل عن مولاه فالواجب أنْ يؤدب حتى لا يغفل عن مولاه بعد، قال: فغشي على أحمد) من كلام شيبان حيث أثر فيه (فلما أفاق قال له الشافعيّ: ألم أقل لك لا تحرّك هذا وشيبان الراعي كان أمياً منهم) وقد أجرى الله على لسانه الحقّ حتى انتفع به العلماء (فإذا كان حال الأمي منهم هكذا فما الظن بأئمتهم) ولا ريب أنَّ من دام شغله بالله وبمراعاته أحكامه وباستشعار نظر الحق إليه في سائر تصرفاته من حركته وسكونه كان أفضل من غيره وإنْ تساويا في العلم بالأصول والفروع، (وقد حكي أنَّ فقيهاً من أكابر الفقهاء كانت حلقته بجنب حلقة) أبي بكر (الشبلي بجامع المنصور وكان يقال لذلك الفقيه أبو عمران: وكان يتعطل عليهم) أي على أبي عمران وأصحابه (حلقتهم لكلام الشبليّ) برفع صوته (فسأل أصحاب أبي عمران يوماً الشبلي عن مسألة في الحيض وقصدوا) بذلك (إخجاله) ويحتمل أنَّهم قصدوا أنْ يعلموا ما عنده في ذلك (فذكر مقالات الناس في تلك المسألة والخلاف فيها، فقام أبو عمران وقبل رأس الشبلي) لما عرف من فضيلته (وقال) له: (يا أبا بكر) قد (استفدت) منك (في هذه المسألة عشر مقالات لم أسمعها) من غيرك (وكان عندي من جملة ما قلت:) أنتَ

(قوله: فقال له: لا تفعل الخ) أقول: يدل ذلك منه رضي الله تعالى عنه على أنّه أكمل في النظر وأقوى بصيرة وبصر. (قوله: لأنه الله لا يخلي الخ) أي فالظاهر من حسن حاله يدل على زيادة نواله. (قوله: فلم يقنع الخ) أقول: هو على باب ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠] فلا تظن إلا خيراً أو لا تتوهم ضيراً. (قوله: فقال له شيبان الخ) أي فقد أجابه بالسبب الذي به كان العطب. (قوله: حيث أثر فيه) أي لأنه نشأ عن عمارة القلوب وواردات الغيوب. (قوله: قال له الشافعيّ ألم الخ) أي فهذا جزاء من لم يقنع وللنصيحة لم يسمع بل رام الإفصاح فصحاً حتى اتضح له الحق صبحاً. (قوله: كان أمّياً منهم) أي فكان محمدي العرفان وأحمدي الفرقان. (قوله: فما الظن بأئمتهم) أي من ثبت له العلم وفائق الفهم. (قوله: من دام شغله بالله) أي بواسطة تفكره في مظاهر أسماء الله وصفاته وعجائب مصنوعاته. (قوله: وبمراعاته أحكامه) أي من أمره ونهيه ووعده ووعيده. (قوله: وباستشعار نظر الحق إليه) أي بواسطة دوام مراقباته في سائر حركاته وسكناته.

(قوله: كان أفضل من غيره) أي لما امتاز به مما ذكره من أخلاقه. (قوله: وكان يتعطل عليهم) أي بسبب تشويش رفع الصوت. (قوله: ويحتمل أنّهم قصدوا الخ) هو الأَولى في الحمل تحسيناً للظن. (قوله: لما عرف من فضيلته) أي ويدل لذلك ما اشتهر

فيها **(ثلاثة أقاويل)** فكان جملة ما قاله: فيها ثلاث عشرة مقالة، **(وقيل: اجتاز أبو العباس بن سريج الفقيه بمجلس الجنيد فسمع كلامه فقيل له: ما تقول في هذا:)** الكلام الذي يقوله الجنيد: **(فقال: ما أدري ما يقول: ولكن أرى لهذا الكلام صولة)** أي وثبة **(ليست بصولة مبطل)** حاصله أنه سمعه يتكلم في الأحوال والمقامات فلم يفهمه ولم يشتغل به، ومع ذلك غلب على ظنه صحته وصدقه فلم يعترضه، وفيه دلالة على فضيلته وإنصافه لتسليمه الحق لأهله بحسب ما غلب على ظنه **(وقيل لعبد الله بن سعيد بن كلاب)** بضم الكاف: وكان عالماً يعلم الكلام **(أنت تتكلم على كلام كل أحد وههنا رجل يقال له الجنيد: فانظر هل تعترض عليه أم لا فحضر حلقته فسأل الجنيد عن التوحيد فأجابه)** عن سؤاله **(فتحير أبو عبد الله وقال)** له: **(أعد عليّ ما قلت فأعاده ولكن لا بتلك العبارة فقال له عبد الله: هذا شيء آخر لم أحفظه تعيد)** هـ **(عليّ مرة أخرى فأعاد)** هـ **(بعبارة أخرى فقال)** له: **(عبد الله: ليس يمكنني حفظ ما تقول أمله علينا فقال: إنْ كنت أجزته)** أي سلكته ومشيت فيه **(فأنا أمليه)** عليك **(فقام عبد الله وقال بفضله واعترف بعلو شأنه)** كما هو شأن العلماء الفضلاء أنّهم يرجعون إلى الحق ويقرون بفضل من امتاز عليهم، وتقدم أنَّ علم التوحيد مباين لوجوده وحاله، فالذي كان يعلمه عبد الله علم التوحيد، والذي لم يفهمه وتكلم عليه الجنيد حال التوحيد وكماله أنْ يشتغل بربه حتى يغيب عن قلبه من سواه **(فإذا كان أصول هذه الطائفة أصح الأصول ومشايخهم أكبر الناس وعلماؤهم أعلم الناس، فالمريد الذي له إيمان بهم إنْ كان من أهل السلوك والتدرج إلى مقاصدهم فهو يساهمهم فيما**

من قولهم: ما اتخذ الله من ولي جاهل ولو اتخذه لعلمه. **(قوله: فكان جملة ما قاله فيها)** أي في مسألة الحيض ثلاث عشرة مقالة أي في بيان حكمها. **(قوله: فقال: ما أدري الخ)** فيه تنبيه على قوّة تسليمه وإنصافه حيث اعترف بالعجز عن علم ما يقوله: الجنيد بسبب عدم فهمه، وردّ العلوم لأربابها وعدم التعرض للانتقاد عليهم. **(قوله: فقال: إنْ كنت أجزته الخ)** أي فالكلام لا يجدي إلا لمن أراد التخلق بمضمونه.

فائدة:

قال حاتم الأصم: ما من يوم أو ما من صباح إلا والشيطان يقول لي: ما تأكل وما تلبس وما تسكن فأقول: آكل الموت، وألبس الكفن، وأسكن القبر، فهذا منه إرشاد إلى قصر الأمل حيث هو الدافع لشر وساوس الشيطان ولا سيما للمتجردين من المريدين.

(قوله: والذي لم يفهمه الخ) أي وحال التوحيد أقوى من علم التوحيد لأنّه بواسطة غلبة الاشتغال بأدلة التوحيد يغلب أثره على القلوب فيصير ما يتضح بالأدلة كشفاً وعياناً بعد أنْ كان علماً وبرهاناً. **(قوله: فإذا كان أصول هذه الطائفة الخ)** شروع في نتيجة ما قدمه.

خصوا به من مكاشفات الغيب) وهم أولى الناس به لأنهم قد نالوا منازلهم وعرفوا درجاته (فلا يحتاج) المريد (إلى التطفل على من هو خارج عن هذه الطائفة وإنْ كان مريداً طريقة الاتباع، وليس بمستقل بحاله، ويريد أنْ يعرج في أوطان التقليد إلى أنْ يصل إلى) مقام (التحقيق فليقلد سلفه) في ذلك (وليجر على طريقة هذه الطائفة) وفي نسخة الطبقة فهم أولى به أيضاً كما قال (فإنَّهم أولى به من غيرهم، ولقد سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت أبا بكر الرازيّ يقول: سمعت الشبلي يقول: ما ظنك بعلم علم العلماء) الذين لم يبلغوا درجة أهله أي سماعهم له (فيه تهمة) لأنهم لم يفهموا مقاصد أهله فيقعوا فيما لا ينبغي فيتهمهم غيرهم، (وسمعته)

فائدة:

قال سهل بن عبد الله التستريّ رضي الله تعالى عنه: ما عبد الله بشيء مثل مخالفة النفس والهوى، ومن خشع قلبه لم يقربه الشيطان، أقول: وهو صحيح فإنَّ أحكام الله تعالى لا يتأتى للعبد القيام بها على وجه كمالها إلا بمخالفة النفس والهوى لأنَّ النفس مائلة أبداً إلى الراحات نافرة من المتعبات، وخشوع القلب بواسطة امتلائه بذكر الرب وكمال تعظيمه له وخشيته منه يبعد من خواطر الشيطان بحفظ الملك الرحمن.

(قوله: ومشايخهم أكبر الناس) أي أعظمهم فضيلة. (قوله: فهو يساهمهم) أي يقاسمهم وإنْ لم يساويهم في الحظ والنصيب. (قوله: لأنَّهم قد نالوا الخ) أي فهم خبراء أدلاء على طريق الحق لأنَّ من ذاق عرف ومن وصل إلى البحر اغترف. (قوله: وإنْ كان مريداً طريقة الاتباع الخ) أي بأن كان قاصراً عن درجة العلم بالدليل بنفسه بل كان شأنه تقليد غيره، فعليه بمتابعة ذلك الغير فيما يقلده فيه حتى يصل إلى درجة المعرفة ثم يقصد طريقة هؤلاء المشايخ، فحاصل كلامه أوّلاً وثانياً أنَّ المريد قسمان عالم بالدليل أو مقلد في السبيل وعلى كل المرجع في الوصول لأرباب الأصول. (قوله: فيه تهمة) أي سبب لوقوعهم في اتهام الغير لهم بسبب عدم وصولهم لإشارات تلك العلوم وعدم إدراك هاتيك الرسوم.

تنبيه:

قال سهل بن عبد الله التستري رضي الله تعالى عنه: شكر العلم العمل به، وشكر العمل زيادة العلم، وما من قلب إلا والله مطلع عليه في ساعات الليل والنهار، فأيهما رأى فيه حاجة إلى ما سواه سلط عليه إبليس، أقول: وذلك لأنَّ من عرف قدر العلم وأنَّه من أعظم النعم دام على العمل به إذ هو المقصود من الانتفاع بهذه النعمة ومظهر تحققها له وقيام بما أحبه المنعم من تلك النعمة وذلك شكر لها، ولأنَّ من عرف مقدار نعمة الله تعالى عليه بما وفقه له من العمل الصالح قويت رغبته في تحقيق العلم وإجادته،

أيضاً (**يقول: سمعت محمد بن أبي علي المخرمي يقول: سمعت محمد بن عبد الله الفرغاني يقول: سمعت الجنيد يقول: لو علمت أنَّ لله علماً تحت أديم السماء**) أي وجهها (**أشرف من هذا العلم الذي نتكلم فيه مع أصحابنا وإخواننا**) الصوفية (**لسعيت إليه ولقصدته**) لأنال فضيلته وبركته (**وإذا أحكم**) أي أتقن (**المريد بينه وبين الله عقده**) أي اعتقاداً صحيحاً (**فيجب أنْ يحمل**) لنفسه (**من علم الشريعة إما بالتحقيق**) أي بالأخذ من العلماء بالبحث والنظر في الأدلة (**وإما بالسؤال عن**) بمعنى من (**الأئمة ما يؤدّي به فرضه وإنْ اختلف عليه**) في جواب السؤال (**فتاوي الفقهاء يأخذ**) منها (**بالأحوط**) كأن قال له واحد في طعام يأكله: حلال، وقال له الآخر: مكروه فيأخذ بقول الثاني، (**ويقصد**) بالأخذ بالأحوط (**الخروج من الخلاف**) وهل يجوز تقليد المفضول فقيل: نعم ورجحه ابن الحاجب وقيل: لا والمختار عند التاج السبكي جوازه لمن اعتقده أفضل من غيره أو مساوياً له بخلاف من اعتقده مفضولاً ولا يتتبع

وتخليصه من الآفات فيزداد بذلك علماً، وهذا شكر لله على ما وهبه إياه من التوفيق إلى القيام بطاعته، وهو شكر العمل لله لأنه قد استعمل النعم في الطاعة، وتوصل بنوع من القربات إلى الغايات حسب الاستطاعة، والقلب إذا التفت إلى ما سواه تعالى فقد تفرّق وتشتت وتعرض إلى الوساوس الشيطانية والعوارض الخالية، فكان في مواطن الخطر بعيداً عن الظفر.

(**قوله: لو علمت الخ**) غرضه رضي الله تعالى عنه أنه لا علم أشرف من علم الصوفية المتعلق بالحق تعالى لأنه لو كان هناك أشرف لسعوا إليه حيث هم دائماً بصدد الأهم والله أعلم.

(**قوله: وإذا أحكم الخ**) أفاد أنَّ أوّل واجب على المكلف معرفة الحق تعالى بطريق الدليل أو غيره مما يكفي فيه، وهو كذلك كما هو مقرّر عند الجمهور. (**قوله: فيجب أنْ يحصله الخ**) أي فيلزمه السعي في طرق تصحيح أعماله ومقاصده التكليفية على طريق المتابعة لأجل أنْ يوقعها على أكمل وجوهها حسبما ورد.

(**قوله: إما بالتحقيق الخ**) أي ومحله إنْ كان ممن له قوّة الاستقلال بدرجة الاجتهاد وإلا فبالسؤال من الأئمة المجتهدين أو مقلديهم. (**قوله: في طعام يأكله**) أي يريد أكله. (**قوله: ويقصد الخ**) أي حتى يكون عاملاً بالسنة. (**قوله: وهل يجوز تقليد المفضول**) أي مع وجود الفاضل. (**قوله: وهل يجوز تقليد المفضول**) أي المفضول في نفس الأمر لا في نظره كما يعلم من باقي كلام الشارح. (**قوله: والمختار الخ**) هو المعتمد. (**قوله: بخلاف من اعتقده مفضولاً**) أي لعدم تحقيق جزمه بمذهبه. (**قوله: ولا يتتبع الرخص**) لعل مراده والله أعلم تتبع الرخص في المذاهب قصداً للسهولة لا إذا دعى لها داعٍ شرعي

الرخص في المذاهب بأنْ يأخذ من كل منها ما هو الأسهل فيما يقع من المسائل كما لا يأخذ الصوفي إلا بالأحوط كما مرّ، (**فإنَّ الرخص في الشريعة للمستضعفين وأصحاب الحوائج والأشغال وهؤلاء الطائفة**) أي الصوفية (**ليس لهم شغل سوى القيام بحقه سبحانه، ولهذا قيل: إذا انحط الفقير عن درجة الحقيقة إلى رخصة الشريعة فقد فسخ عقده مع الله تعالى ونقض عهده فيما بينه وبين الله**) فالمحمود ملازمته من الأفضل ما يجد من نفسه القدرة على الدوام عليه وإنْ كان فيه بعض مشقة، إذ أعمال الطاعات لا بدّ فيها من مخالفة الهوى، ولكنه لا يكلف نفسه منها ما يثقل عليه جداً خوفاً من نفور نفسه منها ومن مخالفة خبر: «أكلفوا من العمل ما تطيقون فإنَّ الله لا يمل حتى تملوا» أي لا يقطع عنكم الجزاء حتى تتركوا الأعمال فمتى كانت همة المريد متعلقة بتحصيل الأفضل فهو عامل في ذلك على حسب طاقته فهو مستقيم لم يسقط عن درجته، (**ثم يجب على المريد أنْ يتأدب**) في أعماله (**بشيخ**) يتخذه أستاذاً له (**فإنْ لم يكن له أستاذ لا يفلح أبداً**) لعدم معرفته الأحكام. (**هذا أبو يزيد يقول: من لم يكن له أستاذ**) يأتم به (**فإمامه الشيطان**) يوسوس له بما يهواه، (**وسمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق رحمه الله يقول: الشجرة إذا نبتت بنفسها من**

والرخص جمع رخصة وهي الحكم المنتقل إليه السهل، فهي تقابل العزيمة التي هي الحكم الأصلي. (**قوله: فإنَّ الرخص الخ**) أي فهي إنما شرعت للتخفيف عن المعذورين لا مطلقاً. (**قوله: عن درجة الحقيقة**) أي التي لا تنال غالباً إلا بشق الأنفس. (**قوله: فقد فسخ عقده**) أي عزمه وتصميمه. (**قوله: فالمحمود ملازمته الخ**) أي عملاً بخبر «لا يمل الله حتى تملوا»[1] الذي حاصل معناه لا يترك الله عطاءه حتى يفتر العبد ويترك العمل، فالذي ينبغي لمن يريد السير إلى الله تعالى القيام على نفسه تدريجاً حتى تتمرن على مشاق الطاعة شيئاً فشيئاً. (**قوله: إذِ أعمال الطاعة الخ**) علة لقوله: فالمحمود ملازمته الخ، وقوله: لا بدّ فيها من مخالفة الهوى أي مخالفة ما تهواه النفس الذي من جملته حب الراحات، والتهاون في القيام بالمطلوبات.

(**قوله: بتحصيل الأفضل**) أي على الوجه الأكمل في حقه. (**قوله: أنْ يتأدب**) أي يسلك طريق الأدب في السير إلى الله تعالى بشيخ الخ. (**قوله: لعدم معرفته الأحكام**) أي

---

(١) أخرجه البخاري (إيمان ٣٢) (تهجد ١٨) (صوم ٥٢) (لباس ٤٣) ومسلم (مسافرين ٢١٥، ٢٢١) (صيام ١٧٧) وأبو داود (تطوع ٢٧) والنسائي (قبلة ١٣) (قيام الليل ١٧) (إيمان ٢٩) وابن ماجه (زهد ٢٨) والموطأ (صلاة الليل ٤) وأحمد بن حنبل (٦، ٤٠، ٥١، ٦١، ٨٤، ١٢٢، ١٨٩، ١٩٩، ٢١٢، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٤١، ٢٤٤، ٢٥٠، ٢٦٨).

غير غارس فإنها تورق ولكن لا تثمر كذلك المريد إذا لم يكن له أستاذ يأخذ منه طريقة نفساً فنفساً فهو عابد) مطيع **(هواه لا يجد)** له **(نفاذاً)** يخرج منه **(ثم إذا أراد)** المريد **(السلوك فبعد هذه الجملة يجب أن يتوب إلى الله من كل زلة فيدع)** أي يترك

فالشأن ذلك، فلو فرض خلافه فلا يعتبر إذ للواسطة سر في ذلك. **(قوله: ولكن لا تثمر)** أي وحيث كان كذلك، فلا فائدة بل ربما يحصل الضرر والله أعلم.

(قوله: نفساً فنفساً) أي درجة فدرجة ومقاماً فمقاماً على حسب ما يراه شيخه في استعداده. **(قوله: يجب أن يتوب إلى الله الخ)** أي ويندب له أخذاً مما يأتي أنْ يتوب عن العلاقات والعلالات وسائر الحظوظ بنفسه على التدريج في هذا وعلى الفور فيما قبله.

تنبيه:

قال أبو سعيد الخراز: رأيت إبليس في المنام، وهو يمر يمين ناحية فقلت له: تعال فقال: وإيش أعمل لكم وقد طرحتم عن أنفسكم ما أخادع به الناس، فقلت: ما هو قال: الدنيا فلما ولى عني التفت إليّ فقال: غير أنَّ لي فيكم لطيفة قلت: وما هي قال: صحبة الأحداث انتهى، ولا يخفى أنَّ المنام المذكور فيه بشرى وتنبيه على بركة الزهد في الدنيا وإنذار وتحذير من صحبة الأحداث ومخالطتهم التي لا تدعو إليها ضرورة، وفيه إشارة إلى أنَّ العبد إذا صح إقباله على مولاه آمنه من الشيطان بل ربما كان له به إنتفاع كما سمعت، واعلم أنَّ التوبة هي باب الأبواب الموصلة إليه تعالى والمخلصة من كل ما يكرهه الشرع بأنفة سليم الطبع، ولا يتوقف وجوبها عند القوم على ترك الكبائر، ولا على ترك الإصرار على الصغائر حيث عرضوا على أنفسهم عند كل ممنوع منه قوله عز شأنه: ﴿ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ١٥] فكل ما اقترفوه من مكروهاته بادروا إلى الإقلاع عنه وأراحوا الكتبة من كتابة ما يكرهه الله فرب ذنب استصغرته تجده في القيامة أكبر مما استعظمته فاستصغار الذنب ذنب، واستعظامه حسنة، والحذر أنْ تكون توبتك باللسان تسويفاً فإنك تزداد بها عند الله مقتاً، بل اجعل منشأها قلبك تورثك خشية الله ومحبته، فليس الشأن كثرة قولك: تبت إلى الله بل الشأن أنْ يهرب قلبك من الركون إلى مخالفة الله، وتكون مرارة المعصية عندك موجودة وحلاوة الطاعة لديك مشهودة ما من معصية تهرب بها إلى الله إلا كانت خيراً من طاعة تورثك الأمن من الله، وعلامة من صحت توبته وقبلت عند الله إنابته أنْ يرى ذنوبه فوق كل الذنوب، وأنها كصخرة منهدمة تكاد أنْ تقع عليه لولا عفو الله إذ قلب التائب لا يزال مرعوباً من خوف ردّ التوبة عليه لا شكاً في كرم ربه بل مقتاً لنفسه حيث هي تجارآت على معصية الله وغفلة عن مراقبته في وقت الفعل وحياء من الله أنْ يراها مكتتبة في صحيفته ولو من غير مؤاخذة بها، قال الشيخ الأكبر قدس الله سره: العزيز من النكت الجليلة التي ينبغي التنبيه عليها أنْ تعلم أنَّ

(جميع الزلات سرها وجهرها صغيرها وكبيرها ويجتهد في إرضاء الخصوم أوّلاً ومن لم يرض خصومه لا يفتح له من هذه الطريقة بشيء) يعتد به لعدم تخلصه من حقوقهم فيجب ردّها لهم إنْ كانوا وإلا فلورثتهم، **(وعلى هذا النحو جروا، ثم بعد هذا يعمل)** المريد **(في حذف العلائق والشواغل)** الدنيوية غير الضرورية **(فإنَّ بناء هذا الطريق)** أي طريق الصوفية **(على فراغ القلب)** من العلائق وهي ما يتعلق القلب به وعطف الشواغل عليها عطف تفسير، **(وكان الشبلي يقول للحصري في ابتداء أمره: إن خطر ببالك)** أي بقلبك **(من الجمعة إلى الجمعة الثانية التي تأتينا)** وفي نسخة تأتيني وفي أخرى تأتي **(غير الله)** أي إذا سكن قلبك إلى غير الله **(فحرام عليك أنْ تحضرني)** أي فلا تصحبني، وفائدة قوله: من الجمعة إلى الجمعة تعليمه، ودوام ودّه لما خطر له من ذلك، فإنّه إذا دام الودّ قوي القلب بما دام عليه **(وإذا أراد)** المريد **(الخروج عن العلائق فأوّلها الخروج عن)** حب **(المال)** أي فضوله **(فإنَّ ذلك)** هو

المؤمن لا يأتي قط معصية توعد الله عليها إلا ويجد في نفسه بعدها الندم وهو التوبة، فإذا قبله الحق سقطت عنه العقوبة فهو من حيث كونه كارهاً وموقناً بأنّها معصية ونادماً عليها ذو عمل صالح ومن جهة كونه فاعلاً لها ذو عمل سيء فهو من الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أنْ يتوب عليهم، وعسى من الله تعالى واجبة الوقوع، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله أعلم.

(قوله: ويجتهد في إرضاء الخصوم) أي ويكون إرضاؤهم على وجه الموافقة لما جاء من أحكام الشريعة. **(قوله: إنْ كانوا الخ)** أي وإنْ لم يوجدوا ولا ورثتهم أو لم يعرفوا فتصرف في مصالح المؤمنين. **(قوله: فإنَّ بناء هذا الطريق الخ)** أي وذلك لأنَّ الاشتغال بشيئين متنافيين في آنٍ واحد مما لا يمكن، وأقل ما يتم ضياعهما معاً أو أحدهما. **(قوله: وفائدة قوله الخ)** حاصله أنَّ حكمة التخصيص بهذا الوقت أنّه إذا دام كذلك هذه المدة وجد لذة الطاعة بقوّة قلبه فيها فلا يرجع عنها. **(قوله: وإذا أراد المريد الخ)** شروع في كيفية التخلص من العلائق المسهلة للخروج منها. **(قوله: فأوّلها الخروج عن حب المال)** أقول: بل الخروج عن سائر الفضول على حسب إشارة سيد المرسلين في خبر «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[1] وذلك لأنَّ المريد لا يشتغل إلا بما يحتاج إليه في أمر آخرته وما يضار إليه من أمر دنياه وفي كلامه نفعنا الله به الإشارة إلى أنَّ الضار إنما هو تعلق القلب بالمال أما مجرد تعاطيه بالإذن الشرعي فغير ضار بل هو قد يوصل إلى خير الآخرة.

---

(١) أخرجه الترمذي (زهد ١١) وابن ماجه (فتن ١٢) والموطأ (حسن الخلق ٣) (كلام ١٧).

(الذي يميل به عن الحق ولم يوجد مريد دخل في هذا الأمر) أي التصوف **(ومعه علاقة من الدنيا إلا جرته تلك العلاقة عن قريب إلى ما منه خرج فإذا خرج عن)** حب **(المال فالواجب عليه الخروج من)** حب **(الجاه)** أيضاً أي فضوله **(فإنَّ ملاحظة حب الجاه مقطعة عظيمة وما لم يستو عند المريد قبول الخلق وردهم)** له **(لا يجيء منه شيء)** يعتد به **(بل أضر الأشياء له ملاحظة الناس إياه بعين الإثبات)** له **(والتبرك به لإفلاس)** غيره من **(الناس عن هذا الحديث)** أي عن الملاحظة والتبرك **(وهو بعد لم يصحح الإرادة فكيف يصحح أنْ يتبرك به فخروجهم من)** حب **(المال واجب عليهم)** كخروجهم من حب الجاه، وإذا تخلص من هذين بقي عليه تخلصه من حب الرياسة في كونه زهد في الدنيا فيكون قد زهد في أمر دنيوي واستعوض عنه ما هو أفضل منه في دينه فإنَّ الزهاد جاههم أكمل من جاه أبناء الدنيا والسلاطين فإنَّهم يذلون للزهاد ويقبّلون أيديهم، ويتبركون بهم، فمتى شربت النفس من هذا الغذاء جرعة خشي عليها التلف منها فإنَّ فيها من اللذة ما يدعو إلى الزيادة لطيبها، **(فإذا خرج عن)** حب **(ماله وجاهه)** ورياسته **(فيجب)** عليه **(أنْ يصحح عقده بينه وبين الله تعالى و)** هو أنْ **(لا يخالف شيخه في كل ما يشير عليه)** به **(فإنَّ الخلاف للمريد في ابتداء أمره عظيم**

(قوله: أي فضوله) مراده به الفاضل عما يحتاجه إليه لنفسه وممونه. **(قوله: فإنَّ ذلك)** أي حب فضول المال. **(قوله: ومعه علاقة)** أي ولو قلت: فينبغي التخلص منها رأساً القليل يجر إلى الكثير، والتساهل يؤدي إلى التكاسل.

(قوله: فالواجب عليه الخروج من حب الجاه) أي من حب الرياسة والتقدم على الغير حيث هو من أسباب العطب وتعدي الحدود. **(قوله: وما لم يستو عند المريد الخ)** أقول: بل إنْ لم تغلب عليه الوحشة منهم لا يجيء منه شيء. **(قوله: بل أضر الأشياء له الخ)** أي ومن هنا قيل: حب الظهور يقصم الظهور، وذلك لقلة التحفظ فيه. **(قوله: لإفلاس غيره من الناس الخ)** أي لخلوهم عن معرفة من يتبرك به ممن صحح إرادته وحينئذٍ فلا يفيد تبركهم بمن لم يصحح إرادته إلا غروره باستحسان ما هو عليه، وذلك مقطعة وأيّ مقطعة. **(قوله: وهو بعد لم يصحح الإرادة)** أي لم يتقن طريق عبادته وطاعته. **(قوله: كخروجهم من حب الجاه)** إنْ قلت: جعل الكاف للتشبيه أو بمعنى مثل لا يلائم أوّل الكلام حيث جعل الخروج من حب المال أوّل واجب على المريد، قلت: يلائمه باعتبار جعل التشبيه في مطلق الوجوب وإنْ كان الخروج عن حب المال واجباً مقدماً. **(قوله: بقي عليه تخلصه من حب الرياسة)** أقول: نص عليه مع شمول ما تقدم له للاهتمام به حيث هو أضر مما قبله إذ هو يقطع على العبد ما ذاقه وتحقق له.

(قوله: ما يدعو إلى الزيادة) أي باعتبار طبع النفس. **(قوله: فيجب عليه أنْ يصحح**

الضرر لأنَّ ابتداء حاله دليل على جميع) أحوال (عمره ومن شرطه أنْ لا يكون له بقلبه اعتراض على شيخه) فإنَّه جعله سبباً بينه وبين ربه ووسيلة له في نيل مرغوبه منه، فليعزم على أنْ لا يتحرك ولا يسكن ولا يتصرف في شيء حتى يأذن له شيخه فيه، وإنْ علم أنَّ ما يفعله له مباح لأنَّ شيخه قد يرى أنَّ تركه له أعون له على مقصوده، (فإذا) وفي نسخة وإذا (خطر ببال المريد أنَّ له في الدنيا والآخرة قدراً أوقيمة أو على بسيط الأرض أحد دونه لم يصح له في الإرادة قدم) لغيبوبة العاقبة عنه و (لأنَّه يجب عليه (أنْ يجتهد) في الطاعات (ليعرف ربه لا ليحصل لنفسه قدراً) وجاهاً (وفرق بين من يريد الله وبين من يريد جاه نفسه إما في عاجله وإما في آجله ثم)، أي بعد أنْ صحح عقده بينه وبين الله (يجب عليه حفظ سره حتى عن زره) القريب من فمه حين يضعه في طوقه (إلا عن شيخه ولو كتم نفساً من أنفاسه عن شيخه فقد خانه في حق صحبته) لأنَّ الشيخ قد ترك شغله مع مولاه في خاصته وعاهد الله على أنْ يفرغ قلبه في صلاح هذا المريد، فحقه أنْ لا يكتم عنه شيئاً ليفعل به ما يراه صلاحاً له من جوع أو سهر أو غيرهما، (ولو وقعت له مخالفة فيما أشار إليه) به (شيخه فيجب

عقده) أي عهده الذي جرى بينه وبين شيخه فيما يتعلق بسيره إلى ربه تعالى. (قوله: لأنَّ ابتداء حاله الخ) أي لأنَّه أساس ينبني عليه ما بعده فإذا خاب الأس تهدم البناء. (قوله: أنْ لا يكون له بقلبه اعتراض على شيخه) أي في سائر ما يبدو من حركاته وسكناته. (قوله: فليعزم الخ) أي لأنَّه واسطة محمديّ وقد كان هذا لازماً للأصل فيجب مثله للفرع.

(قوله: فإذا خطر الخ) أي ومن أجل ذلك قيل: ما ترك من الكبر شيئاً من رأى أنَّه خير من الكلب. (قوله: لغيبوبة العاقبة عنه) أي مع جواز التغيير والتبديل في حقه لا يسأل الله عما يفعل. (قوله: إما في عاجله الخ) أفاد أنَّ علوّ الهمة في العمل لوجهه تعالى لا لرغبة في جنة ولا لرهبة من نار.

(قوله: حتى عن زره) مبالغة في كتم حاله، فلا يفوه بما يراه من واردات الحق وإشارات الصدق إلا بحسب الإذن الشرعيّ. (قوله: ولو كتم نفساً الخ) المراد ما يشمل خواطر قلبه والله أعلم. (قوله: قد ترك شغله مع مولاه الخ) أي ومثله لا يكتم عنه شيء بل يؤثر على كل شيء. (قوله: قد ترك شغله مع مولاه) أي ترك شغله الخاص بنفسه، وإلا فهو مشتغل به بواسطة إرشاد مريده. (قوله: أو غيرهما) أي مما تلزم مراعاته بالنسبة للتربية.

(قوله: ولو وقعت له مخالفة) أي نفسية. (قوله: ثم يستسلم الخ) أي عملا بآية ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥] وحكم الأصل

عليه **(أنْ يقر)** له بما يقع له **(بين يديه في الوقت ثم يستسلم)** أي ينقاد **(لما يحكم به عليه شيخه عقوبة له)** أي يجب عليه أنْ يعترف له ليعاقبه **(على مخالفته وجنايته إما بسفر يكلفه)** له **(أو أمر ما يراه)** صلاحاً في حقه ووظيفته معه كالعليل من الطبيب لا يخرج عما يأمره به من الأدوية والأغذية والحمية **(ولا يصح)** أي لا ينبغي ولا يليق **(للشيوخ التجاوز عن زلات المريدين لأنَّ ذلك تضييع لحقوق الله)** المطلوبة منه، ومن المريدين ولأنَّ ذلك خروج عما التزموه لهم من القيام بحقوقهم والنظر فيما يصلحهم في سلوكهم، فحقهم أنَّ لا يتجاوزوا عن زلاتهم لا سيما في أوّل أمورهم، **(وما لم يتجرد المريد عن)** فضول **(كل علاقة)** دنيوية **(لا يجوز لشيخه أنْ يلقنه شيئاً من الأذكار بل يجب)** عليه **(أنْ يقدم)** على ذلك **(التجربة)** أي تجربته وامتحانه بالأعمال والأوراد الشاقة، والصبر على الجوع ونحوه **(فإذا شهد قلبه للمريد بصحة العزم)** على ما التزمه **(فحينئذٍ يشترط عليه أنْ يرضى بما يستقبله في هذه الطريقة من فنون)** أي أنواع **(تصاريف القضاء فيأخذ عليه العهد بأنْ لا ينصرف عن هذه الطريقة بما يستقبله من الضرر والذل والفقر والأسقام والآلام وأن لا يجنح بقلبه إلى السهولة**

يلزم مثله في الفرع. **(قوله: ليعاقبه)** أي والأولى في حق الشيخ حينئذٍ عدم العفو عن المريد، فإنَّ مصلحة التأديب يعود نفعها على المريد لا على الشيخ مثل الوالد مع ولده لا الزوج مع زوجته كما هو مقرّر في الفروع الشرعية.

(قوله: لأنَّ ذلك تضييع الخ) أي ولما قدمناه من عود مصلحة التأديب على المريد. **(قوله: وما لم يتجرّد المريد الخ)** محصله التجرد عن التعلق بشيء من أمر الدنيا بشاهد حظ النفس لا بشاهد الشرع.

(قوله: فإذا شهد قلبه الخ) أي بعد التجربة والامتحان. **(قوله: فحينئذٍ يشترط عليه الخ)** تأمل شروط المريد تعلم أصول طريق السلوك ولا تغتر بما ترى من فقراء هذا الزمان ممن استزلهم الشيطان، فجعلوا سوء أدبهم إخلاصاً وشره نفوسهم انبساطاً، ودناءة هممهم جلادة، فعموا عن الطريق وسلكوا فيه المضيق، فلا حياة تنمو في مشاهدتهم ولا عبادة تزكو برؤيتهم إنْ نطقوا فبالغضب، وإنْ خوطبوا أعرضوا للكبر وقلة الأدب، فخسة أنفسهم تنبىء عما في ضمائرهم، وشرههم في المأكول يظهر ما في سويداء قلوبهم وأسرارهم ﴿قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: ٤]. **(قوله: تصاريف القضاء)** أي مما يلائم وما لا يلائم.

(قوله: وأنْ لا يجنح بقلبه) أي لا يميل بقلبه إلى السهولة، أعاده مع العلم به مما قدمه اهتماماً به أو يقال: ما تقدم من ذات المريد، وهذا بواسطة الشيخ فلا تكرار.

و) أنْ (لا يترخص عند هجوم الفاقات وحصول الضرورات و) أنْ (لا يؤثر الدعة) أي السكون والوقوف (و) أنْ (لا يستشعر الكسل) والفتور وفرق بين الوقفه والفترة (فإنَّ وقفة المريد شر من فترته) وقد بينه بقوله: (والفرق بين الفترة والوقفة أنَّ الفترة رجوع) وإعراض (عن الإرادة) والسلوك (وخروج منها) وترك لما هو فيه، (والوقفة سكون عن السير باستحلاء حالات الكسل) واستلذاذها وإذا استلذها لم ينتقل عنها لمحبته لها بخلاف الفترة فإنَّ صاحبها يرجى له الرجوع إلى ما كان عليه، (وكل مريد وقف في ابتداء إرادته لا يجيء منه شيء) يعتد به لأنَّه يعتقد كمال نفسه واستحسان حاله فيبعد منه الانتقال إلى ما هو أعلى، (فإذا جربه شيخه فيجب عليه أنْ يلقنه ذكراً من الأذكار على ما يراه) له (شيخه) مصلحة في حقه (فيأمره أنْ يذكر ذلك الاسم) الذي لقنه له (بلسانه) مدة بنية امتثال أمر الله له بالذكر كما قال تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٢] (ثم) بعد تلقينه الذكر (يأمره أن يسوي قلبه مع لسانه فيقول له: اثبت على استدامة هذا الذكر كأنك) حاضر (مع ربك أبداً بقلبك) يسمع ذكرك

(قوله: وأنْ لا يترخص الخ) أي لا يترخص بدون شاهد المتابعة. (قوله: أنْ لا يستشعر الكسل) أي لا يخطره بباله بل يدوم على الجد والاجتهاد. (قوله: والوقفة سكون الخ) أي فربما دامت تلك الحالة فتورث العطب والخذلان. (قوله: لأنَّه يعتقد كمال نفسه) أي بزعمه أنه وصل وما دري بجهله أنّه قد انفصل. (قوله: فإذا جربه شيخه) أي وعلم صدقه بعد التجربة.

تنبيه:

اعلم أنَّ المريد إذا ظفر بشيخ كامل وهو العارف الرباني المرشد الداعي إلى الله تعالى على بصيرة فعليه أنْ يشكر الله تعالى على تلك النعمة، فلقد ظفر بكنز عظيم ونال غنيمة نفيسة، ومن شكره أنْ يذل نفسه له ويسلمه مقاليدها بدنياه وأخراه وروحه وبدنه بحيث لا يكون له معه إرادة ولا حركة ولا اختيار بوجه من الوجوه ولا سبب من الأسباب بل يكون كالميت في يد الغاسل وكالعبد بين يدي سيده لا ينتقد له حالة، ولا يعترض عليه قولاً ولا فعلاً لا سراً ولا جهراً بل يمكن شيخه من التصرف في ظاهره وباطنه، فإذا من الله تعالى عليه بهذه النعم وجب على الشيخ أنْ يشكر له أيضاً بحيث يبلغه تلقين الذكر والثناء بعد ظهور صفاء سريرته واطمئنان قلبه وذكاء نفسه وتهذيب أخلاقه فيراعيه ظاهراً وباطناً، ويبذل له النصح ويحمله على الأهم بنظر الشريعة والله سبحانه وتعالى أعلم.

(قوله: كما قال تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾) [البقرة: ١٥٢] أي اذكروني بالطاعة أذكركم بالثواب، وفي ذلك كما لا يخفى تحريض على الذكر مع الإشعار بما يوجبه. (قوله: يأمره أنْ يسوي قلبه) أي فيرقيه إلى درجة المراقبة في حال ذكره. (قوله: ولا

(**ولا يجري على لسانك غير هذا الاسم ما أمكنك**) دون ما لا يمكنك كوقت الصلاة وقضاء الحاجة (**ثم**) بعد ذلك (**يأمره أنْ يكون أبداً في الظاهر على الطهارة وأنْ لا يكون نومه إلا غلبة وأنْ يقلل من غذائه بالتدريج شيئاً بعد شيء**) بأنْ ينقصه كل يوم لقمة لقمة بل ينقصه لقمة ويستمرّ عليها أياماً ثم أخرى ويستمر عليها أياماً وهكذا (**حتى يقوى على ذلك**) الذي أمره به ويخف نومه وينشط للعبادة، وحد ذلك ما أشار إليه خبر «ثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه»، (**ولا يأمره أنْ يترك عادته**) في الغذاء (**بمرة**) أي بالكلية يعني دفعة واحدة (**فإنْ**) ذلك يغير مزاجه وأحواله وربما كان سبب مرضه لا سيما مع دوام ذكره ولأنَّ (**في الخبر أنَّ المنْبت**) بضم الميم وفتح الباء أي الرجل المنقطع به في الطريق الذي حمّل دابته ما لا تطيقه فماتت فهو (**لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى**) أي لا وصل إلى مقصوده ولا دامت حياة دابته لينتفع بها، (**ثم**) بعد أمره بما ذكر (**يأمره بإيثاره الخلوة والعزلة**) عن الناس (**ويجعل**) المريد (**اجتهاده**

يجري على لسانك الخ) أي بحيث يكون دائماً على حسب المتابعة لأحكام الشريعة. (**قوله: أن يكون أبداً في الظاهر على الطهارة**) أي الطهارة الحسية والمعنوية من الحدثين والخبث في الثوب والبدن والمكان إلا لحاجة أو ضرورة. (**قوله: وأنْ يقلل من غذائه الخ**) أي وذلك ليرق قلبه ويخف جسمه وينشرح صدره فيقوى على عبادة ربه. (**قوله: ويخف نومه الخ**) أشار به إلى ثمرة تقليل الغذاء.

(**قوله: وحدّ ذلك الخ**) الإشارة إلى تقليل الغذاء. (**قوله: وربما كان سبب مرضه**) أي الذي فيه هلاكه. (**قوله: إنَّ المنبت الخ**) أي فيكون هذا مثله. (**قوله: يأمر بإيثاره**) أي تقديمه الخلوة والعزلة على المخالفة، واعلم أنَّ الخلوة عزلة خاصة والعزلة خلوة عامة، والعزلة قد عبر عنها بالخلوة في حديث الغار والقرآن العزيز إنما ذكرت فيه العزلة دون الخلوة فيما أعلم، فالخلوة من اصطلاح بعض المشايخ ولا ينبغي إنكارها لأنَّه قد ثبت أصلها وهي العزلة والمقصود منها تصفية الباطن لا طلب الباطل مما سوى الحق تعالى، فمن طالب نوراً وكشفاً أو رؤية سماء أو عرش أو نحو ذلك فقد طلب باطلاً وكان عبد نفسه وهواه وليس الشأن أنْ تحبس نفسك ببيت مظلم أو في جبل أو بطن واد إنما الشأن أن تبعث قلبك إلى حضرة ربك بصفاء وإشراق قال العارف ابن أبي الوفا قدس الله سره العزيز: خلوة الصادق قلب قد صفي بشهود الحق مما حجبنا عنه وكذا تحريه ترك السوى لا الحبس ولا لبس العباءة انتهى. هذا ثم أقول: التزام الطريقة المحمدية على ما عليه مشايخنا أكمل وأقرب إلى متابعة سيد الكمل ﷺ فإنَّه لم ينقل عنه سند أوحى إليه أنَّه أخلى أحداً من الصحابة أو أمر بالخلوة إنما كان يجلس معهم فيعلم أحكام الشريعة والطريقة والحقيقة بالسؤال والجواب، وإنْ كان أمر الخلوة مشهوراً غير أنَّ الكمال في الكمال.

في هذه الحالة) أي حالة الخلوة والعزلة **(لا محالة في نفي الخواطر الدنية)** أي الخسيسة **(والهواجس)** أي خواطر النفس **(الشاغلة عن)** حضور **(القلب، واعلم أنَّ في هذه الحالة)** وهي إيثار الخلوة والعزلة **(قلما يخلو المريد في أوان)** أي وقت **(خلوته في ابتداء إرداته من الوساوس في الاعتقاد لا سيما إذا كان في المريد كياسة قلب)** أي صفاء به يقبل تلك الوساوس **(وقل مريد لا تستقبله هذه الحالة)** وهي ابتلاؤه بالوساوس **(في ابتداء إرادته)** لأنَّ الشيطان يعلم أنَّه إذا شككه في شيء من ذلك صار من حزبه فيوقعه في الخسران ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩]، **(وهذه)** الوساوس الابتلاء بها **(من الامتحانات التي تستقبل المريدين)** في خلواتهم **(فالواجب على شيخه)** أنَّه **(إنْ رأى منه كياسة أنْ يحيله على)** تعلم **(الحجج العقلية فإنَّ بالعلم يتخلص لا محالة المتعرف مما يعتريه)** أي ما يغشاه **(من الوساوس وإنْ تفرس شيخه فيه القوّة والثبات في الطريقة)** أي طريقة الصوفية **(أمره بالصبر)** على المشاق **(واستدامة الذكر حتى يسطع)** أي يرتفع **(في قلبه أنوار القبول، ويطلع في سره شموس الوصول)** وينشرح صدره بما يخلقه الله له مما يكمل به معرفته ويقوي به يقينه

تنبيه:

قال أحمد بن عطاء: كلما سئلت عن شيء فاطلبه في مفازة العلم فإنْ لم تجده ففي ميدان الحكمة، فإنْ لم تجده فزنه بالتوحيد، فإنْ لم تجده في هذه المواضع فاضرب به وجه الشيطان، وقوله: في مفازة العلم فيه تشبيه سعة العلم وكثرته بالمفازة وهي الصحراء المتسعة الجهات، وذلك علم الشريعة، وقوله: في ميدان الحكمة هي حكم العلماء وأقوالهم وشبهه بالميدان لأنَّه معترك الفكر ومجال النظر، وقوله: فزنه بالتوحيد أي أعرضه على ما يعتقد في الله تعالى وصفاته وجائزاته، وقوله: وإلا فاضرب به وجه الشيطان فإنَّه لا خير فيه أي لكونه من وساوس الشيطان. **(قوله: وقل مريد الخ)** أي وذلك لأنَّه ابتداء أسباب الخير ديناً ودنيا، وذلك مما يرعم الشيطان ويثير عداوته فيتسلط عليه بالوسوسة ليقطعه عن نيل مراده.

(قوله: إنْ رأى منه كياسة) أي حذقاً. **(قوله: فإنَّ بالعلم يتخلص الخ)** أي وذلك لانكشاف الحقائق له بما حصل عنده من علم النظر في الحجج والبراهين العقلية والنقلية. **(قوله: وإنْ تفرس شيخه فيه القوة الخ)** أي تفرس فيه بذلك عدم احتياجه إلى الرد للعلم أمره بالصبر الخ.

(قوله: حتى يسطع) أي يرتفع ويظهر ذلك للشيخ بأمارات حق وإشارات صدق، وقوله: أنوار القبول أي مما يزيل ظلمات الشكوك والأوهام. **(قوله: وينشرح صدره)** أي بإزالة ما كان يجده من تلك الوساوس **(قوله: وعن قريب يكون ذلك الخ)** أي بواسطة قوة

ويضعف به خواطر الشيطان، **(وعن قريب)** إذا امتثل ما أمره به شيخه **(يكون ذلك)** السطوع والطلوع والانشراح **(ولكن لا يكون هذا)** العلاج وهو الأمر بما ذكر **(إلا لأفراد المريدين فأما الغالب)** منهم **(فـ)**ـالواجب **(أن تكون معالجتهم بالرد إلى النظر)** أي الدليل **(وتأمل الآيات بشرط تحصيل)** شيء من **(علم الأصول على قدر الحاجة الداعية للمريد، واعلم أنّه يكون للمريدين على الخصوص بلايا من هذا الباب)** أي باب الوساوس **(وذلك أنهم إذا خلوا في مواضع ذكرهم أو كانوا في مجالس سماع أو غير ذلك فيهجس في نفوسهم ويخطر ببالهم أشياء منكرة)** مع أنهم **(يتحققون أنَّ الله تعالى منزه عن ذلك وليس يعتريهم شبهة في أنَّ ذلك باطل ولكن يدوم)** عليهم **(ذلك)** المنكر **(فيشتد تأذيهم به حتى يبلغ ذلك حداً يكون أصعب شتم وأقبح قول وأشنع خاطر بحيث لا يمكن للمريد إجراء ذلك على اللسان و)** لا **(إبداؤه)** أي إظهاره**(لأحد**

الامتثال والانقياد إلى الشيخ. **(قوله: ولكن لا يكون هذا الخ)** أي وذلك لأنَّ من السائرين إلى الله تعالى عالم ومتعلم وعزب ومتأهل، ومشتغل بالأسباب، ومتجرد بالباب، وضعيف وشديد، الأول مريد، والثاني مراد سديد، والشيخ كالطبيب يخص كلاً منهم بما له فيه نصيب إذ لكل منهاج يليق بحاله وسبيل يوصله إلى نواله، ومع هذا فالعبرة بما سبق في الأزل وجاءت اللاحقة على وفقه فيما لا يزال والله أعلم.

(قوله: إلا لأفراد المريدين) أي ممن تفرس فيهم الشيخ الثبات والقوة في سلوك الطريقة. **(قوله: من علم الأصول)** يحتمل أنَّه يريد أُصول الدين وهو الظاهر، ويحتمل أنَّه يريد أصول الفقه أي بحسب تلك الوساوس، وما يكون به ردها من ذلك، أقول: والجمع حسن باعتبار الداعي والله أعلم.

(قوله: ويخطر ببالهم أشياء منكرة) أقول: ومن ذلك توهم النفس عظمة الخلق وأنَّ لهم حصة في الضر والنفع أو أنَّ للنفس كمالاً وحولاً وقوة فتعجب وتتكبر أو النقص في الغير فتهزأ به وتسخر، أو الفقر والحاجة فتحرص وتجمع، أو أنَّ الاكتساب له حصة في جلب أو منع أو عطاء، فتعتمد عليه وتستند إليه، ولذلك قيل في الحكم: ما قاد لشيء مثل الوهم، وكل ذلك من ضعف اليقين في ابتداء السير لأنه مع قوته لا يبقى شك ولا وهم ولا ظن ولا خاطر شيطانيّ أو نفسانيّ.

فائدة:

قال رجل لبشر بن الحرث: أوصني بوصية، فقال له رضي الله عنه: عليك بلزوم بيتك وترك ملاقاة الناس، فإذا كان هذا في زمان بشر وبيننا وبينه من السنين نحو الألف وأربعين عاماً فإنَّه قبض ببغداد سنة تسع وعشرين ومائتين من الهجرة وأنَّه في زمنه قد اختار العزلة ولزوم البيوت وترك ملاقاة الإخوان خوفاً من دخول الآفات عليه مع أنَّه في

وهذا أشد شيء يقع لهم، فالواجب عند هذا ترك مبالاتهم بتلك الخواطر واستدامة الذكر والابتهال) والالتجاء **(إلى الله عز وجل باستدفاع ذلك)** عنهم **(وتلك الخواطر ليست من وساوس الشيطان وإنما هي من هواجس النفس)** أي خواطرها **(فإذا قابلها العبد بترك المبالاة بها ينقطع ذلك عنه)**، وقد جاء بعض الصحابة إلى النبي ﷺ فقالوا: يقع في أنفسنا أمور يود أحدنا أنْ يخر من السماء فتخطفه الطير ولا يقع له ذلك فقال: «أوجدتموه قالوا: نعم قال: ذلك صريح الإيمان»[1] يعني ردهم لذلك وتألمهم وتمنيهم الموت مما وقع لهم لا نفس الوسوسة وفي بعض طرق الحديث فيقول: من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول: من خلق ربك فإذا كان ذلك فليستعذ بالله ولينته، وحاصله أنّه إذا ضاق على المريد شيء من ذلك التجأ إلى الله فيه واستعاذ به، وأعرض عن الفكرة فيه فإنّ الله يزيله عن قلبه ويقوي يقينه. **(ومن أدب المريد بل من فرائض حاله أنْ يلازم موضع إرادته)** وسلوكه وهو الخلوة ليشتغل فيها بكمال المناجاة **(وأنْ لا يسافر قبل أنْ تقبله الطريق)** أي طريق الصوفية **(وقبل الوصول بالقلب إلى الرب سبحانه فإنّ السفر للمريد في غير وقته سم قاتل، ولا يصل أحد**

وقت نشوة الإسلام وجده وكمال تعظيم أمر الدين في قلوب المنتسبين إليه، وكمال الاحترام، فما ظنك بزماننا هذا مما هو خارج عن التفصيل، فلا يوافق فيه الاجتماع بفاضل أو فضيل، فالمخالطة فيه لا تصح ولا تجوز إلا بقدر الحاجة أو الضرورة لما يلزم من أمر الدنيا والدين عافانا الله وإخواننا المؤمنين بجاه سيد المرسلين.

(قوله: فالواجب عند هذا الخ) أي عند تحقق هذه الخواطر والهواجس في وجدانهم ترك مبالاتهم الخ. **(قوله: باستدفاع ذلك عنهم)** أي بطلب دفعه. **(قوله: وقد جاء بعض الصحابة الخ)** دليل على أنّ تلك الخواطر من هواجس النفس، وليست من وساوس الشيطان وفيه نظر. **(قوله: ولينته)** أي ينكف عن الاسترسال في ذلك. **(قوله: بل من فرائض حاله)** أي مما يتعين في حقه لبلوغ مأموله مما قصد حصوله. **(قوله: وأنْ لا يسافر)** أي لا ينتقل إلى جهة غير جهته، وليس المراد حقيقة السفر عند الصوفية لأنّه أربعة أقسام سفر من الحق إلى الخلق، وعكسه، وسفر في الخلق بالحق فافهم.

(قوله: وأنْ لا يسافر) أي لزيارة أو رياضة كما يظهر من عموم كلامه. **(قوله: قبل أنْ تقبله الطريق)** أي قبل أنْ يتمكن فيها، وقوله: وقبل الوصول إلى الرب أي قبل ذوق لذة عبادته ومناجاته. **(قوله: بسم قاتل)** أي لأنّه من مظان الامتحان، وهو بعد لم يتمكن من الصبر عليها بسبب عدم قوة يقينه بحسب ابتداء سيره. **(قوله: فظاهر)** أي وجهه

---

(١) أخرجه مسلم (إيمان ٢٠٩) وأبو داود (أدب ١٠٩) وأحمد بن حنبل (٢، ٣٩٦، ٤٤١).

منهم إلى ما كان يرجى له) بملازمة خلوته عند شيخه **(إذا سافر في غير وقته)** لأنّه إنْ سافر بغير إذنه فظاهر أو بإذنه فذلك دليل على أنّه عنده لم يصلح لهذا الشأن، وقد امتحنه فلم يره أهلاً لما رغب فيه فأعرض عنه وتركه نعم إنْ تمكن في حاله وصار يأنس بربه في خلوته وجلوته كان سفره زيادة في تحقيق أحواله بكل حال لما في بعده عن الأوطان حينئذٍ من التوكل والرضا بما يجريه الله عليه، **(فإذا أراد الله تعالى بمريد خيراً ثبته)** وقواه **(في أول إرادته وإذا أراد الله بمريد شراً)** وفي نسخة سوءاً **(رده إلى ما خرج عنه من حرفته أو حالته)** لأنّه لم يقبله **(وإذا أراد الله بمريد محنة)** وابتلاء **(شرده)** أي طرده **(في مطارح غربته، هذا)** الذي ذكرناه من منع المريد من السفر محله **(إذا كان المريد يصلح للوصول)** إلى الأحوال الشريفة والأعمال السنية **(فأما إذا كان شاباً طريقته الخدمة في الظاهر بالنفس للفقراء)** وزيارة الصالحين والاقتداء بأعمالهم **(وهو أدونهم في هذه الطريقة رتبة فهو وأمثاله يكتفون بالترسم)** برسم أهل هذه الطريقة **(في الظاهر فينقطعون في الأسفار وغاية نصيبهم من هذه الطريقة حجات يحصلونها**

ظاهر، وهو عدم استئذان شيخه. **(قوله: نعم إنْ تمكن في حاله)** أي بقوة فراسة شيخه أَو بامتحانه نفسه في مقامات السير مثل الزهد والورع، والصبر، والتوكل، والتفويض، والتسليم وغير ذلك. **(قوله: كان سفره الخ)** أي وذلك باعتبار أنْ الغالب فيه عروض المشاق الغير الملائمة للنفس. **(قوله: شرده)** أي بإعادته إلى شهواته الخبيثة وعاداته الخسيسة. **(قوله: فأما إذا كان شاباً الخ)** أقول: هذا وما قبله مرجعه إلى نظر الشيخ المسلك الآمر بهذا أو ذاك. **(قوله: وغاية نصيبهم الخ)** أقول: وناهيك بهذه الفوائد ومحاسن العوائد إذا تخلص القصد فيها لله بالغيبة، وعدم الالتفات إلى ما سواه.

تنبيه:

قال السري: لسانك ترجمان قلبك ووجهك مرآة قلبك فيستبين على الوجه ما يضمره القلب، والقلوب ثلاثة: قلب مثل الجبل لا يزيله شيء، وقلب مثل النخلة أصلها ثابت والريح تقلبها وتميلها، وقلب كالريشة يميل مع الرياح يميناً وشمالاً، فهذا مثل ضربه للقلوب باعتبار ما يطرقها من نزغات الشيطان في الله تعالى ورسوله وقواعد الإيمان، فالقلب الأول رسخت فيه المعرفة واليقين وتوالت عليه أنوار التوحيد في كل حين فهو مثل الجبل في الثبات لا تؤثر فيه اختلاف الأحوال، ولا يلتفت إلى قيل ولا قال، والقلب الثاني قلب قويت معرفته بانفراد ربه بالأفعال وتأصل عنده ذلك بواضح الاستدلال لكن خواطر شيطانه ودواعي نفسه بميلانه إلى بعض الهوى في أوقات ثم يرجع إلى أصله المعلوم عنده بالندامة والحسرات، والقلب الثالث قلب لم يلج فيه اليقين ولا وصل إلى العلم بما لا بدّ منه بدليل مبين، فالشيطان يجاذبه عن اعتقاده،

وزيارات لموضع يرتحل إليها ولقاء شيوخ بظاهر سلام فيشهدون الظواهر ويكتفون بما **في هذا الباب من السير فهؤلاء الواجب لهم دوام السفر حتى لا تؤديهم الدعة)** أي السكون والإقامة **(إلى ارتكاب محظور فإنَّ الشاب إذا وجد الراحة والدعة كان في معرض الفتنة)** وفي نسخة الفترة أي معرضاً لها بميل نفسه إلى التزوج وشغل قلبه بالأهل والولد والشهوات الدنيوية، فالسفر لهؤلاء أولى لهم لأنَّهم يباشرون في كل وقت من أحوال المشايخ على اختلاف آدابهم وعلومهم ومعاملاتهم لربهم ما ينتفعون به، **(وإذا توسط المريد جمع الفقراء والأصحاب في بدايته فهو مضر له جداً)** لمنافاته ما مرّ من أنَّه مأمور بملازمة الخلوة إنْ كانت واشتغاله بكمال المناجاة فكما أنَّه لا يسافر لا يخالط الناس **(فإنْ امتحن واحد بذلك)** بأنْ دعت إلى خلطته بهم ضرورة **(فليكن سبيله احترام الشيوخ)** وتنزيلهم منزلتهم في الحرمة والأدب **(و)** سبيله **(الخدمة للأصحاب)** والأقران **(وترك الخلاف عليهم)** مع دوام الحذر منهم والخوف من فوات المطلوب **(و)** سبيله **(القيام بما فيه راحة فقير)** بأنْ يوافقه في أغراضه الجائزة **(و)** سبيله **(الجهد في أنْ لا يستوحش منه قلب شيخ)** لما يرى من سوء أفعاله، **(ويجب أنْ يكون في صحبته مع الفقراء أبداً خصمهم على نفسه، ولا يكون خصم نفسه عليهم)** فيقبل عذرهم، ولا يقبل عذر نفسه لما يعرف من سوء أدبه **(و)** أنْ **(يرى لكل واحد عليه حقاً واجباً)** ليزيد في إكرامه **(ولا يرى لنفسه)** حقاً **(واجباً)** بل ولا مندوباً **(على أحد)** لئلا يطلب المكافأة عليه **(ويجب أنْ لا يخالف المريد أحداً)** حيث لم تجب المخالفة **(وإنْ علم أنَّ الحق معه يسكت)** لئلا يجعل من يحث

ويزيله وقتاً عن توفيقه وسداده فهو معرض إلى الهلاك وعظائم الامتحانات والله أعلم.

(قوله: فيشهدون الظواهر) أي ويقنعون بها أي ولا بدّ لذلك من بركات وزيادة خيرات وإنْ لم يبلغ صاحب هذا القدم مقام الأول ولا عول على مثل ما عليه عول. **(قوله: بميل نفسه الخ)** أي وكل ذلك من الشواغل والقواطع.

(قوله: فهو مضرٌ له جداً) أي حيث هو من مظان الدعوى والاشتغال عما هو به أولى. **(قوله: فإنْ امتحن الخ)** تأمل إشارة الامتحان تعلم أنَّ الغلطة قد تكون من دواعي الخسران. **(قوله: وترك الخلاف عليهم)** أي ترك مخالفتهم فيما لا يعترض خطر الشرع. **(قوله: خصمهم على نفسه)** أي فيدوم معهم على بذل النوال وتحمل الأذى. **(قوله: وأنْ يرى لكل واحد الخ)** أي وذلك باعتبار ما لهم مِنْ حق أُخوّة الدين. **(قوله: ولا يرى لنفسه حقاً)** أي بشهود الفاعل المختار وأنَّه هو المنعم والقهار. **(قوله: ويجب أنْ لا يخالف المريد أحداً الخ)** أعاده مع علمه مما قدمه لأجل قوله: وإنْ علم الخ. **(قوله:**

معه **(ويظهر الوفاق لكل أحد)** فيما تجوز الموافقة فيه، **(وكل مريد يكون فيه ضحك ولجاج)** أي غضب **(ومماراة)** أي مجادلة **(فإنه لا يجيء منه شيء)** يعتد به في هذا الشأن، **(وإذا كان المريد في جمع من الفقراء إما في سفر أو حضر فينبغي)** له **(أنْ لا يخالفهم في الظاهر لا في أكل)** ولا شرب **(ولا صوم ولا في سكون ولا حركة بل يخالفهم)** في الباطن كما قال **(بسره وقلبه فيحفظ قلبه مع الله)** تعالى خوفاً من ظهور ما يؤدي إلى المقاطعة والمنافرة **(وإذا أشاروا عليه بالأكل مثلاً يأكل لقمة أو لقمتين ولا يعطي النفس شهوتها)** لئلا ينحل عزمه فيما قصده من منفعته في الجوع، **(وليس من آداب المريد كثرة الأوراد)** من الصلوات ونحوها **(في الظاهر)** وإنما أدبه بكثرة شغله بذكره بلسانه وقلبه وملازمته للاسم الذي لقنه له شيخه **(فإنّ القوم)** إنما هم **(في مكابدة إخلاء خواطرهم ومعالجة أخلاقهم ونفي الغفلة عن قلوبهم لا في تكثير أعمال البر)** ككثرة صلاة الضحى وصلاة الغفلة، **(والذي لا بدّ لهم منه إقامة الفرائض والسنن الراتبة فأما الزيادة من الصلوات النافلة)** المطلقة ونحوها **(فاستدامة الذكر بالقلب)** مع اللسان **(أتم لهم)** منها **(ورأس مال المريد الاحتمال عن)** بمعنى من **(كل أحد)** لما يصدر منه **(بطيبة النفس وتلقي ما يستقبله بالرضا والصبر على الضر والفقر وترك السؤال والمعارضة)** للناس **(في القليل والكثير فيما هو حظ له ومن لم يصبر على ذلك فليدخل)** معهم **(السوق)** ويكتسب الشهوات ككسبهم **(فإنّ من اشتهى ما يشتهيه الناس فالواجب)** عليه **(أنْ يحصل شهوته من حيث يحصلها الناس من كد اليمين وعرق الجبين)** وإذا فعل ذلك خرج عن مقصوده بالكلية وأعرض عن طريقته

يكون فيه ضحك الخ) أي حيث ذلك يدل على بقاء رعونة النفس وقوة حظوظها.

(قوله: خوفاً من ظهور الخ) أي بسبب ما تميز به عنهم. **(قوله: لئلا ينحل عزمه الخ)** أي لأنّ استيفاء شهوة الأكل مما يوجب قسوة القلب وتثاقل البدن عن الطاعة. **(قوله: كثرة الأوراد)** أي لأنّ ما قل ودام خير مما كثر ولم يدم. **(قوله: وملازمته للاسم الخ)** أي لأنّ الشيخ هو طبيبه والحارس له مما عساه قد يصيبه. **(قوله: ومعالجة الخ)** عطفه على ما قبله للتفسير. **(قوله: لا في تكثير أعمال البر)** أي لأنّ القليل مع المراقبة خير من الكثير مع الغفلة بل لا خير في الثاني في بعض الأحوال. **(قوله: والسنن الراتبة)** أي قبلية أو بعدية مؤكدة أو غير مؤكدة. **(قوله: فاستدامة الذكر الخ)** أي استدامته بشهادة قوله جل شأنه: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. **(قوله: ورأس مال المريد الخ)** أي وفي ذلك من هضم النفس التي هي من أقوى الحجب بين العبد وربه ما لا يخفى. **(قوله: ويكتسب الشهوات)** أي الشهوات المباحة بشاهد علم الشريعة. **(قوله: وإذا فعل ذلك)** أي فعل ما دعته إليه شهواته لغلبتها عليه بقوة دواعي النفس. **(قوله: وإذا التزم**

بالجملة والعياذ بالله، (وإذا التزم المريد استدامة الذكر) الذي لقنه له شيخه (وآثر الخلوة فإنْ وجد في خلوته ما لم يجده قلبه) بدونها(إما في النوم وإما في اليقظة أو بين اليقظة والنوم من خطاب يسمعــ)ـه (أو معنى يشاهد) ه (مما يكون نقضاً) أي خرقاً (للعادة فينبغي) له (أنْ لا يشتغل بذلك) الذي وجده في خلوته (البتة ولا يسكن إليه ولا ينبغي له أنْ ينتظر حصول أمثال ذلك فإنَّ هذه) الأحوال (كلها شواغل عن الحق سبحانه) وحجب له عما يرجوه من فضل الله في الاستقبال، (ولا بدّ له في هذه الأحوال من وصف ذلك) أي وصفها (لشيخه) فلا يكتم عنه شيئاً (حتى يصير قلبه فارغاً من ذلك) يتحمله شيخه له عنه فإنْ كتم عنه شيئاً ربما ضره (ويجب على شيخه أنْ يحفظ عليه سره ويكتم عن غيره أمره) لئلا يبلغه فيغتر به أو يعلم أنَّ شيخه استحسنه ولم يناصحه فيه فيفسد ظنه فيه بأنّه لم يبالغ في نصحه وإرشاده (ويصغر) له (ذلك في عينه) أي يزهده فيه ويأمره بالإعراض عنه لئلا يخشى عليه الوقوف معه فيختل عليه سلوكه (فإنَّ ذلك كله) أي تلك الأحوال التي يجدها المريد كلها (اختيارات) له (والمساكنة إليها مكر فليحذر المريد عن ذلك) أي عن سكوته إليها (وعن ملاحظتها وليجعل همته فوق ذلك واعلم أنَّ أضر الأشياء بالمريد استئناسه بما يلقى إليه في سره من تقريبات الحق سبحانه له ومنته عليه بأني خصصتك بهذا وأفردتك عن أشكالك) أي أمثالك، (فإنّه) أي المريد (لو قال بترك هذا) الذي وجدناه بأنْ تركه وأعرض عنه (فعن قريب يستخطفه عن ذلك) ويفتح عليه بما هو أجل منه وأدل على الاستقامة لربه (بما يبدو له من مكاشفات الحقيقة)، وبالجملة فعليه الصبر والإعراض عن أوائل الأُمور حتى يقوى ويتمكن، فإذا ظهر له ما هو أشرف من ذلك لم يلتفت إليه، وتصير خوارق العادات عنده بعون ربه كأنّها مما تجري به العادات لا

المريد الخ) شروع في أدب من راق له الشراب، وظهرت له إشارات الأحباب بدوام الصدق، والعمل على الطريق الأحق.

(قوله: أو بين اليقظة والنوم) أي كالحالة النعاسية. (قوله: فينبغي له الخ) أي ينبغي له ذلك خوفاً من الوقوف والعود إلى المألوف والله أعلم. (قوله: من وصف ذلك الخ) أي لأنَّ الشيخ طبيب يخبر العليل بعوارض صحته وسقمه. (قوله: ويصغر له ذلك) أي ليرغبه في الأرقى مما هنالك. (قوله: والمساكنة إليها مكر) أي لأنّه من موجبات الحجاب، والبعد عن طريق الأحباب. (قوله: استئناسه الخ) أي لأنَّ من استأنس بشيء سكن إليه ووقف معه فيتحجب عن الذي فوقه مع أنَّ لسان الحال ينادي ذوي الأفضال مقصودك أمامك فدع خيالك. (قوله: لو قال بترك هذا) أي لو عزم وصمم على تركه. (قوله: بما يبدو له) أي بما يظهر له من مكاشفات الحقيقة بتكرر واردات أهل الطريقة.

يقف معها ولا يلتفت إليها **(وشرح هذه الجملة)** المذكورة **(بإثباته في الكتب متعذر)** لأنّ مواجيد القلوب لا تنحصر بالعبارة، وإنما يشار إليها إشارة، وكل ما يكون في الكتب لا بدّ أنْ تحصره العبارة ليفهم، **(ومن أحكام المريد)** أنّه **(إذا لم يجد من يتأدب به في موضعه أنْ يهاجر إلى من هو منصوب في وقته لإرشاد المريدين)** إذ لا بدّ للمبتدىء من شيخ يقتدي به فيلزمه السعي إليه، **(ثم)** أي بعد أنْ يهاجر إليه **(يقيم عليه ولا يبرح عن سدته)** بضم السين وتشديد الدال أي باب داره **(إلى وقت الإذن)** له في ذلك فإنْ خرج بغير إذنه فقد نقض عزمه وأفسد على نفسه ما أراده من السلوك إلى أرفع الدرجات وخرج عن هذه الرتبة والتحق بالعوام الذين ليس لهم في الطريق سوى زيارة أماكن ولقاء مشايخ واستماع كلام وحصول بركة من أفواههم وهؤلاء مع نفوسهم وأغراضهم وشأنهم زيارة المشايخ، وقصد الأماكن الشريفة كما يأتي في كلامه. **(واعلم أنّ تقديم معرفة رب البيت على زيارة البيت واجب)** لأنّ تعظيم البيت إنما هو لتعظيم ربه كما نبه عليه بقوله: **(فلولا معرفة رب البيت ما وجبت زيارة البيت و)** أما **(الشبان الذين يخرجون إلى الحج ثم زيارة البيت من هؤلاء القوم)** يعني الفقراء حيث يخرجون **(من غير إشارة الشيوخ فهي)** سفرتهم إنما هي **(بدلالات نشاط النفس)** وفي نسخة النفوس **(فهم متوسمون)** وفي نسخة مترسمون بالراء **(بهذه الطريقة)** أي طريقة الصوفية أي مظهرون على أنفسهم علامتها **(وليس سفرهم)** مبنياً **(على أصل)** مرضي، **(والذي يدل على ذلك أنه لا يزداد سفرهم)** بهذا الوجه **(إلا**

(قوله: وشرح هذه الجملة) أي جملة ما يلقى إلى المريد في سره من تقريبات الحق سبحانه له ومننه عليه. . **(قوله: لأنّ مواجيد القلوب)** أي ما تجده القلوب القدسية من المواهب الإلهية لا تنحصر لأنّ اللسان يعجز عن التعبير عما في القلوب حيث هي من بحر فيض علام الغيوب. **(قوله: أنْ يهاجر الخ)** أي ولو بعدت المسافة ودنت بذلك المشقات إذ من طلب الكمالات قطع العلالات. **(قوله: إذ لا بدّ للمبتدي الخ)** تعليل لقوله: أنْ يهاجر إلى من هو منصوب الخ، وذلك لأنّ الوسائل تعطي حكم المقاصد. **(قوله: فإنْ خرج بغير إذنه الخ)** أي حيث الخروج كذلك من تعدي الحدود وأسباب حرمان المقصود. **(قوله: والتحق بالعوام)** أي ممن قنع بالظواهر ولم يوفق لتعمير البواطن وتنوير السرائر. **(قوله: واعلم أنّ تقديم معرفة رب البيت على زيارة البيت واجب)** أي بل تقديمها على سائر العبادات واجب لاستحالة قصد غير المعروف بشيء.

(قوله: لأنّ تعظيم البيت) أي وغيره من بقية حق الحق تعالى لأنّ تعظيمها من تعظيم موجدها. **(قوله: فهي بدلالات نشاط النفس)** أي من حظوظها ومطلوباتها. **(قوله: فهم متوسمون الخ)** أي فهم فقراء في الرسم وصوفية في الاسم مع أنّهم عن حقائق الفقراء

وتزداد تفرقة قلوبهم) لكونه بغير إذن الشيوخ **(ولو أنهم ارتحلوا من عند أنفسهم)** أي خرجوا عن حظوظها ولو **(بخطوة)** واحدة **(لكان أحظى)** أي أعلى منزلة **(لهم من ألف سفرة)** إلى ما ذكر على الوجه المذكور، **(ومن شرط المريد إذا زار شيخاً)** أو مسجداً أو معظماً **(أن يدخل عليه بالحرمة)** والأدب **(وينظر إليه بالحشمة)** لينيله الله بركته **(فإنْ أهله الشيخ لشيء من الخدمة)** أو العبادة التي رآها مصلحة في حقه **(عد ذلك من جزيل النعمة)** في حقه فليغتنمه فإنّه أتاه على وجه الفتح من الله.

فصل

و**(لا ينبغي للمريد أنْ يعتقد في المشايخ العصمة)** وإنْ كانوا محفوظين لأنّ

مبعدون حيث هم عن إشارات الصوفية غافلون. **(قوله: إلا وتزداد الخ)** أي وذلك لوقوفهم مع الظاهر المعتاد وبعدهم بذلك عن بلوغ المراد. **(قوله: ولو أنهم ارتحلوا الخ)** أي فالسفر الموصل إلى ديار المحبوب والمبلغ فائق المطلوب إنما هو السفر من الأخلاق الذميمة إلى الحميدة والتنقل في المقامات السعيدة المفيدة. **(قوله: بالحرمة)** أي بالاحترام، وقوله: بالحشمة أي بالاحتشام.

فصل

(ولا ينبغي للمريد الخ) أي لأنّ الراسخين في العلم جلاليين أو جماليين يلزمهم الخوف مما يخافه غيرهم من الأنسية وبقايا الحظوظ النفسية، فمن كلام المشايخ ما يخطر للزنديق يخطر للصديق، ودليله قوله جل شأنه: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ٢٠٠] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟﴾ [الأعراف: ٢٠١] وقوله ﷺ: «ألهتني آنفاً عن صلاتي» وقوله: «إنّ عفريتاً تفلت عليّ البارحة ليقطع علي صلاتي فأمكنني الله منه فذعته»[1] أي خنقته، ولكن لا يخفى عليك أنّ خطور الخاطر للصديق الذي في مثله يقع الزنديق إنما هو تعرف من الحق لعبده لأنّ ذلك الخاطر تجلى من مجالي الأوصاف القهرية، فكان كالمرآة تتجلى فيه صورة الاسم المظهر له الذي ذلك مظهر من مظاهره فيشهد الصديق ما وراء هذه الستارة بقوة نفوذ نوره فيدرك مَظهَره ومُظهِره وسر ظهوره ويكون شاكراً لمن عافاه في ذلك المقام ساجداً لوجه المتجلي فيه حقيقة ذي الجلال والإكرام كما أنّ أخذنا في الظاهر إذا رأى عاصياً أو مبتلي يشرع له السجود جهراً بالنسبة للعاصي وسراً في حق المبتلي فافهم.

---

(١) أخرجه البخاري (صلاة ٧٥) (أنبياء ٤٠) (تفسير سورة ٣٨، ٢) ومسلم (مساجد ٣٩) وأحمد بن حنبل (٢، ٢٩٨).

ذلك يخالف الواقع، ولأنه يؤدي إلى نفرته منهم وعدم انتفاعه بهم إذا صدر منهم ذنب، والفرق بين العصمة والحفظ أنَّ العصمة تمنع من جواز وقوع الذنب، والحفظ لا يمنع منه، لكن الله يحفظ من يشاء ويترك من يشاء لأنَّ الأولياء لا يقدح زللهم في قواعد الدين بخلاف الأنبياء فإنَّ المعجزة دلت على عصمتهم فيما يخبرون به عن الله تعالى، وفيما يفعلونه بياناً للتكاليف، فعلم أنّه ليس للمريد أنْ يعتقد العصمة في المشايخ **(بل الواجب)** عليه **(أن يذرهم)** أي يتركهم **(وأحوالهم فيحسن بهم الظن)** فيما يراه حقاً ويمسك عما رآه خطأ فإنْ أراد أنْ يزيله من صدره فليسألهم عنه ويورده على وجه السؤال لا على وجه الاعتراض لئلا يمنعوه الجواب، وكذا إذا أجابوه بجواب لم يشفه فلا يورد السؤال على وجه الاعتراض بل يقول لهم: ما فهمت فإنَّهم يكررونه له إنْ شاء الله بعبارة أقرب من ذلك **(ويراعى مع الله تعالى حده)** أي يقف

(قوله: ولا ينبغي للمريد الخ) أي لأنَّ هذا المقام مختص بالأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام. **(قوله: لأنَّ ذلك يخالف الواقع)** أي ما في نفس الأمر وعند الله. **(قوله: ولأنّه يؤدّي الخ)** أي مع أنَّ المقصود دوام الإقبال عليهم. **(قوله: والحفظ لا يمنع منه الخ)** أقول: في ذلك تنبيه على أنَّ الكامل لا يغتر بحاله وإنْ صفا ولا بعقده وإنْ وفا ولا يكترث بوارد عليه ولا بطارق يصل إليه، فإنَّ الشيطان مهماز المتقين ومنديل العارفين، فالمتقون يسوقهم إلى حضرة القرب قال تعالى: ﴿تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١] والعارفون يتمندلون به مواطن البعد والقرب، ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الكهف: ٦٣]، فالشيطان منه تنشأ الغفلة والضلال وبه تحصل الدعاوى إلا القليل من كمل الرجال، ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٤٢] ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ﴾ [يوسف: ١٠٠] ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص: ١٥] فافهم.

(قول: لكن الله يحفظ من يشاء) أي ولعل الحكمة في ذلك أنَّ الحق سبحانه وتعالى يريد أنْ يظهر بقهره لكل من وليه وعدوه، أما الولي فبإيراد الخاطر عليه قهراً عنه من غير قصد، وأما العدّو فبعدم نكايته له، ويدل لما ذكر في الولي قوله جل جلاله: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢] أي قهر في تحقق ما أراده الخبيث منه بخلاف العدو، فتدبر.

(قوله: لأنَّ الأولياء لا يقدح زللهم الخ) تعليل لعدم جواز وقوع الذنب من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وجواز وقوعه من الأولياء نفعنا الله تعالى ببركات أنفاسهم. **(قوله: فيحسن بهم الظن)** أي ولو بارتكاب طريق التأويل، وقوله: ويمسك الخ أي يمسك عن ذلك بلسانه وقلبه. **(قوله: ويراعي مع الله تعالى حده)** أي حتى يتحقق له اسم العبد لله، ويعدّ ممن أحبه مولاه واجتباه. **(قوله: كافيه في التفرقة)** أي لأنه لا حسن إلا فيما حسنه

عنده (**فيما يتوجه عليه من الأمر**) والنهي (**والعلم**) بأحكام الله تعالى (**كافيه في التفرقة بين ما هو محمود وما هو معلول**) أي مذموم.

فصل

(**وكل مريد بقي في قلبه لشيء من عروض الدنيا مقدار وخطر فاسم الإرادة له مجاز**) لوجود النقص فيه بذلك (**وإذا بقي في قلبه اختيار فيما يخرج عنه من معلومه**) الدنيوي (**فيريد أن يخص به نوعاً من أنواع البر**) أي جهة من جهاتها (**أو شخصاً دون شخص فهو متكلف في حاله وبالخطر**) الحاصل بذلك يخشى عليه (**أن يعود سريعاً إلى الدنيا**) فلا يخص بذلك عمارة مسجد ولا رباط، ولا فقيراً من أهله أو غيرهم (**لأنّ قصد المريد في حذف العلائق**) المشغلة لقلبه (**الخروج منها**) ليتفرغ لما هو بصدده من خلوص قلبه لربه وكمال شغله به عن غيره (**لا السعي في أعمال البر**) فإذا خرج من الدنيا وأعرض عنها فليعرض عنها إعراضاً كُلياً حتى لا يبقى لنفسه بها تعلق ولا اختيار فإنَّ ذلك أفرغ لقلبه وأعون له على غرضه، فمقصوده بذلك زوال المشغلات لا تحصيل المبرات، (**وقبيح بالمريد أنْ يخرج**) هو (**من معلومه**) أي (**من رأس ماله وقنيته ثم يكون أسير حرفة**) دنيوية غير ضرورية لأنَّ ذلك يشغل قلبه ويمنعه أربه (**وينبغي أنْ يستوي عنده وجود ذلك**) المعلوم (**وعدمه حتى لا ينافر لأجله فقيراً**

الشرع ولا قبح إلا فيما قبحه. (**قوله: مقدار الخ**) أي ولو قل جداً لأنَّ المكاتب قنّ ما بقي عليه درهم. (**قوله: لوجود النقص فيه بذلك**) أي حيث هو ينشأ عن ظلمات الجهالات وبقاء بعض الرعونات والحظوظات وكل ذلك من النقص والحجاب. (**قوله: وإذا بقي في قلبه الخ**) أي بل ينبغي له أنْ يكون حاله العمل بالأهم على حسب مراد الشارع ﷺ. (**قوله: فهو متكلف في حاله**) أي متفعل لما تخلق به إذ حقه أنْ يكون لا مراد له بل مراد هما أراد مولاه عز وجل. (**قوله: وبالخطر الحاصل بذلك**) أي بما بقي من قلبه من الاختيار المذكور.

(**قوله: أنْ يعود سريعاً الخ**) أي لانجذابه بما بقي فيه إلى الدنيا. (**قوله: فلا يخص بذلك عمارة مسجد**) مفرع على ما هو اللائق أي جميعها بدلالة لام الاستغراق. (**قوله: لا السعي في أعمال البر**) أي في نوع دون آخر. (**قوله: حتى لا يبقى لنفسه بها تعلق**) أي تعلق خلاف مراد الحق تعالى. (**قوله: لا تحصيل المبرات**) أي بدون مراعاة الأهم بنظر الشرع. (**قوله: أي من رأس ماله وقنيته**) أي مما كان القلب متعلقاً به.

(**قوله: ثم يكون أسير حرفة الخ**) أي بل اللازم في حقه ما يدفع ضرورته بشاهد علم الشريعة. (**قوله: وينبغي أنْ يستوي الخ**) أي أنْ يترقى بعد ذلك إلى حب إيثار العدم

ولا يضايق به أحداً ولو مجوسياً) ويكون الأولى به تعود الصبر حتى يكون فقره وصبره رأس ماله فيكون حاله كما قيل:

إذا افتقروا عضوا على الفقر ضنة وإنْ أيسروا عادوا سراعاً إلى الفقر

فصل

(وقبول قلوب المشايخ للمريد أصدق شاهد لسعادته) وفلاحه لأنَّ شيخه لا يزنه بهواه لأنَّه فارغ منه وإنما يزنه بميزان الشريعة، **(ومن رده قلب شيخ)** من الشيوخ ولم يقبله **(فلا محالة)** أنَّه **(يرى غب)** أي عاقبة **(ذلك ولو بعد حين)** لأنَّ رد قلبه له إنما هو من رد الشريعة له، فحقه أنه إذا رده أنْ يتذلل لربه ويستغيث ويديم البكاء على نفسه لينقله ربه عما هو عليه من الفساد، ويسلك به طريق التوفيق والسداد، **(ومن خذل بترك حرمة الشيوخ فقد أظهر رقم)** أي علامة **(شقاوته وذلك لا يخطىء)** كما هو معلوم، ومن دخل على شيخ ليختبره فهو جاهل، فإن الشيوخ لا يختبرون ولا يطلب منهم الكلام عى الهواجس والمكاشفات وإنما يراد منهم معرفة الأمراض

على الوجود استغراقاً في حق الرب المقصود. **(قوله: ولو مجوسياً)** أي وذلك لأجل أنْ تنتفي عنه الحظوظ لا من أجل احترام المجوسيّ. **(قوله: ويكون الأولى به تعود الصبر)** أي لأجل أنْ يترقى إلى لذة مس الضر.

(قوله: إذا افتقروا عضوا الخ) أي إذا أصابهم الفقر والعدم عضوّا على الفقر ضنة أي أحبوا الدوام على حالة العدم بخلاً بها عن الخروج عنها، وقوله: وإنْ أيسروا أي تيسر لهم الرزق الحلال عادوا الخ أي بادروا بالصرف إلى الغير على وجه الإيثار وعادوا إلى ما ألفوه من حلية الفقر مسرعين من غير فتور. **(قوله: أصدق شاهد)** أقول: كيف لا وهم أطباء القلوب، فمن المعلوم المحقق أنَّهم لم يطالعوا إلا بالحق ولم يكاشفوا إلا بالصدق.

(قوله: وإنما يزنه بميزان الشريعة) أي ودلالات طوارق الحقيقة. **(قوله: ومن رده قلب شيخ الخ)** أي ووجهه ما ذكره الشارح بقوله: لأنَّ رد قلبه له الخ، وذلك لأنَّ من قبله الحق تعالى وأحبه أورثه ذلك القبول والمحبة عند الكافة. **(قوله: فحقه أنه إذا رده الخ)** أي فالواجب على المريد في مثل هذه الحالة التذلل لربه إذ هو المنفرد بالأحكام في سائر الكائنات، وبقدرته وإرادته التغيير والتبديل وهو على كل شيء قدير. **(قوله: ومن خذل)** أي من رده الله خائباً بسبب ترك احترام المشايخ. **(قوله: والمكاشفات من أحوال المريدين)** جملة من مبتدأ وخبر أي وإنما كانت من أحوال المريدين لحكمة قوةً يقينهم في عبادة ربهم، وقوله: لا من أحوال المشايخ العارفين أي لاستغراقهم فيما هو أعلى كشهود الحق على منصات الصدق.

والأدواء والمكاشفات من أحوال المريدين لا من أحوال المشايخ العارفين.

فصل

(**ومن أصعب الآفات في هذه الطريقة صحبة الأحداث**) أي الشباب (**ومن ابتلاه الله بشيء من ذلك**) أي مما ذكر من صحبتهم التي يخشى منها الفتنة (**فبإجماع الشيوخ ذلك**) الذي ابتلي بما ذكر (**عبد أهانه الله تعالى وخذله بل عن نفسه شغله ولو بألف ألف كرامة أهله وهب**) أي أحسب وأفرض (**أنّه بلغ رتبة الشهداء**) أي الذين يشاهدون الصانع في مشاهدتهم صنعته كرؤيتهم الشباب (**لما في الخبر**) الذي فيه (**تلويح بذلك**) كخبر: «ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه» (**أليس قد شغل ذلك القلب بمخلوق**) مستحسناً له (**وأصعب من ذلك تهوين ذلك على القلب حتى يعدّ ذلك يسيراً**) مع أنّه عظيم (**وقد قال الله تعالى**: ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥] **وهذا الواسطي رحمه الله يقول: إذا أراد الله هوان عبد ألقاه إلى هؤلاء الأنتان**) بالمثناة (**والجيف**) يعني الشباب. (**سمعت أبا عبد الله الصوفي يقول: سمعت محمد بن أحمد النجار يقول: سمعت أبا عبد الله الحصري يقول: سمعت فتحاً الموصلي يقول: صحبت ثلاثين شيخاً كانوا يعدّون من الأبدال كلهم أوصوني عند فراقي إياهم، وقالوا لي: اتق معاشرة الأحداث ومخالطتهم**) أي لأنها تدعو إلى سموم

(**قوله: صحبة الأحداث**) أي ولا سيما إذا كانوا من أهل الجمال، وذلك لأنّهم إنْ لم يكونوا مظان للشهوة بواسطة قوة التحفظ، فلا أقل من كونهم سبباً في الوقيعة في العرض والتعرض لذلك مهلكة عظيمة. (**قوله: ولو بألف ألف كرامة الخ**) أي كونها كرامة بحسب ظاهر الحال، وإلا فذلك من نوع الاستدراج والعياذ بالله تعالى. (**قوله: وهب الخ**) أي وذلك لأنّ حكم الظاهر مقدم على أحوال الباطن مع أنّ ذلك قبيح في النظر الصحيح. (**قوله: لما في الخبر الخ**) أي على ما تقدم في بعض تفاسيره. (**قوله: أليس قد شغل الخ**) أي وذلك من أعظم القواطع عن الله تعالى.

(**قوله: أليس قد شغل ذلك القلب الخ**) فيه نظر مع فرض أنّه بلغ رتبة الشهداء، نعم إنْ كان ذلك باعتبار الظاهر فيصح. (**قوله: تهوين ذلك الخ**) أي بالالتفات إلى مسهلاته ومحسناته مع أنّ الحسن ما حسنه الشرع والقبيح ما قبحه. (**قوله: حتى يعد ذلك يسيراً**) أي اغتراراً بحاله ومقامه على ما يظنه. (**قوله: وهذا الواسطي الخ**) أي وكفى به حجةً ودليلاً على ما تقدم. (**قوله: إذا أراد الله هوان الخ**) أي حيث هم من القذارة المعنوية، وهي أشق في التطهير من الحسية إذ قبول التوبة غير معلوم وقضاء الحق السابق هو المقسوم. (**قوله: وقالوا لي: اتقِ الخ**) أي فلولا أنّهم رأوا ذلك من أعظم المهالك لما

اللحظات إلى الوجوه المستحسنات، وخواطر الشيطان الداعية إلى المحرمات، والأبدال قوم صالحون لا تخلو الدنيا منهم إذا مات واحد منهم أبدل الله مكانه آخر وعددهم سبعة على خلاف فيهم قال الإمام القشيري: **(ومن ارتقى في هذا الباب)** أي باب صحبة الأحداث **(عن حالة الفسق)** بأنْ صحبهم لا للفسق بل لتعليمهم العبادات والآداب ولامتحان نفسه هل ارتفعت عن هذا العالم الشهواني فيكون ذلك شاهداً له بموت شهواته أو لا فيكون ذلك شاهداً عليه، **(وأشار)** من ارتقى عن ذلك **(إلى أنّ ذلك)** أي ما ذكر من صحبة الأحداث **(من بلاء الأرواح و)** إلى **(أنّه لا يضر)** المريد **(و)** إلى **(ما قالوه:)** الأنسب ما قاله **(من وساوس القائلين بالشاهد)** للصانع بمشاهدته لصنعته الجميلة، **(و)** من **(إيراد حكايات عن بعض الشيوخ لما)** وفي نسخة بما **(كان الأولى بهم إسبال الستر على هناتهم)** أي قبائحهم **(وآفاتهم الصادرة منهم فذلك)** منه **(نظير الشرك وقرين الكفر)** فإنه يؤدّي إلى استحلال ما علم تحريمه بالإجماع وإلى جعل ما ليس بطاعة طاعة فقوله: من ارتقى مبتدأ خبره فذلك إلى آخره **(فليحذر المريد من مجالسة الأحداث ومخالطتهم فإنّ اليسير منه)** أي مما ذكر من مجالستهم ومخالطتهم **(فتح باب الخذلان)** وهو خلق قدرة المعصية **(وبدء حال الهجران ونعوذ بالله من قضاء السوء)** أي من قضاء الله به.

فصل

ومن آفات المريد ما يتداخل النفس) أي ما يدخل النفس أي ما يدخل فيها **(من خفيّ الحسد)** وجليه **(للإخوان و)** من **(التأثر بما يفرد الله تعالى به أشكاله)** أي أمثاله

اتفقوا جميعاً على النهي عنه. **(قوله: أي لأنها تدعو إلى سموم اللحظات)** أي بل ما تؤدّي إليه أقوى ضرراً من السموم إذ السم نهاية ما يفضي إلى الموت، وهو تحفة المؤمن ولعذاب الآخرة أشق. **(قوله: ومن ارتقى في هذا الباب الخ)** من فيه مبتدأ وقوله: فذلك نظير الشرك الخ خبر كما صرح به الشارح، والحاصل أنّ الخير كله في الاتباع والشر كله في الابتداع نسأل الله تعالى التوفيق والعافية بمنه وكرمه.

(قوله: ولامتحان نفسه الخ) أقول: قد تقدم قبح هذا فلا تغفل حيث كان من التعرض لأسباب الفتنة. **(قوله: فإنّه يؤدّي الخ)** أي فهو حينئذ إنكار لما علم من أحكام الشريعة بإثبات خلافه أو ابتداع لحكم لم يعلم منها. **(قوله: فليحذر المريد)** أي وجوباً عند غلبة الشهوة وندباً إذا لم توجد لأنّ من حام حول الحمى يوشك أنْ يواقعه. **(قوله: فتح باب الخذلان)** أي الرد والخسران. **(قوله: ونعوذ بالله من قضاء السوء)** أي المشار إليه بقوله جل شأنه: و﴿ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ﴾ [الأنعام: ١٠٨]. **(قوله: من خفي**

(**من هذه الطريقة**) أي طريقة الصوفية (**وحرمانه**) أي والتأثر بحرمان الله (**إياه ذلك**) الذي أفرد به أشكاله، (**وليعلم**) أي المريد (**أنَّ الأمور قسم**) بكسر القاف وفتح السين جمع قسم بكسر القاف وإسكان السين أي حظ ونصيب قد قسمهما الله في الأزل فإياك أنْ ترمي أحداً رفع الله درجته فتتمنى زوالها عنه فتقع في الحسد الذي هلك به إبليس لما رأى ما فتح الله به على آدم عليه الصلاة والسلام وحقيقته تمني العبد زوال النعمة الحاصلة لغيره وكراهة حصول النعمة الممكنة له، وهو يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، وقد تسمى المنافسة في الخير حسداً كما في خبر: «لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله علماً فهو يعمل به ويعلمه، ورجل آتاه مالاً فهو يتصدق به ويصرفه في وجوه الخير»[1] وهذا في الحقيقة غبط لا حسد لأنَّه لا يتمنى زوال ذلك وإنما يتمنى أنْ يكون له مثله، (**وإنما يتخلص العبد عن هذا**) أي الوقوع في الحسد (**باكتفائه بوجود الحق**) تعالى (**وقدمه عن مقتضى جوده ونعمه**) عليه (**فكل من رأيت أيها المريد**) أنَّه قد (**قدم الحق سبحانه رتبته**) عنده عليك (**فاحمل أنتَ غاشيته**) يعني كن له خادماً كما يكون حامل غاشية المركوب خادماً له لتنال بذلك ما ناله وإياك أنْ تحسده فيرجع ضرر حسدك عليك (**فإنَّ الظرفاء من القاصدين**) للوصول إلى الله (**على**

الحسد) أي الذي سببه الحرص على نيل كامل الكرامات، والغفلة عن شهود من له الخلق والأمر. (**قوله: ليعلم الخ**) أشار رضي الله تعالى عنه إلى طب هذا الداء العضال فإنَّ من شهد القسمة الأزلية وأنَّه لا تأثير لغير الحق تعالى في شيء وإنْ حسده لا يضر سوى نفسه دنيا وديناً عاد إلى طريق العبودية والتسليم لفعل مولاه العلي الحكيم. (**قوله: تمنى العبد الخ**) أي وتمنيه بسبب عداوته للمحسود وبغضه له أو زيادة حرصه على حب الرياسة والتقدم على الغير في سائر الكمالات، وذلك من أعظم أسباب الحرمان وغضب الرحمن. (**قوله: وقد تسمى المنافسة في الخير حسداً**) أي تسمى بذلك تسمية مجازية وإلا فالحقيقة أنْ تسمى غبطاً وحقيقته تمني مثل ما للغير مع عدم حب الزوال عن ذلك الغير. (**قوله: وهذا في الحقيقة غبط**) أي فصاحبه مأجور من له الحسد مأزور. (**قوله: وإنما يتمنى الخ**) أي وذلك مشروع وجائز.

(**قوله: باكتفائه بوجود الحق تعالى الخ**) أي والتسليم لما قضاه وأمضاه بل والرضا والإذعان بالقلب والقالب لمظاهره تعالى من عباده الذين سبقت لهم العناية الإلهية. (**قوله: فإنَّ الظرفاء الخ**) أي فصار الإجماع منهم على ذلك. (**قوله: إيثار الكل**) أي كل

---

(١) أخرجه البخاري (علم ١٥) (زكاة ٥) (أحكام ٣) (تمني ٥) (اعتصام ١٣) (توحيد ٤٥) وأحمد بن حنبل (٢، ٩، ٣٦).

ذلك) أي على القول بأنَّ المريد ينبغي له أنْ يكون خادماً لمن ذكر **(استمرت سنتهم)** أي طريقتهم.

فصل

(واعلم أنَّ من حق المريد إذا اتفق وقوعه في جمع) من الناس وشيخهم واحد **(إيثار الكل بالكل)** أي إيثار المريد كلاً منهم على نفسه بكل ما معه وإنْ كان محتاجاً إليه **(فيقدم)** المريد **(الجائع الشبعان على نفسه)** ليتعود الأخلاق الحميدة ويرتفع في الدرجات الجليلة **(ويتلمذ لكل من أظهر عليه التشيخ)** أي أنه شيخ له **(وإنْ كان هو أعلم منه)** فليتواضع له ويتفهم منه ما يشير به إليه ويكون معه في صورة التلميذ له فإنَّه في مقام أنْ يتعلم ويتخلق فلا يناسبه الترفع على أحد حفظاً لحاله وتمكناً في مقامه، **(ولا يصل إلى ذلك إلا بتبرّيه عن حوله وقوته وتوصله إلى ذلك)** إنما يكون **(بطول الحق)** تعالى أي بفضله **(ومنته)** أي نعمته.

فصل

(وأما آداب المريد في السماع) الخالي عن المحرمات **(فالمريد لا نسلم له الحركة في السماع)** أي لا يمكن منها **(بالاختيار)** منه **(البتة)** لما فيها من الرياء والعجب، **(فإنْ ورد عليه وارد حركة)** قوي عليه فقام **(ولم يكن فيه فضل قوة)** يدفع ذلك الوارد **(فبمقدار الغلبة)** أي غلبة الوارد عليه **(بعذر فإذا زلت الغلبة)** عنه **(يجب عليه القعود والسكون)** لزوال عذره **(فإنْ استدام الحركة مستحلياً للوجد من غير غلبة**

المريدين بالكل أي بكل ما له به ملك أو اختصاص مما يتعلق بالحظ النفسي. **(قوله: إيثار الكل)** أي كل فرد من أفراد جمع الناس بالكل أي بكل شيء من عرض الدنيا، وقوله: فيقدم الخ أي ولو على نفسه ولو كان محتاجاً. **(قوله: ويكون معه في صورة الخ)** ليس مراده أنّه يتكلف ذلك وباطنه بخلافه بل المراد حقيقة التبعية الظاهرة والباطنة. **(قوله: وتوصله إلى ذلك الخ)** فيه إشارة إلى صعوبة هذا التخلق وأنّه لا يمكن الوصول إليه إلا بمعونة الحق تعالى. **(قوله: الخالي عن المحرمات)** أي فيشمل ما كان من طرق العبادات كسماع القرآن والعلم والمواعظ وغير ذلك.

(قوله: لا نسلم له الحركة) أي كالتواجد. **(قوله: لما فيها من الرياء والعجب)** أي باعتبار الشأن والغالب. **(قوله: فبمقدار الغلبة الخ)** أي فيجب أنْ يقتصر على مقدار الغلبة ليدوم له الصدق وإلا فربما جره ذلك إلى الرياء. **(قوله: أي متأخراً عن أصحابه)** أي حيث لابس أكبر المخالفات حيث هو من حقيقة المرآة. **(قوله: إنَّ الحركة تأخذ الخ)** أي الحركة الزائدة عن مقدار الغلبة إذ لا تكليف مع الغلبة.

وضرورة **لم يصح)** سماعه لعدم سكونه بغير غلبة **(فإنْ تعود ذلك)** واستمر عليه **(بقي متخلفاً)** أي متأخراً عن أصحابه **(لا يكاشف بشيء من الحقائق، فغاية أحواله حينئذٍ أنْ يطيب قلبه)** ويتزايد طربه برؤية نفسه وغيره، **(وفي الجملة إنَّ الحركة تأخذ)** قوة **(من كل متحرك وتنقص)** شيئاً **(من حاله مريداً كان أو شيخاً إلا أنْ تكون)** حركته **(بإشارة)** ناشئة **(من الوقت)** بأنْ يكون في المجلس من الصادقين من غلب عليه حاله واقتضى الوقت القيام إجلالاً له وعوناً له على حاله **(أو غلبة تأخذ)** ه **(عن التمييز)** بأنْ يغلب عليه حاله بحيث لا يميز **(فإنْ كان)** الذي ورد عليه الوارد **(مريداً)** وقد **(أشار عليه الشيخ بالحركة فتحرك على إشارته)** أي لأجلها **(فلا بأس)** إذا كان الشيخ ممن له حكم على أمثاله بأنْ يكون ممن له اطلاع على باطنه **(وأما إذا أشار إليه الفقراء بالمساعدة)** لهم **(في الحركة فليساعدهم في القيام وفي أداء ما لا يجد منه بدأ مما يراعي عن)** بمعنى في **(الاستيحاش لقلوبهم)** لأنَّ أحوالهم تتزايد برؤية بعضهم بعضاً، وكل ذلك بشرط السلامة مما يخالف الشريعة من رياء وعجب ونحوهما، **(ثم إنَّ صدقه في حاله يمنع قلوب الفقراء من سؤالهم)** له **(عند المساعدة معهم)** يعني لا يحوجهم إلى ذلك بل يساعدهم بغير سؤال منهم، **(وأما طرح الخرقة)** من المريد إذا طاب عيشه ووجده في السماع **(فحق المريد أنْ لا يرجع في شيء خرج منه البتة)** لخبر «العائد في هبته كالعائد في قيئه» ولأنَّ ذلك أمارة غلبته وصدق قيامه وحركته، **(اللهم إلا أنْ يشير على شيخ بالرجوع فيه فيأخذه)** ليوافقه ظاهراً حفظاً لقلبه لكنه إنما يأخذه **(على نية العارية بقلبه ثم)** أي بعد أنْ يأخذه **(يخرج عنه بعده من غير أنْ يستوحش قلب ذلك الشيخ)** حيث وافقه ظاهراً، **(وإذا وقع بين قوم عادتهم)** في السماع **(طرح الخرقة)** للقوال أو غيره اختياراً إذا طاب عيشهم ووجدهم **(وعلم)** منهم **(أنهم يرجعون فيها)** عادة **(فإن لم يكن فيهم شيخ يجب)** عادة **(حشمته وحرمته)** أي مراعاتهما **(وكان طريق هذا المريد أنْ لا يعود في الخرقة فالأحسن له أنْ يساعدهم في**

(قوله: أو غلبة تأخذه عن التمييز) أي لسقوط الخطاب عنه حينئذ. **(قوله: إذا كان الشيخ الخ)** أي بأنْ كان قد تولى تربيته وحراسته، وله إشراف على أحواله. **(قوله: مما يراعي في الاستيحاش)** أي في طرق البعد عنه. **(قوله: يمنع قلوب الفقراء الخ)** أي لأنَّ عمارة الباطن تكفي في حكم الظاهر. **(قوله: وأما طرح الخرقة الخ)** المراد خلعه إياها وتركه لها في حالة طيب عيشه خلعاً وتركاً تشهد به الشريعة، وتدل عليه غلبات أحوال الحقيقة، وقوله: فحق المريد الخ أي لما ذكره المؤلف.

(قوله: وأما طرح الخرقة الخ) أي تركها لغيره من قوال أو نحوه. **(قوله: ثم يؤثر به القوال)** أي جرياً على عادته في ذلك. **(قوله: فإنَّه يجوز الخ)** أي فهو بالخيار إما أنْ

الطرح ثم يؤثر به القوال) لكونه كان سبباً لما حصل من الوجد الصحيح، ولا يرجع فيه على عادته **(إذا رجعوا هم فيها)** أي في خرقهم **(وإنْ لم يطرح)** معهم **(فإنَّه يجوز)** له عدم الطرح **(إذا علم من عادة القوم أنهم يعودون فيما طرحوا، فإنَّ القبيح إنما هو سنتهم)** أي طريقتهم وعادتهم **(في العود إلى الخرق لا مخالفته لهم على أنَّ الأولى له الطرح)** معهم **(عى الموافقة)** لهم **(ثم ترك الرجوع فيه، ولا يسلم للمريد البتة التقاضي)** أي الطلب **(على)** بمعنى من **(القوال)** أي لا ينبغي له أنْ يطلب منه تكرار ما أنشده **(لأنَّ صدق حاله يحمل القوال على التكرار ويحمل غيره على الاقتضاء)** أي الطلب من القوال مع أنَّ اقتضاءه منه مضر له يفرق عليه ما حصل له من أوائل الوجد ويخشى عليه دخول آفة الرياء عند عدم الغلبة فصبره إلى أنْ يظهر عليه ما يوجب للقوال التكرار أولى به، وربما حرك حاله وصبره من في المجلس ممن يصلح له الاقتضاء على أنْ يقتضي التكرار، ويحصل له مقصوده مع السلامة، **(ومن تبرك بمريد)** غلب عليه حاله ووجده **(فقد جار)** أي مال **(عليه لأنَّه)** ربما **(يضره)** ويفسد عليه حاله **(لقلة قوّته)** على دفع الرياء والعجب **(فالواجب على المريد ترك تربية الجاه)** غير الضروريّ **(عند من قال بتركه وإثباته)** أي ومن قال: بإثباته لئلا يدخله الرياء والعجب.

فصل

(وإن ابتلي مريد بجاه) غير ضروري **(أو معلوم)** كذلك **(أو صحبة حدث)** أي شاب **(أو ميل إلى امرأة واستنامة)** بتاء فوقية ثم نون أي سكون **(إلى معلوم)** دنيوي هذا يغني عنه ما مرّ آنفاً، **(وليس هناك شيخ يدله على حيلة يتخلص)** بها **(من ذلك فعند ذلك حل له السفر والتحوّل عن ذلك الموضع)** فذلك أولى به من الإقامة **(ليشوش)** يعني لئلا يشوش **(على نفسه تلك الحالة)** وفي نسخة الحالات، أما الجاه

يطرح ولا يعود على عادته كما تقدم أو أن لا يطرح أصلاً. **(قوله: ولا يسلم للمريد البتة)** أي لأنَّه في غنية عنه بصدقه، وإلا فلا حاجة له فيه. **(قوله: يفرق عليه)** أي لأنه التفات مما غلب عليه من الأهم في حقه. **(قوله: ويحصل له مقصوده مع السلامة)** أي من ضرر طلب الإعادة من القوال.

(قوله: فقد جار الخ) أي فالأولى ترك أسباب العطب بالغير من الإخوان وحسن القصد بالقلب يكفي في نيل رحمة المنعم المنان. **(قوله: ترك تربية الجاه الخ)** أي ترك أَسباب الظهور خشية من عروض معطلات الأجور. **(قوله: وإنَّ ابتلى الخ)** شروع في مبيحات السفر في حال ابتداء الإرادة خوفاً من متاعب العادة.

والمعلوم الضروريان فلا هروب منهما لأنهما يدفعان الأذى ويقويان على الطاعة، **(ولا شيء أضر بقلوب المريدين من حصول الجاه)** غير الضروريّ **(لهم قبل خمود بشريتهم)** لأنّه يورث قساوة القلب. **(ومن آداب المريد أن لا يسبق علمه في هذه الطريقة)** أي طريقة الصوفية **(منازلته)** أي منزلته من مقام وحال بأنْ لا يتكلم في المقامات العالية بمحض العلم حتى يبلغها وينالها وإلا لتوهمت نفسه أنّ منازلته حصلت وليس كذلك، وإنما حصل علمه بها وإلى ذلك أشار بقوله: **(فإنّه إذا تعلم سر هذه الطائفة)** أي الصوفية **(وتكلف الوقوف على معرفة مسائلهم وأحوالهم قبل تحققه)** أي اتصافه **(بها)** أي **(بالمنازلة والمعاملة)** مع الله **(بعد وصوله إلى هذه المعالي)** أي المنازلات، **(ولهذا قال المشايخ: إذا حدث العارف عن المعارف)** والعلوم **(لجهلوه فإن الإخبار)** بكسر الهمزة إنما هو **(عن المنازل دون المعارف)** والعلوم **(ومن غلب علمه منازلته فهو صاحب علم لا صاحب سلوك)** وإرادة إذ لا يلزم من تصوّر الشيء حصوله ولا عكسه.

فصل

(ومن آداب المريدين أنْ لا يتعرضوا للتصدر) للتعليم وجذب القاصدين إلى الله تعالى لضعفهم، فيخشى عليهم الهلاك لجهلهم بطريق الرياضة، ولأنهم في مقام من يتعلم لا من يعلم، **(و)** من آداب المريد **(أنْ يكون لهم)** أي للخلق **(تلميذاً ومريداً)** لا شيخاً ومراداً **(فإنّ المريد إذا صار مراداً)** للخلق لينتفعوا به **(قبل خمود بشريته وسقوط آفته)** عنه **(فهو محجوب عن الحقيقة لا ينفع أحداً إشارته و)** لا **(تعليمه)**

(قوله: ولا شيء أضر الخ) أي لأنّه قد يؤدّي إلى التشبع بما لم ينل فيقع في البهتان ومراآة الإخوان. **(قوله: أنْ لا يسبق علمه الخ)** أي لما فيه من إيهام التخلق بما لم ينل بل ربما اكتفى بالقال عن الحال، وذلك قاطع عن الكمال.

(قوله: فإنّه إذا تعلم الخ) جواب إذا قوله: ربما قنع بالعلم عن بلوغ الحال فحجب عن منزله أصحاب الوصال. **(قوله: فهو صاحب علم الخ)** أي فيكون ممن تخلق بالقال والقيل واستند إلى ما لا يصح عليه التعويل. **(قوله: أنْ لا يتعرضوا للتصدر)** أي فيكون ممن دلسوا على أنفسهم وأضروا بالغير لجهلهم بالطريق الموصلة إلى الخير، فمن تعجل بشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه، ومن تخلق بخلق قبل الوقت لا ينال خلاف المقت.

(قوله: فإنّ المريد إذا صار مراداً) أي تكلف هذا الخلق في غير إبانه، وقوله: قبل خمود بشريته أي قبل موت نفسه الحيوانية وحياة اللطيفة الإنسانية، وقوله: وسقوط آفته المراد بالآفة ما يعرض من الخواطر الدنية بتحقق الطبيعة البشرية.

لعدم أهليته لما دخل فيه، ومن آدابه أنْ لا يتبع من المشايخ إلا من يقع له في قلبه حرمته وهيبته، ويعلم أنه يؤدّبه ويهديه وأنّه أعلم منه بالطريق.

فصل

(وإذا خدم المريد الفقراء فخواطر الفقراء رسلهم إليه، فلا ينبغي أنْ يخالف المريد ما حكم به باطنه عليه من الخلوص في الخدمة وبذل الوسع والطاقة) فيها لأنّه تعالى إنما يجري عليهم ما يوافقهم، فأي شيء وقع في قلب المريد فحقه أنْ يخدمهم به فإنّه مرادهم وهو مراد الله منه فإنه تعالى يخلق لهم ما أحبوه واختاروه.

فصل

(ومن شأن المريد إذا كانت طريقته خدمة الفقراء الصبر على جفاء القوم معه) وأنْ يستحقر نفسه عن الخدمة وأنّه لا يصلح لها وإنْ كان كاملاً فيها، ويعلم أنّ ما هو فيه من بركة خدمته لهم، وإذا لم يكن صبوراً لم ينل سيادة الخادمين كما قيل: «سيد

(قوله: فهو محجوب عن الحقيقة) أي لغروره بظن علم الطريقة مع أنّه على الباب لم يفهم معنى الخطاب، ومن السائرين لا من الواصلين، ومن المتعلمين لا من العارفين المحققين. **(قوله: أنْ لا يتبع من المشايخ الخ)** أي حتى يأتمر بأمره، وينتهي بنهيه وينسر بوعده ويخاف بوعيده.

(قوله: ويعلم أنه يؤدّبه) أي بقوة يقينه في وصوله وزيادة ثمرات محصوله. **(قوله: فخواطر الفقراء الخ)** مراده بالفقراء المنقطعون لعبادة ربهم بطريق متابعته ﷺ، وحاصل ما أشار إليه أنّه بمجرد ما يخطر له بقلبه شيء مما يحتاج إليه الفقراء في خدمتهم يجب عليه أنْ يسارع في تحصيله حيث ذلك الخاطر قائم مقام رسل منهم فكأنّهم طلبوا منه ما خطر له بالفعل، فلا يتوقف في خدمتهم على صريح طلبهم. **(قوله: أنْ يخالف المريد الخ)** أي لأنّها خواطر نشأت عن حقيقة بمقتضى هواتف الطريقة.

(قوله: فإنّه تعالى يخلق لهم ما أحبوه واختاروه) أي ويدل لذلك قوله جل اسمه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]. **(قوله: الصبر على جفاء القوم معه)** أي شأنه حبس نفسه على الرضا بما يبدو من الفقراء مما لا يلائم بواسطة جفائهم معه فإنّه بصدد تهذيب نفسه ورياضتها. **(قوله: ويعلم أنّ ما هو فيه الخ)** أي فلا ينال منزلة إلا إذا دام على شهود أنّه لا يصلح للخدمة وأنّ ما هو فيه فببركة أنفاسهم. **(قوله: كما قيل: «سيد القوم خادمهم»)** أي حيث لا تثبت السيادة إلا لمن آثر غيره بماله وبنفسه، ومثله إنما يتحقق للصبور على تحمل الأذى وبذل الندى بل والنفس.

القوم خادمهم»، (وأن يعتقد أنّه يبذل روحه في خدمتهم ثم لا يحمدون له أثراً فيعتذر إليهم من تقصيره) فيها (ويقر بالجناية) أي ويقر لهم (على نفسه) بالجناية عليهم (تطييباً لقلوبهم وإنْ علم أنّه بريء الساحة) منها (وإذا زادوه في الجفاء فيجب أنْ يزيدهم في الخدمة والبر. سمعت الأستاذ الإمام أبا بكر بن فورك رحمه الله يقول: إنَّ في المثل إذا لم تصبر على) ضرب (المطرقة فلماذا كنت) وفي نسخة تكون (سنداناً، وفي معناه أنشدوا:

ربما جئته لأسلفه العذ ر لبعض الذنوب قبل التجني

أي الجناية فإنّه إذا رأى نفسه أنّها لا تصلح للخدمة، ثم وقع منه تقصير كان اعتذاره سابقاً لجنايته وتقصيره.

فصل

(وبناء هذا الأمر) أي التصوّف (وملاكه) بفتح الميم وكسرها وهو ما يقوم به (على حفظ آداب الشريعة وصون اليد عن المد) أي مدّها (إلى الحرام والشبهة وحفظ

(قوله: وأنْ يعتقد الخ) أي وذلك ليتحقق أنّه من الفتيان المشار إليهم في مثل هذا الشأن.

(قوله: وإنْ علم أنّه الخ) أي لأنَّ الدوام على اتهام النفس من أمارات الكمال.

(قوله: يقول: إنَّ في المثل الخ) أي ولذلك قيل:

عرضت نفسك للبلا فاستهدف

(قوله: قبل التجني) أي فهو قبل قد وطن نفسه على أنّه لا يليق لهذه الخدمة لشرفها مع قصوره عن واجب حقها. (قوله: وبناء هذا الأمر الخ) تأمل يا أخي هذه الألفاظ القليلة مع ما فيها من المعاني الثمينة تجدها قد أغنت عن المطولات ودلت على أعلى المقامات، وهكذا يكون العلم المحمديّ والإرشاد الأحمدي نفعنا الله ببركات علومهم أجمعين.

(قوله: وبناء هذا الأمر الخ) أي ما يبنى عليه التصوف ويتأسس عليه، وقوله: وملاكه أي ما تتحقق به حقيقته وقوله: على حفظ آداب الشريعة، الآداب جمع أدب وهو كل مطلوب مستحسن عند الشارع سواء الواجبات والمندوبات، وقوله: وصون اليد أي صيانتها عن المد إلى الحرام الخ، وذلك كناية عن عدم تناوله وتعاطيه، وإنما اقتصر اليد اعتباراً بالشأن، وقوله: وحفظ الحواس أي الظاهرة والباطنة، وقوله: عن المحظورات من الحظر وهو المنع، وقوله: وعد الأنفاس الخ هو كناية عن التفرغ لعبادة ربه مع دوام مراقبته بحيث لا يفوته وظيفة وقت من الأوقات بل يقوم بها على أكمل وجوهها. (قوله:

الحواس عن المحظورات) أي المحرمات **(وعدّ الأنفاس مع الله سبحانه)** لينكف **(عن الغفلات)** بأنْ يعبد الله كأنّه يراه وهو مقام الإحسان **(وأنْ لا يستحل مثلاً سمسمة فيها شبهة في أوان الضرورات، فكيف عند الاختيار ووقت الراحات، ومن شأن المريد دوام المجاهدة في ترك الشهوات فإنّ من وافق شهوته عدم صفوته)** أي خالصه لاشتغاله بغير ربه، **(وأقبح الخصال بالمريد رجوعه إلى شهوة تركها لله تعالى)** كل ذلك مأخوذ من خبر: «ما تقرب المتقرّبون إليّ بمثل أداء ما افترضت عليهم»[1].

فصل

(ومن شأن المريد حفظ عهوده مع الله تعالى) قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾ [النحل: ٩١] **(فإنّ نقض العهد في طريق الإرادة)** لأهل الباطن **(كالردة عن الدين لأهل الظاهر)** من حيث أنّ كلاً منهما يختل على من اتصف به ما سبق له من أحواله ومقاماته، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ [التوبة: ٧٥] **(ولا ينبغي للمريد أنْ يعاهد الله تعالى على شيء باختياره ما أمكنه)** فعله بغير معاهدة **(فإنّ في لوازم الشرع ما يستوفى منه كل وسع)** أي كل ما في الوسع بغير

بأنْ يعبد الله كأنّه يراه) أي وذلك أكمل ممن يعبد الله على أنّ الله يراه. **(قوله: ومن شأن المريد دوام المجاهدة)** أي دوام الجد في البعد عما تميل إليه النفس بطبعها. **(قوله: فإنّ من وافق شهوته)** أي ولو كانت مباحة قد عز مقبل على تركها رياضة لنفسه. **(قوله: وأقبح الخصال بالمريد رجوعه الخ)** أي لأنّ مثل ذلك يقال له وقفة وهي أضر به من الفترة لأنّ فتر يرجى له العود إلى الجد بخلاف من وقف. **(قوله: كل ذلك مأخوذ الخ)** أقول: كيف لا وقد خص الله تعالى نبيه ﷺ بجوامع الكلم. **(قوله: حفظ عهوده مع الله)** أي على الإيمان والعمل بأحكام الشريعة. **(قوله: ما سبق له)** أي مما ذاق حلاوته وقطع مرارته. **(قوله: ومنهم من عاهد الله الخ)** أي ثم جرى عليه القضاء الأزليّ بما سبق على وفق العلم القديم والحكمة الباهرة. **(قوله: ولا ينبغي للمريد الخ)** أي ويدل له خبر «لن يشاذ الدين أحد إلا غلبه». **(قوله: ولا ينبغي للمريد أنْ يعاهد الله الخ)** أي لعلم كل عبد بأنّه لا طاقة له على شيء إلا بإعانة ربه على أنّ النفس لا يوثق بوفائها، والله أعلم. **(قوله: فإنّ في لوازم الشرع)** أي ما ألزم المكلف فعله واجباً كان أو مندوباً، وقوله: ما يستوفي منه كل وسع أي كل طاقة والغرض من ذلك بيان العجز عن القيام بما طلبه الشارع ﷺ من المكلف، فينبغي له حينئذٍ أنْ لا يضيق على نفسه زيادة عن ذلك بمعاهدة الله تعالى على

---

(١) أخرجه الزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٨/ ٤٧٧).

معاهدة (**قال الله تعالى في صفة قوم ابتدعوها**) أي الرهبانية وهي رفض النساء واتخاذ الصوامع (**ما كتبناها عليهم**) أي ما أمرناهم بها (**إلا**) أي لكن فعلوها (**ابتغاء رضوان الله ثم قال**: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾) [الحديد: ٢٧] إذ تركها كثير منهم، وكفروا بدين عيسى عليه الصلاة والسلام ودخلوا في دين ملكهم.

فصل

(**ومن شأن المريد قصر الأمل فإنَّ الفقير ابن وقته**) لا التفات له إلى ماضٍ ولا إلى مستقبل، (**فإذا كان له تدبير في المستقبل وتطلع لغير ما هو فيه من الوقت**) الحاضر (**وأمل**) أي رجا (**فيما يستأنفه لا يجيء منه شيء**) يعتد به، فقصر الأمل ينفع المطيع والعاصي، أما المطيع فلخوفه أنْ يقطع عليه الموت ما يؤمله من الخيرات فيجد في الطلب ويعرض عن كل سبب، وأما العاصي فلأنه إذا استشعر هجوم الموت تخلص مما هو فيه من الآثام وندم على ما كان فيه من الإجرام.

فصل

(**ومن شأن المريد أنْ لا يكون له**) وفي نسخة معه (**معلوم**) دنيوي فاضل عن كفايته (**وإنْ قل لا سيما إذا كان بين الفقراء**) الذين تجردوا لله، (**فإنَّ ظلمة المعلوم تطفىء نور الوقت**) وفي نسخة القلب لما في ذلك من الاعتماد على غير الله اللازم له فوات التوكل والتفويض.

فعل شيء أو تركه، وذلك وما بعده من قوله: قال الله تعالى الخ، علة لقوله: ولا ينبغي للمريد أنْ يعاهد الله تعالى على شيء باختياره. (**قوله: أي ما أمرناهم بها**) أي لا أمر إيجاب ولا أمر ندب.

(**قوله: ابتغاء رضوان الله**) أي طلباً لرضاه عنهم. (**قوله: قصر الأمل**) أقول: وقصر الأمل هو جماع الخيرات والسبب في معظم البركات، والبعد عن الشهوات والغفلات. (**قوله: فإنَّ الفقير ابن وقته**) أي وإنما كان كذلك لأنه يرى أنَّ الماضي قد مضى بما فيه، والمستأنف أمره لا يدريه، فهو إذا نظر إليهما فقد ضيع الوقت الحال بما هو أولى به فيه.

(**قوله: لا يجيء منه شيء**) أي لتضييعه ما هو الأولى في حقه من القيام بوظيفة وقته الحاضر. (**قوله: فقصر الأمل الخ**) الغرض بيان وجه قوله: ومن شأن المريد قصر الأمل على طريق واضح. (**قوله: فاضل عن كفايته**) أي وكفاية من تلزمه مؤنته من عائلته. (**قوله: فإنَّ ظلمة المعلوم**) أي ظلمة مساكنة النفس إليه بجهلها تطفىء نور الوقت أي الأهم فيه. (**قوله: ترك قبول رفق النسوان**) أي ترك الارتفاق والانتفاع بما في أيديهن من

فصل

(ومن شأن المريد بل من طريقة سالكي هذا المذهب) أي مذهب الصوفية وإنْ لم يكن مريداً **(ترك قبول رفق النسوان)** إي إكرامهن له **(فكيف التعرض لاستجلاب ذلك)** منهن لأنَّ الإكرام سبب عظيم في المحبة والشرع ملتفت إلى المباعدة بين الرجال والنساء، ولأنَّ رفقهن لا يخلو عن شبهة غالباً لاحتمال أنَّه من مال أزواجهن أو من في حجرهن أو نحوه، **(وعلى هذا)** الحكم **(درج شيوخهم)** أي الصوفية، **(وبذلك نفذت وصاياهم ومن استصغر هذا)** الحكم **(فعن قريب يلقى ما يُفتضح به)** عند الله وعند خلقه.

فصل

(ومن شأن المريد التباعد عن أبناء الدنيا فإنَّ صحبتهم سم مجرب لأنَّهم ينتفعون به وهو ينتقص بهم) ولأنه يسمع منهم ضد مقصوده **(قال الله تعالى:** ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ [الكهف: ٢٨] الآية، **وإنْ)** أي ولأنَّ **(الزهاد يخرجون المال عن)** وفي نسخة من **(الكيس تقرّباً إلى الله تعالى وأهل الصفاء يخرجون الخلق والمعارف من القلب تحققاً بالله عز وجل)** بحيث لا يبقى فيه غيره، ولأنَّه يخشى عليه من صحبته لهم أنْ يرجع عما عزم عليه من الخير، ويملك حب الدنيا قلبه بالكلية، فيحصل فيه كل شر، ولو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء، فبعده منها ومن أهلها أسلم له في دينه ما دام ضعيفاً، **فإذا** تمكن الزهد من قلبه وقويت رغبته في الخير وكملت معرفته لا يبالي بصحبتهم، فإنَّ زهده ومعرفته

عرض الدنيا. **(قوله: ومن استصغر هذا الحكم)** أي عده صغيراً والمراد بالحكم قبول رفق النسوان. **(قوله: فعن قريب يلقى ما يفتضح به)** أي باعتبار ما قدمه الشارح من التعرض للفتنة بهن واحتمال كون الرفق لغيرهن من الأزواج مثلاً، ولم يأذن الغير لهن في التصرف. **(قوله: ومن شأن المريد التباعد عن أبناء الدنيا)** أي المشتغلين بها المتهافتين على تحصيلها. **(قوله: سم مجرب)** أقول: بل ضرر هذا أعظم عن ضرر السم لأنَّ السم يعود ضرره على تلف الجسم الفاني، وضرر صحبة أبناء الدنيا يعود على نقص الدين قال تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَشَقُّ﴾ [الرعد: ٣٤]. **(قوله: وهو ينتقص بهم)** أي حقيقة إنْ مال مثل ميلهم أو هو قد تعرض لذلك. **(قوله: وإنَّ الزهاد الخ)** أي وفرق بين منفق الفاني وبين من أبدى سر الباقي. **(قوله: ما سقى كافراً الخ)** أي وإنما اقتصر عليه لحقارته وخسته وثبوت عداوته. **(قوله: فإذا تمكن الزهد)** أي ووثق من نفسه بواسطة تكرر امتحانه

يحفظانه من جانب الميل إلى ما هم فيه، بل ربما يعرض بهما عن جمال الآخرة

لها مثلاً. (قوله: فهذه وصيتنا للمريدين) اعلم هداك الله أنّه قد تداول بين الناس من أهل هذا الشأن التفرقة بين المريد، والعابد، والمراد، والفقير، والصوفي، والشيخ المرشد وغير ذلك، وذلك يرجع إلى اختلاف أحوال السالكين، فالمريد هو من اشتغل بتبديل الأخلاق الذميمة بالحميدة، وطلب الأكمل في أوقاته السعيدة، والعابد هو من لم يلتفت إلى ذلك بل عول على فضائل الأعمال وأحسن المسالك فدام على امتثال الأوامر واجتناب النواهي وأخلاقه بحالها كما هي، والمراد فهو كالمريد في الأخلاق إلا أنّه معان محمول حتى أدرك قصب السبق، وأما الفرق بين الفقير والصوفي فدقيق على ما ثبت من إشارات أهل التحقيق إذ لكل منها صفات خاصة ومقاماتهم وأحوالهم للكل عامة غير أنَّ اسم المريد باعتبار معناه يشمل الجميع إذ كل فاعل غير غافل مريد، فالاختصاص لما اتضح لهم من المعاني ولاح، هذا، وقد يقولون: صالح ومنهم من يعبر عن هذا بولي ناجح فالصالح إذا صلح للحضرة وقع عليه من الله الغيرة غير أنَّ صالح الأعمال الزكية غير صالح الحضرة القدسية، فالأوّل من الأبرار، والثاني من المقربين الكبار، والإنسان الكامل هو الموصل الواصل، والمحقق من لا وصف له ولا ذات ولا حيطة تحوطه من الكائنات، والمدقق هو من أبرز الحقائق الخفيات من الجليات، والراسخ هو راسخ القدم في إدراك المعلومات المزيح بعلمه ظلمة المشكلات، والعالم الرباني هو من ألحق الأصاغر بالأكابر وفتح مقفلات جميع الأسفار والدفاتر، وصاحب العلم اللدني هو من تلقى منه القلب أسرار تجليات الرب وعالم النهاية هو من جمع بين الرواية والدراية شعر:

وما السيف إلا مستعار لزينة ... إذا لم يكن أمضى من السيف حامله

والمربي هو من انكشفت له طرق النجاة فسلك عليها، ثم أذن له بالتسليك والدعاء إليها، والشيخ هو من علمك بقاله ونهضك بحاله، والأُستاذ هو من وهب المواهب وأراح من تعب المكاسب، وصاحب الوقت هو رحمة لكل العباد وسحابة ماطرة في كافة البلاد وجوده في الوجود حياة لروحه الكلية، وتنفس نفسه يمد الله تعالى به العلوية والسفلية ذاته مرآة مجردة يشهد كل قاصد فيها مقصده، ما شهدته فيه خلعه عليك، وما نسبته إليه صيره إليك، فالكمال صفة لا تحتمل الزيادة، ولا يمكن فيها النقصان المتصف به محبوب مبرأ من العيوب، فصاحب الزمان موجود بالعين في الأعيان وأصحاب دائرته من الرجال مفرقون في المدن والأودية والجبال، وهذا الرجل يسمى الفرد والقطب والغوث، وفوقه القطبية الكبرى، وهي مرتبة قطب الأقطاب فرجاله الإمامان واحد عن يمينه والآخر عن شماله، والأوتاد أربعة واحد في المشرق، وآخر في المغرب، وآخر في الشمال، والرابع في الجنوب، والبدلاء وهم سبعة، والنجباء وهم أربعون، والنقباء وهم ثلاثمائة، والأفراد وهم الخارجون عن نظر القطب والأعراف وهم أصحاب الاطلاع والإشراف على

وشهواتها فضلاً عن الدنيا وسائر لذاتها. (**فهذه وصيتنا للمريدين نسأل الله الكريم لهم التوفيق**) وهو خلق قدرة الطاعة (**وأنْ لا يجعلها**) أي الوصية (**وبالاً**) أي وخمة (**علينا وقد نجز**) أي انقضى (**إملاء هذه الرسالة في أوائل سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة**) وفي

المقامات، وخاتم الأولياء وهو الذي يختم به الله دائرة الولاية كما ختم بسيدنا محمد ﷺ دائرة الرسالة، وقد قرب له ظهور الحركة فعليه منا السلام والرحمة والبركة، فإنْ قيل: إنَّ هذا لم يرد به حديث ولا أثر كما زعم بعض المتفقهة، قلنا: كذب فيما أُتي به من الإنكار فقد أخرج السمرقندي في كتاب الأبدال أنَّ علي بن أبي طالب كرم الله وجهه سأل النبي ﷺ عن الأبدال فقال: «هم ستون رجلاً قلت: يا رسول الله صفهم لي فقال: «ليسوا بالمتنطعين ولا بالمبتدعين ولا بالمتعمقين لم ينالوا ما نالوا بكثرة صلاة ولا صيام ولا صدقة إلا بسخاء النفس وسلامة القلوب والنصيحة لأئمتهم إنَّهم يا علي في أمتي أعز من الكبريت الأحمر»، وروي عن أبي ذر رضي الله عنه أنَّ قال: لما ذهبت النبوة وكانوا أوتاد الأرض أخلف الله مكانهم أربعين رجلاً من أمة محمد ﷺ يقال لهم: الأبدال لا يموت الرجل منهم حتى ينشيء الله عز وجل مكانه آخر يخلق، وهم أوتاد الأرض ثلاثون منهم على مثل يقين إبراهيم عليه السلام ولم يفضلوا الناس بكثرة صلاة ولا صيام، ولا بحسن التخشع، ولا بحسن الحلية، ولكن بصدق الورع وحسن النية وسلامة القلوب والنصيحة للمسلمين ابتغاء مرضات الله بصبر وخير ولب وحلم، وتواضع في غير مذلة، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنَّه قال: «البدلاء أربعون» وخرج أيضاً في الكتاب المذكور قال: لما قبض الله النبي ﷺ شكت الأرض إلى ربها جل وعلا أنَّه ما بقي يمشي علي نبي من الأنبياء إلى يوم القيامة فأوحى الله تبارك وتعالى إليها: «إني سأجعل من هذه الأمة رجالاً قلوبهم كقلوب الأنبياء»، ويعضد هذا ما رواه الإمام أحمد في مسنده بإسناد صحيح والحافظ الطبراني في معجمه الكبير قال السمرقندي: والقطب هو المقدم عليهم ثم حكى عن عبد الله الأنطاكي رحمه الله أنَّه قال: رأيت القطب وهو الغوث واسمه أحمد بن عبد الله البلخيّ بمكة سنة خمس وثلاثمائة وهو على عجلة من ذهب، والملائكة يجرون تلك العجلة في الهواء بسلاسل من ذهب فقلت: إلى أين تمضي؟قال لي أخ: اشتقت إليه فقلت: ولو شاء الله عز جل أنْ يسوقه إليك لفعل فقال: نعم ولكن أين ثواب الزيارة، وأما حديث الخاتم للأولياء فقد روى ذلك الأئمة الأعلام والأستاذ الكبير محمد الترمذيّ له فيه كتاب ختم الأولياء، فلا ينكر حال المهدي إلا غير مهدي، انتهى. نقلت هذا عن القدوة الكامل العلامة الشيخ محمد التونسيّ الوفائي نفعنا الله به والعهدة عليه.

(**قوله: نسأل الله الكريم لهم التوفيق**) أي نطلب من الله الكريم وهو من يعطي بلا

نسخة بعد هذا، نسأل الله أنْ لا يجعلها علينا حجة ووبالاً، إنَّ الفضل منه مألوف، وهو بالعفو موصوف. قال سيدنا ومولانا شيخ مشايخ الإسلام مؤلف هذا الشرح، فسح الله تعالى في قبره: هذا آخر ما أردنا إيراده من شرح رسالة الإمام العارف بالله تعالى القشيريّ بتاريخ رابع عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة جعله الله خالصاً لوجهه الكريم، وغفر لنا ذنوبنا إنّه هو الغفور الرحيم، والصلاة والسلام على أكرم عباده محمد وآله وصحبه كلما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

سؤال، أو هو من لا يمل من العطاء، والتوفيق هو خلق قدرة الطاعة في العبد وتسهيل سبيل الخير إليه. (**قوله: إنَّ الفضل**) أي الإحسان منه مألوف أي محبوب، وهو بالعفو موصوف، العفو التجاوز عن الذنب بعد سبق التوبة من العبد أو مجاناً بمحض الفضل والإحسان، وقوله: موصوف أي حيث وصف نفسه به أزلاً، هذا وأقول راجياً من إمداد الكرم وعموم إحسان ولي النعم أنْ يجعلنا ووالدينا وإخواننا المؤمنين مندرجين في عموم عفوه ورحمته متوسلين في قبول دعائنا بالواسطة العظمى سيدنا ونبينا ورسولنا محمد ﷺ، وأرجو من اطلع على هفوة أو سبق قلم أنْ يصلح ذلك ويسامح، ويعتذر حيث أنني عبد قصير الهمة كاسد البضاعة قليل الاطلاع كثير الموانع، ولم يساعدني الزمان على فراغ الذهن حتى أُحقق التحرير وأُراجع التحرير وكان الفراغ من جمع هذه الفوائد، ونظم فرائد العوائد يوم الجمعة المبارك الموافق لإحدى وعشرين مضت من شهر جمادى الآخرة من شهور عام إحدى وسبعين بعد المائتين والألف من هجرة من له العز والشرف ﷺ لأربع ساعات من اليوم المذكور ضاعف الله لي ولإخواني المؤمنين الأُجور، صلى الله على سيدنا محمد النبي الأُمي وعلى آله وأصحابه وأنصاره وأزواجه وذريته أهل بيته والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين.

تــم

عقيدة المؤلف حفظه الله ونفع به آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتوحد بجلاله المتفرد بإحسانه وإفضاله والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى إخوانه النبيين والمرسلين وآل كل وصحابتهم وأتباعهم إلى يوم الدين وبعد، فالغرض بيان عقيدتي وتوضيح مذهبي وطريقتي، فأقول: وأنا أشهد الله وملائكته وأهل روحانيته من المؤمنين والمؤمنات أنَّ عقيدتي أشعرية، ومذهبي ما سلكه السادة الشافعية وطريقتي خدمة الفقراء الأحمدية، فأشهد قولاً وعقداً أنَّ الله تعالى إله واحد منزه عما لا يليق به من صفات النقص متصف بسائر صفات الكمال خالق بالاختيار لا بالتعليل ولا بالطبع موجود بذاته لا مدبر معه في الملك غني عما سواه بل جميع الكائنات مفتقرة إليه لا افتتاح لوجوده ولا نهاية لبقائه قائم بنفسه ليس بجوهر متحيز فيحتاج إلى مكان، ولا بعرض يستحيل عليه البقاء، ولا بجسم له الجهة والتلقاء مرئي بالقلوب والأبصار في هذه الدار، وفي تلك الدار استوى على العرش كما قال على المعنى الذي أراده لا مثل له معقول، ولا دلت عليه النقول لا يكر عليه الزمان، ولا يحصره الأوان، وهو على ما عليه كان لا يؤوده حفظ المخلوقات، ولا يعجزه إعادة الكائنات تنزه عن القبل والبعد وتقدس عن القرب والبعد، وتعالى عن الحلول في الغير والحلول فيه وتسامى عما يضارعه ويضاهيه، فهو القيوم الذي لا ينام، والمدبر لسائر الكائنات على الدوام خلق العرش وجعله حد الاستواء وأبدع الكرسي وأوسعه الأرض والسماء وخلق اللوح والقلم الأعلى، وأجراه كاتباً لما علمه إلى يوم الفصل والقضاء، فلا تتحرّك ذرة ولا تسكن إلا إليه وعنه السموات والأرض وما فيهما جميعاً منه أوجد الكل من غير حاجة إليه ولا موجب أوجب ذلك عليه، إلا أنَّ علمه قد سبق، فلذا قد خلق من خلق لم تتعلق قدرته إلا بما أراده كما أنّه لم يرد إلا ما علمه له الأسماء والصفات الحسنى والمقام الرفيع الأسمى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور كيف لا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير يعلم الكليات والجزئيات كما دلت عليه دلائل الآيات البينات بقدرته أزمة الأشياء خيرها وشرها عاجلها وآجلها صغيرها وكبيرها يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ويؤتي الحكمة من يشاء، والملك من يشاء، وينزعه عمن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء لا راد لأمره ولا معقب لحكمه، وكما خلق وقدر كذلك سمع ورأى ما تحرّك أو سكن من العالم الأسفل والأعلى لا يحجب سمعه البعد إذ هو القريب

ولا بصره القرب فهو البعيد متكلم لا عن صمت متقدم، ولا سكوت متوهم بكلام أزليّ منزه عن الحروف والأصوات، وعن آلات النطق واللهات كلم به موسى عليه السلام وسماه بذلك الكليم، فارتفع مقامه وعز شأنه، وارتقى عى كل عظيم، وسماه الزبور والتوراة والإنجيل والقرآن العظيم كما أنَّ سمعه منزه عن الأصمخة والآذان وبصره عن الحدقة والأجفان، وكما أنّ إرادته من غير قلب وجنان، وعلمه من غير ضرورة ونظر في برهان، وكما أنَّ حياته من غير بخار حدث عن امتزاج الأركان، فذاته تعالى لا تقبل الزيادة والنقصان، فكل كائن فعن وجوده فائض وعن فضله وعدله الباسط والقابض، فهو لم يتصرف في غير ملكه فينسب إلى الحيف، ولا يتوجه إليه من الغير سؤال بلم أو كيف، أخرج العالم قبضتين، وقدر لهم منزلتين، فالكل تحت تصريف أسمائه ونعوت بلائه ونعمائه، فلا سبيل إلى تبدل ما حكم به الحكيم، ولاة اعتراض عليه من جاهل أو عليم، وكما أشهدت الله تعالى وملائكته وأهل روحانيته بجميع ما تقدم أشهدهم كذلك على نفسي بالإيمان بمن اصطفاه الله واجتباه سيدنا محمد وأنه أرسله الله إلى كافة الخلق بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وأنه قد بلغ جميع ما أنزل من ربه عليه فأدى الأمانة ونصح الأمة، وجلى الظلمة، وأني آمنت بكل ما جاء به مما علمته وما لم أعلمه، وأنَّ الموت حق وبأجل مسمى وسؤال القبر حق، والسؤال حق والبعث للأجساد حق، والجنة حق، والنار حق، والصراط حق، والميزان حق، وإنَّ الساعة آتية لا ريب فيها والعرض على الله حق، وشفاعة أرحم الراحمين حق، وشفاعته ﷺ حق، وأنّ جماعة من أهل الكبائر يدخلون النار ويخرجون منها بالشفاعة حق وخلود أهل الجنة في الجنة حق وخلود أهل النار من الكفار حق، وأنّ جميع ما جاء به الرسل عليهم الصلاة والسلام حق، وأنَّ الكتب المنزلة عليهم حق، وأشهد أنَّ أصحاب النبي ﷺ عدول أمناء قد بلغوا جميع ما علموه ونقلوه عن سيد الكائنات من أقواله وأفعاله وتقريراته، وأنّه قد وصلنا ذلك تواتراً بنقل جماعة عن جماعة يؤمن تواطؤهم على الكذب، وإنَّ خلفاءه الكرام ونوابه في جميع الأحكام مرتبون في الفضيلة بحسب ترتبهم في الخلافة فأفضلهم أبو بكر ثم عمر، ثم عثمان، ثم عليّ رضي الله تعالى عنهم أجمعين وأرضاهم عنا بجاه رسوله الأكرم وحبيبه الأعظم ﷺ وعلى آله وأصحابه، وشرف وكرم، فهذه شهادتي على نفسي أمانة عند كل من وصلت إليه أنْ يؤدّيها إذا سئلها حيثما كان في هذه الدار ودار الجنان، الله تعالى يرزقنا الثبات في الحياة وبعد الممات، ويحلنا بكرمه وإحسانه في حظائر الرضوان، ويجعلنا من الحزب الذي يأخذ الكتب وهو من الحوض ريان، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أنْ هدانا الله وصلى الله وسلم على خير أنبيائه وعلى آله وأصحابه وأحبابه، ومن والاه إنّه على ما يشاء قدير وبإجابة مثلي جدير آمين آمين. آمين ثم بعد هذا أقول والله وليّ السول بعد حمد من فتح سبيل الخيرات، ومنح بالفضل أصحاب السعادات وصلاتي وسلامي على سيد ذوي السيادات، ونقطة دائرة أهل

الإشارات وعلى آله وأصحابه الذين هم فلك سماء الكمالات نصيحة لنفسي ووصية لأبناء جنسي، وطلباً لحسن التذكر، ومرآة لمن شأنه التفكر، فلعل بمطالعة أحرفها القليلة مع التأمل في معانيها الجليلة تكون سبباً في الرجوع عن سوء الطريق، ووسيلة للعدّ في زمرة محاسن الرفيق إذ يجب على كل مكلف عالم بذل النصيحة لكل قاعد وقائم على ما دل عليه الدليل وثبت بواضح البرهان الذي عليه التعويل أنّ جميع ما تقدم من أحوال المشايخ ودواعي مقاماتهم العلية قد علم وتحقق، فلا حاجة لي بذكره ولا بإقامة دليل على صدقه لوضوح أنّ جميع نطقهم من إشراق أنوار قلوبهم، فمثلهم هم أهل الوصول ممن يعينك على ترك الفضول غير أني بذلاً للنصحية أحذرك عن متابعة مشايخ هذا الوقت ممن لا يثمر الاجتماع بهم خلاف المقت إذ هم قطاع طريق الله على عباده وأعداء الأولياء الداعين إلى سبيل رشاده حيث لا همة لهم إلا جمع العرض الفاني، ولا سعي لهم إلا في تجريد القاصي والداني أزاحهم الله من جميع البلاد وأراح منهم الدواب والعباد، فإنّهم قد سولت لهم أنفسهم أشياء وهمية فانتصبوا بذلك مفسدين للطريقة المحمدية، فهم المشار إليهم في الخبر «أنا من غير الدّجال أخوف عليكم من الدجال» قيل: من، قال: أئمة مضلون نصبهم الحق أمارة على اقتراب الساعة سئلوا في علم الشريعة والحقيقة فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا فجانبهم تربح وتغنم، وقاطعهم تسلم وتسلم قال تعالى: ﴿وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ فشتان بين من يدعوك إلى الحق ومن يدعوك إلى الباطل أفمن يهدي إلى الحق أحق أنْ يتبع أمّن لا يهدّي إلا أنْ يهدى، فما لكم كيف تحكمون بدلوا وغيروا فبدّل الله بهم وغير، وخربوا معالم الدين فخرّب الله قلوبهم ودمّر تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنّهم قوم لا يعقلون، فعليك يا أخي في مثل هذا الوقت بخاصة نفسك وتباعد عمن بهم تزيد قاذروات رجسك، وتابع هدى سيد المرسلين وإمام كل إمام من النبيين والمرسلين فكافيك التمسك بالقرآن، والتنسك على طريق سيد ولد عدنان، ولا تغرّنك لو فرض خوارق العادات فإنّها كما تكون للكرامة توجد لقصد الإهانة، فهذه وصيتي إليك قد ذكرتها شفقة عليك دعاني إلى ذكرها رعاية المقام فتقبلها ومني عليك السلام. كتبه بقلمه الكاسد ورقمه بفكره المتزاحم فيه كل فاسد الفقير مصطفى محمد العروسيّ الشافعيّ الأحمدي غفر الله ذنوبه وستر في الدارين عيوبه ولوالديه ولجميع المؤمنين بجاه سيد المرسلين آمين رب العالمين، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

بعد حمد الله على آلائه والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه يقول المتوسل إلى الله بالجاه الفاروقي إبراهيم عبد الغفار الدسوقي خادم قلم التصحيح بدار الطباعة أعانه الله على مشاق هذه الصناعة: تم طبع هذه الحاشية البهية المسماة بنتائج الأفكار القدسية، وقد سرحت النظر في رياضها ومتعت الفكر في غياضها فرأيتها حديقة باسمة الزهر يانعة الثمر قد سطعت مشارق الأنوار من مشكاة مبانيها، ونفح ربيع الأبرار من نشر أزهار

معانيها أوضحت بمصباح مباهج أساليبها، وصحاح مناهج تراكيبها نفائس ما انطوت عليه مثاني آثار الصوفية واحتوت عليه معاني الأخبار المصطفوية من أسرار أرباب الطريقة، والتخلق بأخلاق أهل الحقيقة، باقتحام الأخطار المحرزة رضا العزيز الغفار، والحظوة بأحاسن القصور ومحاسن الولدان والحور، كيف لا وهي للعالم العلامة الحبر البحر الفهامة الأريب الألمعيّ واللبيب اللوذعيّ صاحب المظهر القدّوسيّ حضرة شيخ مشايخ الإسلام السيد مصطفى العروسي، وكان هذا الطبع الرائق والتمثيل الرقيق الفائق بدار الطباعة العامرة ذات الأدوات الباهرة المتوفرة دواعي مجدها المشرقة كواكب سعدها في ظل من تعطرت الأفواه بثنائه، وبلغ من كل وصف جميل حد انتهائه بدر فلك الصدارة، وقطب دائرة الإمارة رائع الليوث في آجامها، ومخجل الغيوث عند انسجامها حامي حمى الأقطار النيلية والديار الصمرية ذي المآثر الشهيرة والعطايا الغزيرة الراقي بهممه إلى كل مقام معتلي جناب الخديوي إسماعيل بن إبراهيم بن محمد عليّ متع الله الوجود بدوام وجوده ولا زال منهلاً على رعاياه سحائب كرمه وجوده، ولا فتئت مصر مؤيدة العزائم مشيدة الدعائم برعاية أنجاله الكرام وأشباله الفخام لا سيما الوزير الشهير النبيل الأصيل ذا المعارف المشهورة، والعوارف المشكورة رئيس المجلس الخصوصيّ، ومن له بولاية العهد أوصي، ومن هو بأحاسن الثناء حقيق سعادة محمد باشا توفيق ثم رب الكمال ثاني الأنجال وهو الشبل التالي دولتا وحسين باشا وزير المعالي ثم ثالث الأنجال المعدود من فحول الرجال حسن الوصف والاسم، ومن له من حسن الشهرة أو في قسم من انتعش به البهاء انتعاشاً دولتا وحسن باشا لا زالت الأيام مضيئة بشموس علاهم والليالي منيرة ببدور حلاهم، وكان طبعها الميمون وتمثيلها المصون مشمولاً بإدارة من خاطبته المعالي بإياك أعني سعادة حسين بك حسني، ووكالة من عليه أخلاقه تثني حضرة محمد أفندي أحمد وملاحظة ذي الصنع المسدد حضرة أبي العينين أفندي أحمد وقد وافق تمام طبعه أوائل رجب التالي لأخرى الجماديين من سنة ألف وتسعين ومائتين من هجرة سيد الكونين صلى الله وسلم عليه وعلى آله وكل منتمٍ إليه ما سطع شارق ولمع بارق آمين.

فهرس المحتويات